وهميـة الإسـلام

أنا من ضيع في الإسلام عمره

دراسة موثقة لمئة وهم إسلامي

إعــداد
شاكر فضل الله النعماني

مقدمـــة

هذه دراسة موثقة لمئة وهم إسلامي إخترناها من بين الآف الأوهام التي يؤمن بها المسلم المعاصر.
ورغم أن العنوان هو **" أنا من ضيع في الإسلام عمره "** إلا إن العنوان الحقيقي أكثر إيلاما ورهبة.
إنه **" أنا من ضيع في الإسلام أبديته "**
أقول هذا بقلب منكسر وعينين دامعتين. إن محبتي لأخي المسلم تلزمني بأن أهزه وبعنف حتى يستفيق من الأوهام ويقفز من السفينة الغارقة قبل فوات الأوان.
إن الإنسان خالد إما في السماء أو في جهنم وأنا لا أتمنى لأخي المسلم أبدا أن يكون له بئس المصير.
رجائي وصلاتي أن من يقرأ هذا الكتاب يقرأه بعقل حكيم وقلب مفتوح وضمير يقظ.
وجهك يا رب نطلب ورضاك نبتغي.

الفـهــرس

1- جمع القرآن

أحاديث جمع القرآن:

1- روى زيد بن ثابت، قال:

" ارسل الى ابو بكر مقتل أهل اليمامة فإذا عمر بن الخطاب عنده. قال أبو بكر: إن عمر أتاني، فقال: إن القتل قد استحر يوم اليمامة بقراء القرآن، وإني اخشى أن يستحر القتل بالقراء بالمواطن فيذهب كثير من القرآن، وإني أرى أن تأمر بجمع القرآن. قلت لعمر: كيف تفعل شيئا لم يفعله رسول الله؟ قال عمر: هذا والله خير، فلم يزل عمر يراجعني حتى شرح الله صدري لذلك، ورأيت في ذلك رأي عمر. قال زيد: قال أبو بكر: إنك رجل شاب عاقل لا نتهمك، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله (ص).

فتتبع القرآن فاجمعه فوالله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل علي مما أمرني من جمع القرآن. قلت: كيف تفعلون شيئا لم يفعله رسول الله (ص)؟ قال: هو والله خير، فلم يزل أبو بكر يراجعني حتى شرح الله صدري، للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر. فتتبعت القرآن أجمعه من العسب، واللخاف، وصدور الرجال حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري، لم أجدها مع أحد غيره.

" لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم " 128:9" فإن تولوا فقل حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم" 129:9.
حتى خاتمة براءة فكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله. ثم عند عمر حياته، ثم عند حفصة بنت عمر"(1)

2- وروى ابن شهاب ان أنس بن مالك حدثه : " ان حذيفة بن اليمان قدم على عثمان، وكان يغازي أهل الشام في فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق، فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة. فقال حذيفة لعثمان: يا أمير المؤمنين أدرك هذه الامة قبل أن يختلفوا على الكتاب اختلاف اليهود والنصارى، فأرسل عثمان الى حفصة أن أرسلي الينا بالصحف ننسخها في المصاحف. ثم نردها اليك، فأرسلت بها حفصة الى عثمان فأمر زيد بن ثابت، وعبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحرث بن هشام فنسخوها في المصحف، وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة: إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شئ من القرآن فاكتبوه بلسان قريش، فانما نزل بلسانهم ففعلوا حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف رد عثمان الصحف الى حفصة، فأرسل الى كل افق بمصحف مما نسخوا، وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق".

قال ابن شهاب: " وأخبرني خارجة بن زيد بن ثابت سمع زيد بن ثابت قال: فقدت آية من الأحزاب حين نسخنا المصحف، قد كنت أسمع رسول الله (ص) يقرأ بها، فالتمسناها فوجدناها مع خزيمة بن ثابت الأنصاري. " من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه 23:33"
فألحقناها في سورتها في المصحف.

3- وروى ابن أبي شيبة باسناده عن علي. قال:

" أعظم الناس في المصحف أجرا أبو بكر، إن أبا بكر أول من جمع ما بين اللوحين."

4- وروى ابن شهاب، عن سالم بن عبدالله وخارجة:

" أن أبا بكر الصديق كان جمع القرآن في قراطيس، وكان قد سأل زيد بن ثابت النظر في ذلك فأبى حتى استعان عليه بعمر ففعل، فكانت الكتب عند أبي بكر حتى توفى، ثم عند عمر حتى توفي، ثم كانت عند حفصة زوجة النبي (ص) فأرسل لها عثمان فأبت أن تدفعها، حتى عاهدها ليردنها اليها فبعثت بها اليه، فنسخها عثمان هذه المصاحف ثم ردها اليها فلم تزل عندها...."

5- وروى هشام بن عروة، عن أبيه، قال:
" لما قتل أهل اليمامة أمر أبو بكر عمر بن الخطاب، وزيد بن ثابت، فقال اجلسا على باب المسجد، فلا يأتينكما أحد بشئ من القرآن تنكرانه يشهد عليه رجلان إلا اثبتماه، وذلك لأنه قتل باليمامة ناس من أصحاب رسول الله (ص) قد جمعوا القرآن."

6- وروى محمد بن سيرين، قال:

" قتل عمر ولم يجمع القرآن."

7- وروى يحيي بن عبد الرحمن بن حاطب، قال:

" أراد عمر بن الخطاب أن يجمع القرآن فقام في الناس، فقال: من كان تلقى من رسول الله - ص- شيئا من القرآن فيأتنا به، وكانوا كتبوا ذلك في الصحف، والألواح، والعسب، وكان لا يقبل من أحد شيئا حتى يشهد شهيدان، فجاء خزيمة بن ثابت، فقال: إني قد رأيتكم تركتم ايتين لم تكتبوهما، قالوا: ماهما؟ قال: تلقيت من رسول الله صلى الله عليه وأله: " لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتّم ....." الى آخر السورة فقال عثمان: وأنا أشهد أنهما من عند الله، فأين ترى ان نجعلهما؟ قال اختم بهما آخر ما نزل من القرآن فختمت بهما براءة".

تعارض روايات الجمع:

ان هذه الروايات معارضة بما دل على أن القرآن كان قد جمع، وكُتب على عهد رسول الله (ص) فقد روى جماعة، منهم ابن شيبة واحمد بن حنبل، والترمذي، والنسائي، والضياء المقدسي عن ابن عباس، قال قلت لعثمان بن عفان: ما حملكم على أن عمدتم الى الأنفال وهي من المثاني، والى براءة، وهي من المئين فقرنتم بينهما ولم تكتبوا بينهما سطر:" بسم الله الرحمن الرحيم"؟ ووضعتموهما في السبع الطوال، ما حملكم على ذلك؟ فقال عثمان: إن رسول الله كان مما يأتي عليه الزمان ينزل عليه السورة – ذات العدد- وكان إذا نزل عليه شئ يدعو بعض من يكتب عنده. فيقول: ضعوا هذه في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا، وتنزل عليه الآيات، فيقول: ضعوا هذه في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا، وكانت الأنفال من أول ما انزل بالمدينة، وكانت براءة من آخر القرآن نزولا، وكانت قصتها شبية بقصتها، فظننت أنها منها، وقبض رسول الله (ص) ولم يبين لنا أنها منها. فمن أجل ذلك قرنت بينهما: لم أكتب بينهما سطر: " بسم الله الرحمن الرحيم" ووضعتها في السبع الطوال.

وروى الطبراني، وابن عساكر من الشعبي، قال:" جمع القرآن على عهد رسول الله (ص) ستة من الأنصار، أبي بن كعب، وزيد بن ثابت، ومعاذ بن جبل، وأبو الدرداء، وسعد بن عبيد، وأبو زيد، وكان مجمع بن جارية قد أخذه إلا سورتين أو ثلاث".

وروى قتادة، قال: " سألت أنس بن مالك: من جمع القرآن على عهد النبي؟ قال: أربعة كلهم من الأنصار أبي بن كعب، ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وأبو زيد".

وروى مسروق: ذكر عبد الله بن عمرو عبد الله بن مسعود، فقال: " لا أزال أحبه، سمعت النبي (ص) يقول: خذوا القرآن من أربعة، من عبد الله بن مسعود، وسالم، ومعاذ، وأبي بن كعب".

وأخرج النسائي بسند صحيح من عبد الله بن عمر، قال: "جمعت القرآن فقرأت به كل ليلة فبلغ النبي (ص) فقال اقرأه في شهر ...". وستجيء رواية ابن سعد في جمع ام ورقة القرآن.

ولعل قائلا يقول: ان المراد من الجمع في هذه الروايات هو الجمع في الصدور لا التدوين، وهذا القول دعوى لا شاهد عليها، أضف الى ذلك انك ستعرف ان حفظ القرآن على عهد رسول الله (ص) كانوا اكثر من ان تحصى اسماؤهم، فكيف يمكن حصرهم في أربعة أو ستة؟ّ!! وان المتصفح لأحوال الصحابة، وأحوال النبي (ص) يحصل له العلم اليقين بان القرآن كان مجموعا على عهد رسول الله (ص) وأن عدد الجامعين له لا يستهان به، وأما ما رواه البخاري باسناده عن أنس، قال: مات النبي (ص) ولم يجمع القرأن غير اربعة، أبو الدرداء، ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وابو زيد فهو مردود مطروح، لأنه معارض للروايات المتقدمة، حتى لما رواه البخاري بنفسه، ويضاف الى ذلك أنه غير قابل للتصديق به، وكيف يمكن ان يحيط الراوي بجميع أفراد المسلمين حين وفاة النبي (ص) على كثرتهم، وتفرقهم في البلاد، ويستعلم احمالهم ليمكنه ان يحصر الجامعين للقرآن في أربعة، وهذه الدعوى تخرص بالغيب، وقول بغير علم. وصفوة القول: انه مع هذه الروايات كيف يمكن ان يصدق ان أبا بكر كان أول من جمع القرآن بعد خلافته؟ واذا سلمنا ذلك فلماذا أمر زيدا وعمر بجمعه من اللخاف، والعسب، وصدور الرجال، ولم يأخذه من عبد الله، ومعاذ ، وأبي، وقد كانوا عند الجمع أحياء، وقد أمروا بأخذ القرآن منهم، ومن سالم، نعم إن سالما قد قتل في حرب اليمامة، فلم يمكن الاخذ منه، على أن زيدا نفسه كان أحد الجامعين للقرآن على ما يظهر من هذه الرواية، فلا حاجة الى التفحص والسؤال من غيره، بعد أن كان شابا عاقلا غير متهم كما كان يقول أبو بكر، أضف الى جميع ذلك أن أخبار الثقلين المتظافرة تدلنا على أن القرآن كان مجموعا على عهد رسول الله (ص) على ما سنشير اليه.

9 - وروى سليمان ابن أرقم، عن الحسن وابن سيرين ، وابن شهاب الزهري. قالوا:" لما اسرع القتل في قراء القرآن يوم اليمامة وقتل منهم يومئذ أربعمائة رجل، لقى زيد بن ثابت عمر بن الخطاب. فقال له: إن هذا القرآن هو الجامع لدينا فان ذهب القرآن ذهب ديننا، وقد عزمت على أن أجمع القرآن في كتاب. فقال له: انتظر حتى اسأل أبا بكر فمضيا الى ابي بكر فأخبراه بذلك. فقال: لا تعجل حتى اشاور المسلمين، ثم قام خطيبا في الناس فأخبرهم بذلك، فقالوا: اصبت، فجمعوا القرآن، فأمر ابو بكر مناديا في الناس من كان عنده شئ من القرآن فليجيء به..."

10 - وروى خزيمة بن ثابت، قال: جئت بهذه الآية: لقد جاءكم رسول من أنفسكم... الى عمر بن الخطاب، والى زيد بن ثابت، فقال زيد: من يشهد معك؟ قلت: لا والله ما ادري، فقال عمر: أنا أشهد معه على ذلك.

11 – وروى ابو اسحق ، عن بعض اصحابه، قال: لما جمع عمر بن الخطاب المصحف سأل: من أعرب الناس؟ قيل سعيد ابن العاص. فقال: من أكتب الناس؟ فقيل زيد بن ثابت، قال فليملل سعيد وليكتب زيد، فكتبوا مصاحف أربعة، فأنفذ مصحفا منها الى الكوفة ومصحفا الى البصرة ومصحفا الى الشام ومصحفا الى الحجاز.

12 - وروى عبد الله بن فضالة، قال لما اراد عمر ان يكتب الامام أقعد له نفرا من أصحابه، وقال: اذا اختلفتم في اللغة فاكتبوها بلغة مضر، فان القرآن نزل على رجل من مضر.

13 - وروى ابو قلابة قال: لما كان في خلافة عثمان جعل المعلم يعلم قراءة الرجل، والمعلم يعلم قراءة الرجل، فجعل الغلمان يلتقون ويختلفون، حتى ارتفع ذلك الى المعلمين، حتى كفر بعضهم بقراءة بعض، فبلغ ذلك عثمان، فقام خطيبا فقال: انتم عندي تختلفون وتلحنون، فمن نأى عني من الامصار اشد اختلافا، واشد لحنا، فاجتمعوا يا اصحاب محمد فاكتبوا للناس إماما، قال ابو قلابة: فحدثني مالك ابن انس، قال ابو بكر ابن ابي داود: هذا مالك ابن انس جد مالك ابن انس، قال كنت فيمن املي عليهم فربما اختلفوا في الآية فيذكرون الرجل قد تلقاها من رسول الله (ص) ولعله

ان يكون غائبا او في بعض البوادي، فيكتبون ما قبلها وما بعدها، ويدعون موضعها حتى يجيء او يرسل اليه، فلما فرغ من المصحف كتب الى اهل الامصار اني قد صنعت كذا وصنعت كذا، ومحوت ما عندي فامحوا ما عندكم.

14 - وروى مصعب ابن سعد قال:
قام عثمان يخطب في الناس، فقال: ايها الناس عهدكم بنبيكم منذ ثلاث عشرة وانتم تمترون في القرآن، تقولون قراءة أبي، وقراءة عبد الله، يقول الرجل والله ما تقيم قراءتك، فأعزم على كل رجل منكم كان معه من كتاب الله شيء لما جاء به، فكان الرجل يجيء بالورقة والاديم فيه القرآن، حتى جمع من ذلك كثرة، ثم دخل عثمان ودعاهم رجلا رجلا، فناشدهم لسمعت رسول الله (ص) وهو امله عليه، فيقول: نعم، فلما فرغ من ذلك عثمان، قال: من اكتب الناس؟ قالوا كاتب رسول الله (ص) زيد بن ثابت، قال فأي الناس أعرب؟ قالوا سعيد بن العاص. قال عثمان: فليمل سعيد وليكتب زيد، فكتب زيد وكتب مصاحف ففرقها في الناس، فسمعت بعض اصحاب محمد يقول قد احسن.

15 - وروى ابو المليح قال:

قال عثمان بن عفان حين اراد أن يكتب المصحف، تملي هذيل وتكتب ثقيف.

16- وقد اخرج ابن اشته عن الليث بن سعد قال: أول من جمع القرآن ابو بكر، وكتبه زيد، وكان الناس يأتون زيد بن ثابت، فكان لا يكتب آية الا بشهادة عدلين، وان آخر سورة براءة لم توجد الا مع ابي خزيمة بن ثابت، فقال اكتبوها فان رسول الله (ص) جعل شهادته بشهادة رجلين، فكتب، وان عمر اتى بآية الرجم فلم نكتبها لأنه كان وحده.

هذه اهم الروايات التي وردت في كيفية جمع القرآن، وهي مع أنها اخبار أحاد لا تفيدنا علما مخدوشة من جهات ومتناقضة في انفسها فلا يمكن الاعتماد على شيء منها، ومن الجدير بنا ان نشير الى جملة من مناقضاتها في ضمن اسئلة واجوبة:

س- متى جمع القرآن في المصحف ؟
ج - ظاهر الرواية الثانية أن الجمع كان في زمان عثمان وصريح الروايات الاولى والثالثة والرابعة وظاهر البعض الاخر انه كان في زمان ابي بكر، وصريح الروايتين السابعة والثانية عشرة انه كان في زمان عمر.

س- من تصدى لجمع القرآن في زمن ابي بكر؟
ج - تقول الروايتان الاولى والسادسة عشرة ان المتصدي لذلك هو زيد بن ثابت، وتقول الرواية الرابعة انه ينظر فيما جمعه من الكتب وتقول الرواية الخامسة ويظهر من غيرها ايضا ان المتصدي هو زيد وعمر.

س- هل فوض لزيد جمع القرآن؟
ج - يظهر من الرواية الاولى ان ابا بكر قد فوض اليه ذلك، بل هو صريحها فان قوله لزيد:" انك رجل شاب عاقل لا نتهمك وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله (ص) فتتبع القرآن واجمعه"، صريح في ذلك وتقول الرواية الخامسة وغيرها: ان الكتابة انما كانت بشهادة شاهدين، حتى ان عمر جاء بآية الرجم فلم تقبل منه.

س- هل بقي من الآيات ما لم يدون زمان عثمان؟
ج - ظهر من كثير من الروايات، بل صريحها انه لم يبق شيئ من ذلك وصريح الرواية الثانية، بقاء شيء من الآيات لم يدون زمان عثمان.

س- هل نقص عثمان شيئا مما كان مدونا قبله؟
ج - ظاهر من كثير من الروايات بل صريحها ايضا ان عثمان لم ينقص مما كان مدونا قبله، وصريح الرواية الثالثة عشرة انه محا شيئا مما دون قبله، وامر المسلمين بمحو ما محاه.

س- من أي مصدر جمع عثمان المصحف؟
ج - صريح الروايتين الثانية والرابعة، ان الذي اعتمد عليه في جمعه هي الصحف التي جمعها ابو بكر، وصريح الروايات الثامنة، والثالثة عشرة والرابعة عشرة ان عثمان جمعه بشهادة شاهدين، وباخبار من سمع الآية من رسول الله (ص).

س- من الذي طلب من ابي بكر جمع القرآن؟
ج - تقول الرواية الاولى ان الذي طلب ذلك منه هو عمر، وان ابا بكر انما اجابه بعد الامتناع، فأرسل الى زيد وطلب منه ذلك، فأجابه بعد الامتناع، وتقول الرواية التاسعة ان زيدا وعمرا طلبا ذلك من ابي بكر، فأجابهما بعد مشاورة المسلمين،

س- من جمع الامام وارسل منه نسخا الى البلاد؟
ج - صريح الرواية الثانية انه كان عثمان، وصريح الرواية الحادية عشرة انه كان عمر.

س- متى الحقت الآيتان بآخر سورة براءة؟
ج - صريح الروايات الاولى والعاشرة والسادسة عشرة ان الحاقهما كان في زمان ابي بكر، وصريح الرواية الثامنة وظاهرغيرها انه كان في عهد عمر.

س- من آتى بهاتين الآيتين؟
ج - صريح الروايتين الاولى والسادسة عشرة انه كان ابا خزيمة، وصريح الروايتين الثامنة والعاشرة، انه كان خزيمة بن ثابت، وهما رجلان ليس بينهما نسبة اصلا، على ما ذكره ابن عبد البر في تفسير القرطبي ج1 ص 56.

س- بماذا ثبت انهما من القرآن؟

ج - بشهادة الواحد، على ما هو ظاهر الرواية الاولى، وصريح الرواية السادسة عشرة، وبشهادة عثمان معه، على ما هو صريح الرواية الثامنة وبشهادة عمر معه على ما هو صريح الرواية العاشرة.

س- من عينه عثمان لكتابة القرآن واملائه؟

ج - صريح الرواية الثانية ان عثمان عين للكتابة زيدا، وابن الزبير، وسعيدا، وعبد الرحمن، وصريح الرواية الرابعة عشرة انه عين زيدا للكتابة وسعيدا للاملاء، وصريح الرواية الخامسة عشرة انه عين ثقيفا للكتابة، وهذيلا للاملاء.

أحاديث متناقضة في جمع القرآن:

في كتابه القيم " أضواء على السنة المحمدية" يتناول الأستاذ محمود ابو رية اشكاليات جمع القرآن، ننقل عنه الصفحات التالية:

ولا بد لي هنا ان أقف وقفة قصيرة أستعلن فيها ما عراني من حيرة فيما أوردوه من أنباء هذا الجمع وما فيها من تناقض كثير. فنبأ يقول: إن عمر هو الذي فزع الى أبي بكر في هذا الجمع، وخبر يقول: إن هذه الجمع لم يكن في عهد أبي بكر، وإنما هو عمر الذي تولاه، ورواية ثالثة تفيد أن عمر قد قُتل قبل أن يكمل هذا الجمع، وأن عثمان هو الذي أتمه، وثم روايات أخرى كثيرة تحمل مثل هذا التناقض، لا نتوسع بإيرادها.
ونحن لو أخذنا بالأخبار المشهورة، التي رواها البخاري، وهي التي فزع فيها عمر الى أبي بكر لكي يجمع القرآن لما رأى القتل قد استحر في وقعة اليمامة وأنه قد قتل فيها من الصحابة مئات وهم حملة القرآن، واذا استمر الأمر على ذلك فإن القرآن يضيع وينسى!.

ولو نحن أخذنا بهذا النبأ فإنه يتبين منه أن الصحابة وحدهم هم الذين كانوا في هذا العهد يحملون القرآن، فإذا ما ماتوا أو قتلوا ضاع القرآن ونسى، وأنه ليس هناك مصدر آخر يحفظ القرآن على مد الزمان اذ كانوا مادته وكانوا كتابه؟

على حين ذكروا قبل ذلك في أخبار وثيقة يرضى بها العقل ويؤيدها العلم أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يكتب كل ما ينزل عليه من قرأن وقت نزوله على العسب واللخاف وقطع الأديم وغيرها، وأنه اتخذ لذلك كتابا أحصى التاريخ أسماءهم، فأين ذهبت هذه النسخة، التي لا يشك فيها أحد ولا يمترى فيها إنسان؟ لأنها هي التي حفظ الله بها القرآن الكريم في قوله تعالى: " إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون" وفي قوله تعالى: " إنا علينا جمعه وقرآنه". ستبقى على وجه الزمن خالدة، ولأصبحت هي المرجع الأول للقرآن في كل عصر ومصر والتي كان يجب على عثمان أن يراجع عليها مصاحفه التي كتبها قبل أن يوزعها على الأمصار.

تعقيب لا بد منه:

وإذا كانوا – كما قلنا – قد أوفوا على الغاية من التحقيق في كتابة القرآن الكريم وحفظه حتى لا يستطيع أحد أن يمارى في ذلك، أو يحيك بصدره شئ من الريب فيه، فقد قامت حول هذا الأمر الخطير أمور سموها مشكلات نرى من الواجب أن نشير الى بعضها حتى لا يأخذ علينا أحد أننا قد أغفلنا مما يجب أن يعلمه قراء كتابنا عن الرواية وما جنت، وهو ما يتصل بموضوعنا " وفي كل واد أثر من ثعلبة"!

قال العلامة طاهر الجزائري في كتابه "التبيان" (1) وهو يتكلم عن وجوب تواتر القرآن وما ورد على ذلك من مشكلات: وهنا مشكلات ترد على أصل وجوب تواتر القرآن نذكرها مع الجواب عنها:

المشكل الأول:

نقل عن ابن مسعود أنه كان ينكر سورة الفاتحة والمعوذتين من القرآن وقد أنكر صحة النقل عنه كثير من العلماء، قال النووي في شرح المهذب: أجمع المسلمون على أن المعوذتين والفاتحة من القرآن وأن من جحد شيئا منها كفر، وما نقل عن ابن مسعود باطل ليس بصحيح. وقال ابن حزم في كتاب القدح المعلى تتميم المحلى: هذا كذب على ابن مسعود وموضوع، وإنما صح عنه قراءة عاصم عن زر عنه، وفيها المعوذتان والفاتحة.
وقال ابن حجر في شرح البخاري: قد صح عن ابن مسعود إنكار ذلك فأخرج أحمد وابن حبان عنه أنه كان لا يكتب المعوذتين في مصحفه – وبعد أن أورد كل الروايات التي جاءت في أن ابن مسعود كان يحك المعوذتين من مصاحفه قال (ابن حجر): <u>فقول من قال إنه كذب عليه مردود، والطعن في الروايات الصحيحة بغير مستند لا يقبل!!</u>

وقال ابن قتيبة في مشكل القرآن" ظن ابن مسعود أن المعوذتين ليستا من القرآن لأنه رأى النبي (ص) يعوذ بهما الحسن والحسين فأقام على ظنه، ولا نقول إنه أصاب في ذلك وأخطأ المهاجرون والأنصار – وأما اسقاطه الفاتحة من مصحفه فليس لظنه أنها ليست من القرآن، معاذ الله! ولكنه ذهب الى أن القرآن إنما كتب وجمع بين اللوحين مخافة الشك والنسيان، والزيادة والنقصان، ورأى أن ذلك مأمون في سورة الحمد لقصرها ووجوب تعلمها على كل أحد...

ومما يشاكل ما نقل عن ابن مسعود، ما نقل عن أبي بم كعب، أنه كتب في مصحفه سورتين تسميان سورتي الخلع والحقد، كان يقنت بهما وهما: اللهم إنا نستعينك، ونستغفرك ونثنى عليك الخير ولا نكفرك، ونخلع ونترك من يفجرك، اللهم إياك نعبد ولك نصلي ونسجد، وإليك نسعى ونحفد، نخشى عذابك ونرجو رحمتك إن عذابك بالكفار ملحق. وقد تعرض القاضي لذكر ذلك في الانتصار فقال: إن كلام القنوت المروي أن أبى بن كعب أثبته في مصحفه لم تقم الحجة بأنه قرآن منزل بل هو ضرب من الدعاء، وإنه لو كان قرآنا لنقل نقل القرآن وحصل العلم بصحته، وإنه يمكن أن يكون منه كلام كان قرآنا منزلا ثم نسخ وأبيح الدعاء به وخلط بكلام ليس بقرآن – ولم يصح ذلك عنه- وإنما روى عنه أنه أثبته في مصحفه ما ليس بقرآن من دعاء وتأويل.

المشكل الثاني:

نقل عن زيد بن ثابت أنه قال في أثناء ذكره لحديث جمع القرآن في المصحف – وهو الجمع الأول- وكان ذلك في عهد ابي بكر الصديق: فقمت فتتبعت القرآن أجمعه من الرقاع والأكتاف والعسب وصدور الرجال حتى وجدت من سورة التوبة آيتين مع أبي خزيمة الأنصاري، لم أجدهما مع أحد غيره " لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم..." الى آخرها، ونقل عنه أنه قال: لما نسخنا المصحف في المصاحف فقدت آية من سورة الأحزاب، كنت أسمع رسول الله (ص) يقرؤها لم أجدها مع أحد إلا مع خزيمة الأنصاري الذي جعل رسول الله (ص) شهادته شهادة رجلين: " من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه"، وقد وقع هذا في الجمع الثاني، وكان ذلك في عهد عثمان، وقد اختلف المتكلمون في ذلك، فقال بعضهم: إن هذا الخبر، وإن كان مخرجا في الصحيحين، غير صحيح، لاقتضائه أن الآيات الثلاث المذكورة قد ثبتت بغير طريق التواتر، وهو خلاف ما يقتضيه الدليل المذكور، وقال بعضهم: ليس في الخبر المذكور ما يقتضي ثبوت الآيات المذكورة بغير طريق التواتر، لاحتمال أن يكون زيد قد أراد بقوله: لم أجدها مع غير فلان: لم أجدها مكتوبة عند غيره.

وهو لا يقتضي أنه لم يجدها محفوظة عند غيره.. وقال بعضهم: إن الدليل المذكور إنما يقتضي كون القرآن قد نقل على وجه يفيد العلم – وإفادة العلم قد تكون بغير طريق التواتر، فإن في أخبار الآحاد ما يفيد العلم، وهي الأخبار التي احتفت بها قرائن توجب ذلك – وعلى هذا فنحن لا نستبعد أن يكون في القرآن ما نقل على هذا الوجه، وذلك كالآيات الثلاث المذكورة، إذ المطلوب حصول العلم على أي وجه كان، وقد حصل بهذا الوجه.
وهذا القول في غاية القوة والمتانة، ولا يرد عليه شئ مما يرد على من أفرط في هذا الأمر أو فرط عليه.

المشكل الثالث:

روى البخاري عن قتادة أنه قال: سألت أنس بن مالك، من جمع القرآن على عهد رسول الله (ص) ؟ فقال: أربعة كلهم من الأنصار، أبي بن كعب، ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وأبو زيد، قلت: من أبو زيد؟ قال: أحد عمومتي، وروى من طريق ثابت عن أنس أنه قال: مات النبي(ص) ولم يجمع القرآن غير اربعة، أبو الدرداء، ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وأبو زيد. وفيه مخالفة لحديث قتادة من وجهين: التصريح بصيغة الحصر في الأربعة، والآخر ذكر أبا الدرداء بدل أبي بن كعب، وقد استنكر جماعة من الأئمة الحصر في الأربعة. وقال المازري: لا يلزم من قول أنس لم يجمعه غيرهم، أن يكون الواقع في نفس الأمر كذلك، لأن التقدير أنه لا يعلم أن سواهم جمعه، وإلا فكيف الإحاطة بذلك مع كثرة الصحابة وتفرقهم في البلاد، وهذا لا يتم إلا إن كان لقى كل واحد منهم على انفراده، وأخبره عن نفسه أنه لم يكمل له جمع القرآن في عهد النبي (ص) وهذا في غاية البعد في العادة، واذا كان المرجع الى ما في علمه، لم يلزم أن يكون الواقع كذلك.

وأخرج النسائي بسند صحيح عن عبد الله بن عمرو أنه قال: جمعت القرآن فقرأت به كل ليلة (2) فبلغ النبي (ص) فقال: اقرأه في شهر الحديث.

وأخرج ابن أبي داود بسند حسن عن محمد بن كعب القرظي قال: جمع القرآن على عهد رسول الله (ص) خمسة من الأنصار، معاذ بن جبل، وعبادة ابن الصامت، وأبي بن كعب، وأبو الدرداء، وأبو أيوب الأنصاري.

وقد اعترض الإسماعيلي على اخراج حديثي أنس معا في الصحيح مع اختلافهما فقال: هذان الحديثان مختلفان، ولا يجوز أن يكونا في الصحيح مع تباينهما، بل الصحيح أحدهما. وجزم البيهقي بأن ذكر أبى الجرجاء وهم والصواب ابي بن كعب، وقال الداودي لا أرى أبي الرداء محفوظا، والصحيح هو الرواية الأولى، وأما الرواية الثانية فالظاهر أن بعض الرواة " رواها بالمعنى" فزاد فيها الحصر لتوهمه أنه مراد وذهل في ذكر الأسماء، فأبدل اسم أبي بن كعب باسم أبي الدرداء! ومن أمعن النظر في أمر الرواية بالمعنى – لم يستبعد ذلك. أهم ما نقلناه من كتاب التبيان.
ولم يقف فعل الرواية عند ذلك بل تمادت الى ما هو أخطر من ذلك حتى زعمت أن في القرآن نقصا ولحنا وغير ذلك مما أورد في كتب السنة، ولو شئنا أن نأتي به كله هنا لطال الكلام – ولكنا نكتفي بمثالين مما قالوه في نقص القرآن، ولم نأت بهما من كتب السنة العامة بل مما حمله الصحيحان، ورواه الشيخان البخاري ومسلم.

أخرج البخاري وغيره عن عمر بن الخطاب أنه قال – وهو على المنبر: ان الله بعث محمدا بالحق نبيا وأنزل عليه الكتاب فكان مما أنزل آية الرجم فقرأناها وعقلناها ووعيناها. رجم رسول الله (ص) ورجمنا بعده فأخشى إن طال بالناس زمان أن يقول قائل: ما نجد آية الرجم في كتاب الله فيضل بترك فريضة أنزلها الله – والرجم في كتاب الله حق على من زنى اذا أحصن من الرجال والنساء. ثم إنا كنا نقرأ فيما يقرأ في كتاب الله، ألا ترغبوا عن آبائكم فإنه كفر بكم أن ترغبوا عن آبائكم.

وأخرج مسلم عن أبي الأسود عن أبيه قال: بعث أبو موسى الأشعري، الى قراء أهل البصرة فدخل عليه ثلثمائة رجل قد قرءوا القرآن فقال: أنتم خيار أهل البصرة وقراؤهم، ولا يطولن عليكم الأمد فتقسوا قلوبكم كما قست قلوب من كان قبلكم – وإنا كنا نقرأ سورة كنا نشبهها في الطول والشدة ببراءة فأنسيتها، غير أني قد حفظت منها " لو كان لابن آدم واديان من مال لابتغى واديا ثالثا ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب"، وكنا نقرأ سورة كنا نشبهها بإحدى المسبحات فأنسيتها غير أني حفظت منها " يا ايها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون، فتكتب شهادة في أعناقكم فتسألون عنها يوم القيامة".

نجتزئ بما أوردنا وهو كاف هنا لبيان كيف تفعل الرواية حتى في الكتاب الأول للمسلمين وهو القرآن الكريم! ولا ندري كيف تذهب هذه الروايات التي تفصح بأن القرآن فيه نقص وتحمل مثل هذه المطاعن مع قول الله سبحانه " إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون" وأيهما نصدق؟!

الهوامش

1 - ص 96 ـ 101، وكتاب التبيان هو مهذب كتاب الإتقان للسيوطي.

2 - هل هذا ممكن؟ إن الشك ليبدو على هذا الخبر.

2 ـ هل سقط شئ من القرآن عند جمعه ؟

لا نريد هنا أن نتكلم مفصلا عن كيفية جمع القرآن بعد وفاة رسول الله سوى أن نقول: إن أبا بكر كان أول من جمعه بمشورة من عمر بن الخطاب، ولم يجعله أبو بكر في مصحف كما فعل بعده عثمان، بل جعله في صحف جمعها وضم بعضها الى بعض وأبقاها حفظا للقرآن من الضياع، وذلك عندما رأى في حروب الردة كثرة القتلى من القراء الذين هم حفظة القرآن. وبعد وفاة أبي بكر انتقلت هذه الصحف الى الخليفة الثاني عمر بن الخطاب.

ولما ولي عثمان كانت هذه الصحف التي جمعها ابو بكر عند حفصة أم المؤمنين بنت عمر أمير المؤمنين. ولما بلغ عثمان ما وقع بين المسلمين من الاختلاف في القراءات أراد أن يزيل من بينهم هذا الاختلاف بأن يجمعهم كلهم على مصحف واحد يقرأونه كلهم على سواء.

ففي الإتقان مما أخرجه الحاكم من رواية البخاري عن أنس قال روى البخاري عن أنس أن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان وكان يغازي أهل الشام في فتح أرمينية وأذربيجان أهل العراق، فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة فقال لعثمان: أدرك الأمة قبل أن يختلفوا اختلاف اليهود والنصارى، فأرسل عثمان الى حفصة: أن أرسلي إلينا الصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها إليك، فأرسلت بها حفصة الى عثمان فأمر زيد بن ثابت (وهذا أنصاري)، وعبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام (وهؤلاء الثلاثة من قريش) فنسخوها في المصاحف، وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة: إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شئ من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فإنه إنما نزل بلسانهم، ففعلوا حتى اذا نسخوا الصحف في المصاحف رد عثمان الصحف الى حفصة وأرسل الى كل أفق بمصحف مما نسخوا، وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق، الحديث (1).

إن الظاهر من عبارة الحديث الأخيرة أن الذين نسخوا الصحف في المصاحف قد تركوا شيئا مما كان في تلك الصحف فلم ينسخوه في المصاحف، كما هو ظاهر من قوله: " وأمر بما سواه" أي سوى المصحف الذي نسخه، ومن قوله: في كل صحيفة" أي من تلك الصحف التي أرسلت بها حفصة.

فإن قلتَ: أن المراد بالصحيفة في قوله:" في كل صحيفة" هو كل صحيفة لم تكن من الصحف التي ارسلت بها حفصة، قلتُ: ليس هناك صحيفة أو صحف غير الصحف التي كانت عند حفصة، فإن الرواة كلهم يقولون: إن أبا بكر لما أمر بجمع القرآن جمعوه من العسب واللخاف والرقاع وقطع الأديم والأكتاف والأخلاف والأقتاب ومن صدور الرجال، ولم يقولوا: جمعوه من الصحف، فليس هناك صحيفة أو صحف غير التي كانت عند حفصة وهي التي جمعت في أيام أبي بكر. وإليك بعض ما ذكره الرواة في هذا الباب، ففي الإتقان: قال الحارث المحاسبي في كتاب فهم السنة: ان كتابة القرآن ليست بمحدثة، فالنبي كان يأمر بكتابته ولكنه كان مفرقا في الرقاع والأكتاف والعسب، فإنما أمر الصديق بنسخه من مكان الى مكان مجتمعا (2). قال: وفي موطأ ابن وهب عن مالك عن ابن شهاب عن سالم بن عبدالله بن عمر قال: جمع أبو بكر القرآن في قراطيس (3)، وقال: وفي مغازي موسى بن عقبة عن ابن شهاب قال: لما أصيب المسلمون باليمامة، فزع أبو بكر وخاف أن يذهب من قراء القرآن طائفة، فأقبل الناس بما كان معهم وعندهم حتى جمع على عهد أبي بكر في الورق، فكان أبو بكر أول من جمع القرآن في الصحف (4). فهذا كله صريح في أنه لم تكن هناك صحف غير الصحف التي كانت عند حفصة، وهي الصحف التي جمعها ابو بكر. فأي صحيفة يعني بقوله" وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة" غير الصحف الى – كانت عند حفصة، ولو فرضنا أن هناك صحفا غير الصحف التي كانت عند حفصة لما كان ينبغي أن تحرق أيضا، بل كان الواجب ان تحفظ من الضياع بل تجعل في صوان لتبقى على الدهر أثرا من آثار النهضة الاسلامية يتوارثها المسلمون خلفا عن سلف، فإذا قلت: إن ما جاء في متن الحديث من قوله: " حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف رد عثمان الصحف الى حفصة" صريح في أنه ردها الى حفصة ولم يحرق منها شيئا: قلت: إن رد الصحف الى حفصة واقع، ولكنه لا يستلزم أنه ردها بأجمعها، بل يجوز أنه أخذ منها ما أخذ فأدخله في المصاحف وترك ما ترك فلم يدخله فيها، ثم أمر بإحراق ما لم يدخله ورد الباقي الى حفصة، خصوصا وأن ما جاء في عبارة الحديث من قوله: " وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة" يقتضي ذلك ويدل عليه.

بقى هنا قوله: " أو مصحف" الوارد في الحديث (وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق)، فيفهم من هذا أن هناك مصاحف كانت موجودة قبل أن يأمر عثمان بنسخ المصاحف. نعم، إن الرواة فيما رووه قد ذكروا مصحفا لابن مسعود، ومصحفا لأبي بن كعب، ومصحفا لابن عباس، وقد مرّ ذكر ذلك في أول البحث، ولعل هؤلاء كانوا يكتبون لأنفسهم مصاحفهم في حياة رسول الله، أو أنهم كتبوها بعد وفاة الرسول، فإن بين استنساخ المصاحف في زمن عثمان وبين وفاة الرسول ثلاثا وعشرين سنة، فيجوز في هذه المدة أن بعض الصحابة كتبوا لأنفسهم مصاحف، وينبغي أن يقال لهذه المصاحف إنها مصاحف خصوصية كما تقول الناس اليوم. وظاهر عبارة الحديث يقتضي أن عثمان قد أحرق من هذه المصاحف الخصوصية ما لم يدخله من القرآن في المصاحف التي نسخها. ولا غرابة في ذلك فإنه كان الخليفة المطاع، فيجوز أنه أمر أصحاب هذه المصاحف أن يأتوه منها بالقرآن الذي لم يكتبه في مصاحفه فأتوه به فأحرقه.

والخلاصة هي أن ظاهر عبارة الحديث يدل بصراحة على أن عثمان لما استنسخ المصاحف من صحف حفصة قد ترك شيئا من القرآن فلم يكتبه في المصاحف، وأنه أمر بإحراقه. ويؤيد هذا روايات أخرى جاءت في كتب السيرة وغيرها من كتب القوم، ولنذكر لك بعضها مما يصح به ما قلناه ويؤيد ما استنتجناه.

في الإتقان عند الكلام على الناسخ والمنسوخ قال أبو عبيدة اسمعيل بن ابراهيم عن ايوب عن نافع عن ابن عمر قال ليقولن قد أخذت القرآن كله، وما يدريه ما كله، قد ذهب قرآن كثير، ولكن ليقل قد أخذت منه ما ظهر(5).

وفي الإتقان أيضا قال: حدثنا اسماعيل بن جعفر، عن المبارك بن فضالة بن كعب، عن عاصم بن أبي النجود، عن زر بن حبيش قال لي أبي بن كعب: كأين، وفي بعض الروايات: كم تعد سورة الأحزاب؟ قلت: اثنتين وسبعين آية أو ثلاثا وسبعين آية، قال: إن كانت لتعدل سورة البقرة، وإنا كنا لنقرأ فيها آية الرجم، قال: إذا زنى الشيخ والشيخة فارجموهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم (6).

ملاحظة:

إن أبي بن كعب من كتاب الوحي وكان ممن عنوا بالقرآن كتابة وقراءة وحفظا، فلا غرابة في أنه يعرف آية الرجم ولا يعرفها زر بن حبيش، والظاهر من قوله: " كنا نقرأ آية الرجم" أنه كان يقرأها قبل أن يأمر عثمان بنسخ المصاحف، وأنه ترك قراءتها بعد نسخ المصاحف، كما أن كلامه لزر بن حبيش كان بعد ذلك أيضا، فيفهم من هذا أن عثمان لم يكتف بإحراق ما اسقطه من القرآن بل منع من قراءته أيضا كما يدل عليه الحديث الآتي:

في الإتقان أيضا قال: حدثنا ابن أبي مريم عن أبي لهيعة عن أبي الأسود عن عروة بن الزبير عن عائشة قالت: سورة الأحزاب تقرأ في زمن النبي مائتي آية، فلما كتب عثمان المصاحف لم نقدر منها إلا ما هو الآن(7).

وفي الإتقان أيضا قال: حدثنا حجاج عن ابن جريح، أخبرني ابن أبي حميد عن حميدة بنت أبي يونس، قالت: قرأ عليّ أبي وهو ابن ثمانين سنة في مصحف عائشة: {إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما} (8)، وعلى الذين يصلون الصفوف الأولى، قالت: قبل أن يغير عثمان المصاحف(9).

وفي الإتقان أيضا: أخرج الحاكم في المستدرك عن أبي بن كعب قال: قال لي رسول الله: إن الله أمرني أن أقرأ عليك القرآن، فقرأ: { لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين} (10)، قال: ومن بقيتها " لو أن ابن آدم سأل واديا من مال فأعطيه سأل ثانيا وان سأل ثانيا فأعطيه سأل ثالثا، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب، ويتوب الله على من تاب، وإن ذات الدين عند الله الحنيفية غير اليهودية والنصرانية، ومن يعمل خيرا فلن يكفره" (11). أقول: إن كان ما أسقطه عثمان من المصاحف كله من هذا القبيل، فقد أحسن الى الإسلام وإن كان أساء من جهة أخرى.

وفيه أيضا: قال أبو عبيد: حدثنا حجاج عن حماد بن سلمة، عن علي بن زيد، عن أبي حرب بن أبي الأسود، عن أبي موسى الأشعري قال: نزلت سورة نحو براءة ثم رفعت وحفظ منها " إن الله سيؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم، ولو ان لابن آدم واديين من مال لتمنى واديا ثالثا ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب". (12)

وفيه أيضا: أخرج ابن أبي حاتم عن أبي موسى الأشعري قال: كنا نقول سورة تشبهها بإحدى المسبحات ما نسيناها غير أن حفظت منها "يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا ما لا تفعلون فتكتب شهادة في أعناقكم فتُسألون عنها يوم القيامة" (13).

وفيه أيضا: قال أبو عبيد: حدثنا حجاج عن سعيد عن الحكم بن عتيبة عبد بن عدي قال: قال عمر: كنا نقرأ:" لا ترغبوا عن آبائكم فإنه كفر بكم " ثم قال عمر لزيد بن ثابت: أكذلك؟ قال: نعم. أقول: وهذا الحديث يدل على أن بعض القرآن قد تركت قراءته قبل أن ينسخ عثمان المصاحف.

وفيه أيضا: قال أبو عبيد: حدثنا ابن أبي مريم عن نافع بن عمر الجمحي، قال: حدثني ابن أبي مليكة، عن المسور بن مخرمة قال: قال عمر لعبد الرحمن بن عوف: ألم نجد فيما أنزل علينا " أن جاهدوا كما جاهدتم أول مرة" فإنا لا نجدها، قال: (أي عبد الرحمن) : أسقطت فيما أسقطت من القرآن (14). أقول: وهذا لحديث يدل أيضا على أن بعض القرآن قد اسقط قبل أن ينسخ عثمان المصاحف. ولا منافاة بين هذا وبين ما قلناه آنفا من أن عثمان أسقط بعض القرآن لما أمر بنسخ المصاحف، لأن عثمان يكون على هذا قد جدد الإسقاط، أو يكون قد أسقط شيئا آخر أيضا عدا الذي تم إسقاطه من قبل.

وفي الإتقان أيضا قال: حدثنا ابن أبي مريم: عن أبي لهيعة، عن نزيد بن عمر والمفاخري، عن أبي سفيان الكلاعي، ان مسلمة بن مخلوف الأنصاري قال لهم ذات يوم: أخبروني بآيتين في القرآن لم يكتبا في المصحف، فلم يخبروه وعندهم ابو الكنود سعد بن مالك، فقال: أين مسلم؟ " ان الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم ألا ابشروا أنتم المفلحون، والذين آووهم ونصروهم وجادلوا عنهم الذين غضب الله عليهم أولئك لا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون" (15).

وفيه أيضا: أخرج الطبراني في الكبير، عن ابن عمر قال: قرأ رجلان سورة أقرأهما إياها رسول الله، فكانا يقرآن بها، فقاما ذات ليلة يصليان فلم يقدرا منها على حرف، فأصبحا غاديين على رسول الله فذكرا ذلك له، فقال لهما: إنها مما نسخ فالهوا عنها (16).

وفيه أيضا: أخرج الحاكم من طريق كثير بن الصلت قال: كان زيد بن ثابت وسعيد بن العاص يكتبان المصحف فمرا على هذه الآية (يعني آية الرجم) فقال زيد: سمعت رسول الله يقول: " الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة"، فقال عمر: لما نزلت أتيت النبي فقلت: أكتبها؟ فكأنه كره ذلك (17).

وفيه أيضا: أخرج ابن الضريس في فضائل القرآن عن علي بن حكيم، عن زيد بن أسلم، أن عمر خطب الناس فقال: لا تشكوا في الرجم فإنه حق، ولقد هممت أن أكتبه في المصحف، فسألت ابي بن كعب فقال: أليس أتيتني وأنا أستقرئها رسول الله، فدفعت في صدري وقلت: أتستقرئه آية الرجم، وهم يتسافدون تسافد الحمر، قال ابن حجر: وفي هذا الخبر إشارة الى بيان السبب في رفع تلاوتها (18)

وفي الأتقان أيضا عند الكلام على عدد السور: قال في المستدرك عن مالك : إن أول براءة لما سقط معه البسملة قال: فقد ثبت أنها كانت تعدل البقرة لطولها (19).
فمن هذه الرواية نعلم أن القرآن قد أسقط منه شئ لا يستهان بكثرته كما تقدم في حديث ابن عمر" قد ذهب منه قرآن كثير". ونعلم أيضا أن الذي أسقط منه لم يكن كله مسقطا بعد وفاة النبي عندما أمر عثمان باستنساخ المصاحف، بل منه ما أسقط وهو حي يوحى اليه.

ومن الغريب أن علماء الإسلام جعلوا هذا الذي أسقط من القرآن من المنسوخ تلاوة لا حكما، قالوا ذلك وهم يعلمون أن النسخ لا يكون إلا في الأمر والنهي أو ما تضمن معناهما. أما الخبر الذي ليس بمعنى الطلب فلا يقع فيه النسخ، وليس في هذا الذي قالوا أنه منسوخ ما يتضمن حكما يصح نسخة إلا آية الرجم.

والظاهر أن محمدا كان يصوغ في بعض الآحيان آيات فيجعلها قرآنا، ثم يبدو له أنها لم ترصف الرصف الذي يريده للقرآن فيهملها حتى تُنسى، ولم يأمر كتاب الوحي بكتابتها كآية الرجم وآية " يتوب الله على من تاب"، ولا ريب أن القرآن فيه عدا النسخ الإنساء، كما يدل عليه قوله " مانتسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها.." فآية " ويتوب الله على من تاب" هي من قسم المنسي لا من قسم المنسوخ، ومن ذلك أي من المنسى ما قاله أصحاب بئر معونة الذين قتلوا . فإنهم لما أحاط بهم العدو قالوا " اللهم بلغ عنا نبينا إنا قد لقيناك فرضينا عنك ورضيت عنا" (20). فجعل النبي قولهم هذا قرآنا يتلى، ثم أنسيت تلاوته، وفي رواية أن النبي لما جاءه خبرهم قام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: إن إخوتكم قد لقوا المشركين وقتلوهم، وإنهم قالوا:" ربنا بلغ قومنا إنا قد لقينا ربنا ورضينا عنه فرضي عنا وأرضانا"، فأنا رسولهم إليكم إنهم قد رضوا عنه ورضى عنهم. وقد ذكروا عن أنس أن ذلك كان قرآنا يتلى، ثم نسخت تلاوته كما في السيرة الحلبية (21)، والصحيح أن يقال ثم أنسى لأن نسخ التلاوة مع بقاء الحكم لا معنى له وأن هذه ليس مما يقع فيه النسخ.
وقد وقع في الوحي المنزل ما هو على العكس من هذا، أي ما لم يكن في أول الأمر قرآنا ثم جعل قرآنا، وذلك أن النبي أرسل دحية الكلبي بكتاب منه الى قيصر ملك الروم بالشام، وهذا نصا الكتاب:

بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد بن عبد الله الى هرقل عظيم الروم، سلام على من اتبع الهُدى، أما بعد، فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين. فإن توليت فإنما عليك إثم الأريسيين، ويا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله، فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون (22).

إن قوله، يا أهل الكتاب الخ... كلام كتبه في كتابه الى قيصر يخاطب به قيصر وأتباعه من أهل الكتاب وذلك في السنة السادسة للهجرة. ولم يكن هذا الكلام قرآنا يتلى. وفي السنة التاسعة، لما وفد الى النبي وفد نجران، وهم نصارى، أنزل الوحي بهذه الكلام وزيد في أوله " قل" فجعل قرآنا يتلى، فهو أية من الآيات القرآنية في سورة آل عمران كما في السيرة الحلبية (23). فإن قلت لماذا لم يجعله قرآنا في أول الأمر، قلتُ لأنه لم يكن عند كتابته الكتاب الى قيصر من داع الى إنزال وحي بقرآن، وإنما هو كلام أملاه على الكاتب يدعو به أهل الكتاب الى الإسلام، ثم إنه رأى بعد ذلك أنه كلام منطبق على أسلوب القرآن كل الإنطباق، وقد حصل الداعي الى إنزال وحي بقرآن، فأنزله وحيا وجعله قرآنا، بخلاف تلك الآيات التي مر ذكرها، فإنها أنزلت بالوحي لتكون قرآنا، ولكنها لما تبين بعد ذلك ابتعادها عن الأسلوب القرآني، لا سيما آية الرجم، أنسيت أو نسخت تلاوتها كما يقولون.

عن نفس الموضوع " سقوط شئ من القرآن" يثير الأستاذ محمود عبد العزيز البدري اثنتى عشر نقطة في كتابه " الإفتراء على الشيعة لمصلحة من؟" نسردها فيما يلي:

أخرج الإمام أحمد بن حنبل في مسنده عن أبي بن كعب قال:" كم تقرأون سورة الأحزاب؟ قال: بضعا وسبعين آية، قال: لقد قرأتها مع رسول الله (ص) مثل البقرة أو أكثر منها، وإن فيها آية الرجم" (24).
وهذا يعني أن القرآن الذي بين أيدينا ينقص أكثر من مئتي آية من ضمنها آية تسمى أية الرجم!
أما قول أبي بن كعب:" كنتُ أقرأها مع رسول الله (ص) مثل البقرة أو أكثر" - وهو من أشهر القراء الذين كانوا يحفظون القرآن على عهد النبي (ص) وهو الذي اختاره عمر (25) ليُصلى بالناس صلاة التراويح - فهو يبعث الى الشك والحيرة كما لا يخفى.

2- أخرج البخاري عن عمر بن الخطاب أنه قال:" إن الله بعث محمدا بالحق، وأنزل عليه الكتاب، فكان ممّا أنزل آية الرجم، فقرأناها وعقلناها ووعيناها، رجم رسول الله ورجمنا بعده، فأخشى إن طال بالناس زمان أن يقول قائل: والله ما نجد آية الرجم في كتاب الله، فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله.
ثم إنا كنا نقرأ فيما نقرأ من كتاب الله:" أن لا ترغبوا عن آبائكم فإنه كفرٌ بكم أن ترغبوا عن آبائكم" أو " إن كفراً بكم أن ترغبوا عن آبائكم" (26).

وأخرج أيضا عنه قوله:" إن الله بعث محمدا... فالرجم في كتاب الله حق على من إذا أُحصن من الرجال والنساء اذا قامت عليه البيّنة" (27).

3- قال الحافظ السيوطي: وقد أخرج ابن أشتة في (المصاحف) عن الليث بن سعد، قال:" أول من جمع القرآن أبو بكر وكتبه زيد... وأنّ عمر أتى بآية الرجم فلم يكتبها لأنه كان وحده" (28). هذا كله من عمر، والمستفاد من الأحاديث أنه كان يعلم بكون آية الرجم من القرآن، إلا أنه لم يكتبها لكونه وحده، فلو شهد بها معه أحد من الصحابة لكتب، وبذلك صرح المحدثون.

4- أخرج ابن ماجة عن عائشة، قال:" نزلت آية الرجم ورضاعة الكبيرعشرا، ولقد كان في صحيفة تحت سريري، فلمّا مات رسول الله (ص) وتشاغله بموته دخل داجن فأكلها" (29).

5- وأورد الحافظ جلال الدين عن أبي عبيد بسنده عن أبي امامة بن سهل:" أن خالته قالت: لقد أقرأنا رسول الله آية الرجم: الشيخ والشيخة فارجموهما البتة بما قضيا من اللذة" (30).

6- وروى الحافظ السيوطي أيضا عن جماعة من المحدثين الحفاظ عن أبي بن كعب: أنه كان يعتقد بأن آية الرجم من القرآن حقيقة (31).

فأية الرجم اذن أصر عليها عمر بن الخطاب، ورواها غيره: أبي بن كعب، عائشة بن أبي بكر، خالة أبي أمامة بن سهل.

بل المفهوم من حديث عائشة: أن الآية كانت من القرآن حتى بعد وفاة الرسول (ص) أما كتب السنة التي أخرجت هذه الأحاديث هي:

أ - صحيح البخاري.
ب - صحيح مسلم.
ج - مسند أحمد.
د - الموطأ لمالك.
هـ - السنن لابن ماجة.
و - الإتقان في علوم القرآن للحافظ السيوطي.

أقول: ومن حقنا هنا أن نطالب – الأخ عبد الله بن سعيد الجنيد – والذي طالبنا بالتبريء من كتاب الكافي وغيره من الكتب الشيعية التى حوت بعض الروايات التي يشم منها رائحة التحريف، بل طالبنا بحرق هذه الكتب التي حوت على روايات التحريف، أن يبادر هو واخوتنا من أهل السنة بالتبريء من الكتب السنية المذكورة آنفا وحرقها، وعلى رأسها صحيح البخاري، لما حوته من روايات صريحة في التحريف، وبالتالي سيجدنا ان شاء الله على آثارهم مقتدون.

7- أخرج الإمام أحمد بن حنبل في مسنده عن أبي بن كعب قال: إن رسول الله (ص) قال:" إن الله تبارك وتعالى أمرني أن أقرأ عليك القرآن، فقال: فقرأ: **{ لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب}** فقرأ فيها:" ولو أن ابن آدم سأل واديا من مال فأعطيه لسأل ثانية، فلو سأل ثانية فأعطيه لسأل ثالثا، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب، وإن ذلك الدين القيم عند الله الحنيفة غير المشركة ولا اليهودية ولا النصرانية، ومن يفعل خيرا فلن يكفره" (32).

8- أخرج مسلم في صحيحة عن أبي الأسود، عن أبيه، قال: بعث أبو موسى الأشعري الى قرّاء أهل البصرة، فدخل عليه ثلاثمائة رجل قد قرأوا القرآن، فقال: أنتم خيار أهل البصرة وقُراءهم، فاتلوه ولا يطولن عليكم الأمد فتقسوَ قلوبكم كما قست قلوب من كان قبلكم، وإنا كنا نقرأ سورة نشبّهها في الطول والشدّة ببراءة فأُنسيتها، غير اني قد حفظت منها " لو كان لابن آدم واديان من مال لأبتغى واديا ثالثا، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب" (33).

وكنا نقرأ سورة كنا نشبهها بإحدى المسبحات فأُنسيتها غير اني حفظت منها:" يا ايها الذين آمنوا لِمَ تقولون ما لا تفعلون، فتُكتب شهادة في أعناقكم فتُسألون عنها يوم القيامة" (34).

وهاتان السورتان – اللتان نسيهما أبو موسى الأشعري إحداهما تُشبه براءة يعني 129، والثانية تُشبه إحدى المسبحات يعني 20 آية لا وجود لهما إلا في خيال أبي موسى، فاقرأ واعجب فإني أترك لك الخيار أيها الباحث المنصف.

9- قال الحافظ السيوطي: أخرج أبو عبيد وأحمد، والطبراني في " الأوسط" والبيهقي في "شعب الإيمان"، عن أبي واقد الليثي، قال: كان رسول الله اذا أوحي إليه أتيناه فعلّمنا مّما أوحي اليه قال: فجئت ذات يوم، فقال: إن الله يقول" إنّا أنزلنا المال لإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، ولو كان لابن آدم واديان من ذهب لأحب أن يكون إليه الثاني، ولو كان الثاني لأحبّ أن يكون إليهما الثالث، ولا يملأ بطن ابن آدم إلا التراب، ويتوب الله على من تاب" (35).
وروى هذا الحديث أيضا ابن الأثير عن الترمذي (36).

10- روى الحافظ السيوطي عن المسوّر بن مخرمة ما نصه: قال عمر لعبد الرحمن بن عوف: ألم تجد ففيما أنزل علينا: " أن جاهدوا كما جاهدتم أول مرّة " فأنا لا أجدها؟
قال: أُسقطت فيما أُسقط من القرآن (37).

فنلاحظ في هذا الحديث: أن اثنين من كبار الصحابة وهما:

أ - عمر بن الخطاب.
ب- عبد الرحمن بن عوف.

كانا يعتقدان: الآية كانت مما أُنزل من قبل الله تعالى من القرآن الكريم. ثمّ إنّ معنى قوله: " أُسقطت....." أنهما كانا يعتقدان بكونها من القرآن بعد وفاة الرسول (ص) أيضا.

11- أخرج البخاري في صحيحة (38) في باب مناقب عمّار وحذيفة (رضي الله عنهما) عن علقمة قال: قدمت الشام فصليت ركعتين، ثم قلت: اللهم يسر لي جليسا صالحا، فأتيت قوما فجلست إليهم، فإذا شيخٌ قد جاء حتى جلس الى جنبي، قلت: من هذا؟ قالوا: أبو الدرداء، قلت: إني دعوت الله أن ييسر لي جليسا صالحا فيسرك لي، قال ممّن أنت؟ فقلت: من أهل الكوفة، قال: أوَليس عندكم ابن ام عبدٍ صاحبُ النعلين والوساد والمطهرة؟ وفيكم الذي أجاره الله من الشيطان على لسان نبيه (ص) أوليس فيكم صاحب سرّ النبي الذي لا يعلم أحد غيره؟ ثم قال: كيف يقرأ عبد الله { وَالَّيْلِ

إذا يَغشى}؟ فقرأت عليه " والَّليل إذا يغشى والنهار إذا تجلّى والذكر والأنثى" قال: والله لقد أقرأنيها رسول الله (ص) من فيه الى فيَّ.

ثم زاد في رواية أخرى قال: ما زال بي هؤلاء حتى كادوا يستنزلوني عن شيء سمعته من رسول الله.(ص) (39).

12- أخرج الطبراني والبيهقي أن من القرآن سورتين إحداهما هي: بسم الله الرحمن الرحيم إنا نستعينك ونستغفرك ونُثني عليك الخير كله ولا نكفُرك، ونخلعُ ونتركُ من يفجرك.

والسورة الثانية هي: بسم الله الرحمن الرحيم اللهم إياك نعبدُ، ولك نصلي ونسجد، وإليك نسعى ونحفد، نرجو رحمتك، ونخشى عذابك الجدّ، إنّ عذابكَ بالكافرين ملحق.

وهاتان السورتان سماهما الراغب في المحاضرات سورتي " القنوت" وهما مما كان يقنت بهما سيدنا عمر بن الخطاب ، وهما موجودتان في مصحف ابن عباس ومصحف زيد بن ثابت (40).

وقد ذكر السيوطي هاتين السورتين في كتابه الاتقان والدر المنثور,

وهذا يعني أن القرآن الذي بين أيدينا ينقص هاتين السورتين الثابتتين في مصحف ابن عباس ومصحف زيد، كما يدل أيضا بأن هناك مصاحف اخرى غير التي عندنا!

13- روى الحافظ السيوطي عن عبد الله بن عمر بن الخطاب انه قال:" لا يقولن أحدكم قد أخذت من القرآن كله، وما يدريه ما كله؟! قد ذهب منه قرآن كثير، ولكن ليقل: قد أخذت منه ما ظهر (41).

وروى الحافظ المذكور أيضا عن الطبراني عن عمر بن الخطاب أنه قال: " القرآن ألف ألف (وسبعة وعشرون ألف) حرف" (42).

فالمستفاد من هذين الحديثين هو ضياع أضعاف هذا القرآن الموجود بين الناس.

وللإطلاع أكثر من أمثال هذه الروايات انظر : صحيح مسلم (726:2)، الدر المنثور (139:2 وج183:5، وج 79:6)، المستدرك على الصحيحين (305:2)، التفسير الكبير (51:10)، الكشاف(519:1)، فتح الباري في شرح البخاري (158:8)، الموطأ (25/138:1)، سنن ابن ماجة (625:1).

هذا غيض من فيض من الروايات التي تحدثت عن التحريف في القرآن والتي ملأت كتب أهل السنة والجماعة، وهم غافلون عنها ويشنعون على الشيعة الذين لا يوجد عندهم عُشر هذا.

ولرب قائل يقول (43): إن ما نقله السيوطي وأشباهه لا يجعل مساغا للتشكيك في دينهم، وان كنا لا نوافق على سرد الأقوال ذلك السرد الذي سلكه السيوطي في كتابه من غير تمحيص لها.

وإذا كان السيوطي مع انه دون هذه الأحاديث في كتابه من غير تمحيص لها لا يصح التشكيك في دينه - كما يدّعي البعض أمثال أبو زهرة - ، فبماذا يعتذر (هذا البعض) عن البخاري الذي اختار جامعه من ستمائة ألف حديث، ولا بد وأن يكون قد محصّها تمحيصا دقيقا حتى انتهى الى العدد المختار في صحيحة الذي بلغ نحوا من سبعة الاف وستمائة حديث تقريبا، ومع هذا التمحيص فقد روى أحاديث النقص وما يشبهها غرابة واستهجانا كحديث سحر النبي، ووضع الرب رجله في جهنم، وحديث موسى مع الحجر، ونحو ذلك من الأحاديث.

فإذا كانت كتب أهل السنة والجماعة ومسانيدهم وصحاحهم مشحونة بمثل هذه الروايات ، فلماذا هذا التشنيع على الشيعة الذين أجمعوا على بطلان هذا الإدعاء؟!

وكيف يشنّع أهل السنة والجماعة على الشيعة من أجل روايات ساقطة عندهم، ويبرؤون أنفسهم، بينما صحاحهم تثبت صحة تلك الروايات؟!

الهـوامـش

1) الإتقان، 59/1.
2) الإتقان، 58/1.
3) الإتقان، 59/2.
4) ن . م.
5) الإتقان، 25/2.
6) الإتقان، 25./2
7) الإتقان، 25/2.
8) سورة الأحزاب، الآية:56
9) الإتقان، 25/2
10) سورة البينة، الآية: 1.
11) الإتقان، 25/2.
12) الإتقان، 25/2.
13) ن . م.
14) ن . م.
15) الإتقان، 2/ 26.
16) الإتقان، 26/2
17) الإتقان، 26/2
18) الإتقان، 27/2.
19) الإتقان، 1/ 65
20) الإتقان 26/2.
21) السيرة الحلبية، 172/3.
22) السيرة الحلبية، 244/3.
23) السيرة الحلبية، 244/3.
24) مسند أحمد، 132:5.
25) صحيح البخاري 7:07:2 ح 1906 كتاب صلاة التراويح.
26) صحيح البخاري 2504:6 ح 6442 كتاب المحاربين، باب رجم الحبلى من الزنا إذا أحصنت.
27) صحيح البخاري 208:8 وأخرجه مسلم في صحيحه 1317:3 وأحمد بن حنبل في مسنده 40:1 و55 وروى مالك بن أنس في الموطأ 10/824:2 وزاد فيه (الشيخ والشيخة فارجموهما ألبتة)
28) الإتقان في علوم القرآن 206:1
29) سنن ابن ماجة 1944/625:1
30) الإتقان في علوم القرآن 82:3
31) الإتقان في علوم القرآن 82:3
32) مسند أحمد 131:5
33) صحيح مسلم 726:2 /1050 في باب لأن لابن آدم واديين لا بتغى ثالثا.
34) صحيح مسلم 418:1.
35) الدر المنثور 378:6
36) جامع الأصول 972/500:2
37) الإتقان في علوم القرآن 84:3
38) صحيح البخاري 1368:3ح 3532كتاب فضائل الصحابة.
39) صحيح البخاري 1369:3 ح 3533 كتاب فضائل الصحابة، وانظر رواية اخرى في ص 1373 ح 3550.
40) محاضرات الإدباء للراغب الأصفهاني 433:2
41) الاتقان في علوم القرآن 81:3
42) الاتقان في علوم القرآن 1: 242.
43) كالشيخ أبو زهر في كتابيه (الامام الصادق، والإمام زيد بن علي).

3 - تحريف القرآن

الإعتقاد بتحريف القرآن الكريم من النتائج المترتبة على الإيمان بعقيدة الإمامة التي هي أساس المذهب الشيعي، وكما سبق أن عرضنا فإن عامة علماء الشيعة في زماننا ينكرون القول بالتحريف والزيادة والحذف الواقع على القرآن، ونحن لا نبحث الآن في صحة هذا الإنكار أو بطلانه، ورغم وجود روايات لا حصر لها للأئمة المعصومين تثبت بدون أدنى شك أن القرآن حدث فيه تحريف وزيادة وحذف مما يجعل علماء الشيعة يصمتون تجاه هذه القضية.

وعلى كل فسوف نصرف النظر عن كل هذا ولا نريد أن نتعرض لعلماء الشيعة في زماننا، إلا أن أي عالم شيعي لا يجرؤ على أن ينكر أمام أي انسان يعرف الحقيقة أنه في الماضي وخاصة في زمان خاتم المحدثين وممثل الشيعة الأعظم العلامة باقر مجلسى، أي القرن العاشر والحادي عشر الهجري بل وبعد ذلك أيضا - لا يمكن أن ينكر- أن علماء الشيعة ومؤلفيها القدامى الذين يفوقون بلا شك العلماء الحاليين في علمهم وفي معرفتهم للمذهب الشيعي، كانوا يقولون ويكتبون - بكل وضوح - أن القرآن الحالي حدث فيه تحريف وتعرض للحذف والإضافة، وأوردوا كل هذا في مؤلفاتهم قائلين بأن روايات أئمتهم تخبرهم بذلك.

وهذه هي عقيدة العلماء المتقدمين أيضا، ويمكن أن يعد من اختلف معهم في الرأي على الأصابع.

وما نعرضه عن موضوع التحريف يجب أن يفهم أنه من علماء الشيعة ومن مؤلفيها. اعترفوا به في مؤلفاتهم بل أكدوا عليه. وقدموا عليه الدلائل التي تتطابق مع وجهات نظرهم القائلة بأن التحريف قد وقع على القرآن الكريم، وأن الناس الذين تولوا السلطة بعد رسول الله - ص- أي الخلفاء الثلاثة، قد حزفوا من القرآن وزادوا عليه وغيروه بما يتلاءم مع مصالحهم السياسية ومع أطماعهم وأهوائهم النفسية. وهذه العقيدة نتيجة لعقيدة الإمامة وسوف نوضح هذا في السطور التالية:

*** عقيدة التحريف نتيجة حتمية لمسألة الإمامة:**

ما كتبناه في الصفحات السابقة تحت عناوين زادت عن الأربعين عن مسألة الإمامة تضع أمام القاريء مدى أهمية هذه العقيدة لدى الشيعة، ويفهم منها أنها من العقائد الأساسية للإيمان وشرط من شروط النجاة وجزء من الإيمان، مثلها مثل الإيمان بوحدانية الله، وبرسالة محمد والإيمان باليوم الآخر، بل هي عندهم مقدمة على الإيمان بالقيامة والآخرة، ومع أن ما كتبناه في الصفحات السابقة يكفي لإيضاح هذه النقطة إلا أننا نرى من الواجب أن نعرض هنا لبعض إرشادات الأئمة المعصومين عن هذا الموضوع حتى نستكمل جوانب القضية.

*** درجة عقيدة الإمامة في المذهب الشيعي: عظمتها وأهميتها:**

في باب بعنوان " كتاب الكفر والإيمان " في " أصول الكافي" باب دعائم الإسلام وردت هذه الرواية في أوله.
" عن أبي جعفر عليه السلام قال: بُني الإسلام على خمس: الصلاة والزكاة والصوم والحج والولاية ولم يناد بشيء ما نودي بالولاية". (أصول الكافي ص 368).

وفي نفس الباب رواية لزرارة عن الإمام الباقر يقترب مضمونها بل وتقترب ألفاظها أيضا من الرواية السابقة، جاء في نهايتها: " قال زرارة: فقلت: وأي شيء من ذلك أفضل؟ فقال: الولاية أفضل؟ (ص 368).

وفي نفس الباب رواية للإمام جعفر الصادق ابن الإمام الباقر جاء فيها:" عن الصادق عليه السلام قال: أثافي الإسلام ثلاثة: الصلاة والزكاة والولاية، لا تصح واحدة منهن إلا بصاحبتها". (ص 368).

وفي هذا الباب روايات متعددة بهذا المضمون عن الإمام الباقر والإمام جعفر الصادق ونحن نكتفي هنا بنقل الروايات الثلاثة السابقة، فقد ورد فيها صراحة أن الإيمان بالإمامة مثله مثل الزكاة ركن من أركان الإسلام وهو ركن أفضل وأسمى من بقية الأركان، وبغير التسليم بالإمامة والإيمان بها تماما لا تقبل الصلاة والزكاة، فكما لا يمكن أن يؤدي الصلاة والزكاة وكما لا يمكن أن تقبل دون الإيمان بوحدانية الله وبرسالة رسوله فكذلك الإيمان بالامامة. فلا يمكن الإيمان بوحدانية الله وبرسالة رسوله دون إيمان بالإمامة.

ونذكر هنا روايتين لتبيان أهمية وعظمة مسألة الإمامة وقد وردتا في آخر كتاب الحجة في أصول الكافي، باب في نتف وجوامع من الرواية في الولاية.

*** جميع الأنبياء أوصوا بالإمامة كما أمرت بها الكتب السماوية:**

" عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ولايتنا ولاية الله التي لم يبعث نبي قط إلا بها". (أصول الكافي ص276). وفي نفس الصفحة رواية عن الإمام السابع موسى الكاظمي ابن الإمام جعفر الصادق بسندها:
"عن أبي الحسن عليه السلام قال: ولاية علي مكتوبة في جميع صحف الأنبياء ولن يبعث الله رسولا إلا بنبوة محمد صلى الله عليه وآله ووصيه علي عليه السلام".(أصول الكافي ص 276).
" قال: أي قال أمير المؤمنين ولاية علي.... الخ).
" وصية علي أي إمامة علي".

ولما كان القارئ قد عرف قبلا أن عقيدة الإمامة عند الشيعة مثلها مثل عقيدة الإيمان بوحدنية الله وبرسالة رسوله هي أساس الإسلام، والإيمان بها شرط من شروط النجاة في الآخرة فالروايات التي نقلناها هنا قد عرفت القراء بأن إمامة مثلها مثل الصلاة والزكاة والحج والصوم ركن من أركان الإسلام ان لم تكن أصح أركانه، وكل نبي أرسله الله قد دعا

أمته الى الإيمان بإمامة علي وأولاده من بعده " الإئمة الأحد عشر" والكتب والصحف التي نزلت على أنبياء الله قد أعلنت كلها وأوضحت إمامة علي.

*** سؤال هام:**

لماذا لم تذكر عقيدة الإمامة في القرآن؟

بعد أن اطلعنا على أهمية عظمة عقيدة الإمامة يتبادر الى الأذهان سؤال طبيعي وهو: لماذا لم يرد ذكر هذه العقيدة في القرآن الكريم؟ فالقرآن الكريم قد ذكر في أكبر من مائة مكان عقيدة التوحيد والرسالة والقيامة والآخرة، إلا أن إمامة علي لم ترد في أي مكان في القرآن، لماذا؟.

يذكر الإمام المعصوم موسى الكاظم أن ذكر ولاية علي وإمامته ورد في كتب الله وفي الصحف الأولى التي أنزلها الله على أنبيائه، ولكن من حقنا أن نسأل لماذا لم يرد ذكر الإمامة في القرآن الكريم آخر الكتب السماوية الذي نزل لهداية هذه الأمة التي جعل علي إماما لها؟ لماذا لم تنزل آية من القرآن الكريم في هذا الصدد؟.

*** دعوى التحريف هي الإجابة:**

الإجابة على السؤال السابق لم ترد في رواية أو في روايتين من روايات الشيعة بل في مئات الروايات التي تروي عن الأئمة وتقول بوضوح وجلاء إن إمامة علي كانت قد ذكرت مئات المرات في القرآن الكريم، إلا أن من جاءوا بعد رسول الله وتولوا الخلافة غصبا واستولوا على زمام الحكم قاموا بحذف هذه الآيات من القرآن الكريم أو أخرجوا من الآيات الكلمات التي تذكر عليا، وتذكر إمامته، وإمامة الأئمة المعصومين من بعده، وحتى التي ذكرت أسماء الأئمة ايضا. وقد أشرنا الى ذلك قبلا في بيان الإمامة والأئمة في القرآن، كما ذكرنا بعض الروايات التي ذكرت هذه المسألة. وفيما يلي نذكر بعد الروايات الآخرى في هذا الصدد.

*** إرشادات الأئمة عن التحريف:**

في الركوع الأخير من سورة الأحزاب من (الآية 71) قال تعالى: { ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما}. يقول الإمام جعفر الصادق " رواية أبي بصير في أصول الكافي" عن هذه الآية: كانت هذه الآية قد نزلت هكذا، " ومن يطع الله ورسوله في ولاية علي والأمة من بعده فقد فاز فوزا عظيما" أي أن هذه الآية ذكرت صراحة إمامة جميع الأئمة بعد علي، إلا أن الآية تعرضت للحذف. (في ولاية علي والأئمة من بعده - أصول الكاف ص 262),

وفي الصفحة التالية من أصول الكافي رواية عن الإمام الباقر أنه قال: نزل جبريل على محمد صلى الله عليه وآله بهذه الآية هكذا " يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا في علي نورا مبينا". (أصول الكافي 264).

في هذه الآية يأمر الله أهل الكتاب بالإيمان بالحكم الذي أنزل في حق علي وهو نور مبين يجب أن يؤمنوا به ويصدقوه.. وهذه الآية لا توجد في القرآن الكريم أي أنها حذفت من القرآن. وفي نفس هذا الباب من كتاب أصول الكافي يروي أبو بصير عن الإمام جعفر الصادق أنه قال:

"عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله تعالى:" سأل سائل بعذاب واقع للكافرين بولاية علي ليس له دافع"، ثم قال هكذا والله نزل بها جبريل على محمد - ص- وآله" (أصول الكافي ص 266).

أي أن عبارة "بولاية علي" قد حذفت من القرآن الكريم، وهناك رواية عن الإمام الباقر في الصفحة التالية من نفس الباب تقول: " وقال: نزل جبريل بهذه الآية هكذا ... يا أيها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم في ولاية علي فآمنوا خيرا لكم وإن تكفروا بولاية علي فإن الله ما في السموات وما في الأرض" (أصول الكافي ص 267). والخلاصة أن هذه الآية قد ذكرت صراحة ولاية وإمامة علي وقد طلب فيها أيضا الأيمان بولاية وإمامة علي، كما ذكر فيها وعد ووعيد لمن ينكر ولاية علي وإمامته، إلا أن هذا المضمون حذف من الآية، وهكذا لا توجد في القرآن الحالي عبارة " في ولاية علي" و "بولاية علي" ويروي عن الإمام الباقر في الصفحة التالية: " عن أبي جعفر عليه السلام قال هكذا أنزلت هذه الآية: " ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به في علي لكان خيرا لهم". (أصول الكافي ص 267). وهو يشير الى أن هذه الآية متعلقة بعلي إلا أن عبارة " في علي" حذفت من القرآن الكريم الحالي.
وليلاحظ القاريء رواية أخرى وردت في نفس الباب في " أصول الكافي" حرفت فيها آيات القرآن الكريم في موضعين مختلفين: عن أبي جعفر عليه السلام قال: نزل جبريل بهذه الآية هكذا " فأبى أكثر الناس بولاية علي إلا كفروا" قال: ونزل جبريل بهذه الآية هكذا " وقل الحق من ربكم في ولاية علي فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر إنا أعددنا للظالمين آل محمد نارا".

وهذا يعني أن عبارة " في ولاية علي" و " وأل محمد" حذفتا من الأية، وبالتالي لا وجود للعبارتين في القرآن الحالي.

كل هذه الروايات كانت في الباب المسمى بـ" باب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية" في كتاب " أصول الكافي"، والآن نطالع رواية وردت في اصح كتب الشيعة، في باب يسمى " باب فضل القرآن". وهذه الرواية وردت في آخر الباب.

ثلثا القرآن تقريبا قد حذف قصدا

" عن هشام بن سالم عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن القرآن الذي جاء به جبريل عليه السلام الى محمد (ص) وآله سبعة عشر الف آية (أصول الكافي ص 67).

والقرآن الحالي طبقا لكتابات مؤلفي الشيعة يحتوي على أكثر من ستة آلاف آية بقليل، ان لم يضم ستة آلاف كاملة. وطبقا لقول العلامة قزويني شارح أصول الكافي وهو يشرح هذه الآية فإن عدد آيات القرآن فيه قولان: الأول أن عدد آيات القرآن ستة آلاف وثلاثماية وخمسة وستون آية (6365) والقول الثاني أن عدد آيات القرآن هو ستة آلاف ومائتان وست وثلاثون آية. وينقل قول الإمام جعفر الصادق في هذه الرواية في باب فضل القرآن " قائلا بأن القرآن الذي جاء به جبريل عليه السلام الى محمد (ص) سبعة عشر ألف آية. وهكذا فإن ثلثي القرآن الكريم طبقا لهذه الرواية قد فقد وضاع"، وعليه فالعلامة القزويني يقول في شرح هذه الرواية: (بالفارسية).

" إن القصد من قول الإمام جعفر هو أن جزءا كبيرا من القرآن الذي نزل على جبريل قد حذف وأخفى ولم يعد له وجود في نسخ المصحف الموجودة حاليا" (صافي شرح أصول الكافي: المجلد الأخير، باب فضل القرآن).

قول عجيب للإمام علي في هذا الصدد

بعد كتاب" احتجاج طبرسي" من كتب المذهب الشيعي المعتبرة، وقد ذكرناه قبلا ونقلنا عنه ملخص حوار طويل بين علي المرتضى وأحد الزنادقة، وفي هذا الحوار الطويل اعترض الزنديق على القرآن الكريم وأجابه علي رضي الله عنه. وكان من بين الاعتراضات أنه في الركوع الأول من سورة النساء { وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء} الآية، لا يوجد بين الشرط والجزاء العلاقة والصلة الواجبة بينها، (احتجاج الطبرسي ص 122ط إيران).

وقد نقل الرد على لسان علي هكذا: " هو مما قدمت ذكره من إسقاط المنافقين من القرآن، وبين القول في اليتامى وبين نكاح النساء من الخطاب والقصص أكثر من ثلث القرآن" (ص128).

وطبقا لرواية احتجاج الطبرسي فإن عليا رضي الله عنه قال: ان المنافقين قد أسقطوا من هذه الآية من القرآن ثلثه، وهكذا يمكن أن نقدر كم سقط من القرآن (أي الثلثان).

وفي هذا الحوار وأثناء الرد على هذا الزنديق أشار علي الى ما حدث من تحريف في القرآن وحذف وزيادة، ثم يجيب على اعتراض هذا الزنديق في موضع فيقول: حسبك من الجواب عن هذا الموضوع ما سمعت، فإن شريعة التقية تحظر التصريح بأكثر منه. (احتجاج الطبرسي إيران ص 125).

والمطلب الظاهر هو أن التقية تمنع من ذكر اسماء من قاموا بالتحريف في القرآن ومن قاموا بحذف آياته أو إضافة آيات عليه.

والعجيب أن التقية لم تمنع من إظهار فكرة التحريف في القرآن، والواقع أن هذا الحوار وما ورد في غيره من الروايات ما هو إلا اختلاق ومحض افتراء على أهل البيت، وهم أبرياء منها تماما.

القرآن الأصلي هو الذي رتبه علي
وهو عند الإمام الغائب ويختلف عن القرآن الحالي

من المسلمات المعروفة في المذهب الشيعي وفي دنيا الشيعة أن عليا كان قد رتب القرآن وكان ينطبق تماما مع القرآن الذي نزل على رسول الله. وهو يختلف عن القرآن الحالي. وقد ظل القرآن الذي رتبه علي معه، وظل مع أولاده من بعده، وهو الآن مع الإمام الغائب، وحين يظهر سيظهر معه هذا القرآن، ولا يمكن لأحد أن يراه قبل ذلك. وفي هذا الصدد روايتان في "أصول الكافي" في باب بعنوان " كتاب الحجة":

"باب أنه لم يجمع القرآن كله إلا الأئمة عليهم السلام". والرواية الأولى في هذا الباب عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال: " ما ادعى أحد من الناس أنه جمع القرآن كله كما أنزل إلا كذاب، وما جمعه وحفظه كما أنزله الله إلا علي بن أبي طالب والأئمة من بعده". (أصول الكافي ص 139).

ويروي عن الإمام جعفر الصادق في " باب فضل القرآن" أنه قال: " فإذا قام القائم قرأ كتاب الله عز وجل على حدة وأخرج المصحف الذي كتبه علي عليه السلام وقال: أخرجه علي عليه السلام الى الناس حين فرغ منه وكتبه فقال لهم: هذا كتاب الله عز وجل كما أنزله الله على محمد صلى الله عليه وآله، جمعته من اللوحين، فقالوا: هو ذا عندنا مصحف جامع فيه القرآن. لا حاجة لنا فيه. فقال: أما والله ما ترونه بعد يومكم هذا". (أصول الكافي ص 671).

على كل حال فإن روايات كتب الشيعة التي تذكر التحريف والإسقاط والإضافة والتغيير والتبديل الذي حدث في القرآن وخاصة تلك الروايات التي تذكر إخراج العبارات التي تذكر عليا والأئمة من القرآن الكريم إنما هي إجابة على السؤال الذي قد يواجه الشيعة من أنه إذا كانت الإمامة لها نفس درجة الإيمان بوحدانية الله والإيمان برسوله فلماذا لم تذكر في القرآن الكريم.

ونحن نرى أن عقيدة تحريف القرآن الكريم هي من لوازم عقيدة الإمامة التي تعد أساس المذهب الشيعي، هذا بالإضافة الى أن الدافع الى إظهار هذه العقيدة والمحرك الأساسي لها هو إثبات جرم آخر ضد الشيخين، وذي النورين بالإضافة الى اغتصابهما للخلافة، وهذا الجرم هو تحريفهم للقرآن، وهو جرم كبير وكفر شديد.

- **قضية التحريف وعلماء الشيعة المتقدمون:**

كما سبق أن عرضنا قبلا فإنه في زمان خاتم محدثي الشيعة وممثلها الأعظم العلامة باقر مجلسي، أي في القرن العاشر الحادي عشر الهجري بل وبعده أيضا، مع أنه لم تكن هناك ضرورة أو مصلحة للتقية، أظهر علماء الشيعة عقيدتهم على الملأ بل حاولوا إثباتها بالدلائل القاطعة في مؤلفاتهم، فحاولوا أن يثبتوا أن القرآن الحالي محرف حدث عليه نقص وزيادة وتبديل – كما تذكر روايات أئمتهم - وأن القرآن الأصلي هو ذلك الذي جمعه علي وهو عند الإمام " إمام آخر الزمان".

" فصل الخطاب" للعلامة نوري طبرسي

ليس من السهل على أمثالنا بل ليس من الممكن أن نحصل على مؤلفات علماء الشيعة المتقدمين إلا أن الله تعالى قدر هذا الأمر، فقبل قرن وربع من الزمان، وحين اتخذ علماء الشيعة سياسة إنكار فكرة التحريف بصفة عامة، واتخذوا في هذا الصدد نفس عقيدة أهل السنة، أي أن القرآن الحالي هو نفسه القرآن الذي نزل على رسول الله (ص) لم يمسه أي تحريف، ولم تحدث عليه زيادة أو نقصان، وشعر العلامة المجتهد الكبير نوري طبرسي أن هناك انحرافا – ليس فقط في أمر واحد بل في مئات من الأمور – عن تعاليم الأئمة المعصومين يقود الشيعة الى البعد عن أصل مذهبهم – ولم تكن هناك ضرورة تجبر العالم الشيعي على التقية في هذا الأمر، كتب كتابا ضخما، كتبه وأكمله في مدينة النجف حيث المشهد الخاص لأمير المؤمنين وأسماه " فصل الخطاب في اثبات تحريف كتاب رب الأرباب" وتصل صفحات الكتاب الى ألف صفحة تقريبا.

والمؤلف العلامة نوري طبرسي – طبقا لوجهة نظره الشيعية – يسوق إكواما من الدلائل لإثبات دعواه بأن القرآن الحالي وقع عليه التحريف، والجزء الأكبر منه أخفي وأسقط كما أضاف المحرفون (أي الخلفاء الثلاثة وصحابتهم) إضافات من عندهم، كما حدث تغيير كبير على القرآن الكريم، وهذا هو ما تخبرنا به آلاف الروايات الواردة عن الأئمة المعصومين، وهذه هي عقيدة العلماء المتقدمين، وهذا هو موقفهم، وقد أوضحوا عقيدتهم في مؤلفاتهم بصراحة وبوضوح وأثبتوها بالدلائل، وقد كتب مؤلف الكتاب العلامة نوري طبرسي كل هذا قائلا بأنه اختلف في هذا الأمر بين علماء الشيعة المتقدمين كلهم أربعة فقط لا خامس لهم، ثم أجاب العلامة نوري طبرسي على ما كتبه هؤلاء لإثبات موقفهم الاختلافي، وهي إجابة يجب أن يطمئن إليها الشيعة.

وعلى كل حال فهذا الكتاب من الوثائق التي لا تسمح لأي منصف – بعد أن يطلع عليها – أن يساوره شك في أن القرآن الحالي هو من وجهة نظر الأئمة المعصومين قد حرف، كما حرف غيره من الكتب السماوية أي التوراة والإنجيل وغيرها.

وقد ظل هذا أيضا هو موقف وعقيدة عامة علماء الشيعة، ويحتاج نقل العبارات التي تتعلق بهذا الموضوع من هذا الكتاب الى أكثر من خمسين صفحة. ومن هنا نكتفي بغرفة أو غرفتين من هذا الكتاب.

- **التحريف وقع على القرآن كما وقع على التوراة والإنجيل:**

عدد المؤلف دلائله التي يثبت بها أن القرآن محرف، وفي هذا الصدد يقدم في الدليل الرابع الروايات التي تثبت أن القرآن قد حرف مثلما حرف التوراة والإنجيل من قبله، يقول المؤلف:

" الأمر الرابع ذكر أخبار خاصة فيها دلالة أو إشارة على كون القرآن كالتوراة والإنجيل في وقوع التحريف والتغيير فيه وركوب المنافقين الذين استولوا على الأمة فيه طريقة بني اسرائيل فيهما وهي حجة مستقلة لإثبات المطلوب". (فصل الخطاب ص 70).

- **قال جميع علماء الشيعة بالتحريف إلا أربعة:**

كتب العلامة نوري طبرسي في فصل الخطاب تحت عنوان " المقدمة الثالثة" ان هناك قولين في تحريف القرآن وتغييره، ثم يفصل الحديث فيقول: " الأول وقوع التغيير والنقصان فيه وهو مذهب الجليل علي بن ابراهيم القمي شيخ الكليني في تفسيره. صرح بذلك في أوله وملأ كتابه من أخباره مع التزامه في أوله بأن لا يذكر فيه إلا ما رواه مشايخه وثقاته، ومذهب تلميذه ثقة الإسلام الكليني رحمه الله على ما نسبه اليه جماعة لنقله الأخبار الكثيرة الصريحة في هذا المعنى في كتاب "الحجة" خصوصا في باب النكت والنتف من التنزيل والروضة من غير تعرض لردها أو تأويلها..." (فصل الخطاب ص25).

وأي إنسان قرأ المجلدات الأربعة للجامع الكافي، بل أي إنسان طالع فقط تلك الروايات المتعلقة بموضوع التحريف الذي عرضناه قبلا لا يمكن أن يساوره أي شك في أن مؤلفه وجامعه " أبو جعفر يعقوب الكليني الرازي" من القائلين بالتحريف في القرآن، وهو يثبت هذا في كتابه بما لا يمكن للشيعة إنكاره.

وقد ذكر العلامة نوري طبرسي بين أوائل من ذكر من علماء الشيعة المتقدمين القائلين بالتحريف " أبا جعفر القليني" وشيخه " علي بن ابراهيم القمي". ومن الواضح أن الرجلين قد ظهرا طبقا للنظرية الشيعية في زمان الغيبة الصغرى بل إنهما – طبقا لبعض كتب التذاكر – عاشا فترة من زمان الإمام الحادي عشر الإمام حسن العسكري. وبعد ذلك يذكر العلامة طبرسي في خمس صفحات كاملة أكابر علماء الشيعة المتقدمين الآخرين ممن كتبوا في مؤلفاتهم وأثبتوا التحريف والتغيير والتبديل – ولا يقل عددهم عن ثلاثين أو أربعين بل يزيدون، وكتب المؤلف نوري طبرسي بعد ذلك:

ومن جميع ما ذكرنا ونقلنا بتتبعي القاصر يمكن دعوى الشهرة العظيمة بين المتقدمين وانحصار المخالفين بينهم في أشخاص معينين يأتي ذكرهم. قال السيد المحدث الجزائري في الأنوار ما معناه أن الأصحاب قد أطبقوا على صحة الأخبار المستفيضة بل المتواترة الدالة بصريحها على وقوع التحريف في القرآن كلاما ومادة وإعرابا والتصديق بها، نعم خالف فيها المرتضى والصدوق والشيخ الطبرسي.(فصل الخطاب ص 30).

وبعدها يضيف المؤلف على الثلاثة المخالفين عالما رابعا " أبو جعفر الطوسي" وينقل العبارات المتعلقة بإنكاره للتحريف ثم يقوم بالرد عليها.

ومن الملاحظ أن الأربعة من المتأخرين على أبي جعفر يعقوب الكليني وشيخه علي ابن ابراهيم القمي. وأبو علي طبرسي هو أكثرهم تأخرا (توفي سنة 548م). وما كتبه في صدد إنكار التحريف أورده العلامة نوري طبرسي ثم رد عليه قائلا:"

" وإلى طبقته لم يعرف الخلاف صريحا إلا من هذه المشايخ الأربعة". (فصل الخطاب ص34).

ويكتب المؤلف في موضع آخر مشيرا الى اختلاف هؤلاء العلماء الأربعة "الصدوق، والشريف المرتضى وأبو جعفر الطوسي وأبو علي الطبرسي" مع جميع علماء الشيعة المتقدمين: " ولم يعرف من القدماء خامس لهم. (فصل الخطاب ص 32).

والهدف من إثبات عبارات العلامة نوري الطبرسي هنا هو أن نوضح للقراء أن المتقدمين وأكابر علماء الشيعة كانوا يعتقدون بأن القرآن الحالي ليس هو القرآن الحقيقي الذي كان قد نزل على رسول الله (ص) بل قام أولئك الناس الذين استولوا على الخلافة بتحريفه فحذفوا منه وزادوا عليه، ومع أن عبارات كتاب " فصل الخطاب" تكفي لإثبات هذه الأمر إلا أننا نرى من المناسب أيضا أن ننقل بعض الروايات من هذا الكتاب. وقد ذكرنا قبلا أن المؤلف قد ساق العديد من الأدلة لإثبات تحريف القرآن نظرا لوجهات النظر التي يؤمن بها، وفي دليله الثاني عشر يقول:

- **روايات التحريف أكثر من ألفين:**

" الدليل الثاني عشر الأخبار الواردة في الموارد المخصوصة من القرآن الدالة على تغيير بعض الكلمات والآيات والسور بإحدى الصور المتقدمة وهي كثيرة جدا حتى قال السيد نعمة الله الجزائري في بعض مؤلفاته كما يحكي عنه أن الأخبار الدالة على ذلك تزيد على ألفي حديث وادعى استفاضتها جماعة كالمفيد والمحقق الدمار والعلامة المجلسي وغيرهم بل إن الشيخ أيضا صرح في التبيان بكثرتها بل ادعى تواترها جماعة يأتي ذكرهم". (فصل الخطاب ص 227).

- **أكابر علماء الشيعة الذين ادعوا تواتر روايات التحريف:**

وفي آخر الكتاب ذكر المؤلف أكابر وعظماء الشيعة ممن ذكروا روايات التحريف وقال بأنه لا شك أن دعواهم صحيحة تماما استنادا الى كتب حديث الشيعة، يقول المؤلف:" وقد ادعى تواتره – أي تواتر وقوع التحريف والتغيير والنقص- جماعة منهم المولى محمد صالح في شرح الكافي حيث قال في شرح ما ورد من أن القرآن الذي جاء به جبريل الى النبي سبعة عشر ألف آية، وفي رواية سليم ثماني عشرة ألف آية ما لفظه " وإسقاط بعض القرآن وتحريفه ثبت من طرفنا بالتواتر معنى كما يظهر لمن تأمل في كتاب الأحاديث من أولها الى آخرها".

ومنهم الفاضل قاضي القضاة علي بن عبد العالي على ما حكى عنه السيد في شرح الوافية بعدما أورد علي أكثر تلك الأخبار بضعف الإسناد ما لفظه إن إيراد أكابر الأصحاب لأخبارنا في كتبهم المعتبرة التي ضمنوا صحة ما فيها قاض بصحتها فإن لهم طرقا تصححها من غير جهة الرواة كالإجماع على مضمون المتن واحتفائه بالقرائن المفيدة للقطع...

ومنهم العلامة المجلسي فقد قال في مرآة العقول في شرح باب " إنه لم يجمع القرآن كله إلا الأئمة عليهم السلام" بعد نقل كلام المفيد ما لفظه:" والأخبار من طرق الخاص والعامة في النقص والتغيير متواترة". وبخطه على نسخة صحيحة من الكافي كان يقرؤها على والده وعليها خطهما في آخر كتاب " فضل القرآن" عند قول الصادق " القرآن الذي جاء به جبريل على محمد سبعة عشر ألف آية ما لفظه:" لا يخفى أن هذا الخبر وكثيرا من الأخبار في هذا الباب متواترة معنى وطرح جميعها يوجب رفع الاعتماد على الأخبار رأسا...". (فصل الخطاب ص 328-329).

- **ثلاث نقاط هامة عن روايات تحريف القرآن:**

يمكن أن نستخلص نقاطا ثلاثا هامة وواضحة من خلال كتابات العلامة نوري الطبرسي في" فصل الخطاب"، وذلك في عباراته عن المتقدمين والمتأخرين من علماء الشيعة وهي العبارات التي نقلها فيما يتعلق بالتحريف، وقدمنا بعضها في الصفحات السابقة، وهي نقاط هامة يجب أن نضعها في اعتبارنا حين نفكر في هذه القصة.

1 - الروايات الخاصة بالتحريف والحذف والإضافة في القرآن الكريم، وهي أقوال الأئمة المعصومين والروايات المتواترة، وطبقا لبيان سيد نعمت الله الجزائري المحدث، فهي تزيد على ألفين وطبقا لبيان العلامة مجلسي لا يقل عددها عن عدد الروايات الخاصة بمسألة الإمامة أساس المذهب الشيعي.

2 - لا يوجد مجال للشك في الروايات التي ذكرت مسألة التحريف والحذف والتبديل الذي وقع على القرآن الكريم. والروايات ذكرت أمر التحريف بصراحة تامة.

3 - وعليه فإن عقيدة علماء الشيعة المتقدمين قد اتفقت على مسألة التحريف ولم يختلف في هذا من علماء الشيعة سوى أربعة لا خامس لهم.

- **هل يستطيع أي عالم شيعي أن ينكر التحريف؟**

وما يجدر بالذكر هنا هو أن آلاف الروايات الخاصة بالتحريف والتي رويت عن الأئمة ذكر عدد كبير منها في كتاب الشيعة المعتبر "الجامع الكافي" وهي روايات متواترة تدل صراحة على التحريف، وهي ما اعتقده وآمن به علماء الشيعة المتقدمون.

والآن هل يمكن لأي عالم من علماء الشيعة أن ينكر مسألة التحريف هذه الواردة في الفكر الشيعي والتي تعد من أساسيات العقيدة الشيعية؟ من الواضح أن الإجابة بالنفي هي الإجابة الصحيحة، إلا أن الشيعة يقولون: نعم، يمكن ذلك على أساس التقية، وكما تذكر روايات الشيعة فالأئمة قد أنكروا أيضا إمامتهم من باب التقية. ومن هنا يكون الأربعة الذين أنكروا التحريف إنما أنكروه على أساس التقية، والله أعلم.

- **مكانة العلامة نوري طبرسي في عالم الشيعة:**

نرى من المناسب هنا أن نذكر للقارئ مكانة العلامة نوري طبرسي، مؤلف فصل الخطاب، الذي ألف كتابه في إثبات تحريف القرآن، في دنيا الشيعة، فالرجل له مكانة مقدسة وعظيمة لدرجة أنه حين انتقل الى" الرفيق الأعلى" دفن في مبنى المشهد القصوي بالنجف وهو عند الشيعة "أقدس البقاع" أي أقدس مكان على وجه الأرض.

كان العلامة نوري طبرسي في زمانه من أكبر المحدثين بالإضافة الى أنه مجتهد عظيم رتب كتابا في الحديث باسم" مستدرك الوسائل" وقد ذكرنا قبلا أن روح الله الخميني قد نقل عن هذا الكتاب في صدد حديثه عن نظريته "ولاية الفقيه" في كتابه "الحكومة الإسلامية" وقد ذكر العلامة نوري طبرسي باحترام شديد، والخميني بلا شك يعرف كتاب طبرسي" فصل الخطاب" تماما مثلما يعرفه جميع علماء الشيعة.

ومن الجدير بالذكر أن " فصل الخطاب"، حين نشر في أواخر القرن الثالث عشر الهجري، قوبل بثورة عظيمة من علماء الشيعة في إيران والعراق ممن اتبعوا سياسة إنكار عقيدة التحريف، وقد كتبوا ردودا عليه، وكتب العلامة طبرسي رده عليهم في كتاب مستقل أسماه" رد الشبهات عن فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب". والحقيقة أن هذين الكتابين لا يتركان لدى أي شيعي مجالا لإنكار عقيدة التحريف، وكفى الله المؤمنين القتال.

- **سورة من القرآن ليست موجودة في القرآن الحالي:**

ونحمد الله على أنه وفقنا للحصول على شئ مناسب نختم به حديثنا عن موضوع التحريف.

قبل قرن من الزمان قام علامة العراق سيد محمود سكري الألوسي بتلخيص " التحفة الإثنا عشرية" بالعربية ونشرها باسم " مختصر التحفة الإثنا عشرية"، ثم قام عالم مصري جليل هو الشيخ محيي الدين الخطيب، وقد توفي منذ سنوات وله مؤلفات عن الشيعة، بنشر هذا الكتاب، وصحيحه وأضاف عليه هوامش ومقدمة ونشر فيه أيضا صورة لسورة باسم "سورة الولاية" وهي من نسخة للقرآن خطية مكتوبة في إيران وقد كتب يقول:

" نقل البروفسير نولدكه في كتابه تاريخ نسخ القرآن History of the copies of the Quran هذه السورة نقلا عن كتاب الشيعة المعروف " دبستان مذاهب" بالفارسية لمؤلفه " محسن فاني كسير" وقد نشر في طبعات متعددة في إيران، وقد شاهدها عالم القانون المصري البروفسير محمد علي سعودي – وهي نسخة القرآن المكتوبة في إيران- شاهدها عند المستشرق المشهور براون Brown وفي تلك النسخة سورة الولاية فأخذ صورة منها، ونشرت صفحة رقم 9 بالعدد رقم 842 بمجلة " الفتح" في مصر.

وقد نشر الشيخ محيي الدين الخطيب صورة منها في كتابه (ص31). ونحن بدورنا ننشر صورتها هنا، والترجمة الفارسية مطبوعة بين السطور بخط رفيع وغير واضح في بعض الكلمات.

ومن الجدير بالذكر أن العلامة نوري طبرسي قد ذكر في كتابه فصل الخطاب سورة الولاية هذه وكتب أنها من السور التي حذفت من القرآن الكريم (فصل الخطاب ص22).

<u>سورة الولاية:</u>

يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالنبي والولي اللذين بعثنا هما يهديانكم الى الصراط المستقيم @ نبي وولي بعضهما من بعض وأنا العليم الخبير@ إن الذين يوفون بعهد الله لهم جنات النعيم @ والذين إذا تليت عليهم آياتنا كانوا بأياتنا مكذبون @ إن لهم في جهنم مقاما عظيما إذا نودي لهم يوم القيامة أين الظالمون المكذبون للمرسلين @ ما خلفتهم المرسلين إلا عني وما كان الله ليظهرهم الى أجل قريب وسبح بحمد ربك وعليّ من الشاهدين.

4 ـ إختلافات القرآن

لو كان من عند غير الله

يقول القرآن " لو كان من عند غير الله لوجدوا فيه إختلافا كثيرا ". النساء:82. فهل هذا صحيح؟ الأمثلة التالية تجيب على هذا السؤال:

1) من قال أن هذا السحر عظيم؟

قال الملاك من قوم فرعون أن هذا السحر عظيم. الأعراف: 109.
قال للملاك حوله أن هذا السحر عظيم. الشعراء: 34.
في الآية الأولى الملاك هو الذي قال وفي الثانية فرعون هو الذي قال.

2) ترتيب الأحداث في واقعة الملاك مع لوط يختلف في سورة هود 83 عنه في سورة الحجر 73.

3) وصف موقف موسى من ربه يختلف في سورة طه 9 - 25 عن سورة النمل 7 - 12 وعن سورة القصص 29 - 35.

4) منطق كلام إبليس في قصة امتناعه عن السجود لآدم يختلف في سورة الأعراف عنه في سورة الحجر.

" قال ما منعك الا تسجد إذا أمرتك قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين قال فاهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها فأخرج أنك من الصغرين". الأعراف: 12 - 13.

" قال يا إبليس ما لك آلا تكون من السجدين قال لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصل من حمأ مسنون. قال فاخرج منها أنك رجيم". الحجر: 32 - 34.

5) سورة الروم الآية:20.." خلقتكم من تراب". ولكن في سورة الأنبياء الآية: 30 يقول القرآن" وجعلنا من الماء كل شئ حي أفلا يؤمنون".

6) وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا أقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا. الإسراء: 13.

" ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما وصما مأواهم جهنم كلما خبت زدناهم سعير". الإسراء: 97. ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى. طه: 124. كيف يقرأ الشرير كتابه يوم القيامة إذا كان سيحشر أعمى؟!.

7) " ثم يوم القيامة يلعن بعضكم بعضا". الزمر: 25.

كيف يلعن بعضهم بعضا إذا كانوا سيحشرون بكما صما؟!.

8) ويوم يحشرهم جميعا يا معشر الجن قد استكثرتم من الإنس وقال أولياؤهم من الإنس ربنا استمتع بعضنا ببعض وبلغنا أجلنا الذي أجلت لنا، قال النار مثواكم خالدين فيها إلا ما شاء الله إن ربك حكيم عليم. سورة الأنعام:128. كيف يقول الأولياء من الإنس شيئا وهم بكم صم؟!.

9) السماء بنيناها بيد. الذاريات:47.

وهل السماء مادة تبنيها اليد؟ ويد من؟.

10) " كلا إذا دكت الأرض دكا وجاء ربك والملك صفا صفا". الفجر: 21 - 22. هنا يخبرنا القرآن أن الأرض سوف تدك دكا ولكن في سورة الزمر يختلف الأمر " وقالوا الحمد لله الذي أورثنا الأرض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين". الزمر:74.

هنا يقول القرآن أن الصالحون سوف يرثون جنة على الأرض فكيف يكون هذا إذا كانت الأرض ستدك وتصبح كالعهن المنفوش. وكيف تكون الجنة على الأرض إذا كان عرضها كعرض السموات والأرض؟! وماذا نقول عن آدم وحواء والشيطان الذين كانوا في الجنة عندما قال لهم الله: إهبطوا منها؟!.

11) خلق آدم يقول القرآن مرة أنه من حما مسنون ومرة أنه من طين لازب ومرة أنه من صلصال كالفخار.

12) عصا موسى مرة يقول عنها القرآن " فإذا هي ثعبان" وفي موضع آخر " تهتز كأنها جان".

هذه مجرد عينة سريعة من إختلافات القرآن.

5- اختلافات القرآن فى كتاب الإتقان

أ - في جمعه وترتيبه:

جاء في صفحة 127 من كتاب " الإتقان في علوم القرآن " لجلال الدين السيطي (الجزء الأول):

حدثنا بشر بن موسى حدثنا هوده بن خليفة حدثنا عون عن محمد بن سيرين عن عكرمة قال: لما كان بعد بيعة أبي بكر قعد علي بن أبي طالب في بيته فقيل لأبي بكر: قد كره بيعتك فأرسل إليه فقال: أكرهت بيعتي؟ قال: لا والله، قال: ما أقعدك عني؟ قال: رأيت كتاب الله يزاد فيه فحدثت نفسي أن لا ألبس ردائي إلا لصلاة حتى أجمعه.

وجاء في صفحة 129:

وقد أخرج ابن أشته في المصاحف عن الليث بن سعد قال: أول من جمع القرآن أبو بكر وكتبه زيد وكان الناس يأتون زيد بن ثابت فكان لا يكتب آية إلا بشاهدي عدل وإن آخر سورة براءة لم توجد إلا مع أبي خزيمة بن ثابت فقال: اكتبوها فإن رسول الله صلعم جعل شهادته بشهادة رجلين فكتب وإن عمر آتى بآية الرجم فلم يكتبها لأنه كان وحده.

وجاء في صفحة 132-133:

ومنها ما أخرجه أحمد وأبو داود والترمزي والنسائي وابن حبان والحاكم عن ابن عباس قال: قلت لعثمان: ما حملكم على ان عمدتم الى الأنفال وهي من المثانى والى براءه وهي من المئين فقرنتم بينها ولم تكتبوا بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم ووضعتموهما في السبع الطوال؟ فقال عثمان: كان رسول الله صلعم تنزل عليه السورة ذات العدد فكان إذا نزل عليه الشيء دعا بعض من كان يكتب فيقول: ضعوا هؤلاء الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا وكانت الأنفال من أوائل ما نزل بالمدينة وكانت براءة من آخر القرآن نزولا وكانت قصتها شبيهة بقصتها فظننت أنها منها فقبض رسول الله صلعم ولم يبين لنا أنها منها فمن أجل ذلك قرنت بينهما ولم أكتب بينهما سطر بسم الله الرحمان الرحيم ووضعتها في السبع الطول.

وجاء في صفحة 134:

عن يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه قال: أتى الحارث بن خزيمة بهاتين الآيتين من آخر سورة براءة فقال: أشهد أني سمعتهما من رسول الله صلعم ووعيتهما فقال عمر: وأنا أشهد لقد سمعتهما ثم قال: لو كانت ثلاث آيات لجعلتها سورة على حدة فانظروا آخر سورة من القرآن فالحقوها في آخرها.

ب - في كيفية إنزاله:

اختلف في كيفية إنزاله من اللوح المحفوظ على ثلاثة أقوال:

1 - أنه نزل الى السماء الدنيا ليلة القدر جملة واحدة ثم نزل بعد ذلك منجما في عشرين سنة أوثلاثة وعشرين سنة أو في خمسة وعشرين سنة حسب الخلاف في مدة إقامته بمكة بعد البعثة.

2- أنه نزل الى السماء الدنيا في عشرين ليلة قدر وثلاث وعشرين أو خمس وعشرين في كل ليلة ما يقدر الله إنزاله في كل السنة ثم نزل بعد ذلك منجما في جميع السنة.

3 - أنه ابتدئ إنزاله في ليلة القدر ثم نزل بعد ذلك منجما في أوقات مختلفة من سائر الأوقات.

ج - في معرفة أول ما نزل من القرآن:

اختلف في أو ما نزل منه:

- ففي صحيح البخاري : { اقرأ باسم ربك }
- وفي صحيح مسلم عن جابر: { يا أيها المدثر قم فأنذر}
- ومن طريق أبي اسحاق عن أبي ميسرة : { الحمد لله رب العالمين }
- ومن إخراج الواحدي بإسناد عن عكرمة والحسن: { بسم الله الرحمن الرحيم }

د - معرفة آخر ما نزل من القرآن:

اختلف في آخر ما نزل منه:

- فروى الشيخان عن البراء بن عازب: **" يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة "**
- وأخرج البخاري عن ابن عباس : **" يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا "**
- وأخرج النسائي من طريق عكرمة عن ابن عباس **: " واتقوا يوما ترجعون فيه "**
- وفي المستدرك عن أبي بن كعب : **" لقد جاءكم رسول من أنفسكم "**
- واخرج مسلم عن ابن عباس : **" إذا جاء نصر الله والفتح "**
- وأخرجه البخاري وغيره عن ابن عباس : **" من يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم "**

- وأخرجه ابن جرير عن معاوية بن ابي سفيان : **" فمن كان يرجو لقاء ربه "**
- وأخرج ابن مردويه من طريق مجاهد عن أم سلمة : **" فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل "**
- وأخرج ابن جرير عن أنس : **" فإن تابوا وأقاموا الصلاة وأتوا الزكاة "**
- وفي البرهان لإمام الحرمين : **" قل لا أحد فيما أوحى الى محرما "**

هـ - الأحرف السبعة التي نزل عليها القرآن:

قال ابن حبان اختلف أهل العلم في معنى الأحرف السبعة على خمسة وثلاثين قولا (فمنهم) من قال هي زجر وأمر وحلال وحرام ومحكم ومتشابه وأمثال.

الثاني : حلال وحرام وأمر ونهي وزجر وخبر ما هو كائن بعد وأمثال.

الثالث: وعد ووعيد وحلال وحرام ومواعظ وأمثال واحتجاج.

الرابع : أمر ونهي وبشارة ونذارة وأخبار وأمثال.

الخامس : محكم ومتشابه وناسخ ومنسوخ وخصوص وعموم وقصص.

السادس : أمر وزجر وترغيب وترهيب وجدل وقصص ومثل.

السابع : أمر ونهي وجد وعلم وسر وظهر وبطن.

الثامن : ناسخ ومنسوخ ووعد ووعيد ورغم وتأديب وإنذار.

التاسع : حلال وحرام وافتتاح وأخبار وفضائل وعقوبات.

العاشر : أوامر وزواجر وأمثال وأنباء وعتب ووعظ وقصص.

الحادي عشر : حلال وحرام وأمثال ومنصوص وقصص وإباحات.

الثاني عشر : ظهر وبطن وفرض وندب وخصوص وعموم وأمثال.

الثالث عشر : أمر ونهي ووعد ووعيد وإباحة وإرشاد واعتبار.

الرابع عشر : مقدم ومؤخر وفرائض وحدود ومواعظ ومتشابه وأمثال.

الخامس عشر : مقيس ومجمل ومقضى وندب وحتم وأمثال.

السادس عشر : أمر حتم وأمر ندب ونهي حتم ونهي ندب واخبار وإباحات.

السابع عشر : أمر فرض ونهي حتم وأمر ندب ونهي مرشد ووعد ووعيد وقصص.

الثامن عشر : سبع جهات لا يتعداها الكلام لفظ خاص أريد به الخاص ولفظ عام أريد به العام ولفظ عام أريد به الخاص ولفظ خاص اريد به العام ولفظ يستغني بتنزيله عن تأويله ولفظ لا يعلم فقهه إلا العلماء ولفظ لا يعلم معناه إلا الراسخون.

التاسع عشر : إظهار الربوبية وإثبات الوحدانية وتعظيم الألوهية والتعبد لله ومجانية الإشراك والترغيب في الثواب والترهيب والعقاب.

العشرون : سبع لغات منها خمس في هوازن واثنتان لسائر العرب.

الحادي والعشرون : سبع لغات متفرقة لجميع العرب كل حرف منها لقبيله مشهورة.

الثاني والعشرون: سبع لغات أربع لعجز هوازن سعد بن بكر وجشم بن بكر ونصر ابن معاوية وثلاث لقريش.

الثالث والعشرون: سبع لغات لقريش ولغة لليمن ولغة لجرهم ولغة لهوازن ولغة لقضاعة ولغة لتميم ولغة لطي.

الرابع والعشرون : لغة الكعبين كعب بن عمر وكعب بن لؤي ولهما سبع لغات.

الخامس والعشرون : اللغات المختلفة لإحياء في معنى واحد مثل هلم وهات وتعال وأقبل.

السادس والعشرون : سبع قراءات لسبعة من الصحابة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وابن مسعود وابن عباس وابي بن كعب رضي الله تعالى عنهم.

السابع والعشرون : همز إمالة وفتح وكسر وتفخيم ومد وقصر.

الثامن والعشرون : تصريف ومصادر وعروض وغريب وسجع ولغات مختلفة كلها في شئ واحد.

التاسع والعشرون : كلمة واحدة تعرب بسبعة أوجه حتى يكون المعنى واحدا وإن اختلف اللفظ فيها.

الثلاثون : أمهات الهجاء الألف والباء والجيم والدال والراء والسين والعين لأن عليها تدور جوامع كلام العرب.

الحادي والثلاثون : أنها في أسماء الرب مثل الغفور الرحيم السميع البصير العليم الحكيم.

الثاني والثلاثون : هي آية في صفات الذات، وآية تفسيرها في آية أخرى، وآية بيانها في السنة الصحيحة، وآية في قصة الأنبياء والرسل، وآية في خلق الأشياء، وآية في وصف الجنة، وآية في وصف النار.

الثالث والثلاثون : في وصف الصانع، وآية في إثبات الوحدانية له وآية في اثبات صفاته وآية في إثبات رسله، وآية في إثبات كتبه، وآية في إثبات الإسلام، وآية في نفي الكفر.

الرابع والثلاثون : سبع جهات من صفات الذات لله التي لا يقع عليها التكييف.

الخامس والثلاثون : الإيمان بالله ومجانية الشرك وإثبات الأوامر ومجانية الزواجر والثبات على الإيمان، وتحريم ما حرم الله وطاعة رسوله.

قال ابن حبان: فهذه خمسة وثلاثون قولا لأهل العلم واللغة في معنى إنزال القرآن على سبعة أحرف، وهي أقاويل يشبه بعضها بعضا، وكلها محتملة ويحتمل غيرها.

و - في عدد سوره وآياته وكلماته وحروفه:

أما سوره فمائة وأربع عشرة سورة بإجماع من يعتد به، وقيل وثلاث عشرة بجعل الأنفال وبراءة سورة واحدة، اخرج أبو الشيخ عن أبي زروق قال: الأنفال وبراءة سورة واحدة. واخرج عن أبي رجاء قال: سألت الحسن عن الأنفال وبراءة سورتان أم سورة؟ قال: سورتان. ونقل مثل قول ابي زروق عن مجاهد. وأخرجه ابن ابي حاتم عن سفيان.

وأخرج ابن اشتة عن ابن لهيعة قال: يقولون إن براءة من يسألونك، وإنما لم تكتب في براءة بسم الله الرحمن الرحيم لأنها من يسألونك، وشبهتهم اشتباه الطرفين وعدم البسملة. ويرده تسمية النبي صلعم كلا منهما. ونقل صاحب الإقناع ان البسملة ثابتة لبراء في مصحف ابن مسعود: قال: ولا يؤخذ بهذا.

وأخرج القشيري: الصحيح ان التسمية لم تكن فيها لأن جبريل عليه السلام لم ينزل بها فيها. وفي المستدرك عن ابن عباس قال: سألت علي بن أبي طالب: لم لم تكتب في براءة بسم الله الرحمن الرحيم؟، قال: لأنهم أمان، وبراءة نزلت بالسيف.

وعن مالك ان أولها لما سقط سقطت معه البسملة فقد ثبت انها كانت تعدل البقرة لطولها. وفي مصحف ابن مسعود مائة واثنتا عشرة سورة لأنه لم يكتب المعوذتين، وفي مصحف ابي ست عشرة أنه كتب في أخره سورتي الحفد والخلع.

واخرج ابو عبيد عن ابن سيرين قال: كتب أبي بن كعب في مصحفة فاتحة الكتاب والمعوذتين واللهم إنا نستعينك واللهم إياك نعبد وتركهن ابن مسعود. وكتب عثمان منهن فاتحة الكتاب والمعوذتين. وأخرج الطبراني في الدعاء من طريق عباد بن يعقوب الأسدي عن يحيى بن يعلى الأسلمي عن ابن لهيعة عن أب هبيرة عن عبد الله بن زرير الغافقي قال: قال لي عبد الملك بن مروان: لقد علمت ما حملك عل حب أبي تراب، إلا أنك اعرابي حاف، فقلت: والله لقد جمعت القرآن من قبل أن يجتمع أبوك، ولقد علمني منه علي بن أبي طالب سورتين علمهما إياه رسول الله صلعم ما علمتهما أنت ولا أبوك. اللهم إنا نستعينك ونستغفرك ونثني عليك ولا نكفرك، ونخلع ونترك من يفجرك، اللهم إياك نعبد ولك نصلي ونسجد وإليك نسعى ونحفد، نرجوا رحمتك ونخشى عذابك إن عذابك بالكفار ملحق.

وأخرج البيهقي من طريق سفيان الثوري عن ابن جريج عن عطاء عن عبيد بن عمير ان عمر بن الخطاب قنت بعد الركوع، فقال: بسم الله الرحمن الرحيم، اللهم إنا نستعينك ونستغفرك ونثني عليك ولا نكفرك ونخلع ونترك من يفجرك، الله إياك نعبد ولك نصلي ونسجد وإليك نسعى ونحفد، نرجوا رحمتك ونخشى نقمتك، إن عذابك بالكافرين ملحق. قال ابن جريج: حكمة البسملة أنهما سورتان في مصحف بعض الصحابة. واخرج محمد بن نصر المروزي في كتاب الصلاة عن ابي بن كعب أنه كان يقنت بالسورتين فذكرهما، وأنه كان يكتبهما في مصحفه.

وقال ابن الضريس: أنبأنا أحمد بن جميل المروزي عن عبد الله بن المبارك، أنبأنا الأجلح عن عبد الله بن عبد الرحمن عن أبيه قال: في مصحف ابن عباس قراءة أبي وأبي موسى: بسم الله الرحمن الرحيم. اللهم إنا نستعينك ونستغفرك، ونثني عليك الخير ولا نكفرك، ونخلع ونترك من يفجرك، وفيه: اللهم إياك نعبد ولك نصلي ونسجد، وإليك نسعة ونحفد، نخشى عذابك ونرجوا رحمتك، إن عذابك بالكفار ملحق.

وأخرج الطبراني بسند صحيح عن أبي اسحاق، قال: أمنا أمية بن عبد الله بن خالد ابن أسيد بخراسان، فقرأ بهاتين السورتين: إنا نستعينك ونستغفرك. وأخرج البيهقي وأبو داود في المراسيل عن خالد بن أبي عمران أن جبريل نزل بذلك على النبي صلعم وهو في الصلاة مع قوله : (ليس لك من الأمر شئ) الآية لما قنت يدعو على مضر.

قال الموصلي: ثم سور القرآن على ثلاثة أقسام: قسم لم يختلف فيه لا في إجمالي ولا في تفصيلي، وقسم اختلف فيه تفصيلا لا إجمالا، وقسم اختلف فيه إجمالا وتفصيلا. **فالأول**: أربعون سورة، يوسف مائة واحدى عشرة، الحجر تسع وتسعون، النحل مائة وثمانية وعشرون، الفرقان سبع وسبعون، الأحزاب ثلاث وسبعون، الفتح تسع وعشرون، الحجرات والتغابن ثماني عشرة، ق خمس وأربعون، الذاريات ستون، القمر خمس وخمسون، الحشر أربع وعشرون، الممتحنة ثلاث عشرة، الصف أربع عشرة، الجمعة والمنافقون والضحى والعاديات إحدى عشرة، التحريم اثنتا عشرة، ن اثنتان وخمسون، الإنسان إحدى وثلاثون ، المرسلات خمسون، التكوير تسع وعشرون، الانفطار وسبح تسع عشرة، التطفيف ست وثلاثون، البروج اثنتان وعشرون، الغاشية ست وعشرون، البلد عشرون، الليل إحدى وعشرون، ألم نشرح والتين الهاكم ثمان، الهمزة تسع، الفيل والفلق وتبت خمس، الكافرون ست، الكوثر والنصر ثلاث.

والقسم الثاني: أربع سور: القصص: ثمان وثمانون، عد أهل الكوفة طسم، والباقون بدلها أمة من الناس، يسقون. العنكبون: تسع وستون، عد اهل الكوفة ألم والبصرة بدلها مخلصين لـه الدين والشام وتقطعون السبيل. الجن: ثمان وعشرون عد الملكي لن يجيرني من الله أحد، والباقون بدلها ولن أجد من دونـه ملتحدا. والعصر ثلاث، عد المدني الأخير وتواصوا بالحق دون والعصر وعكس الباقون.

والقسم الثالث: سبعون: سورة الفاتحة، الجمهور سبع، فعد الكوفي والمكي البسملة دون أنعمت عليهم وعكس الباقون. وقال الحسن: ثمان فعدهما، وبعضهم ست فلم يعدهما، وآخر تسع فعدهما وإياك نعبد. ويقوي الأول ما أخرجه أحمد وأبو داود والترمذي وابن خزيمة والحاكم والدار قطني وغيرهم عن أم سلمة أن النبي صلعم كان يقرأ: { بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله رب العالمين. الرحمن الرحيم. مالك يوم الدين. إياك نعبد وإياك نستعين. اهدنا الصراط المستقيم. صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين]. فقطعها آية آية وعدها عد الأعراب، وعد بسم الله الرحمن الرحيم آية ولم يعد عليهم.

وأخرج الدار قطني بسند صحيح عن عبد خير قال: سئل علي عن السبع المثاني فقال: الحمد لله رب العالمين، فقيل لـه إنما هي ست آيات، فقال: بسم الله الرحمن الرحيم آية. البقرة: مائتان وثمانون وخمس، وقيل ست وقيل سبع. آل عمران مائتان، وقيل إلا آية. النساء: مائة وسبعون وخمس، وقيل ست، وقيل سبع. المائدة: مائة وعشرون، وقيل واثنتان، وقيل وثلاث. الأنعام: مائة وستون وخمس، وقيل ست. الأنفال: سبعون وخمس، وقيل ست، وقيل سبع. براءة: مائة وثلاثون، وقيل إلا آية. يونس: مائة وعشرة، وقيل إلا آية. هود: مائة وإحدى وعشرون، وقيل اثنتان، وقيل ثلاث. الرعد: أربعون وثلاث، وقيل أربع، وقيل سبع. ابراهيم: إحدى وخمسون، وقيل اثنتان، وقيل أربع، وقيل خمس. الإسراء: مائة وعشر، وقيل وإحدى عشر. الكهف: مائة وخمس، وقيل ست، وقيل وعشر وقيل وإحدى عشرة. مريم: تسعون وتسع، وقيل ثمان. طه: مائة وثلاثون واثنتان، وقيل اربع، وقيل خمس، وقيل وأربعون، الأنبياء: مائة واحدى عشرة، وقيل واثنتا عشر. الحج: سبعون وأربع، وقيل وخمس، وقيل وست، وقيل وثمان . قد أفلح: مائة وثمان عشرة، وقيل تسع عشرة. النور: ستون واثنتان، وقيل أربع. الشعراء: مائتان وعشرون وست، وقيل سبع. النمل: تسعون واثنتان وقيل أربع، وقيل خمس. الروم: ستون، وقيل إلا آية. سبأ: خمسون وأربع، وقيل خمس. فاطر: أربعون وست، وقيل خمس. يس: ثمانون وثلاث، وقيل اثنتان. الصافات: مائة وثمانون وآية، وقيل أيتان. ص: ثمانون وخمس، وقيل ست، وقيل ثمان. الزمر: سبعون وآيتان، وقيل ثلاث، وقيل خمس. غافر: ثمانون وآيتان، وقيل أربع، وقيل خمس ، وقيل ست. فصلت: خمسون واثنتان، وقيل ثلاث، وقيل أربع. الشوري: خمسون، وقيل ثلاث. الزخرف: ثمانون وتسع، وقيل ثمان. الدخان: خمسون وست، وقيل سبع، وقيل تسع. الجاثية: ثلاثون وست، وقيل سبع. الأحقاف ثلاثون واربع، وقيل خمس. القتال: أربعون، وقيل إلا آية، وقيل إلا آيتين . الطور: أربعون وسبع وقيل ثمان، وقيل تسع. النجم: إحدى وستون، وقيل اثنتان. الرحمن: سبعون وسبع، وقيل ست، وقيل ثمان. الواقعة: تسعون وتسع، وقيل سبع، وقيل ست. الحديد: ثلاثون وثمان، وقيل تسع. قد سمع اثنتان، وقيل إحدى وعشرون. الطلاق: إحدى عشرة، وقيل اثنتا عشرة. تبارك: ثلاثون، وقيل إحدى وثلاثون بعد قالوا بلى قد جاءنا نذير. قال الوصلي: والصحيح الأول. قال ابن شنبوذ: ولا يسوغ لأحد خلافه للأخبار الواردة في ذلك. أخرج أحمد وأصحاب السنن وحسنه الترمذي عن أبي هريرة أن رسول الله صلعم قال: " إن سورة في القرآن ثلاثين آية شفعت لصاحبها حتى غفر لـه، تبارك الذي بيده الملك". وأخرج الطبراني بسند صحيح عن أنس قال: قال رسول الله صلعم: " سورة في القرآن ما هي إلا ثلاثون آية خاصمت عن صاحبها حتى ادخلته الجنة وهي سورة تبارك". الحاقة: إحدى وقيل اثنتان وخمسون. المعارج: أربعون وأربع، وقيل ثلاث. نوح: ثلاثون، وقيل إلا آية، وقيل إلا آيتين. المزمل: عشرون، وقيل إلا آية وقيل إلا آيتين. المدثر: خمسون وخمس وقيل ست. القيامة: أربعون وقيل الا اية. عم: أربعون، وقيل وآية. النازعات: أربعون وخمس، وقيل ست عبس: أربعون، وقيل وآية، وقيل وآيتين. الانشقاق: عشرون وثلاثة، وقيل أربع، وقيل خمس. الطارق: سبع عشرة، وقيل ست عشرة. الفجر: ثلاثون، وقيل إلا آية، وقيل اثنتان وثلاثون. الشمس: خمس عشرة، وقيل ست عشرة. اقرأ: عشرون، وقيل إلا آية. القدر: خمس، وقيل ست. لم يكن: ثمان، وقيل تسع. الزلزلة: تسع، وقيل ثمان . القارعة: ثمان، وقيل عشر، وقيل احدى عشرة. قريش: اربع ، وقيل خمس. أرأيت: سبع، وقيل ست. الاخلاص: اربع، وقيل خمس. الناس: سبع، وقيل ست.

ولأن الشئ بالشئ يذكر. وجدنا من المناسب هنا أن نذكر شيئا عن الترجمات الإنجليزية والفرنسية للقرآن وما فيها من مُغالطات:

الترجمات الإنجليزية والفرنسية للقرآن:

ترجم القرآن أولا الى اللآتينية بعد ما يقرب من خمسة قرون على نشأت الإسلام ثم ترجم الى الألمانية والفرنسية والإنجليزية في القرون الثلاثة الماضية وبخاصة في القرن العشرين.

وترجم القرآن- كترجمة أي كتاب آخر- لا يتوقع المرء أن تكون متطابقة من مترجم الى آخر. فمثلا نرى تباينا واضحا في الترجمات الإنجليزية لمحمد أسد ومحسن خان وداود وبكثال وعبد الله يوسف علي وزيدان وغيرهما.هذا كله مفهوم ولا غبار عليه.

ولكن الأشكالية تنشأ عندما يتحول المترجم الى مفسر ويلجأ الى إضافة كلمات أو عبارات من عنده لا توجد في النص الأصلي رغبة منه في وضع النص في شكل أكثر قبولا الى القارئ. نعطي هنا مثالين:

أولا: الآية 34 من سورة النساء في الترجمة الإنجليزية لعبد الله يوسف علي:

النص العربي يقول" ... والتي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن...

الترجمة الإنجليزية تقول:

"As to those women on whose part ye fear disloyalty and ill – conduct admonish them (first), (next) refuse to share their beds (and last) beat them (lightly).

كل الكلمات التي بين الأقواس لا توجد في النص الأصلي وواضح من وضعهم هو مخاطبة عقل القارئ الغربي الذي يزعجه الكلام عن ضرب الزوجات الذي هو جريمة يعاقب عليها القانون في مجتمعه.

ثانيا: الآية 86 من سورة الكهف في الترجمة الإنجليزية لأحمد زيدان:

At sunset he reached a place when he watched the sun setting on the horizon and it seemed to him that was setting into a muddy river bank…."

النص العربي يقول:" حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة..عبارة it seemed to him لا توجد في النص الأصلي واضافها المترجم لكي يتغلب على اشكالية علمية واضحة وهي أن الشمس أكبر من الأرض بعدة مرات فكيف لها أن تغرب في بئر. وهو اعتقاد العرب في القرن السابع الميلادي في حدود ادراكهم لحجم الشمس الذي لا يتعدى حجم كرة السلة.

في ترجمة للقرآن الى الفرنسية يذكر محمد حميد الله أربعة أسباب لتعدد للقراءات وهي ما يلي:

1 - أخطاء في الكتابة (إملائية) اثناء النسخ وهذه يسهل العثور عليها بمقارنة النسخ.

2 - أخطاء ناتجة عن نقل ملاحظات هامشية الى متن القرآن. هناك المئات من هذا النوع. هذه الملاحظات كان يكتبها الصحابة بعد استيضاح معاني بعض الآيات من النبي وقد نهى عمر بن الخطاب عن إضافة أي تعليق على نسخ القرآن.

هذا الأمر أدى الى تعدد مصاحف الصحابة وهو ما يشار إليه في كتابات الأولين بأن مصحف فلان يحوي كذا بينما مصحف علان لا يحوي كذا.

3 - اختلافات في القراءة ناتجة عن سماح من النبي لقرآءة القرآن بغير لهجة قريش. تيسيرا على القبائل المختلفة. وفي هذا قال النبي أن جبريل أباح له تعدد القراءات الى سبعة. هذا الأمر أوقفه عثمان بعد ذلك

4- اختلافات في القراءات ناتجة عن أن القرآن كان ينسخ بدون علامات التنقيط لمدة من 150 الى 200 سنة بعد الهجرة.

6 ـ القصة الأسطورية فى القرآن

يختلف الوضع فى القصص القرآنى عنه في القصة التاريخية من حيث المواد الأدبية ومن حيث تناولها.

أما من حيث المواد فيرجع الإختلاف الى أن المواد الأدبية في القصة التاريخية كانت أحداثا واقعية تناولها القرآن ورتبها ترتيبا يحقق الغرض المراد في القصة القرآنية والى أن المواد في القصة التمثيلية كانت أحداثا لا نعرف لها هذه الصفة من التاريخية والواقعية ومن هنا استطعنا أن نسميها في عرفنا البشري أحداثا مفروضية أو متخيلة وقد تناول القرآن هذا اللون من الأحداث وعرضه العرض الذي تتحقق به الأغراض المرادة من القص.

أما في القصة الأسطورية فالمواد الأدبية قصة بأكملها ومن هنا يكون الصنيع البياني مخالفا بعض الشيء له في اللون الأول من ألوان القصص القرآني.

وأما من حيث معالجة القصة الأسطورية فلن نستطيع أن نسلك السبيل التى سلكناها هناك فنبدأ بعرض بعض القصص لنلحظ الظواهر الأدبية ثم نسجلها ونفسرها كما فعلنا هناك. والأمر في ذلك واضح فالقدماء من المسلمين يجمعون على وجود القصة التاريخية في القرآن مهما يكن الرأي في طريقة تناولها ونحن متفقون معها كل الإتفاق على هذا القدر وغاية الأمر أنا نقول إن عرض القصة التاريخية للأحداث والأشخاص إنما هو العرض الأدبي البلاغي أي الفني. وبعض القدماء من المفسرين يقول بوجود القصة التمثيلية أو غير الواقعية وعلى حد قول بعضهم الفرضية. ومن كل ما تقدم صلح في اللونين السابقية أن نبدأ بعرض قصص إنتهينا منه الى المراد.

أما هنا فلم يقل واحد من المفسرين بوجود القصة الأسطورية في القرآن بل على العكس نرى منهم كما نرى من بعض المحدثين نفورا من لفظ الأسطورة ومن القول بأنها في القرآن ولو الى حد ما.

نعم نحن لا ننكر أن بعض المفسرين من أصحاب اللمحات قد فتح الباب وأجاز القول بوجود القصة الأسطورية وأصل لذلك أصولا مهمة لهذه الفكرة مثل تقريره أن هناك جسما للقصة أو هيكلا للحكاية وأن هناك أمورا أخرى. والجسم أو الهيكل غير مقصود أما المقصود حقا فهو ما في القصة من توجيهات دينية أو خلقية وهو ما ذهب إليه الأقدمون كالإمام الرازي وهو ما قرره الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده في صراحة ووضوح حين تحدث عن التعبيرات البيانية وأنها قد تقوم على شيئ من الخرافات الوثنية. وهذه هي أقوال هذين العالمين.
جاء في الرازي عند تفسيره لقوله تعالى **{ بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله }** (1) من سورة يونس ما يلي:" الأول أنهم كلما سمعوا شيئا من القصص قالوا ليس في هذه الكتاب إلا أساطير الأولين ولم يعرفوا أن المقصود منها ليس هو نفس الحكاية بل أمور أخرى مغايرة لها. (2)

فنحن نلحظ أن الرازي هنا يفرق بين شيئين" الأول هيكل القصة أو جسم الحكاية. الثاني ما في القصة من توجيهات دينية نحو قواعد الدعوة الإسلامية ومبادئ الدين الحنيف

والرازى يلحظ أن الأمر الأول وهو هيكل القصة أو جسم الحكاية هو الذي أدخل الشبهة على عقول المشركين حين ظنوا أنه المقصود من القصص ومن أجل هذا ذهبوا الى ما ذهبوا اليه من أن القرآن أساطير الأولين.

والرازي يقرر أن المقصود أمور أخرى مغايرة لهذا الجسم من القصة.

وجاء في المنار من حديث عند تفسيره لقصة هاروت وماروت من سورة البقرة ما يلي " قال الأستاذ الإمام ما مثاله: بينا غير مرة أن القصص جاءت في القرآن لأجل الموعظة والإعتبار لا لبيان التاريخ ولا للحمل على الإعتقاد بجزئيات الأخبار عند الغابرين وإنه ليحكي من عقائدهم الحق والباطل ومن تقاليدهم الصادق والكاذب ومن عاداتهم النافع والضار لأجل الموعظة والإعتبار فحكاية القرآن لا تعدو موضع العبرة ولا تتجاوز مواطن الهداية ولا بد أن يأتي في العبارة أو السياق وأسلوب النظم ما يدل على إستحسان الحسن وإستهجان القبيح.

وقد يأتي في الحكاية بالتعبيرات المستعملة عند المخاطبين أو المحكي عنهم وإن لم تكن صحيحة في نفسها كقوله **{ كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس}** (3) وكقوله **{ بلغ مطلع الشمس}** (4) وهذا الأسلوب مألوف فإننا نرى كثيرا من كتاب العربية وكتاب الإفرنج يذكرون آلهة الخير والشر في خطبهم ومقالاتهم لا سيما في سياق كلامهم عن اليونان والمصريين القدماء ولا يعتقد أحد منهم شيئا من تلك الخرافات الوثنية (5).

إذ الواضح أن الأستاذ الإمام يجيز أن يكون في التعبير القرآني قصصا وغير قصص أثر للأساطير إجراء للعبارات على تلك الظواهر الخرافية لأنه يحكي من عقائدهم الحق والباطل كما يجيز أن يكون القرآن قد أجرى أساليبه كما هو المعروف عند الأدباء فجعل الخرافات الوثنية أداة للتعبيرات البلاغية.

لا ننكر أن المفسرين الكبيرين قد قالا هذا وقد فتحا الباب أمامنا لكنهما وقفا عند هذا الحد ولم يضعا بين أيدينا قصة واحدة ليشرحاها الشرح الأدبي الذي يسمح لنا بأن نجعلها فاتحة الحديث عن القصة الأسطورية ونمضي على هدى منه.

إن كل ما صنعاه أنهما جعلا جسم القصة أو هيكل الحكاية غير مقصود من القرآن وأنه لو كان أسطورة من الأساطير فإن ذلك لا يقدح في حق القرآن الكريم لأنه ليس من مقاصده وليس من الأمور التي عُني بشرحها وتفصيلها.

لا بد إذن من الحديث المفصل عن هذا اللون من القصص ونظر القرآن إليه وتناوله له.

ونقدم بين يدي ذلك ما نشير به الى أن السبيل الى درس مثل هذه الموضوعات مرسومة من قبل. رسمها الأصوليون في بحث آيات التشريع وهي جمع الآيات المتعلقة بموضوع ما ثم فهمها وتسجيل ظواهرها ثم تفسير هذه الظواهر والإنتهاء من كل ذلك الى حكم القرآن في المسألة. ولن تكون سبيلنا هنا إلا هذه السبيل.

وتلك هي آيات القرآن الكريم التي عرضت لذكر الأساطير نجمعها مستقصين لننظر فيها النظرة العلمية التي تسلم الى الحق المبين:

(1) قال تعالى: **{ ومنهم مَن يستمع إليك وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقراً وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها حتى إذا جاءوك يجادلونك يقول الذي كفروا إن هذا إلا أساطير الأولين}.** (6)

(2) وقال تعالى: **{ وإذا تتلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا إن هذا إلا أساطير الأولين * وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو إئتنا بعذاب أليم}.**(7)

(3) وقال تعالى: **{ وإذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم قالوا أساطير الأولين}.** (8)

(4) وقال تعالى: **{ بل قالوا مثل ما قال الأولون * قالوا أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون * لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا من قبل إن هذا إلا أساطير الأولين}.** (9)

(5) وقال تعالى: **{ وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا * قل أنزله الذي يعلم السر في السموات والأرض إنه كان غفورا رحيما }.** (10)

(6) وقال تعالى: **{ وقال الذين كفروا أئذا كنا ترابا وآباؤنا أئنا لمخرجون * لقد وعدنا هذا نحن وآباؤنا من قبل إن هذا إلا أساطير الأولين }.** (11)

(7) وقال تعالى: **{ والذي قال لوالديه أف لكما أتعدانني أن أخرج وقد خلت القرون من قبلي وهما يستغيثان الله ويلك آمن إن وعد الله حق فيقول ما هذا إلا أساطير الأولين }.** (12)

(8) وقال تعالى: **{ ولا تطع كل حلاف مهين * هماز مشاء بنميم * مناع للخير معتد أثيم * عتل بعد ذلك زنيم * أن كان ذا مال وبنين * إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين }.** (13)

(9) وقال تعالى: **{ ويل يومئذ للمكذبين الذين بيوم الدين وما يكذب به إلا كل معتد أثيم إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الآولين }.** (14)

هذه هي الآيات التي عرض فيها القرآن لهذه المسألة فلننظر لنرى ما فيها من دلالات على نظرية لهذه الأساطير.

وأول ذلك أن هذه الآيات جميعها من القرآن المكي حتى ما وُضع منها في سورة مدنية كالأنفال مثلا فقد نص القدماء، واعتمد ذلك المصحف الملكي، على أن الآيات من 30-36 من سورة أنفال مكية. وأقرب ما يُفهم من ذلك أن الحديث عن الأساطير إنما كان من أهل مكة وجمهرتهم المطلقة من المشركين وأنه قول لم يقل في المدينة بعد إنتقال النبي عليه السلام إليها. وهذه ظاهرة تحتاج الى تفسير وتعليل.

وثاني ما يُفهم من النظر في هذه الآيات أن القائلين لهذا القول هم في الغالب الذين ينكرون البعث ولا يؤمنون بالحياة الآخرة. وذلك واضح كل الوضوح من آيات سور: المؤمنون، النمل، الأحقاف، المطففين. ذلك لأن الحديث معهم في هذه المسألة بالذات، وهو متصل بسبب قوي بالحديث عن الحياة الآخرة في آيات سور الأنعام والنحل.

وتلك ظاهرة تستحق التفسير أيضا والتعليل.

وثالثا ما يُفهم من النظر في هذه الآيات أن المشركين كانوا يعتقدون بما يقولون إعتقادا صادقا وأن الشبهة عندهم كانت قوية جارفة وذلك هو الواضح تماما من هذه الآيات التي يحسن بنا أن نستعرضها سويا.

في سورة الأنعام يذهب المشركون الى النبي صلى الله عليه وسلم فيستمعون القرآن لكنهم بعد الإستماع يجادلونه ويقولون له { إن هذا إلا أساطير الأولين } (15). ونعتقد أنهم لم يقولوا هذا القول في مواجهة النبي وأمام سمعه وبصره إلا وهم يعتقدون أن ما يقولونه وما يرونه الصواب. ومعنى ذلك أن الشبهة عندهم في إحتواء القرآن على الأساطير شبهة قوية جارفة.

وفي سورة الأنفال يذهبون ويستمعون وبعد هذا وذاك يقولون **{ قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا إن هذا إلا أساطير الأولين }** (16). ولا يكتفون في هذا الموطن بهذا القول وإنما يذهبون الى أبعد من هذا في التحدي ويقولون **{ اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو أئتنا بعذاب أليم }** (17)

ونحن إذ نعتقد بصدق القرآن ودقَّته في تصوير إحساساتهم لا بد لنا من التسليم بأن هذه العقيدة كانت قوية عندهم وتقوم على أساس يطمئنون إليه من حيث وسعهم معه أن يقرروا بهذه القوة وجود الأساطير في القرآن ذلك لأنهم لا يستطيعون هذا القول إلا إذا كان هناك ما يبرر فعلا هذا القول في تقديرهم ويجعلهم يؤكدونه هذا التأكيد.
وفي الأحقاف يقف ولد هو فيما يروي المفسرون ابن أبي بكر الصديق من والديه هذا الموقف القاسي العنيف **{ والذي قال لوالديه إف لكما أتعدانني أن أخرج وقد خلت القرون من قبلي وهما يستغيثان الله ويلك آمن إن وعد الله حق فيقول ما هذا إلا أساطير الأولين}** (18)

وما من شك في صدق القرآن ودقته في تصويره لخلجات الأنفس ولذا نقدر بأن هذا الشخص الذي يضجر من والديه ويتأفف من قولهما ويشك في عودته الى الحياة مرة ثانية ويقيم هذا الشك على ملاحظته لظاهرة من الظواهر هي أن

القرون قد خلت من قبله ولم يعد الى الحياة أحد كان قوي العقيدة شديد اليقين في أن ما وعد به من الإخراج إنما هو من الأساطير.

وهكذا نلحظ أن الشبهة عنده قوية عنيفة وأن القرآن يصورها تصويرا دقيقا صادقا ونحس نحن من هذا التصوير القرآني أن القوم كانوا إنما يعبرون عما يحسون ويشعرون به نحو ما يتلى عليهم من آي الذكر الحكيم فهم لم يقولوا هذا القول كذبا وإدعاء وإنما قالوه عن شبهة قوية وعقيدة ثابتة.

ونستطيع أن نسأل أنفسنا قائلين هل معنى ذلك الذي يقرره القرآن أن في القرآن شيئا دعاهم الى هذا القول الذي يدل على التقرير القوي والإعتقاد المتمكن وهل هذا الشيء من الأخطاء التي ملكت عليهم نفوسهم أو هو شيء من حال القرآن جعلهم يقولون ذلك؟ لنلتمس الجواب عن هذا من دلالة تعرض القرآن للأساطير من نفيها عن نفسه وشدة حرصه على ذلك أو من دلالته على وقوفه منها موقفا يخالفه ذلك؟

لننتظر وسنرى.

رابعا ما يُفهم من النظر في هذه الآيات التي هي كل ما تحدث به القرآن عن الأساطير أن القرآن نفسه لم يحرص على أن ينفي عن نفسه وجود الأساطير فيه وإنما حرص على أن ينكر أن تكون هذه الأساطير هي الدليل على أنه من عند محمد عليه السلام وليس من عند الله.

واستعرض معي الآيات مرة أخرى لتتبين موقف القرآن نحو هذا الحرص على نفي وجود الأساطير فيه وسترى:

(1) أن القرآن اكتفى بوصف هذا الصنيع من المشركين في آيات سور الأنفال، المؤمنون، النمل، الأحقاف، دون تعقيب عليه.

(2) وأن القرآ ن إكتفى بتهديد القوم في آيات سور الأنعام والمطففين. وهو تهديد يقوم على إنكارهم ليوم البعث أو على صدهم الناس عن إتباع النبي وليس منه التهديد على قولهم بأن الأساطير قد وردت في القرآن الكريم.

(3) ومرة واحدة يعرض القرآن للرد عليهم في قولهم بأنه أساطير وهي المرة التي ترد في سورة الفرقان، وهذه هي الآيات **{ وقالوا اساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا * قل أنزله الذي يعلم السر في السموات والأرض إنه كان غفورا رحيما }.** (19)

فهل هذا الرد ينفي ورود الأساطير في القرآن؟ أو هو إنما ينفي أن تكون هذه الأساطير من عند محمد يكتتبها وتملى عليه ويثبت أنها من عند الله. **{ قل أنزله الذي يعلم السر..}** إلخ.

لعل الثاني أوضح، ولعل هذا الوضوح هو الذي جعل الرازي في مناقشته لرد القرآن عليهم يقول البحث الأول في بيان أن هذا كيف يصلح أن يكون جوابا عن تلك الشبهة وتقريره ما قدمناه من أنه عليه السلام تحداهم بالمعارضة وظهر عجزهم عنها ولو كان عليه السلام أتى بالقرآن بأن استعان بأحد لكان من الواجب عليهم أيضا أن يستعينوا بأحد فيأتوا بمثل هذا القرآن فلما عجزوا عنه ثبت أنه وحي من عند الله وكلامه فلهذا قال **{ قل أنزله الذي يعلم السر }.** (20)

والذي يحسن بنا أن نلتفت إليه هنا هو أن الرازي يسأل عن كيفية أن يكون قوله تعال **{ قل أنزله الذي يعلم السر...}** إلخ إجابة عن قولهم **{ وقالوا أساطير الأولين ...}** إلخ ذلك لأن المتبادر أن الرد الذي كان يتوقعه الرازي إنما يكون بنفي وجود الأساطير في القرآن ومن هنا حاول أن يجعل إجابة القرآن ملافية للشبهة حين وجد أن الرد ليس نفيا لوجود الأساطير في القرآن بل نفي موجود آخر هو أنه ليس منزلا من **{ الذي يعلم السر في السموات والأرض }.** ولعلنا لا نوافق الرازي فيما وجه به الرد بل نرى أن إجابة القرآن هي الإجابة الطبيعية وهي الإجابة التي لا محيد عنها في هذا الميدان. ذلك لأن مدار الحوار بين القرآن والمشركين لم يكن عن ورود الأساطير في القرآن وإنما كان عن إتخاذهم ورود الأساطير دليلا على أن القرآن من عند محمد لم يجئه به الوحي ولم ينزل عليه من السماء. ومن هنا كانت الإجابة في محلها وكان إثبات أن القرآن من عند الله **{ قل أنزله الذي يعلم السر في السموات والأرض }** ولم تكن الإجابة نفي ورود أساطير في القرآن.

وهذا هو الذي يدل عليه أيضا ما ذكره القرآن من قبلهم **{ وإذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم قالوا أساطير الأولين }** (21) ذلك لأنهم كانوا يتخيلون إستبعاد أن يصدر مثل هذا القصص الأسطوري عن الله ولذا وقفوا موقفهم هذا من النبي عليه السلام ومن القرآن واشتطوا في ذلك وغلوا وهم مخطئون.

وإذا كان إحساس القوم بورود ألأساطير في القرآن قويا عنيفا وعقيدتهم في ذلك قوية ثابته.

وإذا كان القرآن لا ينفي ورود الأساطير فيه وإنما ينفي أن تكون هذه الأساطير هي الدليل على أنه من عند محمد عليه السلام وليس من عند الله. إذا كان كل هذه ثابتا فإنا لا نتحرج من القول بأن في القرآن أساطير لأنا في ذلك لا نقول قولا يعارض نصا من نصوص القرآن.

ويبقى من ذلك الشرح للظواهر وتفسيرها أمران: الأول لماذا صدر هذا لقول عن منكري البعث؟ والثاني لماذا كان من المكيين؟

لنستعرض سويا بعض القصص القرآني الذي عالج القرآن فيه مشكلة البعث:

(1) قال تعالى **{ أو كالذي مرَّ على قرية وهي خاوية على عروشها قال أني يحيي هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوما أو بعض يوم قال بل لبثت مائة عام فانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه وانظر الى حمارك ولنجعلك آية للناس وانظر الى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحما فلما تبين له قال**

أعلم أن الله على كل شيء قدير * وإذ قال إبراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى قال أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي قال فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا ثم ادعهن يأتينك سعيا واعلم أن الله عزيز حكيم }. (22)

وواضح من القصتين أنهما تفسران وتجسمان عمليه الإحياء بعد الإماتة وهي العملية التي كان ينكرها المشركون إنكارا تاما ويزعمون أنها أحاديث خرافة.

ويقف بعض المفسرين من هاتين القصتين موقفا يدل على أنهما عندهم من الأقاصيص التي تقع ولم تحدث. جاء في تفسير المنار عقب حديثه عن القصة الأولى هذه الجملة " ويحتمل أن تكون القصة من قبيل التمثيل" (23)

وجاء في الرازي بعد تفسيره للقصة الثانية رأي لأبي مسلم ينكر فيه وقوع القصة ويذهب الى أنها من قبيل التمثيل ليس غير. هذا الرأي الذي عرضناه عليك في الفقرة الخاصة بالقصة التمثيلية من هذا الفصل. (24)

وإذا ما ضممنا الى ذلك ما يذهب إليه بعض المستشرقين من أن قصة أصحاب الكهف قصة أسطورية.(25) تبين لنا السر في أن القائلين بالأسطورة هم الذين ينكرون البعث إذ أنهم لم يستطيعوا تصديق أمثال هذه القصص التي تجسم عملية الإحياء بعد الإماتة وجروا على أنها أساطير الأولين.

ونستطيع أن نذكر هنا أيضا أن الشبهة التى دخلت على المشركين من أمثال هذه الأقاصيص قد دخلت أيضا على بعض المفسرين من الباب نفسه ومن هنا لم يستطيعوا تصديق وقوع هذه الأحداث وفسروا هذا اللون من القصص على أنه قصص يراد به التمثيل.

والآن الى هذه الظاهرة.

لماذا انقطع القول بالأساطير حينما انتقل النبي الى المدينة؟

إن السبب فيما نعتقد واضح بين فالبيئة قد تثقفت ثقافة كتابية بفضل اليهود. وفي الكتب السابقة وردت الأساطير لتشرح فكرة أو تمثل وتجسم عقيدة من العقائد وهذه فكرة يعرفها أهل الكتاب ونعتقد أن قد كان يعرفها المدنيون من العرب من هؤلاء.

والبيئة المكية لم تكن مثقفة كتابية في هذا الجانب فيما نعتقد ومن هنا أنكرت على القرآن هذا الصنيع.

إن القصص الأسطوري يعتبر تجديدا في الحياة الأدبية المكية وتجديدا جاء به القرآن الكريم وتجديدا لم يألفه القوم ومن هنا أنكروه.

إن هذه النظرة تفسر لنا جانبا من جوانب الإعجاز في القرآن الكريم فقد وضع تقليدا جديدا في الحياة الأدبية العربية وهو بناء القصص الديني على بعض الأساطير. وهو بذلك قد جعل الأدب العربي يسبق غيره من الآداب العالمية في فتح الباب وجعل القصة الأسطورية لونا من ألوان الأدب الدقيق الرفيع.

يجب أن نحرص على فتح هذا الباب ولا نوصده في وجه الذين يقولون بوجود الأساطير في القرآن الكريم وإنما يجب أن نفسره التفسير الذي اهتدى إليه الرازي ووقف عنده الأستاذ الإمام ولم ينكره على نفسه القرآن الكريم.

فإذا ما قال المشركون إن بالقرآن أساطير قلنا ليس عليه في ذلك بأس وإنما البأس عليكم لأنكم قد عجزتم عن فهم مقاصده وقصدتم عن المضي معه في هذا السبيل. وإذا ما قال المستشرقون إن بعض القصص القرآني كقصة أصحاب الكهف أو قصة موسى في سورة الكهف قد بُنيت على بعض الأساطير (26). قلنا ليس في ذلك القرآن من بأس فإنما هذه السبيل سبيل الآداب العالمية والأديان الكبرى ويكفينا فخرا أن كتابنا الكريم قد سن السنن وقعد القواعد وسبق غيره في هذه الميادين.

ونستطيع الآن أن ننتهي من هذه الفقرة الى القول بأن القرآن الكريم لا ينكر أن فيه أساطير وإنما ينكر أن تكون الأساطير هي الدليل على أنه من عند محمد عليه السلام لم يجئه به الوحي ولم ينزل عليه من السماء. ومن هنا يجب ألا يزعجنا أن يثبت عالم من العلماء أو أديب من الأدباء أن بالقرآن أساطير. ذلك لأن هذا الإثبات لن يعارض نصا من نصوص القرآن الكريم.

جاء في الرازي عند تفسيره لآية النحل ما يلي " لقائل أن يقول كيف يكون تنزيل ربهم أساطير الأولين. وجوابه من وجوه: الأول أنه مذكور على سبيل السخرية... الثاني أن يكون التقدير هذا الذي تذكرون أنه مُنزل من ربكم هو أساطير الأولين... الثالث يحتمل أن يكون المراد أن هذا القرآن بتقدير أن يكون مما أنزل الله لكنه أساطير الأولين ليس فيه شيء من العلوم والفصاحة والدقائق والحقائق".

وواضح أن الرازي يجيز في رأييه الأخيرين القول بورود أساطير القرآن الكريم وأنها من عند الله.

إن المسألة أوضح من أن نختلف عليها بعد الآن والله الهادي الى سواء السبيل.

القصة الأسطورية إذا من القصص الأدبي الذي نجد من المفسرين من أجاز أن يكون موجودا في القرآن الكريم.

والبحث عن مصادر القصص القرآني تتمثل فيه خطورتان: الأولى تتمثل في رجال قد تعرفهم بسيماهم هم أصحاب الثقافة الضحلة والعقل الضيق والنظر القصير. هم أولئك الذين ألقت المقادير بمقاليد الثقافة العربية في أيديهم فظنوا أنهم كل شيء وما هم بشيء. وأنهم أحق الناس لأن يبيِّنوا للناس ما يصح وما لا يصح وما يجوز وما لا يجوز. ولعله

من هنا أخذتهم العزة فتحكموا في البحوث علمية وأدبية. وراعوا في هذا التحكم مصلحتهم وأهواءهم ولم يراعوا مصلحة العلم والمعرفة ولم يراعوا جانب الحق والصواب.

ومن طبع أصحاب العقول الضيقة والنظر القصير إذا خولفوا في أمر من أمورهم أن يستثيروا العامة ويستعينوا بالغوغاء، وهم في ذلك إنما يسيرون على هدى سلف لهم غير صالح هم أولئك الجاهليون الذين كانوا يقولون لقومهم: **{ لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون }** (27)

وأصحاب العقول الضيقة حين تأخذهم العزة في هذا الموقف قد يقفون ويقولون لك : إن البحث عن مصادر القصص القرآني أمر يجب ألا يكون وتسألهم عن السر فيتمشدقون ويقولون: أليس القصص القرآني بعض القرآن؟ وأليس القرآن قد نزل من عند الله؟ وإذن فكيف نبيح لإنسان مهما يكن حظه من العلم والمعرفة، ومهما يكن قدره من العلو والرفعة أن يبحث عن مصادر ما أنزل الله؟ إنها الفتنة فدعوها نائمة ولعن الله مَن أيقظها.

أما الخطورة الثانية فتتمثل في أقوال المستشرقين والمبشرين وتدور حول مصادر القصص القرآني. وهؤلاء المبشرون يحتفلون للحديث عن هذه المصادر أكثر من إحتفالهم لأية مسألة أخرى من مسائل القرآن وسر هذا الإحتفال أن هذه المسألة هي الباب الذي ينفذون منه الى الموازنة بين ما جاء في القرآن الكريم من أحداث وأخبار وما جاء في التوراة والإنجيل وغيرهما من كتب التاريخ والأخبار.

والمستشرقون والمبشرون في موازناتهم ينتهون حتما الى القول بأن في القرآن مخالفات تاريخية وأن هذه المخالفات هي الدليل على أنه من عند محمد، لأنه لو كان من عند الله لتنزه عن هذه المخالفات ولما كان فيه منها كثير أو قليل. وهم يعللون هذه المخالفات بقولهم لأقوامهم: إن محمدا كان يتعلم هذه الأخبار من العبيد والأرقاء، أولئك الأعاجم الذين كانوا يخدمون السادة في قريش والذين أشار القرآن الى واحد منهم حين قال **{ ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين }** (28) وهؤلاء ما كانوا يعرفون من التاريخ الديني للرسل والأنبياء إلا شائعات. ذلك لأنهم بحكم رقهم أو بحكم فقرهم ما كانوا يستطيعون الحصول على نسخ من الإنجيل والتوراة وكتب الأخبار، فلم تكن المطبعة قد وجدت بعد، ولم تكن النسخ المخطوطة من الكثرة بحيث تقع في أيدي هؤلاء. لقد كانت نادرة، وكان الحصول عليها يتوقف على مقدار ما يُدفع في سبيلها من نقد ومن هنا كانت وقفا على الأغنياء. ومن هنا أيضا كانت معارف الفقراء ومعارف العبيد والأرقاء وقفا على الشائعات وليس يخفى أن ما كانت وسيلته المشافهة يكون دائما عرضة للتحريف وعرضة للتغيير والتبديل وعرضة للزيادة والنقصان.

إن أخطاء هؤلاء فيما يقول المستشرقون والمبشرون هي التي ظهرت بوضوح في المخالفات التاريخية التي جاءت في قصص القرآن.

والخطوة الأولى لا تلبث أن تزول حين نبين للرجميين والجامدين ومن على شاكلتهم أننا في هذا الصنيع إنما نجري على سنن سلف لنا صالح هم العلماء الأجلاء من رجال الفقه والدين.

ما الذي فعله المسلمون حين أرَّخوا للتشريع الإسلامي؟ ألم يبحث الأصوليون عن مصادر هذا التشريع؟ ألم يذكر هؤلاء الأصول الأولى لكثير من الأحكام الشرعية الواردة في القرآن الكريم؟ ألم ينته الأصوليون من بحث صلة الإسلام بغيره من الأديان السماوية الى القول بأن شرع من قبلنا شرع لنا ما لم يرد في شرعنا ما يخالفه؟ ألم يعلل المسلمون سر الإتفاق بين الأديان السماوية الذي تشير إليه الآية الكريمة: **{ شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم إليه الله يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب }** (29) وسر الإختلاف الذي تشير إليه الآية الكريمة **{ لكل جعلنا منك شرعة ومنهاجا ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ليبلوكم في ما آتاكم فاستبقوا الخيرات الى الله مرجعكم فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون}** (30) بعلل إجتماعية هي من النواميس الثابتة المستقرة؟ ألم يكن من بين هذه العلل ما يربط الأحكام الشرعية بالبيئة ويجعل تغييرها وتبديلها أو نسخها يتبع العقل البشري في تقدمه والبيئة الإجتماعية في ترقِّيها؟ (31)

فعل المسلمون كل هذا وفعلوا ما هو أخطر من هذا حين ذكروا أن من عناصر الدين الإسلامي ما يرجع الى العهد الجاهلي وأن رجالا ذكروهم قد سنوا ما أبقى عليه القرآن الكريم وجعله عنصرا من عناصر الدين الإسلامي ومن ذلك توريث البنات وجعل حظ الذكر مثل حظ الأنثيين وتحريم الخمر والسكر والأزلام وغيرها من أمور ذكرها صاحب كتاب المحبر في فصل عنوانه " من حكم في الجاهلية حكما فوافق حكم الإسلام. ومن صنع صنيعا في الجاهلية فجعله الله سنة في الإسلام"(32)

إن علينا أن نبحث مصادر القصص القرآني كما بحث الأصوليون مصادر التشريع. بل نحن هنا أولى بالرعاية ذلك لأنهم يبحثون عن مصادر العناصر الدينية وهي عناصر لا تتأتى معرفتها لما فيها من غيبية إلا من طريق الرسل والأنبياء. ونحن إنما نبحث عن مصادر العناصر القصصية وهي عناصر من الوقائع البشرية التي يمكن معرفتها والوقوف عليها من غير طريق الرسل والأنبياء. وإن علينا أن نضع بين يدي الرجعيين والجامدين ومَن على شاكلتهم هذه الآية الكريمة التي تشير في صراحة الى أن القرآن الكريم كان يرد بعض تشبيهاته وأمثاله الى مصادرها الأولى أو الى التوراة والإنجيل:**{ محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار }**(33). وإن علينا أن ننشد الحقيقة الدينية وأن نضع بين أيدي الناس نظرية سليمة تقوم أول ما تقوم على ملاحظة الظواهر المختلفة الموجودة في القصص القرآني وتفسيرها تفسيرا صحيحا وهي نظرية تحل جميع المشكلات التي وقف عندها المفسرون وتخرج بالقصص

القرآني من دائرة التشابه وترد جميع إعتراضات المستشرقين والمبشرين، أما ما على قومنا فهو أن يفهموا رأينا ومذهبنا، وأن يعرفوا الحق للحق، وأن يعلموا أن الدين الإسلامي يفتح أمام العقل الطريق وينير له السبيل ويمكنه من أن يضرب في التقدم الفكري بسهم وافر، إن علينا ما تقدم وإن على قومنا ما تأخر فإن أبوا إلا المضي في العناد وإلا دعاء الأمة الإسلامية الى ذلك القول الذي كان يقوله الجاهليون من قبل **{ لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون }** (34) عمدنا الى الصبر والدفاع عن الحقيقة الدينية والله يرعانا بفضله لأنه القائل: **{ إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد * يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار }** (35).

والخطورة الثانية لا تلبث أن تزول حين نبيِّن للناس حقيقة ما أنزل الله وحين نؤكد للمبشرين والمستشرقين أنهم أقاموا موازناتهم على أساس لم يقصد إليه القرآن الكريم ولم يجعله غرضا من أغراضه وأنه حين ذهبوا الى ما ذهبوا إليه قد تحكموا في الوسائل وفي النتائج العلمية لأن المخالفات التاريخية على فرض وجودها لا يمكن أن تكون الدليل على أن القرآن من عند محمد لم يجئه به الوحي ولم ينزل عليه من السماء.

إن موازنات المستشرقين والمبشرين بين ما جاء في القصص القرآني من أخبار وما جاء منها في التوراة والإنجيل وغيرهما من كتب الأخبار والتاريخ يجب ألا تتم ويجب ألا تكون حتى يثبت قطعا أن القرآن الكريم قد قصد من عرض هذه الأخبار معانيها التاريخية وأنه اختار ما اختار من الأشخاص والأحداث والحوار على أساس أن هذا هو الحق وأنه الذي يتمشى مع المنطق التاريخي. أما إذا كان قصد القرآن من قصصه ليس نشر الوثائق التاريخية وليس تعليم التاريخ فإن صنيع المستشرقين والمبشرين يصبح لا قيمة له ولا خطر منه.

والمسألة الأولى من مسائل هذا الفصل هي أن القرآن الكريم في قصصه لم يسلك مسلك التوراة فلم يقص أخبار الأنبياء والمرسلين كما قصت هي وإنما اختار بعضهم ليقص قصصهم وأعرض عن الباقي **{ ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك}** (36) وهو حين اختار لم يعمد الى أخبار هؤلاء جميعهم وإنما اختار من هذه الأخبار ما يتفق وحالة الدعوة الإسلامية وموقف النبي من قومه ومن هنا لم يكن ذلك التفصيل الموجود في التوراة. ثم إن القرآن الكريم لم يعمد الى الزمن فيجعله العامل الأساسي في ترتيب هذه القصص كما عمدت التوراة. إن كل ذلك إنما يدل على الفارق الأكبر بين قصص القرآن الكريم وبين قصص التوراة وهو أنها قد قصدت الى التاريخ أما هو فلم يقصد إلا الى العظة والعبرة والى البشارة والإنذار والى الهداية والإرشاد والى شرح مباديء الدعوة الإسلامية والرد على المعارضة والى تثبيت قلب النبي عليه السلام ومن اتبعه وزلزلة نفوس المشركين والكفرة والى غير ذلك من مقاصد وأغراض ليس منها التاريخ على كل حال.

والمسألة الثانية هي أن هؤلاء الذين اختارهم القرآن الكريم ليقص قصصهم لم يكونوا جميعا من البيئة العربية وإنما كانت الكثرة الكاثرة منهم من غيرها، من بلاد المصريين والعبريين والسبئيين ومن بلاد اليونان والرومان وأقاموا فيها وأرسلوا الى أهلها ووقعت أحداثهم في هذه البلاد وجرى الحوار فيما بينهم وبين من أرسلوا إليهم بلغات هذه الأقاليم بل جرى الحوار أحيانا بلغات قد لا نعرفها وقد لا يستطيع عقلنا القاصر أن يتصورها وإلا فبأي لغة تحدث الخالق جلَّ وعلا الى كل من الملائكة وإبليس في قصة خلق آدم وبأي لغة تحدث إبليس الى آدم في قصة الخروج من الجنة. إنها الأمور التي لا نعرف منها إلا الفروض الخيالية (37).

هذه الكثرة الكاثرة من الرسل والأنبياء عليهم السلام من أمثال آدم ونوح وإبراهيم وإسحاق ويعقوب وسليمان وداود ويوسف وموسى وأيوب ويونس والياس وغيرهم لم يكونوا مجهولين في بيئتهم الأولى وإنما كانوا معروفين تعرف كلا منهم بيئته وتقص أخباره على بنيها وتنقل هذه الأخبار الى الأمم المجاورة ونعتقد أن ليس هناك من يدعي أن الذي قد حدث غير هذا وأن هذه الأمور من المسائل التي استأثر الله بعلمها وأنها من الغيب الذي لا يعرفه إلا من يطلعه الله عليه لأن هذا القول مما يخالف طبائع الأشياء.
كانت هذه الأشياء من الأمور المعروفة في بيئات الرسل عليهم السلام وفي البيئات التي انتقلت إليها هذه الأخبار, والذي نريده الآن هو الوقوف على الصلة التي كانت قائمة بين هذه الأقاصيص وبين البيئة العربية عامة والمكية بصفة خاصة قبل البعثة المحمدية وقبل نزول القرآن فهل كانت البيئة تعرف من أمر هؤلاء الرسل شيئا أو كانت تجهل من أمرهم كل شيء؟ إن الإجابة عن هذا السؤال من الخطورة بمكان ذلك لإنها التي ستحدد لنا المسائل التالية:

(1) المصدر الذي صدرت عنه هذه العناصر القصصية التي استخدمها القرآن الكريم في بناء القصص فهل كانت العقلية العربية أو كانت بيئات أخرى هي بيئات الرسل والأقوام؟ إن هذا هو الذي سيبين لنا مذهب القرآن الكريم في بناء القصة من حيث صلة العناصر بالبيئة فهل كان يذهب الى بناء القصة على ما هو المألوف من العناصر أو على ما هو الغريب النادر؟

(2) الصنيع البلاغي الذي قام به القرآن والدور الفني الذي لعبه في تاريخ الحياة الأدبية للأمة العربية وذلك بجوره سيمكننا من الوقوف على أسرار الأعجاز في القصص القرآني ويجعلنا نفهم الحكمة التي من أجلها تحدى القرآن العرب بالسور المفتريات.

(3) الوصول الى قاعدة أو نظرية يمكننا تطبيقها من حل المشكلات ورد الإعتراضات والخروج بالقصص القرآني من دائرة المتشابه.

والصلة بين هذه الأقاصيص وبين البيئة العربية تتحدد بما يلي:

(1) نوع نستطيع أن نسلم منذ اللحظة الأولى بأنه كان مجهولا في البيئة المكية جهلا يكاد يكون تاما وذلك هو النوع الذي نزل ليثبت نبوة النبي عليه السلام والذي جاء إجابة عن تلك الأسئلة التي يتوجه بها المشركون من أهل مكة الى النبي ليعرفوا صدق رسالته وصحة نبوته، ومن أمثلته قصص أصحاب الكهف وذي القرنين. والظاهرة الجديرة

بالتسجيل في هذا الموقف هي أن هذا القصص لم يرد إلا مرة واحدة فهو لم يتكرر تكرر غيره ولم يجيء لأغراض كثيرة ومختلفة. والتفسير الذي نرى أنه الصحيح بالنسبة الى هذه الظاهرة هو أن القرآن الكريم ما كان يذهب مذهب أولئك الذين يبنون أقاصيصهم على ما هو الغريب النادر من العناصر إلا حين تدعو الى ذلك ضرورة ملحة كأن تكون الغرابة نفسها هي المقصد والغرض كما هو الحال بالنسبة الى الأقاصيص السابقة. أما حين لا تدعو الى ذلك ضرورة من الضرورات فإنه لم يكن ليبعد عن العقلية العربية.

(2) ونوع نستطيع أن نسلم أيضا منذ اللحظة الأولى بأنه كان معروفا في البيئة العربية وذلك من أمثال هذه الأقاصيص التي وردت إشارات عنها في الشعر الجاهلي كقصص أحمر عاد وأحمر ثمود وقصص الجن مع سليمان أو تلك التي بدأت بالتعبير القصصي **{ أم تر }** فيما يذهب إليه المفسرون (38)

والظاهرة الجديرة بالتسجيل في هذا المقام هي أن أقاصيص هذا النوع قد كررت وجاءت في أكثر من موطن ولأكثر من غرض وتشهد بذلك أقاصيص عاد وثمود أو هود وصالح. والتفسير الذي نعتقده صحيحا في هذا المقام وهو أن القرآن الكريم كان يذهب مذهب من يبني الأقاصيص على ما هو المألوف أو ما هو المشهور المتداول من مسائل التاريخ وقضاياه.

(3) نوع ثالث وهو الكثرة قد يشتبه فيه القاريء فلا يدري أهو من النوع الأول أم هو من النوع الثاني وأمثلته أقاصيص آدم مع إبليس وقصة الخلق وقصص لوط ونوح وإبراهيم وإسحاق ويعقوب ويوسف وداود وأيوب وغيرهم. وهو نوع نستطيع أن نصل الى حقيقة الأمر في الصلة بينه وبين البيئة العربية وبخاصة المكية بأمرين الأول طريقة القص والثاني التكرار.

(أ) أما طريقة القص فتشعرنا بأنه كان معروفا ذلك لأن القرآن كان يجري في القصص أول الأمر على اسلوب موجز فكانت أقاصيصه أشبه بالإشارات الى ما هو المعروف. أو كانت لفتات الى أحداث تعرفها البيئة ولا تجهل من أمرها شيئا وذلك هو الواضح تماما من مجموعة أقاصيص سورة القمر. ولعل مما يؤكد هذا الذي نذهب إليه أن القصص القرآني كان يقصد منه أول الأمر الإنذار والعظة والعبرة وكلها من المقاصد التي تطلب من الأحداث المعروفة حتى يكون للإنذار خطره وللعبرة أثرها.

وأما التكرارا فإنه يؤدي الى النتيجة نفسها حين يفيد أن القرآن الكريم كان يجري على مذهب أدبي معين هو بناء القصة القرآنية من مواد معروفة ومشهورة ومتداولة في البيئة ذلك لأنه على فرض أن هذه المواد التاريخية ما كانت معروفة في البيئة العربية قبل البعثة المحمدية ونزول القرآن فإن ما نزل منها أولا كان يكفي بالتعريف بها وما نزل ثانيا وثالثا ورابعا... إلخ يعتبر من قبيل بناء القرآن للقصة على ما هو المعروف أو المشهور المتداول.

ومما يؤيد ما نذهب إليه أن دوران هذه المواد في القرآن كان يتبع الشهرة فالشخصية التي عرفت واشتهرت والأحداث التي شاعت في البيئة كانت أكثر المواد إستخداما في بناء القصة القرآنية. وعلى العكس من ذلك الأحداث التي لم تعرف والشخصيات التي لم تشتهر. ولعله من هنا كانت شخصية موسى أكثر دورانا من شخصية أيوب مثلا بل أكثر من أي شخصية أخرى. ذلك لأن موسى كان نبي اليهود ولقد كان اليهود في ذلك الزمن يسيطرون على البيئة العربية من حيث التفكير الديني حتى لقد كان العرب أنفسهم يستشيرونهم في أمر محمد عليه السلام. وهذه السيطرة تجعلهم يقصون كثيرا أخبار موسى وفرعون وقليلا أخبار غيره من الأنبياء.

إن مذهب القرآن فيما يتضح من الظواهر السابقة هو بناء القصة القرآنية على عناصر يستمدها من البيئة أو من العقلية العربية وليس ذلك إلا ليكون القصص أشد تأثيرا وأقوى سلطانا وإلا ليمضي القص بين المألوف العادي من الأحداث والأشخاص والغريب النادر من الأفكار والآراء.

مصادر القصص القرآني في الغالب هي العقلية العربية فالقرآن لم يبعد عنها إلا في القليل النادر ومن هنا جاءت فكرة الأقدمين القائلة بأن القرآن ليس إلا أساطير الأولين ذلك لأنهم نظروا فوجدوا الشخصيات القصصية والأحداث القصصية مما يعرفون ومن هنا أيضا كان كل من الرازي والنيسابوري في غاية اللباقة والدقة في الفهم حين فرَّقا بين جسم القصة وهيكل الحكاية وبين ما جاء فيها من توجيهات دينية وحين قالا بأن هذه التوجيهات هي المقصد الأول من القصص القرآني أما الجسم والهيكل فليست له قيمة كبيرة لأنه ليس المقصد والغرض وليس هناك ما يمنع من أن يكون الجسم أو الهيكل من أساطير الأولين. ولعلك لا زلت تذكر نص الرازي الذي وضعناه بين يديك في الفصل الأول من هذا الباب عند حديثنا عن القصة الأسطورية، فإنه النص الذي يشير إليه في هذا المقام.

يأخذ القرآن كما ترى عناصره القصصية من البيئة العربية ويبني من هذه العناصر أقاصيص هي التي نراها في القرآن الكريم. نكتفي بهذا الجزء من كتاب " الفن القصصي في القرآن" ونضيف إليه أن الأستاذ محمد أسد في ترجمته الإنجليزية للقرآن اشار الى وجود الأساطير في القرآن في موضعين. أولا في تعليقه على الآية 77 من سورة الأنبياء والذي فيها يتكلم القرآن عن جن سليمان. وثانيا في تعليقه على الآية 17 من سورة النمل. وفيما يلي النص الإنجليزي للتعليقين:

(13) But when Our light-giving messages came unto them, they said" This is clearly [but] spellbinding deception!" (14)- and in their wickedness and self- exaltation they rejected them, although their minds were convinced of their truth: and behold what happened in the end to those spreaders of corruption! (15) AND INDEED, We granted [true] knowledge unto David and Solomon [as well]; and both were wont to say:" All praise is due to God, who has [thus] favoured us above many of His believing servants!"

(16) And [in this insight] Solomon was [truly] David's heir; and he would say:" O you people! We have been taught the speech of birds, and have been given [in abundance] of all [good] things; this, behold, is indeed a manifest favour [from God]!" (17) And [one day] there were assembled before Solomon his hosts of invisible beings, and of men. And of birds: and then they were led forth in orderly ranks. (18) Till, when they came upon a valley [full] of ants, an ant exclaimed:" O you ants! Get into your dwellings, lest Solomon and his hosts crush you without [even] being aware [of you]!" (19) Thereupon [Solomon] smiled joyously at her words, and said:" O my Sustainer! Inspire me so that I may forever be grateful for those blessings of Thine with which. Thou hast graced me and my parents,(17) and that I may do what is right [in a manner] that will please. Thee; and include me, by Thy grace, among Thy righteous servants!"

.. فلما جاءتهم ءَايتنا مبصرة قالوا هذا سحر مبين (13) وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا فانظر كيف كان عقبةُ المفسدين (14) ولقد ءَاتينا داوود وسليمن علما وقالا الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين (15) وورث سُليمن داوود وقال يا أيها الناس علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شيء إن هذا لهو الفضل المبين(16) وحُشر لسُليمن جُنُوده من الجن والإنس والطير فهم يوزعُون(17) حتى إذا اتوا على واد النمل قالت نملة يأيها النمل ادخلوا مسكنكم لا يحطمنكم سُليمن وجنوده وهم لا يشعرون (18) فتبسم ضاحكا من قولها وقال رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليَّ وعلى والدي وأن أعمل صالحا ترضه وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين (19) وتفقد الطير فقال مالي لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين (20) لأعذبنه عذابا شديدا أو لأ أذبحنهُ.

17-In this instance, Solomon evidently refers to his own understanding and admiration of nature (cf.38:31-33 and the corresponding notes) as well as to his loving compassion for the humblest of God's creatures, as a great divine blessing: and this is the Qur'anic moral of the legendary story of the ant.

And among the rebellious forces {which We made subservient to him] there were some that dived for him [into the sea] and performed other works besides: but it was We who kept watch over them.(82) And [remember] Job, when he cried out to his Sustainer,"Affliction has befallen me: but Thou art the most merciful of the merciful!"-

...ومن الشياطين من يغوصون له ويعملون عملا دون ذلك وكُنا لهم حافظين (82) * وأيوب إذ نادى ربه أني مسَّنى الضُّرُّ وأنت أرحمُ الرحمين.

82- In this as well as in several other passages relating to Solomon, the Qur'an alludes to the many poetic legends which were associated with his name since early antiquity and has become part and parcel of Judaeo-Christian and Arabian lore long before the advent of Islam. Although it is undoubtedly possible to interpret such passages in a "rationalistic" manner, I do not think that this is really necessary. Because they were so deeply ingrained in the imagination of the people to whom the Qur'an addressed itself in the first instance, these legendary accounts of Solomon's wisdom and magic powers bad acquired a cultural reality of their own and were, therefore, eminently suited to serve as a medium for the parabolic exposition of certain ethical truths with which this book is concerned: and so, without denying or confirming their mythical character, the Qur'an uses them as a foil for the idea that God is the ultimate source of all human power and glory, and that all achievements of human ingenuity, even though they may sometimes border on the miraculous, are but an expression of His transcendental creativity.

الهــوامــش

1 - سورة **يونس**، الآية 39.
2 - **التفسير الكبير**، جـ 4، ص 591.
3 - سورة **البقرة**، الآية 275.
4 - سورة **الكهف**، الآية 90.
5 - **المنار**، جـ 1، ص 399.
6 - سورة **الأنعام**، الآية 25.
7 - سورة **الأنفال**، الآيتان 31- 32.
8 - سورة **النحل**، الآية 24.
9 - سورة **المؤمنون**، الآيتان 83- 84.
10 - سورة **الفرقان**، الآيتان 5- 6.
11 - سورة **النمل**، الآيتان 67- 68.
12 - سورة **الأحقاف**، الآية 17.
13 - سورة **القلم**، الآية 10- 15.
14 - سورة **المطففين**، الآيات 10- 13.
15 - سورة **الأنعام**، الآية 25.
16 - سورة **الأنفال**، الآية 31.
17 - نفس السورة، الآية 32.
18- سورة **الأحقاف**، الآية 17.
19- سورة **الفرقان**، الآيتان 5- 6.
20 - **التفسير الكبير**، جـ 6، ص 354.
21 - سورة **النحل**، الآية 24.
22 - سورة **البقرة**، الآيتان 259- 260.
23 - **المنار**، جـ 3، ص 52.
24 - الرازي، جـ 2، ص 333.
25 - مادة **أصحاب الكهف**، في دائرة المعارف الإسلامية.
26 - راجع مادة **أصحاب الكهف** ومادة **إلياس** من دائرة المعارف الإسلامية.
27 - سورة **فصلت**، الآية 26.
28 - سورة **النحل**، الآية 103.
29 - سورة **الشورى**، الآية 13.
30 - سورة **المائدة**، الآية 48.
31 - راجع **إخوان الصفاء**، جـ 4، ص 22.
32 - **المحبر**، لأبي محمد بن المتوفي سنة 245، ص 236- 243، ط حيدر آباد سنة 1261.
33 - سورة **الفتح**، الآية 29.
34 - سورة **فصلت**، الآية 26.
35 - سورة **غافر**، الآيتان 51- 52.
36 - سورة **النساء**، الآية 164.
37 - راجع **المستصفى**، للغزالي، جـ 1، ص 328- 329.
38 - راجع **تفسير سورة الفجر** في كل من الرازي والكشاف.

7 ـ تواتـر القـرآن

يدعى جمهور الأصوليين أن القرآن متواتر عن نبي الإسلام من طريق القراء السبعة أو العشرة، والتواتر لـه تعاريف وشروط تختلف بـإختلاف رأي الأصوليين والمحدثين، فقد حـاول كثير مـن الأصـوليين التساهل فـي شروط التـواتر ليثبتوا عنوة تواتر القراءات السبعة، بل ادعى بعضهم تواتر القراءات العشر. وسبب ذلك إدراكهم أن الإعتراف بعدم تواترها سيجعل الناس تشك في صيانة القرآن من التحريف، لذلك كلـه نجد أن هنالك من تنـازل حتـى زعم أن التـواتر يثبت برواية أربعة أو خمسة فقط، بينما أوصل آخرون العدد الـى المئـات، وقـال بعضـهم عشرة، ورفض آخـرون كل هذه الأقوال وزعموا أنه لا يشترط للتواتر عدد وأن العبرة بحصول العلم القطعي والعلم بـالمتواتر عندهم ضـروري، لكنهم لم يخبرونا من هو مقياس حصـول العلم؟ هل هو المسلم الذي يميل لتصديق أي شـيء يثبت معتقده أم الباحث الناقد والمتشكك، فأصبح الأمر عندهم مقلوبـا فمتـى حصل العلم عند المرء أصبح الخبر متـواترا بـرأيهم، لكن هذا يقتضي حصول العلم الضروري عند الكل إن استووا في معرفـة حـال الخبر المنقول وليس الأمر كذلك فكيف يحجنـا هؤلاء بتواتر القراءات القرآنية ولم يحصل عندنا العلم الضـروري بذلك؟!. من هذا يتبين أن العلم الحاصـل بـالمتواتر ليس ضروريا بل نظري وهو مـا ذهب إليه الكعبي وأبـو الحسين البصـري مـن المعتزلـة وأبـو المعـالي الجـويني وأبـو حامد الغزالي من أهل السنة (المصدر: مقدمة كتاب نظم المتناثر من الحديث المتواتر للكتاني)، فإثبات التـواتر لا يكون إلا بعد النظر للتثبت من إمكـان تواطـؤ رواة الخبـر علـى الكذب أو عدم إمكـان ذلك. وحين ننظر فـي الشـروط التـي يستحيل معهـا التواطـؤ علـى الكذب، فإننـا نـرى أنـه لا بـد مـن وجـود عدد كبيـر مـن النـاقلين وأن لا تجمعهم مصـلحة مشتركة في الكذب وأن لا تحتوي بلدة واحدة عليهم. والسؤال هو كيف يدعي بعض الأصـوليين تـواتر القـراءات السبع أو العشر ولم ترو عن القارئ إلا من طريق اثنين؟! والأدهـى مـن ذلك أن الـراويين الإثنين كانـا يختلفان عن شيخهما فنجد أن حفص قد اختلف عن شعبة في الرواية عن عاصم، واختلف قالون وورش في الرواية عن نافع، وكذلك جميع الروايات مختلفة للراويين عن مقرئهما. وقد كره قراءة حمزة أحمد بن حنبل وكثير من أئمة السلف وهي من القـراءات السبعة المزعوم تواترها حيث إن مزاعم تواتر القراءات لم تشتهر إلا عند المتأخرين من الأصوليين. ومما يشـهد لذلك أيضـا أن الإمـام الطبـري يـرجح قـراءات علـى أخـرى فـي تفسيره ويصـحح بعضـها علـى حسـاب الآخـر فهـو لـم يعتبـر القراءة توقيفية ومتواترة بل اجتهاد القراء ولم يكفره المسلمون.

وجميع أسانيد القرآن اليوم تعود الى ابن الجزري (ت 833 هـ) الذي يقول " وقد شـرط بعض المتـأخرين التـواتر فـي هذا الركن، وزعم أن القرآن لا يثبت إلا بالتواتر، وأن ما جاء مجيء الآحاد لا يثبت بـه قـرآن، وهـذا ممـا لا يخفـى مـا فيه، وإذا اشترطنا التواتر في كل حرف من حروف الخلاف انتفى كثير من أحرف الخـلاف الثابت عن هؤلاء الأئمة السبعة وغيرهم، ولقد كنت قبل أجنح الى هذا ثم ظهر فسـاده." (المصـدر: النشـر فـي القـراءات العشـر 18/1 نقـلا عن ملتقى أهل التفسير). ويقول الإمام أبو شامة:" والحاصل إنا لسنا ممن يلتزم بـالتواتر فـي جميع الألفاظ المختلف فيها بين القراء، بل القراءات كلها منقسمة الى متواتر وغير متواتر، وذلك بين لمن أنصـف وعـرف وتصـفح القـراءات وطـرقهـا، وغاية ما يبديه مدعي تواتر المشهور منها، كإدغام أبي عمرو، ونقـل الحركـة لـورش، وصـلة مـيم الجمـع وهـاء الكنايـة لإبن كثير، أنه متواتر عن ذلك الإمام الذي نسبت القراءة إليه بعد أن يجهد نفسه في استواء الطرفين والواسطة، إلا أنه بقي عليه التواتر من ذلك الإمام الى النبي (ص) وآله في كل فرد من ذلك، وهنالك تسكب العبرات، فإنها من ثـم لـم تنقل إلا آحـادا إلا اليسـير منهـا (المرشـد الـوجيز ص 177– 178 نقـلا عـن شـبكة الشيعة العالميـة). وقـال الزركشـي فـي البرهان:" والتحقيق أنها متواترة عن الأئمة السبعة، وأما تواترهـا عن النبـي وآلـه ففيـه نظـر، فـإن إسـناد الأئمـة السـبعة بهذه القراءات السبع الموجود في كتب القراءات، وهـي نقل الواحد عن الواحد، لـم تكمـل شـروط التـواتر فـي اسـتواء الطرفين والواسطة، وهذا شيء موجود في كتبهم، وقد أشار الشيخ شهاب الدين أبو شامة في كتابه المرشد الوجيز الـى شيء من ذلك (البرهان ج 1 ص 318، نقلا عن شبكة الشيعة العالمية).

وسنرى في الموضوع شهادة الشوكاني أيضا وعدم تحقق شيء من مزاعم التواتر.

هل القراءات القرآنية متواترة؟

من الفرضيات التي تراها غير واقعية عند دراستك لعلوم القرآن هو القول بأن القرآن متواتر الـى السيد محمد بـن عبد الله .. أنا هنا لا أناقش علاقة القرآن بين السيد محمد وبين ربه ..بل أنـاقش تـواتر القـرآن الـى السيد محمد فقط .. عند النظر فـي كـلام علمـاء القـراءات تجدهم يقرون بـأن القـراءات ليست متـواترة ..! وهـذا أمـر يبـدو غريبـا؛ لأن القـول الغالب الأعم بين كل المسلمين تقريبا علمائهم وعوامهم هو ادعاء التـواتر اليقينـي للـنص القرآنـي جيلا بعد جيل .. فلا تفهم هنا كيف يجتمع المتناقضان ..

يقول الإمـام الشـوكاني فـي " إرشـاد الفحـول" (ص 63): (((وقد ادُعِيَ تـواتر كـل واحـدة مـن القـراءات السـبع، وهـي قراءة أبـي عمـرو ونـافع وعاصم وحمزة والكسـائي وابن كثيـر وابـن عـامر. وادعـي أيضـا تـواتر القـراءات العشـر، وهـي هذه مع قراءة يعقوب وأبي جعفر وخلف. وليس على ذلك أثارة من علم ..!! فإن هذه القراءات كل واحدة منهـا منقولـة نقلا آحاديا، كما يعرف ذلك من يعرف أسانيد هؤلاء القراء لقراءاتها. وقد نقل جماعة من القراء الإجمـاع علـى أن فـي هذه القراءات ما هو متواتر وفيها ما هو آحاد، ولم يقل أحد منهم بتواتر كل واحدة من السبع فضـلا عن العشـر، وإنمـا هو قول قاله بعض أهل الأصول. وأهل الفن أخبر بفنهم))) ولكن المشكلة ليست في تواتر النص القرآنـي فـي العصـور المتأخرة، بل المعضلة الحقيقية تكمن فـي إثبـات تـواتره عن أول طبقتين: عن طبقـة الصـحابة .. وعن طبقـة القـراء .. فشروط التواتر عنهم لم تتحقق لا من حيث الكيف ولا من حيث الكم:

(أ) من حيث الكم:

1 - من الثابت في أسانيد القراءات أنها تدور جميعها حول سبعة أو ثمانية صحابة فقط لا غير..

2 - ومن الثابت في أسانيد القراءات العشر أن كل قراءة تنتهي بقارئ واحد هو الذي أسسها..

3 - القرآن ليس خبرا أصلا ..!! بل عدة آلاف من الأخبار بعدد الآيات ..! وهذا يعني قطعا الحاجة الى أعداد أكبر بكثير جدا لتحقيق الكثرة التي تحيل العادة تواطؤها على الكذب أو الوهم..

(ب) من حيث الكيف:

كل الرواة من نفس الدين والجماعة .. ولا يمكن الإختلاف على أن هناك مصلحة عقلية مشتركة وواضحة في جمع الناس على دستور واحد لتوحيد الصفوف ومنع الإختلاف وإقامة دولة متماسكة .. وهذا يتناقض مع معنى التواتر الحقيقي الذي يتحدث عنه المناطقة .. هذا تلاعب بالمعنى لا أكثر .. لأن التواتر الذي يعني به المناطقة أمر آخر يشترط فيه رواية الخبر عن وفرة من المخبرين.

وهنا يجب التنويه الى شيئين:

1 - قول البعض بأن القرآن لم يقتصر على الأسانيد الواردة، إنما كانت هناك أسانيد أخرى ولكن لم يتم تسجيلها هو ادعاء بلا دليل .. وهو يفتح الباب لكل مدعي أن يثبت أن كتابه صحيح .. يمكن للمسيحيين مثلا أن يقوموا بنفس الإدعاء ويؤكدون أن الكتاب المقدس متواتر ولكن لم يتم تسجيل الأسانيد .. بل يمكنني أن أخترع الآن كتابا وأدعي تواتره عن شخص مات منذ ألف عام بنفس الطريقة ..

2 - يظن البعض أن القراءات شيء والقرآن شيء آخر .. وهذا غير صحيح أيضا .. فالقرآن هو مجموع تلك القراءات، وليس هناك وجود منفصل لقرآن دون قراءات.. فالقراءات تختلف عن بعضها البعض في كلمات وحروف، أو ما يسمى بالـ" فرشيات"، كما هي تختلف في كيفية النطق أو ما يعرف بـ " أصول القراءة". ويكون القرآن ليس متواترا كما هو واضح، فإن هذا يضرب المنطق في مقتل من حيث كونه كتابا مرسلا عن إله تكفل بحفظه وإزالة الشبهات عنه ..

تساؤلات:

(1) هل يشترط التواتر معرفة أحوال الرجال في كل طبقة أم أن شرطه هو الكثرة في كل طبقة فقط من غير بحث في أحوال رجالها؟

ج / لا يشترط معرفة حال كل رجل .. ولكن هناك شروط كيفية في هذه الوفرة، منها مثلا:

1 - ألا تحل العادة اتفاقهم على الكذب: فمن الممكن عقلا أن يتفق مائة شخص مثر على نشر شائعة معينة بين الناس .. والسبب هو اجتماعهم على مصلحة مشتركة بينهم، كأن يكونوا فرقة من فرق المخابرات، ويريدون إرباك صفوف العدو، فيأمرهم الضابط الكبير بأن ينشروا شائعة معينة بين صفوف العدو تضعف من شوكته.

2 - ألا يكونوا من أهل عقيدة ما والخبر متعلق بعقيدتهم: لنفس السبب، وهو حصول المصلحة المشتركة.

مثلا يقول الدكتور يوسف الجديع في كتابه " تيسير أصول الفقه" عن التواتر اصطلاحا: ما اجتمعت فيه شروط ثلاثة:

1 - يرويه عددٌ كثيرٌ يستحيل في العادة أن يتواطأ على الخطإ، بسبب تباعُدِ بلدانهم، أو فرط كثرتهم، أو لدينهم وصلاحهم وشهرتهم بذلك.

2 - يرويه عنهم مثلهم من مصدره رسول الله الى منتهاه.

3 - أخذ بعضهم عن بعض قد استند الى الحِس، وهو السماعُ أو ما في معناهُ مما يثبتُ به الإتصال.

وهذا هو التناقض الذي أعنيهِ.. فعلماء المسلمين يقرون بهذه الشروط ثم يتجاهلون عدم مطابقتها لواقع القرآن على الإطلاق..!

(2) هل يعتبر سكوت الباقي عن البعض الناقل للخبر خاصة في مسألة هامة كنقل القرآن يعتبر موافقة على النقل وبالتالي يتحقق التواتر أم لا؟

ج / بالطبع لا .. فالساكتون قد لا يحفظون القرآن أصلا ومن ثم لا يعرفون خطأه من صوابه ..! فضلا عن ذلك: فلا يوجد دليل قطعي على أن من سكت سكت برغبته وليس بالقوة. وفضلا عن ذلكما: فحتى على مستوى العلوم الإسلامية، فالإجماع السكوتي في أصول الفقه حكمه ظني..!

(3) هل للقرآن مزية عن غيره من النصوص تجعل تواتره أمرا لا مرية فيه مثل ترداده 3 مرات يوميا في الصلوات الجهرية في كل مصر من الأمصار وختمه في بعض المناسبات السنوية كصلاة التراويح في شهر رمضان وتدارسه والإقبال على حفظه والتغني به والإستشهاد بآياته والرجوع إليه في الأحكام والتقاضي في مختلف العصور، هل نص له تلك الميزة ولم ينقل أن أحدا اختلف عليه يمكن الشك في تواتره؟

ج/ لا .. فالقرآن نزل متفرقا ولم يكتمل إلا في آخر حياة السيد محمد .. ونحن لا نعلم بشكل يقيني ما هي الآيات التي كانت تستخدم في الصلاة .. فضلا عن أن حفظة القرآن لم يكونوا أكثرية، وغالب المسلمين كان أميا لا يعلم من الدين إلا الضرورات.. هذا عن مرحلة تكون القرآن.. أما عن مرحلة ما بعد استقرار النص القرآني فليست دليلا على شيء،

فقد تواتر القرآن بعد ذلك في الطبقات المتأخرة كأي كتاب يتم تأليفه ثم ينتشر.. فالمشكلة ليست في الطبقات المتأخرة من السند وإنما في الطبقة أو الطبقتين التي تعقب محمد مباشرة.

(4) هل اتفاق سبعة من الناس على نص طويل به أكثر من سته الآف آية ومكون من أكثر من 77 ألف كلمة وأكثر من خمسمائة صفحة بحيث لم ينقل أحدهم كلمة واحدة زائدة أو ناقصة أو ترتيبا للكلمات مختلفا عن صاحبه يمكن أن نشك في أن نقلهم ثابت وقطعي؟

ج/ بالتأكيد لا .. لأن:

1 - اتفاقهم على نص موحد بينهم ينقلونه لمن بعدهم أمر طبيعي جدا وغير مستحيل عقلا.. فالعقل لا يحيل ذلك.. والتاريخ يظهر لنا مدى الإختلافات التي وقعت بين المسلمين في القرآن حتى اضطر عثمان بن عفان الى تحريق المصاحف وعقد لجنة لكتابة مصحف واحد يجتمع عليه الكل.

2 - وحتى بعد اجتماعهم ذلك ظهرت اختلافات جديدة بين القراءات في الطبقة الثانية وهي طبقة القراء العشرة.

(5) وكذا القول فيمن نقل عن الصحابة وفضلا عن ذلك يمتنع عليهم التواطؤ على الكذب على الأصحاب لتباعدهم وتفرقهم في الأنحاء فقد نقلوا عن الصحابة بعد تفرقهم في الأمصار.

ج/ لم يحدث ذلك.. فالقرآن لم يرد مسندا إلا عن سبعة صحابة أو ثمانية .. فأين هي تلك الوفرة التي تمنع وقوعهم في الكذب أو الوهم؟؟ وقد أورد التاريخ اختلافات كثيرة بين مصاحف الصحابة وبين المصحف العثماني الذي أمر عثمان بن عفان بإحراق كل المصاحف الأخرى عداه..

(6) أما القول بتواطؤ الأصحاب، وهم ليسوا عشرة ولا عشرين بل آلاف، على تغيير القرآن بحيث اتفقوا على صيغة موحدة فهذا قول مردود لأن الصحابة فضلا عن أنهم كانوا مؤمنين بهذا القرآن وكانوا احرص الناس على أن يبقى القرآن محفوظا بمنأى عن التغيير والتبديل والتحريف ولذا بادروا الى جمعه، كيف تواطأ هذا الجمع الغفير على كتمان حقيقية تغيير القرآن دون أن يتسرب ذلك الى غيرهم؟!!

(7) المسلمون متفقون على تواتر القرآن لا تواتر القراءات أما كلام الشوكاني فعن تواتر كل قراءة على حدة ومجموع القراءات يتحقق معه التواتر لأن القراءات الفوارق بينها طفيف لا يكاد يُذكر.

ج/ هذا غير صحيح أيضا.. فالقرآن هو مجموع تلك القراءات، وليس هناك وجود منفصل لقرآن دون قراءات.. فالقراءات تختلف عن بعضها البعض في كلمات وحروف، أو ما يسمى بالـ "فرشيات"، كما هي تختلف في كيفية النطق أو ما يعرف بـ" أصول القراءة".

يعني ببساطة شديدة: لو كان عندكم أسانيد متواترة للقرآن منفصلة عن أسانيد القراءات فلتأتونا بها .. أما إن الإختلافات بين القراءات طفيفة فهو قول لا يخفى عليكم غرابته .. فالتواتر لا يعترف بمثل هذه الكلمات ..!! إما أن يكون الخبر منقولا كما هو بالضبط وإما يسقط التواتر، لأن حكم التواتر هو القطع واليقين.. فضلا عن ذلك فالإختلافات بين القراءات تقدر بالألاف..!!

ولا يوجد في التواتر ما يسمى بمعرفة أحوال الرواة ... صلاح أهل البلدة قرينة تضاف للتواتر ولكن التواتر لا علاقة له بأحوال الرواة وهل كانوا مؤمنين بما رووه أو لا .. التواتر له شروط حاسمة وقد سبق ذكر بعض منها:

1 - أن يرويه عدد كثير وفير بحيث يستحيل تخيل اجتماعهم على الكذب أو الوهم أو تواطؤهم لأي مصلحة .. بعضهم حدد العدد بمائتي شخص والبعض اشترط أن يروي الخبر آلاف ..! والصواب أن تحديد العدد خاطئ أصلا، لأن الكثرة يجب أن تكون بحيث لا يمكن حصرها بعدد معين.. هذا هو مفهوم التواتر ومفهوم الوفرة التي يعنيها المناطقة والمعنية بالتلاعب في موضوعنا، فجرى الإدعاء بأن القرآن متواتر، مع عدم تطابق شروط التواتر المذكور. إن مجرد ذكر شروط التواتر تشير الى العلم بالشئ في حين تعطي الإنطباع إن العلم بالشئ سيؤدي بالضرورة الى الإلتزام به وهذه النقطة أهي التي خدعت العقل..!

2 - أن تكون هذه الوفرة في جميع طبقات السند من أوله لمنتهاه.

التواترُ لغة: التتابع، يُقالُ (تواترتِ الخيلُ) إذا جاءت يتبعُ بعضُها بعضا، و(جاءْوا تَتَري) أي متتابعين وترا بعد وتر، و(الوترُ) الفردُ، فمن هذا قيل للحديث (مُتواترٌ) لأجل تتابُع الأفراد فردا بعد فرد على روايته.

واصطلاحا: ما اجتمعت فيه شروط ثلاثة:

1 - يرويهِ عددٌ كثيرٌ يستحيلُ في العادة أن يتواطأ على الخطا، بسبب تباعُدِ بلدانهم، أو فرط كثرتهم، أو لدينهم وصلاحِهم وشهرتهم بذلك.

2 - يرويه عنهُم مثلهُم من مصدره رسول الله الى منتهاه.

3 - أخذ بعضهم عن بعض قد استند الت الحِس، وهو السماعُ أو ما في معناهُ مما يثبتُ والتواتر يشترط رواية جمع غفير عن جمع غفير لا يربط بينهم هدف أو مصلحة من الإتفاق .. ويجب أن تكون الوفرة بحيث لا يمكن حصرهم .. وهذه الشروط لم تحدث لا على مستوى الصحابة الذين رووا القرآن ولا على مستوى طبقة القراء التي أخذت عنهم .. فلا هم جمع غفير، ولا هم يستحيل تواطؤهم من أجل مصلحة مشتركة أو وهم..

بالنسبة للتواتر: لا معنى لكلمة " اختلافات طفيفة" عند الحديث عن التواتر .. إما أن ينطبق الخبر تماما وبالحرف وإما لا تواتر ولا يحزنون..

ـ بالنسبة للإختلافات بين القراءات: فعددها يحصى بالآلاف، ما بين اختلافات في حروف أو اختلافات في كلمات أو غياب حروب أو غياب كلمات.. برجاء الإطلاع على مفهوم التواتر في أي كتاب أصول فقه إسلامي .. نرشح لكم منها: المحصول للرازي، فواتح الرحموت لإبن الحاجب، الضروري في أصول الفقه، أو تيسير أصول الفقه لإبن الجديع.

البعض يقدم أسماء صحابة قرؤوا على صحابة ليس على المصدر الأول ليصبح الطرفين من مستوى واحد وهذه قائمة بالأسماء:

1 ـ قراءة نافع: عن عمر بن الخطاب، وزيد بن ثابت، وأبي بن كعب، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن عياش.

2 ـ قراءة بن كثير المكي: عن عمر بن الخطاب، وزيد بن ثابت، وأبي بن كعب، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن السائب.

3 ـ قراءة أبي عمرو البصري: عن عمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، وعبد الله بن مسعود، وأبي موسى الأشعري، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن عياش، وعبد الله بن السائب، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت.

4 ـ قراءة بن عامر: عن عثمان بن عفان، وأبي الدرداء.

5 ـ قراءة عاصم: عن: عثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، وعبد الله بن مسعود، وزيد بن ثابت، وأبي بن كعب.

6 ـ قراءة حمزة الزيات: عن عثمان بن عفا، وعلي بن أبي طالبـ وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت، وعبد الله بن مسعود، والحسين بن علي بن أبي طالب.

7 ـ قراءة الكسائي: عن عمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وعلي بن أبي طال، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت، وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن عياش، والحسين بن علي بن أبي طالب.

8 ـ قراءة أبي جعفر: عن زيد بن ثابت، وأبي بن كعب، وابن عباس، وعبد الله بن عياش.

9 ـ قراءة يعقوب بن إسحاق الحضرمي: عن عمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت، وعبد الله بن مسعود، وأبي موسى الأشعري، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن عياش، وعبد الله بن السائب.

10ـ قراءة خلف: عن عثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، وعبد الله بن مسعود، وزيد بن ثابت، وأبي بن كعب.

(انظر " معرفة القراء الكابر" و " سير أعلام النبلاء" و " غاية النهاية في طبقات القراء).

إن أسماء الصحابة الإثنى عشر أعلاه هم من وردت أسماءهم في أسانيد القراءات العشر، ولكن ليس كلهم من قرأ عن النبي مباشرة وإنما منهم من قرأ عن الصحابة، وبالتالي لم يكونوا من طبقة التواتر الغفير الأول، في حين أن من درس الإسناد يعلم أن العبرة في التلقي من المصدر مباشرة. وفي النهاية نصل الى نفس الرقم الذي ذكرناه في البداية، أو يضاف شخص أو شخصين إذا تغاضينا عن عدم ثبوت قراءة عبد الله بن عياش وعبد الله بن السائب عن الرسول محمد مباشرة، فإبن العباس قرأ على أبي بن كعب وزيد بن ثابت، والحسين بن علي قرأ على أبيه علي بن أبي طالب، فهؤلاء لا يدخلون في طبقة الصحابة الأعلى في السند ولا يصل السند الى التواتر على أية حال.

وللخروج من هذا المأزق ابتكر بعض الشيعة ما يسمى " الإجماع السكوتي" على أساس أن عدم وصول اعتراض هو موافقة، من منطلق اننا لا نرجم بالغيب. غير أن السكوت لا يمكن أن يكون حجة، فهي عدا عن أنها تخرق القواعد التي وضعها الفقه الإسلامي نفسه، يمكن أن يكون هناك أسباب عديدة للسكوت ومنها: الساكتون قد لا يحفظون القرآن أصلا وبالتالي لا يعرفون خطأه من صوابه. ونعلم أن الحفظة كانوا محدودين. لا يوجد دليل قطعي على أن الساكت سكت برغبته وليس بالقوة. لا يوجد دليل أصلا على أنهم سكتوا، بل توجد أخبار عن ضيق الصحابة بما فعله عثمان بن عفان من حرق المصاحف الأصلية وتكليفه لجنة من أربعة صحابة لكتابة القرآن وتدمير الآيات التي لا يتفق عليها وموقف ابن مسعود مشهور في هذا الصدد. الواقع التاريخي يؤكد أن الأمر كان يصل أحيانا بالصحابة الكرام لتكفير بعضهم البعض بسبب الإختلاف في القرآن حتى تدخلت الدولة بقيادة عثمان وجمعت الناس على مصحف واحد وقام بحرق كل المصاحف الأخرى بما فيها من زوائد ونواقص واختلافات وبعض الصحابة ـ مثل ابن مسعود ـ لم يعجبهم ذلك ..

وتكفي جدا هذه الرواية المشهورة من صحيح البخاري لإيضاح حجم المأساة..: (((روى البخاري عن أنس:" أن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان، وكان يغزي أهل الشام في فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق، فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة، فقال لعثمان: أدرك الأمة قبل أن يختلفوا اختلاف اليهود والنصارى. فأرسل الى حفصة: أن أرسلي إلينا الصحف ننسخها في المصاحف، ثم نردها إليك؛ فأرسلت بها حفصة الى عثمان، فأمر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها في المصاحف. وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة: إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن، فأكتبوه بلسان قريش، فإنه إنما نزل بلسانهم، ففعلوا، حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف، رد عثمان الصحف الى حفصة، وأرسل الى كل أفق بمصحف مما نسخوا، وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة ومصحف أن يحرق. قال زيد: فقدت آية من الأحزاب حين نسخنا المصحف، قد كنت

أسمع رسول الله (ص) يقرأ بها، فإلتمسناها فوجدناها مع خزيمة بن ثابت الأنصاري: ((من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه)) (الأحزاب 23:33) فألحقناها في سورتها في المصحف))).

1 - من قال أن الكتاب المحتوي على 80 ألف كلمة بحاجة الى ثلاثة أشخاص فقط للتيقن منه..!! هذا عكس للمنطق .. فالمنطق العقلي يقول بأن تواتر خبر واحد يحتاج لكثرة مفرطة قدرها البعض بالمئات والبعض بالألاف مع شروط كيفية لهذه الكثرة.. فما بالك بكتاب يحوي آلاف الأخبار..!!

2 ـ أما فكرة أنهم اتفقوا على نفس المحتوى فهذا لا دليل عليه، بالعكس هناك روايات تاريخية كثيرة تقول بأن هناك آيات عديدة لم يتم تدوينها في مصحف عثمان، وأن عثمان قام بتحريق مصاحف لأصحابه وأن ابن مسعود اعترض على ذلك وأنه كان لا يرى أن الفاتحة والمعوذتين من القرآن وأنهم لم يجدوا آخر سورة الأحزاب إلا مع صحابي واحد .. الخ..!!

3 - وكتاب " المصاحف" للإمام السجستاني يحوي بعذ تلك الزيادات التي كانت موجودة في مصاحف الصحابة .. ناهيك عما لم يتم نقله إلينا..

4 - وحتى بعد توحيد عثمان بن عفان للمصحف وحرق بقية الآيات المختلف عليها لم يسلم القرآن من الإختلاف (رغم أنه قل بشكل ملحوظ بعد وضع عثمان للمصحف الجديد) فها هي القراءات تختلف بينها وبين بعضها في الآف المواضع:

أ - عدد الكلمات التي قرئت على وجهين: 1315 كلمة.
ب - عدد الكلمات التي قرئت على ثلاثة وجوه: 105 كلمات.
ج - عدد الكلمات التي قرئت على أربعة وجوه: 24 كلمة.
د - عدد الكلمات التي قرئت على خمسة وجوه: 33 كلمة.

(المصدر: رسالة دكتوراة " القراءات القرآنية وأثرها في الأحكام الشرعية ـ دكتور محمد حبش).

والقول بأن المعوذتين ليسنا من القرآن معناه عدم الإتفاق على المحتوى الحالي أيضا..! أي أن المسلمين مختلفين على وجود نقص في القرآن وكذلك مختلفون على وجود زيادة فيه ..!! فأي تواتر هذا ..!؟ يقول السيد الخوئي في شرح نهج البلاغة:
الثاني أنه لا بدّ أن يعلم أن القرآن الذي نزل به الروح الأمين على سيد المرسلين صلوات الله عليه وآله أجمعين هل هو ما بين الدفتين وما وصل إلينا وتناولته أيدينا أم لا. بل الواصل إلينا بعض القرآن وأن القرآن الأصيل الذي نزل به جبرئيل قد حُرف وبُدل وزيد عليه ونقص عنه، اختلف فيه الأصحاب. فالذي ذهب إليه أكثر الأخباريين على ما حكى عنهم السيد الجزائري في رسالة منبع الحياة وكتاب الأنوار هو وقوع التحريف والزيادة والنقصان. وإليه ذهب علي بن إبراهيم القمي، وتلميذه محمد بن يعقوب الكليني، والشيخ أحمد بن أبي طالب الطبرسي، والمحدث العلامة المجلسي قدس الله روحهم. وفي كتابه (البيان في تفسير القرآن) يتهم السنة بتحريف القرآن ويصل في تحليله لمسألة القرءات الى أن القرآن ليس متواتر بالحرف والكلمة والآية وإنما على العموم مع إمكانية وجود نقس أو زيادة. وفي كتاب " فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب" للعلامة الطبرسي يعترف فيه بتحريف القرآن. وهناك كتاب جمع أقوال أهل السنة من علماء السلف في تحريف القرآن اسمه " إعلام الخلف بمن قال بتحريف القرآن من السلف". (عن موقع اللادنيين العرب).

8 - قراءات القرآن المختلفة

عن كتاب " الشخصية المحمدية لمعروف الرصافى"

تعدد القراءات واختلافها في القرآن:

من العجائب أنك إذا طالعت ما كتبه علماء المسلمين من كتب التفسير وغيرها مما يتعلق بالأمور الدينية رأيتهم في أقوالهم يعقلون ولا يعقلون في آن واحد ومسألة واحدة، تراهم اذا سلكوا طريقا للبحث والتحقيق يماشون العقل جنبا الى جنب ما لم يعارضهم شئ غير معقول مما له علاقة بالدين ولو من وجه بعيد. أما إذا عارضهم في طريقهم شئ من ذلك فإنهم عندئذ يتركون العقل وراءهم ويمشون خلف غير المعقول، والشواهد على ذلك كثيرة في كتبهم فلا حاجة الى إيرادها.

وأعجب كتبهم الإتقان لجلال الدين السيوطي صاحب التآليف الكثيرة في كل فن من فنون العلوم، فإنه في كتابه هذا ينقل لك من الأقوال المتناقضة ما يتركك في حيرة لا تدري كيف تخرج منها، وهو عند ذكر هذه الأقوال لم يبد لك رأيا ولم يقل لك قولا يهديك به الى ما تريد من نقلها أو يوجهك به الى جهة تؤديك منها الى غاية مقصودة.

فمثلا يتكلم في الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن فيأتيك فيها بنحو أربعين قولا لا يوافق احدهما الآخر، ثم يذكر لك أحاديث وأقوالا يتفن في صحة أسانيدها وثقة رواتها وكلها تقول لك اقرأ القرآن بألفاظ مختلفة من المعاني المتفقة، فإذا كانت الكلمة أقبل فلا بأس أن تقرأ بدلها تعال وهلم وعجل وأسرع، ويقول لك كل شاف كاف ما لم تخلط آية عذاب برحمة أو رحمة بعذاب، ويردف هذا القول بما أخرجه أبو داوود عن أبي قلت سميعا عليما أو عزيزا حكيما ما لم تخلط آية عذاب برحمة أو رحمة بعذاب، وبما أخرجه عن أبي هريرة أنزل القرآن على سبعة احرف عليما حكيما غفورا رحيما، وبما عند أحمد أيضا من حديث ابن عمر أن القرآن كله صواب ما لم تجعل مغفرة عذابا او عذابا مغفرة، ثم يؤيد ذلك بما في فضائل أبي عبيد من طريق عون بن عبد الله أن ابن مسعود أقرأ رجلا : { إن شجرة الزقوم* طعام الأثيم}، فقال الرجل: طعام اليتيم، فردها عليه فلم يستقيم بها لسانه، فقال له: أتستطيع أن تقول طعام الفاجر؟ قال: نعم، قال: فافعل، فقرأ: إن شجرة الزقوم طعام الفاجر.وهو في كل ذلك يفهمك أن القرآن هو المعنى وأنه يجوز إن لم تقرأه بالمعنى فلا عليك أن تبدل منه كلمة بأخرى تؤدي معناها ما لم تغير المعنى بأن تجعل المغفرة عذابا والعذاب مغفرة. ثم إنه يأتيك بما يناقض هذه الأقوال ويجعلها هباء منثورا من دون أن ينقضها أو يرفضها فيقول: إن القرآن هو ما نزل جبريل بلفظه، وأن السنة ما نزل جبريل بمعناه، ولذا جاز رواية السنة بالمعنى، لأن جبريل أداها بالمعنى، ولم تجز قراءة القرآن بالمعنى لأن جبريل أداه باللفظ، فلا يقدر أحد أن يأتي بلفظ يقوم مقامه، وأن تحت كل حرف منه معاني لا يحاط بها كثرة، فلا يقدر أحد أن يأتي بدله بما يشتمل عليه، ويذكر لك قول من قال من العلماء من قال: إن الصحابة كانوا يقرأون القرآن بالمعنى فقد كذب. فيا للعجب ثم يا للعجب.

وقد سمى السيوطي كتابه هذا الإتقان وليس هو بالإتقان بل جمع كل ما قيل في القرآن، ببرهان وبلا برهان. أما نحن فلا نضيع الوقت في التوفيق بين هذه الأقوال المضطربة بل نقول إنهم كانوا يقرأون القرآن بالمعنى، فكل ما صح به المعنى فهو قرآن عندهم، ولا ننكر أن في القراءات ما هو توقيفي، بمعنى أن النبي قرأه فرواه عنه من سمعه من الرواة، ولكن هذا قليل جدا بالنسبة الى ما قرأه الناس من القراءات الكثيرة التي كانوا يقرأونها بحسب المعنى لا بالتوقيف.

وأما عن جمع القرآن فنذكر هنا ما رواه البخاري عن أنس: أن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان وكان يغازي أهل الشام في فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق، فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة، فقال لعثمان: أدرك الأمة قبل أن يختلفوا اختلاف اليهود والنصارى، فأرسل الى حفصة أن أرسلي إلينا الصحف ننسخها في المصاحف الى آخر الحديث.

فلماذا أفزع حذيفة اختلافهم في القراءة لو كانت توقيفا، ولماذا بادر عثمان الى استنساخ المصاحف وإرسالها الى الأقطار لكي يجمع الناس على قراءة واحدة، وعلام كل هذا الخوف إن كانت القراءات كلها توقيفية. وقد ذكر صاحب الإتقان نفسه نقلا عن ابن التين وغيره الفرق بين جمع أبي بكر للقرآن وجمع عثمان، فقال: إن جمع عثمان كان لما كثر الاختلاف في وجوه القراءة حتى قرأوه بلغاتهم على اتساع اللغات، فأدى ذلك بعضهم الى تخطئة بعض، فخشي من تفاقم الأمر في ذلك فنسخ تلك الصحف في مصحف واحد مرتبا لسوره واقتصر من سائر اللغات على لغة قريش محتجا بأنه نزل بلغتهم.

فهل من كلام صراحة أكثر من هذه الصراحة الدالة على أنهم كانوا يقرأون لا بتوقيف ولا بتعليم، بل يقرأ كل منهم بلغته فيبدلون الألفاظ ويغيرونها بحسب لغاتهم مع المحافظة على المعنى. فعثمان لم يجمع القرآن بل نسخه في مصحف بلغة قريش وحدها، وأرسل تلك المصاحف الى الأقطار ليجمع الناس على قراءة واحدة.

على أن الداعي الى تعدد القراءات واختلافها لم يكن اختلاف اللغات فحسب بل هناك دواع أخرى دعتهم الى قراءة القرآن بالمعنى كما سيتضح لك عند ذكر القراءات. أفلا يستحي بعد هذا من يقول: " من قال إنهم كانوا يقرأون القرآن بالمعنى فقد كذب"، وهو بكلامه هذه قد كذب على الله والحقيقة والتاريخ.

وها نحن نذكر ما تيسر من القراءات على اختلاف أنواعها، وكلها شواهد على ما نقول، وقد نظرت فيها فتمكنت من حصرها في الأنواع الآتية:

أنواع القراءات

(1) قراءة بزيادة.
(2) قراءة بتقديم وتأخير.
(3) قراءة ناشئة من اختلاف اللغات.
(4) قراءة بتبديل كلمة بأخرى بمعناها.
(5) قراءة بتبديل كلمة بأخرى ليست بمعناها.
(6) قراءة بإدغام حرف في حرف.
(7) قراءة بفك الإدغام.
(8) قراءة المفرد بالجمع.
(9) قراءة الجمع بالمفرد.
(10) قراءة بنقص.
(11) قراءة بتغيير الإعراب.
(12) قراءة المثبت بالمنفي.
(13) قراءة الجمع السالم بالمكسر.
(14) قراءة المصغر بالمكبر.
(15) قراءة المكبر بالمصغر.
(16) قراءة المؤنث بالمذكر.
(17) قراءة بتغيير صيغة الكلمة الى صيغة أخرى.

غير أننا نبدأ من جميع أنواعها بما يدل دلالة واضحة على أنهم كانوا يقرأون القرآن بالمعنى فنقول:

1 - قال السيوطي في الإتقان وفي فضائل أبي عبيد من طريق عون بن عبد الله: إن ابن مسعود أقرأ رجلا: {إن شجرة الزقوم* طعام الأثيم}, فقال الرجل: طعام اليتيم، فردها عليه فلم يستقيم بها لسانه، فقال له: أتستطيع أن تقول طعام الفاجر؟ قال: نعم، قال: فافعل، اهـ . لما كان الأثيم هو الفاجر الكثير الآثام وكان الرجل لا يستطيع أن يقول الأثيم، بدلها له ابن مسعود بالفاجر التي هي بمعناها ولم يخل ذلك بكونها من القرآن.

2 - قال الزمخشري في الكشاف: يروى أن إعرابيا قرأ من سورة الزلزلة قوله: " فمن يعمل مثقال ذرة شرا يره، ومن يعمل مثقال ذرة خيرا يره" بتقديم شرا يره وتأخير خيرا يره، ومعنى الآية واحد لم يتغير بالتقديم والتأخير، فقيل له: قدمت وأخرت، فقال:

خذا بطن هرش أو قفاها فإنما   كلا جانبي هرش لهن طريق

وهرش تثنية في طريق مكة قريبة من الجحفة يرى منها البحر وهي بفتح فسكون مع القصر، ولها طريقان فكل من سلك واحدا منهما أفضى به الى موضع واحد. ويروى أنف هرشي بدل بطن هرشي، والبيت مثل يضرب فيما تيسر الوصول إليه من جهتين. وفي معجم البلدان عن أبي جعدة قال: عاتب عمر بن عبد العزيز رجلا من قريش كانت أمه أخت عقيل بن علفة، فقال له: قبحك الله ما أشبهت خالك في الجفاء، فبلغ ذلك عقيلا فجاء حتى دخل على عمر فقال له: ما وجدت لابن عمك شيئا تعيره به إلا خؤولتي، فقبح الله شركما خالا. وكان صخر بن الجهم العدوي حاضرا وأمه قرشية، فقال: أمين يا أمير المؤمنين قبح الله شركما خالا، وأنا معكما، فقال عمر: إنك لأعرابي جلف جاف، أما لو تقدمت إليك لأجبتك، والله لا أراك تقرأ من كتاب الله شيئا، فقال: بلى إني لأقرأ، فقال: { إذا زلزلت الأرض زلزالها} حتى تبلغ الى آخرها، فقرأها حتى إذا بلغ آخرها قرأ " **فمن يعمل مثقال ذرة شرا يره ومن يعمل مثقال ذرة خيرا يره"**، فقال له عمر: ألم أقل لك إنك لا تحسن أن تقرأ؟ فإن الله تعالى قدم الخير، وأنت قدمت الشر، فقال عقيل:

خذا أنف هرش أو قفاها فإنما   كلا جانبي هرش لهن طريق

قال فجعل القوم يضحكون من عجرفته.

وقيل: هذا الخبر كان بين يعقوب بن سلمة وهو ابن بنت لعقيل وبين عمر بن عبد العزيز، وأنه قال لعمر: بلى والله إني لقارئ الآية وآيات، وقرأ: " إنا بعثنا نوحا الى قومه" فقال له عمر: قد أعلمتك أنك لا تحسن ليس هكذا، قال: فكيف؟ فقال: { إنا ارسلنا نوحا الى قومه} فقال: ما الفرق بين أرسلنا وبعثنا؟ وأنشد البيت.

1) وفي سورة النمل: { قيل لها ادخلي الصرح فلما رأته حسبته لجة وكشفت عن ساقيها}، قال الزمخشري: وقرأ ابن كثير سأقيها بالهمز، قال ووجه أنه سمع سؤق (جمع ساق)، فأجرى عليه الواحد. ومعنى هذا أنه لما سمع الجمع مهموزا في بعض اللغات قاس عليه المفرد فقرأ سأقيها. وهذا صريح في أن قراءة ابن كثير هذه قرئت بالقياس لا بالتوقيف ولم يحدث بها إلا تغيير في اللفظ دون المعنى.

2) وفي سورة النجم قوله: { ولقد رآه نزلة أخرى* عند سدرة المنتهى* عندها جنة المأوى}، في الكشاف قرأ علي وابن الزبير وجماعة: " عندها جنه المأوى"، على أن تكون جن فعلا ماضيا وضمير الغائب المتصل مفعولا والمأوى فاعلا، والمعنى ستره المأوى بظلاله، قال: وعن عائشة أنها أنكرت هذه القراءة وقالت: من قرأ بها أجنه الله.

ويظهر لنا أن هذه القراءة حدثت بعد انتشار المصاحف المخطوطة، وأنها ناشئة من رسم الخط وعدم إعجام المصاحف، فإنهم كانوا لا يعتنون بإعجامها وكانوا يعرفون المعجم والمهمل من معنى الكلام وسياق العبارة وسياقها. فجنة وجنه في الخط واحد، فقرأ هؤلاء التاء المدورة هاء وجعلوها ضميرا عائدا الى عبده المذكور في آية سابقة،

ورأوا معنى الآية متجها صحيحا فقرأوها هكذا:" جنه المأوى" خصوصا وهي ملائمة لما سبقها من سدرة المنتهى، فجعلوها المأوى جنت أي سترت بظلالها محمدا.

هذا هو منشأ هذه القراءة، وقد علمنا أن كل ما صح به المعنى كان قرآنا عندهم ما لم يجعلوا آية الرحمة آية عذاب أو بالعكس. وإني أرى الحق مع عائشة في إنكارها لأنها تخالف ما جاء في سور النازعات: { فإن الجنة هي المأوى} فإن هذه الآية تؤيد أن قراءة عندها { جنة المأوى} أصح من قراءة " جنه المأوي"، والقرآن يؤيد بعضه بعضا كما يفسر بعضه بعضا. وأما قول عائشة من قرأ بها أجنه الله فيحتمل أنه بمعنى جعله مجنونا كما يقال أحبه فهو محبوب، ويحتمل أن يكون بمعنى ستره وأخفاه إذ يقال أجنه الليل كما يقال جنه.

والقراءات الناشئة من مشابهة رسم الخط وعدم الإعجام كثيرة، فمنها ما جاء في سورة القصص من قوله: { فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه }، قرأها سيبوية فاستعانه وما ذلك إلا لأنها إذا تركنا الإعجام فرسم الخط في الكلمتين واحد، كما أن معناهما واحد أيضا، فمعنى الآية متجه نحو قراءة سيبوية أيضا.

ومنها في سورة يس من قوله: { فأغشيناهم فهم لا يبصرون} وقرأها بعضهم فأعشيناهم من العشى وهو سوء البصر والمعنى في هذه القراءة متجه صحيح أيضا كالأولى.

ومنها في سورة الأعراف قوله:{ اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء}، وقرأ مالك بن دينار ولا تبتغوا من دونه أولياء، ولا شك أن الإعجام إذا ترك في الآية كان رسم الخط واحد في تتبعوا وتبتغوا إلا أن أول الآية " اتبعوا" والذي يناسب هذا الأمر أن يكون النهي ولا تتبعوا، غير أن القراءة الثانية أعني قراءة ابن دينار تناسب ما بعد النهي من قوله: { من دونه أولياء} أكثر من القراءة الأولى: فمن راعي أول الآية قرأ ولا تتبعوا، ومن راعى آخرها كابن دينار قرأ ولا تبتغوا، والمعنى في كلتي القرائتين متجه صحيح، إلا أن قراءة ابن دينار أنسب لنهج القرآن فإنه يعبر عن مثل هذا باتخذ دائما وأبدا، كما قال في سورة الإسراء: { أن لا تتخذوا من دوني وكيلا}، وفي سورة آل عمران: { لا تتخذوا بطانة من دونكم}، وفي سورة النساء: { ولا تتخذوا منهم أولياء} وفي سورة النحل: { لا تتخذوا إلهين اثنين}، وفي سورة النساء: { ولا تتخذوا الكافرين أولياء}، الى غير ذلك من السور، ولا شك أن الابتغاء والاتخاذ متقاربان جدا في معناهما وليس كذلك الاتباع.

ومنها في سورة ص قوله: { بل الذين كفروا في عزة وشقاق}، وقرأها بعضهم في غرة أي في غفلة، وهذه القراءة على ما أرى تناسب المعنى المراد في الآية أكثر من قراءة عزة، ومنها في سورة ص أيضا قوله: { وظن داود إنما فتناه}، وقرأ بعضهم فتّناه بتشديد التاء أيضا للمبالغة، وقرأ بعض آخر فتناه بتخفيف التاء والنون على أن تكون الألف فاعلا وهي ضمير الاثنين يعود الى الملكين والخصمين المذكورين سابقا. وقرأ بعضهم فتناه بتشديد التاء وتخفيف النون وهي بمعنى التي قبلها إلا أن التاء فيها شددت للمبالغة. فانظر الى كلمة " فتناه" تجدها تحتمل هذه الوجوه المقروءة كلها والمعنى في كل منها متجه صحيح، إلا أن هذه القراءات هنا ناشئة من عدم الشكل لا من عدم الإعجام، فالذي تصور المعنى أن الفاتن هو الله شدد النون وجعلها مع الألف ضمير جمع المتكلم للتعظيم، والذي تصور المعنى أن الفاتن هو الملكان أو الخصمان خفف النون وجعل الألف ضمير الاثنين يعود الى الملكين، وفي هذا دلالة واضحة أنهم ينظرون الى المعنى فيقرأون بمقتضاه ولا يتقيدون باللفظ ، ولا ينطبق هذا على كون القراءات توقيفية.

ومنها في سورة يونس قوله: { لتكون لمن خلفك آية} أي لمن وراءك أو لمن بعدك، وقرأ بعضهم لمن خلقك بالقاف أي لتكون لله خالقك آية كسائر آياته. ورسم الخط في القراءتين واحد لا يميزه إلا الإعجام.

ومنها في سورة الأنفال: { يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال}، وجاء في قراءة حكاها الأخفش:" حرص المؤمنين" بالصاد المهملة والمعنيان متقاربان فمعنى الآية مستقيم في كل منهما. ومن القراءات الناشئة من رسم الخط ومن توجيه المعنى الى وجه صحيح ما جاء في سورة الجاثية من قوله: { وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعا منه} القراءة الشائعة هي أن" من" حرف جر والضمير العائد الى الذي سخر وهو الله مجرور بها محلا. غير أن كلمة منه على هذه القراءة قلقة غير متمكنة وقد حاروا في متعلق الجار والمجرور فأعربوه إعرابا متكلفا، انظر الكشاف للزمخشري، ولذا قرأ ابن عباس منه. ورسم الخط مساعد على قراءتها هكذا، إلا أن المعنى لم يزل قلقا على هذه القراءة أيضا لأن المنة وهي تعديد النعم على سبيل التقريع لا تناسب أن تكون من الله. فلذا قرأ سلمة بن محارب منه بفتح الميم وتشديد النون وضمها فتكون منه مضافا الى الضمير على أن يكون فاعلا لسخر على الإسناد المجازي، فيكون المعنى وسخر لكم أنعامه ما في السموات وما في الأرض جميعا، أو على أنه خبر لمبتدأ محذوف بمعنى ذلك منه أي أنعامه. ولولا رسم الخط لما استطاع ابن عباس ولا ابن محارب أن يقرأ قراءتيهما ولم يحملهما على هذه القراءة إلا توجيه المعنى، وسيأتي أن كثيرا من القراءات يكون فيها إصلاح للعبارة أو توجيه للمعنى.

3) وفي سورة يوسف: { ليسجننه حتى حين} وفي قراءة ابن مسعود عتى حين وهي لغة هذيل. قال الزمخشري وعن عمر أنه سمع رجلا يقرأ عتى حين فقال له من أقرأك هذا قال ابن مسعود، فكتب إليه ينهاه عن هذه القراءة، وقال له إن الله أنزل هذا القرآن فجعله عربيا وأنزله بلغة قريش، فاقرئ الناس بلغة قريش ولا تقرئهم بلغة هذيل والسلام. ولو كانت القراءة توقيفية أي بتوقيف من النبي لما جاز لعمر أن ينهاه عنها وأن يقول له هذا القول.

4) وفي سورة هود: { ونادى نوح ابنه وكان في معزل يا بني اركب معنا} وقرأ علي ابنها والضمير لامرأته ولم يسبق ذكرها في الآيات المتقدمة، فيكون من قبيل الإضمار قبل الذكر. وفي القرآن له نظائر، والظاهر أن الذي حمل عليا على هذه القراءة اعتقاده أنه ليس بابنه بل هو ربيبه فنسبه الى أمه. قال الزمخشري: ولنسبته الى أمه وجهان، أحدهما: أن يكون ربيبا له، والثاني: أن يكون لغير رشدة أي ابن زنا. قال: وهذه غضاضة عصمت منها الأنبياء. وقرأ

محمد بن علي وعروة بن الزبير ابنه بفتح الهاء، يريد ابنها، فاكتفى بالفتحة عن الألف. قال الزمخشري: وبه ينصر مذهب الحسن – يعني الحسن البصري- فإنه كان من القائلين بأنه ابن امرأة نوح وكان ربيبا له. قال قتادة: سألت الحسن عن ذلك فقال: والله ما كان ابنه، فقلت: إن الله حكى عنه: { إن ابني من أهلي} وأنت تقول: لم يكن ابنه، وأهل الكتاب لا يختلفون في أنه كان ابنه، فقال: ومن يأخذ دينه من أهل الكتاب، واستدل بقوله: { من أهلي}، ولم يقل: مني. وما أدري هل مسألة كونه ابن نوح أو كونه ابن امرأته وربيبه هي من المسائل التي تستحق أن يختلف فيها العلماء ويشغلوا بها أفكارهم حتى أن الحسن البصري وهو كابن سيرين من سبي عين التمر يجعل لنفسه فيها مذهبا خاصا يذب عنه ويجادل فيه، وهي مسألة ليست من أصول الدين ولا من فروعه، وإنما ذكرت في القرآن ليعتبر بها أهل الإيمان ويعلموا إن الإيمان وحده هو المنجي من الهلاك، وأن النسب لا يغني من الله شيئا، حتى أن أبوة نوح لم تنج ابنه الكافر من الغرق مع شدة حرصه على نجاته. ولو كان الحسن البصري وأضرابه من طلاب الحقيقة العلمية بأفكارهم لانصرفوا الى جوهر الدين وأعملوا أفكارهم فيه وترفعوا عن الاختلاف في مثل هذه الأمور، فسبحان موقظ النفوس بالإيمان ومنيمها من الجمود في غيطان. ومهما يكن فإن هذه القراءات تدل بوضوح على أنهم كانوا يقرأون بالمعنى وبالرأي أيضا لا بتوقيف كما يدعون.

5) وفي سورة الإنسان: { إنا اعتدنا للكافرين سلاسلا وأغلالا وسعيرا}، القراءة الشائعة سلاسل غير منون لعدم انصرافه، وقرأ بعضهم بالتنوين، وتنوين ما لا ينصرف إنما يجوز في الشعر دون النثر ضرورة. وقد جعل الزمخشري في تفسيره لهذا التنوين وجهين أحدهما أن تكون هذه النون يعني نون التنوين بدلا من حرف الإطلاق، قال ويجري الوصل مجرى الوقف، ومعنى كلامه هذا أن نون التنوين هنا ليست للصرف بل بدل من ألف الإطلاق في الأسماء المنصرفة التي يكون تنوينها ألفا بعد الوقف ونونا عند الوصل، إلا أن هذه النون التي جعلت بدلا من حرف الإطلاق في " سلاسلا" أبقيت في الوصل والوقف إجراء للوصل مجرى الوقف.

والوجه الثاني أن يكون صاحب هذه القراءة ممن ضري أي ولع برواية الشعر ومرن لسانه على صرف غير المنصرف. هذه كلامه. وإذا كان سبب هذه القراءة ولوع قارئها برواية الشعر ومرون لسانه على صرف ما لا ينصرف فهل يجوز أن يقال بأنها توقيفية، وهل هذا الكلام من الزمخشري سوى تصريح منه بأن قراءاتهم لم تكن كلها عن توقيف.

ومما يدل بوضوح على أنهم يقرأون لا عن توقيف: ما روي عن أنس في قوله في سورة المزمل: { إن ناشئة الليل هي أشد وطأ وأقوم قيلا} أنه قرأ وأصوب قيلا، فقيل له: يا أبا حمزة إنما هي وأقوم، فقال: إن أقوم وأصوب وأهيأ واحد. ولو كانت القراءة بالتوقيف لقال: إني سمعتها من رسول الله، وكان من أشد الصحابة ملازمة لرسول الله، ولكنه قرأ بالمعنى فما صح به المعنى فهو قرآن, وروى أبو زيد الأنصاري عن أبي سرار الغنوي أنه كان يقرأ:{ فحاسوا خلال الديار} بحاء غير معجمة فقيل له إنما هو جاسوا فقال جاسوا وحاسوا واحد.

6) وفي سورة الرعد قوله: { أفلم ييأس الذين أمنوا أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعا}، ومعنى أفلم ييأس أفلم يعلم، قيل: هي لغة قوم من النخع، ورووا في ذلك بيتا لسحيم بن وئيل الرياحي:

أقول بهم بالشعب إذ ييسر ونبني ألم تيأسوا إني ابن فارس زهدم

وأظن البيت منحولا موضوعا ولذا أخذ بعضهم يتأول في الآية فقال إنما استعمل اليأس بمعنى العلم لتضمنه معناه لأن اليأس عن الشئ عالم بأنه لا يكون، كما استعمل الرجاء في معنى الخوف، والنسيان في معنى الترك لتضمنه ذلك. وقرأ علي وابن عباس وجماعة من الصحابة أفلم يتبين الذين آمنوا، قالوا: وهو تفسر أفلم ييأس، فتكون قراءتهم هذه من قراءة القرآن بالمعنى ييأس. وادعى بعضهم في الآية دعوى على غرابتها قريبة من الحقيقة، فقال: إنما كتبه الكاتب وهو ناعس مستوي السينات، يريد بالسينات الركزات التي تكتب في الخط ناتئة كأسنان المشط، ومعنى كلامه هذا أن ييئس ويتبين هما في رسم الخط واحد كلتاهما ترسمان في الخط بسينات أي بركزات متوالية سوى أن السينات في ييئس تكتب مستوية وفي يتبين غير مستوية بل بعضها أشد نتوءا من بعض، وأن الآية هي أفلم يتبين ولكن الكاتب كان ناعسا فلم يكتب السينات متفاوته بل كتبها متساوية بسبب ما استولى عليه من النعاس، فوقع التشابه بين خط ييئس وخط يتبين لعدم الإعجام، ولذا قرأها بعضهم أفلم ييئس لأنهم كانوا لا يعجمون المصاحف. وإلا فلفظ الآية هو أفلم يتبين كما قرأ علي وابن عباس. أما الزمخشري فإنه بعد أن ذكر هذا القول في تفسيره أخذ يزبد ويرعد بما لا حاجة الى ذكره هنا.

وآخر ما نذكره لك ههنا قراءة رؤبة بن العجاج الشاعر البدوي المشهور الذي يستشهد علماء العربية بشعره وأراجيزه، فإنه قرأ جفالا في قوله في سورة الرعد: { فأما الزبد فيذهب جفاءً}، والجفال والجفاء كلاهما بمعنى واحد وهو ما نفاه السيل ورمى به. وقد أنكر أبو حاتم قراءة رؤبة هذه وقال لا يقرأ بقراءة رؤبة أنه كان يأكل الفأر. وما أدري ما علاقة أكل الفأر بالقراءة وكيف يكون أكل الفأر(56) سببا لرفض القراءة، وكان العرب يأكلون الضباب واليرابيع وما هي إلا نوع من الفأر.

9 ـ الإعجاز العلمي في القرآن

منذ أكثر من نصف قرن هاجم الشيخ الراحل الإمام الأكبر محمود شلتوت خرافة الإعجاز العلمي للقرآن قائلا: لسنا نستبعد إذا راجت عند الناس في يوم ما نظرية دارون مثلا أن يأتي إلينا مفسر من المفسرين الحديثين فيقول أن نظرية داروين قد قال بها القرآن منذ مئات السنين. وفي كتابه تفسير للقرآن الكريم ص 13 يقول عن التفسير بالإعجاز العلمي " إن هذه النظرة للقرآن خاطئة من غير شك. أولا: لأن الله لم ينزل القرآن ليكون كتابا يتحدث فيه الى الناس عن نظريات العلوم ودقائق الفنون وأنواع المعارف. ثانيا: لأنها تحمل أصحابها والمغرمين بها على تأويل القرآن تأويلا متكلفا يتنافى مع الإعجاز ولا يستسيغه الذوق السليم. ثالثا: لأنها تعرض القرآن للدوران مع مسائل العلوم في كل زمان ومكان، والعلوم لا تعرف الثبات ولا القرار ولا الرأي الأخير فقد يصح اليوم في نظر العلم ما يصبح غدا من الخرافات."

وعلى نفس منهج الإمام الأكبر محمود شلتوت كتبت الدكتورة عائشة عبد الرحمن بنت الشاطيء:

" لا بد أن يكون فهمنا لكتاب الإسلام محررا من كل الشوائب المقحمة والبدع المدسوسة، بأن نلتزم في تفسيره ضوابط منهجية تصون حرمة كلماته فنرفض بها الزيف والباطل، ونتقى أخذة السحر، وفتنة التمويه، وسكرة التخدير"، أن " الكلام عن التفسير العصري للقرآن يبدو في ظاهره منطقيا ومعقولا يلقي إليه الناس أسماعهم، ويبلغ منهم غاية الإقناع، دون أن يلتفتوا الى مزالقه الخطرة التي تمسخ العقيدة والعقل معا، وتختلط فيها المفاهيم وتتشابه السبل فتفضي الى ضلال بعيد، إلا أن نعتصم بإيماننا وعقولنا لنميز هذا الخلط الماسخ لحرمة الدين المُهين لمنطق العصر وكرامة العلم"." الدعوة الى فهم القرآن بتفسير عصري ـ علمي ـ على غير ما بينه نبي الإسلام، تسوق الى الإقناع بالفكرة السامة التي تنأى بأبناء العصر عن معجزة نبي أمي بعث في قوم أميين، في عصر كان يركب الناقة والجمل لا المرسيدس والرولز رويس والبوينج وأبوللو، ويستضئ بالحطب لا بالكهرباء والنيون، ويستقي من نبع زمزم ومياه الآبار والأمطار لا من مصفاة الترشيح ومياه فيشي ومرطبات الكولا!! ونتورط من هذا الى المنزلق الخطر، يتسلل الى عقول أبناء هذا الزمان وضمائرهم، فيرسخ فيها أن القرآن إذا لم يقدم لهم علوم الطب والتشريح والرياضيات والفلك والفارماكوبيا وأسرار البيولوجيا والإلكترون والذرة فليس صالحا لزماننا ولا جديرا بأن تسيغه عقليتنا العلمية ويقبله منطقنا العصري".

" الذي لا أفهمه، وما ينبغي لي أن أفهمه، هو أن يجرؤ مفسرون عصريون على أن يخرجوا على الناس بتفاسير قرآنية فيها طب وصيدلة وطبيعه وكيمياء وجغرافيا وهندسة وفلك وزراعة وحيوان وحشرات وجيولوجيا وبيولوجيا وفسيولوجيا ... الخ، إلا أن أتخلى عن منطق عصري وكرامة عقلي فآخذ في المجال العلمي بضاعة ألف صنف معروضة في الأسواق!، وإلا أن أتخلى عن كبرياء علمي وعزة أصالتي فأعيش في عصر العلم بمنطق قريتي حين يفد عليها الباعة الجوالون بألف صنف، يروج لها ضجيج إعلاني بالطبل والزمر عن كل شئ، أو بتاع كله في فكاهتنا الشعبية الساخرة بالإدعاء".

يقول الدكتور خالد منتصر في كتابه الشهير " وهم الإعجاز العلمي":

تشبيه بنت الشاطئ لدعاة الإعجاز العلمي بالحواة هو تشبيه دقيق ومهذب فالتشبيه الأكثر دقة هو أنهم نصابون متاجرون بمشاعر المسلمين المتعطشين لأي تفوق أو إنتصار علمي في عصر هم فيه في مؤخرة العالم، ويكفي هذا الدليل البسيط المسمى بإعجاز بيت العنكبوت والذي ردت عليه الكاتبة بشكل منطقي وواضح ولا يحتمل اللبس مما جعلهم يقعون في حيص بيص ويتحولون الى مسخرة ويتعرون أمام مؤيديهم، والمسألة ببساطة أن دعاة الإعجاز العلمي إكتشفوا في تأنيث القرآن للعنكبوت إعجازا علميا في قوله تعالى " مثل الذين إتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت إتخذت بيتا"، وتبنى د. مصطفى محمود هذا الرأي وإعتبره من الإعجاز العلمي قائلا " لأن العلم كشف مؤخرا أن أنثى العنكبوت هي التي تنسج البيت وليس الذكر، وهي حقيقة بيولوجية لم تكن معلومة أيام نزول القرآن" وترد د. بنت الشاطئ ساخرة أنه وقع في خطأ لا يقع فيه المبتدئون من طلاب اللغة العربية فالقرآن في هذه الآية يجري على لغة العرب الذين أنثوا لفظ العنكبوت من قديم جاهليتهم الوثنية، كما أنثوا مفرد النمل والنحل والدود، فلم يقولوا في الواحدة منها إلا نملة ونحلة ودودة، وهو تأنيث لغوي لا علاقة له بالتأنيث البيولوجي كما توهم المفسر العصري، فأي عربي وثني من أجلاف البادية كان ينطقها هكذا فأين الإعجاز العلمي في هذا الكلام؟ والمصيبة أن المفسر العصري يوقع نفسه في فخ يقرب المسلم من الكفر وليس من الإيمان نتيجة البلبلة والتناقض "واللخبطة" التي يقع فيها، فالقرآن الذي يصف بيت العنكبوت بالوهن والضعف يأتي المفسر العصري تحت شهوة الإعجاز العلمي فيهدم المعبد على ساكنيه ويصرح بأن " خيط العنكبوت أقوى من مثيله من الصلب ثلاث مرات وأقوى من بيت الحرير وأكثر مرونة" ص 211 كتاب التفسير العصري لمصطفى محمود!!! وعلى هذا المنوال يمضي إمام الإعجاز العلمي في كتابه فيستنبط الإعجاز العلمي من قوله تعالى " أتاها أمرنا ليلا أو نهارا" بأنه لا تفسير لها إلا أن تكون الأرض كروية دوارة نصفها ليل ونصفها نهار! ص 146، وهذا تفسير في منتهى التعسف فقد جرى على لسان العرب آتيك ليلا أو نهارا دون أن يدعي أعرابي أنه قد أتى بالإعجاز العلمي، أما ثالثة الأثافي فهي إستنباطاته العلمية من آية آل عمران " أفغير دين الله يبغون وله أسلم من في السموات والأرض طوعا وكرها وإليه يرجعون"، فقد توصلت عبقريته الإعجازية الى ما لم يخطر على عقل بشر فقد إستنبط منها كل هذه القوانين" قانون الضغط الأوسموزي وقانون التوتر السطحي وتماسك العمود المائي والتوازن الأيوني وقانون التفاضل الكيميائي بين هورمون وهورمون وقانون رفض الفراغ والفعل ورد الفعل!.

ظاهرة د. زغلول النجار. تحت هذا العنوان يكتب د. خالد منتصر:

أخطر خلل في ممارسة أصحاب بازارات الإعجاز العلمي هو كيفية التعامل مع اللغة، فهم يتعاملون مع اللغة على أنها مطية لتفسيراتهم الوهمية، وعجينة تتشكل في أيديهم حسب الرغبة، فتارة تصبح الكلمة لها معنى وتارة أخرى يحملونها معنى آخر تماما لم يكن على البال أو الخاطر إلا بال وخاطر أصحاب فضيلة وفخامة البيزنس الإعجازي. إستعمال اللغة المتعسف، ولوى عنق العبارات لتتفق مع تفسيرات سماسرة الإعجاز، كل هذا خلق فجوة واسعة وعميقة بيننا وبين فهم القرآن على حقيقته، وحول المسألة الى لعبة جلا جلا نستطيع بها إخراج أي معنى مسبق في أذهاننا بمجرد فرد الكلمة وثنيها وتشكيلها وعجنها وفعصها حتى تخدم أوهام البعض العنصرية المريضة بداء التفوق المزيف المخلوق من سراب، والأمثلة على هذا التعسف المضحك المبكي الذي يمارسه الإعجازيون كثيرة وسنختار منها بعض الأمثلة التي تشير الى عملية النصب الإعجازي في مولد سيدي زغلول، وسأورد الآية ثم أورد إعجازها العلمي الذي يدعونه ويليها معنى الكلمة الحقيقي المتعارف عليه في قاموس العرب
حينذاك والذي أوصل الدلالة اللغوية الصحيحة وإعتمد عليها المفسرون:

- **الآية:**" فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء".

الإعجاز: الآية أخبرتنا بالحقيقة العلمية أنه كلما إرتفع الإنسان في السماء إنخفض الضغط الجوي وقل الأوكسيجين وصعب التنفس.

المعنى الحقيقي في قاموس العرب: يصعد في "كذا" بتشديد الصاد تعنى محاولة على مشقة في عمل مستحيل، فالمراد من الآية هنا هو تشبيه ضيق الصدر الكافر بضيق الشخص الذي يحاول الصعود الى السماء فلا يستطيع لأنها عملية مستحيلة، ولا علاقة لهذا بما يقوله الإعجازيون أنه صعد الى السماء فعلا.

- **الاية:**" والأرض بعد ذلك دحاها".
- **الإعجاز**: أثبت القرآن قبل 1400 سنة أن الأرض ليست كروية فحسب بل إنها بيضاوية كبيضة النعامة أو كالأدحية.
- **المعنى الحقيقي في قاموس العرب**: دحا الأرض أي بسطها ومدها، أما الأدحية التي يزعم سماسرة الإعجاز أنها أشارت لأحدث البحوث الفلكية التي أثبتت الشكل البيضاوي الأرض فهي لا تعني بيضة النعامة ولكنها تعني مبيض النعامة أي المكان الذي تبيض فيه وسُميَ كذلك لأن النعامة تدحوه أي تبسطه وتوسعه، فكيف يصبح بقدرة قادر دليلا على الشكل البيضاوي، ولو سلمنا مع الإعجازيين أنها بمعنى البيضة فسنوقع أنفسنا في فخ شائك ومطب خطير وهو أننا سنجد أنفسنا مطالبين بإثبات أن الشعراء كانوا يملكون في أشعارهم إعجازا علميا، والأخطر أنه سيأتي البعض ويطلبون منا أن نعتبر الشعر الجاهلي كتابا سماويا ينافس القرآن حاشا لله، وإلا فليرد الإعجازيون ويفسرون هذا البيت الشعري الذي قاله شاعر عربي قبل عصر النبوة وهو زيد بن عمرو بن نفيل، تقول الأبيات:

أسلمت وجـهي لمن أسلمت	لـــه الأرض تحمل صخرا ثقالا
دحـاهـا فلمـا رآهـا إستـــوت	على الأرض أرسى عليها الجبال

وإذا سايرنا الإعجازيين في إستنتاجاتهم الوهمية علينا وقتها أن نمنح هذا الشاعر لقب نبي ونطلق على شعره الشعر المقدس المُنزل لأنه يحتوي على إعجاز!!!.

- **الآية**: " خلق الإنسان من علق". والآية الأخرى "ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة".

الإعجاز العلمي: كما كتبه د. زغلول النجار في جريدة الأهرام 11 أكتوبر 2004 فالآية تشير الى مرحلة جنينية محددة هي مرحلة العلق وهي ديدان خلقية تحيا في الماء العذب وتعيش متطفلة على العديد من العوائل الفقارية، والجنين في مطلع الأسبوع الثالث يأخذ هيئة دودة العلق في شكلها.

المعنى الحقيقي في قاموس العرب: العلق هو الدم الغليظ ولا علاقة له بهذه الدودة التي يتخيلها د. زغلول والتي لا تمت بصلة لشكل الجنين في الإسبوع الثالث الذي لا يشبه الدودة من قريب أو بعيد ولكنه التعسف ولوى الحقائق ومعاملة اللغة بشكل إنتهازي، يجعل إستنتاجاتهم من المضحكات المبكيات.

أدى هذا العبث والتدليس اللغوي الى فتح طرق عبث وتدليس جديدة من أهمها قولهم أن هذه الإشارات الكونية الإعجازية التي يدعونها لم تذكر من قبل في أي كتاب، وبهذا وقع الإعجازيون وأوقعونا معهم في بلبلة وشك وتخبط فقد وجدنا الكثير مما يتحدثون عنه موجود في أشعار عربية وأساطير سومرية وبابلية وفرعونية وفي كتب مقدسة أخرى، والحل الذي يريحنا من هذه البلبلة أن نتخلص من مرض جنون العظمة وعقدة الإضطهاد ونعترف بأن ما تم ذكره هو تفاعل مع وإستجابة لمعطيات ومعارف ومعلومات الواقع العربي حينذاك، وأنها ليست من الإعجاز العلمي ولا تمت له بصلة، وأن هذه الأساطير أو الكتب المقدسة لا تحتوي هي الأخرى على أي نوع من الإعجاز العلمي، وسندلل على كلامنا بالأدلة الدامغة مثل:

- **الأية** رقم 45 من سورة النجم والتي قام سماسرة الإعجاز بلوي عُنقها لكي تتسق مع شعاراتهم كنوع من تحلية البضاعة أمام الزبون، الآية هي " وإنه خلق الزوجين الذكر والأنثى من نطفة إذا تمنى" واستخدموها لإثبات

أن القرآن قد سبق الغرب في إثبات أن الرجل هو المسئول عن تحديد جنس المولود، ولنسمع شعر زوجة أبي حمزة العيني والذي هجرها بعد أن ولدت بنتا فقالت:

ما لأبي حمزة لا يأتينا	ظل في البيت الذي يلينا
غضبان ألا نلد البنينا	تالله ما ذلك في أيدينا
ونحن كالأرض لزراعينا	ننبت ما قد زرعوه فينا

هل نصرخ كما صرخ الإعجازيون ونقول إن هذه المرأة البدوية البسيطة يتساقط من فمها إعجاز علمي ويجب أن نقيم لها مقاما وكعبة!!.

- **الآية 12** سورة المؤمنون " ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين"، وقد كتب د. زغلول النجار في مدى إعجازها صفحة كاملة يوم 20 سبتمبر 2004وعن تشابه تركيب جسم الإنسان مع التركيب الكيميائي للطين، وأخذ يعطينا د. زغلول محاضرة في نسبة الألومنيوم والسليكون والماغنسيوم والبوتاسيوم وأكاسيد الحديد في كل من الإنسان والتراب، ولكن ما هو رأي د. زغلول إذا أحضرنا له أدلة على أن هذا الكلام قد قيل في أساطير سومرية وبابلية، ونرجوه الرجوع لكتاب فراس السواح مغامرة العقل الأولى ليعرف من خلال الأساطير أن الإله مردوخ البابلي خلق الإنسان من طين وكذلك إنكي السومري والإله خنوم الفرعوني الذي كان يصور في النقوش على هيئة صانع الفخار، وحتى في الأساطير الإغريقية يخلق بروميثيوس الإنسان من تراب وماء

<u>تجارة الإعجاز العلمي تقودنا الى الضلال:</u>

تحت هذا العنوان يمضي د. خالد منتصر فيقول:

وهم الإعجاز العلمي القرآني سيطر على عقول القدماء كما سيطر على عقول المعاصرين، وكما تصدى الشيخ شلتوت وبنت الشاطئ لأكاذيب أصحاب بوتيكات الإعجاز حديثا، تصدى لهم الإمام الشاطبي قديما في كتابه المهم " الموافقات في أصول الشريعة"، فبعد أن تحدث الشاطبي عن عدم جواز تحميل القرآن من المعاني ما لا يتناسب مع كون العرب أمة أمية قال بوضوح " يجب أن لا نلتمس في القرآن ولا في الحديث ما يخرج عن معهود العرب من العلوم والمعارف، وعلوم العرب مذكورة معروفة كالعلم بمواقع النجوم وما يختص بالإهتداء بها في البر والبحر والعلم بالأنواء وأوقات نزول الأمطار وإنتشار السحاب والعلم بالتاريخ وأخبار الأمم الماضية، وهذا الصنف من المعارف ذكره القرآن في غير ما آية".. هذه هي أنواع وحدود العلوم التي كانت متداولة حينذاك ولم يطلب الشاطبي من القرآن أن يتخطى هذه الحدود العلمية الضيقة، بل وأنكر أن نبحث في القرآن عن معارف وعلوم أعلى من مستوى الأمية التي كان عليها العرب، ونقتبس هنا هذا الإستنكار في قوله " أن كثيرا من الناس قد تجاوزوا في الدعوى على القرآن الحد فأضافوا إليه كل علم يذكر للمتقدمين أو المتأخرين من علوم الطبيعيات والتعاليم والمنطق وعلم الحروف وجميع ما نظر فيه الناظرون من هذه الفنون وأشباهها"، ويوضح الشاطبي سبب إستنكاره لأننا " إذا عرضناه على ما تقدم. من أمية العرب. لم يصح"، ولذلك السبب " ليس بجائز أن يضاف الى القرآن ما لا يقتضيه، كما أنه لا يصح أن ينكر منه ما يقتضيه، ويجب الإقتصار في الإستعانة على فهمه على كل ما يضاف علمه الى العرب خاصة، فيه يوصل الى لم ما أودع من الأحكام الشرعية، فمن طلبه بغير ما هو أداة له ضل فهمه".

الضلال هو المصير الذي يتوقعه الإمام الشاطبي لمن يطلبون الإعجاز العلمي والتفسير الكوني في القرآن، تخيلوا عملية التضليل والتدليس التي يقوم بها دعاة الإعجاز ويغسلون بها أدمغتنا ويزيفون وعينا بدعوى وتحت شعار أنهم يرسخون إيماننا ويثبتون لنا أننا أفضل من الجميع دينا وعلما، وأولى أسباب الضلال هي الكارثة المنتظرة إذا إلتمسنا علوم الطبيعة في القرآن فإننا إن فعلنا ذلك وقلنا عن آيات أنها تحتوي على إعجاز علمي فنحن نفتح الباب لكي يرد علينا من يثبت العكس بأن هذه الآيات بها خطأ علمي، وإذا لم نلجأ للحل الذي طرحته في البداية وهو أن نعترف بأن القرآن كان يتفاعل مع معارف وعلوم هذه الأمة الأمية كما قال الإمام الشاطبي، ونخرج من هذا الفخ ونرفع عنا الحرج بأن نطلق على ما يصفونه خطأ علميا بأنه مجرد إنعكاس وترديد ورصد لعلوم هذا العصر الذي من الممكن بل من الأكيد أن علوم زماننا تجاوزته بمراحل، إذا لم نفعل ذلك فنحن نرتكب جريمة في حق القرآن، ولكن أن نعاند ونصر على أن هذه الآيات بها إعجاز علمي فبذلك نكون قد فتحنا على أنفسنا أبواب جهنم وقمنا بجر وشد القرآن الى ملعب ليس بملعبه، وجعلناه مطروحا على بساط البحوث العلمية الكيميائية ومتأرجحا على أرجوحة النظريات الفيزيائية والبيولوجية وبذلك نكون قد عبدنا ومهدنا أقصر الطرق لضلال المسلمين وإضلالهم وتزييف وعيهم، وسأضرب بعض الأمثلة من أشهر ما يقدمه تجار الإعجاز العلمي تحت إسم إعجاز تطور الجنين، حين يتناولون الآيات الخاصة بها في سورة المؤمنون " ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين. ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين"، وهي آيات تتحدث الى المجتمع حينذاك بلغته المتداولة حينذاك عن معجزة الخلق التي هي مجرد خلق هذا الجنين بدون التفاصيل العلمية التي يدعونها، وعملية خلق الجنين والحمل والولادة في حد ذاتها إقشعر لها بدن الإنسان منذ العصر الحجري، ولم يكن وقتها محتاجا لأي تفاصيل علمية دقيقة بأن هذه معجزة كانوا ينسبونها قديما لقوى غامضة ثم نسبت بعد ذلك الى قدرة سماوية خارقة هي الله خالق الخلق أجمعين، وما يدعيه أصحاب بازارات الإعجاز العلمي من أن هذه الآيات تتحدث عن أمور علمية معاصرة قول مغلوط، وعدم وجود هذه المعلومات والمفاهيم الحديثة عن تكوين الجنين ليس فيها أي إنتقاص من قدر القرآن وقدسيته، فالمفاهيم القديمة المتداولة وقت نزول القرآن كانت تتحدث عن أن الجماع وما ينزل منه من سائل منوي هو سبب الحمل، وحتى في سفر التكوين عندما أدين أونان لممارسته العادة السرية كانت الإدانة بسبب أنه بهذه العادة يمنع النسل، وهذه معلومة متداولة لا تعني أي إعجاز إذا

كانت النطفة تعني الحيوانات المنوية كما يدعون، وبالطبع لا بد أن نفهم الآيات من السياق ومن معاني الكلمات التي تشكل الآيات، فالنطفة هي قطرة الماء، والعلقة هي الدم الغليظ ولا علاقة لها بالدودة التي يتحدث عنها د. زغلول النجار، والمضغة وغيرها من الأشكال لا علاقة لها بأطوار تكون الجنين ولكنها ببساطة مراحل شاهدتها القابلات والأمهات والناس حينذاك من ملاحظة بسيطة أثناء الإجهاض، فالإجهاض يتم في أي مرحلة ومن الوارد جدا عندما يحدث الإجهاض أن يصفه هؤلاء بأنه شبه العلقة أو المضغة ... الخ، كل هذا لا يعكس أي معجزة علمية حديثة فالمفاهيم القديمة لا تذكر أبدا دور البويضة ولكن تذكر ماء الرجل وماء المرأة وهو الماء الذي ينزل منها قبل الإيلاج ولا علاقة له بتكون الجنين بدليل أن فهم الرسول (ص) لهذه الأشياء كان مرتبطا بمعتقدات ذلك الزمان، فعلى سبيل المثال هناك الحديث الذي يجيب فيه الرسول (ص) عن سؤال المرأة: هل تغتسل إذا إحتلمت؟ فرد الرسول ـ عندما قالت عائشة تربت يداك. قائلا: دعيها وهل يكون الشبه إلا من قبل ذلك إذا علا ماؤها ماء الرجل أشبه الولد أخواله وإذا علا ماء الرجل ماءها أشبه أعمامه"، هذه المفاهيم وغيرها هي التي كانت سائدة ولا نستطيع أن ندعي أنها تعبر عن معلومات علمية معاصرة مثل مفهوم إتحاد الحيوان المنوي بالبويضة التي لم نجد لها أي ذكر في ثقافة العرب القدماء وبالتالي في القرآن، أما آية فكسونا العظام لحما فهي تتحدث أيضا عن مفهوم قديم أيضا تفاعل معه القرآن لإقناعهم من داخل ثقافتهم وبلسان معارفهم، وهذا المفهوم يتحدث عن خلق العظام قبل العضلات وهو ما يعتبره د. زغلول إعجازا علميا، ولكن سيندهش د. زغلول ولن يستطيع التخلص من هذا الفخ الذي أوقع نفسه وأوقعنا فيه حين يعرف أن العظام واللحم خلقا في نفس الزمن لأن أي دارس لعلم الأجنة يعرف أن خلايا الجنين تنقسم الى ثلاث طبقات: إكتوديرم وميزودرم وإندوديرم، والأولى يتكون منها المخ والأعصاب والجلد والثانية وهو محور حديثنا يتكون منها العظام والعضلات بالتزامن والتوازي وليس عظم قبل لحم كما كان القدماء يتصورون، أما الطبقة الأخيرة فمنها الأمعاء والكبد ...الخ، وأيضا مفهوم تشكيل الجنين من الماء الدافق بين الصلب والترائب هو مفهوم أيضا يتسق مع المفهوم الذي كان يقول قديما هذا الإبن من ظهري أو من صلبي وبالطبع كان يقولها القدماء قبل القرآن بدون أي إدعاء إعجازه، وكان رجال الدين اليهود والمسيحيون يحاولون نفس المحاولة مع سفر التكوين حين خاطب الله يعقوب قائلا وملوك سيخرجون من صلبك، وبالطبع تغيرت تلك الفكرة الآن وعرفنا أن الحيوانات المنوية تفرز من الخصيتين وتسبح في سائل من البروستاتا والحويصلات المنوية، وبذلك نكون قد تأكدنا من أن محاولات رجال الدين في كافة الأديان لإثبات الإعجاز العلمي محاولة مكتوب عليها الفشل المزمن.

السبب الثاني للضلال كما يسميه الإمام الشاطبي والذي يدعونا لإنكار الإعجاز العلمي هو تحويل العبادات والأوامر الإلهية القرآنية الى فوائد علمية ولا أعرف لماذا هذه التعسف والعناء؟، فنحن نصوم لأن الله أمرنا بذلك وليس لأن الصوم أفضل للكبد والقلب والبنكرياس ... الخ ولأنه ببساطة إذا كان الأمر يحتوي على كل هذه الفوائد لماذا نأكل الطعام في كل الشهور الأخرى ولا نصومها؟! وأنا أصلي لأن الله أمرني بالصلاة وليس لأنها تمارين رياضية وإلا كانت تمارين الجمباز أفضل !!، وهكذا فتحويل العبادات وتسويقها للبشر بحجة أن فيها فوائد علمية ونظريات فسيولوجية فيه إمتهان للدين والعلم على السواء، ومن أشهر هذه الأوامر الإلهية التي حاول الإعجازيون تبريرها بأسباب علمية وتمريرها على أنها إعجاز علمي أمر الإمتناع عن تناول لحم الخنزير، فأنا كمسلم مُطالب بعدم تناول هذا اللحم لأنه أمر إلهي ولكن أن تقدمه لي على أنه إعجاز علمي فأنت تدفعني بلا مُبرر على الرد عليك يا دكتور زغلول وأقول أن حديثك عن أضرار لحم الخنزير بأنها إعجاز علمي حديث مُضلل، وأقول لك لماذا؟ أولا لأن الدين الإسلامي ليس الدين الوحيد الذي حرم لحم الخنزير فهناك الدين اليهودي يحرمه أيضا، ففي سفر اللاويين والتثنية تقول التوراه عن الخنزير" من لحمها لا تأكلوا وجثتها لا تلمسوا"، وحتى الديانة المصرية القديمة حضت على كراهية الخنزير فيكفي أن إله الشر ست قتل الإله حورس بينما كان الأول على هيئة خنزير، وفي الأساطير الكنعانية مات كبير الآلهة على يد خنزير بري أيضا، إذن مسألة الإعجاز العلمي لمنع الخنزير ستجرنا الى مقارنة غير مطلوبة، ثانية: مسألة أن لحم الخنزير من الممكن أن تصيبه دودة شريطية تسمى التينيا سوليم فإن الإعجازيين يخفون عنا أن البقر من الممكن أن تصيبه دودة شريطية أخرى تسمى التينيا ساجيناتا فلماذا لم نحرم أكل البقر أيضا؟ ويقال أن الخنازير تربى في حظائر قذرة ولكن إذا عرف د. زغلول أن حظائر الخنازير في أوروبا أكثر نظافة من بيوت كثيرة موجودة في بلادنا، وأنه لو شاهد ماذا يأكل الدجاج في حارات وشوارع القرى سيمتنع فورا عن أكل الدجاج الذي يتناول أحيانا الفضلات!، هل وقتها سيبيح لحم الخنازير إذا ربيت في حظائر نظيفة؟!، أما العجب العجاب فهو ما سمعته من الإعجازيين عن أن لحم الخنزير يجعل الرجل ديوثا أي لا يغار على إمرأته، وهذا كلام فارغ لا أساس علمي له ولا عقلي والحديث فيه إضاعة للوقت!.

ثالث أسباب الضلال هو أن حق اللجوء العلمي للقرآن وإعتباره مرجعا كيميائيا وفلكيا وبيولوجيا يجعل بعض رجال الدين يفرضون على العلم الحديث تفسيراتهم الدينية فيتناقضوا معه ويجعلوننا أضحوكة العالم، كما حدث مع الشيخ بن باز الرئيس العام لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد في المملكة العربية السعودية الذي قال في فتواه عام 1976 بأن " القول بأن الشمس ثابته وأن الأرض دائرة هو قول شنيع ومنكر، ومن قال بدوران الأرض وعدم جريان الشمس فقد كفر وضل ويجب أن يستتاب وإلا قتل كافرا ومرتدا ويكون ماله فيئا لبيت مال المسلمين"، وقد إستند بن باز للدلالة على جريان الشمس والقمر الى بعض الآيات القرآنية مثل قوله تعالى " وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى"، " والشمس تجري لمستقر لها"، " وسخر لكم الشمس والقمر دائبين"، " فلا أقسم برب المشارق والمغارب" ويقول بن باز في تفسيره أن الجرى في لغة العرب هو السير والإنتقال من مكان الى مكان، أما أدلة ثبوت الأرض فقد جمعها بن باز في الآيات القرآنية مثل " جعل لكم الأرض قرارا"، " جعل لكم الأرض مهادا"، " الذي جعل لكم الأرض فراشا"، " وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم" ومن تفسيراته أن كون الأرض فراشا مشروط بكونها ساكنة لأنها لو كانت متحركة لما كانت فراشا على الإطلاق، وهكذا أصبح القرآن الكريم بين مطرقة زغلول النجار وسندان بن باز، ولكن هل توقف الإعجاز العلمي عند حدود القرآن أم جذبه البعض الى حدود السنة النبوية؟.

إن الرد المنطقي على جمعية المنتفعين بالإعجاز العلمي هو أن منهج تناولهم للكشوف والتنبؤات العلمية للقرآن منهج مقلوب ومغلوط، فنحن ننتظر الغرب الكافر الزنديق حتى يكتشف الإكتشاف أو يخرج النظرية من معمله ثم نخرج لساننا له ونقول كنت حأقولها ما هي موجودة عندنا بين دفتي القرآن ونتهمهم بالغباء والمعاندة والتكبر ولا نسأل أنفسنا إذا كانت تخريجاتهم ودعبساتهم في القرآن الكريم التي يقولون عنها أعجازا علميا بهذا الوضوح فلماذا لم يحدث العكس فنخرج النظريات بعد دراسة القرآن ونسبق بها الغرب ونغيظهم ونقهرهم بعلمنا الفياض بدلا من الإنتظار على محطة الكسل المشمسة المخدرة كل منا يعبث في لحيته ويلعب في أصابع قدميه ويفلى في رأس جاره متربصين بالكشوف والقوانين والإنجازات الغربية التي ما أن تمر علينا حتى نصرخ دي بتاعتنا يا حرامية مع أن الحقيقة أننا نحن اللصوص المتطفلين على موائدهم العلمية العامرة؟!!، وللأسف نظل نحن المسلمين نتحدث عن العلاج بالحجامة وبول الإبل وحبة البركة وهم يعالجون بالهندسة الوراثية ويقرأون الخريطة الجينية، ونظل حتى هذه اللحظة غير متفقين على تحديد بدايات الشهور الهجرية فلكيا بينما هم يهبطون على سطح القمر ويرتادون المريخ ويراقبون دبة النملة من خلال أقمارهم الصناعية. القرآن كما ذكرنا من قبل ليس كتابا في الفيزياء ولا البيولوجيا ولا الجيولوجيا، وليس مطلوبا منه ذلك، ولكنه كتاب ديني يضع ضوابط وخطوطا عامة للأخلاقيات والسلوك والمعاملات، ويتعامل مع المطلق والعموميات وربطه بالعلم الذي يتعامل مع النسبى والمتغير فيه خطورة شديدة على الدين وعلى العلم كليهما على السواء، فالدين سيتأثر عندما نربط بين آية ونظرية علمية تثبت عدم صحتها بعد فترة، والعلم أيضا سيتأثرعندما نكبح جماحه ونخلخل منهجه الأساسي وهو منهج التساؤل الدائم والقلق المستمر، فالدين إكتفاء والعلم ظمأ، الدين إنسان يعيش في يقين جاد والعلم مريض بالشك المزمن، الدين يجمع في جعبته أقصى ما يستطيع من البديهايات والعلم يلقي أقصى ما يمكنه منها في سلة المهملات، الأول وهو الدين مجاله الأساسي ما وراء الواقع أما الثاني فملعبه الأساسي هو الواقع.

عن كتاب " وهم الإعجاز العلمي"

د. خالد منصر ـ دار العين للنشر الطبعة الأولى 2005

10- الإعجاز التاريخى

إرم ذات العماد

يقول د. زغلول النجار انه قد اكتشفت فى مكان بجنوب الجزيرة العربية مدينة بها انهار ومبان بأعمدة وقام معهد بعد ذلك بعمليات تنقيب .. وفعلا تم إكتشاف المدينة بأعمدتها وانهارها ! ثم توقف العمل دون سبب ولم يتابعه أحد بعد ذلك. وتبين ان هذه المدينة هى مدينة "إرم ذات العماد" التى جاء ذكرها فى القرآن الكريم فى سورة الفجر "ألم تر كيف فعل ربك بعاد إرم ذات العماد".

رغم ان الدكتور النجار مغرم بالتفاصيل , فهو لم يقل لنا بصدد هذا الحدث الخطير أى مركبة فضاء انجزت هذا الإكتشاف ومتى وفى أى حوليات علمية موثوقة بها تم تسجيل الموضوع؟ ولماذا توقف العمل؟ إلخ. وما هى الهيئة العلمية ذات المصداقية الدينية والفنية والتقنية التى حكمت بان الحفريات هى مدينة إرم ذات العماد؟

إنه من المسلم به علميا ان مركبات الفضاء قادرة بإستخدام بعض انواع الآشعة أن تخترق سطح الأرض فى المناطق الجافة و أن ترصد اماكن انهار قديمة كانت موجودة قبل العصر الجاف منذ حوالى 6 آلاف عام.

وهذا مثبت فى بعض الأماكن بالصحراء الغربية فى مصر بمنطقة العوينات وبالفعل تحددت اماكن بعض الأنهار القديمة التى كانت موجودة فى هذه المناطق.

ولكن اين التوثيق العلمى لما يسمى "إكتشاف إرم ذات العماد" ؟!

لقد حذر العلامة إبن خلدون من إغراق الناس فى الوهم بإستنطاق الآيات القرآنية ما لا تمت له بأدنى صلة .. إذ يقول فى مقدمته :" وأبعد من ذلك وأغرق فى الوهم ما يتناقله المفسرون فى تفسير سورة الفجر فى قوله تعالى "ألم تر كيف فعل ربك بعاد إرم ذات العماد" فيجعلون لفظة "إرم" اسما لمدينة وصفت بانها ذات عماد أى اساطين وينقلون انه كان لعاد بن عوص بن إرم ابنان هما شديد وشداد ملكا من بعده. وهلك شديد فخلص الملك لشداد ودانت له ملوكهم وسمع وصف الجنة فقال لأبنين مثلها فبنى مدينة إرم فى صحارى عدن فى مدة ثلاثمائة سنة وكان عمره تسعمائة سنة وانها مدينة عظيمة قصورها من ذهب واساطينها من الزبرد والياقوت وفيها اصناف الشجر والانهار المطردة ولما تم بناؤها سار اليها بأهل مملكته حتى إذا كان منها على مسيرة يوم وليلة بعث الله عليهم صيحة من السماء فهلكوا كلهم .ذكر ذلك الطبرى والثعلبى والزمخشرى وغيرهم من المفسرين وينقلون عن عبدالله بن قلابة من الصحابة انه خرج فى طلب إبل له فوقع عليها وحمل منها ما قدر عليه وبلغ خبره معاوية فأحضره وقص عليه فبحث عن كعب الأحبار وسأله عن ذلك فقال: " هى إرم ذات العماد وسيدخلها رجل من المسلمين أحمر , أشقر قصير على حاجبيه جال , وعلى عنقه خال , يخرج فى طلب إبل له ثم إلتفت فأبصر ابن قلابة فقال هذا والله ذلك الرجل ".

ثم يستطرد ابن خلدون قائلا :

" وهذه المدينة لم يسمع لها خبرمن يومئذ فى شئ من بقاع الأرض , وصحارى عدن لتى زعموا أنها بنيت فيها هى فى وسط اليمن , ومازال

عمرانه متعاقبا و الأدلاء تقص طرفة من كل وجه ولم ينقل عن هذه المدينة خبر , ولا ذكرها أحد من الإخباريين, ولا من الأمم, ولو قالوا إنها

درست فيما درس من الآثار لكان أثبت إلا ظاهر كلامهم أنها موجودة, وبعضهم يقول أنها دمشق بناء على أن قوم عاد ملكوها, وقد ينتهى الهذيان ببعضهم إلى أنها غائبة , وإنما يعثر عليها أهل الرياضة والسحر,

مزاعم كلها أشبه بالخرافات".

هذا الجدال فى التفاسير والتأويلات ظل موجودا كما نرى ومطروحا على الساحة منذ قرون ومليئا بالتناقضات مع المنطق والتاريخ والعلم , فهل من المعقول أن تتوصل بعثة إلى هذه المدينة كما ادعى د. زغلول النجار وهى مدينة جاء ذكرها فى القرآن الكريم كما فسره المفسرون ومبانيها من الذهب الخالص وأعمدتها من الزبرجد والياقوت , ثم يتم تجاهل هذا الكشف التاريخى من العالم الإسلامى بأسره؟ أم هى محاولة لجذب الإستثمارات أو الوفود السياحية حتى لا نقول انها محاولات لإلهاء شعوبنا عن مواجهة الواقع بقضاياه وتحدياته؟

قوم عاد وثمود

زغلول والقرآن والبتراء

عند قرآة القرآن وترتيب الانبياء وقومهم حسب زمنهم التاريخي نستنتج التالى :اولا كان هناك نوح وقومه الذين أغرقهم الله بالطوفان .. ثم جاء من بعدهم قوم عاد ونبيهم هو هود , وهم نفسهم أصحاب إرم ذات العماد حيث جعلهم خلفاء من بعد قوم نوح ولكن الله أهلكهم بريح صرصرا عاتيه. ثم بعد عاد جاء قوم ثمود حيث جعلهم الله خلائف من بعد عاد كما ذكر القرآن وثمود هم قوم صالح وهم أصحاب الناقة وهم الذين جابوا الصخر بالواد ثم جاء من بعدهم زمن إبراهيم وزميله لوط ثم من بعدهم إسحاق ويعقوب وإبنه يوسف الذي عاش في مصر ثم جاء زمن موسى وفرعون (والقصة معروفة)

ثم بعد ذلك جاء زمن أنبياء بني إسرائل من داود وسليمان ويونس وأيوب ويحي ثم إنتهت سلسلة أنبياء بني إسرائل بعيسى الذي بشر برسول يأتى من بعده أسمه احمد (محمد)... ثم جاء زمن محمد أعظم كائن حي على الإطلاق وبدون منازع ..صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا كما يقول المسلمون. عند محاولة المقارنة بين التسلسل الزمني والتاريخي للأحداث الزمنية كما صورها القرآن والحديث النبوي مع ما توفر لدينا من معطيات تاريخية فالنتيجة اننا سوف نصاب بنوع من الاستغراب ... وهنا سأعطي مثالا على هذا التناقض الصارخ بين التاريخ وبين التصور القرآني للأحداث فى أسطورة قوم ثمود كمثال على ذلك... أين تقع ثمود وفي أي زمن بنيت ومن هم قوم ثمود وكيف عرف محمد عن قوم ثمود وهل

كانت تعرف العرب ثمود قبل محمد ؟ سوف نحاول الإجابة على هذه الأسئلة.
ثمود كانت معروفة للعرب قبل الإسلام حتى أن القرآن دائما يذّكر العرب بما حدث لقوم ثمود (ولكم في مساكنهم آية) (قل سيروا في الأرض فنظروا كيف كانت عاقبة المتكبرين) .. أين هي ثمود التى تحكي حولها الأساطير ؟.. إنها بيوت وقصور الأنباط في البتراء وفي مدائن صالح تلك البيوت التى نحتت في الصخور بطراز معمارى جميل.. وذكر القرآن تلك البيوت بوصف غزلي رائع ودقيق ." ومن الأرض تتخذون من سهولها قصورا وتنحتون الجبال بيوتا فارهين".. وقال عنهم ..."الذين جابوا الصخر بالواد"... وطبعا كان النبي العربي "صالح" في الجزيرة العربية حيث تتوفر النوق (هذه ناقةالله لكم آية) .. واما نهايتهم القرآنية فقد كانت مؤسفة (فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في ديارهم جاثمين)

أين ذهب قوم ثمود وماذا حدث لحضارة الانباط أين ذهب شعب الانباط هل يعقل أن تكون الارض إنشقت وبلعتهم هل جائت اطباق طائرة واختطفت الانباط؟! إن إختفاء الأنباط يذكرني بإختفاء الأزدك والماي من بيوتهم التى أصبحت خاوية على عروشها فبعد ان قتلهم الرجل الأبيض عن بكرة أبيهم جاء أحفاد الرجل الأبيض يبحثون عن تفسير منطقي لسر إختفاء شعوب الماي والازدك الغامض والى الآن لم يعرفوا ما هو سر إختفاءهم... وربما لن يعرفوا أبدا .. وربما هي أطباق طائرة سقطت عليهم فماتوا عن بكرة أبيهم.

المهم نعود الى الموضوع ...

تَغيُّر الطريق التجاري العالمي وتحوله عن بلاد العرب دمر القوة الإقتصادية للأنباط فهَجَروا بيوتهم وقصورهم المنحوته في الجبال الصحراوية وذهبوا الى بقاع أخرى حيث يتوفر لهم الرزق...كما ذهب أهل حضارة دلما والبحرين بعد تغير الطريق التجاري الذي كانوا يعيشون عليه ..

ومرت القرون والعقود وتغيرت الأجيال وبدأت تكثر التخامين والتحاليل والتفاسير حول اختفاء شعب الماى العربى (الانباط) لماذا تركوا تلك البيوت والقصور الجميلة وكيف إختفوا .. وطبعا أنتشرت أساطير كثيرة تفسر سبب إختفائهم الغامض منها ما يقترح العقاب الرباني

كسبب لإختفائهم ومنهم من يعتقد أن الجن هم من قام بقتلهم ..وهناك من ظن أن الجن هم من بنوا تلك الحضارة كما بنوا لسليمان قصوره .. ولذلك كانوا يخافون الإقتراب من تلك الاماكن وطبعا هذه الأساطير كانت متداوله زمن محمد.

وكما ذكرت كتب الصحاح ..

فإن محمد ذات مرة ذهب هو وأصحابه في إحدىالغزوات ومروا بقصور الإنباط المهجورة وأراد أصحاب محمد أن يطبخوا ويشربوا من بئر الكفار فنهاهم النبى عن ذلك وأمرهم بأن يشربوا و يستخدموا ماء البئر الاخرى وهى البئر التى كانت تشرب منها الناقة (بئر الناقة وبئر الكفار لا تزال موجودة هناك في البتراء الى اليوم.).

كما أن النبي نهاهم عن التواجد أو الإقتراب من الخرائب والأماكن التى أنزل الله عليها سخطه وغضبه. وأمرهم بالإسراع عند المرور بتلك المناطق وأمتثل العرب لأوامر محمد الى هذه اللحظة والحمد لله أمتنا أمة مطيعة تخاف الله ..

كما ان المؤرخين العرب (بعد الإسلام) ذكروا ثمود في كتبهم ومكانها الذي هو في البتراء كما أنه كان لهم بعض المباني المنحوته في (الحجر) أو مدائن صالح بالسعودية .. وهي لا تختلف عن تلك التى في البتراء بالأردن ...وكلها من بقايا حضارة الانباط ... واما محمد فلم يسمع عن الانباط بل كان يسميهم قوم ثمود ... والإسم ثمود يمكن المجادلة حوله فالاسم قد يكون له علاقة بالانباط ولا غبار على ذلك ...
الخطأ الذي وقع فيه محمد بالنسبة لثمود وحضارة الانباط هو الترتيب الزمنى الذى وضعهم فيه فقد جعلهم محمد بعد نوح وعاد وقبل ابراهيم ولوط ويوسف وفرعون وموسى وداود وعيسى وهذا خطأ واضح فحضارة الانباط بقصورهم الفارهه التى وصفها محمد بُنيت في القرن الاول الميلادى يعنى بعد المسيح والمفترض أن تكون قبل إبراهيم وقبل موسى وقبل فرعون وقبل أنبياء بني إسرائيل وقبل عيسى بمئات السنين فكيف أصبحت بعد عيسى ؟!

اخطأ محمد في الترتيب الزمني للأحداث فهو لم يكن خبير آثار حتى يحدد زمن تلك التشاهدها في جزيرة العرب كما أنه لم يذهب الى روما ليقارن مبانيهم وطرازهم المعماري بطراز الأنباط ..الذي يختلف قليلا عنه..

من الواضح انه محمد كان يصف البتراء .

فهم المفسرين الأوئل والأواخر أن مباني الانباط هي المذكورة في القرآن بإسم ثمود...

المؤرخين يذكرون مباني الانباط على انها قصور ثمود بئر الكفار وبئر الناقة لا تزالا موجودتان في البتراء ..

مقابر الأنباط في السعودية تسمى "الحجر" او مدائن صالح ...

ربما يصاب مطاوعة السعودية بالصدمة عندما يعرفون أن قصور وبيوت مدائن صالح بنيت بعد عيسى وليس بعد نوح و قبل إبراهيم.. كما هو مفترض

ولكن ثمود اصحاب صالح يعودون الى ما قبا ابراهيم وموسى وفرعون حسب القرآن.. فمالذي حدث ..؟

ويأتي جواب د. زغلول النجار ان حضارة وآثار الانباط موجودة فى الاردن وبالتحديد فى البتراء واما ثمود فهى معروفة فى السعودية وليست فى الاردن .. ورجعنا الى نفس المشكلة فالمعالم الأثرية والقبور أو القصور المنحوته في صخور مدائن صالح بسعودية هى الأخرى ترجع الى حضارة الأنباط وبنيت في القرن الميلادى الأول .... ويبقى نفس التناقض موجود ..

طبعا مأزق تاريخى المخرج الوحيد منه هو إنكار أن صالح وثمود والناقة كانوا في جزيرة العرب وبالإضافة الى ذلك يحتاجون الى إنكار الأحاديث التى تدل على أنهم كانوا في جزيرة العرب ومع ذلك سوف يبقى الأمر نوع من المكابرة فصالح إسم العربي والجمل هو رمز العرب والوصف القرآنى ينطبق على آثار الأنباط كما أن العرب

كانوا يعرفون ثمود قبل محمد ... فالمأزق سوف يظل موجودا.

والحل بسيط جدا أخطأ محمد فمحمد لم يكن خبير آثار حتى يحدد عمر حضارة الأنباط اخطأ في الترتيب الزمنى ولذلك إتهمه خصومه بأن ما كان يقول هو مجرد اساطير الأولين وقد صدقوا..

يقول الاستاذ محمد عمر دروزة (سيرة الرسول: 1: 204)

"القصص القرآني، منه ما كان عربيا غير توراتي كقصص هود وعاد، وصالح وثمود ومدين، ومنه ما كان توراتيا كقصص نوخ ولوط وموسى وفرعون مع بني أسرائيل، وداود وسليمان ويوسف الخ...وما ورد خصوصا في القرآن ولم يرد في التوراة من قصص أبراهيم ص. مع ابيه وقومه وأقوله ومواقفه ودعائه. وعدم ورودها في التوراة، مما يسوغ القول أنها كانت متداولة ومعروفة فى اوساط العرب كمرويات ومنقولات عربية عن الآباء الى الابناء".

اجل، كانت متداولة معروفة في أوساط العرب، لكن ليس " كمرويات ومنقولات عربية عن الاباء الى الابناء" – بل عن أهل الكتاب من يهود ونصارى الذين كانوا يروونها على حرف التلمود أكثر منه على حرف الكتاب. فما انفرد به قصص ابراهيم " مع ابيه وقومه وأقواله ومواقفه ودعاءه" عن التوراة، قد ورد مثله في التلمود. لذلك جاء القصص القرآتي ابن بيئته الكتابية العربية، أقرب الى التلمود منه الى الكتاب.

صلة القصص القرآني ببيئته العربية والكتابية:-

لم يكن القصص القرآني فكرة جديدة في بيئته العربية والكتابية. فالعربي مفطور على حب القصص والاساطير، وعلى حب الغزوات والرحلات وحديث السمر الدائم عليها. والشعر الجاهلي شاهد على تلك الميول؛ وقد وردت فيه اشارات الى قصص أحمر عاد، أو احمر ثمود، وقصص الجن مع سليمان " يبنون تدمر بالصفاح والعمد".
ولقد نقلت لنا الروايات كيف كان النضر بن الحارث يجلس الى الناس في فناء الكعبة، مثل محمد، ويقص عليهم اخبار فارس وقصص رستم واسفنديار، فيستحلون حدي وينصرفون عن النبي.

وما جدال النبي والمسلمين والكتابين والمشركين في قصة أهل الكهف سوى دليل على ولع اهل مكة بالقصص والاساطير. واستفتاح بعض القصص بقوله: " ألم ترى" إشارة الى علم السامعين بالقصة المنقولة.
قال دروزة (القرآن المجيد): " إن ما ورد من قصص وأخبار متصلة بالامم السابقة وأحداثها:- " لم يكن غريبا عن السامعين اجمالا، سماعا أو مشاهدة آثار، او اقتباسا، أو تناقلا، سواء منه ما هو موجود في الكتب المنزلةالمتداولة، مماثلا أو زائدا او ناقصا او مباينا لما جاءه القرآن وما لم يكن موجودا فيه".
ويقول دروزة (نفس المرجع ص: 166 و170) " ولقد يرد سؤال عما اذا كان النبي يعرف ايضا القصص القرآنية قبل بعثته أو عن طريق الوحي . والذي نعتقده أن النبي، خلافا لما قاله بعضهم ،كان يعرف كثيرا مما يدور في بيئته من قصص الامم والانبياء السابيقن، وأخبارهم ومساكنهم واثارهم، سواء منها المذكور في أسفار التوراة والانجيل أو غيره... بالاضافة الى ما كان يعرفه من أحوال سكان الجزيرةايضا وتقاليدهم وافكارهم وعاداتهم واخبار اسلافهم. وان هذا هو المتسق مع طبيعة الاشياء".

وان النبي قد اتصل قبل بعثته بالكتابين الموجودين في مكة وتحدث معهم حول كثير من الشؤون الدينية، وحول ما ورد في الكتب المنزلة، واستمع الى كثير مما احتوته....وحديث بدء الوحي فى البخارى صريح بان النبى اجتمع بورقة بين نوفل الذى تنصر وقرأ العبرانية وكان يقرأ الانجيل ويكتبه".

فالقصص القرآني متداول في بيئة النبي العربية الكتابية، وقول المشركين المتواتر أنه " أساطير الاولين شاهد على ذلك.

وهذا المصدر الشعبي للقصص القرآني يحمل معه مشكلة أخرى: فمثلا، بعد قصة نوح الشهيرة يقول القرآن: " تلك من انباء الغيب نوحيها اليك ، ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا فاصبر ان العاقبة للمتقين" (هود 49). وبعد قصة يوسف الشهيرة يقول: " ذلك من أنباء الغيب نوحيه اليك .وما كنت لديهم اذ جمعوا أمرهم وهم يمكرون" (يوسف 102). وبعد قصة مريم في آل عمران، وقد طبّقت آفاق الجزيزة، من الوف النصارى والمسيحين ، يقول: " ذلك من انباء الغيب نوحيه اليك .وما كنت لديهم اذ يقولون ايهم يكفل مريم، وما كنت لديهم اذ يختصمون" .(44) فكيف يقول

انه من الغيب نوحيه اليك؟؟ وقد كانت متداولة بينهم من التوراة والانجيل، ومن التلمود والاناجيل المنحولة. وكيف يقول: " ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا" القرآن؟؟؟؟

انه اشكال ضخم كما يقول دروزة (القرآن المجيد ص 170): " إن في الايات الثلاث اشكالا ضخما يدعو الى الحيرة ولا يستطاع النفاذ الى الحكمة الربانية فيه نفوذا تاما".

وفي سورة الشعراء الايات 192، 196 و 197 عن مصدر القرآن يقول: إنه تنزيل رب العالمين بلسان عربي مبين، وانه لفي زبر الاولين (الجلالان: كتب الاولين كالتوراة والانجيل) ويعلمه علماء بني اسرائيل: فكيف هو تنزيل جديد وكيف هو في الوقت ذاته في زبر الاوليين؟؟؟ وما دخل علماء بني اسرائيل في القرآن، وكيف يعلمون ان القرآن في زبر الاوليين؟؟؟؟

المسيح كان يعلم الغيب من تلقاء نفسه، كما هو واضح في آيات كثيرة بالانجيل (وبشهادة القرآن ايضا). . والغيب الذي نتكام عنه هو غيب المستقبل او غيب الماضي المحجوب الذي يحتاج الى الهام الهي او وحي لمعرفته. فالنبؤات الغيبية معجزة الهية من دلائل النبوة. ونحن بهذا الغيب لا نقصد " تنزيل" القرآن، بل ما يفرض ان يخبر به محمد من غيوب.

فالقول ان الغيب يتطلب الهام الهى للانبياء هذا متفق عليه ولكن هذا الغيب الالهى لا دخل له بالقصص القرآنى لانه لا يعتبر من علم الغيب لاسباب اوضحناها اعلاه.

11 - الاعجاز العددى للقرآن

هذا الجزء مأخوذ بإيجاز من كتاب "القرآن والكتاب المقدس فى ضوء التاريخ والعلم"(للدكتور وليم كامبل) وكتاب " إسلام ضد الإسلام (للأستاذ الصادق النيهوم) .

جرت محاولات حديثة لإثبات الإعجاز القرآني فى الأرقام. وقد حاول الدكتور رشاد خليفة فى كتابه (معجزات أظهرها الكمبيوتر فى القرآن الكريم) أن يثبت ذلك.

يقول الدكتور خليفة فى كتابه:

المفتاح لمعجزة محمد الدائمة موجود فى أول آيات القرآن الكريم (بسم الله الرحمن الرحيم) . فعدد حروفها 19 حرفا. وهذه حقيقة ملموسة. وقد وردت كل كلمة من هذه فى القرآن فى عدد يقبل القسمة على 19. فالكلمة الأولى (اسم) وردت 19 مرة. وكلمة (الله) وردت 2698 مرة (19 فى 142). وكلمة (الرحمن) وردت 57 مرة (19 فى 3). وكلمة (الرحيم) وردت 114 مرة (19 فى 6) .
ألم يكن ممكنا أن تكتب آية القرآن الأولى " باسم" (بدلا من بسم)
و" الرحمان" (بدلا من الرحمن) فيكون عدد حروفها 21 حرفا، لا 19 حرفا. فإذا اعتبرنا الحرف المشدد (اللام فى الله) حرفين تغير الرقم مرة أخرى!
ثم أننا نجد أن كلمة (بسم) وردت فى القرآن ثلاث مرات فقط، فى سورة الفاتحة 1 وسورة هود 41 وسورة النمل 30. أما كلمة (اسم) دون إضافتها إلى ضمائر فقد جاءت 19 مرة، وكلمة (اسمه) جاءت خمس مرات. وواضح أن5، 9 1 ، 3 = 27 وهو رقم لا يقبل القسمة على 19 !
ولا يفسر لنا د. خليفة لماذا أغفل المرات الثلاث التى جاءت فيها كلمة
(بسم). ولماذا أحصى كلمة (اسم) وترك كلمة (اسمه). ولماذا أغفل كلمة (أسماء) التى جاءت 12 مرة، ومنها (ولله الأسماء الحسنى) (سورة الأعراف 180).
أما فى إحصاء اسم الجلالة (الله) فقد أحصى د. خليفة (3) كلمة (لله) ليصل إلى العدد 2698. فإن كان قد أحصى (لله) (ليكون المجموع قابلا للقسمة على 19) وجب أن يحصى (بسم) وفى هذه الحالة لا يقبل المجموع القسمة على 19 !
وقد صدق د. خليفة فى إحصاء كلمة (الرحمن) فهى 19 x 3.
أما كلمة (الرحيم) التى قال إنها ظهرت 114 مرة فقد ظهرت 34 مرة ،
و(رحيم) (بدون آل التعريف) 81 مرة ، ومرة واحدة بصيغة الجمع. فالمجموع 116 مرة، وهو رقم لا يقبل القسمة على 19.
لقد قرر د. خليفة ألا يحصى اللام المشددة فى اسم الجلالة (الله).
وقرر أن يغفل من إحصاءاته (بسم) مع أنه أحصى (لله).
وقرر ألا يحصى كلمة (اسمه).
وقرر ألا يحصى صيغة الجمع لكلمتى اسم والرحيم.
وجاء إحصاؤه لكلمة (الرحيم) خاطئا.
نماذج أخرى لما يسميه د. خليفة معجزات عددية:
- كلمة (الشهر) تكررت فى القرآن الكريم 12 مرة، أي بقدر شهور السنة.
- كلمة (اليوم) تكررت 365 مرة، أي بقدر عدد أيام السنة.
- كلمة (الرحمن) تكررت 57 مرة. وتكرر لفظ (الرحيم) 114 مرة، أي بمقدار الضعف، وهو عدد سور القرآن.
ذكرت (المغفرة) 234 مرة، بينما ذكر (الجزاء) 117 مرة فقط ، لأن المغفرة ضعف الجزاء.
حروف البسملة تساوى 19 حرفا. وهو الرقم الذى ورد فى قوله تعالى:
(عليها تسعة عشر). سورة المدثر آية 30.
- الرقم 19 له هوية سرية فى القرآن. فهو يساوى عدد كلمات سورة العلق. أول ما نزل من القرآن . ويساوى أيضا عدد كلمات آخر آية. كما أن عدد الحروف فى قوله: (إياك نعبد وإياك نستعين) يساوى 19 حرفا. وكذلك فى قوله: (اهدنا الصراط المستقيم).
البحث المتأني والدقيق للآيات المذكورة لايأتى على الإطلاق بنفس النتيجة التى وصل إليها الدكتور خليفة.
فمثلا: كلمة (الشهر) لم ترد بهذه الصيغة 12 مرة، بل 6 مرات فقط. لكن الباحث أضاف إليها كلمة (شهر) من دون أداة التعريف، وأهمل بقية الصيغ الأخرى مثال (أشهر، وشهور، وشهرين)، متعمدا أن يحصل على الرقم 12، بغض النظر عن الالتواء الواضح فى منهجه الانتقائى. وهو منهج لا يخلو من روح العلم فحسب، بل يخلو أساسا من روح الأمانة.
ومثلا: كلمة (اليوم) لم ترد 365 مرة، بل وردت 480 مرة على الأقل، فى صيغ منها: (يوم ويومكم ويومهم ويومين وأيام وأياما و يومئذ). لكن السيد الباحث اختار منها صيغة (اليوم) فقط وعندما اكتشف أن العدد المتوافر من هذه الصيغة، لا يفى بالمطلوب، أضاف إليها كلمة (يوم) من دون أداة التعريف، متعمدا أن يهمل كلمة (يومئذ) التى تتكون فى الواقع من كلمتي (يوم ذاك). والطريف فى الأمر أن الباحث نسى فى غمرة حماسته أن السنة ذات الثلاثمائة وخمسة وستين يوما، هى سنة التقويم الشمسى الذى لا يستخدمه القرآن أساسا.

ومثلا: لفظ (الرحيم) لم يتكرر بعدد سور القرآن، كما زعم الباحث، أي 114 مرة. بل تكرر 115 مرة. لكن السيد الباحث رأى أن يحذف الرقم الزائد، لمجرد أنه أفسد عليه لعبته الحسابية. إما الزعم بأن الرقم 19 له هوية سرية فى القرآن، منها أن البسملة تتكون من 19 حرفا، وكذلك قوله: (أهدنا الصراط المستقيم) .. إلخ. فهو خطأ تورط فيه الباحث ربما بسبب عدم معرفته بتاريخ الخطوط السامية. فالخط العربى المستمد من الخط النبطى، لم يستخدم الألف لكتابة الصائت الطويل فى وسط الكلمة إلا فى مرحلة متأخرة نسبيا، مما نجم عنه اختلاف ظاهر فى رسم كثير من كلمات القرآن بالذات، مثل كتابة كلمة [السموات] بدل السماوات]، [والله] بدل [واللاه]، [والرحمن] بدل [الرحمان]، [والشيطن] بدل [الشيطان]. ولو عاد الباحث إلى أي مصحف ، لوجد أن جملة (اهدنا الصراط المستقيم) مثلا، تضم 18 حرفا وليس 19، بسبب حذف الألف من وسط كلمة [الصراط].
الخلاصة: لا يوجد دليل منطقى على أن هناك إعجازا عدديا فى القرآن.

12 - الإعجاز البلاغي للقرآن

سجع القرآن:

لم يكن السجع غريبا على محمد فقد قال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن جعفر حدثنا عوف عن زرارة عن عبد الله بن سلام قال: لما تحدم رسول الله (ص) المدينة انجفل الناس فكنت ممن انجفل فلما تبينت وجهه عرفت أنه ليس بوجه كذاب فكان أول شيء سمعته يقول: افشوا السلام واطعموا الطعام وصلوا الليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام" مختصر السيرة لإبن كثير ص 172. والسجع هو العمود الفقري للقرآن لدرجة أن الآيات قد غيرت اسماء أماكن بل وأشخاص لكي تتماشى مع السجع.

" التين والزيتون وطورسنين" سورة التين 1 ، 2.
" طور سيناء تحول الى طور سنين" لكي يتماشى مع السجع.
" سلام على الياسين" الأنعام 130.
" الياس" تحول الى " الياسين" لكي يتماشى مع السجع.

بل إن كلمات معينة اشتقت بالمخالفة لقواعد اللغة العربية لمجرد حفظ السجع على سبيل المثال الآية 35 من سورة النبأ " ولا يسمعون فيها لغوا ولا كذابا". واضح جدا أن المصدر هو " كذبا" ولكن إشتقت كلمة "كذابا" لتتماشى مع السجع.

تغيير القافية:

مثال: سورة قريش:

1 - لإيلاف قريش
2 - إلافهم رحلة الشتاء والصيف
3 - فليعبدوا رب البيت
4 - الذي أطعمهم من جوع وأمنهم من خوف

التكرار الممل:

مثال: سورة الرحمن تحوي 78 آية تتكرر فيها " فبأي آلاء ربكما تكذبان" 31 مرة.
مثال آخر: كلمة " قل" تتكرر في سورة الأنعام 39 مرة.
مثال ثالث: سورة الناس المكونة من 6 آيات تنتهي خمسة منهم بكلمة " الناس".
مثال رابع: سورة الكافرون المكونة من ستة آيات تتكرر فيها " ولا أنتم عابدون ما أعبد".

تضارب اسم المتكلم وزمن الفعل:

مثال: الآية التاسعة من سورة فاطر: والله الذي أرسل الرياح فتثير سحابا فسقناه الى بلد ميت فأحيينا به الأرض بعد موتها. سورة فاطر 9.

الآية تبدأ بالكلام " عن الله" وتنتهي في صيغة المتكلم فيها هو الله. الآية فيها أربعة أفعال ثلاثةمنهم في زمن الماضي والرابع في زمن المضارع.

الكلام المبهم:

مثال: سورة عبس

فأنبتنا فيها حبا وعنبا وقضبا" 28.
وحدائق غلبا وفاكهة وأبا 31.

لا أحد من المفسرين يعرف معنى " قضبا" أو " أبا". هذا طبعا بالإضافة الى الحروف المبهمة في بدايات بعض السور مثل " الر" و" ألم " وغيرها.

عكس المألوف:

رسول من الله يتلو صحفا مطهرة فيها كتب قيمة " البينة 2 و 3 القرآن يقول أن الصحف فيها كتب والواقع أن الكتب فيها صحف.

مخالفة قواعد النحو:

أمثلة: 1 - " هذان خصمان اختصوا في ربهم " ... سورة الحج 19.
2 - " وإن طائفتان من المؤمنين إقتتلوا "... سورة الحجرات 9.
3 - " قالوا إن هذا ن لساحران "... سورة طه 63.
4 - " وقطعناهم إثنتي عشرة أسباطا أمما " ... سورة الأعراف 160.
5 - " بل الإنسان على نفسه بصيرة "... سورة القيامة 14.

6 - " إن الذين آمنوا والذين هادوا والصائبون" ... سورة المائدة 69.
7 - " إن رحمة الله قريب " ... سورة الأعراف 56.
8 - " خضتم كالذي خاضوا " ... سورة التوبة 69.

جمل إعتراضية لا تستقيم مع المعنى أو السياق:

مثال: " قل تعالوا أتل عليكم ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم ولا تقربوا الفواحش ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق". سورة الأنعام 151. الآية تتكلم عن أشياء حرمها الله. ما علاقة " وبالوالدين إحسانا" بهذا؟! .

إدخال آيات على سور ليست منها:

مثال: سورة لقمان: الآيات 13 الى 19: في الآيات 13، 16، 17، 18، 19 لقمان ينصح ابنه ولكن الآيتين 14، 15 يحتويان وصايا من الله للإنسان وواضح أنهما أدخلتا عن طريق الخطأ في وسط وصايا لقمان لإبنه.

بقية الآية في سورة أخرى:

مثال: الآية 61 من سورة البقرة:

عندما سأل قوم موسى رسولهم أن يغير طعامهم:" قال أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير اهبطوا مصرا فإن لكم ما سألتم ". سورة البقرة 61.

تمام الآية في سورة المائدة الآية 22:

" فقالوا يا موسى إن فيها قوما جبارين وإنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فإن يخرجوا منها فإنا داخلون." سورة المائدة 22.

آيات في غير مكانها"

مثال: سورة المدثر الآية 31:

السورة تحوي 56 آية يتراوح عدد الكلمات في كل آية ما بين كلمتين وعشر كلمات إلا الآية 31 فهي تحوي على 57 كلمة. واضح أن الآية دخيلة على السورة.

زيادة كلمات في نهاية الآيات لمجرد الحفاظ على الفاصلة:

أمثلة:

- ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة والله عزيز حكيم. سورة البقرة 228.
- فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقي لا إنفصام لها والله سميع عليم. سورة البقرة 256.
- مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم. سورة البقرة 261.
- إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم. سورة آل عمران 33- 34.
- وإذا غدوت من أهلك تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال والله سميع عليم. آل عمران 121.
- وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منهم شهداء والله لا يحب الظالمين. سورة آل عمران 140.

إذا أمعنا النظر في الكلمات الأخيرة في نهاية هذه الآيات من أمثال " والله سميع عليم" لوجدنا أنها مضافة لمجرد الحفاظ على الفاصلة وليس لها أي علاقة بسياق الكلام ولا تضيف شيء لمعنى الآيات. نفس الشئ ينطبق على " سيصلى نارا ذا لهب" سورة المسد 3. وهل هناك نارا بلا لهب؟! ولكن " ذات لهب" أضيفت لمجرد الحفاظ على الفاصلة.

إضطراب المعاني"

أمثلة:

1 - وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا. سورة الإسراء 16.
كيف لله الرحيم أن تكون إرادته أن يهلك قرية ؟!
كيف لله الرحيم أن يهلك قرية بأكملها لأن مترفيها فقط قد فسقوا؟!
سياق الآية يوحي بأن الله هو الآمر بالفسق ـ رغم تمحك بعض المفسرين ـ وهذا يتنافى مع قداسة الله.

2 - لقد آتينا داود وسليمان علما وقالا الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين. سورة النمل 15.
المعنى يستقيم إذا استبدلنا " وقالا" بـ " فقالا.

3 - وما أنتم بمعجزين في الأرض ولا في السماء ومالكم من دون الله من ولى ولا نصير. سورة العنكبوت 22.
المعنى يستقيم إذا إستبدلنا " ولا في السماء" بـ " ولا من في السماء".

4 - وما يستوي الأعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور وما يستوي الأحياء ولا الأموات. إن الله يسمع من يشأ وما أنت بمسمع من في القبور. سورة فاطر 1ت9- 22.
لكي يستقيم المعنى يجب أن تكون القراءة هكذا:" وما يستوي الأعمى والبصير ولا الظلمات والنور ولا

الظل والحرور وما يستوي الأحياء والأموات ..."

5 - يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم الى الصلاة فأغسلوا وجوهكم وأيديكم الى المرافق وامسحوا برؤسكم وأرجلكم الى الكعبين. سورة المائدة 6.
هذه الآية جاءت لبيان حكم واجب من واجبات الشرع في العبادة فكان يجب أن يكون نصها محكما لا يتطرق إليه الإحتمال ليكون المكلفون على هدى وبصيرة من أمرهم في عبادة الله. يفهم من سياق الآية أن على المسلم مسح رجليه الى الكعبين وليس غسلهما ولكن المقصود بها ـ كما يجمع المفسرون ـ هو غسل الرجلين وهو ما يفعله المسلمون.

الكلام الذي لا يليق بالله:

أمثلة:

1 - سنفرغ لكم أيها الثقلان. سورة الرحمن 31.
الله هنا يتوعد الأنس والجن بأنه بعد أن تنتهي مشاغله سوف ينتقم منهما. هل هذا كلام يليق بالله؟!

2 - قل اتنبئون الله بما لا يعلم في السماوات ولا في الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون. سورة يونس 18.
لا يليق أن يقال عن الله أنه " لا يعلم " حتى ولو في صيغة الإستنكار وكان الأجدر أن يقال" ليس هناك شيئا لا يعلمه الله مما تنبئون".

3 - هذه ناقة الله آية لكم. سور الأعراف 73.
لا يليق إضافة " ناقة" الى اسم الجلالة. إن هذا منافي للذوق السليم كقول " كلب الله" أو " حمار الله". هذا أبعد ما يكون عن البلاغة.

هل القرآن معجز بلاغيا؟

سور مكية:

سوف نورد هنا بعض السور المكية تاركين للقارئ الكريم أن يتبين بنفسه أوجه الإعجاز فيها إن وجدت:

سورة النصر:

إذا جاء نصر الله والفتح
ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا
فسبح بحمد ربك وإستغفره أنه كان توابا

سورة قريش:

لإيلف قريش
إلفهم رحلة الشتاء والصيف
فليعبدوا رب هذا البيت
الذي أطعمهم من جوع وءامنهم من خوف

سورة الكافرون:

قل يا أيها الكافرون
ولا أنتم عابدون ما أعبد
ولا أنا عابد ما عبدتم
ولا أنتم عابدون ما أعبد
لكم دينكم ولي دين

سورة الناس:

قل أعوذ برب الناس
إله الناس
من شر الوسواس الخناس
الذي يوسوس في صدر الناس
من الجنة والناس

بعد أن أوردنا هذه السور المكية الخمس ننتقل الآن لنرى إذا كان من الممكن الإتيان بمثلها.

1 - سورة الكون (من تأليف العبد لله):

قل أعوذ برب الكون
ملك الكون
إله الكون
من شر كل فرعون
يفسد في الكون

على كل شكل ولون

2 - سورتي الخلع والحفد اللتان كانتا يقنت بهما ابن مسعود كما جاء في كتاب الإتقان في علوم القرآن لجلال الدين السيوطي:

سورة الخلع:

اللهم إنا نستعينك وتستغفرك
ونثني عليك ولا نكفرك
ونخلع ونترم من يفجرك

سورة الحفد:

إللهم إياك نعبد
ولك نصلي ونسجد
وإليك نسعى ونحفد
نرجو رحمتك ونخشى عذابك
إن عذابك الكفار ملحق

3 - **أبو العلاء المعري يحاكي القرآن:**

كتاب الفصول والغايات:

أبي العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان المعرى ضبطه وفسر غريبه محمود حسن زناتي ـ الجزء الأول ـ المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر.

فيما يلي أجزاء قليلة من كتاب الفصول والغايات للشاعر الضرير أبي العلاء المعري تثبت بما لا يدع مجالا للشك أن الأمر لا يحتاج الى أن يجتمع الإنس والجن ولا شيء من هذا القبيل.

جاء في صفحة 313: المُلك لله راعي الغافلين الجبار القديم، سند أهل الخيف شرواك نفقد وتقواك نستجير. أعطنا الأمان المستبين أمان الكريم. (لاحظ الشبه بسورة الفاتحة) أفضلت فزدنا، لا يخفى عنك خفي لدى الغارين. ينبغي لمن يرث، أن يحترث، وإلا في التراث، وخزائن الله لا تنفد وفيها الأرزاق. قد أخذت في كل الأنحاء، فرأيت مرض الأصحاء، أروح من سؤال الأشحاء. أيها المستجير من لك بالنصحاء! لعل الخرس أفضل من الفصحاء. وجاء في صفحة 234: الأشياء سواك بائدة، لا تخلد على الأرض خالدة، وهي من عظمتك مائدة، تحيد عن قدرك الحائدة، والأمور إليك عائدة سبحتك الأصلية والزائدة.

وجاء في صفحة 400: إن الله هو الملك لا يهلك ولكن يهلك والفلك بعض ما يملك والطرق الى طاعتك تنسلك فخاب من يشرك ما أخذ وما أترك.

4 - **أشعار العرب في الجاهلية:**

زيد بن عمرو بن نفيل:

أسلمت وجهي لمن أسلمت	له الأرض تحمل صخرا ثقالا
دحاها فلما رآها استوت	على الماء أرسى عليها الجبالا
وأسلمت وجهي لمن أسلمت	له المزن تحمل عذبا زلالا

ويقول أيضا:

فلا العزى أدين ولا ابنتيها	ولا صنمي بني طسم أدير
أربا واحدا أم ألف رب	أدين إذا تقسمت الأمور
ولكن أعبد الرحمن ربي	ليغفر ذنبي الرب الغفور
فتقوى الله ربكم احفظوها	متى ما تحفظوها لا تبوروا

أمية بن أبي الصلت:

إله العالمين وكل أرض	ورب الراسيات من الجبال
بناها وابتنى سبعا شدادا	بلا عمد يُرين ولا رجال
وسواها وزينها بنور	من الشمس المضيئة والهلال

رؤية بن العجاج:

ومسهم مامس أصحاب الفيل	ترميهم حجارة من سجيل

ولعبت طير بهم أبابيل

الحصين بن حمام:

وخفت الموازين بالكافرين	وزلزلت الأرض زلزالها
ونادى مُناد بأهل القبور	فهبوا لتبرز أثقالها

إمرؤ القيس:

تلك السحــاب إذا الرحـمان أرسلهـا — روى بها من محـول الأرض إيباسا

تلـك المـوازين والرحــمان أنـــزلها — رب البـريــة بيــن النــاس مقياســا

قس بن ساعدة:

اسمعوا وعوا ** إن من عاش مات ** ومن مات فات ** وكل ما هو آت آت ** ليل داج ** ونهار ساج ** وسماء ذات أبراج ** إن في الأرض لعبرا ** وإن في السماء لخبرا ** أقسم قسما حتما ** لئن كان في الآرض رضا ليكونن بعد سخطا ** بل إن لله دينا هو أحب إليه من دينكم ** بل هو المعبود الواحد ** ليس بمولود ولا والد ** أعاد وأبدي ** وإليه المآب غدا.

5 - ليس في كتب التراث الإسلامي ما يثبت أن أحدا من الصحابة آمن بالإسلام بسبب ما يسمى بإعجاز القرآن.

ونحن لو أردنا أن نستعرض إيمان المسلمين في عهد محمد ونستشف ما فيه من ألوان مختلفة لجاز أن نقول مستندين على كتب السير: إن الإيمان بمحمد وما جاء به كان يقع على وجوه شتى، بألوان مختلفة، فمنه: ما هو إيمان عقلي علمي يستند في وقوعه الى العقل والعلم بما وراءه من غاية مطلوبة كإيمان أبي بكر الصديق، ولا نظن أن لأبي بكر ثانيا في إيمانه هذا.

ومنه: إيمان تبعي كإيمان خديجة زوج محمد وبناته وكإيمان علي بن أبي طالب وزيد بن حارثة الذي وهبته خديجة لمحمد فأعتقه وتبناه في صغره. فهؤلاء كلهم يعيشون في بيت واحد تحت زعامة محمد ورئاسته، فهو رئيسهم وهو زعيمهم القائم بأمرهم، فكلهم بحكم العادة تبع لمحمد يسمعون قوله ويأتمرون بأمره. فمن المستبعد أن يخالفوه، وكذلك علي بن أبي طالب فإنه أخذه محمد من أبيه يعوله عنده لأن أبا طالب كان كثير العيال مع قلة ذات يده، فأخذ محمد عليا وأخذ العباس جعفرا يعولانهما عندهما تخفيفا عن أبي طالب (16). ولما تنبأ محمد كان علي عنده في بيته مع عياله وكان في الثامنة من العمر. فغلام مثل هذا في الثامنة من عمره خالي الذهن، غير بالغ الرشد لا يكون عادة إلا تابعا للرئيس الذي هو في بيته يعيش بعيالته، ولا يكون إلا تبعا له في جميع الأمور. فإيمان علي بمحمد إيمان تبعي، ويجوز أن عليا تطور بعد ذلك فإرتقى في إيمانه الى ما هو أعلى من ذلك ولكنه عند وقوعه لم يكن إلا تبعيا.

ومنه إيمان إقناعي كإيمان عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف والزبير بن العوام وسعد بن أبي وقاص وطلحة بن عبد الله التيمي ممن أسلموا بدعاية أبي بكر، لأنه كما قلنا آنفا بعد إيمانه كان أكبر داعية يدعو الناس الى الإسلام فأسلم بدعايته هؤلاء وغيرهم. وإنما سميناه إيمانا إقناعيا لأنه حصل بدعاية أبي بكر فإنه هو الذي أقنعهم إليه (17). ويجوز أيضا أن يكون هؤلاء قد تطوروا بعد ذلك في إيمانهم فإرتقوا فيه الى ما هو أعلى ولكنه عند وقوعه كان إقناعيا. ومنه إيمان حميوي، نسبة الى الحمية بمعنى الأنفة والنخوة، كإيمان حمزة عم النبي، وذلك أن حمزة رجع يوما من قنصه متنكبا قوسه، فأخبرته مولاة عبد الله بن جدعان وقال له: يا أبا عمارة لو رأيت ما لقي ابن أخيك محمد من أبي الحكم تعني أبا جهل، فإنه قبل هنيهة شتم محمدا وآذاه ونال منه ما يكره. وفي رواية: أنه صب التراب على رأسه وألقى عليه فرثا ووطئ برجله على عاتقه، فقال لها حمزة: أنت رأيت هذا الذي تقولين؟ قالت: نعم، فإحتمل حمزة الغضب ودخل المسجد فرأى أبا جهل جالسا في القوم، فأقبل نحوه حتى قام على رأسه، ورفع القوس وضربه بها فشجه شجة منكرة، ثم قال: أتشتمه؟ فأنا على دينه أقول ما يقول، فرد ذلك عليّ إن استطعت، فقام رجال من بني مخزوم ليضربوا أبا جهل، فقالو: ما نراك إلا صبأت، فقال حمزة: وما يمنعني وقد استبان لي منه أنه رسول الله وأن الذي يقوله حق، والله لا أنزع، فإمنعوني إن كنتم صادقين. فقال لهم أبو جهل دعوا أبا عمارة فإني والله لقد أسمعت ابن أخيه شيئا قبيحا (18).

ثم إن حمزة بعدما فارقهم ندم على ما قال، وصار يقول في نفسه لما رجع الى بيته: أنت سيد قريش. اتبعت هذا الصابئ وتركت دين آبائك، الموت خير لك مما صنعت. فبات ليلة لم يبت بمثلها، ولما أصبح غدا الى رسول الله فقال: يا ابن أخي إني قد وقعت في أمر لا أعرف المخرج منه. وذكر له ما جرى له مع أبي جهل وما قاله للقوم. فأقبل عليه رسول الله يذكره ويعظه حتى قال له حمزة: إنك لصادق فأظهر يا ابن أخي دينك. فسبب إسلام حمزة هو أنه أخذته الحمية في أول الأمر لإبن أخيه ثم استمر على الإسلام بعد ذلك (19). ومنه إيمان فطري كإيمان أبي ذر الغفاري فإنه كان من المتألهين قبل أن تبلغه نبوة محمد، وكان يتعبد ويصلي لله متجها في صلاته الى أي جهة اتفق اتجاهه إليها. ولما بلغه خبر البعثة ذهب الى مكة وآمن بمحمد قبل أن يكلمه محمد بشيء، وبايعه على أن يقول الحق ولو كان مرا. فهو من المتألهين فطرة، ولذا قلنا بأن إيمانه فطري (20).

ومنه إيمان انتفاعي كإيمان حبيب بن يساف الذي خرج مع المسلمين في غزوة بدر وهو غير مسلم ثم أسلم رغبة في الغنيمة وقد تقدم خبره آنفا. ومنه إيمان منامي كإيمان خالد بن سعيد بن العاص فقد ذكروا أنه رأى في منامه رؤيا هالته وأفزعته فقام من نومه مرعوبا فذهب الى أبي بكر لأنه كان عندهم يحسن تعبير الرؤيا، فذكر له ما رأى، فقال له أبو بكر أريد بك خير، ويحك هذا رسول الله فاتبعه فأتى رسول الله فأسلم (21)، فإيمانه منامي.

ومنه إيمان نكاحي كما ورد في قصة أم سليم مع أبي سليم، وذلك أنه خطبها وهو كافر وهي مسلمة، فقالت والله ما مثلك يرد ولكنك كافر وأنا مسلمة ولا يحل أن أتزوجك، فإن تسلم فهذا مهرك ولا أسألك غيره (22)، فأسلم فكان إسلامه مهرها، كما أخرجه النسائي وصححه عن ابن عباس، فإسلام أبي سليم نكاحي.

ومنه إيمان قهري، كإيمان الوليد بن عقبة بن أبي معيط فإنه كان موتورا بالإسلام لأن محمدا قتل أباه عقبة في طريقه الى المدينة عند مرجعه من بدر، وكان عقبة في الأسرى، ولم يسلم ابنه إلا بعد ما كانت للإسلام سطوة قاهرة لا ملجأ له منها إلا إليها. والوليد هذا هو الذي ولاه عثمان الكوفة فصلى بالناس صلاة الصبح أربعا وهو سكران، ولما سلم التفت إليهم وقال أتريدون أن أزيدكم، فبلغ ذلك عثمان فعزله (23). فإيمانه قهري ومن هذا القبيل إيمان الذين دخلوا في دين الله أفواجا بعد فتح مكة إذ لم يبق لهم ملجأ من الإسلام إلا إليه.

ومنه إيمان جنائي، كإيمان المغيرة بن شعبة؟ فقد ذكروا أنه قتل عشر رجلا من بني مالك من ثقيف، وكان قد رافقهم وهم وافدون على المقوقس صاحب مصر بهدايا. فأنزلهم وأكرم مثواهم ولما دخلوا عليه ومعهم المغيرة سألهم عنه المقوقس فقالوا: ليس منا هو من الأحلاف، فكان المغيرة أهون القوم على المقوقس، ثم أكرمهم وانصرفوا راجعين. فلما نزلوا منزلا في طريقهم، أخذوا يشربون الخمر، وصار المغيرة يخدمهم ويستقيهم، ولم يشرب هو متعذرا بأن في رأسه صداعا، وصار يكثر لهم بغير مزج حتى همدوا، فقتلهم جميعا، وأخذ ما معهم من الأموال وأتى النبي محمدا في المدينة وأسلم، وقدم الأموال التي معه كغنيمة حربية ليخمسها النبي (24). ولكن النبي قبل إسلامه ولم يقبل الأموال وقال له لا آخذ من أموالهم شيئا فإنه غدر والغدر لا خير فيه. ولا شك أن المغيرة بعد ارتكابه هذه الجناية المنكرة لا يستطيع الرجوع الى قومه فلا نجاة له منها إلا بالإسلام، فإيمانه جنائي كما قلنا.

ومنه إيمان بلاهي نسبة الى البلاهة، كإيمان سودة بنت زمعة، إحدى أزواج النبي، فقد ذكروا أن النبي دفع إليها أسيرا يكون عندها في بيتها الى أن ينظر في أمره، فأخذ الأسير يئن بالليل فقالت له سودة: ما لك تئن؟ فشكا إليها ألم القيد، فقامت وأرخت من كتافه، فلما نامت، أخرج الأسير يده وهرب. فلما أصبح النبي دعا بالأسير فأعلم بشأنه، فغضب على سودة وقال: اللهم اقطع يديها. فأخبرت سودة بما قال النبي فرفعت يديها ومدتهما الى السماء تتوقع الإجابة وتنتظر أن يقطع الله يديها، وبقيت على هذه الحالة رافعة يديها. فبلغ ذلك النبي فقال: إني سألت الله أن يجعل لعنتي ودعائي على من لا يستحق من أهلي رحمة لأني بشر أغضب كما يغضب البشر، قولوا لسودة فلترد يديها (25). وعند ذلك ردت سودة يديها وأنزل محمد آية تتضمن شيئا من لوم نفسه على استعماله بالدعاء على سودة: { ويدعو الإنسان بالشر دعاءه بالخير وكان الإنسان عجولا } (26). ولا شك أن رفعها يديها الى السماء تنتظر من الله أن يقطعهما يدل على أن إيمانها راسخ في بلاهة، فلذا قلنا إن إيمانها بلاهي.

ولا تنسى الإيمان الكيدي، كإيمان عبد الله بن سلام وإخوانه من اليهود الذين أسلموا، فإنهم إنما أسلموا ليكيدوا لأهل الإسلام المكايد، ومكايدهم لأهل الإسلام مذكورة في كتب التاريخ فلا حاجة الى ذكر شيء منها هنا.

لقد ذكرنا ألوانا مختلفة للإيمان الذي كان يقع في عهد محمد ولم نستقص الألوان كلها منا إنا لم نذكر من كل لون إلا ما يخص شخصا واحدا، لأن أكثر من ذلك يستلزم التطويل ونحن نحاول الإختصار. ولا ريب أن لكل واحد ممن ذكرنا نظراء في إيمانه إلا أبا بكر فإنه في إيمانه منقطع النظير. ولو أردت أن أستثني هنا لقلت: خلا العباس فإنه وإن كان إيمانه يقصر عن إيمان أبي بكر من بعض الوجوه إلا أنه من نوعه ومن لونه، لأن العباس كأبي بكر كان موضع أسرار محمد قبل النبوة وبعدها.

بقي هنا لون واحد من ألوان الإيمان نجعله خاتمة في هذا الموضوع وهو الإيمان التقليدي الذي يمثله من القرآن قوله: { إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون} (27). والإيمان التقليدي لم يقع في عهد محمد، وإنما وقع في الجيل الثاني أي في التابعين الذي نشأوا بعد انقضاء الجيل الأول، واستمر راسخا في القلوب مستحكما في النفوس الى يومنا هذا، ومما لا مرية فيه أن الإيمان التقليدي يكون أقوى وأرسخ من الإيمان المنبعث عن أسباب غير التقليد. فإن الإرتداد عنه في هذا أسهل وأسرع منه في ذاك، ولولا قوة الإيمان التقليدي لما لقي محمد من قومه كل تلك المقاومة والعداوة وهو يدعوهم الى عبادة الله خالق الكائنات الأعظم، ونبذ الأصنام التي هي حجارة ينحتونها بأيديهم ثم يعبدونها كفعلهم مع الملوك. فإن بين الملوك والأصنام مشابهة قوية ولذا قلت:

إن الملوك كالأصنام ماثلة — الناس تنحتها والناس تعبدها

وأهل المذاهب والأديان كلهم سواسية في الإيمان التقليدي، فالمسلم مسلم لأنه نشأ من أبوين مسلمين، وكذا المسيحي واليهودي والصابئ والمجوسي وغيرهم من أهل الملل والنحل، كما قال المعري:

ما دان الفتى بحجي ولكن — يعلمه التدين أقربوه
وينشأ ناشئ الفتيان منا — على ما كان عوده أبوه

فالحقيقة الناصعة التي لا غبار عليها والتي لا يمتري فيها إنسان ولا ينتطح فيها عنزان هي أن الدعوة الإسلامية قامت بالسيوف المرهفات لا بمعجزة القرآن ولا بغيرها من المعجزات. وأكبر دليل على ذلك ارتداد العرب عن الإسلام بعد وفاة محمد. ولولا عزم أبي بكر وهمة خالد بن الوليد في قتال أهل الردة وإرجاعهم قهرا الى الإسلام لكنا اليوم نقرأ خبر الدعوة الإسلامية في كتب التاريخ كخبر من أخبار الماضين. ولله در أبي العلاء إذ قال:

جلوا صارما وتلوا باطلا — وقالوا صدقنا فقلنا نعم

الهوامش

1 - سورة البقرة، الآية: 98.

2 - سورة الإتقان، 35/1.

3 - سورة النور، الآية: 12؛ سورة الإتقان، 35/1

4 - سورة آل عمران، الآية: 140.

5 - سورة آل عمران، الآية: 144.

6 - سورة الإتقان، 35/1.

7 - سورة الأنعام، الآية:35؛ سورة الأنفال، الآية:31؛ سورة المؤمنون، الآية: 83؛ سورة النحل، الآية: 27.

8 - سورة الإسراء، الآية: 88.

9 - سورة المؤمنون، الآية: 12.

10 - سورة المؤمنون، الآية: 13.

11 - سورة المؤمنون، الآية: 14.

12 - سورة المؤمنون، الآية: 14.

13 - السيرة الحلبية، 90/3.

14 - سورة يونس، الآية: 38.

15 - سورة الإسراء، الآية: 88.

16 - سيرة ابن هشام، 246/1 ؛ السيرة الحلبية، 268/1.

17 - سيرة دحلان، 181/1 - 182؛ السيرة الحلبية، 276/1.

18 - السيرة الحلبية، 296/1 - 597؛ سيرة ابن هشام، 291/1 - 292.

19 - السيرة الحلبية، 296/1 - 297؛ سيرة ابن هشام، 291/1 - 292.

20 - السيرة الحلبية، 280/1 - 281.

21 - سنن النسائي، كتاب النكاح ، الحديث رقم: 3289.

22 - السيرة الحلبية، 282/2.

23 - السيرة الحلبية، 283/2.

24 - السيرة الحلبية، 65/2.

25 - سيرة ابن هشام، 145/2.

26 - سورة الإسراء، الآية: 11.

27 - سورة الزخرف، الآية: 23.

13 ـ التحدي القرآني

يأتي التحدي القرآني في العديد من الآيات مثل:

ـ فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين. سورة الطور 34.

ـ أم يقولون إفتراه قل فأتوا بسورة بمثله وأدعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين. سورة يونس 38.

ـ أم يقولون إفتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين. هود 13.

ـ قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا. سورة الإسراء 88.

هذه الآيات الأربع مكية تحدى بها إله القرآن أهل مكة. ومع أن ترتيب سور القرآن مشوش ومختلف عليه إلا أنه ـ وبحسب عادة محمد ـ ربما يكون من المعقول أن نقول أن التحدي كان متدرجا فكان أولا بآية ثم بسورة ثم بعشر سور ثم أخيرا بالقرآن كله.

إن التحدي بآية لا معنى له إذ أن القرآن فيه آية من كلمة واحدة وهو " مدهامتان" سورة الرحمن 64.
أكثر من هذا أن بعض الصحابة بل والكفار أتوا بآيات وجدت طريقها الى القرآن.

ففي الإتقان قال: وأخرج مسلم عن عبد الرحمن بن أبي ليل أن يهوديا لقي عمر بن الخطاب فقال له: إن جبريل الذي يذكره صاحبكم عدو لنا، فقال عمر: { من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فإن الله عدو للكافرين } (1)، قال: فنزلت هذه الآية بعد ذلك كما قالها عمر (2). قال: وأخرج سنيد في تفسيره عن سعيد بن جبير أن سعد بن معاذ لما سمع ما قيل في أمر عائشة (أي في الإفك) قال: { سبحانك هذا بهتان عظيم } (3)، فنزلت كذلك، قال: وأخرج ابن أبي حاتم عن عكرمة قال: لما أبطأ على النساء الخبر في أحد، خرجن يستخبرن، فإذا رجلان مقبلان على بعير، فقالت إمرأة: ما فعل رسول الله؟ قال: حي، قالت: فلا أبالي يتخذ الله من عباده شهداء (تعني قتلى أحد)، فنزل القرآن على ما قالت: { ويتخذ منكم شهداء } (4)، وفي الإتقان أيضا: قال ابن سعد في الطبقات: أخبرنا الواقدي: حدثني إبراهيم بن محمد بن شرحبيل العبدري، عن أبيه قال: حمل مصعب بن عمير اللواء يوم أحد فقطعت يده اليمنى، فأخذ اللواء بيده اليسرى وهو يقول: { وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم } (5)، فقطعت يده اليسرى، فحنى على اللواء وضمه بعضديه الى صدره وهو يقول وما محمد ألا رسول الخ ... ثم قتل فسقط اللواء. قال: وما كانت هذه الآية نازلة يومئذ ثم نزلت بعد ذلك (6). فهؤلاء مسلمون من أصحاب رسول الله قد أتى كل منهم بحديث لم يكن قرآنا، ثم نزل به القرآن فصار قرآنا. وقد وقع مثل ذلك لبعض الكفار أيضا، فقد ذكروا عن النضر بن الحارث أنه كان إذا جلس رسول الله مجلسا يحدث فيه قومه ويحذرهم ما أصاب من قبلهم من نقمو الله يخلفه في مجلسه، ويقول لقريش: هلموا فإني والله يا معشر قريش أحسن حديثا منه، ثم يحدثهم عن ملوك فارس. قال صاحب السيرة الحلبية: ولما تلا (أي النبي) عليهم نبأ الأولين، قال النضر بن الحارث: قد سمعنا، لو نشاء لقلنا مثل هذا { إن هذا إلا أساطير الأولين } (7). وهذا الكلام حكاه بعد ذلك القرآن فصار آية قرآنية. قال صاحب السيرة الحلبية: وعند ذلك أنزل الله تكذيبا له (أي للنضر): { قل لئن اجتمعت الإنس والجن عن أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم ظهيرا } (8). ففي هذه الآية لم يتحدهم بحديث أو بسورة أو بعشر سور بل بمثل القرآن كله.

ومن هذا القبيل ما قاله عبد الله بن أبي سرح فكان سببا لإرتداده على الأصح. وذلك أن عبد الله هذا أسلم وكان يكتب الوحي لرسول الله، فإتفق يوما أن كان رسول الله يملي عليه آية نزلت، فأملى عليه: { لقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين} (9) فكتبها، ثم أملى : { ثم جعلناه نطفة في قرار مكين } (10) فكتبها، ثم أملى: { ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم إنشأناه خلقا آخر } (11)، فلما كتب ذلك عبد الله تعجب من تفصيل خلق الإنسان، فقال: { فتبارك الله أحسن الخالقين } (12)، فقال له رسول الله: أكتب ذلك، هكذا نزلت، فوقع من ذلك في نفس عبد الله ريب، فقال: إن كان محمد يوحي إليه فأنا يوحى إليَّ، فإرتد عن الإسلام ولحق بمكة وصار يقول لقريش: إني كنت أصرف محمد كيف شئت، كان يملي علي عزيز حكيم، فأقول: أو عليم حكيم، فيقول: نعم كل صواب، وكل ما أقوله يقول: أكتب هكذا نزلت (13). فمن هذه يظهر أن الإتيان بآية أو آيتين مثل القرآن أمر سهل قد يتفق لكل أحد أن يأتي به، فتحديهم بأن يأتوا بحديث مثله غير صحيح ولا مأمون فيه سوء العاقبة. فلذا عدل عنه محمد متدرجا في التحدي الى ما هو أعلى من ذلك، فجاء بالآية الثانية: { قل فأتوا بسورة من مثله} (14). ولم يقف عند هذا الحد حتى جعلها عشر سور، ثم ارتقى الى ما يقتضيه التحدي الصحيح الذي يتعذر أو يستحيل عادة أن يجيبه إليه أحد، وهو تحديهم بأن يأتوا بمثل القرآن من دون قيد بحديث أو سورة كما قال في الآية الأخرى: { قل لئن اجتمعت الإنس والجن } (15). (عن كتاب الشخصية المحمدية " لمعروف الرصافي) هذا الكلام يؤكده الإمام جلال الدين السيوطي في كتابه الشهير " الإتقان في علوم القرآن " والذي ننقل عنه هنا النوع العاشر:

{ النوع العاشر فيما نزل من القرآن على لسان بعض الصحابة }

هو في الحقيقة نوع من أسباب النزول والأصل فيه موافقات عمر وقد أفردها بالتصنيف جماعة وأخرج الترمزي عن ابن عمر أن رسول الله (ص) قال أن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه قال ابن عمرو ما نزل بالناس أمر قط فقالوا وقال ألا نزل القرآن على نحو ما قال عمر. وأخرج ابن مردويه عن مجاهد قال كان عمر يرى الرأي فينزل به

القرآن. وأخرج البخاري وغيره عن أنس قال: قال عمر وافقت ربي في ثلاث قلت يا رسول الله لو اتخذنا من مقام ابراهيم مصلى فنزلت واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى وقلت يا رسول الله أن نساءك يدخل عليهن البر والفاجر فلو أمرتهن أن يحتجبن فنزلت آية الحجاب واجتمع على رسول الله (ص) نساؤه في الغيرة فقلت لهن عسى ربه أن طلقكن أن يبد له أزواجا خيرا منكن فنزلت كذلك. وأخرج مسلم عن ابن عمر عن عمر قال وافقت ربي في ثلاث في الحجاب وفي أسرى بدر وفي مقام إبراهيم. وأخرج ابن أبي حاتم عن أنس قال قال عمر وافقت ربي أو وافقني ربي في اربع نزلت هذه الآية ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين الآية فلما نزلت قلت أنا فتبارك الله أحسن الخالقين فنزلت فتبارك الله أحسن الخالقين. وأخرج عن عبد الرحمن بن أبي ليلى أن يهوديا لقي عمر بن الخطاب فقال أن جبريل الذي يذكره صاحبكم عدو لنا فقال عمر من كان عدو الله وملائكته ورسله وجبريل وميكائيل فإن الله عدو للكافرين قال نزلت على لسان عمر. وأخرج سيد في تفسيره عن سعيد بن جبير أن سعد بن معاذ لما سمع ما قيل في أمر عائشة قال سبحانك هذا بهتان عظيم فنزلت كذلك وأخرج ابن أخي ميمي في فوائده عن سعيد بن المسيب قال كان رجلان من أصحاب النبي (ص) إذا سمعا شيئا من ذلك قالا سبحانك هذا بهتان عظيم زيد بن حارثه وأبو أيوب فنزلت كذلك. وأخرج ابن أبي حاتم عن عكرمة قال لما أبطأ على النساء الخبر في أحد خرجن يستخبرن فإذا رجلان مقبلان على بعير فقالت امرأة ما فعل رسول الله (ص) قال خي قالت فلا أبالي يتخذ الله من عباده الشهداء فنزل القرآن على ما قالت ويتخذ منكم شهداء. وقال ابن سعد في الطبقات أخبرنا الواقدي حدثني إبراهيم بن محمد ابن شرحبيل العبدري عن أبيه قال حمل مصعب بن عمير اللواء يوم أحد فقطعت يده اليمنى فأخذ اللواء بيده اليسرى وهو يقول وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم عل أعقابكم ثم قطعت يده اليسرى فحنى على اللواء وضمه بعضديه الى صدره وهو يقول وما محمد إلا رسول الآية ثم قتل فسقط اللواء قال محمد بن شرحبيل وما نزلت هذه الآية وما محمد إلا رسول يومئذ حتى نزلت بعد ذلك وتذنيب يقرب من هذا ما ورد في القرآن على لسان غير الله كالنبي عليه السلام وجبريل والملائكة غير مصرح بإضافته إليهم ولا محكي بالقول كقوله قد جاءكم بصائر من ربكم الآية فإن هذا وارد على لسانه (ص) لقوله آخرها وما أنا عليكم بحفيظ وقوله أفغير الله ابتغى حكما الآية فإنه وارد أيضا على لسانه وقوله وما ننزل إلا بأمر ربك الآية وارد على لسان جبريل وقوله وما منا إلا له مقام معلوم وأنا لنحن الصافون وأنا لنحن المسبحون وارد على لسان الملائكة وكذا الآيتان الأولتان يصح أن يقدر فيهما قل بخلاف الثالثة والرابعة.

الهوامــش

1 - سورة البقرة، الآية: 98.

2 - سورة الإتقان، 35/1.

3 - سورة النور، الآية: 12؛ سورة الإتقان، 35/1.

4 - سورة آل عمران، الآية: 140.

5 - سورة آل عمران، الآية: 144.

6 - سورة الإتقان، 35/1.

7 - سورة الأنعام، الآية: 35؛ سورة الأنفال، الآية: 31؛ سورة المؤمنون، الآية: 83؛ سورة النحل، الآية: 27.

8 - سورة الإسراء، الآية: 88

9 - سورة المؤمنون، الآية: 12.

10 - سورة المؤمنون، الآية: 13.

11 - سورة المؤمنون، الآية: 14.

12 - سورة المؤمنون، الآية: 14.

13 - السيرة الحلبية، 90/3.

14 - سورة يونس، الآية: 38.

15 - سورة الإسراء، الآية: 88.

14 ـ القـرآن وقواعد اللغة

جنايـة سيبويـة

في كتابه " جناية سيبوية" يتناول الأستاذ زكريا أوزون عدة اشكاليات نحوية للقرآن نوجز بعضها فيما يلي:

1- **{ ألا إن ثمـودا كفـروا ربهـم}** (سورة هـود، الآيـة: 68). إن (ربهم) هنـا تعـادل (بـربهم) وأنـه منصوب بنـزع الخافض. ففي كلام الله عز وجل (كفروا بـربهم) ليست أبدا مساوية لـ(كفروا ربهم) ولا تخفى علينا الخلافات حول حرف الباء في مواضع كثيرة من آيات الذكر الحكيم كما في قوله تعالى: **{ وامسحو برؤوسكم وأرجلكم الى الكعبين}** (سورة المائدة، الآية: 6).

2- **إنْ**: وهي مخففة من إنّ الثقيلة، وإن هذه لا عمل لها فهي لم تنصب الاسم بعدها ولم ترفع الخبر، كما في قوله تعالى: **{ قالوا إن هذان لساحران}** (سورة طه، الآية: 63). حيث نجد بعدها (هذان): اسم مرفوع بالألف – لأنه مُثنى- و(ساحران) اسم مرفوع بالألف أيضا لأنه مثنى.

وهكذا فإن السادة النحاة لم يجدوا علامة النصب (الياء المثنى) فاعتبروا (إن) لا عمل لها، لأنهم لا يعرفون دور الكلمة إلا من خلال الحركات حتى ولو غاب المعنى، ولا يعترفون أن الاسم بعد (إن) يمكن أن يكون مرفوعا أو منصوبا دون أن يخل بالمعنى، لذلك فهم يبحثون دوما عن تخريجات غالبا ما تكون مضحكة مبكية. وقد وردت قراءات في الآية الكريمة السابقة بـ(إنّ) (الثقيلة) ولها تخريجات مضحكة عند السادة النحاة فمنهم من يعتبرها بمعنى **(نعم)** ونعم لا تعمل فكذلك (إن)، ومنهم من يدخل ضمير الشأن... والى غير ذلك من التأويل والوهم.

(إن) زائدة لا محل لها من الإعراب (عند النحاة).

وفي قوله تعالى: **{ فلما أن جاء البشير ألقاه على وجهه فارتد بصيرا..}** (سورة يوسف، الآية:96) (إن) زائدة لا محل بها من الإعراب [عند النحاة]) وهنا نتوقف عند ذلك الحد ونطلب من القارئ العزيز أن يستنتج دقة وعظمة تلك القواعد العتيدة.

3- وتأتي (ما) **الزائدة**.. نعم (ما) **الزائدة** التي لا تضر ولا تنفع، واستخدامها عند أهل اللغة وعدمه سواء فهي لا تنصب ولا ترفع ولا تجر ولا تجزم. إذا هي زائده. فإذا كانت كذلك فلماذا يستخدمها أهل اللغة العربية، أو لنقل لماذا استخدمها الله عزّ وجلّ في مواضع عديدة من الذكر الحكيم حيث سأقوم باستعراض بعضها لأبين لأهل اللغة أن كلام الله المنزل والمقدس يخالف ما يذهبون إليه فلا يوجد في كلامه عزّ وجلّ حرف زائد أو آخر ناقص أو غير ذلك من التسميات والمصطلحات التي وضعها واصفوا اللغة.. نعم واصفوا اللغة وليس الذين فهموا اللغة العربية فهما عميقا صحيحا، وفيما يلي الأمثلة من الذكر الحكيم: يقول تعالى:**{ أيًّا ما تدعو الله فله الأسماء الحسنى}** (سورة الإسراء، الآية: 160). **(ما)** عند أهل اللغة زائدة وهي تعادل " أيا تدعو الله.." كذلك في قوله تعالى: **{ فقليلا ما تؤمنون}** (سورة البقرة، الآية: 88). **(ما)** هنا زائدة أيضا.

وفي قوله تعالى: **{ فبما رحمةٍ من الله لنت لهم}** (سورة آل عمران، الآية: 159). **(ما)** كذلك زائدة.

وفي قوله تعالى: **{ إن الله لا يستحيى أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها}** (سورة البقرة، الآية: 26). هنا **(ما)** زائدة مرتين.

أخيرا في قوله تعالى: **{ ولا يأب الشهداء إذا ما دعوا}** (سورة البقرة، الآية: 282). **(ما)** بعد (إذا) زائدة.

4- قال تعالى: **{ ليس البرَّ أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب}** (سورة البقرة، الآية: 177). وقال تعالى في نفس السورة: **{ وليس البرُّ بأن تأتوا البيوت من ظهورها}** (سورة البقرة، الآية:189).

ونلاحظ في الآيتين السابقتين أن كلمة (البر) منصوبة في الآية الأولى بينما هي مرفوعة في الآية الثانية. ومن المعلوم أن (ليس) فعل ماض ناقص – حسب تصنيفهم – يعمل عمل كان وأخواتها فيرفع الاسم الأول (البر) وينصب الثاني، إلا أن ذلك لم يتحقق في الآية الأولى فالبر كما نرى منصوبه.

5- ننتقل الآن الى أية أخرى من سورة البقرة، حيث يقول تعالى: **{ ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أمواتٌ بل أحياء ولكن لا تشعرون}** (سورة البقرة، الآية: 154). ونلاحظ أن كلمة (أموات) مرفوعة ويفترض فيها أن تكون منصوبة لأنها مفعول به للفعل تقولوا، كما يفترض أن تأتي بصيغة المفرد لأنه عز وجل يقول: **{ لمن يقتل في سبيل الله}** (صيغة المفرد).

6- ننتقل الآن الى آية أخرى حيث يقول تعالى: **{ إن الله لا يستحيي أن يضرب مثلا ما بعوضة}** (سورة البقرة، الآية: 26). وسنجد أن إعراب الكلمات بعد الفعل (يضرب) هو:

مثلا: مفعول به منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره. وهنا نسأل هل وقع فعل الضرب على (مثلا) ولماذا لا تكون تمييزا.

ما: حرف زائد – لاحظ ذلك الإعراب: حرف زائد يمكنك حذفه –

بعوضة: بدل من (مثلا) منصوب مثله وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره.

وهنا نرى أن الآية الكريمة تصبح حسب الإعراب السابق على النحو التالي:

" إن الله لا يستحيي أن يضرب بعوضة "

لقد تغير مفهوم الضرب فتحول من مفهوم معنوي (يضرب مثلا) الى مفهوم مادي (يضرب بعوضة). ونترك للقارئ العزيز الحكم على المعنى البليغ الذي أوصلنا اليه السادة النحاة في فهم الآية الكريمة.

7- لنأخذ آية أخرى من قوله تعالى: **{ لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبل والمقيمين الصلاة والمؤتون الزكاة والمؤمنون بالله واليوم الآخر أولئك سنؤتيهم أجرا عظيما}** (سورة النساء، الآية: 162).

نلاحظ أن كلمة (المقيمين) جاءت منصوبة بالياء والأصح أن تأتي مرفوعة (المقيمون) سواء كانت معطوفة على (الراسخون) أو مبتدأ بدأنا به الجملة الاسمية – حسب مدرستهم – وعندما جاءت منصوبة – حسب قراءة الجمهور – أوجدوا لها تخريجات عجيبة غريبة سنذكر بعضها ليتمتع الأخ القارئ بالفهم الصحيح للآية الكريمة: **المقيمين**: منصوب بفعل محذوف تقديره أمدح وأخص – لاحظ أن الله عز وجل يقول: أمدح أو أخص – ولا تعرب معطوفة على كلمة (الراسخون) التي هي مبتدأ مرفوع بعد (لكن) الساكنة النون العاطفة، وهذا نوع من لفت النظر الى أهمية الصلاة وأنها أهم العبادات – انتهى – وعليه يمكننا حسب الإعراب السابق أن ننصب الأسماء، ونخرج عن قواعد سيبويه اذا كان الأمر هاما وذلك من أجل لفت النظر الى أهمية الأمر، علما بأننا لا نرى أن مقيمي الصلاة أهم من المؤمنين بالله واليوم الآخر فالإيمان أساس الانتماء للدين الحنيف الذي لا صلاة للمؤمنين بدونه أصلا.

وهنا نسأل هل يحق لنا أن نؤول كلام الله عز وجل فنفترض وجود فعل (أمدح) أو (أخص) وننسبة الى خالق البشر ومدبر أمورهم – حاشى لله -

8- ولنأخذ قوله تعالى: **{ يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم الى المرافق وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم الى الكعبين}** (سورة المائدة، الآية:6).

وقد أشبعت تلك الآية الكريمة بآراء السادة العلماء والنحاة الأفاضل عن سبب نصب كلمة (**أرجلكم**) ونقول فيها – بإيجاز- إنها معطوفة على كلمة رؤوسكم (المجرورة) ولكنها منصوبة بالفتحة شاء ذلك النحاة أم أبوا.

9- لنأخذ قوله تعالى: **{ إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون}** (سورة المائدة، الآية: 69). وكذلك قوله: **{ إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين اشركوا إن الله يفصل بينهم يوم القيامة}** (سورة الحج، الآية: 17). والشاهد في الآيتين الكريمتين السابقتين كلمة (الصابئون) فقد جاءت في الآية الأولى مرفوعة (بالواو والنون) وفي الثانية منصوبة أو مجرورة (بالياء والنون) – حسب رأيهم – ولنورد أحد أوجه الإعراب لكلتا الحالتين:

أ - **الحالة الأولى**: " الآية الأولى من سورة المائدة، الآية 69":

الصابئون: مبتدأ مرفوع وعلامة رفعه الواو لأنه جمع مذكر سالم والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد أي (والصابئون كذلك لا خوف عليهم)، وجملة و(الصابئون) كذلك اعتراضية، وهذا نوع من لفت النظر لتنبيه السامع الى أمر مقصود (هو أن الصابئين مع أنهم مالوا عن الأديان كلها، فان من آمن منهم بالله لا خوف عليهم ايضا) – انتهى –

ونحن نسأل من أين جاءت كلمة (**كذلك**) وكيف أصبحت الجملة اعتراضية؟.. ولماذا لا تكون جملة (والنصارى) كذلك اعتراضية وكذلك الجمل التي بعدها؟ فتصبح كافة الجمل اعتراضية لا محل لها من الإعراب وتبقى (إن الذين). وسنضيف هنا الى إعراب الجمل الهام (الجملة الوهمية) التي نأمل أن يتم استخدامها لزيادة اللغو والحشو في قواعدنا.

ب - **الحالة الثانية**: " الآية الثانية سورة الحج، الآية: 17":

الصابئون: الواو للعطف. الصابئين: معطوفة على كلمة (الذين) منصوبة مثلها وعلامة نصبها الياء لأنها جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد. بعد تلك التخريجات نقول: ان (الصابئين) ، مثل (الصابئون وقد فهم السامع ذلك وفهم أنها مجموعة أشخاص لايهمنا إذا رفعت بالواو أو نصبت بالياء أو أطلق عليها اسم الصابئة فقط، ولا ندري لماذا يلفت الله عز وجل النظر إليهم في سورة الحج ولا يفعل ذلك في سورة المائدة التي تسبقها في الترتيب.

10- نأخذ قوله تعالى: **{ السارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاءً بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم}** (سورة المائدة، الآية:8).

والشاهد هنا **أيديهما** التي وردت بصيغة الجمع – كما نرى – لا بصيغة المثنى وسنورد رأي أحد النحاة (العكبري) بذلك حيث يقول:

أيديهما: بمعنى يديهما لأن المقطوع من السارق والسارقة يميناهما فوضع الجمع موضع الاثنين لأن ليس في الإنسان سوى يمين واحدة. وما هذا سبيله يجعل الجمع في مكان الاثنين، ويجوز أن يخرج على الأصل.

ونحن بدورنا نقول للعكبري، لقد توصل الى فهم ذلك الإنسان العربي المعاصر فهو دائما يقول (عيوني) عندما يحب ويخاطب المحبوب ويفهم مع غيره تماما أن الإنسان له عينان فقد، وهنا نرى أن اللغة تستند في فهمها الى العقل والمنطق ولو خالفت قواعد النحاة.

11- لنأخذ قوله تعالى: **{ وإن كل لما جميع لدينا محضرون}** (سورة يس، الآية: 32).

نجد عند النحاة أن (إن) بمعنى ما و(لما) بمعنى إلا فتكون الجملة – حسب رأيهم- (وما كل إلا جميع لدينا محضرون) **أي كل مجموعون لدينا محضرون.** لاحظ عزيزي القارئ تغييب المعاني والوهم في افتراض الجمل والكلمات، وعليه فحسب المعطيات السابقة نجد أن إعراب مفردات الآية السابقة:

إن: نافية بمعنى ما (وهنا نحاول أن نتصور معنى النفي في الآية).

كل: مبتدأ مرفوع بالضمة (ولو كانت منصوبة لكانت اسم إن).

لما: أداة حصر بمعنى إلا (لا يوجد حصر في المعنى).

جميع: خبر مرفوع بالضمة (عندئذ فإن الجملة تصبح كل جميع مبتدأ وخبر والجملة تامة حسب رأيهم).

لدينا: لدى ظرف مكان متعلق بالخبر، والـ**(نا)**: ضمير متصل في محل جر بالإضافة.

محضرون: خبر ثان مرفوع بالواو لأنه جمع مذكر سالم والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد.

وهكذا ومن خلال الإعراب السابق نجد أن قوما عندهم الأداة **(ما)** بمعنى **(إن)** و**(لما)** بمعنى **(إلا)** و **(كل)** مبتدأ له خبران هم قوم لا يمكنهم أن يعرفوا الدقة – سمة العصر الراهن – لذلك نجدهم متخلفين بعيدين عن الحضارة ومواكبة التطور العلمي.

12- كذلك نأخذ قوله تعالى: **{ إذا دخلوا عليه فقالوا سلاما قال سلامٌ قوم منكرون}** (سورة الذاريات، الآية: 24). ونلاحظ في الآية السابقة أنه بعد الفعل **(قالوا)** جاء الاسم منصوبا**(سلاما)** إلا أنه بعد الفعل (**قال**) جاء مرفوعا (**سلامٌ**) ولنرى إحدى تخريجات النحاة المضحكة لذلك:

سلاماً : مفعول لفعل محذوف والتقدير (**فسلم سلاماً**).

سلامٌ : مبتدأ والتقدير سلام عليكم.

ولا نعلم لماذا التقدير في الأول (**فسلم سلاماً**) وفي الثاني **(سلامٌ عليكم)** فيأتي الجواب المفحم المقنع. ورد سلام سيدنا إبراهيم بالرفع بالابتداء حتى تكون تحية سيدنا ابراهيم أحسن من تحيتهم لأن الضمة في الإعراب أقوى الحركات فجاءت الحركة الأفضل في سلام الأفضل.

ونحن نقول إذا كان الأمر كذلك فإنه يجب أن تكون كلمات القرآن الكريم كلها مرفوعة بالضمة أو ما ينوب عنها لأن كلام الله عزَّ وجل هو أفضل الكلام.

13- لنأخذ قوله تعالى: **{ كبرت كلمةٌ تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذباً}** (سورة الكهف، الآية:5).

نلاحظ أن الكلمة **(كلمة)** منصوبة بالفتحة ويفترض أن تكون مرفوعة على أنها فاعل. وقد أوجد السادة النحاة لحركة النصب تخريجة فأعربوها تمييزا واعتبروا أن الفاعل مضمر والتقدير **كبرت مقالتهم.**

وهنا نقول للأخ القارئ: يمكنك أن تضمر الفاعل متى تشاء وتظهره عندما يشاء النحاة.

14- لنأخذ آية أخرى من سورة الكهف وهي قوله تعالى: **{ لكنا هو الله ربي ولا أشرك بربي أحدا}** (سورة الكهف، الآية: 38).

وسنورد هنا إعراب بداية كلمات الآية الشريفة ونترك للقارئ الحكم على ذلك الإعراب الذي سيُفهم معنى الآية تماما:

لكنا : الأصل لكن أنا فألقيت حركة الهمزة على النون وقيل حذفت حذفا وأدغمت النون في النون، والجيد حذف الألف في الوصل وإثباتها في الوقف، لأن (أنا) كذلك والألف فيها زائدة لبيان الحركة، ويقرأ بإثباتها في الحالين، و(أنا) مبتدأ، وهو: مبتدأ ثان، و(الله) مبتدأ ثالث و(ربي) الخبر والياء عائدة على المبتدأ الأول، ولا يجوز أن تكون (لكن) المشددة العاملة نصبا، إذ لو كان كذلك لم يقع بعدها (هو) لأنه ضمير مرفوع ويجوز أن يكون اسم الله بدلا من هو – انتهى –

ولا شك أن الإعراب السابق للعكبري قد غيب المعنى وتجرأ على تعديل كلام الله، فعندما نؤول كلام الله عز وجل بكلام بشر وبمفهوم بشر فإننا بذلك نتجرأ على كلامه عز وجل.

وهنا يقول أحدهم: أليس كتاب الله للبشر؟ ولهم الحق في تأويله من أجل فهمه، ألم يخاطب الله البشر في كلامه، أم خاطب كائنات غيرنا في عالم المجهول؟

وهنا أجيب: أن تؤول الكلام وأن تفهمه لينسجم مع أرضيتك المعرفية شيئ، وأن تتأول عليه – عز وجل- هو شئ آخر، فإذا عدنا الى إعراب الآية السابقة وجدنا أن الإعراب السابق قد جعل معناها كما يلي: لكن أنا هو الله ربي، وهنا يصبح المتحدث هو الله وهو لا يشرك بعبادة نفسه. وإذا كان العكبري يعرب ثلاث كلمات متتالية (مبتدأ) فإننا نشك في مدى محاكمته أصلا، ونود من الأخ القارئ أن يتابع الإعراب التفصيلي البليغ لكلمة (ربي):

ربي : خبر للمبتدأ الثاني مرفوع وعلامة رفعه الضمة المقدرة على ما قبل الياء منع من ظهورها اشتغال المحل بالحركة المناسبة لياء المتكلم، والياء ضمير متصل في محل جر بالإضافة.

ولا شك أن إعراب الكلمة السابقة مليء بالوهم والتناقض، فمن يتخيل حركات وإضافات وهمية ويعتبر ذلك قواعد لغة عريقة يعتبر واهما. عندما نقول **ربي** (مرفوع) فإننا ننتظر وجود ضمة وإذا بنا نفاجأ بمنع ظهورها واشتغال المحل بالحركة المناسبة؟ ما هذه التعابير العجيبة والمصطلحات الغريبة؟ ولماذا لا يكون الإعراب مثلا – الكلام من مدرستهم دوما ولا يمثل رأينا أبداً:-

لكن : حرف مشبه بالفعل.

هو : ضمير منفصل في محل نصب اسمها والله: بدل، ربي: خبر.

15- لنأخذ قوله تعالى: **{ وإن كل نفس لما عليها حافظ}** (سورة الطارق، الآية:4).

ولنستعرض إعراب بعض النحاة لتلك الآية التي سيفهمها القارئ مباشرة بعد ذلك الإعراب.

إن : مخففة من الثقيلة.

كل : مبتدأ مضاف.

لما : اللام لام الإبتداء(بدأنا بها وسط الكلام) **وما**: زائدة(فما فائدتها؟).

عليها: جار ومجرور خبر مقدم.

حافظ: مبتدأ مؤخر مرفوع وجملة المبتدأ المؤخر وخبره المقدم محل رفع (كل) – انتهى-

ونحن نسأل كيف يكون التأويل للآية السابقة حسب الإعراب السابق؟**!!**

بعد أن أوردنا بعض الأمثلة من كتاب الله الكريم، والتي تبين من خلالها مخالفة الكتاب لأسس قواعد النحاة العتيدة لا نستبعد أن يقول أحدهم:

يبقى ما أوردته – وهو جزء يسير- شذوذا وهناك قواعد عامة ضابطة للقرآن الكريم.

عندئذ أقول: إن حركة أواخر الكلمات لا تغير المعنى ولم يهتم بها الرسول(ص). وقد قرأ الصحابة في حياته بقراءات عدة ومختلفة وسنورد هنا أول آية في سورة الفاتحة التي تعتبر الركن الأساسي في الصلاة – عماد الدين – فلا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب " الحمد لله رب العالمين..." عن كتاب " إملاء ما من به الرحمن" – للعكبري.

الحمدُ : الجمهور على الرفع بالابتداء و(لله) الخبر واللام متعلقة بمحذوف أي واجب أو ثابت، ويقرأ **الحمد بالنصب** على أنه مصدر فعل محذوف: أي أحمد الحمد، والرفع أجود لأنه فيه عموم المعنى، ويقرأ **بكسر الدال** إتباعا لكسرة اللام كما قالوا المعيرة ورغيف وهو ضعيف لأن فيه اتباع الإعراب البناء وفي ذلك إبطال للإعراب.

رب : مصدر رب يرب وأصله راب **وجره** على الصفة أو البدل **وقرئ بالنصب** على إضمار أعني وقيل على النداء **وقرئ بالرفع** على إضمار هو – انتهى – وهنا سأتوقف وأقول: بدون تعليق... ولكن لا يمكنني أن أحبس نفسي عن التعليق فأقول: أيها النحاة عند جهابذتكم: الحمدُ مثل الحمدَ مثل الحمدِ وربُّ مثل ربَّ مثل ربِّ ولكل تخريجته.

وإذا أردنا تحليل السطور القليلة السابقة نجد الكثير فيها من الخلط فالجار والمجرور (لله) متعلقان بمحذوف (واجب أو ثابت) وهذا وهم وخيال.

(الحمدَ) مصدر لفعل محذوف (أحمدُ) والخوف من الكسر لأنه يبطل الإعراب لا لأنه يغير المعنى.

و(رب) يمكن أن تكون صفة أو بدلا أو منصوبة على الاختصاص... أو... أو... والنتيجة في ثلاث كلمات من سورة الفاتحة عشرات الاحتمالات فما بالنا في الكتاب المنزل كله.

<u>اشكاليات نحوية أخرى</u> " عن كتاب" هل القرآن معصوم" لعبد الله عبد الفادي

1- رفع المعطوف على المنصوب

جاء في سورة المائدة 69:5 " إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون". وكان يجب أن ينصب المعطوف على اسم إن فيقول " والصابئين" كما فعل هذا في سورة البقرة 62:2 والحج 17:22.

2- نصب الفاعل

جاء في سورة البقرة 124:2 " لا ينال عهدي الظالمين". وكان يجب أن يرفع الفاعل فيقول " الظالمون".

3- تذكير خبر الاسم المؤنث

جاء في سورة الأعراف 56:7 " ان رحمة الله قريب من المحيينين". وكان يجب أن يتبع خبر إن اسمها في التأنيث فيقول " قريبة".

4- تأنيث العدد وجمع المعدود

جاء في سورة الأعراف 160:7 " وقطعناهم اثنتي عشرة أسباطا أمما" وكان يجب أي يذكر العدد ويأتي بمفرد المعدود فيقول " اثنى عشر سبطا".

5- جمع الضمير العائد على المثنى

جاء في سورة الحج 19:22 " هذان خصمان اختصموا في ربهم" وكان يجب أن يثني الضمير العائد على المثنى فيقول " خصمان اختصما في ربهما".

6- أتى باسم الموصول العائد على الجمع مفردا

جاء في سورة التوبة 69:9" وخضتم كالذي خاضوا" وكان يجب أن يجمع اسم الموصول العائد على ضمير الجمع فيقول " خضتم كالذين خاضوا".

7- تذكير خبر الاسم المؤنث

جاء في سورة الشورى 17:42 " الله الذي أنزل الكتاب بالحق والميزان وما يدريك لعل الساعة قريب". فلماذا لم يتبع خبر لعل اسمها في التأنيث فيقول " قريبة"؟

8- أتى بتوضيح الواضح

جاء في سورة البقرة 196:2 " فمن لم يجد فصيام ثلاثة ايام في الحج وسبعة إذا رجعتم تلك عشرة كاملة". فلماذا لم يقل تلك عشرة مع حذف كلمة " كاملة" تلافيا لإيضاح الواضح، لأنه من يظن العشرة تسعة؟

9- جزم الفعل المعطوف على المنصوب

جاء في سورة المنافقون 10:63 " وانفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموتُ فيقول رب لولا أخرتني الى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين" وكان يجب أن ينصب الفعل المعطوف على المصوب " فأصدق وأكون".

10- جعل الضمير العائد على المفرد جمعا

جاء في سورة البقرة 17:2 "مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم". وكان يجب أن يجعل الضمير العائد على المفرد مفردا فيقول " استوقد... ذهب الله بنوره".

11- نصب المعطوف على المرفوع

جاء في سورة النساء 162:4 " لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك والمقيمين الصلاة والمؤتون الزكاة والمؤمنون بالله واليوم الآخر أولئك سنؤتيهم أجرا عظيما". وكان يجب أن يرفع المعطوف على المرفوع فيقول " والمقيمون الصلاة".

12- نصب المضاف إليه

جاء في سورة هود 10:11 " ولئن أذقناه نعماء بعد ضراءَ مسته ليقولن ذهب السيئات عني إنه لفرح فخورٌ". وكان يجب أن يجر المضاف اليه فيقول " بعد ضراءِ".

13- أتى بجمع كثرة حيث أريد القلة

جاء في سورة البقرة 80:2 " لن تمسنا النار إلا اياما معدودة" وكان يجب أن يجمعها جمع قلة حيث أنهم أراد القلة فيقول " أياما معدودات".

14- أتى بجمع قلة حيث أريد الكثرة

جاء في سورة البقرة 183:2 و184" كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون أياما معدودات". وكان يجب أن يجمعها جمع كثرة حيث أن المراد جمع كثرة عدته 30 يوما فيقول " أياما معدودة".

15- جمع اسم علم حيث يجب إفراده

جاء في سورة الصافات 123:37- 132 وإن إلْيَاسَ لِمن المرسلين... سلام على إلياسين... إنه من عبادنا المؤمنين" فلماذا قال "إلياسين" بالجمع عن "إلياس" المفرد؟ فمن الخطأ لغويا تغيير اسم العلم حيا في السجع المتكلف، وجاء في سورة التين 1:95-3 " والتين والزيتون وطور سينين وهذا البلد الأمين" فلماذا قال "سنين" بالجمع عن سيناء؟ فمن الخطأ لغويا تغيير اسم العلم حبا في السجع المتكلف.

16- أتى باسم الفاعل بدل المصدر

جاء في سورة البقرة 177:2 " ليس البرَّ أن تُولوا وجُوهكم قِبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين. والصواب أن يُقال " ولكن البر أن تؤمنوا بالله" لأن البر هو الأيمان لا المؤمن.

17- نصب المعطوف على المرفوع

جاء في سورة البقرة " 177:2 " والموُفُون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس" وكان يجب أن يرفع المعطوف على المرفوع فيقول " والموفون... والصابرون".

18- وضع الفعل المضارع بدل الماضي

جاء في سورة أل عمران 59:3 " إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون". وكان يجب أن يعتبر المقام الذي يقتضي صيغة الماضي لا المضارع فيقول " قال له كن فكان".

19- لم يأتي بجواب لمّا

جاء في سورة يوسف 15:12 " فلما ذهبوا به وأجمعوا أن يجعلوهُ في غيابةِ الجُبِّ وأوحينا اليهِ لتنبئهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون". فأين جواب لما؟ ولو حذف الواو التي قبل أوحينا لاستقام المعنى.

20- أتى بتركيب يؤدي الى اضطراب المعنى

جاء في سورة الفتح 8:48 و 9 " إنا أرسلناك شاهدا ومُبشرا ونذيرا لتُؤمنوا بالله ورسوله وتعزروهُ وتوقروهُ وتسبحُوهُ بُكرة وأصيلا". وهنا ترى اضطرابا في المعنى بسبب الالتفات من خطاب محمد الى خطاب غيره. ولأن الضمير المنصوب في قوله " تعزروه وتوقروه" عائد على الرسول المذكور آخرا وفي قوله " تسبحوه" عائد على اسم الجلالة المذكور أولا. هذا ما يقتضيه المعنى. وليس في اللفظ ما يعينه تعيينا يزيل اللبس. فإن كان القول " تعزروه وتوقروه وتسبحوه بكرة وأصيلا" عائدا على الرسول يكون كفرا، لآن التسبيح لله فقط. وإن كان القول " تعزروه وتوقروه وتسبحوه بكرة وأصيلا" عائدا على الله يكون كفرا، لأنه تعالى لا يحتاج لمن يعزره ويقويه!!

21- نوَّن الممنوع من الصرف

جاء في سورة الإنسان 15:76 " ويُطافُ عليهم بآنية من فضة وأكواب كانت قواريرا" بالتنوين مع أنها لا تُنون لامتناعها عن الصرف؟ إنها على وزن مصابيح. وجاء في سورة الإنسان 4:76 " إنا اعتدنا للكافرين سَلا سِلا وأغلالا وسعيرا". فلماذا قال:" سلا سلا" بالتنوين مع أنها لا تُنون لامتناعها من الصرف؟

22- الالتفات من المخاطب الى الغائب قبل إتمام المعنى

جاء في سورة يونس 21:10" حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصفٌ " فلماذا التفت عن المخاطب الى الغائب قبل تمام المعنى؟ والأصح أن يستمر على خطاب المخاطب.

23- أتى بضمير المفرد للعائد على المثنى

جاء في سورة التوبة 62:9" واللهُ ورسُولهُ أحق أن يُرضوهُ". فلماذا لم يثن الضمير العائد على الاثنين اسم الجلالة ورسوله فيقول " أن يرضوهما"؟

24- اتى باسم جمع بدل المثنى

جاء في سورة التحريم 4:66" إن تتوبا الى اللهِ فقد صغت قلوبكما". والخطاب (كما يقول البيضاوي) موجه لحفصة وعائشة. فلماذا لم يقل " صغا قلباكما" بدل " صغت قلوبكما" إذ أنه ليس للاثنتين أكثر من قلبين؟

15- أمية الرسول :

في كتابه القيم " مدخل الى القرآن الكريم – الجزء الأول" يتناول الدكتور محمد عابد الجابري موضوع أمية نبي الإسلام من جوانب عدة ويناقش الآراء المتباينة فيه ويخلص بنتيجة راجحة مفادها أن النبي كان يقرأ ويكتب. ونحن هنا ننقل عنه الفصل الثالث من الكتاب.

النبي الأمي: هل كان يقرأ ويكتب؟

الأفكار المُتَلَقَّاة ... عوائق معرفية

يدور الكلام في هذا الفصل حول مسألة كانت منذُ القديم موضوع نقاش وجدل: مسألة ما إذا كان نبينا محمد (ص) يعرف القراءة والكتابة! ومع أن هذه المسألة تتعلق بالتاريخ أساسا، وتاريخ السيرة النبوية المحمدية خصوصا، فإن كون القرآن قد وصف النبي محمدا (ص) بأنه " أمي" يجعل منها عنصرا مهما في الفضاء القرآني بحيث لا يمكن التعامل مع هذا الفضاء من دون تحديد مدلولها داخله ودورها فيه.

سننطلق في بحثنا هنا من فحص ما ذكره كُتاب السيرة والمفسرون أولا، لننتقل بعد ذلك الى محاولة بناء فهم موضوعي لما ورد في القرآن في هذا الشأن، لنطل بعد ذلك على جملة وقائع وشهادات في الموضوع.

أولا: اقرأ: ماذا أقرأ؟... أو ما أنا بقارئ! روايتان!

إن أول واقعة في السيرة النبوية وضعت كتاب هذه السيرة والمؤرخون، وغيرهم، امام مسألة ما إذا كان الرسول يقرأ ويكتب أو لا، هي تلك التي رويت على لسان النبي نفسه حول الظروف التي رافقت أول اتصال للملاك جبريل به ليبشره بالنبوة والرسالة. وقد حفظ لنا كُل من كتاب السيرة وجامعي الحديث وقدماء المؤرخين روايتين مرجعيتين لحديث يشرح فيه النبي بنفسه تفاصيل ذلك الحدث التاريخي الذي دشن عهدا جديدا في تاريخ البشرية، عهدا قوامه قيام دين سماوي جديد – الى جانب اليهودية والنصرانية – سرعان ما أنشأ عالما جديدا هو ما يعرف اليوم بالعالم الإسلامي.

1-رواية ابن إسحاق:

نبدأ برواية ابن اسحاق لأنه أسبق زمنا (85-152 هـ)، وقد ورد فيها ما يلي: " كان رسول الله يجاور (يعتكف للعبادة) في حراء (غار بجبل قرب مكة) شهرا من كُل سنة، وكان ذلك مما تحنَّثُ (تتعبد) به قريش في الجاهلية (...)، فكان رسول الله يجاور ذلك الشهر من كل سنة، يطعم من جاءه من المساكين، فإذا قضى رسول الله جواره من شهره ذلك، كان أول ما يبدأ به- إذا انصرف من جواره – الكعبة قبل أن يدخل بيته، فيطوف بها سبعا أو ما شاء الله من ذلك، ثم يرجع الى بيته؛ حتى اذا كان الشهر – الذي أراد الله تعالى فيه ما أراد من كرامته – من السَّنة التي بعثه الله تعالى فيها، وذلك الشهر شهر رمضان، خرج رسول الله (ص) الى (غار) حراء، كما كان يخرج لجواره ومعه أهله؛ حتى إذا كانت الليلة التي أكرمه الله فيها برسالته، ورحم العباد بها، جاء جبريل بأمر الله تعالى. قال رسول الله (ص): فجاءني جبريل، وأنا نائم (في رؤيا المنام)، بنمط (وعاء) من ديباج (ثوب فارسي مزركش) فيه كتاب، فقال: اقرأ ! قال (النبي): ما أقرأ؟ قال: فغَتني به (ضمني وعصرني) حتى ظننت أنه الموت! ثم أرسلني فقال: اقرأ. قال النبي: قلت: ما أقرأ؟ قال فغتني به حتى ظننت أنه الموت، ثم أرسلني فقال: اقرأ. قلت: ماذا اقرأ؟ قال: فغتني به حتى ظننت أنه الموت، ثم أرسلني، فقال: اقرأ قال النبي فقلت: ماذا أقرأ؟ (ويضيف النبي): ما أقول ذلك إلا افتداء منه أن يعود لي بمثل ما صنع بي؛ فقال: **{ اقرأ باسم ربك الذي خلق. خلق الإنسان من علق. اقرأ وربك الأكرم. الذي علم بالقلم. علم الإنسان ما لم يعلم}** (1). قال النبي: فقرأتها، ثُم انتهى. فانصرف عني، وهببت من نومي، فكأنما كتبت في قلبي كتابا".

2- رواية البخاري :

وفي صحيح البخاري (194- 256 هـ) عن عائشة زوج النبي (بعد خديجة) أنها قالت:" أول ما بدئ به رسول الله (ص) من الوحي، الرؤيا الصادقة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح. ثُمَّ حُبب إليه الخلاء، وكان يخلوا بغار حراء فيتحنث فيه – وهو التعبد – الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع الى أهله ويتزود لذلك ثم يرجع الى خديجة (زوجته) فيتزود لمثلها، حتى جاءه الحق، وهو في غار حراء. فجاءه المَلَك فقال: اقرأ. قال: ما أنا بقارئ! قال النبي فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني، فقال اقرأ. قلت: ما أنا بقارئ! فأخذني فغطني ثانية حتى بلغ مني الجهد، ثم ارسلني فقال: اقرأ. فقلت: ما أنا بقارئ! فأخذني فغطني الثالثة ثم أرسلني فقال:**{ اقرأ باسم ربك الذي خلق. خلق الإنسان من علق. اقرأ وربك الأكرم. الذي علم بالقلم. علم الإنسان ما لم يعلم}**. فرجع بها رسول الله (ص) برجف فؤاده، فدخل على خديجة بنت خويلد رضي الله عنها فقال: زمّلوني، زملوني (لففوني)، فزملوه حتى ذهب عنه الروع.(2)

هذا وقد أورد ابن جرير الطبري[3] (224 – 310هـ) في تاريخه عدة روايات في نفس الموضوع، جاء فيها كلها جواب النبي على جبريل بصيغة: " ما أقرأ؟" و "ماذا أقرأ". وبعض تلك الروايات رويت عن نفس المصدر الذي روى عنه البخاري، أعني: عائشة زوج النبي (ص).

3 - استفهام .... أم نفي؟

ما نريد لفت النظر إليه هنا أمران:

أولهما ذلك الاختلاف الذي بين صيغة جواب النبي لجبريل في كل من رواية ابن اسحق وروايات الطبري من جهة (" ما أقرأ"؟، " ماذا أقرأ"؟)، والصيغة الواردة في رواية البخاري (ما أنا بقارئ!)، من جهة أخرى[4]. الصيغة الأولى استفهام يفيد ضمنيا أن النبي يعرف القراءة، فهو يطلب ماذا يقرأ؟ أما الصيغة الثانية فهي تنفي عنه معرفة القراءة: ما أنا بقارئ!.

وإذا كان من الممكن حمل "ما" في "ما أقرأ" على النفي أيضا (إضافة الى الاستفهام)، فمن الممكن فعل عكس ذلك بالنسبة الى الصيغة الأخرى " ما أنا بقارئ"، أعني حملها على الاستفهام (إضافة الى النفي) على اعتبار الباء زائدة (قارن: ما أنا فاعل بكم؟). غير أن عبارة " ماذا أقرأ"؟ التي تكررت في روايات ابن اسحاق والطبري، لا يمكن حملها إلا على الاستفهام، وبالتالي يكون رد النبي على جبريل استفسارا عما يريد منه أن يقرأ، وليس نفيا لمعرفة القراءة.

يمكن أن يقال إن المقصود بالقراءة هنا ليس القراءة التي تعني التهجي في كتاب أو في ورق أو غيره، بل المقصود هو مجرد التلفظ بالأصوات التي تفيد معنى في اللغة، أعني القراءة، لا بمعنى " التتبع بالعين لحروف نص مكتوب والتعرف عليها ومعرفة الأصوات التي تخصها (Lire, Read) ، بل بمعنى استظهار ما تم حفظه وتلاوته (Reciter, Recite) . وفي هذه الحالة سيكون مضمون طلب جبريل "اقرأ"، هو: أعد التلفظ بما ستسمع! والجواب المناسب في هذه الحالة هو الاستفسار:"ماذا أقرأ"؟ وليس النفي، إذ لا يعقل أن ينفي النبي عن نفسه القدرة على إعادة التلفظ بما يسمع ! وإذا كان من الممكن القول إن عبارة " ما أنا بقارئ" تعني: ما أنا ممن يعرف " القراءة"، بمعنى القراءة في الكتاب، فهذا غير وارد لأن جبريل لم يطلب من النبي أن يقرأ في كتاب، وإن كان " لفظ " الكتاب" قد ذكر مرتين في رواية ابن إسحاق كما رأينا. وإذا فرضنا أن جبريل وضع أمامه كتابا وقال له: " اقرأ"، فإنه لا يمكن أن يفعل ذلك لو لم يكن يعرف أن النبي يحسن القراءة في كتاب!.

على أن الصيغة التي تفيد مجرد القراءة بمعنى التلاوة تناسب سؤال جبريل كما تناسب جوهر المسألة عند من يفهم من الوصف الذي وصف به القرآن النبي محمدا (ص)، أعني " الأمي" في قوله " النبي الأمي"، على أنه "عدم المعرفة بالقراءة والكتابة". غير أن هذا النوع من الفهم ليس ضروريا في نظرنا، فليس من شرط النبي أن لا يعرف القراءة ولا الكتابة. ثم إنه لا يليق بنا أن نتصور أن من كمالات الإنسان الذي يختاره الله للنبوة أن يكون لا يعرف القراءة والكتابة! أما ما يوظف فيه هذا النوع من الفهم، من أن القرآن وحي من الله بدليل أن الموحى إليه به كان لا يعرف القراءة والكتابة، الأمر الذي يستدلون عليه بقوله تعالى: **{ وما كُنتَ تتلُو من قبله من كتاب ولا تَخُطه بيمينك إذا لارتاب المبطلون}**[5]، فالحاجة الى هذا النوع من الدليل غير قائمة، فضلا عن أن معنى الآية لا يخدم هذا "الدليل"، كما سنرى لاحقا.

هناك قرينة أخرى تدل على أن معنى القراءة، في رد النبي على جبريل بقوله " ماذا أقرا؟"، ينصرف الى "القراءة"، بمعنى القراءة في كتاب. هذه القرينة هي ورود لفظ " كتاب" في العبارة التى قال فيها النبي: فجاءني جبريل، وأنا نائم، بنمط من ديباج فيه كتاب" وقوله " وهببت من نومي، فكأنما كتبت (الآيات التي قرأها عليه جبريل) في قلبي كتابا". إن ذكر الكتاب في سياق هذه الحديث، مرتين، قرينة واضحة تشير الى أن الأمر يتعلق بشخص يعرف الكتابة والقراءة ويقرأ في كتاب، ويريد أن يبين لمخاطبه نوع مشاعره عندما كان يخوض هذه التجربة مع جبريل. ومن دون إعطاء هذه الوظيفة للعبارتين اللتين ذكر فيهما النبي " الكتاب"، ستكونان فضلا من القول، ونحن ننزه النبي(ص) عن ذلك.

ثانيا: النبى الأمي.... والأمة الأمية

1- الأمي والأميون في القرآن والحديث:

على أن المسألة لا تنحصر في الحديث النبوي الذي يروي كيفية ابتداء الوحي، فهناك آيات من القرآن الكريم تصف الرسول عليه الصلاة والسلام بأنه "أمي"، وأخرى تصف العرب وبعض الذين يدعون أنهم من أهل الكتاب بـ"الأميين". وقد وردت هذه الآيات متسلسلة كما يلي، بحسب ترتيب النزول (تاريخ نزولها):

1 - قوله تعالى: **{ الَّذينَ يَتبعُونَ الرسول النبي الأمي الذي يجدونهُ مكتوبا عندهم في التوراةِ والإنجيل}**[6] والمقصود النبي محمد.

2- وقوله: **{ ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب إلا أماني وإن هم إلا يظنُونَ}**[7]. المقصود: أناس من العرب اعتنقوا اليهودية ولا علم لهم بالتوراة، وإنما يختلقون كلاما ويقولون إنه من التوراة[8].

3 - وقوله: **{ ومن اتبعن وقل للذين اوتُوا الكتاب والأميين أأسلمتم فإن أسلمُوا فقد اهتدوا}**[9]. الذين أوتوا الكتاب: هم اليهود والنصارى، أما الأميون فهم العرب.

4 – وقوله: **{ ومن أهل الكتاب من إن تأمنهُ بقنطار يُؤدِهِ إليك ومنهم من إن تأمنهُ بدينار لا يُؤدِهِ إليك إلا ما دُمتَ عليه قائما ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الأميين سبيل ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون}**(10). المقصود بـ" الأميين" هنا هم العرب، ومعنى العبارة: ليس علينا في غش العرب من حرج.

5 – وقوله: **{هوَ الذي بعثَ في الأميينَ رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويُعلمهم الكتاب والحكمةَ}**(11). والمقصود: العرب.

الفهم السائد هو أن "الأمي" من لا يعرف القراءة والكتابة، فهل يصدق هذا على الآيات السابقة؟ الجواب عندنا بالنفي، لأن التقابل في كثير من هذه الأيات (12) هو بين طرف هو " الأمي" و " الأميون" من جهة، وبين طرف آخر هم " أهل الكتاب"، والمقصود بهم اليهود والنصارى، ومن جهة أخرى. وما به يفترق الطرفان هو أن الطرف الثاني لديه " كتاب" هو التوراة والإنجيل، والطرف الأول ليس لدية كتاب، فالأميون إذا هم الذين ليس لديهم كتاب سماوي. وقد جاء القرآن ليكون لهم كتابا خاصا بهم.

نعم هناك حديث نبوي يروى بصيغة: " إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب". وواضح أن لفظ هذا الحديث يفتح المجال لتأويلين: أحدهما أن تكون جملة " لا نكتب ولا نحسب" وصفا لـ" الأمية" كأنك قلت: " نحن أمة أمية، من صفاتها أنها لا تكتب ولا تحسب"، أو تكون الجملة بدلا أو عطف بيان، بمعنى أنها تفسر المعنى المقصود بـ"الأمية" في قوله " إنا أمة أميه". وفي الحالتين معا لا يمكن أن يكون معنى " أمية" هو الجهل بالكتابة والحساب، لأن معنى هذا الحديث سيصبح حينئذ كما يلي:" نحن أمة تجهل الكتابة والحساب، لا تكتب ولا تحسب". وهذا تكرار لا معنى له. ومن هنا يبدو واضحا أن معنى " الأمية" شئ آخر غير "لانكتب ولا نحسب"! فكيف نفصل في هذه المسألة؟

2 – الأمي والأميون في اللغة والاصطلاح:

للفصل في هذه المسألة لا بد من الرجوع الى المعنى اللغوي والمعني الاصطلاحي لكلمة "أمي".

- المعنى اللغوي: تمدنا المعاجم العربية بما تعتبره المعنى الأولي الأصلي للفظ "أمي"، فنقرأ فيها: " الأمي، الذي على خِلقة الأمةِ لم يتعلم الكتاب فهو على جِبِلة أمه، أي لا يكتُبُ، فكأنه نُسب الى ما يُولد عليه أي على ما ولدته أمهُ عليه ". وبهذا الاعتبار: " قيل للعرب: " الأميون "، لأن الكتابة كانت فيهم عزيزة أو عديمة ". وقيل أيضا: والأمي: العَيي الجلف الجافي القليل الكلام؛ قيل له أمي لأنه على ما ولدته امه عليه من قلة الكلام وعُجمَة اللسان (13).

هذا المعنى اللغوي ليس نقلا عن العرب، بل هو اجتهاد من علماء اللغة في إيجاد أصل لكلمة " أمي" في لغة العرب، وهو "أصل" لا يستقيم مع الحديث المذكور والآيات السابقة لأنه يقوم على نسبة "الأمي" الى الأم كما وضعته، على "عجمة اللسان والعي والجفاء"، وهي صفات لا تليق لا بمقام النبي محمد (ص) ولا بمقام قومه وأمته.

والواقع أن لفظ "أمي" لفظ مُعرب، لا أصل له في اللغة العربية، وهذا ما يتضح من خلال معناه الاصطلاحي.

- المعنى الاصطلاحي: يرى كثير من اللغويين والمتكلمين والمفسرين أن لفظ "الأميين" يعني الذين ليس لهم كتاب ديني سماوي، فهم إذا في مقابل "أهل الكتاب، وبالتحديد اليهود أصحاب التوراة والنصارى أصحاب الإنجيل. وقد ذكر الراغب الإصبهاني نقلا عن الفرا قوله: الأميون: "هم العرب الذين لم يكن لهم كتاب"! وفي هذا المعنى يقول الشهرستاني:" وأهل الكتاب كانوا ينصرون دين الأسباط ويذهبون مذهب بني إسرائيل، والأميون كانوا ينصرون دين القبائل ويذهبون مذهب بني إسماعيل"(14)

ويرى كثير من الباحثين أن اليهود كانوا يطلقون لفظ " الأمم" على غيرهم من الشعوب، أي على "الوثنيين" من عبدة الأصنام وغيرهم، وأن "الأمي" بهذا الاعتبار منسوب الى "الأمم". فكما كان الرومان يطلقون على غيرهم من الأمم اسم "باربار" بمعنى " المتوحشون"، وكما كان العرب يطلقون على غيرهم من الشعوب لفظ " العجم" لكون كلامهم (بالنسبة الى العربي) فيه عجمة لا يفهم، فكذلك كان اليهود يطلقون على غيرهم من الشعوب لفظ "الأميون"، أي المنسوبون الى "الأمم" الأخرى التي ليس لديها كتاب منزل.

بهذا المعنى الاصطلاحي يجب فهم العبارات التي وردت فيها كلمة "أمي" و" أميين"، في الآيات السابقة: فـ" الأميون" في سياق الخطاب في تلك الآيات هم " العرب" وبالتحديد القبائل العربية في مكة. يشهد لهذا المعنى ما ورد في القرآن من آيات تربط " القرآن" بالعرب الى جانب أخرى تربط " الكتاب"- والتوراة تحديدا – ببني اسرائيل، وذاك مثل قوله تعالى: **{ وَكَذَلِكَ أَوحَينَا إليكَ قُرآنَاً عَربياً لِتُنذِر أُمَ القُرَى وَمَنْ حَولَهَا}** (15) وقوله: **{ وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسى إماماً وَرَحْمَةً وَهَذا كِتَابٌ مُصدقٌ لِساناً عَربيا لَينذر الذين ظَلَمُوا وبُشْرَى لِلمُحسنين}** (16).

وواضح أن هذه الآيات تتحدث عن "القرآن" العربي اللسان في مقابل كتاب أهل "الكتاب"، وهم اليهود والنصارى. وهناك آيات أخرى تتحدث عن "المؤمنين" كطرف مقابل لـ "أهل الكتاب" أو "الذين أوتوا الكتاب" مثل قوله تعالى: **(وما جَعَلنَا أصحاب النار إلا ملائكة وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا ليستيقن الذين أوتُوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا إيمانا ولا يرتاب الذين أوتو الكتاب والمؤمنون وليقول الذين في قلوبهم مرضٌ والكافرون ماذا أراد الله بهذا مثلا}**(17)

تلك هي النصوص القرآنية التي لها علاقة بالسؤال الذي طرحناه في مستهل هذا الفصل:" هل كان النبي يقرأ ويكتب"؟ ومن خلالها تبين لنا أن كونه " نبيا أميا" لا يعني بالضرورة أنه لم يكن يعرف القراءة والكتابة، كما أن وصف القرآن للعرب بكونهم "أميين" لا يفيد بالضرورة أنهم كانوا لا يقرؤن ولا يكتبون.

يبقى بعد ذلك قوله تعالى: **{وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخُطُهُ بيمينك اذا لارتاب المُبْطلون}**، وهي الآية التي يستدل بها جل المفسريني، إن لم نقل جميعهم، على أن النبي لم يكن يعرف القراءة والكتابة. وسنعود الى هذه الآية بتفصيل في فقرة لاحقة.

3- شهادات تفصل في الأمر...

أ - انتشار القراءة والكتابة في قريش:

بعد التدقيق في مضمون كلمة "أمي" في القرآن، وبعد أن تأكد لدينا أن معنى هذا اللفظ لا يفيد - بالضرورة - أنه(ص) لم يكن يعرف القراءة والكتابة، يبقى علينا البحث في الشهادات التي يمكن أن تفصل في هذا الأمر، أعني الشهادات التي من شأنها أن تثبت أنه (ص) كان فعلا يقرأ ويكتب.

ولعل أول ما تجب الإشارة إليه في هذا الشأن أن الكتابة كانت منتشرة في مكة زمن النبي (ص) وقبله. تشهد لذلك تلك اللائحة الطويلة من أسماء الصحابة الذين كتبوا للنبي (ص)، وفي مقدمتهم أبو بكر وعمر وعلي وعثمان. أضف الى ذلك أن بعض الروايات تشير الى أنهم كانوا يقرؤون التوراة أيضا. فـ" في رواية مالك عن عمر رضي الله عنه أنه قال: رآني رسول الله وأنا أمسك مصحفا قد تشرمت حواشيه، فقال: ما هذا؟ قلت: جزء من التوراة. فغضب وقال: والله لو كان موسى حيا ما وسعه إلا اتباعي"(18) هذا من جهة، ومن جهة أخرى ذكر ابن اسحاق في قصة إسلام عمر بن الخطاب أن هذا الأخير ذهب الى بيت أخته غاضبا عندما قيل له إنها أسلمت، فدخل عليها في بيتها فوجدها مع ختنه وابن عمه سعيد بن زيد بن عمرو، وعندهما خباب بن الأرث معه صحيفة فيها سورة (طه) يقرؤهما إياها، فلما سمعوا حس عمر، تغيب خباب في مخدع لهم، أو في بعض البيت، وأخذت فاطمة بنت الخطاب الصحيفة فجعلتها تحت فخذها. وقد سمع عمر حين دنا الى البيت قراءة خباب عليهما". وبعد مشاجرة طلب عمر الصحيفة وقرأ صدرا من سورة طه ثم قال:" ما أحسن هذا الكلام وأكرمه"! وكان ذلك سبب إسلامه.

ليس هذا وحسب، بل تؤكد مصادرنا أن قصي بن كلاب الجد الأعلى للنبي (ص) كان يعرف القراءة والكتابة، وأن جده المباشر عبد المطلب بن هشام كان يقرأ ويكتب (19)، وفي خبر آخر لابن إسحاق أن عبد المطلب كان قد نذر إن وُلد له عشرة أولاد ثُم بلغوا معه حتى يمنعوه، لينحرن أحدهم عند الكعبة، فلما توافى بنوه عشرة، وعرف أنهم سيمنعونه، جمعهم ثم أخبرهم بنذره، ودعاهم الى الوفاء لله بذلك، فأطاعوه وقالوا: كيف نصنع؟ قال: ليأخذ كل واحد منكم قدحا ثم يكتب فيه اسمع، ثم ائتوني، ففعلوا". إن ذلك يعني أن عبد المطلب جد النبي وأولاده العشرة، بما فيهم عبد الله والد النبي، كانوا يعرفون القراءة والكتابة.

وإذا أضفنا الى ذلك كله أن النبي كان قبل النبوة يتردد على الشام في تجارة لخديجة، التي تزوجته بسبب ما لمسته من أخلاقه وكفاءته، وأنه من غير المتوقع أن يكون جاهلا بالكتابة والحساب وهو يقوم بمهام التجارة – بينما كان أقرانه ممن هم أقل شأنا منه يعرفون ذلك – أدركنا كم هي راجحة الآراء التي قالت بأن النبي كان يعرف الكتابة والقراءة. وهذا في نظرنا لا ينال شيئا من كونه كان نبيا رسولا. فليس من شرط النبوة عدم المعرفة بالكتابة والقراءة. فالنبوة قائمة على الوحي، وليس على قراءة الكتب، كتب الدين أو غيرها.

ب - كتابة وثيقة صلح الحديبية، وشهادات أخرى!

على أن المسألة ليست مجرد أستدلال، فهناك روايات وأخبار نقلت عن الصحابة تفيد - وبعضها يؤكد - أن النبي (ص) كتب وقرأ بهذه المناسبة أو تلك، وفي مقدمة تلك الأخبار ما روي بصدد صحيفة الحديبية، ففي الحديث المعروف بـ"حديث البراء"، الذي رواه مسلم في صحيحه بصدد صلح الحديبية، أن النبي كلف عليا بن أبي طالب بكتابة عقد الصلح مع قريش، فقال له: " اكتب الشرط بيننا:" بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله". فاعترض مُمثل قريش قائلا:" لو نعلم أنك رسول الله تابعناك، ولكن اكتب محمد بن عبد الله". ويقول الراوي:" فأمر (النبي) عليا أن يَمْحَاها، فقال علي: لا والله لا أمحاها. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أرني مكانها، فأراه مكانها فمحاها وكتب (النبي) ابن عبد الله(20)، وقد روى البخاري في صحيحه الحديث نفسه مع إضافة الراوي عبارة " وليس يحسن يكتب" كجملة اعتراضية فجاءت العبارة كما يلي:" فأخذ رسول الله (ص) الكتاب – وليس يحسن يكتب – فكتب هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله" (21).

وقد علق القرطبي في تفسيره (22)على ذلك بقوله:" قال علماؤنا رضي الله عنهم: وظاهر هذا أنه (ص) محا تلك الكلمة التي هي رسول الله (ص) بيده وكتب مكانها ابن عبد الله".

وأضاف القرطبي:" ذكر النقاش عن الشعبي أنه قال: ما مات النبي(ص) حتى كتب". وأشار القرطبي أيضا الى" حديث أبي كشة السلولي" ومضمنه: أنه (ص) قرأ صحيفة لعُيَيتى بن حصن وأخبر بمعناه. وأضاف:" ونقل عن القاضي عياض أن معاوية كان يكتب بين يدي النبي (ص) فقال له النبي:" ألق الدواة وحرف القلم، وأقم الباء، وفرق السين، ولا تعور الميم، وحسن الله، ومدّ الرحمن، وجود الرحيم". ويرى بعضهم في كلامه (ص) عن الحروف، بما ذكر، دليلا على أنه كان يعرف أشكالها. وشبيه بهذا ما ورد في حديث رواه البخاري جاء فيه أن النبي قال:" الدَّجَّالُ مَمسُوحُ العَين، مكتُوبٌ بين عينيه كافر، ثُمَّ تهجاها: " ك ف ر ، يقرؤهُ كل مسلم" (23). كما روى البخاري ومسلم في صحيحيهما حديثا ورد فيه ان ابن عباس قال:" اشتد برسول الله وجعه (في مرض وفاته) فقال: أئتوني أكتب لكم كتابا لا تضلوا بعدي فتنازعوا "(24). كما روى البخاري الحديث نفسه في صيغة أخرى ورد فيها أن النبي قال لمن حضروا بيته لعيادته أثناء مرض وفاته: " هلموا أكتب لكم كتابا لا تضلون بعده". ويضيف الراوي:" فقال بعضهم: إن

رسول الله (ص) قد غلبه الوجع، وعندكم القرآن، حسبنا كتاب الله. فاختلف أهل البيت واختصموا، فمنهم من يقول: قربوا يكتب لكم كتابا لا تضلون بعده، ومنهم من يقول غير ذلك، فلما أكثروا اللغو والاختلاف، قال رسول الله (ص):" قوموا". ويضيف الراوي:" فكان يقول ابن عباس: إن الرزية كُل الرزية (هي) ما حال بين رسول الله (ص) وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب، لاختلافهم ولغطهم" (25). ويقال إن ابن عباس قصد بهذا أنه لو استجابوا لطلب النبي وأعطوه كتابا يكتب فيه، لكتب وصية يوصي فيها بالخلافة لعلي بن أبي طالب من بعده. غير أن هذا مجرد تخمين، وما يهمنا نحن هنا هو أن النبي طلب ان يكتب وأنه لا أحد من المحيطين به استغرب منه ذلك، بل بالعكس كان فيهم من قال:" قربوا يكتب لكم كتابا".

ج - تأويلات وتنازلات:

وبما أن معظم المفسرين قد ربطوا بين إعجاز القرآن وبين "أمية" الرسول (ص)، جاعلين من عدم معرفته للكتابة دليلا على أن القرآن معجزة له، لم يستطع أن يأتي بمثلها من كان يقرأ ويكتب من خصوم دعوته رغم تحدي القرآن لهم، بما أنهم قد ذهبوا هذا المذهب، فقد صعب عليهم التسليم بكونه كان (ص) يكتب ويقرأ، منذ طفولته حتى وفاته، فاضطربوا اضطرابا ملحوظا أمام الأحداث والأخبار المذكورة أعلاه، التي تفيد صراحة أو ضمنا أنه (ص) كان يقرأ ويكتب. ومن مظاهر هذا الاضطراب تقديمهم "بعض التنازلات" وكأن الأمر يتعلق بموضوع من الموضوعات التي يقال فيها " الضرورات تبيح المحظورات".

وقد جمع الآلوسي البغدادي (26) في تفسيره عدة أقوال بصدد هذا الموضوع فقال: واختُلف في أنه (ص) هل كان بعد النبوة يقرأ ويكتب أم لا؟ فقيل: إنه عليه الصلاة والسلام لم يكن يحسن الكتابة، واختاره البغوي في **التهذيب**، وقال: إنه الأصح. وادعى بعضهم أنه (ص) كان يعلم الكتابة بعد أن كان لا يعلمها... فلما نزل القرآن واشتهر الإسلام وظهر أمر الارتياب تَعَرف الكتابة حينئذ". ويضيف الآلوسي:" وروى ابن أبي شيبة وغيره: ما مات (ص) حتى كتب وقرأ". وقال:" وروى ابن ماجة عن أنس قال: قال: رسول الله: رأيت ليلة أسري بي مكتوبا على باب الجنة " الصدقة بعشر أمثالها والقرض بثمانية عشر". وعلق الراوي قائلا: " والقدرة على القراءة فرع الكتابة". وأضاف الآلوسي:" وممن ذهب الى ذلك أبو زيد عبد بن أحمد الهروي، وأبو الفتح النيسابوري، وأبو الوليد الباجي من المغاربة (الفقيه الأندلسي الشهير، القرن الخامس الهجري)، وصنف فيه كتابا، وسبقه اليه ابن منية. ولما قال أبو الوليد (الباجي) ذلك طُعن فيه ورمي بالزندقة وسُب على المنابر، ثم عقد له مجلس فأقام الحجة على ما ادعاه وكتب به الى علماء الأطراف فأجابوا بما يوافقه".

د - مسألة لا يمنعها العقل ولا الشرع:

ويعلق الآلوسي على ما تقدم قائلا:" ومعرفة الكتابة بعد أميتهِ (ص) لا تنافي المعجزة، بل هي معجزة أخرى لكونها من غير تعليم. ولا يخفى أن قوله عليه الصلاة والسلام:" إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب" ليس نصبا في استمرار نفي الكتابة عنه عليه الصلاة والسلام، ولعل ذلك باعتبار أنه بعث عليه الصلاة والسلام وهو – وكذا أكثر من بعث إليهم وهو بين ظهرانيهم من العرب – أميون لا يكتبون ولا يحسبون. فلا يضر عدم بقاء وصف الأمية في الأكثر بعد. وأما ما ذُكر من تأويل "كتب" في حديث البراء بـ"أمر بالكتابة" فخلاف الظاهر. ويضيف الآلوسي: وفي شرح **صحيح مسلم** للنووي عليه الرحمة، نقلا عن القاضي عياض، أن قوله في الرواية التي ذكرناها:" ولا يحسن يكتب، فكتب"، كالنص في أنه (ص) كتب بنفسه، فالعدول عنه الى غيره مجاز لا ضرورة اليه. ثم قال: وقد طال كلام كُل فرقة في هذه المسألة وشنعت كل فرقة على الأخرى في هذا فالله تعالى أعلم".

وفي هذا الاتجاه علق القرطبي على رأي من ينكر القول بكون النبي (ص) كان يعرف القراءة والكتابة، ناقلا كلام شيخه فقال:" قال شيخنا ابو العباس أحمد بن عمر: وقد أنكر هذا كثير من متفقهة الأندلس وغيرهم، وشددوا النكير فيه، ونسبوا قائله الى الكفر، وذلك دليل على عدم العلوم النظرية، وعدم التوقف في تكفير المسلمين، ولن يتفطنوا؛ لأن تكفير المسلم كقتله، على ما جاء عنه (ص) في الصحيح، ولا سيما رميُ من شهد له أهل العصر بالعلم والفضل والإمامة؛ على أن المسألة ليست قطعية، بل مستندها ظواهر أخبار آحادٍ صحيحة، غير أن العقل لا يحيلها وليس في الشريعة قاطع يحيل وقوعها".

ثالثا" وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِنْ قَبلِهِ مِن كِتابٍ وَلا تُخطهُ

1 - روايات فيها تخبط:

نأتي الآن الى الآية التي يتمسك بها جل المفسرين كدليل على أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يكن يعرف القراءة والكتابة، وهي قوله تعالى: **{ وَمَا كُنتُ تتلُو مِن قبلِهِ مِن كِتابٍ ولا تَخُطُهُ بيمِينكَ إذاً لا رْتابَ المُبطلونَ}.** ولإعطاء فكرة عن تخبط بعض المفسرين في تفسير هذه الآية نورد ما يلي على سبيل المثال فقط. نقرأ في ما ذكره صاحب **تفسير روح البيان** (27) بصدد شرح هذه الآية أن الشيعة قالت:" إنه (ص) كان يحسن الخط قبل الوحي ثم نهي عنه بالوحي، وقالوا إن قوله:" ولا تخطه" نهي، فليس ينفي الخط. وأضاف صاحب **روح البيان**: وفي " الأسئلة المقحمة": قول الشيعة مردود، لأن " لا تخطه" لو كان نهيا لكان بنصب الطاء أو قال: لا تخططه بطريق التضعيف". وتساءل صاحب " الأسئلة المقحمة": كيف منّ الله على نبيه بأنه أمي ولا يعرف الخط والكتابة وهما من قبيل الكمال ولا من قبيل النقص"؟ ثم أجاب" إنما وصفه (الله) بعدم الخط والكتابة لأن أهل الكتاب كانوا يجدون من نعته في التوراة والإنجيل أنه أمي لا يقرأ ولا يكتب، فإراد تحقيق ما وعدهم به على نعته إياه، ولأن الكتابة من قبيل الصناعات فلا توصف بالمدح ولا بالذم، ولأن المقصود من الكتابة والخط هو الاحتراز عن الغفلة والنسيان وقد خصه الله تعالى بما فيه غُنية عن ذلك".

2 - مسألة منهجية أساسية:

ونحن نرى أن السبب في مثل هذا الاضطراب إن لم نقل " التخبط" في تفسير كثير من الأيات القرآنية يرجع في الغالب - عندما لا يكون هناك تعصب مذهبي - الى عدم اعتبار مسألة منهجية أساسية، وهي النظر الى كل آية داخل السياق الذي وردت فيه وتجنب اقتطاعها منه والتعامل معها كنص مستقل بذاته، والسياق في القرآن يتحدد بأمرين اثنين: **أولهما** الأيات التي تشكل كلا واحدا تندرج تحته الآية المراد تفسيرها، أي التي قبل هذه والتي بعدها، **ثانيهما** ظروف النزول، ونعني بها مرتبة السورة، التي تقع فيها الآية المراد تفسيرها، على سلم ترتيب النزول، ومناسبة نزول تلك الآية أو الأيات، وتبين المخاطب فيه، هذا فضلا عن التقيد بمبدأ: " القرآن يفسر بعضه بعضا"، كل ذلك حتى لا يبتعد التأويل بصاحبه عن معهود العرب، أعني عن فضائهم الحضاري الثقافي.

وبخصوص الآية التي نحن بصددها لا بُد من مراعاة الأمور التالي:

أ - يجب الانتباه الى أن سورة العنكبوت التي تقع فيها هذه الآية سورة مكية وأنها آخر ما نزل في مكة، وهذا يستلزم فهم آيات هذه السورة (28) في ضوء ظروف استعداد النبي للهجرة الى يثرب (المدينة) حيث يقوم واقع جديد يختلف عن الذي كان في مكة. كانت في " يثرب" قبائل يهودية تشكل فيها نسبة كبيرة من سكانها، الأمر الذي يطرح تحديد الأسلوب الذي ينبغي أن يتعامل به النبي والمسلمون مع هؤلاء اليهود، وهم أهل كتاب؛ ومن المتوقع أن يجادلوا النبي في كثير من الأمور التي يختلف فيها القرآن مع كتابهم أو مع ما لديهم منه. وقد سبق لهم أن اقترحوا على مشركي قريش طرح أسئلة على النبي (ص) بقصد امتحانه وإحراجه وتحديه، والآيات التي تقع ضمنها الآية التي نحن بصددها، تشرح الأسلوب المطلوب في هذه الحالة.

ب - هذا من جهة، ومن جهة أخرى، لا بُد من استحضار الآيات التي تشكل معها كلا واحدا، يضفي على كل جزء منه معنى داخل إطار هذا الكل. وبالنسبة الى الآية التي نحن بصددها يجب فهمها في اطار السياق الذي يتحدد داخل الآيات السبع التي تندرج معها في سياق واحد (29) . إن عدم استحضار المفسرين للسياق – كما يتحدد من خلال هذه الآيات – هو الذي جعلهم يقحمون فيها مسألة ما إذا كان الرسول (ص) يعرف القراءة والكتابة ويأتون بتفسيرات وتأويلات مترددة بين النفي والإثبات، وبأخرى بعيدة تماما عن مجال هذه الآيات! وأكثر من ذلك نجدهم يتحيرون في فهم عبارات في هذه الآيات فيخرجونها عن إطارها بإقحام أمور لا علاقة لها بها.

وسيطول بنا المقال لو أخذنا في بيان ذلك انطلاقا من الآية رقم 46. سنقتصر إذا على الآية التي تخص موضوعنا. قال تعالى: **{ وَمَا كُنتُ تتلُو مِن قبلِهِ مِن كِتابٍ ولا تَخُطُهُ بيمِينِكَ إذاً لا رْتابَ المُبطلونَ}**، إنها الآية التي يتخذ منها المفسرون جميعهم دليلا على أن النبي (ص) لم يكن يعرف القراءة والكتابة، وإن كان بعضهم يضطر الى القول إنه تعلم ذلك في مرحلة متقدمة من الدعوى المحمدية. وهنا يجب أن نلاحظ أن هذه الآية مرتبطة ارتباطا مباشرا بالآية السابقة لها، أعني قوله تعالى: **{ وما يجحد بآياتنا إلا الكافرون}**(30). وقد عبر القرآن عن مضمون جحدهم في آية أخرى فقال تعالى: **{ وقال الذين كَفَروا إن هذا إلا إفكٌ افتراهُ وأعانهُ عليهِ قوم آخرونَ فقد جاءوا ظُلما وزُورا}**(31). ولذلك يرد عليهم القرآن بتوجيه الخطاب الى النبي (ص): إن هذا الجحود والاتهام بافتراء القرآن كان يمكن أن يكون مبررا ومقبولا لو كان حالك، قبل نزول القرآن عليك، كحال الأساقفة والرهبان الذي يقرؤون التوراة أو الإنجيل وينسخونها. وهذا ما لم يحصل ولم يعرف عنك أنك كنت " تتلو" التوراة و " تخطها"، تنسخها، " بيمينك". فالمقصود في قوله تعالى**{ وَمَا كُنتُ تتلُو مِن قبلِهِ مِن كِتاب}** هو أحد كتب " أهل الكتاب". فهي وحدها التي يمكن أن ينصرف إليها اتهام قريش بكونه كان ينسخ منها. وهذا ما تشهد له آيات أخرى منها قوله تعالى: **{ ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان }**(32) وقوله: **{ وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملي عليه بكرة وأصيلا}**(33) وقوله: **{ ولقد تعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر لسانُ الذي يلحدون إليه أعجميٌ وهذا لسان عربي مبين}**(34) والمشار إليهم نصارى من الموالي والعبيد.

وأكثر من هذا وذاك فهؤلاء " المبطلون" الذين يعرفون أن النبي لم يكن يستنسخ التوراة ولا الإنجيل يعرفون أن القرآن لم ينزل عليه مرة واحدة **كتابا جاهزا، فهم يشاهدونه ينزل عليه منجما مفرقا، آيات، آيات.**

ذلك قوله تعالى مباشرة بعد التي نحن بصددها:" **{ بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم وما يجحد بآياتنا إلا الظالمون}** (35).

تأتي هذه الآية إذا لتؤكد للنبي: أن هذا القرآن ينزل عليك آيات، آيات منجمة، تأتيك وحيا فتقرؤها على أصحابك فيحفظونها في صدورهم ناقلة إليهم العلم الحق. أما الذين ينكرون هذا، وهم يرونه ويشاهدونه فهم مبطلون ظالمون، جاحدون.

ولما كان هؤلاء الجاحدون يعرفون أنه لا يمكن أن يصدقهم الناس في ادعائهم أن القرآن كتاب ألفه محمد، في حين أنهم يرونه ينزل عليه منجما، آيات بعد أخرى وحسب مقتضيات الأحوال، لما كانوا يعرفون ذلك لجأوا الى اعتراض آخر فقالوا: لماذا لا يأتي محمد بمعجزات تعضد دعواه، كما أتى بها الأنبياء والرسل السابقون؟!

ذلك قوله تعالى: **{ يقولون لولا أنزل عليه آية من ربه}**(36)

ويأتي الرد عليهم في نفس الآية، قل يا محمد: المعجزات من عند الله. وليس لبشر أن يأتي بمعجزة من عنده، أما أنا فمجرد رسول: مهمتي تبليغ رسالة الله إليكم، أنذركم وأحذركم من عاقبة أعمالكم بكلام مبين تفهمونه، يدعوكم الى استعمال عقولكم.

ذلك قوله تعالى: **{ قل إنما الآيات عند الله وإنما أنا نذير مبين}**(37)

يلي ذلك استفهام استنكاري: **{ أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم إن في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون}** (38)، وهذا يشير الى أن معجزة النبي محمد هي القرآن لا غيره.

بعد ذلك يأتي ختم السياق: **{قل كفى بالله بيني وبينكم شهيدا يعلم ما في السموات والأرض والذين آمنوا بالباطل وكفروا بالله أولئك هم الخاسرون}**(39)

رابعا: الأمية ليست علامة على المعجزة

" وكُل شيء عند العرب فإنما هو بديهة وارتجال وكأنه إلهام"

ليس في القرآن، إذا، ما يدل على أن النبي محمد كان يجهل القراءة والكتابة. لقد أوضحنا أن وصفه بـ" النبي الأمي" لا يعني أنه " أمي" بمعنى عدم المعرفة بالقراءة والكتابة بل لأنه من " الأمم" التي ليس لها كتاب منزل. وكذلك الشأن في لفظ " الأميين" الوارد في القرآن كقوله تعالى **{ هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم}**، فالمقصود هم العرب في مقابل أهل الكتاب من اليهود والنصارى. هذا من جهة، ومن جهة أخرى بينا بتفصيل كيف أن قوله تعالى **{ وَمَا كُنتُ تتلُو مِن قبلِهِ مِن كِتابٍ ولا تَخُطُّهُ بيمِينكَ إذاً لا رْتابَ المُبطلونَ}**، لا يدل على أنه كان يجهل القراءة والكتابة، فهذا المعنى يقع خارج سياق هذه الآية.

ومع أن في ما تقدم ما يكفي في هذا الموضوع فإنه من المناسب هنا بيان كيف أن خصوم النبي من قريش لم يتهموه بكونه كتب القرآن. لقد اتهموه بكونه كان يتلقى ما ورد فيه، وخاصة القصص، من أشخاص من أهل الكتاب (نصارى) كانوا في مكة وكان يجلس الى بعضهم، ولكن لم يذكر أحد من الرواة أن خصوم الدعوة المحمدية من قريش قد نسبوا إليه كتابة القرآن، ليس لأنهم كانوا يعرفون أنه لا يقرأ ولا يكتب، بل لأن المعرفة بالكتابة والقراءة عندهم، وعند جميع الأمم الى اليوم، ليست شرطا في الإتيان بالكلام البليغ. فالقول البليغ ليس مرهونا بالمعرفة بالقراءة والكتابة، وقد كان شعراء العرب وخطباؤهم يقولون الشعر ويخطبون ارتجالا من دون إعداد، لا قولا ولا كتابة.

وفي هذا يقول الجاحظ عن العرب:" وكل شيء عند العرب فإنما هو بديهة وارتجال وكأنه إلهام، وليس هناك معاناة ولا مكابدة، ولا إجالة فكر ولا استعانة، وإنما هو (العربي) أن يصرف همه الى الكلام والى رجز يوم الخصام، أو حين يمتح على رأس بئر (...)، فما هو إلا أن يصرف همه الى جملة المذهب، والى العمود الذي اليه يقصد، فتأتيه المعاني إرسالا، وتنثال الألفاظ انثيالا، ثم لا يقيده على نفسه ولا يدسه أحد من ولده (...)، وليس هم كمن حفظ علم غيره واحتذى على كلام من كان قبله، فلم يحفظوا إلا ما علق بقلوبهم والتحم بصدورهم واتصل بعقولهم، من غير تكلف ولا قصد ولا تحفظ ولا طلب". وهذا يصدق ليس على العرب وحدهم، بل على الخطاب الإبداعي: ما ينسب منه الى الفطرة والسليقة الإلهام، فكيف بما هو من قبيل الوحي!.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى، لا بُد من أن نستحضر في أذهاننا أن ما حمل علماء المسلمين من جميع الفرق على نفي المعرفة بالقراءة والكتابة عن النبي، سواء قبل البعثة فقط أو بعدها الى مرحلة ما من حياته، هو - حسب ما فهمنا من احتجاجاتهم – تأكيد الطابع المعجز للقرآن، بدعوى أنه إذا كان الذين يعرفون القراءة والكتابة من قريش لم يستطيعوا الإتيان بمثله، على الرغم من تحديه لهم، وكان النبي لا يعرف القراءة والكتابة وأتى بهذا القرآن، فذاك دليل على أنه وحي من الله.

وهذا النوع من الاحتجاج ان كان له مفعول في زمن، كالعصور الوسطى، حيث كان الناس ينظرون الى العارفين بالقراءة والكتابة بوصفهم أشخاصا حاصلين على امتياز خاص ليس عند جميع الناس، ومنهم من كان يوظف هذا الامتياز في ادعاء معرفة كل شئ، والإطلاع على الغيب بالكهانة والتأثير بالسحر وما أشبه، فإن الناس اليوم في عصر تعميم التعليم ونشر المعرفة لا يعطون المعرفة بالقراءة والكتابة كل تلك الأهمية. وهل يستطيع اليوم أمهر الكتاب وأعلاهم شأنا أن يأتي بمثل القرآن أو بمثل سورة من سوره؟ بل إنه لا أحد من الشعراء اليوم يمكن أن يأتي بشعر يماثل شعر المتنبي مثلا، ولا بخطبة مماثلة لخطبة قس بن ساعدة، أو بمقامة من جنس مقامات الهمذاني أو الحريري، بل ولا بقصائد تتطابق مع قصائد نزار قباني. ذلك لأن الإبداع في القول، كما في الرسم والنحت، كما في الفكر والفلسفة، لا يمكن تقليده، لسبب بسيط هو أن التقليد هو بالتعريف: غير الإبداع. والوحي المحمدي – القرآن – إذا نظر إليه من المنظور الأدبي فهو قمة البلاغة والإبداع، أما من المنظور الديني فهو تجربة روحية فريدة. وفي الفصول التالية البيان:

خامسا: عَود على بدء: الأفكار المتلقاة ... عوائق معرفية

عندما نبهت في فقرة سابقة (ثانيا/2) الى خلو اللغة العربية من أصل للفظ " أمي" وما اشتق منه (" أمية " و"أميون")، وقلت إن هذه الكلمة معربة وأن أصلها يرجع الى لفظ " الأمم" الذي أطلقه اليهود على غيرهم ممن ليس لهم كتاب مُنزل، لم أكن أنطق عن الهوى، بل كان ذلك عندي نتيجة بحث واستقصاء ترتب عليهما موقف نقدي لتلك الفكرة التي تلقيتها (لست أدري كيف ومتى!) والتي تربط اسم" الأمي" والمصدر الاصطناعي"الأمية" بعدم معرفة القراءة والكتابة، وهو المعنى الذي نستعملهما فيه الى اليوم من دون أن يكون لهذا الاستعمال أصل في اللغة العربية يسنده، سوى ما جرت عليه العادة في مجال اللغة والفكر قتَّالة. فكم من كلمات نستعملها من دون أن نكلف أنفسنا السؤال عن أصلها ومصدرها، وكم من فكرة نتمسك بها من دون أن نعي أننا لا نعرف لها أصلا، بل كم من لفظ نستعمله في لغتنا العربية القديمة/الجديدة من دون أن ننتبه الى أننا نُحمل ذلك اللفظ معنى لا أصل له في اللغة.

نعم، العادة والاستعمال من المرجعيات الأساسية في كل لغة، ما في ذلك شك. لكن ليس هذا شأن "الأمي"! فهذا اللفظ – مفردا وجمعا – مصطلح قرآني خاص، مثله مثل المصطلحات القرآنية الأخرى التي ليس لها أصل في اللغة العربية. دليل ذلك أن أيا من المعاجم العربية لم تذكر شاهدا من الشعر أو النثر العربي قبل الإسلام ورد فيه لفظ " الأمي" بمعنى عدم المعرفة بالقراءة والكتابة. كل ما فعلته تلك المعاجم هو أنها حاولت أن تجد لهذا اللفظ صلة مع لفظ "الأم". وكان اللغوي الزجاج قد اقترح أن يكون لفظ " الأمي" نسبة الى الأم، ثم أوله تأويلا فقال: سمّي بذلك لأنه يكون على الحال التي تلده عليه أمه: لا يقرأ ولا يكتب! وقد أخذ عنه آخرون هذا " التأويل" وتبناه صاحب **لسان العرب** مما أعطى له صدقية. فصار" الأمي" هو " من لا يعرف القراءة والكتابة".

وواضح أن هذا مجرد تأويل! وهو في نظري تأويل ضعيف. ذلك أن الزجاج توفى سنة 310 هـ، فليس هو من جامعي اللغة، فعصر جمع اللغة كان قد انتهى وجاء بعده عصر "الكلام" في اللغة والعقائد إلخ. والزجاج " متكلم" فيهما، والمتكلم "مؤول"، صاحب مذهب! فهو عندما يشرح معاني ألفاظ القرآن، كلفظ " النبي الأمي"، يفعل ذلك ليس كلغوي وحسب بل كمتكلم أيضا. ويبدو أنه لم يسبق لأحد من اللغويين أن فسر لفظ " الأمي" بما فسره به الزجاج. دليل ذلك أن صاحب لسان العرب قد نسبه إليه وحده.

وإذاً فتأويل لفظ " الأمي" بعدم المعرفة بالقراءة والكتابة حدث في عصر لا يعد علماؤه مرجعا في اللغة. لكن بما أن هذا اللفظ قد وُصف به النبي في القرآن (" النبي الأمي") فقد حُملَ ذلك المعنى الذي أعطاه له الزجاج، ومن ثم استقر في أذهان الناس أن رسول الإسلام عليه الصلاة والسلام كان " أميا" بمعنى أنه " لا يقرأ ولا يكتب". وبسرعة وظف هذا الفهم في تأكيد كون القرآن معجزة له (ص)، لكونه تحدى خصومه أن يأتوا بسورة مثله فعجزوا، بينما جاء به هو، (ص)، وهو " لا يعرف القراءة والكتابة". حصل ذلك في عصر انشغل فيه المتكلمون والبلاغيون بمسألة إعجاز القرآن (40). وهكذا صار تأويل الزجاج لكلمة " أمي"، في خدمة " المذهب" الكلامي البلاغي، لا بل في خدمة " المقدس" أيضا، الأمر الذي جعل فكرة كون " الأمي" هو من لا يعرف القراءة والكتابة، تتحول الى واحدة من الأفكار المسماة بـ (Idees recues, Received Ideas) ، الأفكار التي يسلم بها الناس من دون أن يعوا أنهم يسلمون بها من دون فحص ولا نقد. وهكذا صار من الصعب قبول المس بها لأن "الأفكار المتلقاة" تصوغ عالم المتلقي لها، وذلك الى درجة أن هذا الأخير يقوم بصورة آليه برد فعل سلبي رافض أمام كل نقد يمُسها وكأنه يخاف أن ينهار عالمه ذلك. ومن جملة ردود الفعل السلبية هذه ما يكون لا شعوريا – وهذا أخطر- ويتجلى في كون العقل المكبل بـ" الأفكار المتلقاة" لا " يرى"، لا بقلبه ولا ببصره، أي وجهة نظر تقترح رأيا مخالفا حتى ولو قرأ وجهة النظر تلك ألف مرة!

ذلك ما يفسر كون العقل المكبل بـ" الأفكار المتلقاه" لا يسأل نفسه: هل تستقيم نسبة " الأمي" الى " الأم"؟ إن طرح سؤال مثل هذا، بدافع الرغبة في البحث عن الحقيقة، كان سيدفع صاحبه الى الرجوع الى "مقاييس اللغة"، أعني المقاييس التي تضبط بها ألفاظ اللغة العربية من حيثُ ارتباط الفروع فيها بأصولها. وسواء قبلنا بمثل هذه المقاييس من ناحية ما تقرر في " اللسانيات الحديثة " أم لا، فإن مما لا يمكن إنكاره هو أن " صانعي" اللغة العربية الفصحى، وأعني الذين وضعوا قواعد وضوابط لأوزانها وصيغها قد استلهموا نموذج " القبيلة" في بناء صرحها الدلالي، فأرجعوا جميع ألفاظها الى أصول معينة (شيوخ القبائل)، ثم عينوا لكل واحد من هذه الأصول معنى لا يتغير بتغير موقع حروفه بعضها بالنسبة لبعض، وجعلوا ذلك المعنى ينساب في فروع تلك الأصول، وسموا هذا بالاشتقاق الأكبر (مثل: ضرب، ضبر، ربض، رضب إلخ..).

ذلك ما دونه ابن فارس في كتابه الشهير **مقاييس اللغة** حيثُ نقرأ بصدد الأصل المؤلف من الهمزة والميم "أم" (أصل كلمة أمي) ما يلي: وأما الهمزة والميم فأصل واحد، يتفرع منه أربعة أبواب وهي: الأصل، والمرجع، والجماعة، والدين. وهذه الأربعة متقاربة، وبعد ذلك أصول ثلاثة، وهي: القامة، والحِين، والقَصد"! وسواء قبلنا بهذا النوع من التنميط للغة العربية أم لا، فإن الشاهد عندنا هو أنه ليس في الأصول ولا في الفروع التي قال بها اللغويون المقعدون للغة العربية ما يجعل لفظ " الأمي" يتضمن معنى عدم المعرفة بالقراءة والكتابة"! هذا يؤكد ما سبق أن قلناه من أن لفظ " الأمي" – مفردا وجمعا – مصطلح قرآني خاص.

وأمام غياب أصل لغوي للفظ " أمي"، في العربية، ذهب كثير من المتأخرين مذاهب مختلفة في البحث عن أصل مرجعي قرآني لهذا اللفظ في القرآن نفسه، خارج تأويل الزجاج الذي لا يستقيم مع كثير من الآيات التي ورد فيها هذا اللفظ، كما بينا قبل. قال بعضهم: إن المقصود بـ" الأمي" في قوله تعالى " النبي الأمي" أنه المنسوب الى " أم القرى"، أي مكة وأن " الأميين" هم أهلها، وذلك استنادا الى قوله تعالى: **{ ولتنذر أمُ القرى ومن حولها}** (41)، وقال آخرون إن النسبة في " النبي الأمي" هي الى " أم الكتاب" لقوله تعالى عن القرآن **{ وإنه في ام الكتاب لدينا لعلي حكيم}**(42) وهكذا صارت كلمة " أم" مرجعا للفظ " أمي" سواء قصد بها " الأم" في مقابل الأب، أو" الأم" بمعنى اصل الشيء أو. أو.

والحق أن لفظ " أم" بهذا المعنى قد صار يشكل عائقا معرفيا.

ذلك ما يفسر كون العقل المكبل بـ " الأفكار المتلقاة" لا يعير أي اهتمام لآراء علماء في اللغة في مستوى الزجاج مثل الفراء الذي قال:" الأميون" هم العرب الذين لم يكن لهم كتاب"! هذا مع أن الفراء (أبو زكريا يحيى بن زياد) كان أحق أن يتبع، بدلا من الزجاج. ذلك لأن الفراء سبق الزجاج بقرن من الزمن (توفى سنة 207هـ) وألف عدة كتب من بينها كتاب **معاني القرآن** الذي قال فيه اللغوي المشهور أبو العباس ثعلب:" لم يعمل أحد قبله ولا أحسب أن أحدا يزيد عليه".

ذلك ما يفسر أيضا كون العقل المكبل بالأفكار المتلقاة لا يعير أي انتباه لكون علماء كبار، مفسرين وفقهاء، قد ترددوا في قبول تأويل الزجاج، وأخذوا برأي الفراء، فجعلوا لفظ " الأمي" منسوبا لا الى" الأم"، بل الى" الأمة" وبالتالي الى الأمم التي ليس لديها كتاب مُنزل.

من هؤلاء العلماء الفقيه والباحث المحقق ابن تيمية: الذي اختار هذا الرأي، رأي الفراء. قال:" الأميون نسبة الى الأمة. قال بعضهم: الى الأمة وما عليه العامة. فمعنى الأمي: العامي الذي لا تمييز له. وقال الزجاج: هو على خلق الأمة التي لم تتعلم فهو على جبلته، وقال غيره: هو نسبة الى أمة، لأن الكتابة كانت في الرجال من دون النساء؛ ولأنه على ما ولدته أمه". ويضيف الشيخ ابن تيمية معترضا على هذا الرأي قائلا:" والصواب: أنه نسبة الى الأمة، كما يقال: عامي نسبة العامة التي لم تتميز بما تمتاز به الخاصة، وكذلك هذا (يعني الأمي) لم يتميز عن الأمة بما يمتاز به الخاصة من الكتابة والقراءة". ثم أضاف:" ويقال الأمي لمن لا يقرأ ولا يكتب كتابا، ثم يقال لمن ليس لهم كتاب منزل من الله يقرؤونه وإن كان قد يكتب ويقرأ ما لم ينزل، وبهذا المعنى كان العرب كلهم أميين، فإنه لم يكن عندهم كتاب منزل من الله، قال الله تعالى: **{ ومن اتبعن وقل للذين أوتُوا الكتاب والأميين أأسلمتم فإن أسلموا فقد اهتدوا}** وقال: **{ هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم}.**

وقد كان في العرب كثير ممن يكتب ويقرأ المكتوب، وكلهم أميون (...) فالمسلمون أمة أميه بعد نزول القرآن وحفظه". وقال في معنى " الأمي" في قوله تعالى: **{ فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي}** (43) " هو أمي بهذا الاعتبار؛ لأنه لا يكتب ولا يقرأ ما في الكتب (يعني التوراة والإنجيل)، لا باعتبار أنه لا يقرأ من حفظه، بل كان يحفظ القرآن أحسن حفظ". ثم أضاف:" وقد يقال: إن قوله:**{ ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب إلا أماني وإن هم إلا يظنون}** أي: لا يحسنون الخط، وإنما يحسنون التلاوة، ويتناول – أيضا- من يحسن الخط والتلاوة، ولا يفهم ما يقرؤه ويكتبه كما قال ابن عباس وقتادة: غير عارفين معاني الكتاب، يعلمونها حفظا وقراءة بلا فهم، ولا يدرون ما فيه". ويشرح ابن تيمية المقصود بالكتاب هنا فيقول:" والكتاب هنا المراد به: الكتاب المنزل، وهو التوراة؛ ليس المراد به الخط، فإنه قال:**{ وإن هم إلا يظنون}** فهذا يدل على أنه نفى عنهم العلم بمعاني الكتاب (...)، وهؤلاء وإن كانوا يكتبون ويقرؤون فهم أميون من أهل الكتاب، كما نقول نحن لمن كان كذلك: هو أمي، وساذج، وعامي، وإن كان يحفظ القرآن ويقرأ المكتوب إذا كان يعرف معناه" (44).

هل تحررنا من "العائق" اللغوي الذي وضعه الزجاج من دون أن يقصد ذلك (لأنه كان يريد الشرح والبيان، أي إزالة عائق الجهل، فاجتهد فأخطأ، والمخطئ في هذا المجال، وبهذا القصد، غير ملام؟!).

لا أعتقد! فالعوائق عندما تلتصق بالمقدس. والمقدس هنا هو " المعجزة" التي دليلاها – ويا للعجب – عدم المعرفة بالقراءة والكتابة!

ومهما يكن، فليس تأويل الزجاج للمعنى " النبي الأمي" هو وحده الذي يجب التحرر منه. هناك عوائق أخرى من هذا القبيل!

الهــوامــش

1- **القرآن الكريم**، "سورة العلق،" الآيات 1- 5.
2- أبو عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري، **صحيح البخاري**،ج 3، الحديث رقم 6581.
3- أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، **تاريخ الطبري: تاريخ الأمم والملوك**، 6ج، ط2(بيروت:دار الكتب العلمية،1988)ج1، ص531.
4- اقتصرنا على هذه الروايات الثلاث وحدها لأن الروايات الأخرى منقولة عنها.
5- **القران الكريم**، "سورة العنكبوت،" الآية 48.
6- 6- نفس المرجع، "سورة الأعراف،" الآية 157.
7- نفس المرجع، "سورة البقرة،" الآية 78.
8- يميل جميع المفسرين تقريبا الى تفسيركلمة "أميون" في هذه الآية بالذين يجهلون القراءة والكتابة من اليهود. ونحن الذين نرى أن معنى "الأمي" و"الأميين" و"الأمة الأمية" في القرآن والحديث ليس عدم المعرفة بالقراءة والكتابة نرجح ما قاله ابن عباس في معنى "أميون" في الآية أعلاه. قال في ما رواه الطبري:"الأميون قوم لم يصدقوا رسولا أرسله الله، ولا كتابا أنزله الله، فكتبوا كتابا بأيديهم، ثم قالوا لقوم سفلة جهال:هذا من عند الله. وقال: قد أخبر- القرآن – أنهم يكتبون بأيديهم، ثم سماهم أميين لجحودهم كتب الله ورسله".
9- نفس المرجع، "سورة آل عمران،" الآية 20.
10- نفس المرجع، "سورة آل عمران،" الآية 75.
11- نفس المرجع، "سورة الجمعة،" الآية 2.
12- {وآخرين منهم لما يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم.ذلك فضل الله يؤيته من يشاء والله ذو الفضل العظيم. مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله والله لا يهدي القوم الظالمين} [نفس المرجع،"سورة الجمعة،" الآيات 3- 5].
13- أبو الفضل محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، 15ج (بيروت: دار صادر،[1955- 1956])، ج12، ص34.
14- أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، الملل والنحل، تحقيق عبد العزيز محمد الوكيل،3ج في 1مج (القاهرة:مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع، 1968)، ج2،ص13.
15- القرآن الكريم،"سورة الشورى،" الآية 7.
16- نقس المرجع، "سورة الأحقاف،" الآية 12.
17- نفس المرجع، "سورة المدثر،" الآية31. ويقصد بالذين أوتوا الكتاب اليهود والنصارى. ويقصد بالذين آمنوا أولئك الذين آمنوا بالرسول محمد(ص)، أما "الكافرون" فهم مشركو مكة.
18- أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، سنن الدارمي.راجع أيضا:أحمد بن محمد بن حنبل، **مسند الإمام بن حنبل**، الحديث رقم14341.
19- أبو الفرج محمد بن إسحق بن النديم، **الفهرست**، تحرير غوستاف فلوغل واعتنى به بعد موته يوهانس روديغر وأوغست موللر،2ج في1مج (ليبزغ: فوغل، 1871- 1872).
20- أبو الحسين مسلم بن الحجاج، **صحيح مسلم**، الحديث رقم 3336.
21- البخاري، **صحيح البخاري**، باب عمرة القضاء، الحديث رقم 4005.
22- أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 20ج (القاهرة: دار الكتب المصرية،1933- 1950)، ج13، ص351.
23- البخاري، نفس المرجع، الحديث رقم 5221.
24- نفس المرجع، الحديث رقم 3089.
25- نفس المرجع، باب مرض النبي(ص) ووفاته، الحديث رقم 423.
26- أبو الثناء محمود بن عبد الله الحسيني الآلوسي الكبير، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، 30ج (بيروت:دار إحياء التراث العربي، [د.ت.])، ج21،ص4. والآلوسي من علماء القرن الثالث عشر الهجري.
27- أبو الفداء إسماعيل حقي البروسوي، تفسير روح البيان، ط7(بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1984).
28- هناك من سيتثني بضع آيات منها قالوا إنها نزلت في المدينة ولكن ليس من بينها الآيات التي نحن بصددها.
29- {ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم وقولوآمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلاهنا وإلاهكم واحد ونحن له مسلمون. وكذلك أنزلنا إليك الكتاب فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به ومن هؤلاء من يؤمن به وما يجحد بآياتنا إلا الكافرون. وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لا رتاب المبطلون. بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم وما يجحد بآياتنا إلا الظالمون وقالوا لولا أنزل عليه آيات من ربه قل إنما الآيات عند الله وإنما أنا نذير مبين. أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم إن في ذلك لرحمة وذكرى لقو يؤمنون. قل كفى بالله بيني وبينكم شهيدا يعلم ما في السماوات والأرض والذين أمنوا بالباطل وكفروا بالله أولئك هم الخاسرون} [القرآن الكريم، "سورة العنكبوت،" الآيات 46- 52].
30- نفس المرجع، " سورة العنكبوت،" الآية 47.
31- نفس المرجع، " سورة الفرقان،" الآية 4.
32- نفس المرجع، " سورة الشورى،" الآية 52.
33- نفس المرجع، " سورة الفرقان،" الآية 5.
34- نفس المرجع، " سورة النحل،" الآية 103.
35- نفس المرجع، " سورة العنكبوت،" الآية 49.
36- نفس المرجع، " سورة يونس،" الآية 20.
37- نفس المرجع، " سورة العنكبوت،" الآية 50.
38- نفس المرجع، " سورة العنكبوت،" الآية 29.
39- نفس المرجع، " سورة العنكبوت،" 52.
40- كان ذلك في وقت انتشرت فيه كتب منكري النبوة وقد لجأ المتكلمون المسلمون الى الرد عليهم بالقول إن علامة نبوة محمد(ص) هو أنه جاء بالقرآن على ما هو عليه من الفصاحة والبيان وهو أمي" لا يقرأ ولا يكتب"، بينما عجز العرب عن الإتيان بمثله وهم المعروفون بالفصاحة والبلاغة إلخ. وإذا فتأويل "الأمي" بـ" عدم المعرفة بالقراءة والكتابة" كان لضرورة حجاجية ظرفية، ولم يكن له علاقة بأي أصل في اللغة العربية. راجع: الفصل 4 من هذا الكتاب.
41- **القرآن الكريم**، " سورة الأنعام،" الآية 92.
42- نفس المرجع، " سورة الزخرف،" الآية 4.
43- نفس المرجع، " سورة الأعراف،" الآية 158.
44- راجع: أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني،" تفسير صورة الإخلاص،" في: أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، **الفتوي** (الرباط: مكتبة المعارف، [د.ت.])، ص 435.

16 - إنك لعلىَ خلق عظيم

هذا هو قول إله القرآن لمحمد. أما هو فقال عن نفسه " جئت لأتمم مكارم الأخلاق".

في الصفحات التالية سوف ننقل أحاديث ومواقف لنبي الإسلام تنسف هذه الوهمية من أساسها.

1 - عض أير ابيك: حدثنا عبد الله حدثني أبي حدثنا محمد بن جعفر حدثنا عوف عن الحسنِ عن عتي بن ضمرة عن أبي بن كعب أن رجلا اعتدى بعراء الجاهلية فأعضه ولم يكنه فنظر القوم إليه فقال للقوم إني قد أرى الذي في أنفسكم إني لم أستطع إلا أن أقول هذا إن رسول الله أمرنا إذا سمعتم من يعتري بعراء الجاهلية فأعضوه ولا تكنوا.

رواه أحمد في مسنده والترمزي في جامعه وصححه الألباني في (صحيح الجامع) رقم 567. قال في ((النهاية)) " التعزي الإنتماء والإنتساب الى القوم. والعزوة اسم لدعوى المستغيث، وهو أن يقول: يا لفلان، أو يا للأنصار، ويا للمهاجرين ... فأعضوه بهن أبيه: أي قولوا: عض أير أبيك (أير: العضو الجنسي للرجل ...).

2 - النبي يقول الفحش:

وقال البخاري وأبو داود وغيرهما: إن النبي قال لماعز (ص) قال لماعز بن مالك الأسلمي وهو يستجوبه في حادثة الزنا:" أنكتها ؟". وفي رواية أخرى:" حتى غاب ذلك منك في ذلك منها؟"!. ومعلوم أن " ذلك" اسم إشارة!!!.

(صححه الألباني 477/1 - ح 269)

3 - النبي يسب أصحابه:

وقال البخاري ومسلم وغيرهما أن النبي قال:" أيُما رجُل من أمتي سببتهُ سبة أو لعنته لعنة في غضبي فإنما أنا من ولد آدم أغضب كما يغضبون" فلان.

(البخاري ح 6824 - سنن أبي داود ح 4428 - مسند أحمد ح 2429)

4 - يفتن رجلا بالنساء:

قال محمد للجد بني قيس:" يا أبا قيس هل لك أن تخرج معنا لعلك تردف خلفك بنات بني الأصفر". فقال له الجد بن قيس:" يا محمد لماذا تفتني بالنساء." (السيرة الحلبية ج 103/3)

5 - محمد يأذن بالدعارة:

عن جابر بن عبد الله وسلمة بن الأكوع رضي الله عنهما قالا: كنا في جيش، فأتانا رسول الله (ص) فقال: إنه قد أذن لكم أن تستمتعوا فإستمتعوا. (صحيح البخاري 1844)

6 - زواج ثلاث ليال:

عن سلمة بن الأكوع عن أبيه عن رسول الله (ص) قال: إيما رجل وإمرأة توافقا فعشرة ما بينهما ثلاث ليال فإن أحبا أن يتزايدا أو يتتارك تتاركا. (صحيح البخاري 5119)

7 - رضاعة الكبير:

عن عائشة رضي الله عنها: أن سالما مولى أبي حذيفة كان مع أبي حذيفة وأهله في بيتهم، فأتت (تعني: سهلة بنت سهيل) النبي فقالت: إن سالما قد بلغ ما يبلغ لرجال وعقل ما عقلوا، وإنه يدخل علينا، وإني أظن أن في نفس أبي حذيفة من ذلك شيئا، فقال لها النبي (ص):" أرضعبه، تحرمي عليه، ويذهب الذي في نفس أبي حذيفة" فرجعت إليه فقالت: إني قد أرضعته فذهب الذي في نفس أبي حذيفة. (صحيح مسلم 880)

8 - وطء المشركات المتزوجات حلال:

باب: وطء الحبالى من السبي:

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أن رسول الله (ص) يوم حنين بعث جيشا الى أوطاس فلقوا عدوا فقاتلوهم. فظهروا عليهم، فأصابوا لهم سبايا، فكأن ناسا من أصحاب رسول الله (ص) تحرجوا عن غشيانهن من أجل أزواجهم من المشركين فأنزل الله عز وجل في ذلك:" والمحصنات (3) من النساء إلا ما ملكت أيمانكم، أي فهن لكم حلال إذا انقضت عدتهن. (صحيح مسلم 837)

(1) المراد بالمحصنات هنا المزوجات، أي أنهن حرام على غير أزواجهن إلا ما ملكتم بالسبي فإنه ينفسخ نكاح زوجها لكافر.

9 - أهكذا يا رسول الله:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد: كان النبي (ص) قد زوج زيد بن حرثة زينب بنت جحش، ابنة عمته، فخرج رسول الله يوما يريده وعلى الباب ستر من شعر، فرفعت الريح الستر فإنكشف، وهي في حجرتها حاسرة، فوقع إعجابها في قلب النبي، فلما وقع ذلك كرهت الى الآخر، فجاء فقال: يا رسول الله، إني أريد أن أفارق صاحبتي، قال: مالك، أرابك منها شيء؟ قال: لا، والله ما رأيني منها شيء يا رسول الله، ولا رأيت إلا خيرا، فقال له رسول الله: إمسك عليك زوجك واتق الله، فذلك قول الله تعالى (إذ نقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه) تخفي في نفسك إن فارقها تزوجتها.

جامع البيان في تفسير القرآن جاء في كتاب (فقه السيرة) للأستاذ سعيد عاشمور ص 126.

تقول زينب: بعد طلاقي من زيد لم أعلم إلا ورسول الله قد دخل على بيتي وأنا مكشوفة الرأس فعلمت إنه أمر السماء وقلت له: يا رسول الله أهكذا بدون ولي ولا شاهد؟ فقال لي: الله زوجك (أي هو الولي) وجبريل شاهد.

(حلية الأولياء 52/2)

النبى ينظر للنساء الأجنبيات فيثرن شهوته:

روى مسلم وأحمد بن حنبل وغيرهما أن النبي (ص) كان ينظر للنساء الأجنبيات فتعجبنه، فيأتي أي واحدة من نسائه ليقضي حاجته من النساء؛ فمرة أتى أهله سودة، ومرة أتى زينب، ومرة أتى أم سلمة، ومرة قال (ص) :" إن فلانة مرت بي فوقعت في قلبي شهوة النساء فأتيت بعض أزواجي؟. صححه حشوى العصر الألباني.

البخاري: (ح 3894 - 6130). ومسلم (ح1422)، وسنن النسائي (ح3256)، والمعجم الكبير للطبراني: (178/23- ح281). وسنن أبي داود (4932). منار السبيل (194/2- 138). والإنصاف للمرداوي (344/8، 54) وكشاف القناع (186/5). والمبسوط في الفقه الحنبلي للسرخسي (212/4)، وشرح فتح القدير (221/3)، والتمهيد لإبن عبد البر (107/19)، والأم للشافعي (167/5)، وأحكام القرآن للجصاص (346/2)، وبداية المجتهد لإبن رشد (5/2)، ونيل الأوطار للشوكاني (251/6).

عزم محمد على تطليق سودة بنت زمعة بعد أن شاخت:

أراد محمد أن يطلقها بعد أن شاخت فتنازلت عن ليلتها لعائشة حتى يبقى على زواجه منها.

محمد يطلب من إمرأة أن تهبه نفسها:

الحديث من صحيح البخاري: عن أبي أسيد قال:" خرجنا مع النبي (ص) حتى انطلقنا الى حائط يقال له الشوط. حتى انتهينا الى حائطين فجلسنا بينهما فقال النبي (ص):" إجلسوا ها هنا" ودخل وقد أتي بالجونية (أحد سبايا الحرب اسمها أميمة) فأنزلت في بيت في نخل في بيت أميمة النعماني بن شراحبيل، ومعها دايتها حاضنة لها، فلما دخل النبي (ص) قال: هبي نفسك لي. قالت: وهل تهب الملكة نفسها للسوقة؟ قال: فأهوى بيده يضع يده عليها (كناية عن أنه ضربها) لتسكن، فقال: أعوذ بالله منك. فقال: عذت بمعاذ، ثم خرج عليها فقال: يا أبا أسيد إكسها، إلحقها بأهلها".

أم حرام تفلي رأس الرسول:

عن أنس من مالك قال: كان رسول (ص) الله يدخل على أم حرام بنت ملحان وكانت تحت عبادة بن الصامت فدخل يوما فأطعمته وجعلت تفلي رأسه فنام رسول الله ثم استيقظ وهو يضحك. (صحيح البخاري 7001)

استمتع بها:

عن عبد الله بن عبيد بن عمير عن ابن عباس أن رجلا قال: يا رسول الله إن تحتي إمرأة لا تمنع يد لامس فقال: غربها (يعني طلقها) قال: إني لا أصبر عنها. قال: استمتع بها.

هذا الحديث صححه:

1 - ابن حزم في المحلى (11) قال: هذا حديث في غاية الصحة.
2 - النووي كما في التلخيص (225/3).
3 - قال المنذري في مختصر السنن: رجال إسناده محتج بهم في الصحيحين على الإتفاق والإنفراد.
4 - الهيثمي في مجمع الزوائد (617/4): رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح.
5 - الحافظ ابن كثير صحح أحد أسانيده وقال: إسناد جيد (169/10).
6 - الحافظ ابن حجر في التلخيص (225/3): قال: سنده صحيح، وقال كما في الفوائد المجموعة (129): حسن صحيح ولم يصب من قال: إنه موضوع أ.هـ.
7 - الفتني في تذكرة الموضوعات (ص 927): الحديث جيد الإسناد.
8 - الشيخ الألباني في صحيح أبي داود وصحيح النسائي.

هذا مجرد غيض من فيض لأحاديث نبي الإسلام تفضح بما لا يدع مجالا لأي شك وهمية أنه جاء ليتمم مكارم الأخلاق.

17 - لا ينطق عن الهوى

في صورة النجم يقول القرآن عن محمد " وما ينطق عن الهوى. إن هو إلا وحي يوحى" النجم 3.

ولكننا نراه في سورة الأحزاب يستنزل آلاية 50 التي تقول: "... وإمرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي إن أراد النبي أن يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين". الأحزاب 50.

لقد أثارت هذه الآية السيدة عائشة زوجة محمد واستنكرت أن تهب إمرأة نفسها الى رجل. ولها في هذا حديث جاء في صحيح البخاري.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: كنت أغار على اللاتي وهبن أنفسهن لرسول الله (ص) وأقول: أتهب المرأة نفسها! فما أنزل الله عز وجل " ترجى من تشاء وتؤوي إليك من تشاء ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك" قلت: ما أرى ربك إلا يسارع في هواك. (صحيح البخاري 4414)

لعل زواج محمد من زينب بنت جحش من أوضح الدلائل على أنه كان ينطق عن الهوى. وهذه هي القصة كما جائت في السيرة الحلبية: بعد تعريف موجز زينب بنت جحش وزيد بن حارثة.

زنب بنت جحش:

بعد أم سلمة تزوج محمد زينب بنت جحش وكان إسمها برة فغيره وسماها زينب. وكانت زينب قبله عند مولاه زيد بن حارثه فلما طلقها زيد تزوجها محمد، ولهذا الطلاق والزواج قصة يشير إليه القرآن بقوله:" فلما قضى زيد منها وترا زوجناكها" (1).

من هو زيد بن حارثة:

زيد بن حارثة بن شرحبيل الكلبي كان غلاما لخديجة أهدته الى محمد لما تزوجها وكان اشتراه لها من سوق عكاظ حكيم ابن أخيها حزام مما سباه في الجاهلية. وكان زيد إذ ذاك ابن ثمان سنين فأستوهبه منها محمد فوهبته له فأعتقه وذلك قبل النبوه (2).

كيف تزوج زيد زينب:

في السيرة الحلبية عن مقاتل أن زيدا بن حارثة لما أراد أن يتزوج زينب جاء الى النبي وقال: يا رسول الله، أخطب علي، فقال: من؟ زينب بنت جحش، فقال له: لا أراها تفعل، إنها أكرم من لك نسبا، فقال له: يا رسول الله، إذا كلمتها أنت وقلت زيد أكرم الناس عليّ فعلت، قال: إنها امرأة لسناء.

وجاء في رواية: أن النبي هو الذي جاء إليها ليخطبها لمولاه زيد بن حارثة، فقالت: لست بناكحته، قال: بل انكحيه، قالت: يا رسول الله، أؤامر (أي أشاور) نفسي فإني خير منه حسبا، فأنزل الله تعالى:{وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن تكون لهم الخيرة من أمرهم} (3). فقالت عند ذلك: رضيت (4).

والظاهر أن محمدا لم يكن في أول الأمر له نفس بزينب ولا به ميل إليها، وإن كان في أول الأمر قد رد زيدا عن خطبتها، فإنما رده لعلمه بأنها لا ترضى بزيد زوجا لها لأنها من سادات قريش وزيد من الموالي، ولو كان به ميل إليها لتزوجها قبل أن يتزوجها زيد، ولو أنه حين كلم زيد في خطبتها قال له اتركها لي لما توقف زيد عن تركها، ولكن يظهر أنه بعدما تزوجها زيد وقع حبها في نفسه وصار يميل إليها، وسبب ذلك يعرف في الحديث الآتي: قال الحلبي في سيرته: ثم بعد ذلك جاء (أي النبي) بيت زيد يطلبه فلم يجده، فتقدمت إليه زينب فأعرض عنها، فقالت له: ليس هو ههنا يا رسول الله، فدخل، فأبى أن يدخل. وأعجبت رسول الله لأن الريح رفعت الستر فنظر إليها من غير قصد فوقعت في نفسه، فرجع وهو يقول: سبحان مصرف القلوب، وفي رواية: سبحان مقلب القلوب. وسمعته زينب يقول ذلك، فلما جاء زيد أخبرته الخبر فجاء الى النبي وقال: يا رسول الله، لعل زينب أعجبتك فأفارقها لك، فقال له رسول الله: امسك عليك زوجك (5).

إن قول محمد عند رؤية زينب:" سبحان مقلب القلوب يدل على أمرين: أحدهما أنه لم يكن قبل ذلك به ميل إليها، وإلا لم يكن لقوله ذلك معنى، فإن تقليب القلوب معناه تحويلها من حال الى حال.

والثاني أنه حين رأها علق وكان قلبه خاليا منها فصار ممتلئا بها. ولا شك أن محمدا قد وجد نفسه من هذا الحب أمام مشكلة من المشاكل، فإن المرأة التي علق بحبها ذات زوج، وإن زوجها يمت إليه بنسبة، وإن هذه النسبة وإن كانت مجعولة غير حقيقية إلا أنها ذات شأن بحيث تجب مراعاتها واحترامها، فكيف العمل؟

هذا ما كان محمد يفتكر به بعد رؤيته زينب وحبه لها، ولكن هذه المشكلة قد هون عليه حلها زيد من جهة وزينب من جهة أخرى، وجبريل من جهة ثالثة. وإذا عرفنا كيف طلق زيد زينب عرفنا كيف انحلت هذه المشكلة.

كيف طلق زيد زينب:

إن زينب لما سمعت من محمد قوله:" سبحان مقلب القلوب" علمت أنه قد علق بها، ولا شك أنها فرحت فرحا شديدا لأنها لم تتزوج زيدا إلا على كره، ولم ترض به بعلا إلا امتثالا لأمر رسول الله، إذ قال لهم لما امتنعوا عن نكاحه:" قد رضيته لكم وأقضي أن تنكحوه"، ويدل على فرحها بذلك أنها لما جاء زيد أخبرته بذلك، لأنها تعلم علم

اليقين أن زيدا إذا علم بأنها وقعت في نفس محمد وأنها أعجبته، لا يسعه إلا أن ينزل عنها له، إذ هو لا يستطيع بعد ذلك أن يضاجعها وهو يعلم أن رسول الله قد علق بها وصار يرغب فيها ويميل إليها. وقد أصابت زينب الهدف بإخبارها زيدا، فإنه بعدما أخبرته لم يلبث أن "جاء النبي فقال له: يا رسول الله، لعل زينب أعجبتك فأفارقها لك" (6)، كما في السيرة الحلبية. ولقد كان زيد صادقا في قوله هذا، لأن محمدا سيده المقدس المطاع فلا بد أن ينزل له عن زوجته إذا أرادها وأحبها، فإن مثل ذلك غير مستنكر في عرفهم، حتى إن المهاجرين لما قدموا المدينة آواهم الأنصار فأنزلوهم في منازلهم وواسوهم بأموالهم، وكان بعضهم إذا كانت له زوجات متعددة ينزل عن إحداهن لنزيله من المهاجرين فيتزوجها، كما ذكره الزمخشري في الكشاف (7)، لأن المرأة لم تكن في عرف ذلك الزمان إلا متاعا من الأمتعة أو شيئا يقرب من ذلك.

ولم تكتف زينب بإخبار زيد بالقضية بل أخذت بعد ذلك تبدي النفور من زيد وتؤذيه، وتستطيل عليه بلسانها، على أنه هو أيضا بعدما علم أن سيده أحبها صار لا يستطيع غشيانها، فإرتفعت من بيتهما المودة وانقطع حبل الزوجية بحكم الضرورة فلم يبق لزيد إلا أن يفارقها. وكذلك فعل كما ذكره الحلبي في سيرته إذ قال: فما استطاع زيد إليها سبيلا بعد ذلك اليوم أي فلم يستطع أن يغشاها من حين رآها رسول الله الى أن طلقها. قال: فعن زينب قالت: لما وقعت في قلب النبي لم يستطعني زيد وما امتنعت منه، وصرف الله قلبه عني، ثم قال: وجاء زيد الى النبي يوما فقال له: يا رسول الله، إن زينب اشتد عليّ لسانها وأنا أريد أن أطلقها، فقال له: اتق الله وامسك عليك زوجك، فقال: استطالت عليّ، فقال له: طلقها فطلقها (8).

فأسباب الطلاق كما ترى هيأتها زينب، ووافقها عليها زيد بحكم الضرورة، وإذ قد تم الطلاق فقد انحل جانب عظيم من المشكلة ولم يبق إلا جانبها الآخر وهو أن يتزوجها محمد، وليس حلها من هذا الجانب يصعب على جبريل.

كيف تزوج محمد زينب:

من الغريب أن محمدا لما أرسل الى زينب يخطبها بعدما طلقها زيد لم يرسل إليها إلا زيدا كأنه لم يجد من يرسله غيره. ولعله أراد بذلك أن يختبر طاعته وانقياده لحكمه وإلا فأنه يصعب على زيد ويثقل على روحه أن يخطب لسيده امرأة كانت بالأمس زوجته.

قال الحلبي في سيرته: فلما انقضت عدتها أرسل إليها زيدا، فقال له: اذهب فاذكرها عليّ، فانطلق. قال: فلما رأيتها عظمت في صدري، فقلت: يا زينب أبشري، أرسلني رسول الله يذكرك، قالت: ما أنا بصانعة شيئا حتى أؤامر ربي، وفي لفظ قال زيد: فذهبت إليها، فجعلت ظهري الى الباب فقلت: يا زينب، بعث رسول الله يذكرك، فقالت: ما كنت لأحدث شيئا حتى أؤامر ربي (9).

وكأن زينب بقولها:" حتى أؤامر ربي: كانت تعلم أن ربها الله سيزوجها من السماء، لأن جبريل بعد ذلك نزل بالوحي على محمد يخبره بأن الله قد زوجه زينب، ولم تبق حاجة الى خطبتها. قال الحلبي في سيرته: فبينما رسول الله جالس يتحدث مع عائشة، إذ نزل عليه الوحي بأن الله زوجه زينب، فسرى عنه وهو يبتسم وهو يقول: من يذهب الى زينب فيبشرها أن الله زوجها من السماء.

إن محمدا قال هذا، ولكنه لم يبق مجالا للذهاب الى زينب ولا لتبشيرها، إذ قام فذهب بنفسه إليها. قال الحلبي: وجاء إليها رسول الله فدخل عليها بغير إذن، قالت: دخل عليّ وأنا مكشوفة الشعر، فقلت: يا رسول الله، بلا خطبة ولا إشهاد، فقال: الله المزوج وجبريل الشاهد (10).

لا ريب أن محمدا لما كان جالسا يتحدث مع عائشة، كان في باطنه مشغولا بالفكر في قضية زينب وزواجها، وكانت نفسه متجهة بشراشرها نحو هذه القضية، وبينما هو كذلك أخذته نوبته العصبية المعلومة، فرأى وهو في تلك الحالة رئيه يقول: إن الله زوجك زينب، وما هذا القول إلا حديث نفسه لا قول رئيه، إلا أنه يترائى له أنه يصدر إليه من قبل رئيه جبريل، وقد علمت مما سبق أنه لم يكن في أول الأمر يسمى رئيه بجبريل.

وقد أنزل محمد في قضيته مع زيد وزينب قرآنا باح فيه بالحقيقة، فذكر أنه كان فيها يظهر غير ما يخفي، وأنه كان يخشى في ذلك قالة الناس من اليهود والمنافقين أن يقولوا انظروا كيف تزوج محمد امرأة ابنه، لأن زيدا كان يقال له زيد بن محمد، فأما قالت الناس فأبطلها بالآيات التي مر ذكرها:{ ما كان محمد أبا أحد من رجالكم...}، { ادعوهم لآبائهم...} (11)، وأما الآيات التي باح فيها بالحقيقة عن نفسه فقوله:{ وإذا تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه} (12) وهو زيد بن حارثة، فإن الله أنعم عليه بأن هداه للإسلام، والنبي أنعم عليه بالعتق، {أمسك عليك زوجك} (13) يعني زينب بنت جحش، { واتق الله} فلا تطلقها، {وتخفي ما في نفسك ما الله مبديه} أي أنت تخفي في نفسك محبة زينب وتود في زيد أ يطلقها فتتزوجها، والله مبدي ذلك ومظهره بتزويجك إياها {وتخشى الناس} أن يقولوا تزوج محمد امرأة ابنه، { والله أحق أن تخشاه}، فإن زيدا ليس بابنك وإنما هو دعيك ومولاك، {فلما قضى زيد منها وطرا}، الوطر الحاجة، فإذا بلغ الرجل من الشيء حاجته قيل قضى منه وطره، أي فلما لم يبق لزيد فيها حاجة وطلقها، { زوجناكها لكيلا يكون على المؤمنين من حرج في أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطرا} (14)، أي إنما زوجناك زينب تشريعا لإزالة حرمة التبني لكي يعلم الناس أنه لا حرج على المتبني أن يتزوج إمرأة المتبني بعد طلاقه إياها.

وهذا التعليل في غاية الغرابة لأنه إذا كان المقصود من ذلك كله هو بيان الحكم الشرعي في هذه المسألة، فبدلا من أن ينزل جبريل بهذه الآيات كلها، يمكنه بيان ذلك الحكم بالقول، فيأتي بآية واحدة يقول فيها أيها الناس لا حرج عليكم أن تتزوجوا أزواج أدعيائكم إذا قضوا منهن وطرا وطلقوهن، فإن التشريع كما يكون بالفعل يكون بالقول أيضا، ولكنه لم يفعل كذللك، بل زوجه امرأة زيد لكي يعلم الناس أن ذلك مباح لا حرج فيه، ونحن إذا تأملنا في حقيقة الأمر حق التأمل، رأينا أن إباحة أزواج الأدعياء إنما كانت لإجل أن يتزوج محمد امرأة زيد، والقرآن يقول بعكس ذلك. لا

أدري أكانت زينب لما تزوجها زيد قبل النبي بكرا أم ثيبا، فإنهم لم يذكروا شيئا في ذلك، وقد ذكروا أنها لما تزوجها النبي بعدما طلقها زيد كانت بنت خمس وثلاثين سنة، والظاهر أنها لم تبق عند زيد كثيرا، وأن زيدا لما تزوجها كانت في هذه السن أو ما يقاربها. ومن البعيد أن تبقى غير متزوجة وهي قد بلغت هذا المبلغ من العمر، وكانت زينب تفتخر على نساء النبي وتقول عن النبي: إن الله قد أنكحني إياه من فوق سبع سموات. وعاشت بعد النبي بضع سنين فكانت أول نسائه لحوقا به، فإنها توفيت بالمدينة سنة عشرين من الهجرة ولها من العمر ثلاث وخمسون سنة، أما تاريخ تزويج النبي إياها فكما قال الحلبي في سيرته: إنه تزوجها هلال ذي القعدة سنة أربع على الصحيح (15).

الهـوامـش

(1) سورة الأحزاب، الآية: 37.
(2) الكشاف ـ تفسير الآية: 27 من سورة الأحزاب.
(3) سورة الأحزاب، الآية: 36.
(4) السيرة الحلبية، 320/3.
(5) السيرة الحلبية، 214/2، حياة محمد، لمحمد حسين هيكل 315 ـ 326.
(6) السيرة الحلبية، 214/2.
(7) تفسير الآيات: 36ـ 38، من سورة الأحزاب
(8) السيرة الحلبية، 214/2.
(9) السيرة الحلبية، 214/2.
(10) السيرة الحلبية، 214/2.
(11) سورة الأحزاب: 4 ـ 5.
(12) سورة الأحزاب: 37.
(13) سورة الأحزاب: 37.
(14) سورة الأحزاب: 37.
(15) السيرة الحلبية، 215/2و 321/3.

18 - تواضع محمد

دُعيَ محمد " الصادق الأمين" و " المصطفى" و " أشرف المرسلين" وأنه أتى ليتمم مكارم الأخلاق وقال هو عن نفسه إنه " رحمة مُهداة" بل ويقول عنه القرآن " وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين". (الأنبياء 107)" وإنك لعلى خُلق عظيم" (القلم 4).

هذه هي الأسطورة التي نسجوها حول شخصية محمد ولكن الواقع يكذبها كما تبرهن على ذلك أمهات الكتب والمصادر الإسلامية الأساسية وهو ما سنبينه فيما يلي:

(1) أوتيت مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها ثم الجنة:

ابتداء شكوى رسول الله (ص):

(بدء الشكوى): قال ابن إسحاق: وحدثني عبد الله بن عمر، عن عبيد بن جبير مولى الحكم ابن أبي العاص، عن عبد الله بن عمرو بن العاص، عن أبي مويهبة، مولى رسول الله (ص)، قال: بعثني رسول الله من جوف الليل، فقال: يا أبا مويهبة، إني قد أمرت أن أستغفر لأهل هذا البقيع، فإنطلق معي، فإنطلقت معه، فلما وقف بين أظهرهم، قال: السلام عليكم يا أهل المقابر، ليهنئ لكم ما أصبحتم فيه مما أصبح الناس فيه، أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم، يتبع آخرها أولها، الآخرة شر من الأولى؛ ثم أقبل علي، فقال: يا أبا مويهبة، إني قد أوتيت مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها، ثم الجنة، فخيرت بين ذلك وبين لقاء ربي والجنة. قال: فقلت: بأبي أنت وأمي، فخذ مفاتيح خزائن ادنيا والخلد فيها، ثم الجنة؛ قال: لا والله يا أبا مويهبة، لقد اخترت لقاء ربي والجنة، ثم استغفر لأهل البقيع، ثم انصرف، فبدأ برسول الله (ص) وجعه الذي قبضه الله فيه. (السيرة النبوية)

(2) واصطفاني:

باب: اصطفاء النبي (ص):

عن وائلة بن الأسقع رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله (ص) يقول:" إن الله عز وجل اصطفى كنانة من ولد إسماعيل عليه السلام، واصطفى قريشا من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم".

(صحيح مسلم 2276)

(3) أنا سيد ولد آدم:

باب: قول النبي (ص): أنا سيد ولد آدم

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله (ص):" أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول من ينشق عنه القبر، وأنا أول شافع وأول مشفع". (صحيح مسلم 2278)

(4) صلاة في مسجدي خير من ألف صلاة:

وعنه رضي الله عنه أن النبي (ص) قال: صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام. (صحيح البخاري 627)

(5) من قد رآني فقد رأى الحق:

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال النبي : من رآني فقد رأى الحق، فإن الشيطان لا يتكونني.

(صحيح البخاري 2180)

(6) إني لأخشاكم لله وأتقاكم:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: جاء ثلاثة رهط الى بيوت أزواج النبي يسألون عن عبادة النبي (ص) ، فلما أخبروا كأنهم تقالوها فقالوا: وأين نحن من النبي قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه، وما تأخر، فقال أحدهم: أما أنا فإني أصلي الليل أبدا، وقال آخر: أنا أصوم الدهر، ولا أفطر. وقال آخ: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا، فجاء رسول الله (ص) إليهم، فقال: أنتم الذي قلتم كذا وكذا، أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني. (صحيح البخاري)

(7) من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار:

عن المغيرة رضي الله عنه قال: سمعت النبي (ص) يقول: إن كذبا عليّ ليس ككذب على أحد، من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار، سمعت النبي (ص) يقول: من نيح عليه يعذب بما نيح عليه.

(صحيح البخاري 656)

(8) محمد الماحي:

عن محمد بن جبير عن أبيه قال: قال رسول الله " لي خمسة أسماء: أنا محمد، وأنا أحمدُ، وأنا الماحي الذي يمحُو الله بي الكفر وأنا الحاشِرُ الذي يُحشرُ الناس على قدمي، وأنا العاقِبُ". (صحيح البخاري 3532)

هذه مجرد أمثلة قليلة تكفى للدلالة على أن نبي الإسلام كان أبعد ما يكون عن التواضع. رغم أنهم وضعوا في فمه زورا مقولة " ما أنا إر ابن إمرأة كانت تأكل القديد في مكة.

19 - هل محمد نبي الإسلام من نسل إسماعيل؟

لا يوجد دليل واحد على هذا الإدعاء لأنه لا يوجد سند متصل متفق عليه ومًثبت تاريخيا أن عدنان جد النبي من نسل إسماعيل بل إن الإختلافات تتراوح بين أربعة أجيال الى أربعين جيلا كما يتضح مما يلي:

1- ما جاء في البداية والنهاية لإبن كثير:

قال الحافظ (ابن كثير) في كتابه (البداية والنهاية) -(ج2):

خبر عدنان جد عرب الحجاز:

لاخلاف أن عدنان من سلالة إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليهما السلام واختلفوا في عدة الآباء بينه وبين إسماعيل على أقوال كثيرة فأكثر ما قيل أربعون أبا وهو الموجود عند أهل الكتاب أخذوه من كتاب رخيا كاتب أرميا بن حلقيا وقيل بينهما ثلاثون وقيل عشرون وقيل خمسة عشر وقيل عشرة وقيل تسعة وقيل سبعة وقيل إن أقل ما قيل في ذلك أربعة لما رواه موسى بن يعقوب عن عبد الله بن وهب بن زمعة الزمعي عن عمته عن أم سلمة عن النبي (ص) أنه قال:" معد بن عدنان أدد بن زند بن اليرى بن اعراق الثرى".

قالت: أم سلمة فـ (زند) هو الهميسع واليرى هو نابت وإعراق الثرى هو إسماعيل لأنه ابن إبراهيم وإبراهيم لم تأكله النار كما أن النار لا تأكل الثرى.

قال الدارقطني: لا نعرف زندا إلا في هذا الحديث وزند بن الجون وهو أبو دلامة الشاعر: قال الحافظ أبو القاسم السهيلي وغيره من الأئمة: مدة ما بين عدنان الى زمن إسماعيل أكثر من أن يكون بينهما أربعة أباء أو عشرة أو عشرون وذلك أن معد بن عدنان كان عمره زمن بخت نصر اثنتي عشرة سنة. وقد ذكر أبو جعفر الطبري وغيره أن الله تعالى أوحي في ذلك الزمان الى أرمياء بن حلقيا أن أذهب الى بخت نصر فأعلمه أني قد سلطته على العرب وأمر الله أرميا أن يحمل معه معد بن عدنان على البراق كي لا تصيبه النقمة فيهم فإني مستخرج من صلبه نبيا كريما أختم به الرسل ففعل أرميا ذلك واحتمل معدا على البراق الى أرض الشام فنشأ مع بني إسرائيل ممن بقي منهم بعد خراب بيت المقدس وتزوج هناك إمرأة إسمها معانة بنت جوشن من بني دب بن جرهم قبل أن يرجع الى بلاده ثم عاد بعد أن هدأت الفتن وتمحضت جزيرة العرب وكان رخيا كاتب أرمياء قد كتب نسبه في كتاب عنده ليكون في خزانة أرمياء فيحفظ نسب معد كذلك والله أعلم.

ولهذا كره مالك رحمه الله رفع النسب الى ما بعد عدنان.

قال السهيلي: وإنما تكلمنا في رفع هذه الأنساب على مذهب من يرى ذلك ولم يكرهه كابن إسحاق والبخاري والزبير بن بكار والطبري وغيرهم من العلماء، وأما مالك رحمه الله فقد سئل عن الرجل يرفع نسبه الى آدم فكره ذلك، وقال له من أين له علم ذلك فقيل له فإلى إسماعيل فأنكر ذلك أيضا وقال ومن يخبره به وكره أيضا أن يرفع في نسب الأنبياء مثل أن يقال إبراهيم بن فلان بن فلان هكذا ذكره المعيطي في كتابه.

قال: وقول مالك هذا نحو مما روى عن عروة بن الزبير أنه قال ما وجدنا أحدا يعرف ما بين عدنان وإسماعيل، وعن ابن عباس أنه قال بين عدنان وإسماعيل ثلاثون أبا لا يعرفون وروي عن ابن عباس أيضا أنه كان إذا بلغ عدنان يقول كذب النسابون مرتين أو ثلاثا والأصح عن ابن مسعود مثله. وقال عمر بن الخطاب إنما تنسب الى عدنان، وقال أبو عمر بن عبد البر في كتابه الأنباه في معرفة قبائل الرواة: روى ابن لهيعة (1) عن أبي الأسود أنه سمع عروة بن الزبير يقول ما وجدنا أحدا يعرف ما وراء عدنان ولا ما وراء قحطان إلا تخرصا، وقال أبو الأسود: سمعت أبا بكر بن سليمان بن أبي خيثمة وكان من أعلم قريش بأشعارهم وأنسابهم يقول ما وجدنا أحد يعرف ما وراء معد بن عدنان في شعر شاعر ولا علم عالم.

قال أبو عمر: وكان قوم من السلف منهم عبد الله بن مسعود وعمرو بن ميمون الأزدي ومحمد بن كعب القرظي إذا تلوا (والذين من بعدهم لا يعلمهم إلا الله) قالوا: كذب النسابون.

قال أبو عمر رحمه الله: والمعنى عندنا في هذا غير ما ذهبوا والمراد أن من ادعى احصاء بني آدم فإنهم لا يعلمهم إلا الله الذي خلقهم، وأما أنساب العرب فإن أهل العلم بأيامها وأنسابها قد وعوا وحفظوا جماهيرها وأمهات قبائلها، واختلفوا في بعض فروع ذلك.

قال أبو عمر: والذي عليه أئمة هذا الشأن في نسب عدنان قالوا عدنان بن أدد بن مقوم بن ناحور بن تيرح بن يعرب بن يشجب بن نابت (2) بن إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليهما السلام وهكذا ذكره محمد بن إسحاق بن يسار في السير.

قال ابن هشام: ويقال عدنان بن أد يعني عدنان بن أد بن أدد (3) ثم ساق أبو عمر بقية النسب ال آدم.

2- ما جاء في مروج الذهب للمسعودي - الجزء الثاني:

في ذكر مولد النبي (ص) ونسبه وغير ذلك مما لحق بهذا الباب

قد ذكرنا فيما سلف من كتبنا بدء التاريخ في خلق العالم وأخبار الأنبياء والملوك وعجائب البر والبحر وجوامع التاريخ للفُرس، والروم والقبط وشهور الروم والقبط وما كان من مولد النبي (ص) الى مبعثه ومن آمن به قبل رسالته؛ وقد قدمنا في هذا الكتاب من كان بينه وبين المسيح عليه السلام من أهل الفترة؛ فلنذكر الآن مولده إذ كان الطاهر المطهر الأغر، الأزهر الذي اتسعت أعلام نبوته وتواترت دلائل رسالته، ونطقت الشهادات له قبل مبعثه.

هو (4) محمد بن عبد الله بن عبد المَطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قُصيّ بن مُرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فِهر بن مالك بن النَّضر بن كِنانة بن خُزيمة بن مُدركة بن إلياس بن مُضر بن نزار بن معد بن عدنان بن أدد بن [مقوم بن] ناخور بن تيرح بن يعرُب بن يشجُب بن نابت (5) بن إسماعيل بن إبراهيم خليل الرحمن ابن تارح وهو آزر بن ناخور بن ساروغ بن أرعو (6) بن فالغ (7) بن عابر (8) بن شالخ بن أرفخشد بن سام بن نوح بن لمك بن متُّوشلخ بن أخنون بن يرد بن مهلائيل بن قينان بن أنوش (9) بن شين بن آدم عليه السلام؛ هذا ما نسخه ابن هشام في كتاب المغازي والسير عن ابن إسحاق.

[والنسخ مختلفة الأسماء في النسب من نزار وفي نسخة محمد بن زكرياء الغلابي البصري هو [نزار] (10) بن معد بن عدنان بن أدد بن سام (كذا) بن يشجُب بن يعرُب بن الهَمَيسَع بن صانوع بن يامد بن قيدر بن إسماعيل بن إبراهيم بن تارح بن ناخور بن أرعو بن أسروج بن فالغ بن شالخ بن أرفخشد بن سام بن نوح بن متوشلخ بن أخنون بن مهلائيل بن قينان بن أنوش بن شيت بن آدم؛ وفي رواية ابن الأعرابي عن هشام بن محمد الكلبي هو نزار بن معد بن عدنان بن أد بن أدد بن الهميسع بن نبت بن سلامان بن قيدر بن إسماعيل بن إبراهيم الخليل بن تارح بن ناخور بن أرعو بن فالغ بن عابر بن شالخ بن أرفخشد بن سام بن نوح بن لمك بن متوشلح بن أخنون بن يرد بن مهلائيل بن قينان بن أنوش بن شيث بن آدم عليه السلام.

وفي التوراة أن آدم عليه السلام عاش تسعمائة سنة وثلاثين سنة؛ فيجب ـ والله أعلم ـ أن آدم كان عند مولد لمك ـ وهو أبو نوح عليه السلام ـ ابن ثمانمائة سنة وأربع وسبعين سنة، وشيت ابن سبعمائة وأربع وأربعين سنة؛ فيجب على هذا الوصف من الحساب أن مولد نوح عليه السلام كان بعد وفاة آدم بمائة وست وعشرين سنة؛ وقد نهى النبي (ص)، على حَسَب ما ذكرنا من نهيه، أن يتجاوز عن معد؛ فقد ثبت أن يُوقف في النسب على معد فقط؛ وقد اختلف أهل النسب على ما ذكرنا، فالواجب التوقف عند أمره عليه الصلاة والسلام، ونهيه.

وقد وجدت نسب معد بن عدنان في السفر الذي أثبته باروخ بن ناريا كاتب إرمياء النبي أنه معد بن عدنان بن أدد بن الهميسع بن سلامان بن عوص بن برز بن متساويل بن أبي العوام بن ناسل بن حرا بن يلدارم بن بدلان بن كالح بن فاجم بن ناخور بن ماحي بن عسقى بن عنف بن عبيد بن الرعا بن حمران بن يسن بن هرى بن بحرى بن يلخى بن أرعو بن عيفاء بن حسان بن عيسى بن افتاد بن ايهام بن مُعصر بن ناجب بن رزاح بن سماي بن مر بن عوس بن عوام بن قيدر بن إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليه السلام؛ وقد كان لإرمياء مع معد بن عدنان أخبار يطول ذكرها وما كان من أمرهما بالشام، وقد أتينا على ذكر ذلك فيما سلف من كتبنا؛ وإنما ذكرنا هذا النسب من هذا الوجه ليُعلم تنازُع الناس في ذلك؛ فلذلك نهى النبي (ص) على تجاوز معد لعلمه من تباعُد الأنساب وكثرة الآراء في طول هذه الأعصار].

3- وفي كتاب " شقيقات قريش" لفاضل الربيعي تأكيد لهذا المعنى: ص 51:

نصُ الشامي

(سُبل الهُدى والرشاد في سيرة خير العباد) لزمام محمد ابن يوسف الصالحي الشامي، ت 942 هـ.

" روي ابن سعد أن النبي (ص) كان إذا انتسب لم يجاوز في نسبه معد بن عدنان بن أد ثم يمسك ثم يقول: كذب النسابون. وقال ابن عباس (رض): لو شاء رسول الله (ص) أن يعلمه لعَلِمُهُ".

ويمضي الأستاذ فاضل الربيعي في بحثه ص 125 فينسب تاريخ العرب لأبناء إسماعيل.

لدينا، هنا، أربع قوائم تتضمن أسماء أبناء إسماعيل (ابن الأثير: 88:1 ط لايدن الكامل، الأزرقي:81:1، الفاكهي: 13:1 والتوارة). وهي قوائم نموذجية قمنا بإختيارها من بين قوائم عدة وردت في الموارد العربية والإسلامية؛ لنكشف نمط التصحيف الفظيع الذي طاول هذه الأسماء:

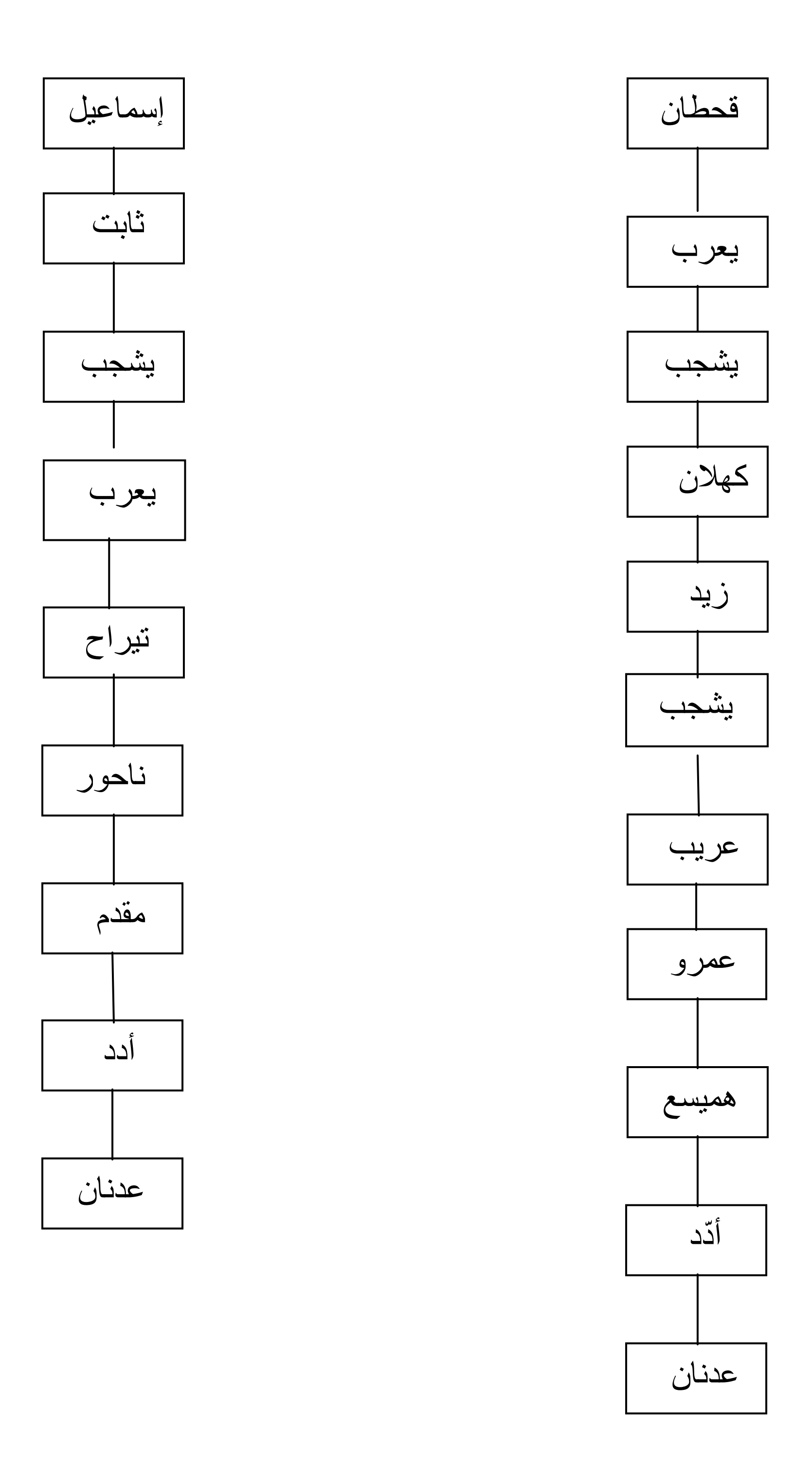
	الفاكهي (أخبار مكة)	ابن الأثير (الكامل)	الأزرقي (أخبار مكة)	التـوراة (تكوين)
1	نابت	نابت	نابت	نبايوت
2	قيدور	قيدار	قيدار	قيدار
3	الذيل	أذيل	واصل	أدْبئيل
4	منَّشا	ميشا	مياس	مسّا
5	مسمع	مسمع	-	مشماع
6	دومها	رمّـا	-	دومة
7	ناس	ماش	-	مبسام
8	أُدد	آذر	آزر	حدّار
9	مُصَّور	قطورا	يَطور	يَطور

10: تيش	قافس	نبش	نافش
11: قيدم	قيدما	قيدما	قدمة
12: -	قدمان	طميا	تيما

يوضح هذا النموذج نمط الفوضى التي عصفت بأسماء القبائل الإسماعيلية الجديدة من العرب المُستعَربة؛ حيث إنها غدت، في نظر بعض كُتاب التاريخ، كدليل على مُختَلقات الإخباريين العرب.

أيضا في كتاب " شقيقات قريش" نرى التخبط في أسماء أنساب عدنان كما هو واضح في القائمتين التاليتين:

نسب عدنان **نسب إسماعيل حسب قائمة الأنساب العربية**



4- <u>بحسب أقوال ابن الأثير وابن الكلبي والطبري:</u>

" أوجز ما يقال عن نسب عدنان هو ما أورده " ابن الأثير" في كتابه " الكامل " حيث قال: ولعدنان أخوان يُدعى أحدهما نبتا والآخر عامرا، فنسب النبي (ص) لا يختلف الناسبون فيه الى معد بن عدنان، على ما ذكرت ويختلفون فيما بعد ذلك اختلافا عظيما لا يحصل منه على غرض، فتارة يجعل بعضهم بين عدنان وبين إسماعيل عليه السلام، أربعة آباء ويجعل آخر بينهما أربعين أبا ويختلفون أيضا في الأسماء أشد من اختلافهم في العدد، فحيث رأيت الأمر كذلك لم أعرج على ذكر شيء منه، ومنهم من يروي عن النبي (ص) نسبه حديثا يصله بإسماعيل، ولا يصح في ذلك الحديث".

2/23 الكامل لابن الأثير.

وواقع الأمر أن الإختلاف في نسب عدنان أكبر بكثير مما ذكره " ابن الأثير" فقد أفرد " الطبري " وحده في تاريخه ست صفحات لأكثر من عشر روايات زاد عدد الأسماء في بعضها عن الأربعين اسما بكثير وعليه فإن العبارة التي

قالها " ابن الأثير!":" ويختلفون فيما بعد ذلك اختلافا عظيما لا يحصل منه على غرض " تلخص اللا جدوى من محاولة ربط نسب عدنان بإسماعيل". 2/23 الكامل لابن الأثير.

ويدعم هذه المقولة ما ورد في صدر كتاب " جمهرة النسب" لابن الكلبي": " أخبرنا محمد بن حبيب عن هشام بن محمد بن السائب عن أبيه عن أبي صالح عن ابن عباس قال: كان الرسول (ص) إذا انتهى في النسب الى معد بن عدنان أمسك ثم قال: كذب النسابون، قال الله جل ثناؤه وقرونا بين ذلك كثيرا قال ابن عباس: لو شاء رسول الله أن يعلمه لعلمه ".

وهذا يعني أن " ابن الكلبي" الذي هو أشهر نسابة على الإطلاق تمسك بما ورد في الحديث، ورفض أن يخوض في غمار نسب عدنان، كما يتضح أن المحاولات لوصل عدنان بإسماعيل جرت في النصف الثاني من القرن الثاني وبطرق واهية، فقد أورد " ابن سعد" في طبقاته ما يلي " قال هشام: وأخبرني مخبر عن أبي ولم أسمعه منه أنه كان ينسب معد بن عدنان بن أدد بن الهميسع .. الخ" 1/56 ابن سعد.

والإسناد نفسه اعتمده " الطبري " حيث قال: " حدثني الحارث عن محمد بن سعد عن هشام قال أخبرني مخبر ولم أسمعه منه أنه كان ينسب معد .. الخ" 2/272 طبري.

فـ "هشام بن محمد بن السائب الكلبي" لم يسمع النسب من أبيه بل أخبره به مخبر ولم يكشف عن اسمه، والسؤال هو: كيف لم يسمع " هشام بن محمد" من أبيه نسب "عدنان" على ماله من أهمية وهو الذي احتكر النقل عن أبيه وسمعه شخص مجهول؟.

نخرج من هذا كله أن جميع المحاولات لوصل عدنان بإسماعيل مضطربة وواهية، ولا تقوم على أي سند متماسك، فمن هو "عدنان" إذن؟.

كل ما يمكن الإعتماد عليه في نسب عدنان هو اسم أبيه وجده فقط فقد أورد "ابن الكلبي" ما يلي:" ولد أدد بن زيد: عدنان ونبت، ونبت هو الأشعر أبو الأشعريين، وعمرا "والواقع أن معظم الروايات التي أوردت نسبا لعدنان تتقاطع عند هذا الجزء من النسب فقط أي: عدنان بن أدد بن زيد.

وبين كل أعمدة النسب الموجودة بين أيدينا لا نجد إلا شخصا واحدا اسمه " أدد بن زيد" وهو " أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان" " وقد أورد ابن الكلبي أن لـ" عدنان" أخا اسمه نبت وهو الأشعر، وحين نرجع الى نسب " نبت الأشعر" نجد أنه ابن " أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن يزيد بن كهلان بن سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان" وعليه فإن عدنان هو ابن أدد المذكور وبما أنه أخو الأشعر فهو بالتالي أخو مرة ومذحج وطيء إخوة الأشعر.

وجدير بالذكر أيضا أن الإسمين " يشجب ويعرب" الواردين في نسب " الأشعر" يتكرران في معظم أعمدة النسب المضطربة التي وضعت كمحاولة لوصل عدنان بإسماعيل.

5- بحسب ما جاء في السيرة النبوية إبن إسحق/ابن هشام:

أما عمود نسب النبي (ص) فعلى ما ذكره ابن إسحاق في السيرة، وتبعه عليه ابن هشام: هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النظر ابن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان بن أدد بن مقوم بن ناحور بن تارح بن يعرب بن يشجب بن نابت بن إسماعيل ابن إبراهيم عليه السلام ابن تارح (وهو آزر) بن تاخور ابن شارخ (شاروخ) بن أرغو ابن فاغ بن عابر بن شالخ بن أرفخشد بن سام بن نوح عليه السلام بن لامك ابن متوشلخ بن اخنون وهو إدريس عليه السلام. والإتفاق على هذا النسب الشريف الى عدنان وفيما بعد عدنان الى إسماعيل عليه السلام فيه خلاف كثير يأتي ذكره في الكلام على نسب عدنان في حرف العين المهملة إن شاء الله تعالى، بل قد منع بعضهم الرفع في النسب على عدنان تمسكا بأنه ليس في ما وراء عدنان الى آدم طريق صحيح كما صرح به النووي. قال القضاعي في عيون المعارف في أخبار الخلائف وقد روى أن النبي (ص) قال لا تجاوزا معد بن عدنان كذب النسابون.

6- ما جاء في الطبقات الكبرى لإبن سعد وسير أعلام النبلاء للذهبي:

قال الذهبي: قيل أن بين عدنان وإسماعيل تسعة آباء وقيل سبعة وقيل مثل ذلك عن جماعة لكن إختلفوا في أسماء بعض الآباء وقيل بينهما خمسة عشر آبا وقيل: بينهما أربعون آبا وهو بعيد جدا وكل ما قيل في النسب فوق عدنان لا يقين فيه من حيث عدد الآباء وأسماؤهم فلا جدوى من ذكر ذلك. قال ابن سعد في الطبقات:" الأمر عندنا على الإنتهاء الى معد بن عدنان ثم الإمساك عما وراء ذلك الى إسماعيل بن إبراهيم.

وروى الذهبي عن عروة بين الزبير قوله:" ما وجدنا من يعرف ما وراء عدنان ولا قحطان إلا تخرصا .

الذهبي: سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة بيروت 1986، ابن سعد: الطبقات الكبرى، دار صادر بيروت.

الخلاصة:

ليس هناك دليل يعتمد عليه للتدليل على أن عدنان من نسل إسماعيل وبالتالي تسقط دعوى أن محمد نبي الإسلام من نسل إسماعيل.

الهـــوامــش

(1) ابن لهيعة: هو أبو عبد الرحمن عبد الله بن لهيعة بن عقبة بن لهيعة الحضرمي الغافقي المصري، كان مكثرا من الحديث والأخبار والرواية. توفي بمصر سنة سبعين ومائة. وكان عمره احدى وثمانين سنة، وكان مولده سنة سبع وتسعين (ابن خلكان).

(2) ابن قتيبة في المعارف ساق نسب عدنان الى قيدار بن اسماعيل أخي نابت. وهذا ما فعله الجواني في أصول الإحساب والزيدي في روضة الألباب.

وهكذا قال هشام بن محمد الكلبي كما في رواية ابن الإعرابي عنه (المسعودي) وقال المسعودي:289/2: وقد نهى النبي أن يتجاوز عن معد، وقد اختلف أهل النسب [في رواياتهم] فالواجب الواقف عند أمره عليه السلام ونهيه.

(3) في ابن هشام: ويقال عدنان بن أد. وفي رواية الكلبي: عدنان بن أد بن أدد.

(4) في ج و ث: وهو؛ وفي ت: فهو.

(5) في ت: ثابت؛ وفي ج: نابت.

(6) في السيرة: راعو؛ وفي ج: أرعو، وفي ث: أرعواء.

(7) في السيرة فالخ؛ وفي ج: فالغ.

(8) في ج: عابر؛ وفي السيرة: عيبر.

(9) في السيرة؛ يافش؛ وفي ج: أنوش.

(10) الزيادة عن ج.

20 - تقديس محمد

لقد أسهم النبي نفسه في وضع أسس الإسطورة المحمدية كجزء لا يتجزأ من مشروع الإمبراطورية الإسلامية الى أراد تشيدها وإسناد قيادتها الى قريش أهله وعشيرته. ذلك المشروع العظيم الذي أراد به محمد أن يشابه الروم والفرس ويلم شتات القبائل العربية المتناثرة في قوام دولة.

إن الغاية التي يرمي إليها محمد هي من الأمور التي لا يسعها عمر الإنسان. إذن، فلأجل الوصول الى تلك الغاية يلزم أولا إحداث نهضة عالمية كبرى، ثانيا استمرار تلك النهضة من بعده حتى تتم بها الغاية وكلا الأمرين لا يكون إلا بكون محمد مقدسا ومطاعا عند أتباعه المسلمين، إذ لو لم يكن هو في نظر أتباعه مقدسا ولا أمره سماويا مطاعا لتعذر حصول تلك النهضة، ولو حصلت لاستحال استمرارها من بعده.

ولو أننا نزعنا القداسة من شخص محمد والطاعة من أمره لإنطفأ من بعده سراج الدعوة وانقطعت حركة النهضة، ولإنمحت آثاره من بعده كما انمحت آثار غيره من عظماء التاريخ، أو لبقيت لنا من آثاره طلول غير ناطقة وشخوص غير متحركة. ولكننا نرى النهضة العالمية التي أحدثها في حياته قد استمرت بعد مماته حتى بلغت الغاية، ولا تزال مستمرة الى يومنا هذه، وإن تغير جوهرها وتبذل شكلها وتقلص ظلها، وما ذلك إلا لأن محمدا مقدس شخصه واجب الإحترام، ومطاع أمره واجب الإمتثال.

ولولا أن محمدا أراد أن يكون مقدسا ومطاعا عند أتباعه المسلمين لما رأيناه يتغاضى عنهم إذا رآهم يتبركون بنعله، أو يبتدرون وضوءه، أو يتلقفون بصاقه، أو نحو ذلك مما يدل على أنه عندهم مقدس ومطاع. فمثلا كان أبن مسعود يخدمه وكان صاحب نعليه، فكان إذا قام النبي ألبسه إياهما، فإذا جلس جعلهما في ذراعيه أي أدخل كل واحدة منهما في إحدى ذراعيه وبقي هكذا حتى يقوم النبي من مجلسه (1). ومعنى هذا أن ابن مسعود كان يلبس نعليه في يديه للتبرك بهما.

ولنذكر ما شاهده عروة بن مسعود يوم الحديبية، فإن قريشا أرسلته الى محمد ليكلمه في أنهم لا يريدون أن يدخل عليهم مكة في هذا العام، فكلمه عروة في ذلك وقد رأى ما يصنع به أصحابه لا يتوضأ إلا ابتدروا وضوءه وكادوا يقتتلون عليه، ولا يبصق بصقا إلا ابتدروه يدلك به من وقع في يده وجهه وجلده، ولا يسقط من شعره شيء إلا أخذوه، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده، ولا يحدون النظر إليه تعظيما له. فلما رجع عروة الى قريش قال لهم: يا معشر قريش إني جئت كسرى في ملكه، وقيصر في ملكه، والنجاشي في ملكه، والله ما رأيت ملكا في قومه قط مثل محمد في أصحابه، ولقد رأيت قوما لا يسلمونه لشيء أبدا فروا رأيكم (2). وفي السيرة الحلبية قال في سياق الكلام على فتح مكة: ثم انصرف رسول الله الى زمزم فاطلع فيها وقال: لولا أن تغلب بنو عبد المطلب على وظيفتهم لنزعت منها دلوا، أي لأن الناس يقتدون به في ذلك مع أن النزع من زمزم من وظيفة بني عبد المطلب، قال: وانتزع له العباس دلوا فشرب منه توضأ فابتدر المسلمون يصبون على وجوههم، وفي لفظ: لا تسقط قطرة إلا في يد إنسان إن كان قدر ما يشربها شربها وإلا مسح بها جلده، والمشركون يقولون: ما رأينا ولا سمعنا ملكا قط بلغ هذا (3).

وقد ذكر ابن القيم في زاد المعاد حديث عروة يوم الحديبية على وجه غير ما تقدم فقال: ثم إن عروة جعل يرمق أصحاب رسول الله، فوالله ما تنخم النبي نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم فدلك بها جلده ووجهه، إذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضأ مادوا يقتتلون على وضوئه، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده، وما يحدون إليه النظر تعظيما له، فرجع عروة الى أصحابه فقال: أي قوم والله لقد وفدت على الملوك على كسرى وقيصر والنجاشي، والله ما رأيت ملكا يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد محمدا، والله ما تنخم نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضأ كادوا يقتتلون عل وضوئه، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده، وما يحدون النظر إليه تعظيما له، وقد عرض عليكم خطة رشد فأقبلوها (4).

وفي يوم الحديبية أيضا تقاسموا شعر رأسه، ففي السيرة الحلبية قال: ثم دخل رسول الله قبة له من أدم أحمر ودعا بخراش فحلق رأسه ورمى شعره على شجرة فأخذ الناس وتحاصوه (أي تقاسموه حصصا بينهم) وأخذت أم عمارة طاقات منه فكانت تغسلها للمريض وتسقيه فيبرأ، وعن أنس قال: رأيت رسول الله والحلاق يحلقه وقد طاف به أصحابه ما يريدون أن تقع شعرة إلا في يد رجل (5).

وفي زاد المعاد لإبن القيم قال في سياق حديث حجة الوداع: فلما أكمل رسول الله نحره استدعى بالحلاق فحلق رأسه، فقال للحلاق، وهو معمر بن عبد الله: خذ، وأشار الى جانبه الأيمن، فلما فرغ منه قسم شعره بين من يليه ثم أشارالى الحلاق فحلق جانبه الأيسر، ثم قال: ههنا أبو طلحة فدفعه ’ليه، وهنا أخذ ابن القيم يتكلم عن اختلاف الروايات فيما أخذه أبو طلحة هل هو شعر الجانب الأيمن أو الجانب الأيسر، وليس هذا مما يهمنا، قال ثم قلم أظفاره وقسمها بين الناس (6). ومن أغرب ما نراه في حياة محمد النبوية في المدينة بصاقه فإنه لم يكن طاهرا مباركا فحسب بل كان مع ذلك دواء لكل داء، فقد استعمله للشجاج والجراحات ما يستعمل الناس اليوم صبغة اليود، واستعمله للعيون الرمدة كما يستعمل الناس اليوم قطرة ابن سيناء، واستعمله لقلع الصخور والكرى كما يستعمل الناس اليوم الديناميت، الى غير ذلك من الأمور.

إن محمدا لم يمتهن بصاقه كما يفعل سائر الناس إلا مرة واحدة، وذلك لما تفل في وجه وحشي قاتل حمزة تحقيرا له، وذلك أن وحشيا هذا هو الذي قتل حمزة يوم أحد فجزع رسول الله لقتله وحزن عليه حزنا شديدا، حتى قال ابن مسعود: ما رأينا رسول الله باكيا أشد من بكائه على حمزة، وبعد فتح مكة وفد وحشي مع أهل الطائف لما وفدوا ليسلموا، قال وحشي: فلم يرعه إلا إني قائم على رأسه أشهد شهادة الحق، فقال: أنت وحشي؟ وسألني كيف قتلت

حمزة، فأخبرته، فقال: ويحك غيب عن وجهك فلا أراك، وفي رواية: فتفل في وجهي ثلاث تفلات، وقيل: تفل في الأرض وهو جد مغضب (7).

لا ريب أنه تفل في وجه وحشي تحقيرا له فأمنه بصاقه باستعماله للتحقير كما يستعمله سائر الناس، ولم يستعمله لذلك إلا هذه المرة، وإلا فإن بصاقه كان الناس يتلقفونه للبركة وكان هو يستعمله للمداواة.

وفي السيرة الهشامية: أن عبد الله بن أنيس لما قتل البُسير بن دارام اليهودي ضربه البُسير بمخراش في يده من شوحط (المخراش عصا معوجة الرأس كالصولجان) فأمه أي شجه آمة، والآمة من الشجاج هي التي تبلغ أم الرأس، وأم الرأس الجلدة التي تجمع الدماغ، فلما قدم عبد الله بن أنيس على رسول الله تفل في شجته فلم تقح ولم تؤذه (8). وفي السيرة الحلبية، وكذا في زاد المعاد، أن رسول الله أرسل محمد بن مسلمة في نفر من أصحابه لقتل كعب بن الأشرف اليهودي فلما قتلوه أصيب الحارث بن أوس ببعض سيوف أصحابه، فتفل عليه رسول الله فبرأ (9).

وفي السيرة الحلبية أيضا: أن معاذ بن عمرو بن الجموح ضرب أبا جهل يوم بدر ضربة أطنت قدمه بنصف ساقه، قال معاذ: فضربني ابنه عكرمة على عاتقي فطرح يدي فتعلقت بجلدة من جسمي، فلما أذتني وضعت عليها قدمي ثم تمطيت عليها حتى طرحتها، وفي رواية: أنه جاء بها الى رسول الله فبصق عليها وألصقها فلصقت (10). وهذه الرواية تنافي ما حدّث به معاذ عن نفسه من أنه وضع قدمه عليها ثم تمطى عليها حتى طرحها، ولعل رسول الله بصق على جرحها بعدما قطعها معاذ فبرأت أما رواية " ألصقها فلصقت" فهي من زيادة الرواة وتلفيقهم.

وفي السيرة الحلبية أيضا عند الكلام على غزوة أحد قال: ورمي كلثوم بن الحصين بسهم في نحره فجاء رسول الله فبصق عليه فبرأ (11).

وفي السيرة الحلبية أيضا: لما أغار عيينة بن حصن على لقاح رسول الله خرجوا في طلب القوم وتقدمهم أبو قتادة، قال: فسرت حتى هجمت على القوم فرميت بسهم في جبهتي فنزعت قدحه وأنا أظن إني نزعت الحديدة، فلما رآه النبي قال له: ما هذا الذي في وجهك؟ قال: قلت: سهم أصابني، فقال: ادن مني، فنزع السهم نزعا رفيقا ثم بزق فيه ووضع راحته عليه، فوالذي أكرمه بالنبوة ما ضرب عليّ ساعة قط ولا قرح عليّ (12), ومعنى قول: ما ضرب عليّ ما اشتد وجعه عليّ.

وأصابت خالد بن الوليد يوم حنين جراحة، فعن بعض الصحابة قال: رأيت النبي بعدما هزم الله الكفار ورجع المسلمون الى رحالهم يمشي في المسلمين ويقول: من يدلني على رحل خالد بن الوليد، حتى دل عليه، فوجده قد أسند الى مؤخرة رحله لأنه قد أثقل بالجراحة فتفل النبي في جرحه فبرأ (13).

وفي السيرة الهشامية في حديث غزوة خيبر: قال رسول الله: لأعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله، يفتح الله على ليس بفرار، قال: يقول سلمة: فدعا رسول الله عليا، وهو أرمد، فتفل في عبنه، ثم قال: خذ هذه الراية، فامض بها حتى يفتح الله عليك. وفي زاد المعاد: فبصق رسول الله في عينيه ودعا له فبرئ حتى كأن لم يكن به وجع فأعطاه الراية.

وفي زاد المعاد: قال رفاعة بن رافع: رميت بسهم يوم بدر ففقئت عيني، فبصق فيها رسول الله ودعا لي فما آذاني منها شيء (14). وفي السيرة الحلبية عن خبيب بن عبد الرحمن قال: ضرب خبيب جدي يوم بدر فمال شقه فتفل عليه رسول الله ولأمه ورده فأطبق.

وفي السيرة الحلبية عن قتادة بن النعمان قال: أصيبت عيناي فسقطتا على وجنتي فأتيت رسول الله فأعادهما وبصق فيهما فعادتا تبرقان (15) وذلك في غزوة أحد.

وفي السيرة الحلبية في حديث غزوة ذات الرقاع قال: وفي هذه الغزوة جاءته امرأة بدوية بابن لها فقالت: يا رسول الله، هذا ابني قد غلبني عليه الشيطان، ففتح فاه فبزق فيه وقال: اخسا عدو الله، أنا رسول الله، ثم شأنك بابنك، لن يعود إليه شيء منا كان يصيبه، فكان كذاك (16). أقول: إن صح هذا الحديث كان أصلا لما يفعله بعض المشايخ في زماننا من التعزيم على المجانين وضربهم بالسياط، وقولهم للجني: اخرج بإذن الله، مع أن علماء المسلمين المتمسكين بالكتاب والسنة ينكرون على هؤلاء المشايخ فعلهم هذا.

وفي السيرة الحلبية أيضا: أن أسماء زوج الزبير لما ولدت عبد الله بن الزبير بقباء أتت به النبي فبصق في فمه، قال الحلبي نقلا عن البخاري عن أسماء قالت: فنزلت بقباء فولدته، تعني ولدها عبد الله بن الزبير، ثم أتيت النبي فوضعته في حجره، ثم دعا بتمرة فمضغتها ثم تفل في فيه، فكان أول شيئء في جوفه ريق رسول الله، ثم حنكه بتلك التمرة ثم دعا له وبرك عليه (17).

وفي السيرة الحلبية أيضا: أن علي بن أبي طالب أول من أسلم بعد خديجة قال: وفي خصائص العشرة للزمخشري أن النبي هو الذي تولى تسميته بعلي، وتغذيته أياما من ريقه المبارك بمصه لسانه، فعن فاطمة بنت أسد أم علي بن أبي طالب أنها قالت: لما ولدته سماه عليا وبصق في فمه، ثم إنه ألقمه لسانه، فما زال يمصه حتى نام، قالت: فلما كان من الغد طلبنا له مرضعة فلم يقبل ثدي أحد، فدعونا له محمدا فألقمه لسانه فنام، فكان كذلك ما شاء الله عز وجل (18).

أقول: إن عليا ولد قبل أن يتنبأ محمد بثمان سنين، لأنهم ذكروا أن عليا لما أسلم كان عمره ثمان سنين، فإن صح هذا الحديث دل على أن محمدا قبل النبوة أيضا قد استعمل بصاقه مقدسا مباركا كما استعمله بعد النبوة، ولعل فكرة النبوة لما ولد علي كانت حاصلة لمحمد إلا أنه لم يظهرها بعد، والأظهر فيما نراه هو أن الحديث لا أصل له وإنما هو

ملفق، إذ من البعيد أن عليا يأبى وهو رضيع ثدي المرضعات قاطبة ويبقى مدة من الزمن لا يرضع إلا لسان محمد ولا يتغذى إلا بريقه.

ومما جرى يوم الخندق حديث الكدية، بوزن دمية وهي أرض غليظة صلبة، ففي ابن هشام وكذا في السيرة الحلبية: واشتد على الصحابة في حفر الخندق كدية فشكوا ذلك لرسول الله فأخذ المعول وضرب فصارت كثيبا أهيل (19). وفي رواية: أنه دعا بماء ثم تفل عليه ثم دعا بما شاء الله أن يدعو به ثم نضح ذلك الماء على تلك الطدية، قال بعض الحاضرين: فوالذي بعثه بالحق لإنهالت حتى عادت كالكثيب ما ترد فأسا ولا مسحاة (20). ومما جرى يوم الخندق أنه بصق في العجين، ففي السيرة الحلبية قال: إن أهل الخندق أصابتهم مجاعة، قال بعض الصحابة: لبثنا ثلاثة أيام وربط النبي الحجر على بطنه من الجوع، وجاء في رواية: أن جابر بن عبد الله لما رأى ما بالنبي من الجوع استأذنه في الإنصراف الى بيته فأذن له، قال جابر: فجئت لامرأتي وقلت لها: إني رأيت رسول الله خمصا شديدا، أفعندك شيء؟ قالت: عندي صاع من شعير وعناق، فذبحت العناق، وطحنت الشعير، وجللت اللحم في برمة، فلما أمسينا جئت الى رسول الله فساررته وقلت: له طعيم لي فقم أنت يا رسول الله، ورجل أو رجلان، فشبك أصابعه في أصابعي وقال: كم هو؟ فذكرت له، قال: كثير طيب لا تنزلن برمتكم ولا تخبزن عجينكم حتى أجيء، وصاح رسول الله: يا أهل الخندق إن جابرا قد صنع لكم سؤارا (أي ضيافة) فحيهلا بكم (أي سيروا مسريعين) قال: وسار رسول الله يقدم الناس. قال جابر: فلقيت من الحياء ما لا يعلمه إلا الله، والله إنها لفضيحة فقال رسول الله: ادخلوا عشرة عشرة، وذلك بعد أن أخرجت له عجينا فبصق فيه وبارك، ثم عمد الى برمتنا وبصق فيها وبارك، ثم سمى الله تعالى، ثم أكل وتواردها الناس، كلما فرغ قوم قاموا وجاء آخرون حتى صدر أهل الخندق عنها، وهم ألف، فأقسم بالله لقد أكلوا حتى تركوه وانصرفوا، وإن برمتنا لتغط كما هي وإن عجيننا لينخبز كما هو (21).

أقول: إن بين هذا الحديث عن جابر وبين ما قاله بعض الصحابة:" لبثنا ثلاثة أيام لا نذوق زادا، وربط النبي الحجر على بطنه من الجوع " تناقضا ظاهرا (22). وفي كتب السير نظائر وأمثال لهذه الحادثة التي ذكرها جابر حتى لا تخلو غزوة من غزواته عن مثلها، وربما كان لها أصل معقول فأخرجه الرواة الى حد لا يعقل، ومما يدعو الى الريب ما قاله جابر في حديث من أن أهل الخندق ألف، والذي في السيرة الهشامية والسيرة الحلبية أنهم كانوا ثلاثة آلاف، ولعلهم لم يجيئوا كلهم الى طعام جابر، وإنما جاء بعضهم، فلذا قال: وهم ألف، ولكن يبعد أن يكون الجيش كله في مجاعة، ويدعى بعضه الى الطعام ويترك أكثره، مع أن الطعام كان من الممكن (على ما رواه جابر) أن يكفي أكثر من ثلاثة آلاف.

وفي السيرة الحلبية: أن قوما شكوا الى النبي ملوحة في ماء بئرهم فجاءه نفر من أصحابه حتى وقف الى ذلك البئر فتفل فيه فتفجر بالماء العذب المعين (23). وفيها أيضا قال عند الكلام على بئر رومة التي اشتراها عثمان وجعلها وقفا للمسلمين: وكانت هذه البئر ركية ليهودي يقال له رومة يقال إنه أسلم وكان يبيع المسلمين ماءها، كانت بالعقيق وتفل فيها فعذب ماؤها (24).

وأغرب من ذلك أن بعض الصحابة امتص دمه لما شج يوم أحد، ففي زاد المعاد: ونشبت حلقتان من حلق المغفر في وجهه فانتزعهما أبو عبيدة بن الجراح وعض عليهما حتى سقطت ثناياه من شدة غوصهما في وجهه، وامتص مالك بن سنان والد أبي سعيد الخدري الدم من وجنته. قال: ولما مص مالك جرح رسول الله حتى أنقاه قال له: مجه، وقال: والله لا أمجه أبدا ثم أدبر، فقال النبي: من أراد أن ينظر الى رجل من أهل الجنة فلينظر الى هذا. وفي السيرة الحلبية: ولما مص مالك جرح رسول الله حتى أنقاه قال له: مجه، قال: والله لا أمجه أبدا ثم أدبر، فقال النبي: من أراد أن ينظر الى رجل من أهل الجنة فلينظر الى هذا (25). وفي السيرة الحلبية: ولما جرح وجه رسول الله صار الدم يسيل على وجهه الشريف وجعل يمسح الدم، وفي لفظ: ينشف دمه وهو يقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم وهو يدعوهم الى ربهم، قال: وامتص مالك بن سنان الخدري وهو والد أبي سعيد الخدري دم رسول الله ثم ازدرده، فقال رسول الله: من مس دمي دمه لم تصبه النار، وفي رواية: أنه قال: من أراد أن ينظر الى رجل من أهل الجنة فلينظر الى هذا وأشار إليه، وفي لفظ: من سره أن ينظر الى من لا تمسه النار فلينظر الى مالك بن سنان، قال: ولم ينقل أنه أمر هذا الذي امتص دمه بغسل فمه ولا أنه غسل فمه من ذلك، كما لم ينقل أنه أمر حاضنته أم أيمن بركة الحبشية بغسل فمها ولا هي غسلته من ذلك لما شربت بوله. فعن أم أيمن قالت: قام رسول الله من الليل الى فخارة كانت تحت سريرها فبال فيها، فقمت وأنا عطشى فشربت ما في الفخارة وأنا لا أشعر، فلما أصبح النبي قال: يا أم أيمن قومي الى تلك الفخارة فاهريقي ما فيها، فقلت: والله لقد شربت ما فيها، فضحك رسول الله حتى بدت نواجده، ثم قال: لا يجفر (أي لا يستكرش ويتسع) بطنك بعده أبدا، وفي رواية: لا تلج النار بطنك، وجاء في رواية بدل فخارة إناء من عيدان (بالفتح الطوال من النخل)، قال: فإن صحا حملا على التعدد لأم أيمن ولا مانع(26).

قال: وقد شربت بوله أيضا امرأة يقال لها بركة بنت ثعلبه كانت تخدم أم حبيبة، جاءت معها من الحبشة، وكانت تكنى بأم يوسف، فقال لها النبي حين علم أنها شربت بوله: صحة يا أم يوسف، وفي رواية أنه قال لها: احتظرت من النار بحظار، والحظار الحاجز بين شيئين أي احتميت واحتجزت من النار بحجاز.

قال: وقد شرب دمه أيضا أبو طيبة الحجام، وعلي، وكذا عبد الله بن الزبير. فعن عبد الله بن الزبير قال: أتيت النبي وهو يحتجم، فلما فرغ قال: يا عبد الله اذهب بهذا الدم فاهريقه حتى لا يراك أحد، قال: فشربته، فلما رجعت قال: يا عبد الله ما صنعت؟ قلت: جعلته في أخفى مكان علمت أنه يخفي على الناس، قال: لعلك شربته؟ قلت: نعم، وقال: ويل للناس منك، وويل لك من الناس، وكان بسبب ذلك على غاية من الشجاعة.

قال الحلبي بعدما أورد ما تقدم: وأخذ من ذلك بعض أئمتنا طهارة فضلاته حيث لم يأمره بغسل فمه، ولم يغسل هو فمه، وإن شربه جائز حيث أقره على شربه.

وأغرب من هذا كله ما ذكروه من أن النبي امتص دم أسامه بن زيد بن حارثة، قال الحلبي في سيرته: وكان أسامة حب رسول الله وابن حبه وابن حاضنته، قال: وعن عائشة أن أسامة عثر يوما في أسكفة الباب فشج وجهه، فقال لي رسول الله: أميطي عنه، قالت عائشة: فكأني تقذرته (أي لأنه كان أسود أفطس) فجعل رسول الله يمصه يعني الدم ثم يمجه (27).

الغلو في محمد:

قلنا فيما تقدم: إن محمدا كان يريد من قومه أن يكون عندهم مقدسا مطاعا لأن النهضة التي يريد إحداثها للوصول الى غايته لا تتم ولا تستمر بعد إلا بذلك، ولذا كان يحرص كل الحرص على أن يتبعوه فيكون قدوتهم المقدسة ومرجعهم الوحيد في كل شيء.

وانساقا مع هذا المشروع كان لا بد لقرآن محمد أن يقرن نفسه بالله. فطاعته هي طاعة الله وعصيانه هو عصيان الله والإيمان به هو الإيمان بالله، ولذا نراه يدرج في قرآنه أكثر من سبعين آية كاملة تقرن نفسه بالله. ونحن ندرج بعضها هنا.

الآيـــــة	رقمها	السورة	رقمها
* ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار	13	م النساء	4
* ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالد فيها	14	م "	4
* ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله الموت فقد وقع أجره على الله	100	م "	4
* يأيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله	136	م "	4
* إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا أن يقتلوا	33	م المائدة	5
* إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا	55	م "	5
* ومن يتولى الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون	56	م "	5
* فآمنوا بالله ورسوله النبي "الأمي" الذي يؤمن بالله وكلماته	158	ك الأعراف	7
* فآتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله...	1	م الأنفال	8
* ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله	13	م "	8
* ومن يشاقق الله ورسوله فإن الله شديد العقاب	13	م "	8
* أطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه وأنتم تسمعون...	20	م "	8
* وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا ...	46	م "	8
* براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين	1	م التوبة	9
* وأذان من الله ورسوله الى الناس يوم الحج الأكبر	3	م "	9
* أن الله برئ من المشركين ورسوله	3	م "	9
* كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله إلا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام	7	م "	9
* ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة	16	م "	9
* أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا	24	م "	9
* ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق	29	م "	9
* وما منعهم أن تقبل منهم نفقاتهم إلا أنهم كفروا بالله وبرسوله	54	م "	9
* ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله	59	م "	9
* وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله	59	م "	9
* والله ورسوله أحق أن يرضوه إن كانوا مؤمنين	62	م "	9
* أن يعلموا أنه من يحادد الله ورسوله فأن له نار جهنم	63	م "	9
* قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون ...	65	م "	9
* ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله	71	م "	9
* وما نقموا إلا أن أغناهم الله ورسوله من فضله	74	م "	9
* لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق	27	م الفتح	48
* يأيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله	1	م الحجرات	49
* وإن تطيوا الله ورسوله لا يلتكم من أعمالكم شيئا	14	م "	49
* إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لا يرتابوا	15	م "	49
* آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه	7	م الحديد	57
* يأيها الذين آمنوا آتقوا الله			
* ذلك يأنهم كفروا بالله ورسوله والله لا يهدي القوم الفاسقين	80	م التوبة	9
* إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون	84	م "	9
* وقعد الذين كذبوا الله ورسوله	90	م "	9
* ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج إذا نصحوا لله ورسوله	91	م "	9
* وسيرى الله عملكم ورسوله ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة	94	م "	9
* وقل أعملوا فيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون	105	م "	9
* وإرصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل	107	م "	9
* وإذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم إذا فريق منهم معرضون	48	م "	24
* أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله	50	م "	24
* إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا	51	م "	24
* ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فأولئك هم الفائزون	52	م "	24
* إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله	62	م "	24
* إن الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله	62	م "	24
* وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا...	12	م الأحزاب	33
* ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذه ما وعدنا الله ورسوله	22	م "	33
* وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا إيمانا وتسليما	22	م "	33
* وإن كنتن دون الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعد للحسنات منكن أجرا عظيما	29	م "	33
* ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحا نؤتها أجرها مرتين	31	م "	33
* وأقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله	33	م "	33
* وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم	36	م "	33
* ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا	36	م "	33
* إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة	57	م "	33
* ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما	71	م "	33
* لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه	9	م الفتح	48
* ومن لم يؤمن بالله ورسوله فإنا أعددنا للكافرين سعيرا	13	م "	48
* ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار	17	م "	48
* إن الذين يحادون الله ورسوله أولئك في الأذلين	20	م "	58
* لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر			

وآمنوا برسوله ... ... 28 م " 57
* ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله
وتلك حدود الله ... ... 4 م المجادلة 58

* إن الذين يحادون الله ورسوله كبتوا
كما كبت الذين من قبلهم ... ... 5 م " 58
* فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة
وأطيعوا الله ورسوله ... ... 13 م " 58
* تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون
في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ... ... 11 م " 61

يوادون من حاد الله ورسوله ... ...22 م " 58
* ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله ... ... 4 م الحشر 59
* يبتغون فضلا من الله ورضوانا
وينصرون الله ورسوله ... ... 8 م " 59
* ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن
المنافقين لا يعلمون ... ... 8 م " 63
* فآمنوا بالله ورسوله والنور
الذي أنزلنا ... ... 8 م التغابين 64
* ومن يعص الله ورسوله فإن له نار
جهنم خالدين فيها أبدا ... ... 23 ك الجن 72

نعود الآن الى الغلو في محمد فنقول ان لمحمد في هذا أسهاما آخر وهو إصراره على تعلق أصحابه به وحده دون الأنبياء جميعا.

يدل على ذلك ما أخرجه أحمد وغيره من عبد الله بن ثابت، قال: جاء عمر بن الخطاب الى رسول الله فقال: يا رسول الله، إني مررت بأخ لي من بني قريظة فكتب لي جوامع من التوراة ألا أعرضها عليك؟ فتغير وجه رسول الله، فقال عمر: رضينا بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد رسولا، فسرى عن رسول الله وقال: والذي نفس محمد بيده لو أصبح فيكم موسى ثم اتبعتموه لضللتم، إنكم حظي من الأمم وأنا حظكم من النبيين (28).

فانظر كيف تغير وجهه لما رأى عمر مُعجبا بالجوامع التي كتبت له من التوراة، لأنه يريد أن لا يراه إلا معجبا بالقرآن وحده، ولا متبعا إلا إياه، ولا معتمدا إلا عليه. وكان من طبعه أن يتغير وجهه إذا سمع شيئا يكرهه أو كلاما يزعجه ويؤلمه، ولكن عمر عرف لماذا تغير وجهه، ولذا بادره بما ينفي إعجابه بالتوراة ويثبت أن لا يتبع إلا محمدا إذ قال له:" رضينا بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد رسولا"، ثم انظر كيف سرى عنه وانكشف ما بوجهه من تغير لما رأى عمر قد رجع عما قاله، وترك ما جاء به من جوامع التوراة، وكيف قال له إنه لا نجاح ولا هداية لهم إلا بإتباعه، وأنهم لو كان موسى حاضرا واتبعوه لضلوا، وأكد له بعد ذلك بما مضمونه " أنتم لي وأنا لكم"، ولهذا السبب، أي لكونه يريد أن يكون مرجعهم المقدس ومتبوعهم المطاع في الأمور كلها، كان يتغاضى عما يفعلونه أحيانا من ابتدارهم وضوءه، وتبركهم ببصاقه، وأخذهم شعر رأسه، وشربهم دم حجامته ونحو ذلك من الأمور، ولا ريب أن هذه الأفعال منهم كانت جديرة بأن تعد من غلوهم فيه، غير أن غلوهم هذا كان، والنبي حي بين أظهرهم، قد وقف عند هذا الحد ولم يتجاوزه الى ما هو أعظم.

ونحن هنا نريد أن نتكلم عن الغلو الذي حصل بعد وفاة محمد، وقبل ذلك نقول: إن محمدا لم يرد لنفسه من كل ما جاء به إلا أمرا واحدا وهو الذكر الخالد مع التقديس، ولذا قرن اسمه باسم الله، وجعل الدخول في الإسلام لا يتم إلا بشهادتين، شهادة أن لا إله إلا الله، وشهادة أن محمدا رسول الله، مع أن الشهادة الأولى تتم بها الدعوة الى الله، فهي وحدها كافية لهدم الوثنية وإقامة دين التوحيد، ولكنه لم يكتف بها بل جعل الإسلام لا يتم إلا بالشهادة الثانية معها كما يدل على ذلك قصة إسلام أبي سفيان يوم الفتح.

ذلك أن محمدا خرج من المدينة في عشرة آلاف يريد مكة، فلما بلغ مر الظهران (موضع على مرحلة من مكة)، نزل به فجاءه عمه العباس بأبي سفيان بن حرب حتى أدخله على رسول الله، فقال له رسول الله: ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أنه لا إله إلا الله؟ قال: بأبي وأمي أنت ما أحلمك وما أكرمك وأوصلك لقد ظننت أنه لو كان مع الله إله غيره لما أغنى عني شيئا بعد (29).

إن أبا سفيان في كلامه هذا قد اعترف بأنه لا إله إلا الله ولكن محمدا لم يكتف منه بذلك بل قال له: ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أني رسول الله؟ قال: بأبي أنت وأمي، أما والله هذه فإن في النفس حتى الآن منها شيئا (30).

وفي رواية : أن بديل بن ورقاء وحكيم بن حزام كانا مع أبي سفيان لما جاء به العباس، وأن العباس قال: يا رسول الله، أبو سفيان وحكيم بن حزام وبديل بن ورقاء قد أجرتهم، وهم يدخلون عليك، فقال رسول الله: أدخلهم، فدخلوا، فمكثوا عنده عامة الليل يستخبرهم عن أهل مكة، ودعاهم الى الإسلام فقالوا: نشهد أن لا إله إلا الله، فقال رسول الله: اشهدوا أني رسول الله، فشهد بذلك بديل وحكيم بن حزام، وقال أبو سفيان: ما أعلم ذلك والله، إن في النفس من هذا شيئا فأرجئها (أي آخرها الى وقت آخر)، فقال العباس لأبي سفيان: ويحك أسلم واشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله قبل أن تضرب عنقك، فشهد شهادة الحق وأسلم (31).

لا ريب أن إقرار أبي سفيان بالشهادة الثانية لم يكن إلا من الخوف حيث هدده العباس بضرب عنه ومهما يكن فإن هذه القصة تدل على أن الإسلام لا يتم بشهداة لا إله إلا الله بل لا بد من ذلك من شهادة أن محمدا رسول الله.

وبذلك صار المسلمون يذكرون محمدا ويتعبدون بذكره في صلواتهم وعلى مآذنهم في كل يوم خمس مرات، وكفى بذلك ذكرا خالد مقدسا يدوم الى ما شاء الله.

وفي السيرة الحلبية: قال رسول ا لله: سألت ربي مسألة وودت إني لم أكن سألته، سألت ربي: اتخذ إبراهيم خليلا، وكلمت موسى تكليما، فقال: يا محمد ألم أجدك يتيما فآويتك، وضالا فهديتك، وعائلا فأغنيتك وشرحت لك صدرك، ووضعت عند وزرك، ورفعت لك ذكرك فلا أذكر إلا وتذكر معي (32).

وفي السيرة الحلبية أيضا عن الزهري قال: نهى رسول الله عن أكل ما يذبح للجن وعلى اسمهم. وأما ما قيل عند ذبحه بسم الله واسم محمد فحلال أكله، وإن كان القول المذكور حراما لإيهامه التشريك، وهذا من جملة المحال

المستثناة من قوله تعالى:" لا أذكر إلا وتذكر معي"، فقد جاء: أتاني جبريل فقال: إن ربي وربك بقول لك: أتدري كيف رفعت ذكرك؟ قلت: الله أعلم، قال: لا أذكر إلا وتذكر معي. أقول: إن كان ذكر اسم محمد عند الذبح حراما لأنه يوهم التشريك، فإن ذكر محمد مع الله في قوله:" لا أذكر إلا وتذكر معي" يلزم أن يكون حراما لأنه يوهم التشريك أيضا، غاية ما هناك أنه في الأول تشريك في الذبح، وفي الثاني تشريك في الذكر.

ولا ريب أن الذكر الخالد مع التقديس الذي أراده محمد لنفسه قد تم له على أحسن ما يرام، إذ صار المسلمون من بعده يذكرونه قلنا آنفا في صلواتهم الخمس وفي الشهادتين وفي سائر أوقاتهم مقرونا بالصلاة والتسليم.

ومن غلوهم فيه أنه ليس لشخصه ظل، قال الحلبي في سيرته: إن ظل شخصه الشريف كان لا يظهر في شمس ولا قمر لئلا يوطأ بالأقدام، وإنه كان لا يقع عليه الذباب (33).

ومن ذلك أنهم اختلفوا بين مكة والمدينة في أيهما أفضل، فمنهم من فضل مكة على المدينة، ومنهم من فضل المدينة على مكة، واتفقوا على استثناء المحل الذي دفن فيه، فإن الحلبي في سيرته بعدما ذكر الخلاف قال: والكلام في غير ما ضم أعضاءه الشريفة من أرض المدينة، وإلا فذاك أفضل بقاع الأرض بالإجماع ، بل حتى من العرش والكرسي (34). ومعلوم أن العرش مقر الله كما في القرآن:" الرحمن على العرش استوى" (35)، فقد جعلوا المحل الذي دفن فيه محمد أفضل من عرش الرحمن بأي معنى كان.

وقد جاء في القرآن في سورة الإسراء:" ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا" (36)، ومعلوم أن المقام المحمود هو المقام الذي يحمده القائم فيه، ويحمده كل من رآه وعرفه، وهو مطلق في كل ما يجلب الحمد من أنواع الكرامات، ولكن المسلمين اختلفوا فيه وغلوا فيه غلوا حتى حدثت فتنة كبيرة في بغداد بسبب هذه الآية، فقالت الحنابلة: معناه يجلسه الله على عرشه، وقال غيرهم: بل المقام المحمود هو الشفاعة العظمى في فصل القضاء، فدام الخصام بين الفريقين الى أن اقتتلوا فقتل منهم خلق كثير كما في السيرة الحلبية (37).

ومن غلوهم فيه أن عورته إذا انكشفت لا ترى. قال الحلبي في سيرته وفي الخصائص الصغرى: إنه لم تر عورته قط، ولو رآها أحد طمست عيناه، قال: لأنه لا يلزم من كشف عورته رؤيتها (38).

إن تاريخ الدعوة المحمدية ليشهد لشخصية الرسول (ص) الفذة الفريدة بأنه عبقرية نادرة قل أن يجود الزمان بمثلها.

لقد عرف محمد (ص) الغرض من حياته وعاش من أجله وحققه حرفيا بعزم لا يلين وشجاعة لا ترجف وصبر لا ينفذ.

الهــوامـش

(1) السيرة الحلبية، 325/3.
(2) السيرة الحلبية، 15/3.
(3) السيرة الحلبية، 88/3.
(4) زاد المعاد، 1 فصل في غزوة الحديبية.
(5) السيرة الحلبية، 23/3.
(6) زاد المعاد، 268/2.
(7) السيرة الحلبية، 94/3.
(8) السيرة الحلبية، 618/4.
(9) السيرة الحلبية، 161/3.
(10) السيرة الحلبية، 171/2.
(11) السيرة الحلبية، 231/2.
(12) السيرة الحلبية، 6/3.
(13) السيرة الحلبية، 114/3.
(14) زاد المعاد، 110/1.
(15) السيرة الحلبية، 252/2.
(16) السيرة الحلبية، 274/2.
(17) السيرة الحلبية، 79/2.
(18) السيرة الحلبية، 268/1.
(19) ابن هشام، 217/3.
(20) السيرة الحلبية، 330/2.
(21) السيرة الحلبية، 329/2.
(22) السيرة الحلبية، 329/2.
(23) السيرة الحلبية، 294/3.
(24) السيرة الحلبية، 75/2.
(25) زاد المعاد، /1 غزوة أحد.
(26) السيرة الحلبية، 234/2.
(27) سنن ابن ماجة كتاب النكاح حديث رقم 1966.
(28) مسند أحمد.
(29) السيرة الحلبية، 79/3.
(30) المصدر السابق.
(31) السيرة الحلبية، 79/3.
(32) السيرة الحلبية، 97/3.
(33) السيرة الحلبية، 302/3.
(34) السيرة الحلبية، 366/3.
(35) سورة طه الآية: 20.
(36) سورة الإسراء الآية: 79.
(37) السيرة الحلبية، 400/1.
(38) السيرة الحلبية، 302/3.

21 ـ تأليـه محمد

يروي المسلمون حديثا يقول عن محمد " أول من خلق الله نور نبيك يا جابر" ويؤمنون بأن النور المحمدي المقتبس من نور الله تعالى قد استوى في نبوة محمد قبل آدم ويرون حديثا يقول:" كنت نبيا وآدم بين الماء والطين وكنت نبيا وآدم لا ماء ولا طين". بل ويطلقون عليه أسماءا حسنى مثل " نور عرش الله" واسندوا إليه الشفاعة والقدرة على إخراج المسلمين من النار أي أنه صاحب الكلمة الأخيرة في تحديد مصير المسلمين مع أن هذا يتعارض مع أكثر من 150 آية قرآنية. وأسندوا إليه معرفة الغيب مع تعارض هذا مع آيات قرآنية صريحة مثل:

" قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب: الأنعام 50". " قل لا أملكُ لنفسي نفعا ولا ضرا إلا ما شاء اللهُ ولو كنتُ أعلمُ الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى السوءُ": الأعراف 188." " قل ما كنتُ بدعا من الرسل وما أدري ما يُفعل بي ولا بكم إن اتبعُ إلا ما يُوحى اليّ". الأحقاف 9".

ومن مظاهر تأليه المسلمين لمحمد هو نسبة العصمة له. وأيضا جعلوه شريكا لله تعالى في عبادتهم، فإلى جانب الصلوات الخمس المفروضة التي يتوجه بها المؤمن لله تعالى نجد البخاريين يصلون صلوات السنن لمحمد، بل إنهم غيروا التشهد في الصلاة فبدلا من تلاوة لآية التشهد " شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم. آل عمران 18." نجدهم قد اخترعوا التحيات ليجعلوا محمدا شريكا لله تعالى في الصلاة، وبدلا من أن تكون الصلاة لذكر الله تعالى وحده (إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري) (طه 14) أصبحت صلواتهم الخمس لذكر الله ولذكر محمد معه.

وجعلوا محمدا أيضا شريكا في آذان الصلاة وشريكا في شهادة الإسلام المكتوبة على كل مسجد، متجاهلين قوله تعالى " وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا. الجن 18".

وبدلا من أن يكون الحج لله تعالى في بيته الحرام، فقد أضافوا الحج لقبر الرسول في مكة وجعلوا المدينة حرما ثانيا مع أنه لا يوجد في الإسلام إلا حرم واحد فقط هو الكعبة، يحجون الى القبر المنسوب للنبي في المدينة بحيث أنهم يعتقدون أن الحج للكعبة لا يتم ولا يقبل إلا بالحج للقبر المقدس عندهم، وقد جعلوا له طقوسا وشعائر ما أنزل الله تعالى بها من سلطان، ولم يعرفها عصر النبي، فلم يحدث أن حج لقبر النبي بعد موته أحد من الصحابة، ولا يقول عاقل أن الحج في حياة النبي محمد كان يشمل زيارة قبر النبي. أي أنه إختراع إبتدعه المسلمون في دينهم لتقديس النبي محمدا وتأليهه بعد موته.

ومن مظاهر تأليه محمد أيضا أنهم يسارعون بالصلاة عليه في كل مرة يذكر اسمه. بل إنهم في تطرفهم في تطبيق تلك العبادة تناسوا عبادة أخرى مماثلة وهي بالفعل مفروضة عليهم وهي تسبيح الله تعالى، فالمفروض أنه عند ذكر لفظ الجلالة " الله " أن يرد المؤمن بتسبيح الله تعالى وحمده وإجلاله جل وعلا، ولكن الذي يحدث هو العكس؛ فعندما يخطب أحدهم مثلا ـ فيذكر اسم الله تعالى فلا نجد أحد يستجيب بالتسبيح لله تعالى وحمده، فإذا ذكر اسم النبي محمد سارع الجميع بالصلاة والتسليم عليه في خشوع وخنوع، أي أنهم في عبادتهم للنبي محمد يفضلونه على عبادتهم لله تعالى.

هذا مع أن فريضة التسبيح مأمور بها في القرآن ولها أوقات محددة " فأصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن آناء الليل فسبح وأطراف النهار لعلك ترضى. طه 130." فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب ومن الليل فسبحه وادبار السجود ق:39 ـ 40".

" واصبر لحكم ربك فإنك بعيُننا وسبح بحمد ربك حين تقوم ومن الليل فسبحه وادبار النجوم: الطور 48: 49". هذه الفريضة تناساها المسلمون في عبادة النبي محمد.

22 ـ فضل الصلاة على النبي

من المتعذر أن يذكر شخص اسم النبي محمد دون أن يقول (ص) ولا بد أن يتسابق السامعون في قول "صلى الله عليه وسلم" بكل خشوع وخضوع إذا سمعوا اسم النبي محمد. أما إذا ذكر الخطيب اسم الله تعالى فلا يهتم أحد بأن يقول (سبحانه وتعالى). هذا مع أن الأمر بتسبيح الله جل وعلا هو فريضة ولكن منسية، أنساها للمسلمين تركيزهم في تقديس النبي محمد، ذلك التقديس الباطل الذي سلب جزءا كبيرا من التقديس المفروض أن يكون خالصا لله تعالى وحده ـ وقام بتوجيهه نحو محمد. لذلك لا ينبغي للمسلمين أن يغضبوا إذا وصفهم الغرب بأنهم (محمديون) فذلك وصف دقيق يعبر عن أديانهم الأرضية التي تدور وتتمحور حول محمد بنفس ما تتحور عقائد النصارى حول المسيح فأصبحوا (مسيحيين). ولكن يظل الفارق في أن المسيحيين يفخرون بهذه الصفة، ويرونها متسقة مع عقائدهم، بينما يأنف المسلمون من وصف (المحمديون) مع أنهم محمديون أسلموا عقائدهم لإله وهمي إسمه محمد. فهو الذي يشفع فيهم ويدخلهم الجنة ويخرجهم من النار، وهو الذي تعرض الملائكة أعمالهم عليه وهو في قبره، لذا فقد بات أهم أمنية لكل (محمدي) متدين أن يحج الى قبر محمد وأن يتمسح بشباكه وأستاره طالبا الغفران ونعيم الجنان.

والأحاديث النبوية التي تناولت في مضمونها " فضل الصلاة على النبي" هي كثيرة جدا ولا يمكن أن تنسب للأحاديث الضعيفة أو الى الإسرائيليات إطلاقا، بل إندرجت تحت الأحاديث الصحيحة والحسنة، بدليل أن المسلم يستشهد بها كثيرا ويفتخر بها ونجده يردد صلاته على نبيه أينما حل وأينما كان، بمناسبة وبغير مناسبة (بالأفراح ـ الأتراح ـ الشدائد ـ الغضب ـ في حالات الإنبهار والذهول والإستغراب .. الخ). فشعار الجودة عند المسلم هو (صلي على النبي). يا ترى، ما هو الهدف الأساسي والأسمى من الصلاة على النبي بكثرة!؟ ولماذا نرى المسلم يسارع للصلاة على نبيه كالروبوت (الرجل الآلي) كلما ذكر اسمه؟ هل هو حقا الإيمان المتفجر في أعماق المسلم أم أن هناك حاجة ماسة تدعوه لذلك؟.

حقيقة ومن خلال الأحاديث النبوية الخاصة بفضل الصلاة على النبي وجدت أن ما يجبر المسلم بترديدها ما هي إلا المصلحة الشخصية والظروف القاهرة التي وضعها نبي الإسلام على أتباعه، وسوف تكتشف ذلك من خلال الأحاديث التي سأوردها أيها القارئ العزيز.

يا ترى ما هي الحكمة من تلك الأحاديث النبوية!؟ والى ماذا كان يهدف نبي الإسلام من خلالها ولماذا وضعها على المسلم لا بل وأجبره عليها مطالبا إياه بإكثار الصلاة عليه وخاصة يوم الجمعة!؟. لقد لجأ نبي الإسلام لهذه الوسيلة لكي يعمل على إلغاء العقل وإبطال التفكير عند المسلم، حيث أن محمدا أوهم أتباعه بأن الصلاة عليه لها العديد من الفوائد التي لا تعد ولا تحصى .. كيف لا وهي التي تقدم الشفاعة للمسلم يوم الحساب وتوفر له الحسنات والثواب وتمحي الذنوب والسيئات وتكفر عن المعاصي وتحقق له الطلبات والأمنيات وتقرب المسلم من ربه!!!. بل وصل الحد في الإستغفال الى درجة من صلى على النبي عشر صلوات كتب الله له بها عشر حسنات ومحا بها عنه عشر سيئات، ومن صل على النبي يوم الجمعة ثمانين مرة غفرت له ذنوب ثمانين عاما!!. ومن المستغرب أن تمحى ذنوب المسلم لثمانين عام لمجرد صلاته على نبيه ثمانين مرة!؟ هذا يعني أن الذنوب التي سيقترفها المسلم من سرقة أو قتل أو زنى في الثمانين عام القادمة قد غفرت مسبقا ومقدما بسبب تلك الصلوات!؟. وذكر أيضا من صلى علي في يوم ألف مرة لم يمت حتى يُبشر بالجنة!!؟. ومن صلى علي حين يصبح عشرا وحين يمسي عشرا أدركته شفاعتي يوم القيامة!!. وإذا كان يوم الخميس بعث الله ملائكة معهم صحف من فضة وأقلام من ذهب يكتبون يوم الخميس وليلة الجمعة أكثر الناس علي صلاة. ومن أغرب الأحاديث عن محمد: صلوا علي صلى الله عليكم!! (هل هذا يعني أن الله يشغل نفسه بمحمد وبالصلاة على المسلمين أما بقية خلق الله فهم للجحيم)!؟. إذا من تلك الأحاديث نستطيع أن نستشف الحقيقة الكاملة من هدف صلاة المسلم على نبيه ... إنها المصلحة الشخصية التي يسعى إليها أي إنسان، حيث أنها أعطت للمسلم الأمان التام والتي بالتالي ستوفر له الشفاعة وغفران الذنوب والحسنات ودخوله الجنة ... إن الصلاة على النبي هي رغم أنف المسلم إن شاء أم أبي، فالصلاة ليست إختيارية إنما إجبارية ورغم أنفه حسب أحد الأحاديث:

- أكثروا الصلاة عليّ في الليلة الغراء واليوم الأزهر فإن صلاتكم تعرض عليّ.
- أكثروا من الصلاة عليّ في يوم الجمعة فإنه يوم مشهود تشهده الملائكة، وإن أحدا لن يصلي عليّ إلا عرضت علي صلاته حتى يفرغ منها.
- كثروا من الصلاة عليّ في كل يوم جمعه فإن صلاة أمتي تعرض عليّ في كل يوم جمعه، فمن كان أكثرهم عليّ صلاة كان أقربهم مني منزلة.
- أكثروا من الصلاة عليّ في يوم الجمعة وليلة الجمعة فمن فعل ذلك كنت له شهيدا وشافعا يوم القيامة.
- أكثروا الصلاة عليّ فإن صلاتكم عليّ مغفرة لذنوبكم واطلبوا لي الدرجة والوسيلة فإن وسيلتي عند ربي شفاعة لكم.
- إن أبخل الناس من ذكرت عنده ولم يصل عليّ.
- إن أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم عليّ صلاة.
- حيثما كنتم فصلوا علّي فإن صلاتكم تبلغني.

- رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل عليّ ورغم أنف رجل دخل عليه رمضان ثم انسلخ قبل أن يغفر له ورغم أنف رجل أدرك أبواه عند الكبر ولم يدخلاه الجنة.
- الصلاة عليّ نور على الصراط فمن صلى عليّ يوم الجمعة ثمانين مرة غفرت له ذنوب ثمانين عاما.
- ما من عبد من أمتي يصلي عليّ صلاة صادقا بها من قبل نفسه، إلا صلى الله عليه بها عشر صلوات وكتب له بها عشر حسنات ومحا بها عنه عشر سيئات.
- ما من عبد يصلي عليّ إلا صلت عليه الملائكة ما دام يصلي عليّ فليقل العبد من ذلك أو ليكثر.
- من الجفاء أن أذكر عند رجل فلم يصلي عليّ.
- من ذكرت عنده فلم يصل علي فقد شقي.
- من ذكرت عنده فخطئ الصلاة عليّ خطئ طريق الجنة.
- من ذكرت عنده فليصل علّي فإنه من صلى عليّ مرة صلى الله عليه بها عشرا.
- من نسي الصلاة عليّ خطئ طريق الجنة.
- ما من أحد يسلم عليّ إلا رد الله عليّ روحي حتى أرد عليه السلام.
- من صلى عليّ واحدة صلى الله عليه بها عشرا.
- من صلى عليّ واحدة صلى الله عليه عشر صلاوات وحط عنه عشر خطيئات ورفع له عشر درجات.
- من صلى عليّ حين يصبح عشرا وحين يمسي عشرا أدركته شفاعتي يوم القيامة.
- من صلى عليّ عند قبري سمعته، ومن صلى علّي نائبا أبلغته.
- صلوا عليّ فإن صلاتكم علي زكاة لكم.
- صلوا عليّ صلى الله عليكم.
- إذا كان يوم الجمعة وليلة الجمعة فأكثروا الصلاة عليّ.
- إذا كان يوم الخميس بعث الله ملائكة معهم صحف من فضة وأقلام من ذهب يكتبون يوم الخميس وليلة الجمعة أكثر الناس علي صلاة.
- أكثروا الصلاة عليّ فإن الله وكل بي ملكا عند قبري فإذا صلى عليّ رجل من أمتي قال: ذلك الملك يا محمد إن فلان بن فلان صلى عليك الساعة.
- صلوا عليّ فإن الصلاة عليّ زكاة لكم واسألوا الله تعالى لي الوسيلة قالوا وما الوسيلة؟ قال: هي أعلى درجة في الجنة لا ينالها إلا رجل واحد وأرجو أن أكون أنا هو.
- من صلى على محمد، وقال: إللهم أنزله المقعد المقرب عندك يوم القيامة وجبت له شفاعتي.
- إذا صليتم عليّ فأحسنوا الصلاة فإنكم لا تدرون لعل ذلك يعرض عليّ.
- إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة فيه خلق آدم، وفيه قبض، وفيه النفخة وفيه الصعقة، فأكثروا عليّ من الصلاة فيه، فإن صلاتكم معروضة عليّ قالوا : يا رسول الله وكيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت (أرمت: أي بليت) فقال: إن الله عز وجل حرم على الأرض أجساد الأنبياء.
- من صلى عليّ واحدة صلى الله عليه بها عشرا فليكثر عليّ عبد من الصلاة أو ليقل.
- أتاني جبريل ببشارة من ربي فقال: إن الله عز وجل بعثني إليك أبشرك أنه ليس أحد من أمتك يصلي عليك صلاة إلا صلى الله وملائكته عليه بها عشرا.
- من صلى عليّ في يوم مائة مرة قضى الله له مائة حاجة سبعين منها لآخرته وثلاثين منها لدنياه.
- من صلى عليّ في يوم ألف مرة لم يمت حتى يبشر بالجنة.

من تلك الأحاديث نستطيع أن نكتشف مدى دهاء نبي الإسلام ومدى قدرته على إخضاع عقل المسلم لأحاديثه، فالله في الإسلام لا دور له وإنما يخضع لمشيئة محمد وينفذ أوامره وذلك عن طريق الريموت كونترول المحمدي، فهو رهن إشارة هذا الرجل من حيث غض النظر عن الذنوب، وتوفير الشفاعة الكاملة، ومنح الحسنات والثواب وتسهيل طريق الجنة للمسلمين حسب الرغبة المحمدية. ليس ذلك فحسب بل وجدنا أن محمدا يحب نفسه وذاته، فهو لم يطلب من المسلمين الصلاة لله بقدر ما عظم نفسه بأعينهم وطلب الصلاة من أجله وعليه**!!** (ألا يعتبر هذا جنون العظمة)**!!**. نعم كيف لا وهو الشفيع، وهو الأول والآخر، والصلاة عليه تغفر الذنوب وتمنح الحسنات وتعطي الثواب وتحقق الرزق وتعطي النعمة ... وكأن الله لم يخلق الكون إلا من أجل حبيبه محمدا**!؟** ما هي مكانة الله في الإسلام وما فائدته ... الله أعلم**!!** (عن موقع الناقد)

23 - الله يصلي على محمد

الصلاة تكون من العابد للمعبود ولكن العجب العُجاب أن إله الإسلام يصلي والسؤال هنا هو: لمن يصلي الله؟!

جاء في السيرة الحلبية في سيرة الأمين والمأمون .. باب ذكر الإسراء والمعراج:

هذا وفي حديث رواته ثقات لما وصلت الى السماء السابعة قال لي جبريل عليه السلام رويدا أي قف قليلا فإن ربك يصلي قلت أهو يصلي وفي لفظ كيف يصلي وفي لفظ آخر قلت يا جبريل أيصلي ربك قال نعم قلت وما يقول قال يقول سبوح قدوس رب الملائكة والروح سبقت رحمتي غضبي ولا مانع من تكرار وقوع ذلك له صلى الله عليه وسلم من جبريل ومن غيره في السماء السابعة وفيما فوقها لكن يبعد تعجبه صلى الله عليه وسلم من كونه عز وجل يصلي في المرة الثانية وما بعدها. وورد أن بني إسرائيل سألوا موسى هل يصلي ربك فبكى موسى لذلك فقال الله تعالى يا موسى ما قالوا لك فقال قالوا الذي سمعت قال أخبرهم آني أصلي وأن صلاتي تطفئ غضبي والله أعلم.

وفي كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال - حرف الفاء:

عن عطاء بن أبي رباح قال: بلغني أن النبي (ص) لما أسري به كان كلما مر بسماء سلمت عليه الملائكة، حتى إذا جاء السماء السادسة قال له جبريل: هذا ملك فسلم عليه، فبدره (فبدره: بدر الى الشيء: اسرع. المختار 32 ب) الملك فبداه بالسلام عليه، فقال النبي: وددت أني سلمت عليه قبل أن يسلم عليّ، فلما جاء السماء السابعة قال له جبريل: إن الله عز وجل يصلي، فقال النبي: أهو يصلي؟ قال: نعم، قال: وما صلاته؟ قال: سبوح قدوس، رب الملائكة والروح، سبقت رحمتي غضبي.

وفي تفسير ابن كثير:

قال ابن أبي حاتم حدثنا عمرو الأودي حدثنا وكيع عن الأعمش عن عمرو بن مُرة قال الأعمش أراه عن عطاء بن أبي رباح:" إن الله وملائكته يصلون على النبي" قال صلاته تبارك وتعالى سُبوح قدوس سبقت رحمتي غضبي.

<u>ومن كتب الشيعة:</u>

في بحار الأنوار ج 18 ص 306:

عن أحمد بن محمد، عن الحسين بن سعيد، عن القاسم ابن محمد الجوهري، عن علي بن أبي حمزة: سأل أبو بصير أبا عبد الله عليه السلام وأنا حاضر فقال: جعلت فداك كم عرج برسول الله؟ صلى الله عليه وآله فقال: مرتين، فأوقفه جبريل موقفا فقال له: مكانك يا محمد - فلقد وقفت موقفا ما وقفه ملك قط ولا نبي - إن ربك يصلي، فقال: يا جبريل كيف يصلي؟ قال: يقول: سبوح قدوس أنا رب الملائكة والروح، سبقت رحمتي غضبي.

وفي أصول الكافي - الجزء الأول ص 443:

عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد، عن الحسين بن سعيد، عن القاسم بن محمد الجوهري، عن علي بن أبي حمزة قال: سأل أبو بصير أبا عبد الله وأنا حاضر فقال: جعلت فداك كم عرج برسول الله (ص)؟ فقال: مرتين فأوقفه جبريل موقفا فقال له: مكانك يا محمد فلقد وقفت موقفا ما وقفه ملك قط ولا نبي، إن ربك يصلي فقال: يا جبريل وكيف يصلي؟ قال: يقول: سبوح قدوس أنا رب الملائكة والروح، سبقت رحمتي غضبي، فقال: اللهم عفوك عفوك، قال: وكان كما قال الله " قاب قوسين أو آدنى" فقال له أبو بصير: جعلت فداك ما قاب قوسين أو آدنى: قال: ما بين سيتها.

وفي كتاب تفسير الكافي ص 87:

وفي الكافي عن الصادق عليه السلام أنه سئل كم عرج برسول الله وآله فقال مرتين فأوقفه جبرئيل عليه السلام موقفا فقال له مكانك يا محمد فلقد وقفت موقفا ما وقفه ملك ولا نبي إن ربك يصلي فقال يا جبرئيل وكيف يصلي قال يقول سبوح قدوس أنا رب الملائكة والروح سبقت رحمتي غضبي.

والقرآن يقول أن الله يصلي على محمد: { إن الله وملائكته يُصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما } (الأحزاب: 56).

بل ويصلي على المؤمنين: { يا أيها الذين أمنوا اذكرُوا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة وأصيلا هو الذي يُصلي عليكم وملائكته لِيُخرجكم من الظلمات الى النور وكان بالمُؤمنين رحيما تحيتهم يوم يلقونهُ سلام واعد لهم أجرا كريما } (الأحزاب: 43)

كما قلنا فإن الصلاة تكون من العابد للمعبود ولكن في الآيتين السابقتين يقول المفسرون أن الصلاة هنا بمعنى طلب الرحمة للنبي والمؤمنين. وهنا نسأل: ممن يطلب الله الرحمة؟!

24 ـ معرفة محمد للغيب

الحقيقة أن الإجابة على هذا السؤال في غاية السهولة، إذ أن القرآن نفسه قد أكدها بما لا يدع مجالا لأي شك. وإليك بعض الأمثلة من الآيات القرآنية:

" ولا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ..." هود 31:11.

" قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ..." الإنعام 50:6.

" قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لأستكثرت من الخير وما مسنى السوء إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون.." الأعراف 188:7.

رغم أن شهادة القرآن كافية فإننا نسوق هنا شهادة أخرى من " السيرة النبوية" لإبن هشام: **(أمر الشاة المسمومة):** فلما أطمئن رسول الله (ص) أهدت له زينب بنت الحارث، إمرأة سلام بن مشكم، شاة مصلية، وقد سألت أي عضو من الشاة أحب الى رسول الله (ص) ؟ فقيل لها: الذراع، فأكثرت فيها من السم، ثم سمت سائر الشاة، ثم جاءت بها، فلما وضعتها بين يدي رسول الله (ص)، تناول الذراع فلاك منها مضغة، فلم يسغها، ومعه بشر بن البراء بن معرور، قد أخذ منها كما أخذ رسول الله ، فأما بشر فأساغها وأما رسول الله (ص) فلفظها، ثم قال: إن هذا العظم ليخبرني أنه مسموم، ثم دعا بها، فإعترفت، فقال: ما حملك على ذلك؟ قالت: بلغت من قومي ما لم يخف عليك، فقلت: إن كان ملكا استرحت منه، وإن كان نبيا فسيخبر، قال: فتجاوز عنها رسول الله (ص)، ومات بشر من أكلته التي أكل. قال ابن إسحاق: وحدثني مروان بن عثمان بن أبي سعيد بن المعلى، قال: كان رسول الله (ص) قد قال في مرضه الذي توفى فيه، ودخلت أم بشر بنت البراء بن معرور تعوده: يا أم بشر، إن هذا الأوان وجدت فيه انقطاع أبهري من الأكلة التي أكلت مع أخيك بخيبر. قال: فأن كان المسلمون ليرون أن رسول الله (ص) مات شهيدا، مع ما أكرمه الله به من النبوة. (السيرة النبوية).

سؤال: لو كان محمد يعلم الغيب هل كان يلوك مضغة من الشاة المسمومة؟!

لو كان محمد يعلم الغيب هل كان ينتظر 37 يوم حتى تحيض عائشة ثم يستنزل آيات تبرئها فيما هو مشهور بحادثة الإفك؟!. لو كان محمد يعلم الغيب هل كان يشك في نسب إبنه إبراهيم ويطلب من علي بن أبي طالب أن يقتل القبطي المأبور؟. لقد تناول الدكتور أحمد صبحي منصور أمر عدم معرفة نبي الإسلام للغيب في كتابه عن " عذاب القبر" ونحن ننقل عنه هنا ما جاء بهذا الصدد. في صفحات 95، 96، 97:

الله وحده هو الذي يعلم الغيب:

هذا المعنى تؤكده الآيات الكريمة الآتية { وعنده مفاتحُ الغيب لا يعلمها إلا هو } الأنعام 59. { فقل إنما الغيب لله} يونس 20.{ ولله غيبُ السموات والأرض وإليه يُرجعُ الأمر كله} هود 123. { ولله غيبُ السموات والأرض} النحل 77. { قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله} النمل 65. وكل الآيات الكريمة تؤكد نفس المعنى بأسلوب القصر والحصر، أي لا يعلم الغيب إلا الله، مثل قولك لا إله إلا الله.. لأن العلم بالغيب صفة إلاهية.

الأنبياء والغيب:

يقول تعالى: { ما كان اللهُ ليطلعكم على الغيب ولكن الله يحتبي من رسله من يشاءُ} آل عمران 179.. {عالم الغيب فلا يظهر على غيبة أحدا إلا من ارتضى من رسول} الجن 26. وقد أعطى الله بعض أنبياء مثل يوسف وعيسى بعض الغيوب مثل تفسير الأحلام كوسيلة من وسائل إثبات نبوتهم. لكن أنبياء آخرين لم يعطهم الله العلم بشيء من الغيب وقد أعلنوا ذلك صراحة مثل نوح عليه السلام الذي كان يقول لقومه { ولا أقولُ لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب} هود 31. وقد أكد القرآن على أن خاتم النبيين لا يعلم الغيب في قوله تعالى: { قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم إني ملك إن أتبع إلا ما يوحى اليَّ} الأنعام 50.

أي أن الله تعالى أمر خاتم النبيين (ص) بأن يعلن أنه لا يملك خزائن الله وأنه لا يعلم الغيب وأنه ليس ملكا من الملائكة، ويزيد على ذلك بتأكيد أنه يتبع الوحي، وأنه لا يمكن أن يتكلم بما يخالف الوحي وأوامر ربه له { إن أتبعُ إلا ما يوحى اليَّ..} والله تعالى يأمر خاتم النبيين (ص) بأن يعلن بأنه لا يعلم موعد الساعة أقريب هو أم بعيد، لأن الله لم يطلع على غيبه إلا من إرتضى من رسله وليس هو منهم { قل إن أدري أقريب ما توعدون أم يجعل له ربي أمدا عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحد إلا من ارتضى من رسول} الجن 27:25. كانوا يسألون النبي عن الساعة وكان النبي يرفض الإجابة ونزل الوحي يقول: { يسألونك عن الساعة أيان مرساها فيم أنت من ذكراها الى ربك منتهاها إنما أنت منذر من يخشاها } وقوله تعالى للنبي { فيم أنت من ذكراها} تساؤل ينكر من البداية تزجيه ذلك التساؤل إليه، لأن أمور الساعة من الغيبيات، والنبي لا شأن له بمعرفة الغيبيات. وتكرر السؤال للنبي وجاءت الإجابة بشكل أكثر تفصيلا وأكثر تحديدا، يقول تعالى { **يسألونك عن الساعة أيان مرساها قل إنما علمها عند ربي لا يُجليها لوقتها إلا هو ثقلت في السموات والأرض لا تأتيكم إلا بغتة يسألونك كأنك حفي عنها قل إنما علمها عند الله ولكن أكثر الناس لا يعلمون**} سورة الأعراف: 187.

والآية بعد أن تؤكد أن علم الساعة هو من عند الله وحده، تؤكد على أن النبي لا يعلم شيئا عنها، ويأتي ذلك بصورة إستنكارية { **يسألونك كأنك حفي عنها**}.. ثم تأتي الآية التالية تؤكد أن النبي لا يعلم الغيب { قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لإستكثرت من الخير وما مسنى السوء إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون}

الأعراف 187، 188. أمره ربه أن يعلن أنه لا يملك لنفسه ـ فضلا عن غيره ـ نفعا ولا ضررا إلا ما شاء الله، وإنه لو كان يعلم الغيب لاستكثر من الخير وما أصابه سوء .. وفعلا لو كان يعلم الغيب ما حدثت له الهزيمة في أحد ولإستكثر من النصر في بدر وغيرها..

ولو كان يعلم الغيب ما وقع ضحية لخداع المنافقين حين كانوا يكذبون عليه فيصدقهم، وفي إحدى المرات أقنعوه بأن اللص ليس لصا بل برئ وطلبوا منه أن يدافع عن ذلك اللص البرئ فدافع عنه النبي مخدوعا بكلامهم، ونزل الوحي يعتب على النبي ويقول له: { إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيما} أي لا تكن محاميا عن الخائنين، ثم يأمره ربه بالإستغفار { **واستغفر الله إن الله كان غفورا رحيما**} ويأمره ربه بألا يدافع عن الخونة { **ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم إن الله لا يُحب من كان خوانا أثيما**} النساء 106، 107. أولئك كانوا يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله، وكانوا يتآمرون على خداع النبي، وصدقهم النبي لأنه لا يعلم الغيب، ثم نزل الوحي يخبر بالحقيقة ولو كان النبي يعلم الغيب ما إستطاعوا خداعه ..

وكانوا يدخلون عليه يقدمون له فروض الطاعة ثم يخرجون من عنده يتآمرون عليه، وهو لا يعلم شيئا عن ذلك الغيب الى أن ينزل الوحي يخبره { ويقولون طاعة فإذا برزوا من عندك بيت طائفة منهم غير الذي تقول والله يكتب ما يبيتون فأعرض عنهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا } النساء 81.. لم يكن يعلم الغيب وكان ذلك واضحا في سيرته القرآنية أو غزواته التي حكاها المؤرخون. وبالتالي فقد كان يتصرف في غزواته وفق إمكاناته البشرية.

وكانوا يسألونه عن الغيبيات مثل أمر الساعة فينزل القرآن يستنكر ذلك السؤال ويؤكد على أن النبي لا يعلم الغيب. وهناك آية جامعة محكمة فاصلة في الموضوع { قل ما كنت بدعا من الرسل وما أدري ما يفعل بي ولا بكم إن أتبع إلا ما يوحى الي وما أنا إلا نذير مبين} الأحقاف 9. أي أمره ربه بأن يعلن أنه ليس متميزا عن الرسل { قل ما كنت بدعا من الرسل}. وأمره أن يعلن أنه لا يدري ولا يعلم ما سيحدث له أو ما سيحدث لغيره في المستقبل سواء في الدنيا أو عند الموت أو في البرزخ، أو عند قيام الساعة أو في الأخرة، وبالتالي فلا يمكن أن يتكلم في أشياء لا يعلمها فقد أمره ربه أن يعلن أنه يتبع ما يوحى إليه فقط أي يطيع أوامر ربه { إن أتبع إلا ما يوحى إلـيَّ} ومعناه أن النبي لا يمكن أن يتكلم مثلا عن عذاب القبر لأنه غيب ... والمعنى المستفاد مما سبق أن النبي لم يتكلم أبدا عن الغيبيات، ومن واجب المؤمن تبرئة النبي من ذلك الزيف المنسوب إليه والذي يخالف القرآن.. والآيات السابقة وهي تؤكد على أن النبي لا يعلم الغيب تضع الذين يتمسكون بأحاديث الغيبيات وعذاب القبر والشفاعة في موقف حرج.. فهم إن أمنوا بتلك الأحاديث فقد كفروا بآيات القرآن، وإن أمنوا بالقرآن فقد كفروا بتلك الأحاديث.. ولا يمكن أن يؤمن الإنسان بالشئ ونقيضه.. والمتمسكون بتلك الأحاديث التي تخالف القرآن مضطرون لأن يعلنوا باللسان إيمانهم بالقرآن، ولكن مأزقهم الحقيقي في أنهم يؤمنون فعلا بتلك الأحاديث مهما تناقضت مع القرآن.

25 - الفحولة الجنسية للرسول

ساهم الرواة في أسطرة الحياة الجنسية لمحمد وصوروه بأنه كان فالنتينو عصره وكل العصور قاطبة. ونحن هنا ننقل عن كتاب " الحب والجنس في حياة النبي للأستاذة " بسنت رشاد" :

لقد صور لنا بعض الفقهاء شخصية الرسول. على انها شخصية اسطورية هائلة. لا تصل الى مداركها طاقة البشر العاديين. لذا فقد منعوا وحُرموا رسمها، أو تصويرها، أو تمثيلها في السينما، على عكس بقية الأنبياء الآخرين، وأشهرهم المسيح عليه السلام. في حين أن لا آية في القرآن الكريم، ولا حديث صحيحا يمنع ذلك. وكان أن قام بعض الفقهاء لأغراض خاصة، باضفاء صفات جنسية خارقة على الرسول. لا يقبلها عقل، ولا يستطيع علم من العلوم تفسيرها. ويردُّ أحد رواد جماعة ' أهل القرآن' ، وهو الشيخ أحمد صبحي منصور، هذا التشويه المتعمد لشخصية الرسول من قبل الراوية الرئيس لأحاديث الرسول، وهو البخاري، الى أن البخاري كان (وهو الفارسي) حاقدا على العروبة والعرب. وكان بروايته لأحاديث نبوية في الجنس، وأحاديث تخص المرأة، منسوبة الى الرسول، يريد أن يسيء الى شخصية الرسول وتاريخه. وتصويره للآخرين، بأنه كان (فالنتينو) عصره، وشخصية شبقة جنسيا، لا هم له إلا ممارسة الجنس مع النساء، ليلا نهارا، منصرفا عن أمور الدعوة، والجهاد، وبناء الدولة الإسلامية الجديدة.

ولو أدرك بعض الفقهاء، هذه الصورة غير الحميدة، التي جاءنا بها البخاري، من خلال أحاديث نبوية موضوعة، ومختلقة، وكاذبة، وبرهان كذبها، أنها تخالف طبيعة حياة الرسول الحافلة بتكريس الوقت للدعوة الجديدة، والجهاد، وبناء الدولة الجديدة، لامتنعوا عن ترديدها، والإفتخار بها، ونفش وريش طواويس الإسلام بها.

صور البخاري الجنسية الكاذبة

إن الصورة الجنسية الأول الصادمة لنا عن شخصية الرسول، جاءت من خلال حديثين مناقضين تماما لشخصية الرسول، التي رسمتها الأحداث. وشكلها التاريخ الأسلامي في بدء الدعوة.

اسمعوا الى ما يقوله البخاري عن شخصية الرسول، التي أصبحت بنظر البخاري، (فالنتينو) العصر الحديث الشبق:

كان النبي يطوع على نسائه في الساعة الواحدة من الليل والنهار، وهنَّ إحدى عشرة.

وفي حديث آخر: كان النبي يطوف على نسائه في ليلة واحدة، وله تسع نسوة.
وفي تكملة للحديث: ' أنه أعطي قوة ثلاثين رجلا'.
وفي رواية أخرى: ' أنه أعطي قوة أربعين رجلا'.

يا للهول!!

فهذه القوة الجنسية الجنسية كافية لنساء قبيلة بأكملها.

وبغض النظر عن الخيال المريض في هذه الأحاديث، التي لا أرى أيه فائدة للإسلام، ولا للمسلمين وغير المسلمين منها، فهي أحاديث إن صحت، فهي تخصُّ النبي وحده، وذات علاقة بحياته الشخصية، ولا فائدة للمتلقى أيا كان منها. وهي ذات خصوصية سرية لعلاقة أي زوج بزوجته، وعلاقة أي رجل بإمرأة. فلماذا هذا الخيال المريض، رغم عدم صحتها حتى من الناحية الجنسية العلمية، والواقعية الأخلاقية، والتاريخية النبوية؟.

إن ممارسة الجنس مع إحدى عشرة إمرأة، في ليلة واحدة، يقتضي على الأقل إحدى عشرة ساعة، وبشكل ميكانيكي. فمتى إذن، كان الرسول يصلي في الليل، وهو الذي كان يقضي جزءا كبيرا من الليل هو وأصحابه في الصلاة والقيام { **إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه وطائفة من الذين معك**}.

من قاس، أو اختبر هذه الفحولة الخارقة؟

إن تصوير النبي، وهو على فراش زوجاته، وقد أعطى قوة ثلاثين رجلا، أو أربعين رجلا، فيه من الخيال الشيء الكثير. فلا ندري من الذي قاس وقدر هذه القوة الجنسية الخارقة، وهذه الفحولة الذكورية العظيمة؟

فلم نسمع من زوجات النبي الكريمات وصفا لهذه القوة الجنسية، وهذه الفحولة الذكورية على هذا النحو، وهنَّ أولى الناس بذكر مثل هذه الحقائق الجنسية، إذا كانت هناك ثمة حقائق من هذا القبيل.

شبق ممارسة الجنس مع الحائض

لقد وصل حدا بالبخاري - وهو ابن برزويه، المشهور بلقب ' البخاري'، نسبة الى إقليم بخاري في خراسان، وهي أشد مناطق فارس تعصبا ضد العروبة والإسلام - أن روى أحاديث ملفقة عن الرسول تبيّن أن الرسول كان شخصية شبقة الى الحد الذي يمارس الجنس مع زوجاته، وهنّ في المحيض. وقد منع القرآن ممارسة الجنس مع النساء اثناء المحيض.

ويروى البخاري عن السيدة عائشة قولها:

كنت اغتسل أنا والنبي من إناء واحد كلانا جُنب. وكان يأمرني فاتزر، فيباشرني وأنا حائض.

ويروي البخاري كذلك حديثا عن ميمونة قولها:

كان رسول الله إذا أراد أن يباشر إمرأة من نسائه أمرها، فاتزرت وهي حائض.

واتزرت هنا، تعني أن تضع المرأة على فرجها ' حفاظة'، وتتم الممارسة الجنسية في هذا الحالة من وراء ' الحفاظة'.

إمرأة من نساء الصحابة سألت الرسول عن غلام تربى في بيتها منذ الصغر، فقال لها الرسول: أرضعيه خمس رضعات فيحرم عليك.

قالت يا رسول الله: إنه كبير. قال: إني أعرف. قالت: إن له لحية.

كل ذلك ورسول الله يرخص لها أن تُرضعه من ثديها.

ثم تكتمل الرواية في صحيح البخاري، بأن السيدة عائشة أخذت بهذا الحديث، فيمن كانت تحب أن يدخل عليها من الرجال. فكانت تأمر أختها أم كلثوم بنت أبي بكر، وبنات أخيها. أن يرضعنه أولا من أثدائهن.

فما هو الدافع لهذا الحديث الموضوع؟ وما هي غايته؟

ومن الواضح أن هذا الحديث يتعارض مع القرآن الذي ينص { والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة } " البقرة: 223". ثم أنه إهانة للمرأة التى يطلب منها أن تكون هي المُحلل، وهي الضحية. وأن تفتح صدرها وتُرضع الطاعنين في السن، وهم فئة التواقين الى صدور النساء في هذا السن، التي لا يملكون معها غير مص الأثداء، وذلك أقصى ما يمكن أن يصلوا به الى المتعة الجنسية.

فلماذا كل هذا الذم للنساء من قبل الفقهاء الذين يقول عنهم أحمد الفنجري، بأن معظمهم يعتبر أن ما جاء في صحيح البخاري فهو صحيح.

وأن صحيح البخاري بالذات هو أصحُّ الكتب في الإسلام بعد القرآن. وهم يرفضون التشكيك في أي كلمة أو فقرة وردت في البخاري، حتى لو كانت تتعارض مع القرآن، أو مع العقل والمنطق، أو مع خُلق الرسول عليه السلام.

وهناك العديد من التساؤلات التي تمر بذهن المسلمين سنحاول الإجابة عليها كالتالي:

ما هو معدل زواج النبي؟

الإجابة: دعنا نحسبها ببساطة:

1- تزوج النبي خديجة وكان عمره 25 سنة وعاش معها 15 سنة دون أن يتزوج في حياتها أية زوجة أخرى، ودون أن تكون له سرية واحدة. ربما كان ذلك خشية أن تحرمه السيدة خديجة من أموالها. أو ربما لأن حياته قبل الهجرة كانت تمر بظروف صعبة بخصوص الرسالة، ومضايقات أهل قريش له، مما جعل حياته غير مستقرة.

2- ولكنه بعد وفاة خديجة، تزوج عائشة وعمره 54 سنة، وبدأ تعدد الزوجات حتى مات وعمره 62 سنة. ففي فترة كهولته هذه (أي فترة 8 سنوات) تزوج 54، بخلاف خديجة التي ماتت قبل الهجرة.

3 - فيكون معدل زواجه حوالي 7 زوجات كل عام. أي بمعدل زوجة كل ثاني شهر أو كل 50 يوما تقريبا ...!

4 - وقد جاء في البخاري:

(حدثنا أنس ابن مالك، وقال كان النبي يدور على نسائه في ساعة واحدة من الليل والنهار!!!... قلت لأنس: أو كان يطيق ذلك؟؟؟ قال: كنا نتحدث أنه أعطى قوة ثلاثين رجلا!!!) "جزء1 ص76" وفي " جزء7 ص106، وجزء3 ص383" يقول أنه أعطى قوة 40 رجلا من أهل الجنة!!!!!!".

5 - كان هذا مدعاة أن يذكر الإمام البخاري في صحيحه مرات كثيرة ما كان يردده البعض قائلين:" إن محمدا ليس له همٌّ إلا النكاح" (كتاب السيوطي المجلد 3ص377).

6 - يؤيد هذا القول عائشة زوجة النبي، عندما شكت ألما في رأسها وقال لها النبي:" ما ضرك لو متِ قبلي ... فكفنتك، وصليت عليك، ودفنتك؟

فقالت له: " ليكن ذلك حظ غيري! والله لكأني بك لو قد فعلت ذلك ((أي لو مت أنا. ودفنتني أنت))، لرجعت الى بيتي فأعرست فيه ببعض نسائك ((أي إنك لن تهتم بموتي بل بلذتك مع النساء))!!!!"_(كتاب نساء النبي لبنت الشاطئ ص 113 وتاريخ الطبري جزء3 ص 191).

س(4) كيف كان النبي محمد يعدل بين هذا العدد الهائل من النساء؟
الإجابة: مما نقرأه بهذا الخصوص يبدو أنه ما كان يعدل بينهن. والدليل على ذلك ما جاء في (سورة الأحزاب 33:50،53) إذ يقول:

(1)" في آية 50" يا أيها النبي إنا أحللنا لك أزواجك ... وما ملكت يمينك ... وإمرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي إن أراد النبي أن يستنكحها" (يتزوجها) "خالصة لك من دون المؤمنين لكي لا يكون عليه حرج": (حتى لا تكون محرجا في ذلك !!!!).

(2) الى قوله:" في آية 51: تُرجى ((أي تؤجل)) من تشاء منهن، وتُؤوى ((أي تضم)) اليك من تشاء: قال النسفي: (المرجع نفسه ص450):" بمعنى تترك مضاجعة من تشاء منهن، وتضاجع من تشاء، أو تطلق من تشاء، وتمسك من تشاء، أو تترك تزوُّج من شئت من نساء أمتك، وتتزوج من شئت ومن دعوت الى فراسك، وطلبت صحبتها، ممن عزلت عن نفسك بالإرجاء فلا ضيق عليك في ذلك... التفويض الى مشيئتك". (تفسير النسفي جزء3 ص450).

(3) فهنا التساؤل: أين العدل بين الزوجات؟!

(4) وتضيف بنت الشاطئ في كتابها نساء النبي ص66 فتقول:" بخصوص عواطف النبي، كيف له. وهو بشر، أن يقسرها على غير ما تهوى!! أو يخضعها بإرادته لموازين العدل وضوابط القسمة!

(5) والتساؤل الخطير هنا: كيف وهو النبي لا يستطيع أن يضبط نفسه؟ ولماذا يطالب عامة الناس بفعل ما لم يستطع هو نفسه أن يفعله؟!

" هذه مجرد تساؤلات تحتاج الى إجابة، فنحن نستفسر، وليس في ذلك حرج كما قالت بنت الشاطئ:" لم أر في شيئ منه قط. ما اتحرج من تعريضه لضوء البحث " كتاب نساء النبي ص8".

س(5): من هي أحب زوجات الرسول إليه؟

الإجابة: أحب زوجات الرسول من بين ال54 زوجة وسرية، هي المراهقة الحسناء ذات الجمال والدلال السيدة عائشة بنت أبي بكر الصديق. " حديث رقم 2442 نشر دار ابن كثير".

وقد كتبت الدكتورة بنت الشاطئ عن حظوة عائشة أم المؤمنين عند النبي أربع صفحات من كتابها " نساء النبي" (ص108- 111) أقتطف منها بعض العبارات للتديل على ذلك:

1- كانت عائشة تباهي ضرائرها قائلة:
" أية إمرأة كانت أحظى عند زوج مني" (ص108).

2- وقال النبي على مسمع من زوجاته جميعا:
" حبك يا عائشة في قلبي كالعروة الوثقى (الرباط الذي لا ينفصم)" (ص108).

3- سأل عمرو ابن العاص النبي: " من أحب الناس إليك؟
قال عائشة ... (ص108)

4- وهناك دليل آخر: عندما وسَّطت نساء النبي إبنته " فاطمة الزهراء" ليعدل بينهن وبين عائشة. قال لها:" أي بنية، ألست تحبين ما أحب؟ قالت: بلى. قال: " فأحبي هذه "أي عائشة" فذهبت لنساء النبي
وقالت لهن: سوف لا أكلمه فيها أبدا" (ص109).

من هذا وغيره الكثير نستطيع أن نرى أنها. السيدة عائشة. هي أقرب للنبي من بين كل زوجاته.

س(6) كم كان عمر عائشة وعمر النبي وقت زواجه منها؟

الإجــابــة:

1- كان عمر عائشة عندما عقد قرانها " أي كتب كتابها، كزوجة للنبي هو 6 أو 7 سنوات، كما تقول بنت الشاطئ في (كتابها ص 71).

2- وتم الزواج " أو ما يسمى بالدخلة" بعد 2 أو 3 سنوات، أي وعمرها 8 أو 9 سنوات.

3- وقدمت بنت الشاطئ عائشة لتحكي بنفسها ما حدث لها يوم عرسها فتقول:" جاء رسول الله بيتنا فاجتمع إليه رجال من الأنصار ونساء، فجاءتني أمي وأنا في أرجوحة بين عِذقين(أي فرعي شجرة) فأنزلتني ثم سوت شعري، ومسحت وجهي بشيء من ماء، ثم اقبلت تقودني، حتى إذا كنت عند الباب، وقفت بي حتى ذهب بعض نفسي (أي حتى اطمأنت نفسي قليلا).

ثم ادخلتني ورسول الله جالس على سرير في بيتنا، فأجلستني في حجره ... ووثب القوم والنساء فخرجوا، وبنى بي (أي دخل بي) رسول الله في بيتي (لم يصبر رسول الله حتى يذهب بالعروس الى بيته!!!!) وتكمل قصتها قائلة:" كنت يومئذ ابنة تسع سنوات ..." (نساء النبي ص 88).

" ويتساءل البعض هل كان ذلك زواج أم أنه إغتصاب ؟؟؟!!!

4- وتقول عنها بنت الشاطئ:" كانت عائشة عروسا حلوة، خفيفة الجسم، ذا عينين واسعتين، وشعر جعد، ووجه مشرق، مشَّرب بحمرة" (ص88).

5- وتواصل حديثها عنها فتقول: كانت صغيرة السن أو طفلة ..." (ص89).

6- وتستكمل كلامها قائلة: كانت صبية يأتيها زوجها بصواحبها ليلعبن معها، أو يحملها على عاتقه لتطل على نفر من الحبشة يلعبون بالحراب (89).

س(7) هل يصح قانونا تزويج صبية قاصر من كهل جاوز الخمسين؟

الإجابة: لقد طالعتنا مجلة " سيدتي" التي تصدر عن الشركة السعودية للأبحاث عدد 1023 في أكتوبر 2000م بتحقيق صحفي على صفحات (44-54) حول جريمة الزواج من فتيات قاصرات صغار السن، تتراوح أعمارهن يوم الزواج بين 13 سنة و7 سنوات!!! وقد سلط الريبورتاج الضوء على أمور أساسية بهذا الشأن منها:

1ـ ينص القانون على ضرورة أخذ موافقة العروس على الزواج من الشخص المتقدم لها. أما في حالة القاصر فكيف يؤخذ موافقتها؟ (وتطبيقا على هذا المبدأ يتضح من قصة زواج عائشة الطفلة أنه لم تؤخذ موافقتها، وهي إبنة السادسة أو السابعة! بل عندما طلبتها " خولة بنت حكيم السلمية" للنبي وافق أبو بكر دون سؤال الطفلة عائشة.

2ـ في هذا التحقيق أيضا: أقر زوج إحدى هؤلاء القاصرات، وكان عمرها يوم تزوجها 12 سنة أي ضعف عمر عائشة يوم أن عقد قرانها. يذكر التحقيق أنه أقر هذا الزوج بأن زواجه منها وهي صغيرة كان ظلما لها وأضاف أيضا قائلا: " لقد كانت صغيرة جدا ولا تفهم، وأضاف قائلا: إن الزواج في مثل هذا العمر أمر غير عادي، وغير مقبول.

3ـ عرضت المجلة أيضا فضيحة أخرى وهي حالة فتاة تزوجت في سن العاشرة (أي أكبر من عائشة أيضا) من زوج في الأربعين من عمره (أي أصغر من النبي).

4ـ وتعرض المجلة جريمة ثالثة لفتاة كان عمرها 7 سنوات حين تزوجت، لدرجة أن المحرر يقول:" حاولنا الحديث معها، ولكنها لصغر سنها كانت صامتة، فحاولنا إغرائها بالحلويات والألعاب لكنها ظلت صامته".

5ـ وتوجه المجلة سؤالا الى الشيخ عوض الردادي وكيل وزارة العمل والشئون الإجتماعية عن السن المناسبة للفتاة أو الرجل عند كتابة عقد الزواج. فأجاب:

ـ الإدارة المختصة بالوكالة لديها بيانات خاصة بالفتيات البالغات سن الزواج واللاتي لا تقل أعمارهن عن ثمانية عشر عاما. وأضاف قائلا:

ـ أما رأينا الشخصي حول هذه الظاهرة ... لا شك أن الفارق الكبير في السن بين الزوجين وصغر سن الفتاة يترتب عليه الكثير من المشاكل النفسية والصحية والإجتماعية للفتاة.

6ـ وركزت المجلة على الشيخ الدكتور إبراهيم الخضيري القاضي في المحكمة الكبرى في الرياض أنه يشدد على منع الإسلام تزويج البنت القاصر، لأنها لا تقدر على معاشرة زوجها. مؤكدا أنه من حق الأولياء الملزمين من بعد الأب حتى لو كانوا أعمامها أو أخوالها أن يرفضوا هذا الزواج ويعترضوا عليه ويبطلوه، إذا زوَّجها الأب من رجل غير مكافئ لها في العمر بمعنى تزويجها لرجل مُسن وهي صغيرة أو طفلة، فإن ذلك الزواج لا يكون فيه إحسان لها ولا صلاح.

(ويستطرد هذا الشيخ الدكتور القاضي قائلا):" أما الصغيرة التي تكون دون سن البلوغ التي زوجها والدها، فمن حق القاضي أن يؤدبه بالسجن والجلد وإسقاط الولاية الشرعية منه".

س(8) سمعنا أن عائشة كانت تمثل الزوجة المدللة المتمردة، وكان النبي ضعيفا أمام أنوثتها؟ فهل هذا صحيح؟

الإجابة: هذا تعبير جرئ قد يتأذى منه بعض إخواننا المسلمين، ولكن بنت الشاطئ قالت لنا إنها لا ترى شيئا في حياة النبي تتحرج من تعريضه لضوء البحث. (كتابها نساء النبي ص8).

26 ـ معجزات الرسول

إذا قرأنا القرآن بتدبر وإمعان علمنا منه أن محمد لم يتحد الإنس بمعجزة غير القرآن ولم يأتهم بمعجزة سواه. وذلك أننا نرى عند تلاوتنا الآيات القرآنية أن الكفار كلما سألوه أن يأتهم بآية أحالهم الى الله، وقال لهم: إنما أنا بشر مثلكم غير أني يوحى اليّ. فمن ذلك قوله في سورة العنكبوت: { وقالوا لولا أنزل عليه آيات من ربه، قل إنما الآيات عند الله وإنما أنا نذير مبين} (1).

وقد حكى لنا القرآن ذلك في آية أخرى مفصلا في قوله تعالى: { وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا * أو وتكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيرا* أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا أو تأتي بالله والملائكة قبيلا * أو يكون لك بيت من زخرف، أو ترقى الى السماء، ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرأه} (2)، فلم يكن جوابه لهم إلا ما جاء بعد هذه الآية من قوله: { قل سبحان ربي هل كنت إلا بشرا رسولا} (3).

وتراه في بعض الأحيان إذا سألوه أن يأتيهم بآية اعتذر عن الإتيان بها: بأن ذلك لا يجدي نفعا لأن الأولين جاءتهم أنبياؤهم بآيات فكذبوا بها أيضا ولم يؤمنوا، فمن ذلك قوله تعالى: {وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون} (4)، وقوله: { قالوا لولا أوتي مثل ما أوتي موسى، أو لم يكفروا بما أوتي موسى من قبل (5)، أي أن موى قد آتاه الله آيات كقلب العصا حية، وكفلق البحر وغير ذلك، فهل أوتي محمد بمثل ما أوتي موسى من المعجزات، فأجابهم بما في الشطر الثاني من الآية وهو قوله: { أو لم يكفروا بما أوتي موسى من قبل} (6).

* جاء في سورة العنكبوت 50:29 و 51 (وقالوا لولا أنزل عليه آيات من ربه قال إنما الآيات عند الله وإنما أنا نذير مبين أو لم يكفهم أنا أنزلنا عيك الكتاب يتلى عليهم إن في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون).

قال البيضاوي: (ولولا أنزل عليه آيات من ربه) ـ مثل ناقة صالح وعصا موسى ومائدة عيسى. (قل إنما الآيات عند الله) ـ ينزلها لما يشاء. لست أملكها فآتيكم بها بما تقترحون. (وإنما أنا نذير مبين) ـ ليس من شأني إلا الإنذار.

إذا كانت الآيات عند الله، وكان لمحمد صلة بالله كالأنبياء والرسل، فلماذا لم يسمح الله بتأييده بها؟!.

* جاء في سورة الإسراء 59:17 (وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون).

إن كانت الآيات بلا فائدة مطلقا عند الذين عملت معهم قديما فلماذا عملها الله وما الذي يمنع الله عن عملها على يد محمد كما عملها على يد جميع الأنبياء الصادقين كموسى وإيليا وأليشع والمسيح؟. إذا كانت الآيات ممتنعة لتكذيب الناس إياها، فلماذا لا يكون التبليغ ممتنعا لتكذيب الناس إياه أيضا؟

* جاء في سورة الأنعام 109:6 (وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها قل إنما الآيات عند الله وما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون).

قالت قريش: يا محمد، إنك تخبرنا أن موسى كانت له عصا يضرب بها الحجر فتنفجر منه اثنتا عشرة عينا، وتخبرنا أن عيسى كان يحيي الموتى، وأن ثمود لهم ناقة. فأتنا بآية حتى نصدقك ونؤمن بك. فقال محمد: أي شيء تحبون؟ قالوا: تجعل لنا الصفا ذهبا. وابعث لنا بعض موتانا نسألهم عنك أحق ما تقول أو باطل؟ وأرنا الملائكة يشدون لك. فقال محمد: إن فعلت بعض ما تقولون أتصدقونني؟ قالوا: نعم والله، لئن فعلت لنتبعنك أجمعين. وسأل المسلمون محمدا أن ينزلها عليهم حتى يؤمنوا. فقام محمد وجعل يدعو.

* وجاء في سورة الرعد 7:13 (ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه إنما أنت منذر ولكل قوم هاد.

* وجاء في سورة الرعد 27:13 (ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه قل إن الله يضل من يشاء ويهدي إليه من أناب).

وأمثال هذه الآيات في القرآن كثيرة، فلا حاجة الى ذكرها كلها ههنا. وخلاصة القول إن هذه الآيات صريحة في أن محمد لم يأت بمعجزة من المعجزات.

وكذلك نرى القرآن يصرح لنا في كثير من آياته بأن رسول الله لا يعلم الغيب وأن ذلك إنما هو لله وحده. ففي سورة يونس:{ ويقولون لولا أنزل عليه آيه من ربه، فقل إنما الغيب لله} (7)، أي أن الصارف عن إنزال الآيات المقترحة أمر غيب لا يعلمه إلا الله. وفي سورة النمل: { قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله} (8). وفي سورة الأنعام:{ قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم إني ملك إن أتبع إلا ما يوحى إليّ} (9). وفي سورة الأعراف:{ لو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء} (10).

" ولا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ..." هود 31:11.

" قل لا اقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ...الأنعام 50:6.

" قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لأستكثرت من الخير وما مسني السوء إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون" الأعراف 188:7.

رغم أن شهادة القرآن كافية فإننا نسوق هنا شهادة أخرى من " السيرة النبوية" لابن هشام:

(أمر الشاة المسمومة):

فلما اطمئن رسول الله (ص) أهدت له زينب بنت الحارث، امرأة سلام بن مشكم، شاة مصلية، وقد سألت أي عضو من الشاة أحب الى رسول الله (ص)؟ فقيل لها: الذراع، فأكثرت فيها من السم، ثم سممت سائر الشاة، ثم جاءت بها، فلما وضعتها بين ندي رسول الله، تناول الذراع فلاك منها مضغة، فلم يسغها، ومعه بشر بن البراء بن معرور، قد أخذ منها كما أخذ رسول الله، فأما بشر فأساغها وأما رسول الله فلفظها، ثم قال: إن هذا العظم ليخبرني أنه مسموم، ثم دعا بها، فاعترفت، فقال: ما ملكا استرحت منه، وإن كان نبيا فسيخبر، قال: فتجاوز عنها رسول الله، ومات بشر من أكلته التي أكل.

قال ابن إسحاق: وحدثني مروان بن عثمان بن أبي سعيد بن المعلى، قال: كان رسول الله (ص) قد قال في مرضه الذي توفى فيه، ودخلت أم بشر بنت البراء بن معرور تعوده: يا أم بشر، إن هذا الأوان وجدت فيه انقطاع أبهري من الأكلة التي أكلت مع أخيك بخيبر. قال: فأن كان المسلمون ليرون أن رسول الله مات شهيدا، مع ما أكرمه الله به من النبوة (السيرة النبوية).

<u>أسئلة هامة: لو كان محمد يعلم الغيب هل كان يلوك مضغة من الشاة المسمومة؟!</u>

لو كان يعلم الغيب فلماذا شك في زوجته عائشة لمدة شهر حتى تأتيها الحيضة ثم برأها بآيات زعم أن جبريل أتاه بها؟! لو كان يعلم الغيب فلماذا شك في نسب إبراهيم إليه وأمر علي بن أبي طالب بقتل المأبور الذى كان يشك في أن له علاقة بماريا القبطية ساريته؟! (لاحظ أنه أمر بقتل الرجل دون محاكمة ولمجرد الشك).

فمن هذه الآيات المتقدمة يتجلى لنا بوضوح أمران: أحدهما: أن محمد لم يأت بمعجزة. والثاني: أنه لا يعلم الغيب. ولكننا مع هذا إذا نظرنا فيما ألفه وخلفه لنا علماء الإسلام في ما مضى الزمان من كتب التفسير والحديث والسيرة النبوية رأينا هذه الكتب مشحونة بما يخالف القرآن في كلا الأمرين، إذ نراهم يذكرون لمحمد من المعجزات وخوارق العادات شيئا كثيرا حتى ادعى بعضهم أنه أعطي من المعجزات ثلاثة الآف، وتجاوز بعضهم هذه العدد فقال: إن معجزاته لا تدخل تحت عد أو حصر. وكذلك نراهم يذكرون له في كتبهم من الإخبار بالمغيبات أمورا لا تعد ولا تحصى.

ثم إنهم فيما يذكرونه من هذه الأمور المصادمة للقرآن، لا يخالفون المعقول فحسب بل يخرجون فيها عن حدود سنة الله التي لا تقبل التبديل والتغيير، كما يخرجون في إثباتها عن حدود العلم الصحيح والنظر السديد والمنطق الحر والذوق السليم، حتى أنك عندما تقرأ أقوالهم المضطربة وأخبارهم الملفقة تقول سبحان الله أتراهم يهزلون. أعظم معجزة لمحمد قد عميت عنها أبصارهم وبصائرهم، فلذا سهل على الدساسين من أعداء الإسلام أن يهيموا بهم في تيهاء من مجاهل الخرافات والأوهام.

أعظم معجزة لمحمد:

لا ريب أن نشأة محمد بن عبد الله المعلومة، وقيامه بأعباء النبوة، وما لقيه فيها من المصائب، وما اقتحم في سبيلها من المتاعب والمشاق، وما آتاه الله من عزم شديد وخلق عظيم وعقل راجح حصيف، وما أوجده بقرآنه وبسيفه من جمع الأشتات المترامية، وشد الأواصر المتفككة وتوحيد العناصر المتفرقة حتى أوجد بها من العدم أمة ناهضة في سبيل الحق والحرية، فقامت قومة رجل واحد تدعو الى الله حتى دوخت البلاد وخضع لها الحاضر والباد، وامتدت في أقطار الأرض شرقا وغربا في مدة يسيرة لا تتجاوز نيفا وعشرين سنة، لهي المعجزة الكبرى التي تتضاءل دونها المعجزات. وإن هذه المعجزة على عظمها وجلالها لم تقع إلا وفق ما جرت عليه سنة الله في خلقه، ولولا ذلك لما كانت معجزة، ولما دلت على ما لمحمد من مقام رفيع وفضل عظيم.

غير أن الجامدين يعمون عن هذه المعجزة، فلذا تراهم يهيمون في وادي الخرافات يبتغون بها المعجزات الدالة على صدق نبوة محمد وعظم شأنه كانشقاق القمر وتسليم الحجر، وكمجيء الشجرة إليه تشق الأرض شقا حتى قامت عليه تظلله لما نام في الشمس، وكشكوى البعير إليه، وتكليم الحمار إليه، وسجود الغنم له، ونطق الغزالة بالشهادتين، وشهادة الذئب له بالرسالة، الى غير ذلك من الأمور التي هي مخجلة أكثر مما هي مضحكة (7).

رسول الله:

فإن قلت: إن خالق الكائنات الأعظم أعظم وأجل من أن يعمد الى واحد من الناس فيرسله إليهم ليدعوهم الى الله، فإن هذا لا يليق بالقادر المطلق، ولا يتفق وسنته التي هي قدرته المطلقة، فكيف يكون محمد بهذه المعجزة التي ذكرتها رسول الله؟ قلتُ: لو كان معنى الرسول هو معناه المتعارف عندنا لكان الأمر كما تقول، ولكنه ليس كذلك. إن المتعارف عندنا هو أن أحدنا إذا أرسل رجلا آخر ليبلغه عنه أمرا أو ليدعوه الى أمر سمينا ذلك الرجل رسولا. ورسول الله ليس بهذا المعنى، ومن ذا الذي يحظر علينا أن نستعمل ما شئنا من الكلمات في غير معانيها الأصلية مجازا.

لا ريب أن القدرة الربانية المطلقة تظهر وتتجلى بمواهبها اللدنية في جميع مخلوقات الله بنسب مختلفة ودرجات متفاوتة، وما هذه الكائنات علويها وسفليها إلا مظاهر لقدرة الله متفاوتة الدرجات في خصائصها ومواهبها. وليس من المحال ولا من المخالف لسنة الله في خلقه أن تظهر القدرة الربانية بمواهبها اللدنية في رجل من الناس ظهورا أكمل وأتم من ظهورها في غيره. فرسول الله هو الرجل الذي تجلت فيه القدرة الربانية بمواهبها اللدنية تجليا أكمل وأتم من غيره من الناس.

فأدرك هو بتلك المواهب عظمة الله وجلاله الرفيع حتى كان أعرف من غيره بقدرة الله وأقرب من غيره الى سنة الله، وأخضع من سواه لسلطان الله. ولما كان هكذا أراد أن يدعو الناس الى معرفة الله والخضوع لسلطانه والجري على سنته لكي يبلغوا بذلك المقام الأعلى في الحياة، ويتوصلوا الى ما ينشدونه من سعادة، فقال لهم: { إني رسول الله إليكم} (8) بمعنى إني أنا أعرفكم بالله وبقدرته المطلقة وسنته الثابتة وأخضعكم لسلطانه وأقدركم على اكتساب مواهبه الكمالية في هذه الحياة، فكأن قدرة الله لما وهبتني هذه المواهب اللدنية جعلتني رسولا إليكم أدعوكم الى معرفة الله والخضوع لسلطانه. وليس في هذا المعنى ما يخالف سنة الله ولا ما يخالف المعقول. فمحمد بهذا الإعتبار السامي الشريف صادق في قوله أنا رسول الله.

ولذلك جاز له أن يقول عن ذات الله. ما يقول وأن يفعل عنه ما يفعل. ألا تراه لما رمى جعل الرامي هو الله:{ وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى} (9)، كما جعل يده يد الله لما بايع أصحابه تحت الشجرة:{ إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله، يد الله فوق أيديهم}، فهو بهذا الإعتبار الفلسفي أيضا صادق فيما أخبر به عن الله وفي قوله: أنا رسول الله.

رجوع الى أول البحث:

يستكمل الأديب والشاعر العراقى الراحل معروف الرصافى كلامه فى فى "كتاب الشخصية المحمدية" فيكتب :

قلنا في أول بحثنا هذا تحت عنوان "هل لمحمد معجزات": إن القرآن صريح في أن محمدا لم يأت بمعجزة سوى القرآن، وأن كتب القوم تذكر له معجزات كثيرة، فأيهما الصحيح وبأيهما نأخذ وعلى أيهما في العقيدة نعتمد.

إن الجواب على هذا السؤال سهل بسيط لا يحتاج الى نظر وتفكير، فإن القرآن هو العمدة الكبرى والمرجع الأعلى لنا في عقائدنا وسائر أمورنا الدينية فلا نأخذ إلا به ولا نعتمد إلا عليه ونترك ما يرويه لنا الرواة من الأحاديث المخالفة له فننبذها نبذ النواة.

ذلك لأن القرآن وصل إلينا بطريق التواتر لأنه كان في عهد رسول الله يكتب ويثبت في الرقاع ويحفظ في الصدور ويتلى في الصلاة وفي خارج الصلاة، وقد جمعه في الصحف الخليفة الأول بعد وفاة رسول الله، ودونه في المصاحف الخليفة الثالث بمحضر من أصحاب رسول الله، فوصلت إلينا تلك المصاحف كما هي من دون أن يقع فيها تبديل أو تحريف.

فالقرآن بالنظر الى هذا قطعي الورود وإن كان ظني الدلالة. فكيف نتركه ونأخذ بما يذكره لنا الرواة من أحاديث أسانيدها مختلة، ورواتها معتلة، وكلها أخبار آحاد ولم تدون في الكتب إلا بعد مضي قرن وربع قرن عليها بعد وفاة رسول الله، فبقيت طول هذه المدة تلوكها الألسن وتمضغها الأفواه متنقلة من فم أبله الى فم ألثغ الى فم ألكن الى فم أبخر الى فم كاذب مختل الى فم مدلس دساس، ثم هي بعدما تداولتها هذه الأفواه أكثر من قرن، دونت في الكتب فتلقاها الجامدون بالقبول وأخذوا يسطرونها في كتبهم غير ملتفتين الى ما فيها من أباطيل تصادم العقل الرزين وتخالف الكتاب المبين، حتى صيرونا بذكرها في كتبهم ضحكة للعالمين.

نحن لا ننكر أن القرآن أسقط منه بعض الشيء عند إثباته في المصاحف في عهد الخليفة الثالث، إلا أن ذلك شيء ضئيل، وإن الذي وصل إلينا منه صحيح لا مرية فيه. وليس كذلك الأحاديث التي نقلها إلينا أناس من الرواة قد أخذت بهم الأهواء كل مأخذ ولعبت بهم السياسة شتى الألاعيب. وكان أكثر هؤلاء الرواة من الأمم المغلوبة من الذين دخلوا في الإسلام قهرا، أو من الذين استرقهم العرب الفاتحون بالأسر فكانوا هم ومن تناسل منهم من الموالي، فعاشوا في ولاء العرب موتورين تنغلي في صدورهم الضغائن والأحقاد، كالحصين بن سلام اليهودي الذي تسمى بعبد الله بن سلام، وككعب الأحبار، وابن سبأ اليهوديين، وكمحمد بن إسحاق، وابن سيرين من الموالي الذين يمتون بأنسابهم الى الفرس، وكعطاء الخراساني، ومغلطاي، وابن منده، والجوزقاني، والبيهقي وغيرهم وغيرهم.

زد على ذلك أن من عني من الحفاظ بجمع هذه الأحاديث وتدوينها لم يسلكوا في تصحيحها وتمحيصها طرقا علمية، وإنما اعتمدوا في ذلك على ما ظهر لهم من أحوال الرواة فاغتروا بظاهرهم، فلذا تراهم في الأكثر يشيدون بصحة بعض الأحاديث لمجرد أن رواتها ثقات وإن خالفت القرآن وصادمت المعقول، كما ينكرون بعضها لمجرد أن في رواته من هو مطعون فيه، وإن كان الحديث الذي رواه مما يؤيده القرآن ويعضده المعقول. وخلاصة القول إن حفاظ الحديث كانوا في طريق جمعها وتدوينها ينظرون الى من قال لا الى ما قال.

سيرة ابن إسحاق:

ابن إسحاق هو شيخ الرواة وإمامهم، والذي كان بعد استثناء الزهري أول من دون السيرة النبوية بأمر الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور، فكان جميع الرواة بعده عيالا عليه في رواياتهم.

وابن إسحاق هذا كابن سيرين كان أبوه أو جده من سبي عين التمر فهو من الموالي فارسي الأصل. وقد تكلم الأولون فيه بما يكشف الستار عن شخصيته المريبة، ولكنهم رغم ذلك استمروا على الأخذ بأقواله والإعتماد على روايته.

قال ابن دحية: إن ابن إسحاق إذا ذكر الحديث مسندا لم يقبل منه فكيف إذا ذكره مقطوعا، وذلك لتجريح أهل العلم له، فقد قال كل من ابن المديني وابن معين: إن ابن إسحاق ليس بحجة، قالوا: ووصفه مالك بالكذب، وقال بعضهم: إنما طغى فيه مالك لأنه بلغه أنه قال: هاتوا حديث مالك فأنا طبيب بعلله، فعند ذلك قال مالك: وما ابن إسحاق إنما هو رجل من الدجاجلة أخرجناه من المدينة، وقال بعضهم: إن ابن إسحاق فقيه ثقه لكنه مدلس.

نقلنا لك هذه الأقوال من السيرة الحلبية (10) فيفهم منها أن ابن إسحاق كذاب وأنه من الدجاجلة وأنه أخرج من المدينة لكذبه. ومن الغريب أن يحيى بن سعيد شيخ الإمام مالك كان من جملة الذين يروون عن ابن إسحاق كما ذكر في السيرة الحلبية أيضا (11). فيلزم من هذا أن رواية الإمام مالك ملوثة أيضا بكذب ابن إسحاق الذي هو شيخ شيخه. وأغرب من هذا قول من قال: إنه فقيه ثقة لكنه مدلس، وما أدري كيف يكون المدلس ثقة، والتدليس (من الدلس كفلس معنى الخديعة) هو أن يكتم البائع عيب السلعة عن المشتري، فيكون التدليس في الحديث بكتمان المحدث مغامز الحديث بأن يريك الضعيف صحيحا والكذب صدقا ونحو ذلك، فأي ثقة تبقى بابن إسحاق إذا كان مدلسا. وإذا كان أهل الحديث في رواياتهم عيالا على ابن إسحاق فأي قيمة تبقى لهذه الأسانيد التي يعتمدون عليها في صحة الأحاديث.

هنا ينتهى كلام الأديب معروف الرصافى فى هذا الفصل .

معجزات للرسول

مع أن القرآن الذي أتى به محمد ينفي عنه المعجزات في آيات كثيرة صريحة إلا أن هذا لم يمنع لهو الرواة في نسب كل ما طاب لخيالهم من معجزات لمحمد. ونحن نورد هنا بعض من هذه المعجزات الوهمية كما جاءت في كتاب " معجزات النبي" لخليل إبراهيم على و" معجزات الرسول" للشيخ محمد متولي الشعراوي.

1 - وقوع الأصنام فى الكعبة:

كان حول البيت الحرام ستون وثلاثمائة صنم مثبتة الأرجل بالرصاص في الحجارة، فلما دخل رسول الله (ص) المسجد عام الفتح (بعد أن فتح مكة) جعل يشير بقضيب يشبه القوس في يده إليها، ولا يمسها ويقول : (جاء الحق وزهق الباطل، أن الباطل كان زهوقا).

فما أشار بالقضيب الى وجه صنم إلا وقع لقفاه، ولا لقفاه إلا وقع لوجهه. حتى ما بقى منها صنم في المسجد الحرام.

2 - كلام الحجر والشجر لرسول الله:

كان رسول الله (ص) اذا خرج لحاجته وأفضى. الى شعاب مكة وبطون أوديتها لا يمر (ص) بحجر ولا شجر إلا قال: السلام عليك يا رسول الله. فيتلفت رسول الله (ص) حوله. وعن يمينه وشماله وخلفه فلا يرى إلا الشجر والحجارة.

ومكث رسول الله (ص) كذلك يرى ويسمع ما شاء الله أن يمكث.

روى الترمذي عن الإمام على كرم الله وجهه قال: كنت أمشي مع النبي (ص) بمكة، فخرجنا بعض نواحيها. فما استقبله حجر ولا شجر إلا قال السلام عليك يا رسول الله.

وعن عائشة رضي الله عنها: قال رسول الله (ص) لما استقبلني جبريل بالرسالة جعلت لا أمر بحجر ولا شجر إلا قال السلام عليك يا رسول الله.

3 - تسبيح الطعام وتسبيح الحصا:

عن إبن مسعود قال: كنا نأكل مع رسول الله (ص) الطعام ونحن نسمع تسبيحه.

ولما مرض النبي أتاه جبريل بطبق فيه رمان وعنب فأكل منه النبي فسبح.

وقال أنس: أخذ النبي كفا من حصا فسبحن في يد رسول الله (ص) حتى سمعنا التسبيح ثم صب الحصا في يد أبي بكر رضي الله عنه، فسبحن، ثم في أيدينا فما سبحن.

وفي حديث آخر:

لقد صنع لرسول الله (ص) وأبو بكر رضي الله عنه حين قدما الى المدينة يوم الهجرة طعاما يكفيهما وحدهما. فقال (ص): أدع ثلاثين من أشرف الأنصار فدعاهم فأكلوا حتى شبعوا. ثم قال: أدع ستين، فأكلوا حتى شبعوا. ثم قال أدع سبعين فأكلوا حتى شبعوا. فلما رأوا هذه المعجزة أسلموا جميعا.

ولقد كان الصحابة يسمعون تسبيح الطعام بين يدي رسول الله (ص)، ويأكل المئات من قصعة تكفي رجلين أو ثلاثة. وبعد أن ينتهي الجميع من تناول الطعام يتبقى في القصعة طعام أكثر مما كان فيه. وكأن الطعام يمد بمدد من السماء.

4 - النبى يشبع الجموع (تشبها بالمسيح):

رسول الله (ص). كان ذاهبا لزيارة أحد الصحابة وهو أبو طلحة .. عندما سمع أبو طلحة صوت رسول الله عليه الصلاة والسلام وهو قادم إليه .. قال لزوجته أم سليم: لقد سمعت صوت رسول الله ضعيفا فعرفت فيه الجوع .. فهل عندك من شيء نقدمه له؟.. فقالت نعم. وأخرجت أقراصا من شعير ثم أخذت خمارا لها فلفت الخبز ببعضه .. ثم دسته تحت ثوبي وردتني ببعضه (أي جعلت بعضه رداء على الرأس).. ثم أرسلني الى رسول الله .. فذهبت به ووجدت رسول الله ومعه الناس.. فقمت عليهم فقال رسول الله (ص) أرسلك أبو طلحة فقلت نعم .. فقال رسول الله قوموا.. فانطلقوا وانطلقت بين أيديهم، حتى إذا جئت أبا طلحة فأخبرته فقال أبو طلحة يا أم سليم: لقد جاء رسول الله (ص) بالناس.. وليس عندنا ما نطعمهم.. فقالت الله ورسول اعلم.. فانطلق أبو طلحة حتى لقى رسول الله.. فأقبل رسول الله معه حتى دخل.. وقال رسول الله هلمي ما عندك يا أم سليم.. فأتت بذلك الخبز فأمر به رسول الله ففعلت.. وعصرت

عليه أم سليم عكة لها فأدمته.. ثم قال فيه رسول الله (ص) ما شاء له الله أن يقول.. ثم قال ائذن لعشرة فأذن لهم فأكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا.. ثم قال ائذن لعشرة فأذن لهم فأكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا.. ثم قال ائذن لعشرة فأذن لهم فأكلوا فشبعوا.. وهكذا أكل من القوم وشبعوا سبعون أو ثمانون رجلا.

5 - الشاه تدر اللبن:

لقد كانت البركة تلحقه (ص) أينما ذهب. ففي يوم الهجرة مسح رسول الله (ص) على ضرع شاة تملكها إمراءة يقال لها أم معبد، وكانت الشاة لا تدر لبنا. فمسح رسول الله بيده الشريفة على ضرعها. فامتلأ باللبن، فحلب وشرب هو وأبو بكر وملأ الإناء لتشرب منه المرأة!

6 - نبع الماء من بين أصابعه:

روي البخاري ومسلم عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال: عطش الناس يوم الحديبية. وكان رسول الله (ص) بين يديه إناء يتوضأ منه فأسرع الناس حوله وقالوا يا رسول الله ليس معنا ماء نتوضأ به أو نشربه إلا ما بين يديك. فوضع رسول الله (ص) يده في الإناء. فجعل الماء يفور من بين أصابعه كأمثال العيون!! فشربنا وتوضأنا .. قيل لجابر كم كنتم؟ قال كنا خمس عشرة مائة. ولو كنا مائة ألف لكفانا.

7 - أنين جزع النخلة:

روى الأئمة البخاري والترمذي وأحمد والشافي وغيرهم أن النبي (ص) كان يخطب مستندا الى جذع نخلة، فقد كان المسجد مسقوفا بالجريد. وكانت الجذوع له كالأعمدة. فقال تميم الداري: يا رسول الله هل لك أن نجعل لك منبرا تقوم عليه يوم الجمعة، فيسمع الناس خطبتك؟ فقال النبي (ص) : نعم.. فصنعوا له منبرا من ثلاث درجات. ولما كان يوم الجمعة صعد رسول الله (ص) المنبر فأن الجذع الذي كان يخطب عليه كما يئن من إصابه فقد أو مكروهّ!! فنزل رسول الله لما سمع أنين الجذع فمسحه بيده فسكن ثم رجع الى المنبر.

8 - الشجر يقبل على محمد:

سأل أعرابي النبي (ص) أن يريه آية تدل عل أنه رسول الله.. فقال رسول الله مشيرا الى شجرة قريبة: قل لتلك الشجرة رسول الله يدعوك، فدعاها فمالت الشجرة عن يمينها وعن شمالها وبين يديها وخلفها.. فتقطعت عروقها، ثم جاءت تشق الأرض تجر عروقها بغبرة. حتى وقفت بين يدي رسول الله (ص)، وقالت السلام عليك يا رسول الله.. فقال الأعرابي لرسول الله: مرها فلترجع الى منبتها.. فرجعت فدلت عروقها فاستوت. فقال الأعرابي: آمنت بالله وبرسوله وأعلن إسلامه.

9 - شفاء الجريح:

ذهب عبد الله بن عتيك مع أربعة رجال من الخزرج الى خيبر لمقتل أبي رافع الأعون سلام بن أبي الحقيق المحرك الأول لأمل خيبر على حرب المسلمين وتوجه الى بيت أبي رافع. واحتال على البواب حتى دخل البيت وقال لمن كانوا معه:

- انتظروني حتى أجيء إليكم. ودخل البيت، وصار يفتح الأبواب التي توصل الى أبي رافع وكلما فتح بابا أغلقه من الداخل. حتى انتهى إليه فإذا هو في بيت مظلم وسط عياله، فلم يمكنه تمييزه. فنادى: يا أبا رافع قال: من؟ فاتجه نحو الصوت وضربه بالسيف عدة مرات حتى قتله.

ثم خرج من البيت وكان نظره ضعيفا فوقع من فوق السلم فانكسرت رجله، فعصبها بعمامته ثم انطلق الى أصحابه وقال: النجاة!! قتل والله أبو رافع. فذهبوا الى الرسول فحدثوه بما حدث ثم قال لعبد الله: ابسط رجلك، فمسحها عليه السلام فكأنه لم يشتك منها قط وعادت أحسن مما كانت.

10 - جبل أحد يرتجف:

عن أنس: صعد النبي (ص) ومسلم وأبو بكر وعمر وعثمان أحدا (12) فرجف بهم (13) فقال: اثبت أحد فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان.

11 - إجابة الضب للمصطفى:

عمر أن رسول الله (ص) كان في محفل من أصحابه إذ جاء أعرابي قد صاد ضبا (14) فقال: من هذا؟

قالوا: نبي الله. فقال الأعرابي: واللات والعزى لا أؤمن بك حتى يؤمن هذا الضب وطرحه بين يدى رسول الله (ص) فقال النبي (ص) يا ضب فأجابه بلسان واضح يسمعه القوم جميعا: لبيك وسعديك يا زين من وافى القيامة. قال النبي: من تعبد؟

قال: الذي في السماء عرشه، وفي الأرض سلطانه، وفي البحر سبيله وفي الجنة رحمته وفي النار عقابه. قال النبي: فمن أنا؟. قال رسول رب العالمين، وخاتم النبيين، وقد أفلح من صدقك وخاب من كذبك.

فأسلم الأعرابي.

12 - البعير يشتكى لمحمد:

وعن معجزاته (ص) مع عالم الحيوان .. روى لنا الإمام أحمد عن يعلى بن مرة الثقفي رضى الله عنه قال: (بينما نحن نسير مع رسول الله (ص) في سفر مررنا ببعير يسقى أصحابه عليه.. فلما رأى البعير النبي أصدر صوتا عاليا،

فوقف النبي (ص) وقال أين صاحب البعير؟.. فجاء صاحبه.. فطلب منه (ص) أن يبيعه له.. فقال صاحب الجمل بل نهبُهُ لك يا رسول الله.. وأنه لأهل بيت ما لهم معيشة غيره (أي يستعينون به في حياتهم).. فقال النبي (ص) أما إذ ذكرت هذا من أمره فإنه شكا كثرة العمل وقلة العلف فأحسنوا إليه).

13- العصفور يشتكي أيضا لمحمد:

وإذا كنا سنتحدث عن رسول الله (ص) الرحمة للعالمين.. فإننا لا بد أن نذكر تلك الحُمرة (طائر صغير كالعصفور) التي أخذ بعض القوم بيضها من عشها.. فجاءت الى رسول الله (ص) تشكو.. فقال عليه السلام من فجع هذه بفرخيها؟.. قالوا نحن.. قال: ردوهما رحمة بها.

14 - الظبية تستنجد بمحمد:

وتلك الظبية التي مر بها رسول الله (ص) وهي مربوطة الى خباء أعرابي (مكان إقامته) فقالت يا رسول الله خلي عني حتى أذهب لأرضع خشفى (يعني أولادها والخشف مثل ولد الغزال).. ثم أرجع فتربطني .. فقال رسول الله (ص) أنت صيد قوم وربيطة قوم.. وحلها فما مكثت إلا قليلا حتى جاءت وقد نفضت ما في ضرعها (أي اختفى اللبن الذي كان يملأ الضرع) فربطها رسول الله وذهب الى أصحابه فاستوهبها منهم فوهبوها له فأطلقها.

15 - تراب محمد يعمى فتية قريش:

نذكر من بينها ساعة خروجه (ص) من بيته مهاجرا.. فقد أحاط ببيته فتية قريش أو أقوى فتيانها يحملون سيوفهم ليقتلوا سيد المرسلين. ولم يكن هناك - بأسباب الدنيا - نجاة من الخطر. فالرسول داخل بيته، وهؤلاء الفتية يحيطون بالبيت.. ولكن الله سبحانه وتعالى أخذ النور من عيونهم ساعة خروج الرسول (ص) .. فلم تعد عيونهم ترى شيئا ويخرج الرسول ويمسك حفنة من التراب ويلقيها عليهم وهو يقول شاهت الوجوه وهم لا يتحركون.. بل كأنهم قد سلبت منهم الحياة.

16- فرسة سراقة تسيخ في الرمال:

ومن معجزات يوم الهجرة أنه عندما هاجر النبي (ص) هو وأبو بكر الصديق سرا.. جن جنون قريش فأرسلت مناديا ينادي في قبائل البدو أن من يظفر بمحمد وصاحبه ويعود بهما الى مكة سننعطيه مائتين من النوق الحوامل.

وطمع سراقة بن مالك وكان فارسا قويا، في الحصول على هذه الجائزة، فركب فرسه وانطلق يرد اللحاق بالنبي وصاحبه.. وحين رآهما واقترب منهما ساخت فرسه في الرمال الى ركبتيها (أي غاصت أرجلها في الرمال حتى ركبتيها) فسقط عنها .. وحاول أن ينهضها فساخت مرة آخرى.. فاستغاث سراقة بمن كان يريد قتله (!!) استغاث بالنبي (ص) فنهضت فرسه.

لكن سراقة لم يفارقه طمعه في الثروة بعد النجاة!! فحاول اللحاق بالنبي وصاحبه.. فساخت فرسه مرة أخرى، فاستغاث برسول الله (ص) .. وكرر المحاولة للمرة الثالثة فحدث نفس الشيء!! حينئذ عرف أن الله يحفظ رسوله. فمشى الى رسول الله (ص) وعرض سراقة عليه أن يأخذ من ماله ما شاء .. ولكنه رفض.. فقال يا رسول الله سأرجع من حيث أتيت.. وأريد أن تكتب لي كتاب أمان.. فكتب له رسول الله كتابا ثم قال له: كيف أنت يا سراقة اذا لبست سواري كسرى؟ (أي ما كان يلبسه في يديه).. فقال سراقة كسرى بن هرمز؟.. قال النبي نعم..

ومرت الأيام وجاء عهد عمر بن الخطاب .. وانتصر المسلمون على الفرس، وفر كسرى هاربا.. تاركا كل ما في قصره من كنوز بينها سواري كسرى ..ولما جيء بالغنائم الى عمر بن الخطاب وكان سراقة جالسا عنده فألبسه عمر السوارين.. وعندئذ تذكر سراقة ما قاله رسول الله (ص) ففاضت عيناه بالدموع.

17- نسيج العنكبوت وبيض الحمامة:

وفي غار حراء والرسول مهاجر الى المدينة.. وصل الكفار الى باب الغار.. وقال قصاص الأثر: إن آثار الأقدامهم قد انتهت هنا.. (أي عند مدخل الغار).. وقال أبو بكر رضى الله عنه.. لو نظر أحدهم الى موضع قدميه لرآنا.. ولكن رسول الله (ص) قال له: ما ظنك يا أبا بكر باثنين الله ثالثهم.

لم يدخل الكفار الى الغار بعدما رأوا نسيج العنكبوت وبيض الحمامة على المدخل. ولأن هذا دليل على عدم دخول وخروج أحد من الغار.

(واضح وضوح الشمس أن هذا هراء لأن أسماء بنت أبي بكر كانت تذهب بالطعام الى محمد وأبيها داخل الغار فكيف يأتي هذا مع نسيج العنكبوت؟!).

18- محمد يمسك بالجن في المسجد:

عندما رأى رسول الله (ص) .. وهو ذاهب الى المسجد شيطانا من الجن.. وأمسك به رسول الله .. وكاد يربطه الى سارية المسجد ليتفرج عليه الغلمان.. ولكنه قال تذكرت دعوة أخي سليمان: رب هب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي فأطلقته.

وهكذا ترى أدب رسول الله (ص).. وكيف أنه على خلق عظيم.. وكيف أنه احترم دعوة سليمان عليه السلام.

الهوامش

(1) العنكبوت: 50.
(2) الإسراء: 90 - 93.
(3) الإسراء: 93.
(4) الإسراء: 59.
(5) القصص: 48.
(6) القسس: 48.
(7) السيرة الحلبية، 278/3 - 296.
(8) الإعراب: 158.
(9) الأنفال: 17، الفتح: 10.
(10) السيرة الحلبية، 183/2.
(11) السيرة الحلبية، 183/2.
(12) أحدا: جبل أحد.
(13) رجف بهم: اضطرب بهم واهتز.
(14) ضبا: نوعا من دواب الصحاري.

27 ـ نبوات عن محمد فى العهد القديم

يعتقد أصدقاؤنا المسلمون أن هناك نبوات عن محمد في التوراة . فيما يلي بعض آيات التوراة التي يشيرون إليها وردودنا عليها :

أ- تثنية 18: 15- 18

" يقيم لك الرب إلهك نبيا من وسطك من إخوتك مثلي. له تسمعون حسب كل ما طلبت من الرب إلهك في حوريب يوم الإجتماع قائلا لا أعود أسمع صوت الرب إلهي ولا أرى هذه النار العظيمة أيضا لئلا أموت. قال لي الرب " قد أحسنوا في ما تكلموا أقيم لهم نبيا من وسط إخوتهم مثلك وأجعل كلامي في فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه به".
يعتقد بعض المسلمين أن هذه نبوة عن محمد كما في الآية 157 من سورة الأعراف. هذه لا يمكن أن تكون نبوة عن محمد لعدة أسباب :

1- " أخوته " معناها " اليهود " بدليل الآية 2 من نفس الإصحاح (اصحاح 18) " فلا يكون له نصيب في وسط إخوته ..." والكلام هنا عن سبط لاوي.

2- إذا كان الكلام عن غير إخوة من أسباط اسرائيل الأخرى ، لماذا يقيم الرب لليهود نبيا من خارج أسباطهم بل ومن أعدائهم

3- حتى ملوك اسرائيل كانوا كلهم من اليهود. انظر الإصحاح السابق مباشرة "فإنك تجعل عليك ملكا الذي يختاره الرب إلهك من وسط إخوتك تجعل عليك ملكا لا يحل لك أن تجعل عليك رجلا أجنبيا ليس هو أخاك" (تثنية 15:17). لم يكن لليهود ملكا من غير اليهود بطول تاريخهم كله.

4- نقرأ في تكوين 17:18- 19 "وقال ابراهيم لله: " ليت اسمعيل يعيش أمامك". فقال الله :" بل سارة امرأتك تلد لك ابنا وتدعوا اسمه إسحق وأقيم عهدي معه عهدا أبديا لنسله من بعده". محمد باعتراف المسلمين من نسل اسماعيل وليس من نسل إسحق، وبالتالي فإن عهد الله الأبدي ليس له.

5- الحديث في تثنية 15:18- 18 ينطبق تماما على المسيح:

- فهو من سبط يهوذا وهو الذي قال "لأني لم أتكلم من نفسي لكن الرب الذي أرسلني هو أعطاني وصية ماذا أقول وبماذا أتكلم" (يوحنا 49:12)

- وهو نبي. انظر متى 13: 57 ومتى 11:21 ويوحنا 44:4

- وهو مثل موسى لأنه عاين الله وجها لوجه وأيده الله بالآيات والمعجزات مثله. وهذا لا ينطبق على محمد

6- نقرأ في تثنية 10:34- 12 " ولم يقم بعد نبي في اسرائيل مثل موسى الذي عرفه الرب وجها لوجه في جميع الآيات والعجائب التي أرسله الرب ليعملها في أرض مصر بفرعون وبجميع عبيده وكل أرضه وفي كل اليد الشديدة وكل المخاوف العظيمة التي صنعها موسى أمام أعين جميع اسرائيل".

واضح من الآيات السابقة التي يختتم بها سفر التثنية آخر أسفار موسى الخمسة أن مواصفات النبي الذي يكون مثل موسى تشمل معرفة الرب وجها لوجه والتأييد بالآيات والعجائب.

ونقرأ في صورة القصص " فلما جاءكم الحق من عندنا قالوا لولا أوتي مثل ما أوتي موسى أو لم يكفروا بما أوتي موسى من قبل قالوا سحران يظهر. (قصص 47)

يتضح من هذه الآية أن المشركين كانوا يتوقعون أن يجري محمد آيات وعجائب مثل موسى ولكنه لم يستطع وتذرع بأنه ليس إلا بشير ونذير. كيف إذا يكون محمد مثل موسى؟

7- في سفر أعمال الرسل 22:3 يقول بطرس الرسول مشيرا إلى المسيح " فإن موسى قال للآباء إن نبيا مثلي سيقيم لكم الرب من إخوتكم له تسمعون في كل ما يكلمكم به" .

8- في إنجيل يوحنا 46:5 يقول المسيح " لأنكم لو كنتم تصدقون موسى لكنتم تصدقونني لأنه هو كتب عني".

9- في سفر أعمال الرسل 37:7 يقول استفانوس عن المسيح "هذا هو موسى الذي قال لبني اسرائيل نبيا مثلي سيقيم لكم الرب إلهكم من إخوتكم له تسمعون".

10- في إنجيل لوقا 27:24 نقرأ عن المسيح " ثم ابتدأ من موسى ومن جميع الأنبياء يفسر لهم الأمور المختصة به في جميع الكتب".

11- في إنجيل يوحنا 46:6 يتحدث المسيح عن نفسه ويقول " ليس أن أحدا رأى الآب إلا الذي من الله هذا قد رأى الآب". لا يستطيع أحد أن يدعي أن محمدا رأى الآب.

ب- تثنية 2:33

"جاء الرب من سيناء وأشرق لهم من سعير وتلألأ من جبل فاران".
يقول بعض أصدقائنا من المسلمين أن هذا العدد يتحدث عن ثلاث زيارات للرب واحدة من سيناء لموسى والثانية من سعير للمسيح والثالثة من فاران لمحمد. وللرد نقول:

أولا: عن فلسطين مئات الأميال.

ثانيا: فاران في شمال شرق سيناء قرب جنوب فلسطين وتبعد عن مكة مئات الأميال.

ثالثا: العدد يتحدث عن مجئ الرب ومجئ الرب يكون بعشرة آلاف ملاك وليس عشرة آلاف جندي يحمل سيفا في يده.

رابعا: هذا العدد يأتي ضمن اصحاح كامل يبارك فيه موسى كل أسباط اسرائيل ، فكيف يحتوي على تنبؤ عن أعداء اليهود الذين سوف ينصبون لهم المجازر في يثرب ويسبوا نساءهم وأطفالهم.

جـ- حبقوق 3:3

" الله جاء من تيمان والقدوس من جبل فاران جلاله غطى السموات والأرض امتلأت من تسبيحه".
هذه ليست نبوة عن محمد للأسباب الآتية:

1- فاران تبعد مئات الأميال عن مكة.

2- الآية تقول جلاله غطى السموات والأرض. واضح جدا أن الكلام هنا عن الله وليس عن إنسان. فهل محمد هو الله؟

د - مزمور 45:3-5

" تقلد سيفك على فخذك أيها الجبار جلالك وبهاؤك وبجلالك اقتحم اركب من أجل الحق والدعة والبر فتريك يمينك مخاوف نبلك المسنونة في قلب أعداء الملك . تحتك يسقطون".
لأن محمد هو نبي السيف يعتقد بعض أصدقائنا من المسلمين بأن هذه الأعداد تتنبأ عن محمد. وللرد نقول أن العدد التالي مباشرة (عدد 6) يوضح أن المخاطب هنا هو الله إذ يقول "كرسيك يا الله إلى دهر الدهور قضيب استقامة قضيب ملكك" لا أعتقد أن هناك مسلم عاقل يؤمن بأن محمد هو الله.
عدد 6 هذا يتحدث بوضوح كامل عن المسيح إذا قارناه بعدد 8 من الإصحاح الأول للرسالة إلى العبرانيين الذي يقول :" وأما عن الابن كرسيك يا الله إلى دهر الدهور. قضيب استقامة قضيب ملكك".

هـ - اشعياء 21:7

" فرأى ركابا أزواج فرسان ركاب حمير ركاب جمال فأصغى إصغاءا شديدا".

يعتقد بعض أصدقائنا المسلمين أن ركاب حمير إشارة إلى المسيح وركاب جمال إشارة إلى محمد. للرد نقول أن هذا الجزء من الكتاب يتحدث عن سقوط بابل كما هو واضح من عدد 9 الذي يقول:"... سقطت سقطت بابل وجميع تماثيل آلهتها المنحوتة كسرها إلى الأرض". الإشارة إلى الفرسان والحمير والجمال هو لبيان الوسائل المتعددة لانتشار خبر سقوط بابل . ليس في هذا أي إشارة إلى موسى أو المسيح أو محمد.

و- متى 3:11

" أنا أعمدكم بماء التوبة ولكن الذي يأتي بعدي هو أقوى مني الذي لست أهلا أن أحل سيور حذاءه هو سيعمدكم بالروح القدس ونار".
يعتقد بعض أصدقائنا المسلمين أن يوحنا المعمدان لا يشير هنا إلى المسيح لأن المسيح كان معاصرا ليوحنا. وبالتالي فإنه يشير إلى نبي آخر يأتي بعد المسيح وهو محمد. وللرد نقول:

أولا: المعمدان قال عن نفسه أنه " صوت صارخ في البرية أعدوا طريق الرب" في عدد 3 من نفس الإصحاح. وذلك لأن مهمته إعداد الطريق لإرسالية المسيح الكبرى.

ثانيا: نهاية عدد 3 تقول "هو سيعمدكم بالروح القدس ونار". لا يعتقد مؤمن عاقل أن محمد عمد أحدا.
ثالثا : العدد التالي مباشرة (عدد 12) يقول: "الذي رفشه بيده وسينقي بيدره ويجمع قمحه إلى المخزن وأما التبن فسيحرقه بنار لا تطفأ". وهذا إشارة لمجئ المسيح الثاني ليدين الأحياء والأموات وهو ما يعترف به القرآن. طبعا هذه ليست نبوة عن محمد.

28 ـ الفارقليط صلعم:

يدعي بعض المسلمين في جدالهم مع المسيحيين أن الفارقليط " أي الروح القدس" الوارد ذكره في إنجيل يوحنا هو "محمد" ويشيرون إلى بعض الآيات الكتابية التي أبرزها:

" إن كنتم تحبونني فاحفظوا وصاياي وأنا أطلب من الآب فيعطيكم معزيا (فارقليطا) آخر ليمكث معكم إلى الأبد، روح الحق الذي لا يستطيع العالم أن يقبله لأنه لا يراه ولا يعرفه وأما أنتم فتعرفونه لأنه ماكث معكم ويكون فيكم" (يوحنا 14:15-17).

" بهذا كلمتكم وأنا عندكم، وأما المعزي (الفارقليط) الروح القدس الذي سيرسله الآب باسمي فهو يعلمكم كل شئ ويذكركم بكل ما قلته لكم". (يوحنا 14:25-26).

" ومتى جاء المعزي (الفارقليط) الذي سأرسله أنا إليكم من الآب، روح الحق الذي من عند الآب فهو يشهد لي، وتشهدون أنتم أيضا لأنكم معي مـن الإبتداء". (يوحنا 15:26-27).

" ولكني أقول الحق إنه خير لكم أن أنطلق لأنه إن لم أنطلق لا يأتيكم المعزي (الفارقليط). ولكن إن ذهبت أرسله إليكم" (يوحنا 16:7).

وقد تناول علماء المسلمين من قدامى ومحدثين وعلى رأسهم إبن تيمية في كتابه " الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح"، وإبن قيم الجوزية في كتابه "هداية الحيارى في الرد على اليهود والنصارى". هذه الآيات بالدراسة زاعمين أن المعزي (الفارقليط) هو محمد، وأن الماكث معهم إلى الأبد هي الرسالة الإسلامية التي لا تنسخ ولا سيما أنها حسب رأيهم، آخر الرسالات وأكملها.

فكان لا بد، والحالة هذه، وخدمة للحقيقة الإلهية، وتصحيحا لمسار خاطئ غلب على عقول المسلمين الذين تواترت إليهم هذه التأويلات أن أعرض لهذا الموضع كما نصت عليه أسفار الكتاب المقدس ولا سيما الأناجيل، لعلني أسعف أصحاب العقول المتطلعة إلى المعرفة اليقينية على اكتشاف الحقيقة. إن مثل هذه المزاعم تتجاهل بعض الحقائق الهامة، التي لا بد في ظني أن نعرض لها لنسترعي انتباه القراء المسلمين الذين لم يطلعوا على وجهات النظر المسيحية، وإنما اقتفوا من غير تبصر خطى علمائهم المسلمين الذين أخفقوا في إدراك المعاني الحقيقة لهذه الآيات البينات، في محاولة فاشلة منهم للبرهنة عن أن الكتاب المقدس قد تنبأ حقا عن مجئ "محمد". وكان الغرض الأساسي من هذا التأكيد هو إضفاء صفة الشرعية على مؤسس الإسلام كأحد الأنبياء أولي العزم، وعلى صحة نبوته ورسالته في عيون أهل الكتاب. وسنحاول في هذه الدراسة الموجزة أن نثبت بطلان هذه الدعوة، ليس على أساس عاطفي أو تهجمي، إنما بإيراد الحقائق الكتابية الصادقة.

هناك ثلاثة دواع رئيسية فرضت على علماء المسلمين المجاهرة بمثل هذه المزاعم والتأكيد على أن الكتاب المقدس قد تنبأ بمجئ محمد.

أولا: لأن سورة الصف (6:61) تدعي أن محمد قد ذكر اسمه في الإنجيل، وزعموا أن عيسى ابن مريم قد قال:

" وإذ قال عيسى ابن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقا بما يدي من التوراة ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد فلما جاءهم بالبينت قالوا هذا سحر مبين.

ثانيا: إن المسلمين يؤمنون بأن كلا من الكتاب المقدس والقرآن يقران بمجئ المسيح. فالعهد القديم يكتظ بالنبوات الصارخة عن مجئ المسيح والتي تحققت بحذافيرها في العهد الجديد، كما نصت عليه الأناجيل ورسائل الرسل، فكان هذا التحقيق أبلغ شاهد على صحة الكتاب المقدس. والقرآن نفسه يشهد بأبلغ بيان لمجئ المسيح ورسالته، وإن كان ينفي صفته اللاهوتية. غير أن اليهود أو المسيحيين ينكرون وجود نبوءة واحدة أو حتى عبارة ما في التوراة أو الإنجيل تنبئ بمجئ محمد أو تشير من بعيد أو قريب إلى رسالته. لهذا أكب العلماء المسلمون بكل اجتهاد على البحث بين أسفار الكتاب المقدس لعلهم يعثرون على أية نبوءة تصادق على دعواهم وتضفي صفة الشرعية على نبوءة محمد في عيون أهل الكتاب.

ثالثا: إذا صح وجود مثل هذه النبوات، يضحى من الواجب على اليهود والنصارى آن يذعنوا لرسالة محمد ويعترفوا به نبيا بل عليهم أن يعتنقوا الإسلام دينا من حيث هو، كما يدعون، آخر الإعلانات الإلهية وأكملها وأفضلها لصالح الجنس البشري.

عندما نتأمل في الآيات المذكورة أعلاه لا بد لنا أن نتوقف عند بعض المصطلحات والعبارات التي من شأنها أن تلقي أضواء على بعض هذه القضايا لأنها ترتبط ارتباطا وثيقا بطبيعة البحث، ولأن وجودها أساسي في تفنيد ادعاءات العلماء المسلمين ومزاعمهم.

أولا: إن اصطلاحي **"الآب"** و **"الأبوة"** المعزوين إلى الله عرضة لاستنكار المسلمين. **" فالآب"** هو الأقنوم الأول من الثالوث الإلهي، وهو أمر مرفوض في اللاهوت الإسلامي، ومن التجديف أن ندعو الله **"بالآب"**. أما المسيح **الكلمة** ***Logos*** فهو الأقنوم الثاني من هذا الثالوث كما هو، في الوقت نفسه ابن الإنسان، **"والإبن"** هذا هو الذي طلب من الآب أن يرسل **(الفارقليط)** أي الروح القدس الذي يشكل الأقنوم الثالث من الثالوث الأقدس.

ثانيا: تعني لفظة (**الفارقليط**) : المعزي، المعين، المدافع، المشير، وليس " محمدا" كما يزعم العلماء المسلمون. إن العبارة الواردة في يوحنا 15:14 " وسيعطيكم (فارقليطا) معزيا آخر" تتضمن حقيقة ذات مغزى لأننا إذا إفترضنا جدلا أن معناها "محمد" فإن ذلك يولد مشكلة خطيرة للمسلمين، أو كما يقول جلكرست:

إن كان المسيح كما يزعم المسلمون قد أنبأ بمجئ محمد بذكر ذات اسمه، فإن الآية (حسب التفسير القرآنى) القرآنية يجب أن تقرأ : "وأنا أطلب من الآب أن يعطيكم (محمدا) آخر".

إن مثل هذا التأويل يتعارض مع العقيدة الإسلامية لأنه يدعو إلى وجود "محمدين" سبق أحدهما الآخر، وهو أمر يستنكره المسلمون أشد الإستنكار.

ثالثا: وعلى نقيض التفسير الإسلامي الشائع، فإن هذه الآيات تتفق كليا مع المفهوم المسيحي لعقيدة الروح القدس. فالمسيح إبان حياته الأرضية كان المعزي الأول الذي شجع قلوب حوارييه وملأها بسلامه. ولكن بعد صعوده إلى السماء أرسل إليهم (الفارقليط) الروح القدس ليعزيهم ويمكث معهم إلى الأبد. فلو كان (الفارقليط) هو "محمد" حقا لتوجب عليه أن يمكث في الحواريين إلى الأبد، وهو أمر لم يحدث قط. وإذا فرضنا أن هذه العبارة تشير إلى الرسالة الإسلامية، فإن ذلك يعني أن الكنيسة المسيحية ظلت من غير (فارقليط) منذ أيام المسيح حتى ظهور الإسلام والدعوة الإسلامية. أضف إلى ذلك أن الكنيسة المسيحية لم تعترف في يوم من الأيام بصدق نبوة محمد أو صحة دعوته. ومن الجدير بالذكر هنا أنه لو كان محمد هو (الفارقليط) لاقتضى على الكنيسة أن تؤمن به حتى لو رفضه العالم كله، لأن الآية تقول:

"... روح الحق الذي لا يستطيع العالم أن يقبله لأنه لا يراه ولا يعرفه؛ وأما أنتم فتعرفونه لأنه ماكث معكم ويكون فيكم". (يوحنا 17:14)

والواقع أن هذا الأمر لم يحدث في تاريخ الكنيسة.

رابعا: خاطب السيد المسيح في الآيات المذكورة أعلاه حوارييه، فقد كان يعالج مشكلات آتية كان حواريوه يتعرضون لها في حقبة هي من أشد حقب تأسيس الكنيسة صعوبة وضيقا. واجه الحواريون بعد صعود السيد المسيح إلى السماء ظروفا مستجدة إذ وجدوا أنفسهم طائفة فقيرة، ضعيفة منبوذة في مجتمع عدائي، فكانوا أحوج ما يكون إلى معز (فارقليط) يشدد عزائمهم في أثناء أيام الإضطهاد الحالكة. لهذا، فقد وقف بطرس الرسول في "يوم الخمسين" بعد أن امتلأ من الروح القدس (الفارقليط) وهتف في وسط الجماهير المحتشدة:

" وإذ إرتفع (السيد المسيح) بيمين الله وأخذ موعد الروح القدس (الفارقليط) من الآب سكب هذا الذي أنتم تبصرونه وتسمعونه". (سفر أعمال الرسل 33:2).

فهل كان محمد هو الروح القدس الذي سكبه السيد المسيح على حوارييه في يوم الخمسين؟

خامسا: نقرأ في (يوحنا 15:26-27) عن (الفارقليط)، كما ورد على لسان السيد المسيح:

"... فهو يشهد لي وتشهدون أنتم أيضا لأنكم معي من الإبتداء"

وهذه العبارة لها مغزاها الهام لأننا نرى هنا أن (الفارقليط) يشهد للسيد المسيح ولكل ما صدر عنه من قول وفعل ومن جملتها عقيدة ألوهيته، وموته، وقيامته، وذلك لأن (الفارقليط)، أي الروح القدس كان مع الكلمة *Logos* منذ الأزل من حيث هو الأقنوم الثاني من الثالوث الأقدس. كذلك يشهد الحواريون أيضا للسيد المسيح لأنهم كانوا معه من بداية خدمته الأرضية. وهكذا فإن السماء والأرض تشهدان للسيد المسيح. ومن هنا نرى أن (الفارقليط) هو حقا الروح القدس ولا يمكن أن يكون محمدا لأن محمدا لم يكن مع الآب والكلمة *Logos* منذ الأزل.

يقول ر . ف . تاسكر:

على الرغم من عداوة العالم فإن شهادة الحق كما تجسدت في المسيح ستستمر معلنة كما كانت بعد صعوده، عن طريق المعزي (الفارقليط) الذي أرسله الآب بطلب من المسيح المقام ، وعن طريق الرسل أيضا الذين كانوا مع يسوع منذ بدء خدمته. إن شهادة المعزي (الفارقليط) وشهادة الرسل هما في الواقع شهادة واحدة. وشهادة شهود العيان على خدمة يسوع التي أعلنت بوحي من الروح القدس لها أهمية عظمى ودائمة، لأن الرسل هم الصلة الوحيدة بين المؤمنين اللاحقين والمسيح التاريخي. إذا أصبح من واجب المعزي الأساسي أن لا يدع الإضطهادات والمقاومات تعيق هذه الشهادة.

سادسا: نجد في الآيات الأربع المقتبسة في مستهل هذه الدراسة أن مصطلحات " المعزي" و "الروح القدس"، و "روح الحق" قد استخدمت بصورة تبادلية في سياق أحاديث السيد المسيح وتعاليمه ، ومن الواضح أنه كان يتكلم عن كائن واحد مستخدما مصطلحات مختلفة وكلها تشير إلى نفس الشخص (الفارقليط). ومن البين أن (الفارقليط) لم يكن كائنا بشريا بل روحا مع أن السيد المسيح قد استخدم صيغة المذكر في كل مرة أشار فيها إلى "الروح القدس" (الفارقليط) . ولم يكن هذا بالأمر الغريب، فإن الأسفار المقدسة والقرآن نفسه قد أشارت جميعها إلى الله بصيغة المذكر في كل مرة ورد اسمه في سياق النص، علما أن الله كما هو واضح من الكتب المقدسة هو روح وليس كيانا ماديا.

ولكن كل ما أشرنا إليه سابقا ليس سوى لمحة عابرة عن الحقيقة كم تجلت بكل وضوح في كتاب الله الصادق الأمين. ولكي تكتمل الصورة في أذهاننا ونستوعب طبيعة (الفارقليط) أي الروح القدس، لا بد لنا عن البحث في أصل هذه الكلمة كما وردت في النص الإنجيلي، لاستكشاف ما هي وظائف الروح القدس كما أثبتها السيد المسيح نفسه.

تعود هذه اللفظة *Paracletos* في أصلها إلى اليونانية كما كانت شائعة في عصر السيد المسيح وحوارييه. وقد وردت في جميع مخطوطات إنجيل يوحنا السابقة لظهور الإسلام بقرون على هذه الصيغة، ومعناها: المعزي، المشير، المدافع، وطبعا الروح القدس، وروح الحق، وليس كما يدعي المسلمون أنها وردت على صيغة *Periklutos* ومعناها: الشهير، المعروف، المحمود، المجيد، النبيل، الممتاز. (راجع *The Classic Greek Dictionary by George R. Berry Published by Follet Publishing Co. - Chicago II. 1956*)

أي أن هذه اللفظة هي صفة ولم تستخدم قط كإسم علم . بمعنى آخر أنها لا يمكن أن تكون إسما لعلم كما عربها المسلمون وزعموا أنها تشير إلى صاحب الدعوة الإسلامية . فهي ليست "أحمد" وليست "محمد" أو "محمود" كإسم علم بل صيغة صفة كقولنا رجل شهير أو معروف أو محمود الخصال. ثم لو صح أنها إسم لعلم فإن "أحمد" ليس "محمدا" لأنك إن ناديت " أحمد" لن يجيبك "محمد" بل من اسمه "أحمد" مع أنهما مشتقان من نفس الجذر. فعملية التعريب التي قام بها المسلمون حين استخدموا لفظة *Periklutos* بدلا من اللفظة الحقيقية *Paracletos* هي إقحام وانتحال واحتيال على اللغة، الهدف منها تأصيل نبوة محمد بالإستناد إلى نبوات كتابية كما يدعون. إن القول أن " أحمد" هو "محمد" عملية إنتحالية. لأن تحويل " أحمد" إلى "محمد" لا مبرر لغوي له. كما أنه لا أصل له في لفظة *Paracletos* التي استخدمها السيد المسيح في مختلف إشاراته إلى الروح القدس. ونحن في الواقع نربأ بأصحاب العقول المفكرة من أصدقائنا المسلمين أن يعصف بهم التعصب فيغشي رؤياهم ويحول بينهم وبين الوقوف عند الحق الإلهي. ونود هنا أن أؤكد لكل المسلمين قاطبة أن لفظة *Periklutos* هذه لم ترد في أية مخطوطة من مخطوطات العهد الجديد في أي عصر من العصور السابقة لظهور الإسلام أو التالية له. هذه حقيقة على جميع علماء المسلمين أن يدركوها ويفوها حقها من البحث والدرس، بل إننا نحث المتشككين منهم أن يعنوا بدراسة المخطوطات القديمة. للإطلاع على صحة هذه الوثائق بأنفسهم شأن الباحثين المدققين من العلماء المخلصين. إن (الفارقليط) كما أشار إليه إنجيل يوحنا ، هو الروح القدس أي الأقنوم الثالث من الثالوث الأقدس، ولم يحدث قط أن زعم محمد أنه هو الروح القدس، لأن الروح القدس طبقا للنص القرآني والحديث هو الملاك جبرائيل حامل الوحي ومن حيث أن مصطلحات معز، ومعين، ومشير، والروح القدس، قد استخدمت بصورة تبادلية في النصوص الإنجيلية كما أشرنا سابقا، أصبح لزاما علينا أن نقتبس أهم الآيات التي تبرز لنا بوضوح وظائف (الفارقليط) لنرى إن كانت هذه الوظائف تنطبق على شخص محمد.

<u>في ميلاد المسيح</u>

قال الملاك لمريم العذراء :

" الروح القدس (الفارقليط) يحل عليك وقوة العلي تظللك فكذلك المولود منك يدعي إبن الله". (لوقا 34:1).

لنقرأ هذه الآية كما يريدنا المسلمون أن نقرأها:

" المحمد يحل عليك وقوة العلي إلخ ..."

أكان "محمد" هو الذي حل على مريم فحبلت بالسيد المسيح، وكان المولود منها إبن الله؟ وهل مثل هذا الكلام مما يقبله العقل ويتفق مع ما نعرفه من الحقائق التاريخية الموثوق بها، فمحمد لم يكن في عالم الوجود في زمن مولد السيد المسيح أو حين حل الروح القدس على مريم، حتى لو طبقنا لفظة *Periklutos* وليس *Paracletos* على الآية عينها.

<u>معمودية يسوع</u>

عندما شاهد يوحنا المعمدان (يحيى) يسوع المسيح مقبلا إليه من بعيد هتف في وسط الجماهير التي ازدحمت حوله على شاطئ الأردن.

"أنا أعمدكم بماء للتوبة ولكن الذي يأتي بعدي هو أقوى مني الذي لست أهلا أن أحمل حذاءه هو سيعمدكم بالروح القدس (الفارقليط) ونار". (متى 11:3 ؛ مرقس 8:1 ؛ لوقا 16:3)؛ راجع أيضا (يوحنا 1:29-34).

فلو استبدلنا لفظة (الفارقليط) الواردة في الآية بلفظة "المحمد" أو "المحمود" أو "أحمد" أي *Periklutos* ، فإن نص الآية يكون:

"هو سيعمدكم "بالمحمد" أو "المحمود" أو "أحمد" ونار إلخ.

فهل لمثل هذه العبارة، مهما حاولنا أن نتلاعب في تأويلها أي معنى منطقي؟ أو لا يتناقض هذا الكلام مع العقيدة الإسلامية ذاتها والتعاليم القرآنية؟

ونقرأ أيضا في إنجيل (لوقا 22:2) في سياق معمودية السيد المسيح:

"ونزل عليه الروح القدس (الفارقليط) بهيئة جسمية مثل حمامة وكان صوت من السماء قائلا: أنت ابني الحبيب بك سررت" .

لنستبدل مرة أخرى لفظة الروح القدس (الفارقليط) باسم "المحمد" أو "المحمود" أو "أحمد" ونقرأ:

" ونزل عليه " المحمد" أو "المحمود" أو " أحمد" بهيئة جسمية مثل حمامة ..."

إن أي طالب لاهوت أو دارس للدين غير متحيز يجد أن مثل هذا التفسير مخالف للمنطق، ولا سيما أن معمودية السيد المسيح حدثت قبل ظهور محمد بخمسة قرون تقريبا ، لهذا يتعذر على ذوي العقول النيرة أن يتقبلوا مثل هذا التعليل.

إمتلأ يسوع بالروح القدس

ورد في إنجيل لوقا 1:4

" أما يسوع فرجع من الأردن ممتلئا من الروح القدس (الفارقليط)"

لنحاول أن نقرأ هذه الآية على ضوء المعطيات الإسلامية

" أما يسوع فرجع من الأردن ممتلئا من "المحمد" أو "المحمود" أو "أحمد" ..."واحكم بنفسك إن كان مثل هذا التأويل يصح في تفسير هذه الآية. ويمكن أن يقال الشئ نفسه عن الشهيد استفانوس في لحظات حياته الأخيرة:

" أما هو فشخص إلى السماء وهو ممتلئ من الروح القدس (الفارقليط)" (أعمال الرسل 55:7).

ويؤكد لنا الكتاب المقدس أيضا أن يوحنا المعمدان "يحيى" كان ممتلئا من الروح القدس (الفارقليط) من بطن أمه (يوحنا 15:1) فهل كان يوحنا المعمدان ممتلئا من "المحمد" أو "المحمود" أو "أحمد" ؟ إن أي إنسان يتمتع بعقل سليم لا يمكنه أن يؤول هذه الآيات تأويلات غير معقولة كما يدعو إليها أصدقاؤنا المسلمون.

في يوم الخمسين

نقرأ في سفر الأعمال 8:1 أن السيد المسيح قد قال لحوارييه

" لكنكم ستنالون قوة متى حل الروح القدس (الفارقليط) عليكم وتكونون شهودا لي في أورشليم وفي كل اليهودية والسامرة وإلى أقصى الأرض

لنتابع إستبدال لفظة فارقليط باسم "المحمد" أو "المحمود" أو "أحمد" ونقرأ:

" لكنكم ستنالون قوة متى حل "المحمد" أو "المحمود" أو "أحمد" عليكم ..."

هل حل "محمد" حقا على حواريي السيد المسيح في يوم الخمسين؟ وهل هو روح القوة الإلهية الذي وعد به السيد المسيح حوارييه قبل صعوده؟

تذكر يا قارئي العزيز أن السيد المسيح كان يخاطب آنئذ حوارييه الذين عاشوا قبل مولد محمد بما يزيد عن خمسة قرون، فأية صلة هنا بين هذا الفارقليط الذي حل عليهم وبين محمد؟

ونقرأ أيضا في نفس الإنجيل:

" وامتلأ الجميع من الروح القدس (الفارقليط) وابتدأوا يتكلمون بألسنة أخرى كما أعطاهم الروح أن ينطقوا" (أعمال الرسل 4:2).

لنحاول قراءة هذا النص حسب التأويل الإسلامي:

" وامتلأ الجميع من " المحمد" أو " المحمود" أو " أحمد " وابتدأوا يتكلمون بألسنة أخرى كما أعطاهم " المحمد " أو " المحمود" أو أحمد" أن ينطقوا" (أعمال الرسل 4:2).

أي لغو هذا؟ فمهما كدحنا الذهن فإننا نجد أنفسنا أمام لغة أو تعبير من الكلام يقوم على تعليل باطل من أساسه، فمحمد ليس روحا ليحل على الحواريين، ويملأهم ويعلمهم لغات وألسنة غريبة عنهم، فهو نفسه إبان حياته لم يكن يعرف سوى العربية، فكيف به يلقنهم شتى اللغات التي نطقوا بها والتي وردت في نفس هذا الإصحاح؟

ثم نص سفر الأعمال إصحاح 31:4

" ولما صلوا تزعزع المكان الذي كانوا مجتمعين فيه ، وامتلأ الجميع من الروح القدس (الفارقليط) ..."

لنطبق القاعدة السابقة عينها ، فهل نفهم من هذه الآية أن الحواريين قد امتلأوا حقا من " المحمد " أو " المحمود " أو " أحمد"؟ أي من *The Periklutos* ؟

معمودية المؤمنين

أمر السيد المسيح حوارييه، ومن خلالهم الكنيسة على مر العصور أن يعمدوا المؤمنين باسمه قائلا:

" إذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس (الفارقليط)" (متى 19:28).

من الجلي أن السيد المسيح هنا لم يكن يتحدث عن كائن مادي، بل عن الأقنوم الثالث من الثالوث الأقدس، لأنه لا معنى إطلاقا لهذه الآية لو قرأناها على هذا النحـو:

" إذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم "المحمد" أو "المحمود" أو "أحمد"

إن مثل هذا اللإدعاء باطل من أساسه لأنه لم يكن هناك زمن في تاريخ الحركة الإسلامية منذ نشأتها حتى الآن، مارس فيها محمد والمسلمون من بعده فريضة المعمودية، كما أن محمدا نفسه لم يدع قط أنه الأقنوم الثالث من الثالوث الأقدس . ولا أدري إن كان لدى علماء المسلمين جواب عن هذا الموضوع.

ونطالع أيضا في سفر أعمال الرسل 44:10

" فبينما بطرس يتكلم بهذه الأمور حل الروح القدس (الفارقليط) على جميع الذين كانوا يسمعون الكلمة"

فهل كان الروح الذي حل عليهم جميعا "المحمد" أو "المحمود" أو "أحمد" ؟. ولشد ما ننحرف عن جادة الصواب حين نتجاهل الإعلان الإلهي البين، فنضل ونضل.

وعندما ظهر السيد المسيح لحوارييه بعد قيامته المباركة من الأموات:

" نفخ وقال لهم: إقبلوا الروح القدس (الفارقليط)" (إنجيل يوحنا 22:20).

وكان هذا إعدادا لهم ليوم الخمسين الذي حل فيه الروح القدس (الفارقليط) عليهـــم. فلو كان (الفارقليط) كائنا ماديا كمحمد لما كانت هناك حاجة إلى عملية النفخ كرمز لروحانية الفارقليط، وإني أرى أنه خير لفقهاء المسلمين أن يعيدوا النظر في تأويلاتهم لعلهم يهتدون.

الخطيئة التي لا تغتفر

كما أن الشرك في الإسلام خطيئة لا تغتفر، فإن التجديف على الروح القدس (الفارقليط) في المسيحية خطيئة لا تغتفر، فقد ورد في متى 32:12 ولوقا 15:2 ما يلي:

" ومن قال كلمة على ابن الإنسان (أي المسيح) يغفر له، وأما من قال كلمة على "الروح القدس" (الفارقليط) فلن يغفر له لا في هذا العالم ولا العالم الآتي

فلو استبدلنا الروح القدس (الفارقليط) باسم " المحمد" أو " المحمود" أو " أحمد" ، فهل يكون كل من جدف على هذا الإسم ثم رجع عن تجديفه قد ارتكب خطيئة لا تغتفر، واستوجب عذاب الآخرة؟ يكون التجديف على الروح القدس من حيث هو ذات روح الله، كوصفه مثلا بروح شيطانية مصدرها إبليس، وهذا بالفعل ما عمد إليه اليهود عندما اتهموا المسيح أنه قد أمر الأرواح الشريرة أن تخرج من أجساد المسكونين بقوة الشيطان. لهذا كما يتضح لنا، أن المعزي أو (الفارقليط) أو الروح القدس لا يمكن أن يكون " محمدا". لأن المبدأ ذاته في أساسه مخالف للعقيدة الإسلامية.

الملقن هو الروح القدس

قام السيد المسيح قبيل موته وقيامته وصعوده إلى السماء بإعداد الحواريين لكل طارئ ، فقد أنبأهم بأنهم سيكابدون العذاب ويتعرضون إلى القتل والإضطهاد وآلام السجون من أجل اسمه. والحقيقة أن كل الحواريين باستثناء الرسول يوحنا قد استشهدوا من أجل رسالة الإنجيل، حتى الرسول بولس الذي كان ألد أعداء المسيحية قبل إهتدائه قد نفذ فيه حكم الموت. قال لهم السيد المسيح:

" فمتى ساقوكم ليسلموكم فلا تعتنوا من قبل بما تتكلمون ولا تهتموا، بل مهما أعطيتم في تلك الساعة فبذلك تكلموا لأنكم لستم المتكلمين بل الروح القدس (الفارقليط)" (إنجيل مرقس 11:13)

وورد أيضا في إنجيل لوقا 12-11:12

" ومتى قدموكم إلى المجامع والرؤساء والسلاطين فلا تهتموا كيف أو بما تحتجون أو بما تقولون لأن الروح القدس (الفارقليط) يعلمكم في تلك الساعة ما يجب أن تقولوه"

ثم إذا رجعنا إلى إنجيل متى 20:10 يطالعنا قول السيد المسيح لحوارييه:

" لأن لستم أنتم المتكلمين بل روح أبيكم (الفارقليط) الذي يتكلم فيكم"

تنبر هذه الآيات عن ثلاث حقائق أساسية

أولا: إن (الفارقليط) هنا لا يمكن أن يكون محمدا لأنه لم يكن قد ولد بعد.

كانوا لا بد أن يواجهوا الموت من أجل إيمانهم ولا سيما في ثانيا: إن السيد المسيح كان يوجه حديثه إلى حوارييه الذين مجتمع وثني كالمجتمع الروماني أو من الأوساط اليهودية المعادية لرسالة المسيح وإنجيله. ولقد استشهد هؤلاء الحواريون حقا في سبيل العقيدة المسيحية ومن أجل المسيح .

ثالثا : إن المعلم والملقن الذي كان يوحي إلى الحواريين بما يتكلمون به أمام الرؤساء والملوك والسلاطين هو الروح القدس، أكانوا لا بد أن يواجهوا الموت من أجل إيمانهم ولا سيما في ي (الفارقليط) ولا علاقة لمحمد أو لأي إنسان آخر به، فمحمد لم يكن موجودا في زمن الحواريين ، كما أن السيد المسيح يؤكد أن الروح القدس هو "روح أبيكم" أي روح الله بالذات، فهل كان محمد هو روح الآب، الأقنوم الأول في الثالوث الأقدس؟

الروح القدس هو روح الحق

كان الحواريون في أشد الحاجة لمن يذكرهم بكل تعاليم المسيح، فالذاكرة الإنسانية مهما بلغت من قوة الحافظة تعجز عن تذكر كل ما تلقنته من تعاليم طوال ثلاث سنوات ونصف، وهي سنوات مفعمة بالأحداث الجليلة، والشروحات والنبوءات والتعاليم التي نطقت بها أقدس شفتين منذ الخليقة. لهذا كان لا بد من حلول الروح القدس الموحي والملهم ليعلم ويذكر ويرشد الحواريين ليكون كل ما يصدر عنهم من تعليم وكتابة هو من وحي إلهي مباشر وليس من صنع البشر؛ فلا يمكننا القول هنا أن ما جاء في الأناجيل من سيرة السيد المسيح وتعاليمه هو مماثل للأحاديث الإسلامية لأن الأحاديث الإسلامية ليست من وحي الروح القدس بل هي مجموعة أخبار وأقوال تواترت على ألسنة الصحابة منسوبة في أصلها إلى صاحب الدعوة الإسلامية. أما الأناجيل فكل ما ورد فيها هو وحي إلهي مصدره الروح القدس. لهذا جاءت الأناجيل والرسائل كلها مكتوبة بإلهام الروح القدس (الفارقليط) وإرشاده. تأملوا بما قاله السيد المسيح على مسامع الحواريين:

" بهذا كلمتكم وأنا عندكم وأما المعزي الروح القدس (الفارقليط) الذي سيرسله أبي باسمي، فهو يعلمكم كل شئ ويذكركم بكل ما قلته لكم" (إنجيل يوحنا 26:25)

من الواجب هنا أن نلاحظ كيف استخدم السيد المسيح مصطلحي "المعزي" والروح القدس بصورة تبادلية عندما قال " وأما المعزي ، الروح القدس ..." إذ يتضح بطريقة جازمة أن السيد المسيح لم يفرق بين "المعزي" و"الروح القدس" لأنهما حقا واحد . لهذا فمن الجلي أن الموعود به في هذه الآيات التي اقتبسناها من إنجيل يوحنا في مستهل هذه الدراسة هو الروح القدس (الفارقليط) وليس محمدا، وإن تأويلات إبن تيمية ومن حذا حذوه ، ليست سوى تصورات باطلة يجب إعادة النظر فيها وتصحيحها.

وفي يوحنا 15:14-17 دعي (الفارقليط) بروح الحق، وكذلك أيضا في إصحاح 26:15-27 من نفس الإنجيل إذ يقول السيد المسيح:

" ومتى جاء المعزي (الفارقليط) الذي سأرسله أنا إليكم من الآب روح الحق الذي من عند الآب فهو يشهد لي وتشهدون أنتم أيضا لأنكم معي من الابتداء

ونقرأ أيضا في إنجيل يوحنا 13:16

" وأما متى جاء ذاك روح الحق ، فهو يرشدكم إلى جميع الحق لأنه لا يتكلم من نفسه بل بكل ما يسمع به ويخبركم بأمور آتية"

وهذا ما حدث بالفعل ؛ فإن (الفارقليط) الروح القدس هو ذاته روح الحق قد أوحى إلى الحواريين بما يقولون، وماذا يكتبون وذكرهم بأقوال السيد المسيح وأعماله ومعجزاته، وأخبرهم بأمور آتية إلى نهاية العالم (راجع بالأخص رؤيا يوحنا اللاهوتي)، فجاءت تعاليمهم وشروحاتهم منسجمة كليا مع تعاليم السيد المسيح وأقواله لأنها جميعها صادرة عن روح واحد، إذ بإرشاد الروح القدس (الفارقليط) ووحيه وإيعازه تم تدوين الأناجيل الأربعة وجميع الرسائل وسفر الرؤيا، وهو أمر لا فضل فيه لمحمد ولا لسواه من سائر بني البشر.

وقصارى القول إن الزعم أن "محمدا" هو (الفارقليط) زعم باطل لا يتفق مع الحقائق الكتابية وفقا للوقائع التاريخية والمنطقية والعقائدية، وإن جميع المحاولات التي قام بها علماء المسلمين من قدامى ومحدثين لتأويل هذه الآيات تأويلا مشوها قد أخفقت في طمس الحق الإلهي كما نصت عليه أسفار الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد. فالكتاب المقدس كما يقول الرسول، "موحى به من الله ..." ولا يمكن للوحي الإلهي أن يناقض بعضه بعضا وإلا فقد الله صفة اليقينية وصدق الوحي المقدس، وهو أمر كما نعلم ، يستحيل حدوثه.

29 ـ أسباب تعدد زوجات الرسول

يقال: لتعدد الزوجات في حياة محمد أسباب وجيهة:

هناك أسباب سياسية ظاهرة، كما في زواجه من بنت أبي بكر، ومن بنت عمر، ومن بنات زعماء القبائل. هذا أمر لا مراء فيه. وهناك أسباب إنسانية واضحة، كما في زواجه من سودة بنت زمعة، أو السيدة القرظية التي فضلت أن تبقى ملك يمينه. هذا أيضا لا مراء فيه. وهناك سبب آخر أقوى، على زعمنا، وهو شهوة الولد. يقول الأستاذ دروزة:" روايات السيرة المتعددة، التي بلغت مبلغ اليقين تخبر أن النبي(ص) قد رزق أولادا ذكورا من السيدة خديجة زوجته الأولى، ومن أمته مارية. ولكنهم لم يعمروا إلا قليلا. وقد روى أن النبي (ص) التاع أشد اللوعة عندما مات إبراهيم بن مارية في يثرب. وروح السورة (الكوثر) تلهم أن تعيير النبي (ص) (بالأبتر) قد حز في نفسه كثيرا. وقد يكون في هذا مما يدل على أن عدم تعمير أبنائه الذكور كان شديد الأثر فيه. ولقد ذكر بعض الكتاب أن مما يمكن أن يخطر بالبال أن يكون زواج النبي بعائشة وصفية وجويرية وميمونة ومارية رضي الله عنهن، وكلهن فتيات (بينما هو قد تخطى الخمسين) بسائق الرغبة في الأولاد الذكور. ولا يخلو هذا من بعض الوجاهة فيما نرى". لكن تلك الأسباب الوجيهة لا تكفي لتخطي النبي حدود الشريعة القرآنية، أو لقيام شرعة للمسلمين وشرعة أخر لمحمد في النكاح. فكيف يكون بذلك " أسوة حسنة" لأمته؟

وهناك سببان آخران لتعدد الزوجات يصرح بهما القرآن: فالقرآن صريح، بنصه القاطع، بأن الهوى والجمال من أسباب تعدد الزوجات:" لا يحل لك النساء من بعد، ولا أن تبدل بهن من أزواج، ولو أعجبك حسنهن" (الأحزاب 52)، و" وتقديره: مفروضا اعجابك بهن" (الزمخشري).

وهذا التصريح بحسن النساء سببا للزواج، يأتي في قصة زواجه من زينب بنت جحش، بعد أن كان عنده أربع نساء معا، ولم تنزل التحلة المطلقة بعد. علق الزمخشري على قوله:" وتخفي في نفسك ما الله مبديه. فإن قلت: ما الذي أخفى في نفسه؟ قلت: تعلق قلبه بها. وعن عائشة. لو كتم رسول الله شيئا مما أوحى إليه، لكتم هذه الآية. و(الواو) في (وتخفي وتخشى) للحال. أي تقول لزيد (إمسك عليك زوجك) مخفيا في نفسك إرادة أن لا يمسكها، وتخفى خاشيا قالة الناس ...(والله أحق أن تخشاه) حتى لا تفعل مثل ذلك". فالهوى والجمال كانا سبب زواجه من زينب بنت جحش، الذي جعله يتخطى شريعة القرآن، قبل نزول التحلة المطلقة، وكان سببا في إبطال التبني، العادة الرحيمة القائمة في كل الشرائع عند جميع الشعوب (الأحزاب: 37). والسبب الآخر لهذين التجاوزين كان رفع الحرج عن محمد، الحرج الشرعي والحرج الشخصي، والحرج الإجتماعي، في تحليل النساء له بلا حد ولا قيد:" قد علمنا ما فرضنا عليهم في أزواجهم وما ملكت أيمانهم، لكي لا يكون عليك حرج. وكان الله غفورا رحيما" (الأحزاب: 50). ففي التحلة المطلقة الشاملة كان السبب الأول رفع الحرج عن النبي، والسبب الثاني المغفرة للنبي لأنه تعدى العدد المفروض، والرحمة به:" وكان الله غفورا رحيما". فذكر الغفران عند إباحة النساء له، دليل على أنه في زواجه من زينب، وفي تعدد الزوجات، كان ما يستوجب الغفران، قبل التحلة. ويؤيد هذا كله كما نقل الصحيحان وكما جاء في (أسباب النزول) قول عائشة في زواج الهبة:" إن الله يسرع لك في هواك"، وقول عائشة أيضا لما نزلت التحلة من الشريعة القرآنية في النكاح:" أرى ربك يسارع لك في هواك". فتعدد الزوجات في حياة محمد لأسباب سياسية وإنسانية وشخصية، لا يمنع أن يكون أيضا سببه الهوى والجمال، بنص القرآن القاطع : " ولو أعجبك حسنهن".

ثانيا: من المشاكل التي نشأت عن استجابة الشريعة القرآنية. نقول:" إستباحة الشريعة القرآنية"، لأننا لا نعلم بالتدقيق زمن نزول آية التحلة المطلقة (الأحزاب: 50). والظاهر أنها مقدمة على سورة (الأحزاب) من أواخر النزول وحياة الرسول: أولا بسبب نصها الذي يحمل التحلة الشاملة:" يا أيها النبي إنا أحللنا لك أزواجك اللاتي أتيت أجورهن "، مما يدل على أنهن كن قبل هذه التحلة غير حلال، ونكاحهن كان استباحة للشريعة القرآنية، ثانيا لأنها ناسخة لآية المنع التي نزلت بعد الزوجة الخامسة، زينب بنت جحش، والآية تابعة لها في النسق (الأحزاب 52). وهذا من غريب الناسخ والمنسوخ في القرآن كما جاء في (الإتقان 24:2) للسيوطي:" ليس في القرآن ناسخ إلا والمنسوخ قبله في الترتيب، إلا في آيتين، آية العدد في (البقرة) وقوله: (لا يحل لك النساء من بعد)" يدل أيضا على اقحامها حديث عائشة ثم حديث عائشة وحفصة:" ما مات رسول الله (ص) حتى أحل له النساء"، مما يدل على التحلة كانت من أواخر النزول وحياة الرسول. قال دروزة (1):" وقد ذكرت روايات السيرة أن النبي (ص) كان يجمع في عصمته حين نزول الآيات (الأحزاب 50-52) تسع زوجات بعقد". والمسألة الضخمة أن محمدا، الاسوة الحسنة لأمته. قد استباح شريعة القرآن وعاش أزمة ضمير حادة، في زيجاته كلها، بعد الأربع الشرعيات، حتى نزلت آية النحلة في آخر حياته، ومعها الغفران. فالإستباحة الأولى كانت في زواجه من زينب بنت جحش، الزوجة الخامسة. كان من نتائجها ومشاكلها آية المنع:" لا يحل لك النساء من بعد"، لكن النبي استحلهن. كذلك كان إبطال عادة التبني، وفيه رفع رحمة إنسانية من الشريعة القرآنية، بخلاف عادة العالمين وشرائعهم. ثم" حديث الإفك" بحق عائشة، كما سيأتي بيانه، وآنفة ريحانة القرظية من الزواج حرة بمحمد. فبعد تصفية بني فريظة من المدينة،" اصطفى لنفسه من نسائهم ريحانة بنت عمرو بن خناقة، إحدى نساء بني عمرو بن قريظة ... وقد كان رسول الله عرض عليها أن يتزوجها ويضرب عليها الحجاب. فقالت: يا رسول الله (ص) ، بل تتركني في ملكك، فهو أخف عليّ وعليك فتركها".

والإستباحة الثانية لشريعة الزواج القرآنية، بعد غزوة بني المصطلق، في زواجه من جويرية بنت الحارث المصطلقية، سيد قومه. قالت عائشة:" وكانت إمرأة حلوى ملاحة، لا يراها أحد إلا أخذت بنفسه. فوالله ما هو إلا أن رأيتها على باب حجرتي، فكرهتها، وعرفت أن النبي (ص) سيرى منها ما رأيت. فدخلت عليه فقالت: يا رسول الله، إنا

جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار، سيد قومه. وقد أصابني من البلاء ما لم خف عليك. فوقعت في السهم لثابت بن قيس بن الشماس ـ أو لإبن عمه ـ فكاتبته على نفسي. فجئتك استعينك على كتابتي. قال: فهل لك في خير من ذلك؟ قالت: وما هو، يا رسول الله؟ قال: أقضي عنك كتابك، وأتزوجك. قالت: نعم يا رسول الله. قال: قد فعلت". أجل لهذا الزواج سبب انساني، وهو الرفع من كرامة السيدة المسبية. لكن حديث عائشة قاطع بأن سبب الزواج الحقيقي الهوى والجمال. لكن ذلك خلف الكره في نفس عائشة.

والإستباحة الثالثة كانت في زواج محمد من صفية الخيبرية. بعد صلح الحديبية مع قريش غزا محمد معاقل اليهود في الشمال. فكانت غزوة خيبر في آذار 628م وكان من غنائمها صفية بنت حيي الخيبرية التي قتل " أباها وزوجها وقومها"، " أعرس (ص) بها في خيبر أو ببعض الطريق" كان لهذا الزواج مسحة انسانية، التخفيف عن سيدة قومها. لكن ما نظن محمدا بغافل عن خلق مثل هذه اليهودية حتى يوقن أن زواجه" ممن قتل أباها وزوجها وقومها" يخفف عنها. وما ظن ذلك الصحابة، فإنه لما أعرس محمد بها،" بات أبو أيوب، خالد بن زيد، أخو بني النجار، متوحشا سيفه، يحرس رسول الله (ص) ويطيف بالقبة حتى أصبح رسول الله، فلما رأى مكانه قال: ما لك يا أبا آيوب؟ قال: يا رسول الله خفت عليك من هذه المرأة، وكانت إمرأة قد قتلت أباها وزوجها وقومها، وكانت حديثة عهد بكفر، فخفتها عليك". إنما هي عادة الملوك الغزاة، حين الظفر بخصومهم، أن يتزوجوا من نسائهم، دليل السيطرة والإستذلال الكامل. ونعرف من السيرة أن الهوى والجمال كان لهما دور في القصة:" ولما افتتح رسول الله ا(ص) لقموص حصن بني أبي التحقيق، أتى رسول الله (ص) بصفية بنت حيي بن أخطب، وبأخرى معها ... فلما رآها (الأخرى) رسول الله قال: أغربوا (أبعدوا) عني هذه الشيطانة. وأمر بصفية فحيزت خلفه، وألقى عليها رداءه. فعرف المسلمون أن رسول الله (ص) قد اصطفاها لنفسه".

والإستباحة الرابعة كانت زواجه من أم حبيبة، رملة أخت أبي سفيان، زعيم مكة، وزوجة عبد الله بن جحش الذي توفى على المسيحية في الحبشة. في هذا الوقت رجع المسلمون الباقون من الحبشة بقيادة جعفر بن أبي طالب، ومعهم أم حبيبة. فتزوجها محمد أيضا ليرتبط مع أخيها أبي سفيان برباط المصاهرة، كما فعل مع أبي بكر وعمر، توكيدا لصالح الحديبية وتسهيلا لفتح مكة. هذا السبب السياسي ظاهر. لكن هل فيه ما يبيح لمثال آمته استباحة شريعة القرآن؟ وزواجان يقعان في فترة وجيزة، في ختام غزوة خيبر!

والإستباحة الخامسة كانت نكاح ميمونة الهلالية، وقعت عمرة القضاء سنة تسع، أي 629م تنفيذا لمعاهدة الحديبية. ففي هذه العمرة تزوج محمد ميمونة بنت الحارث الهلالية، أخت زوجة العباس عمه، وخالة خالد بن الوليد. وتولى العباس نفسه إنكاحه إياها. فارتبط النبي بالمصاهرة مع جناحي مكة، بني أمية وبني هاشم. فكان ذلك الزواج حافزا لخالد بن الوليد أن يسلم، فأسلم وأهدى محمدا أفراسا له. وتبعه عمرو بن العاص وعثمان بن طلحة، حارس الكعبة. وقد أسلم بإسلام هؤلاء كثيرون من مكة. فبات حزب محمد قويا فيها. وبات فتح مكة ميسورا سياسيا. والدافع السياسي لزواج محمد من ميمونة ظاهر. لكن كان فيه نصيب أيضا للهوى والجمال، " ويقال أنها هي التي وهبت نفسها للنبي (ص). وذلك أن خطبة النبي (ص) انتهت إليها وهي على بعيرها. فقالت: البعير وما عليه لله ولرسوله. فأنزل الله تعالى وتبارك: وإمرأة مؤمنة، إن وهبت نفسها للنبي ... لكن هذه البدعة بزواج الهبة آثارت حفيظة عائشة. فأحلها الوحي القرآني للنبي (ص) بتحلة مطلقة لكل" إمرأة مؤمنة، إن وهبت نفسها للنبي، إن أراد أن يستنكحها، خالصة لك من دون المؤمنين" (الأحزاب 50). قال دروزة في تبرير هذه البدعة: إنها " تنطوي على صورة من صور زواج النبي (ص) الخاصة. فهو، فوق أنه كان يخطب نساءه ويمهرهن جريا على العادة المعروفة، كان بعض النساء المؤمنات يعرضن أنفسهن عليه هبة. ومما لا ريب فيه أن هذا إنما كان قصد التشرف بالصلة به والحرص على نيل الكرامة العليا في الزوجية النبوية. وقد أباح الله له الإستجابة لمن شاء منهن، تقديرا لهذه الرغبة في نيل شرف هذه الزوجية الكريمة. لكن لماذا يستثني النبي عن امته بزواج الهبة، وهو " الاسوة الحسنة" لهم؟ ولماذا هذه الإباحة المطلقة لكل " إمرأة مؤمنة" وما هذا التسلط على نساء المسلمين:" خالصة لك من دون المؤمنين"؟ ولماذا هذه الإباحة بالهبة من قيود الشريعة القرآنية؟ ولماذا جعل زواج الهبة للنبي مرهونا بمشيئته، " إن أراد أن يستنكحها"، لا بأمر الله وشريعته، مما يجعل رغبة محمد فوق شريعة الله؟ أليست " الكرامة العليا" المذكورة، في احترام النبي لشريعته، وفرض احترامها على النساء المسلمات، لا تحررهن من قيودها بزواج الهبة له؟ لذلك من الحق أن يقال: مهما كانت الأسباب وجيهة في تعدد زوجات محمد، على خلاف الشريعة القرآنية، فتلك الزيجات براهين ناطقة على أن " بشرية" النبي تحد كثيرا من إعجاز الشخصية النبوية.

30 ـ حمل الأربع سنوات

في كتابه " الدين والحياة ـ الفتاوي العصرية اليومية"، الذي صدر في صيف 2005، قال مُفتي مصر "د. علي جمعة" إن أقصى مدة للحمل أربع سنوات، وهي فتوى رسمية تبنى عليها أحكام قضائية كالميراث والنسب وثبوت الزنا، قال د. علي جمعة:" إمرأة محمد بن عجلان إمام أهل المدينة حملت أربعة بطون كل بطن أربع سنوات، وأنجبت أربعة أولاد من فقهاء المدينة أيضا هم أولاد محمد بن عجلان، ووصفها مالك بأنها كانت إمرأة صالحة تقية، ولكن الرصد الطبي الحديث يقول إن الجنين لا يمكث في بطن أمه أكثر من ثلاثة عشر شهرا، فالرصد الطبي قاصر، فالطبيب يتصرف بما يعلم ويتدخل بعملية قيصرية، أما نحن رجال الشرع فلا نحكم بالزنا على إمرأة إستمر حملها بعد وفاة زوجها مثلا مدة ثلاث سنوات، وينسب الولد لأبيه، وإن كان في داخل نفسي أنها زانية، ولكن هذا حكم الشرع، ولو زادت مدة الحمل عن أربع سنوات ولو يوما واحدا فالحكم بأنها زانية.

وفي حديث صحفي لمجلة أكتوبر أجراه مع فضيلة المفتي الأستاذ محمود فوزي (في 15 أكتوبر 2006) قال فضيلته: هذه الفتوى للإمام الشافعي والإمام مالك والإمام أحمد بن حنبل والأوزاعي والطبري وكل أئمة الإسلام وهي فتوى صحيحة مائة في المائة وتدل على إنسانية هذا الفكر وعلو قدره وكون أن أحدا قد يسمعها وقد لا يقبلها هذا شأن وكون الشريعة الإسلامية تحمي الإنسان وتحمي عرضه ونفسه وعقله ودينه هذا أمر آخر. فمن يستهزئ يستهزئ ومن يرفض يرفض ومن يقبل يقبل والشريعة مطلق لا تهتم كثيرا بهذا الإعتراض عليها.

سيدة جاءت بطفل بعد أربع سنوات فهل اتهمها بالزنا.. هذه هي الفتوى.. والذين يعترضون على الأئمة يقولون لا .. حيث قالوا ولماذا لا تكون هذه زانية قالوا: لأن الحدود تدرأ بالشبهات .. وأين الشبهة هنا فقد تكون هذه السيدة الواعدة من الـ 6 مليارات حالة حيث إن هناك الآن 3 مليارات سيدة ربما هي الحالة التي أخبر بها مالك والشافعي وغيرهما فهي هذه الحالة وبالتالي لا أستطيع أن أنال من شرف هذه السيدة. وقد تقول لي هذه السيدة معنى ذلك أنني زانية فأقول لها: حاشا لله فأنا لا أستطيع أن أقول عنك إنك زانية يا ابنة الحلال واذهبي لحال سبيلك فأنا طبقت الوارد في الرصد الفقهي الذي يقول إن هذه السيدة ليست زانية وماذا سأفعل إذا كانت زانية معنى ذلك أنني سأموتها وأرجمها وما الفائدة أنني أرجم سيدة هناك شبهة أنها لا تكون زانية عند الله بنسبة 1 الى 6 مليارات! وهي شبهة بسيطة للغاية ولكن (يحتاط في الفروج وفي الدماء) هذا هو الفكر الراقي الذي لم يصل إليه بعد كثير من البشر يحتاط في الفروج وفي الدماء فنحن نحافظ على نفس الإنسان ومرضه وقد يأتي البعض ويقول لي وما الضرر أن نقول إنها زانية أقول له .. خسئت .. خسئت .. فهذه السيدة شريفة فيقول لي: وهل أنت مقتنع بأن هذه السيدة شريفة وقد أنجبت الولد بعد أربع سنوات فأقول له إن الشرع يقول لي لازم تقتنع بذلك واسكت ولِم لسانك بدلا من أن يحدث بك شأن آخر، فقال له: هل أنت لست متأكدا أن هذه زانية وتستحق؟ أقول له اسكت بدلا من أن يضربك الشرع ثمانين جلدة على ظهرك علشان أنت (بتلسن) على الستات! فقال لي : يعني ستخرجني عن طوري وعقلي قلت له: لا أنا بألزمك بالشرع انتبه لأن هذا الشرع الذي قد لا يعجب البعض هو شرع الله ويقول إنه لو ثلاثة شاهدوا بأعينهم شخصا يزني بإمرأة لا يذهبون للإبلاغ عنه ولو بلغوا عند القاضي كل واحد فيهم سيضرب ثمانين جلدة مع العلم بأنهم صادقون والرجل قد زنا بالمرأة بالفعل وقد يطرح أحدهم سؤالا: هل يصح أن تضرب التقي وتترك الفاجر؟! أقول له: هذا التقي ليس تقيا لأنه يقول لك: (أستر على أخيك ولو بطرف ثوبك) ويقول لك: (يا مسلم .. يا مسلم .. لا بد أن تكون ورعا ونقيا ووسع صدرك وتغاضي وتغافل عن ذنوب الناس).

الرأى العلمي:

دائما يأتي الرد من أنصار النقل وأعداء العقل بأن الفقهاء يحسبون حساب الأشياء الشاذة التي من الممكن أن تحدث ولو نادرا، والفرق كبير بين الشاذ والمستحيل، فالمرأة التي تنتمي لفصيلة الإنسان لا يمكن أن تتحول فجاء لفيل آسيوي ويتجاوز حملها السنتين!، وحتى مدة السنة الشمسية التي جامل فيها القانون الفقهاء وأصابه الحرج منهم مدة مستحيلة، وبوادر إنقباضات الولادة لها أسس ونظريات علمية مستقرة وواضحة، فالرحم ليس مخزنا صامتا، والقاعدة هي أنه مستعد للفظ الحمل كجسم غريب ولكن الحكمة الربانية تضبط الإيقاع الهورموني فيحتفظ الرحم بالحمل حتى يحين موعد الولادة وشرارة الإنقباض التي وضع لها العلماء نظريات منها أن عضلات الرحم عندما تصل لدرجة معينة من " السترتش" والتمدد تبدأ الولادة بدليل أن التوائم تولد مبكرا لأن التمدد أكبر، ونظرية أخرى هي أنه عند نضوج الرئة تفرز مادة البروستاجلاندين التي تذهب لمستقبلات عضلات الرحم فينقبض إستعدادا للولادة، وهناك نظرية تليف وضمور المشيمة التي لها عمر محدد لن تتخطاه ولن يصل الى الجنين أي غذاء بعدها، ولو ظل هذا الجنين أكثر من 42 أسبوع فهو معرض للوفاة داخل الرحم، ولو أكثر 43 فسيتوفى حتما، ولا بد من تدهل الطبيب بحسم عندما تتجاوز الأم الحامل ال 42 أسبوع، فما بالكم بجنين الخمسين أسبوع الذي يتحدثون عنه، من المؤكد أنه سيتعفن داخل الرحم، وحتى هذا الطفل المتوفى داخل الرحم لن يستطيع الطبيب تركه لمزاجه وللظروف لسبب بسيط هو أن هذا الجنين المتروك ميتا داخل الرحم سيتسبب في تغيرات في تجلط دم الأم التي ستصبح معرضة للموت، ومعرضة أيضا لجلطات السائل الأمنيوسي التي ستودي بحياتها. إذن مدة الحمل غير متروكة للصدف والإحتمالات وتغير الأمزجة والأزمنة، ومن يقل الآن أن الإمام مالك ظل ثلاث سنوات في رحم أمه يهزل في موضع الجد، والذنب ليس ذنب من قال قديما، ولكن الذنب ذنب من تبنى هذا الرأي حديثا!!.

قضية علمية مثل أن أقصى مدة للحمل سنة أو سنتان أو أربعة، لا نستطيع أن نقبل تسللها الى نصوص القانون وأمخاخ طلاب الأزهر لمجرد أن الفقهاء القدماء قالوها ورددوها، ولكن من الممكن أن نفسر وقوعهم في هذا الخطأ

بمفاهيم زمانهم وبيئتهم، فماقيل عن أقصى مدة للحمل رددته سيدات هذا الزمن بفولكلور هذا الزمن وعلم هذا الزمن، فسروا أن إنقطاع الحيض بأنه حمل، وبدأن في حسابات خاطئة بناء على هذا التفسير، فكان من الممكن أن ينقطع حيض إمرأة بسبب الرضاعة سنة أو أكثر ثم تحمل أثناء هذا الإنقطاع فتضيف المدة الأولى على الثانية وتتوهم أن حملها سنتان!، والحمل الكاذب من الممكن أن يعطي نفس النتيجة، ففي هذا الحمل ينقطع الحيض وتحس المرأة بنفس أعراض الحمل تقريبا من قيء وتقلصات بل وانتفاخ بطن، وتفسر حركة الأمعاء على أنها حركة جنين، فإن تم الحمل الحقيقي أضافت هذه المرأة الملهوفة على الحمل مدته الى مدة الحمل الكاذب، وأيضا إذا ولدت المرأة طفلا بأسنان، فسرت وترجمت هذا الحدث على أن هذا الطفل تجاوز العام داخل الرحم!!، مع أن هذه الأسنان زائدة وعادة ما تسقط لينموا بدلا منها الأسنان الطبيعية ويراها أطباء النساء الآن بدون أن يفسروا ذلك على أنه معجزة طفل ولد في سن المدرسة!!.

قضية الحمل المستكن تفتح الباب أمام مناقشة كل ما إعتبرناه علما وطبا داخل كتب الفقه، فلا يمكن الآن في القرن الحادي والعشرين أن نقول كما قال الفقهاء قديما أن دم الحيض هو لتغذية الجنين وينقلب لبنا أثناء الرضاعة!، ونرمى كل ما تعلمناه في مراجع طب النساء من تغيرات هورمونية تضبط إيقاع الدورة الشهرية وتمنع حدوثها أثناء الحمل، ولا يمكن أيضا أن نعتمد على مفاهيم ماء الرجل وماء المرأة في تناول قضايا الوراثة والسكسولوجى وعلاج العقم، ونغض الطرف ونتجاهل مفاهيم الحيوان المنوي والبويضة والإنفجار المعرفي الذي حدث بعد إكتشاف الدي إن إيه.

حالة نبي الإسلام:

ملخص الحالة:

أن عبد الله وأبوه عبد المطلب تزوجا في يوم واحد؛ تزوج عبد الله آمنة وتزوج عبد المطلب هالة؛ حملت آمنة بمحمد بعد الزواج مباشرة ومات أبوه وأمه حامل به؛ أنجب عبد المطلب حمزة وكان حمزة أكبر من محمد بأربع سنوات مما يدل على أن الحمل بمحمد وولادته جاءت بعد الحمل بحمزة وولادته بأربع سنوات؛ عبد الله مات بعد الزواج بآمنة ولم يمكث معها إلا شهور قلائل؛ إذا المولود بعد سنوات من موت عبد الله لا يمكن أن يكون ابن عبد الله؛ إلا إذا كان محمد مكث في بطن أمه أربع سنوات. آمنة تعترف أن الحمل بمحمد تبعه حمل آخر مرة أو مرات؛ هل لمحمد أخوة؟ من هم وأين ذهبوا أو طمست سيرتهم؟.

الأدلة السنية المثبتة:

مصادر الأحاديث الدالة على زواج أبو عبد الله بآمنة في نفس اليوم الذي تزوج جده من زوجته أم حمزة.

أولا:

1 - الطبقات الكبرى لأبن سعد باب تزوج عبد الله بن عبد المطلب آمنة بنت وهب.
2 - السيرة الحلبية باب تزويج عبد الله أبي النبي (ص) آمنة أمه وحفر زمزم.
3 - الإستيعاب في تمييز الأصحاب لإبن عبد البر باب محمد رسول الله (ص).
4 - أسد الغابة.

نص الحديث:

عن محمد بن عمر بن واقد الأسلمي .. عن أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين قالا: كانت آمنة في حجر عمها وهيب بن عبد مناف بن زهرة فمشى إليه عبد المطلب بن هاشم بإبنه عبد الله أبي رسول (ص) الله فخطب؛ عليه آمنة بنت وهب تزوجها عبد الله؛ وخطب إليه عبد المطلب في مجلسه ابنته هالة بنت وهيب على نفسه؛ فزوجه إياها فكان تزوج عبد المطلب وتزوج عبد الله في مجلس واحد؛ فولدت هالة بنت وهيب لعبد المطلب حمزة بن عبد المطلب؛ فكان حمزة عم رسول الله (ص) من النسب وأخاه من الرضاعة. لما تزوج عبد الله بن عبد المطلب آمنة بنت وهب أقام عندها ثلاثا وكانت تلك السنة عندهم إذا دخل الرجل على امرأته في أهلها.

ثانيا:

1 - سيرة ابن هشام باب ذكر المرأة المتعرضة لنكاح عبد الله بن عبد المطلب.
2 - نهاية الأرب في فنون الأدب للنويري باب ذكر زواج عبد الله بن عبد المطلب آمنة بنت وهب.

نص الحديث:

قال ابن هشام عن ابن إسحق إن عبد المطلب لما فدى ابنه عبد الله أخذ بيده وخرج به حتى أتى وهب بن عبد مناف وهو يومئذ سيد بني زهرة نسبا وشرفا فزوجه ابنته آمنة وهي يومئذ أفضل إمرأة في قريش نسبا وموضعا فزعموا أنه دخل عليها حين امتلكها مكانه فوقع عليها فحملت برسول الله (ص).

إستنتاج:

مما تقدم نجد أن أبو محمد عبد الله تزوج آمنة فولدت محمد؛ وجده تزوج هالة فولدت حمزة؛ وكان زواجهما في يوم واحد. وبذلك يكون محمد وحمزة في عمر واحد أو محمد أكبر من حمزة؛ لأن أبي محمد لم يمكث مع أمه إلا شهور قلائل على أكثر الروايات ثم مات؛ أما إذا كان حمزة أكبر من محمد بسنوات فسيكون في الأمر أمر؟

إعتراض أحد الأئمة:

مصدر الإعتراض: عيون الأثر في المغازي والسير لإبن سيد الناس باب تسميته محمد وأحمد.

ملخص الإعتراض: وهنا يعترض ابن سيد الناس ويحول جاهدا التقريب ويأخذ بأقدم وأول من كتب سيرة محمد والذي قال بأن حمزة أكبر من محمد بسنتين. ذكر الزبير أن حمزة أسن من النبي (ص) بأربع سنين وحكى أبو عمر نحوه وقال لا يصح عندي لأن الحديث الثابت أن حمزة وعبد الله بن عبد الأسد أرضعتهما ثوبية مع رسول الله (ص) إلا أن تكون أرضعتهما في زمانين قلت وأقرب من هذا ما روينا عن ابن إسحق من طريق البكائي أنه كان أسن من رسول الله (ص) بسنتين والله أعلم.

إثبات أن حمزة عم الرسول أكبر منه بأربع سنوات:

1 - الإصابة في تمييز الصحابة لإبن حجر العسقلاني باب حمزة.

جاء في الإصابة: ولد حمزة قبل النبي (ص) بسنتين وقيل بأربع.

2 - الطبقات الكبرى لإبن سعد باب طبقات البدريين من المهاجرين ذكر الطبقة الأولى.

أخبرنا محمد بن عمر ... عن أبيه قال كان حمزة معلما يوم بدر بريشة نعامة ... وقتل يوم أحد وهو ابن تسع وخمسين سنة وكان أسن (أكبر) من رسول الله بأربع سنين قتله وحشي بن حرب وشق بطنه...

استنتاج:

من هذا الحديث نرى أن حمزة أكبر من محمد بأربع سنوات؛ ومن الحديث السابق له أن حمزة أكبر بأربع سنين طبقا لحديث الزبير أو بسنتين طبقا للحديثين التاليين؛ رغم أ، أم حمزة وأم محمد تزوجتا في وقت واحد. نعم غزوة أحد كانت في السنة الثالثة من الهجرة فكان النبي (ص) يقارب الخامسة والخمسين؛ ومن هنا يصبح حمزة أكبر من محمد بأربع سنوات. " حساب عمر محمد وعمر حمزة عمه من صحيح الحديث".

أولا: السنة والشهر التي وُلد فيها محمد.

مصدر الحديث:

1 - السيرة النبوية لإبن هشام باب ولادة رسول الله (ص).

نص الحديث:

حدثنا أبو محمد عبد الملك ابن هشام قال حدثنا زياد بن عبد الله البكائي محمد بن إسحاق قال ولد رسول الله (ص) يوم الإثنين لإثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول، عام الفيل.

ثانيا: غزوة أحد التي مات فيها حمزة عم الرسول.

مصدر الحديث:

1 - السيرة الحلبية للإمام برهان الدين الحلبي باب غزوة أحد.

نص الحديث:

غزوة أحد كانت في شوال سنة ثلاث من الهجرة بإتفاق الجمهور.

إستنتاج من الحديثين السابقين:

مات محمد في السنة الحادية عشر من الهجرة أي بعد ثمان سنوات من موت حمزة؛ الذي مات سنة ثلاث للهجرة؛ فبطرح ثمان سنوات من ثلاث وستون عمر النبي عند موته؛ يصبح عمره في غزوة أحد خمسة وخمسون وعمر حمزة تسع وخمسون.

ثالثا: اليوم والسنة التي مات فيها الرسول - وهي الثامنة بعد وفاة حمزة عمه.

مصدر الحديث:

الطبقات الكبرى لإبن سعد باب ذكر كم مرض رسول الله (ص) واليوم الذي توفى فيه.

نص الحديث:

أخبرنا محمد بن عمر حدثني أبو معشر عن محمد بن قيس أن رسول الله (ص) اشتكى يوم الأربعاء لإحدى عشرة ليلة بقيت من صفر سنة إحدى عشرة فاشتكى ثلاث عشر ليلة وتوفي (ص) يوم الإثنين لليلتين مضتا من شهر ربيع الأول سنة إحدى عشرة.

استنتاج:

أكثر العلماء يقولون على أن النبي مات وعمره ثلاث وستون سنة ومات بعد حمزة بثمان سنوات؛ فيكون عمره يوم موت حمزة خمس وخمسون سنة؛ وحمزة مات في السنة الثالثة للهجرة وعمره تسع وخمسون سنة أي أن حمزة أكبر من محمد بأربع سنوات. وحدثنا عمر بن محمد ... عن أم سلمة وعامر بن سعد عن أبيه سعد قال أقبل عبد الله بن عبد المطلب أبو رسول الله (ص) وكان في بناء له وعليه أثر الطين (الغبار) فمر بإمرأة من خثعم وقيل العدوية وقيل أخت ورقة فلما رأته ورأت ما بين عينيه دعته الى نفسها وقالت له إن وقعت بي فلك مائة من الإبل فقال لها عبد الله حتى أغسل عني هذا الطين الذي عليّ وأرجع إليك؛ فدخل عبد الله بن عبد المطلب على آمنة بنة وهب فوقع بها فحملت

برسول الله (ص) الطيب المبارك ثم رجع الى الخثعمية أو العدوية فقال لها هل لك فيما قلت؟ قالت لا يا عبد الله قال ولِمَ؟ قالت لأنك مررت بي وبين عينيك نور ثم رجعت الى وقد انتزعته آمنة...

*) دلائل النبوة للحافظ أبي نعيم الأصبهاني الفصل العاشر في تزويج أمه آمنة بنت وهب؛ وكذلك في عيون الأثر في المغازي السير لإبن سيد الناس باب تزويج عبد الله آمنة بنت وهب؛ وفي كل كتب السيرة والسنة كسيرة إبن هشام والسيرة الحلبية الطبقات الكبرى وغيرها.

*) قال الواقدي هي قتيلة بنت نوفل وعن إبن عباس قال أنها إمرأة من بني أسد وهي أخت ورقة كانت تنظر وتعتاف (عرافة) مر بها عبد الله فدعته لتستبضع منه ولزمت طرف ثوبه فأبي وقال حتى آتيك وخرج مسرعا حتى دخل على آمنة فوقع عليها فحملت برسول الله (ص) ثم رجع الى المرأة وهي تنتظره فقال هل لك في الذي عرضتي عليّ؟ فقالت لا ...

*) نهاية الأرب للنويري باب ذكر خبر المرأة التي عرضت نفسها على عبد الله بن عبد المطلب وما أبدته من سبب ذلك. الواضح من تلك القصص أنه كان هناك إمرأتان واحدة وقفت في طريق أبو محمد وطلبت منه أن ينكحها أو تستبضع منه وتعطيه مائة من الإبل فقبل وقال حتى اغتسل؛ ثم دخل فوقع على آمنة زوجته؛ وعاد الى المرأة (الغريبة) لينكحها فرفضت وقالت له لقد وقعت على آمنة. أي مجتمع ذلك المجتمع؟ أي أب ذلك الأب الذي واعد الزانية رغم أنه متزوج بآمنة منذ أيام قلائل؟

*) كانت آمنه أمه (ص) تقول ما رأيت من حمل أخف منه ولا أعظم بركة منه. وروى إبن حبان رحمه الله عن حليمة رض الله تعالى عنها عن آمنة أم النبي (ص) أنها قالت أن لإبني هذا شأن إني حملت به فلم أجد حملا قط كان أخف عليّ ولا أعظم بركة منه.

*) السيرة الحلبية للإمام برهان الدين الحلبي باب ذكر حمل أمه (ص) وعلى جميع الأنبياء والمرسلين.

قال ابن اسحق ... كانت حليمة بنت أبي ذؤيب السعدية أم رسول الله التي أرضعته تحدث ... فل يبلغ سنتيه (محمد) حتى كان غلاما جعفر (غليظ) فكلمنا أمه وقلت لها لو تركت بني عندي حتى يغلظ ... فردته معنا (ثم حدث له شق بطنه فأرجعته حليمة الى أمه) قالت أمه (آمنة) أفتخوفت عليه الشيطان قالت قلت نعم قالت كلا والله ما للشيطان عليه من سبيل ... فوالله ما رأيت من حمل قط كان أخف عليّ ولا أيسر منه.

*) السيرة النبوية لإبن هشام باب ولادة رسول الله (ص) ورضاعته.

أخرج ابن اسحق وابن راهويه وأبو يعلي والطبرائي والبيهقي وأبو نعيم وابن عساكر عن طريق عبد الله بن جعفر بن أبي طالب قال: حديث حليمة بنت الحارث أم رسول الله (ص) التي أرضعته قالت: ... نفس الحديث السابق ... قالت حليمة ماحتملناه حتى قدمنا به الى أمه (آمنة) ... قالت اخشيتما عليه من الشيطان؟ كلا والله ما للشيطان عليه سبيل وأنه لكائن لابني هذا شأن إلا أخبركما خبره؟ قلنا بلى قالت حملت به فما حملت قط أخف منه فأريت في النوم حين حملت به أنه خرج مني نور ...

*) الخصائص الكبرى للسيوطي الجزء الأول ص 132؛ 133؛ 134؛ 135.

من الواضح من هذه الأحاديث أن آمنة تقارن حملها بمحمد بحمل آخر قبله مرة أو مرات. فهل كانت متزوجة بأحد قبل أبو محمد؟ هل لمحمد إخوة؟ كم مكث معها أبو محمد قبل أن يموت؟ وفي كل الأحاديث المتفق على صحتها أن عبد الله بن عبد المطلب أبو محمد مات وعنده خمس وعشرون سنة وكانت أم محمد حامل به؛ قيل شهران وقيل أكثر أو أقل..

*) الطبقات الكبرى لإبن سعد باب ذكر وفاة عبد الله بن عبد المطلب والسيرة الحلبية للإمام برهان الدين الحلبي وقد جاء في سيرة ابن هشام وهو من أقدم كتب السيرة وأصحها قال: ثم لم يلبث عبد الله بن عبد المطلب أبو رسول الله (ص) أن هلك وأم رسول الله حامل به. من تلك الأحاديث التي ذكرت؛ ترى أي مجتمع متسيب ومنفلت ذلك المجتمع الصحراوي التي تعرض فيه المرأة على رجل أن يضاجعها وتعطية مائة من الإبل؟ وأي رجل ذلك الذي يواعد تلك العاهرة ويعود إليها بعد أن اغتسل؟ أي شرف ينسب لذلك الرجل المتزوج من أيام قلائل ثم يواعد عاهرة ويقول لها حتى أغتسل؟ هل العفة مفروضة على النساء والتحلل منها وسام على صدور الرجال؟ كيف يكون حمزة أكبر من محمد بأربع سنوات رغم أن أم محمد وأم حمزة تزوجتا في يوم واحد؟ أبو محمد دخل على أمه في نفس اليوم وحملت بمحمد طبقا لحديث المرأة التي عرضت نفسها على ابيه؛ ولو فرض أن عبد المطلب دخل على أم حمزة في نفس اليوم؛ فكان لا بد أن يكون حمزة ومحمد في عمر واحد؛ أما إذا تأخر أبو حمزة في الدخول على أمه فيجب أن يكون حمزة أصغر من محمد؛ وهذا مخالف للحقيقة. من كل ما تقدم يجب أن يكون الحمل بمحمد جاء بعد أربع سنوات من الحمل بحمزة أي بعد موت أبو محمد بأعوام وسنوات!!! أو أن محمدا مكث في بطن أمه أربع سنوات حسب بعض التقديرات أو سنتين حسب البعض الآخر!!

أم محمد تقول أنه أخف حمل عليّ وأكثرهم بركة!! هل لمحمد أخوة أو سبقه حمل أو أحمال أخرى؟ ومن من؟ حيث أن أبو محمد لم يمكث معها إلا أشهر قلائل ومات؟ لكن ترى ماذا قال عنه العرب؟

*) بلغ النبي (ص) أن رجالا من كندة يزعمون أنهم منه وأنه منهم، فقال إنما كان يقول ذلك العباس وأبو سفيان ابن حرب إذا قدما المدينة فيأمنا بذلك، وإنا لن ننتفي من آبائنا، نحن بنو النضر بن كنانة.

*) قال الإمام أحمد حدثنا أبو نعيم، عن سفيان، عن يزيد بن أبي زياد، عن عبد الله بن الحارث بن نوفل، عن المطلب بن أبي وداعة قال قال العباس بلغه (ص) بعض ما يقول الناس، فصعد المنبر فقال من أنا؟ قالوا أنت رسول الله قال أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، إن الله خلق الخلق فجعلني في خير خلقه، وجعلهم فرقتين فجعلني في خير فرقة، وخلق القبائل فجعلني في خير قبيلة، وجعلهم بيوتا فجعلني في خيرهم بيتا، فأنا خيركم بيتا، وخيركم نفسا.

*) قال يعقوب بن سفيان حدثنا عبيد الله بن موسى، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن يزيد بن أبي زياد، عن عبد الله بن الحارث بن نوفل، عن العباس بن عبد المطلب قال قلت يا رسول الله إن قريشا إذا إلتقوا لقي بعضهم بعضا بالبشاشة، وإذا لقونا لقونا وجوه لا نعرفها، فغضب رسول الله (ص) عند ذلك غضبا شديدا، ثم قال والذي نفس محمد بيده لا يدخل قلب رجل الإيمان حتى يحبكم لله ولرسوله فقلت يا رسول الله إن قريشا جلسوا فتذكروا أحسابهم فجعلوا مثلك كمثل نخلة في كبوة من الأرض يقال رسول الله (ص) إن الله عز وجل يوم خلق النخلق جعلني في خيرهم، ثم لما فرقهم قبائل جعلني في خيرهم قبيلة، ثم حين جعل البيوت جعلني في خير بيوتهم، فأنا خيرهم نفسا وخيرهم بيتا.

*) البداية والنهاية لإبن كثير باب تزويج عبد المطلب إبنه عبد الله ج 2 ص 316.

من الأحاديث السابقة نجد أن العباس وأبو سفيان ابن حرب قالا أن محمدا من كندة وليس من بني هاشم وإعترف محمد بذلك وقالوا أيضا أن محمد لا أصل له.

حدثنا عبيد الله بن الحارث ... عن العباس بن عبد المطلب قال قلت يا رسول الله إن قريش جلسوا فتذكروا أحسابهم وأنسابهم فجعلوا مثلك مثل نخلة نبتت في ربوة من الأرض قال فغضب رسول الله (ص) وقال إن الله عز وجل حين خلق الخلق جعلني من خير خلقه ثم حين خلق القبائل جعلني من خير قبيلتهم وحين خلق الأنفس جعلني من خير أنفسهم ثم حين خلق البيوت جعلني من خير بيوتهم فأنا خيرهم أبا وخيرهم نفسا.

*) كتاب دلائل النبوة للحافظ أبي نعيم الأصبهاني باب ذكر فضيلته (ص) بطيب مولده.

مما تقدم نجد أن قريش في حديثهم عن الأنساب قالوا أن محمدا نبت لا أصل له وهذا أغضب محمد وحتى العباس عمه لم يدافع عن ذلك أمام قريش. أما كيفية قبول عبد المطلب له إذا عرف أن محمدا إبن رجل آخر غير إبنه أو ربما إبن رجلا من كِندة؟ نعم لقد كان العرب لا يهتمون إلا بالولد؛ دون النظر إذا كان الإبن من عاهرة أو من زانية؛ وهذا ما سنراه عندما تنازع أربعة وهم العاص وأبو لهب وأمية بن خلف وأبو سفيان بن حرب على بنوة عمرو ابن العاس؛ رغم معرفتهم بأن أمه عاهرة وتناوبوا عليها الأربعة في وقت واحد.

قال الإمام الحسين لعمرو بن العاص في الإحتجاج: أما أنت يا عمرو بن العاص الشاني اللعين الأبتر؛ فإنما أنت كلب أول أمرك أن أمك بغية (قحبة) وإنك ولدت على فراش مشترك؛ فتحاكمت فيك رجال قريش منهم أبو سفيان بن حرب والوليد بن المغيرة وعثمان بن الحرث والنضر بن الحرث بن كلدة والعباس بن وائل؛ كلهم يزعم أنك ابنه فغلبهم عليك من قريش ألأمهم حسبا واخبثهم منصبا وأعظمهم بغية..

*) الإحتجاج لأبي منصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي باب إحتجاج الإمام الحسن في مجلس معاوية.

فنكاح البغايا قسمان وحينئذ يحتمل أن تكون أم عمرو بن العاص رضي الله عنه من القسم الثاني من نكاح البغايا فإنه يقال إنه وطئها أربعة وهم العاص وأبو لهب وأمية بن خلف وأبو سفيان بن حرب وادعى كلهم عمرا فألحقته بالعاص وقيل لها لِم إخترت العاص قالت نه كان ينفق على بناتي ويحتمل أن يكون من القسم الأول ويدل على ما قيل إنه ألحق بالعاص لغلبة شبهه عليه. كان عمرو يعير بذلك غيره بذلك علي وعثمان والحسن وعمار بن يسار وغيرهم من الصحابة رضي تعالى عنهم.

*) السيرة الحلبية باب تزويج عبد الله أبي النبي (ص) آمنة أمه وحفر زمزم وما يتعلق بذلك.

هكذا نرى كيف يتصارع رجالات قريش وأشرافها على عمرو بن العاص إبن القحبة الزانية؛ كلا يريد أن يأخذه؛ رغم علمهم بأنهم اجتمعوا عليها كما تجتمع الكلاب على الرمة؛ هذا هو المجتمع الذي عاش فيه والد المصطفى وجده وأمه وصحابته عليهم أزكى السلام وصلى على الحبيب المصطفى.

كما أن مجتمعا فيه زواج الإستبضاع وهو أن يرسل الزوج زوجته الى رجل يضاجعها ولا ترجع لزوجها إلا بعد أن يتبين حملها من الرجل الآخر الغريب؛ ترى مجتمع كهذا يكترث بمن هو أبو الطفل الذكر؟ أما كيفية قبول عبد المطلب بولادة حفيده محمد بعد أعوام من موت إبنه عبد الله؛ فأيضا كان ذلك مقبولا في جزيرة العرب لا في جهلهم بل في إسلامهم!!.

عن أبي سفيان عن أشياخ لهم؛ أن إمرأة غاب عنها زوجها سنتين ثم جاء وهي حامل؛ فرفعها الى عمر فأمر برجمها؛ فقال له معاذ إن يكن لك عليها سبيل فلا سبيل لك على ما في بطنها؛ فقال عمر احبسوها حتى تضع فوضعت غلاما له ثنيتان؛ فلما رآه أبوه قال إبني ورب الكعبة فبلغ ذلك عمر؛ فقال عجزت النساء أن يلدن مثل معاذ؛ لولا معاذ لهلك عمر.

*) منتخب كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال للشيخ العلامة علي المتقي الهندي باب معاذ بن جبل.

وهكذا دخل في عقل أمير المؤمنين عمر ومعاذ وكل الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين أن الحمل سنتين؛ فلم يأمر أحد منهم ولم يطالب أحد برجمها؛ وأخذ الرجل الولد وألف مبروك ورب الكعبة!! وهناك تحفة أخرى من تحف الفاروق عمر بن الخطاب الذي جعل الله الحق عند لسان عمر وقلبه: عن عبد الله بن عبد الله بن أبي أمية المخزومي أن إمرأة هلك عنها زوجها فاعتدت أربعة أشهر وعشرا، ثم تزوجت حين حلت لتمكث عند زوجها أربعة أشهر ونصفا

ثم ولدت ولدا تماما فجاء زوجها عمر بن الخطاب فذكر ذلك له فدعا عمر نساء من نساء الجاهلية قدماء فسألهن عن ذلك فقالت إمرأة منهن أخبرك عن هذه المرأة هلك زوجها حين حملت منه فأهريقت عليه الدماء فحش (أي يبس الولد وهلك في بطن أمه النهاية 1:391). ولدها في بطنها فلما أصابها زوجها الذي نكحت (الزوج الثاني) وأصاب الولد الماء تحرك الولد في بطنها وكبر فصدقها عمر بذلك وفرق بينهما وقال لها عمر أما إنه لم يبلغني عنك إلا خير وألحق الولد بالأول.

*) رواه مالك في الموطأ كتاب الأقضية باب القضاء بإلحاق الولد بأبيه رقم 21 وما بين الحاصرتين استدركته منه. منتخب كنز العمال رقم 15356.

يزيدنا ابن الخطاب من روائعه: عن كليب الجرمي أن أبا موسى كتب الى عمر في إمرأة أتاها رجل وهي نائمة فقالت: إن رجلا أتاني وأنا نائمة فوالله ما علمت حتى قذف فيّ مثل شهاب النار، فكتب عمر تهامية تنومت، قد يكون مثل هذا، وأمر أن يدرأ عنها الحد.(*) منتخب كنز العمال كتاب الحدود من قسم الأفعال فصل في أنواع الحدود - 13480. وهنا يمنع عمر الفارق ابن الخطاب من رجم إمرأة زانية ضبطت ورجل يقذف فيها مثل طلق النار ويقول الخليفة العادل أنها إمرأة تنومت؟؟!!! عن النزال بن سبرة قال: إنا لبمكة إذا نحن بإمرأة اجتمع عليها الناس حتى كادوا أن يقتلوها، وهم يقولون زنت زنت، فأتي لها عمر بن الخطاب وهي حبلى، وجاء معها قومها فأثنوا عليها خيرا. فقال عمر: أخبريني عن أمرك، قالت: يا أمير المؤمنين، كنت إمرأة أصيب من هذا الليل، فصليت ذات ليلة، ثم نمت، فقمت ورجل بين رجلي فقذف فيّ مثل الشهاب، ثم ذهب، فقال عمر: لو قتل هذه من بين الجبلين أو الأخشبين لعذبهم الله، فخلى سبيلها، وكتب الى الآفاق أن لا تقتلوا أحد إلا بإذني. (*) رواه البيهقي في السنن. منتخب كنز العمال كتاب الحدود من قسم الأفعال فصل في أنواع الحدود. 13483.

عن أبي موسى الأشعري قال: أتى عمر بن الخطاب بإمرأة من أهل اليمن، قالوا: بعت، قالت: إني كنت نائمة فلم أستيقظ إلا ورجل يرمي فيّ مثل الشهاب، فقال عمر، يمانية نؤوم شابة فخلى عنها ومتعها. (*) رواه الطبراني في الصغير. منتخب كنز العمال كتاب الحدود من قسم الأفعال فصل في أنواع الحدود. 13484.

وتكتمل سلسلة تحف عمر الفاروق الذي قال عنه محمد الذي لا ينطق عن الهوى أن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه بأن المرأة الزانية والتي تبين حملها تستحق البراءة لأن الذي قذف فيها مثل الشهاب أو مثل طلق النار هو أمر شائع في جزيرة العرب وبين نسائها وهو ليس بزنى فالمرأة كانت تصلي أو كانت نائمة فإذا كان هذا فكر زراع محمد الأيمن ورفيقه في رحلة النبوة وهو الذي فرق به الله بين الحق والباطل وإستنار بنور الإسلام على يد نبي الإسلام فماذا عن أبي طالب الذي كان يتخبط في ظلام الجاهلية؟؟ بالطبع عجائز الجاهلية وأفكار عمر كان نفس الدرب الذي سار على هديه أبو طالب... ذكر أن مالكا رضى الله عنه مكث في بطن أمه سنتين؛ وكذا الضحاك بن مزاحم التابعي مكث في بطن أمه سنتين؛ وفي المحاضرات للجلال السيوطي أن مالكا مكث في بطن أمه ثلاث سنين؛ وأخبرنا سيدنا مالك أن جارة له ولدت ثلاثة أولاد في اثنتي عشرة سنة بحمل أربع سنين.

*) السيرة الحلبية للإمام العلامة برهان الدين الحلبي باب الهجرة الى المدينة.

ويتحفنا الإمام القرطبي في تفسيره لسورة الطلاق الآية:4، فيقول في المتوفى عنها زوجها وتشك أنها حامل عليها أن تنتظر الى خمسة أعوام في انتظار الوضع وزاد إبن العربي بجواز انتظارها لعشرة سنوات وهذا نصه: فإن ارتابت بحمل أقامت أربعة أعوام، أو خمسة، أو سبعة، على اختلاف الروايات عن علمائنا. ومشهورها خمسة أعوام؛ فإن تجاوزتها حَلت. وقال أشهب: لا تحل أبدا حتى تنقطع عنها الرّيبة. قال ابن العربي: وهو الصحيح؛ لأنه إذا جاز أن يبغى الولد في بطنها خمسة أعوام جاز أن يبقى عشرة وأكثر من ذلك.

*) تفسير الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (الطلاق الآية: 4)

ها هم السابقون واللاحقون والمعاصرون والعلماء والأئمة والشيوخ والحدثين الثقاة يدخل في عقولهم أن الحمل سنتين وثلاث سنين وأربع سنين وعشرة وأكثر؛ فكيف لا يدخل ذلك عقل عبد المطلب في عصر الجاهلية وظلامها؛ بينما دخل عقول الصحابة والتابعين والعلماء الذين استناروا بنور الإسلام!!!

يحضرني قول الشاعر:

ما جعفر لأبيه ولا لـه بشبيه	ضحى لقـوم كثير فكلهم يدعيه
هذا يقول بُنيي وذا يخاصم فيه	والأم تضحك منهم لعلمها بأبيه

لكن النبي أراد أن يغلق هذا الباب بقفل الله والعليم الخبير. عن أبي هريرة عن النبي (ص) قال: ثلاث من الكفر بالله شق الجيب والنياحة والطعن في النسب.

*) الجامع الصغير للسيوطي حديث رقم 3437 المستدرك للحاكم من حديث أبي هريرة.

الطعن في النسب كفر!!! عن برة بنت أبي تجراة قالت أول من أرضع رسول الله (ص) ثويبية بلبن ابن لها يقال له مسروق أيام قبل أن تقدم حليمة؛ وكانت قد أرضعت قبله حمزة بن عبد المطلب؛ وأرضعت بعده أبا سلمة بن عبد الأسد المخزومي. ونفس الحديث عن إبن عباس.

*) الطبقات الكبرى لإبن سعد باب ذكر من أرضع رسول الله وتسمية إخوته من الرضاعة.

عن علي بن أبي طالب عليه السلام قال قلت لرسول الله في ابنة حمزة وذكرت له جمالها فقال رسول الله (ص) إنها ابنة أخي من الرضاعة أما علمت أن الله حرم من الرضاعة ما حرم من النسب.

*) الطبقات الكبرى لإبن سعد نفس الباب السابق.

أخبر محمد بن عمر عن أصحابه قال مكث (محمد) عندهم سنتين حتى فطم وكأنه ابن أربع سنين؛ فقدموا به على أمه زائرين لها وأخبرتها حليمة خبره وما رأوا من بركته؛ فقالت آمنة ارجعي بإبني فإني أخاف عليه وباء مكة فوالله ليكونن له شأن؛ فرجعت به ولما بلغ أربع سنين كان يغدو مع أخيه وأخته في البهم قريبا من الحي فأتاه الملكان (وباقي القصة من استخراج العلقة السوداء) فنزلت به على آمنة بنت وهب ثم رجعت به فكان عندها سنة أو نحوها ...

*) الطبقات الكبرى لإبن سعد نفس الباب السابق.

قال ابن إسحاق حدثني جهم بن أبي جهم مولى الحارث بن حاطب ... سمع عبد الله بن جعفر بن أبي طالب قال حدثت عن حليمة بنت الحارث أنها قالت قدمت مكة في نسوة، وذكر الواقدي بإسناده أنهن كن عشرة نسوة من بني سعد بن بكر يلتمسن الرضعاء من بين سعد،.. فقدمنا من مكة فوالله ما علمت منا إمرأة إلا وقد عرض عليها رسول الله (ص) فتأباه إذا قيل إنه يتيم تركناه، قلنا ماذا عسى أن تصنع إلينا أمه، إنما نرجو المعروف من أبي الولد فوالله (؟) ما بقي من صواحبي إمرأة إلا أخذت رضيعا غيري، فلما لم نجد غيره ... قلت لزوجي الحارث .. والله إني لأكره أن أرجع ... ليس معي رضيع، لأنطلقن الى ذلك اليتيم فلآخذه فقال لا عليك أن تفعلي فعسى أن يجعل الله لنا فيه بركة .. فقال صاحبي حين أصبحنا يا حليمة والله إني لأراك قد أخذت نسمة مباركة ... فلم يزل الله يرينا البركة نتعرفها حتى بلغ سنتين ... حتى كان غلاما جفرا، فقدمنا به على أمه ... فلما رأته أمه قلت لها دعينا نرجع بابننا هذه السنة الأخرى، فإنا نخشى عليه وباء مكة ... فسرحته معنا فأقمنا به شهرين أو ثلاثة بينما هو خلف بيوتنا مع أخ له من الرضاعة في بهم لنا، جاء أخوه ذلك يشتد فقال ذاك أخي القرشي جاءه رجلان عليهما ثياب بيض فأضجعاه فشقا بطنه، فخرجت أنا وأبوه نشتد نحوه، فنجده قائما منتقعا لونه، فأعتنقه أبوه وقال يا بني ما شأنك؟ قال جاءني رجلان عليهما ثياب بيض أضجعاني وشقا بطني، ثم استخرجا منه شيئا فطرحاه، ثم رداه كما كان، فرجعنا به معنا، فقال أبوه يا حليمة لقد خشيت أن يكون ابني قد أصيب، فإنطلقي بنا نرده الى أهله قبل أن يظهر به ما نتخوف قالت حليمة فاحتملناه فلم ترع أمه إلا به، فقدمنا به عليها فقالت أخشيتما علي الشيطان، كلا والله ما للشيطان عليه من سبيل، والله إنه لكائن لإبني هذا شأن، ألا أخبركما خبره، قلنا بلى قالت حملت به، فما حملت حملا قط أخف عليّ منه، وهو من الأحاديث المشهورة المتداولة بين أهل السير والمغازي.

*) البداية والنهاية لإبن كثير باب رضاعة عليه السلام من أمه آمنة بعد رضاعة حليمة.

هنا تأكيد من أم محمد على أنها ما حملت حملا أخف منه أي أنها حملت أكثر من مرة؛ كما نجد أن الرضاعة تقارب الأربع سنوات؛ ولما كانت ثويبية قد أرضعت حمزة قبل محمد فيتأكد الفارق بينهما بأربع سنوات. نحن نعلم أهمية هذه النتيجة وخطورتها لكن الباحث عن الحقيقة لا يهتم بهول النتيجة لأن عينيه على الحقيقة ويعرف مسبقا قرارتها ... نعم إنني لا أعتبر ما وصلت إليه حجرا ألقمه أفواه المتغنين بأشرف خلق الله نسبا وجذورا؛ لكنه باقة ورد وكوب ماء للسالكين في طريق الحقيقة لأونس قليلا من وحشتهم وأطفأ بعضا من ظمئهم فالطريق طويل وشاق وموحش!! نعم المجتمع العربي قبل الإسلام؛ كما في الإسلام؛ لم يكن مجتمع عفة وطهارة؛ بل كان مجتمعا متسيبا منحلا منفلتا؛ وهنا يحضرني هذا الحديث: أخرج ابن الضريس في فضائل القرآن عن يعلي بن حكيم عن زيد بن أسلم: أن عمر خطب الناس فقال: لا تشكوا في الرجم فإنه حق ولقد هممت أن أكتبه في المصحف؛ فسألت أبي بن كعب؛ فقال أليس أتيتني وأنا أستقرئها رسول الله (ص)؛ فدفعت في صدري؛ وقلت تستقرئه آية الرجم وهم يتسافدون تسافد الحمر (الحمير)؟

*) الإتقان في علوم القرآن للحافظ جلال الدين السيوطي باب في ناسخه ومنسوخه.

نعم في العصر الجاهلي كما في عصر النبوة كان الأتباع والأشياع يتسافدون ويزنون ويتناكحون ويباضعون ويضاجعون ويفاخذون كما الحمير بلا ضوابط كما قال عمر؛ الذي قال عنه المصطفى إن الحق على لسان عمر وقلبه ولو كان نبي بعدي لكان عمر!!! نعم مجتمع العفة والطهارة هو فقط من خيال شيوخ هز الوسط والمطبلين والمزمرين؛ كما هو في عقول الجهلاء والمضحوك عليهم الذين لم يقرءوا كتابا واحدا من كتب السيرة والسنة؛ أما من قرأ ودرس وفهم وقارن واستنبط واستنتج؛ عرف أن المجتمع العربي في الجاهلية كما في الإسلام؛ هو أبعد ما يكون عن العفة والطهارة؛ بل هو مجتمع بدائي صحراوي أمي ومتخلف.. أخيرا من هو أبو المصطفى أشرف خلق الله؟ هل كان والده حيا يراقب ابنه من بعيد؛ يوصي عليه؛ ويرسل في طريقه من يساعده ويرفعه ويدفعه خطوة بعد خطوة تكفيرا لذنب اقترفه وإراحة لضمير أتعبه؟ من هو أبو المصطفى؟ إنني ألمح آمنة تضحك منهم جميعا لعلمها بأبيه..

31 - اللوح المحفوظ

عن كتاب " المأزق في الفكر الديني"
للدكتور نضال عبد القادر الصالح

اتفق الفقهاء وعلماء الدين على أن النص القرآني قد نزل منجما على النبي محمد، واختلفوا في قدم أو حداثة النص كما اختلفوا في مدة النزول وفي معنى الإنزال وكيفيته. ففي مدة النزول هناك ثلاثة أقوال، فمنهم من قال نزل في عشرين سنة ومنهم من قال في ثلاث وعشرين سنة ومنهم من قال في خمس وعشرين سنة على حسب الخلاف في مدة إقامة النبي محمد بمكة بعد البعثة (1). أما في قدم أو حداثة النص، فلقد انقسم المسلمون الى فريقين: الأول وهم المعتزلة قالوا بخلق القرآن وإنه محدث، والفريق الثاني وهم أهل السُنة والجماعة قالوا بقدم القرآن وبأنه كان محفوظا في السماء العليا في اللوح المحفوظ، ولقد اختلف هؤلاء في الطريقة التي نزل فيها النص القرآني من اللوح المحفوظ حتى وصل الى النبي محمد.

لقد وقع المفسرون في مأزق التعارض بين قول الآيات القرآنية:" شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن" و " إنا أنزلناه في ليلة القدر" مع كون القرآن نزل على النبي محمد منجما في مدة بين العشرين والخمس وعشرين سنة. لذلك حاولوا الخروج من هذا المأزق بعدة أقوال:

- القول الأول: أن النص القرآني نزل من اللوح المحفوظ في السماء العليا الى السماء الدنيا ليلة القدر جملة واحدة ثم نزل بعد ذلك منجما على الرسول.

- القول الثاني: أنه نزل الى السماء الدنيا في عشرين ليلة قدر، وثلاث وعشرين أو خمس وعشرين ليلة قدر، وكان ينزل بعد ذلك طوال السنة منجما على رسول الله.

- القول الثالث: أنه ابتدئ إنزاله في ليلة القدر ثم نزل بعد ذلك منجما في أوقات مختلفة.

- القول الرابع: أنه نزل من اللوح المحفوظ جملة واحدة وأن الحفظة نجمته على جبريل في عشرين ليلة وأن جبريل نجمه على النبي محمد في عشرين سنة (2).

ولقد اختلفوا كذلك في الشكل اللغوي الذي حُفظ فيه القرآن في اللوح المحفوظ واللغة التي نزل بها وكيفية الإنزال، فقيل إنه حُفظ باللفظ والمعنى في اللوح المحفوظ. وذكر بعضهم أن أحرف القرآن في اللوح المحفوظ، كل حرف منها بقدر جبل قاف، وأن تحت كل حرف منها معاني لا يحيط بها إلا الله. وقال البعض الآخر إن الله ألهم كلامه لجبريل وهو في السماء وعلمه قراءته ثم جبريل أداه في الأرض وهو يهبط في المكان. وقال أناس إن جبريل تلقفه تلقفا روحيا ومن ثم نزل به على الرسول، وهذا قول ينسب النص اللغوي الى الملاك جبريل حيث إنه تلقاه من الله روحيا وليس لغويا. وقيل أيضا **إن جبريل نزل على الرسول محمد بالمعاني وإن النبي محمد عبر عنها بلغة العرب**، وهذا قول ينسب النص اللغوي القرآني الى الرسول محمد حيث إنه قول يدعي تلقي الرسول المعاني القرآنية ومن ثم صاغها الرسول بالنص اللغوي العربي. وفي قول آخر إن جبريل ألقى عليه المعنى واللفظ بلغة العرب لأن أهل السماء يقرأونه بالعربية (3).

هنا يجب أن نقف قليلا عند القول السابق وفيه " أن جبريل نزل على الرسول محمد بالمعاني وأن النبي محمد عبر عنها بلغة العرب"، ونمعن التفكير في ما يعنيه هذا الكلام والذي يسمح لقارئه بإعادة التفكير في ما اعتاد أن يقرأه ويسمعه، خاصة وأن هذا القول ورد في مراجع مُعترف بها عند أمة الإسلام قام على تأليفها رجال يوصفون بـ " شيوخ الإسلام" ويُعاد طبعها عاما بعد عام من دون أن يتهمهم أحد بالكفر ولا بالزندقة والخروج على الدين، وهم بدورهم ينقلون هذا القول عن مصادر إسلامية سابقة لم يشكك أحد بصلاحها. يخرج القارئ من هذا القول بأن الفكر الإسلامي سمح بإمكانية أن يكون النص اللغوي القرآني الذي بين يدينا هو من صياغة النبي محمد، وبشكل أوضح أن النبي محمد صاغ النص القرآني لغويا بلغة العرب بناء على معانٍ إلهية ألهمت إليه، وهو قول ما كان ليخطر على بال مسلم ولا يجرؤ اليوم أن ينطقه مسلم من دون التعرض للإتهام بالكفر والخروج عن أمة محمد.

أما في طريقة التنزيل فقال البعض إن النبي محمد انخلع من صورة البشرية الى صورة الملكية وأخذه من جبريل، وقال البعض الآخر إن جبريل انخلع الى صورة البشرية حتى يأخذ النبي النص القرآني منه (4). ومن كل ما سبق نجد أن الفقهاء والمفسرين لم يتفقوا يوما على ماهية النص القرآني وطريقة إيحائه والأسلوب اللغوي الذي تلقاه به الرسول محمد. فمنهم من قال إن جبريل تلقاه من الله لغة ومعنى، ومنهم من قال بل معنى وجبريل صاغه باللفظ العربي. كما أن البعض قال إن الرسول محمد تلقاه من جبريل معنى والرسول بدوره صاغه بالنص العربي، وهذا يعني أن النص القرآني الذي بين أيدينا هو من نتاج صياغة الرسول اللغوية، والبعض الآخر قال بل الرسول محمد تلقاه من جبريل نصا ومعنى. يُجمع علماء أهل السُنة والجماعة على أن النص القرآني قديم قدم الله، بإعتبار القرآن كلام الله تعالى وكلام الله صفة لذاته وأنه قائم به ومختص بذاته. النص القرآني، في رأيهم، كان محفوظا في ما أسموه اللوح المحفوظ. ولا ندري ما هو هذا اللوح المحفوظ وما هو شكله وحجمه ومِم يتركب، وكل ما يحدثنا به علماء السنة والجماعة أنه موجود في السماء العليا، " وهو مشتمل على ما يجري في العالم من جليل ودقيق من جميع الحيوانات وغيرها" (5).

كما يصرون على أن حروف القرآن في اللوح المحفوظ كبيرة كبر جبل قاف، وأن تحت كل حرف منها معاني لا يحيطها إلا الله. كما نفهم منهم أن النص القرآني نزل ليلة القدر من اللوح المحفوظ في السماء العليا الى مكان اسمه بيت العزة في السماء الدُنيا (6)، ولا نعلم ما يعنون بالسماء العليا والسماء الدنيا وما هو بيت العزة هذا.

والسؤال هنا إذا كان القرآن بصفته كلام الله قديما قدم الله ذاته، وكلام الله كما يقولون قائم به ومختص بذاته، وفي نفس الوقت هو موجود منذ القدم في اللوح المحفوظ في السماء العليا، ألا يعني قولهم هذا أن اللوح المحفوظ كذلك قديم قدم الله وأنه قائم بالله تعالى ومختص بذاته؟ ألا يعني هذا الخروج عن صلب العقيدة الإسلامية الداعية لوحدانية الله؟

هنا يتحرك الخيال وإسقاطاته على ظاهر النصوص القرآنية من أجل محاولة الخروج من مأزق تعارض النص القرآني [" شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن" و " إنا أنزلناه في ليلة القدر"] مع كون القرآن نزل على النبي محمد منجما في مدة تتراوح بين العشرين والخمس وعشرين سنة. هذا بالإضافة الى محاولة الإجابة على تساؤلات اليهود الذين قالوا للرسول:" يا أبا القاسم لولا أنزل هذا القرآن جملة واحدة كما أنزلت التوراة على موسى"! فكان لا بد من إنزال متخيل في ليلة القدر من اللوح المحفوظ في السماء العليا الى بيت العزة في السماء الدُنيا. كما كان من الضروري زرع قدم النص القرآني في الفكر الإسلامي حتى يُستغل في تثبيت سلطة الحكم السياسي الديني المثبتة حسب رأيهم منذ القديم في اللوح المحفوظ. ولكن من أجل الخروج من مأزق واحد، أسقط هذا التأويل الفكر الإسلامي في مآزق أخرى كان لا بد من محاولة الخروج منها. من أجل تعليل القول بنزول القرآن من السماء العليا الى السماء الدُنيا، قيل إن السر في ذلك تفخيم أمره وأمر من نزل عليه وذلك بإعلام سكان السماوات السبع أن هذا آخر الكتب المنزلة على خاتم الرسل لأشرف الأمم قد قربناه إليهم لنزوله عليهم، وإن الحكمة الإلهية اقتضت وصوله إليهم منجما حسب الوقائع وبحسب الحاجة. وفي قول آخر إن القرآن لم ينزل من السماء الدنيا جملة واحدة لأن منه الناسخ والمنسوخ ولا يأتي ذلك إلا فيما أنزل مفرقا ومنه جواب لسؤال ومنه ما هو إنكار على قول قيل أو فعل فُعل. وعن ابن عباس أنه قال: ونزله جبريل بجواب كلام العباد وأعمالهم (7).

وهنا نجد التناقض واضحا بين القول بقدم النص القرآني ووجوده منذ الأزل في اللوح المحفوظ وبين الإعتراف بأنه نزل منجما حسب الوقائع الأرضية وبجواب على كلام العباد وأفعالهم، والتي دعاها المفسرون والفقهاء أسباب نزول القرآن، مع أن البعض يرفض هذه التسمية ويصر على أن القرآن نزل في مناسبات وليس لأسباب دعت الى نزوله من اللوح المحفوظ. لأننا إذا أخذنا بقدم النص القرآني وبوجوده منذ القدم في اللوح المحفوظ، فإن ذلك يعني أن أعمال العبادة وأقوالهم كانت أيضا مبرمجة مسبقا ولا إرادة للعباد في ما يفعلون أو يقولون. فما معنى التهديد إذن بالعقاب والوعد بالثواب على أعمال وأقوال خارجة عن قدرة الإرادة البشرية؟ وفي حديث نسب الى النبي محمد أن موسى تحاج مع آدم، فقال موسى لآدم أنت الذي أدخلت ذريتك النار، فقال آدم يا موسى: أنت الذي اصطفاك الله برسالته وكلامه وأنزل عليك التوراة أتلومني على أمر قدره الله عليّ قبل أن يخلقني (8).

أليست هذه إشارة واضحة الى أن كل أفعال البشر من خير وشر مبرمجة مقدما من قبل القدرة الإلهية؟ أليست هذه ومثيلاتها إشارات لدعم الجبرية في التفكير، وأن كل أعمال العباد بمن فيهم حكامهم مبرمجة لهم مسبقا في لوح محفوظ منذ الأزل ولا دخل للبشرفي ردها أو قبولها؟ حاول علماء المعتزلة الخروج من هذا التناقض بناء على إيمانهم بوحدانية الله وعدله في حكمه وقضائه ورحمته في خلقه ورفضهم لوجود أي صفة قديمة خارجة عن الذات الإلهية، فقالوا بحرية الإرادة الإنسانية وبمسؤلية الإنسان عن أفعاله، ورفضوا فكرة قِدم القرآن وقالوا إن القرآن محدث أي مخلوق. لا نريد الخوض في الجدل الكلامي بين المعتزلة وخصومهم حول العلاقة بين الدلالة اللغوية وشرط المواضعة، وهل أن كلام الله صفة من صفات فعل الله وهو محدث بوجود من يخاطبه من الملائكة أو البشر، ووجودهم محدث لا ريب فيه كما قال المعتزلة، أم أنه صفة من صفات ذاته سبحانه وهو قديم كما قال خصومهم من الأشاعرة وأهل السُنة والجماعة. ولكن نزول النص القرآني منجما في عشرين سنة أو أكثر، في جواب على سؤال أو إنكار لقول أو فعل، أو في جواب على كلام العباد وفعلهم، وأن فيه الناسخ والمنسوخ حسب تغير الوقائع الأرضية، حسب ما ورد في المصادر الإسلامية المُعترف بها من قبل المسلمين، ليؤكد العلاقة الوثيقة والجدلية بين النص القرآني والواقع الذي نزل من أجله وخاطبه ويرفض فكرة أزلية النص القرآني ويؤكد على أنه مُحدث حسب الأحداث الواقعة على الأرض والتي كانت سببا في نزوله. ولكن ممثلي المؤسسة الدينية الذين سموا أنفسهم علماء السُنة والجماعة، استنكروا هذا القول ورفضوه جملة وتفصيلا وأخرجوا قائليه من أمة محمد. وكان لا بد من استعمال السلاح القديم ـ الحديث، وهو سلاح التكفير ومخلفاته، فوُسم كل من يقول بخلق القرآن بالزنديق والكافر من يجب أن يُحبس حتى يعلن توبته وإلا يتوجب ضرب عنقه (9). هكذا سمح ممثلوا السلطة الدينية لأنفسهم بالغوص في إسقاطات تخيُّلية عن لوح محفوظ مُعلق في السماء العُليا من دون أي برهان عقلي أو نصي واضح وإنما بناء على أحاديث نُسبت الى النبي ونقلت على ألسنة بشر عن بشر. والبشر كما أكدت لنا الوقائع التاريخية ولا تزال تؤكد، لهم أهواء وأخطاء ومآرب ولا يمكن الإعتماد على نقلهم في الأمور التي تتعلق بالمواقف العقيدية التي يُبنى على أساسها فكر أمة على مدى العصور. وفي الوقت الذي سمحت السلطة الدينية لنفسها بكل ذلك، رفضت وألغت فكر جماعة حاولت أن تُعمِل عقلها وتجتهد، فوُصمت بالكفر وأحِل دمها وقطعت رؤوس أصحابها، وما أسهل ضرب الأعناق وقطع الرؤوس عند ممثلي السلطة السياسو ـ دينية.

ولقد كان ولا يزال لمقولة قدم القرآن في اللوح المحفوظ ولمقولة الجبر الناتجة عن ذلك بعد سياسي لبرمجة العقل الإسلامي بأن الله قد حكم أزلا أن تصل هذه الأسرة أو تلك، أو هذا الرجل أو ذاك (الأمويون أولا ومن بعدهم العباسيون ومن بعدهم تلك أو ذاك الى يومنا هذا) الى الحكم والسلطة وأن ما يعملون به من تسلط وقهر وقتل للعباد وسلب أموالهم وأملاكهم ما هو إلا نتيجة لقدر إلهي مبرمج منذ الأزل. ولذلك وقف خلفاء بني أمية ومن بعدهم بني العباس، إلا ما ندر، موقفا صارما في غاية العنف من المفكرين الذين قالوا بحرية الإرادة الإنسانية وبمسؤولية الإنسان عن أفعاله. لقد حاولوا الخروج من مأزق ظاهر التناقض بين النص والوقائع فأوقعوا الإسلام والمسلمين في مأزق أكثر تعقيدا لم تستطع أن تخرج منه الأمة حتى يومنا هذا.

الهوامش

(1) السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن: **الإتقان في علوم القرآن**، بيروت، المكتبة الثقافية، 1973،(وفي هامشه **إعجاز القرآن** لأبي بكر الباقلاني)، الجزء الأول، ص 39.

(2) المصدر السابق، ص 40.

(3) المصدر نفسه، ص 43.

(4) نفس المصدر والصفحة.

(5) شهاب الدين أحمد بن محمد الهائم المصري، **البيان في تفسير القرآن**، ج1، ص 191، تحقيق د. فتحي أنور الدابولي، نشر دار الصحابة في طنطا، 1992.

(6) المصدر السابق.

(7) السيوطي، **الإتقان**، مصدر مذكور سابقا، ص 42.

32 ـ محمد واليهود

من كاد لمن؟

الواقع أن قصة محمد مع يهود المدينة تفرض علينا بعض التطويل الذي لا بد منه ونحن نستميح القارئ الكريم عذرا لهذا. بعد هجرة محمد من مكة للمدينة تودد لليهود حتى يصادقوا على دعوته. وفي سبيل ذلك أوصى أتباعه بصوم عاشوراء بدعوى " إننا أولى بموسى منكم" بل أنه كان يصلي وأتباعه تجاه بيت المقدس. ولكن سرعان ما انقلب عليهم كما هو موثق في كتب التراث الإسلامي. ولنبدأ بكتاب أسباب النزول للنيسابوري وهو يتناول سورة الكهف وهي سور مكية.

ذكر محمد بن إسحاق سبب نزول هذه القصة ـ قصة أصحاب الكهف ـ مشروحا فقال: كان النضر بن الحارث من شياطين قريش وكان يؤذي رسول الله (ص) وبنصب له العداوة وكان قد قدم الحيرة وتعلم بها أحاديث رستم وأسفنديار وكان رسول الله إذا جلس مجلسا ذكر فيه الله وحدث قومه ما أصاب من كان قبلهم من الأمم فكان النضر يخلفه في مجلسه إذا قام. ويقول: أنا والله يا معشر قريش أحسن حديثا منه فهلموا فأنا أحدثكم بأحسن من حديثه ثم يحدثهم عن ملوك فارس. ثم إن قريشا بعثوه وبعثوا معه عقبة بن أبي معيط الى أحبار اليهود بالمدينة وقالوا لهما سلوهم عن محمد وصفته وأخبروهم بقوله فإنهم أهل الكتاب الأول وعندهم من العلم ما ليس عندنا من علم الأنبياء فخرجا حتى قدما الى المدينة فسألوا أحبار اليهود عن أحوال محمد. فقال أحبار اليهود: سلوه عن ثلاث عن فتية ذهبوا في الدهر الأول ما كان من أمرهم فإن حديثهم عجب وعن رجل طواف قد بلغ مشارق الأرض ومغاربها ما كان نبؤه وسلوه عن الروح ما هو فإن أخبركم فهو نبي وإلا فهو متقول ..." فإن هذا النص كما ترى يدلنا على أن اليهود هم الذين كانت بأيديهم المقاييس التي يفرقون بها بين الصادق والكاذب من النبيين والمتنبئين. على أن القرآن نفسه قد اعتمد على هذا المقياس في الإيحاء بنبوة محمد وصدق رسالته حين ختم بعض الأقاصيص القرآنية بآيات يُستفاد منها أن الأخبار الواردة في هذه الأقاصيص من أنباء الغيب وأنها قد أوحيت الى النبي عليه السلام. قال تعال عقب قصة مريم { ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم وما كنت لديهم إذ يختصمون} (آل عمران: 44).

والظاهرة التي يحسن بنا الإلتفات إليها في هذا المقام هي أن القرآن حين جعل هذه الأخبار من آيات النبوة وعلامات الرسالة جعلها أيضا مطابقة لما في الكتب السابقة أو لما يعرفه أهل الكتاب من أخبار حتى ليخيَّل إلينا أن مقياس صدقها وصحتها من الوجهة التاريخية ومن وجهة دلالتها على النبوة والرسالة أن تكون مطابقة لما يعرفه أهل الكتاب من أخبار. قال تعالى بعد ذِكره لقصة يوسف { لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون } (يوسف: 111) وقال تعالى بعد ذِكره لقصة موسى وفرعون { فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فإسأل الذين يقرأون الكتاب من قبلك لقد جاءك الحق من ربك فلا تكونن من الممترين} (يونس: 94).

الواضح من آيات القرآن الكريم أن المشركين كانوا يعتقدون أن الوقوف على أمثال هذه الأخبار الواردة في القصص القرآني ليس شاقا ولا عسيرا فضلا عن أن يكون مستحيلا حتى يصبح معجزا ومن هنا ذهبوا الى أن محمدا عليه السلام يكتتب هذه الأخبار وأنها ليست من الوحي وأن الذي يعلمه إياها بشر. قال تعالى { وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا} (الفرقان: 5). بل ذهبوا الى أبعد من هذا فذهبوا الى أنهم يستطيعون الإتيان بمثل هذه الأساطير. ولقد صور القرآن قيلهم وصور صنيعهم. فقال تعالى مصورا هذا القيل {وإذا تتلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا إن هذا إلا أساطير الأولين} (الأنفال: 31).

ويفهم المفسرون هذا الصنيع من المعارضة وإنهم ليذكرون لنا أن قريشا كانت تستملح أحاديث النضر بن الحارث وأضرابه. جاء في الكشاف بصدد حديثه عن الآية السابقة " وقيل نزلت في النضر بن الحارث وكان يتجر الى فارس فيشتري كتب الأعاجم فيحدث بها قريشا ويقول إن كان محمد يحدثكم بحديث عاد وثمود فأنا أحدثكم بأحاديث رستم وبهرام والأكاسرة وملوك الحيرة فيستملحون حديثه ويتركون استماع القرآن" (الكشاف:193/2).

بقبول محمد لليهود كأصحاب القياس الذي يخضع له القرآن أوقع نفسه في الفخ الذي نصبه اليهود له. المتأمل في الرد القرآني على أسئلة اليهود لا بد له أن يخرج بنفس النتيجة التي خرجوا بها. سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم قل ربي أعلم بعدتهم ما يعلمهم إلا قليل فلا تمار فيهم إلا مراء ظهرا ولا تستغث فيهم منهم أحدا (الكهف: 22). ولبثوا في كهفهم ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعا (الكهف: 25). ويسألونك عن ذي القرنين قل سأتلوا عليكم منه ذكرا. إنا مكنا له في الأرض وأتيناه من كل شئ سببا. فإتبع سببا. حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة ووجد عندها قوما قلنا يذا القرنين إما أن تعذب وإما أن تتحذ فيهم حسنا (الكهف: 83ـ 86). ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلا (الإسراء: 85).

كانت هذه اجابات محمد على أسئلة اليهود الثلاثة. واضح أنه لم يأت بإجابة على السؤال الأول والثالث وأما السؤال الثاني فكانت إجابته مخالفة للمنطق. فالشمس لا تغرب في بئر وذو القرنين (الذي هو الإسكندر الأكبر بحسب مفسري القرآن) كان رجلا وثنيا ولم يكن رجلا صالحا. وبهذا فشل محمد في الإختبار اليهودي وخلص اليهود من هذا بأنه متقول. هذه هي الخلفية التاريخية لعلاقة محمد باليهود.

لم ينسى محمد ليهود المدينة هذا الموقف رغم أنه عندما هاجر إليها حاول استمالتهم كما سبق ذكره. فلما اشتد ساعده بعد موقعة بدر كان له منهم موقفا آخر. ولهذا كان نداء النبي (ص) للرجال:" من ظفرتم به من رجال يهود فإقتلوه"،

وهو ما تم تنفيذه بالفعل في عدة رؤوس يهودية، وهو المنحى الذي جاءت مفاصله في آيات تنسخ حرية الإعتقاد، لتنتهي العمل بآيات من قبيل " لكم دينكم ولي دين" (الكافرون: 6)، وتلغي الصفح الجميل والصبر الأجمل، لتؤكد معنى جديدا هو " إن الدين عند الله الإسلام" (آل عمران: 19).

وهي السياسة التي ابتغت انضواء اليهود الكامل، السياسي والعقدي، تحت لواء الدولة الجديدة وسيادة مؤسسها، أو استئصال شأفتهم من يثرب، وهو الأمر الذي كان سببه الوضع الخاص جدا باليهود، كأصحاب كتاب سماوي ودستور عقدي وأيديولوجيا تاريخية موثقة، وهو ما جعلهم المنكر الحضاري الحي لنبوة النبي العربي، مما كان يشكل خطرا دائما وحقيقيا على الدولة الوليدة وأيديولوجيتها العربية، وهو ما صب في إعلان واضح يسفر عن الهدف، فيما جاء مرويا عن الزهري عن عروة: نزل جبريل على رسول الله (ص) بهذه الآية:" وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء إن الله لا يحب الخائنين" (الأنفال: 58)، فقال رسول الله: أنا أخاف من نبي قينقاع، فسار إليهم ولواؤه بيد حمزة. (عيون الأثر ابن سيد الناس ج1 ص 353).

إذا كان لا بد لنبي الإسلام أن يفتعل زريعة عدر اليهود ليكون له مبررا لمحاربتهم. ومن ثم انجلت غزوة قينقاع عن هجرتهم من يثرب كأول قبائل يهود يتم إجلاؤها عن المدينة، مع استيلاء المسلمين على كراعهم وأسلحتهم وأرضهم.

بعد هزيمة أحد كان لا بد للنبي عن أن يكشر عن أنيابه فلم يجد طعما سهلا غير اليهود. وهنا يلتقط البيهقي الخيط من نبيه فيكتب في دلائل النبوة:

اجتمعت بنو النضير بالغدر، فأرسلوا الى النبي (ص):- اخرج إلينا في ثلاثين رجلا من أصحابك، وليخرج منا ثلاثون حبرا، حتى نلتقي بمكان المنصف، فيسمعوا منك، فإن صدقوا وآمنوا بك، آمنا بك، فلما كان الغد، عدا رسول الله (ص) بالكتائب فحصرهم فقال لهم: إنكم والله لا تأمنون عندي إلا بعهد تعاهدوني عليه، فأبوا أن يعطوه عهدا، فقاتلهم يومهم ذلك، ثم غدا على بني قريظة بالكتائب وترك بني النضير، ودعاهم الى أن يعاهدوه فعاهدوه فإنصرف عنهم. (دلائل النبوة البيهقي ج 7 ص 179).

ويفهم من الحديث هنا أن يهودا أرادت اختبار نبوة النبي بالحوار المعرفي والفقهي الديني، لكن النبي رأى أن يتعامل معهم بمنطق آخر فجرد عليهم كتائبه العسكرية، وقاتل النضير حتى نزلت على عهد مكتوب معه، ثم أن قريظة رضيت بالعهد دون قتال.

غزوة النضير:

يقول الطبري في تاريخه إن يهود النضير عندما أجابوا النبي (ص) الى ما طلب: قام وقال لأصحابه: لا تبرحوا حتى آتيكم، وخرج راجعا الى المدينة، فلما استلبث رسول الله (ص) أصحابه، قاموا في طلبه، فلقوا رجلا مقبلا من المدينة، فسألوه عنه، فقال: رأيته داخلا المدينة، فأقبل أصحاب رسول الله (ص) حتى انتهوا إليه ... فقالوا، يا رسول الله، انتظرناك ومضيت، فقال: يهود همت بقتلي وأخبرنيه الله عز وجل. أما كيف همت نضير بقتل النبي وهو جالس وسط رجاله، وكيف علم النبي وحده بتلك المؤامرة، فهو ما تخبرنا به رواية ابن إسحاق وهو يقول:" فأتى رسول الله الخبر من السماء بما أراد القوم، فقام وخرج عائدا الى المدينة"، وقد أخبرته السماء عبر وسيطها جبريل أن يهود نضير قد خلا بعضهم ببعض فقالوا:" إنكم لن تجدوا الرجل على مثل حاله هذا، ورسول الله (ص) الى جانب جدار من بيوتهم قاعدا، فمن رجل يعلو على هذا البيت فيلقي عليه صخرة ويريحنا منه" (1).

ومن ثم لم يكن هناك سوى رد واحد على خبر السماء الصادق بخيانة بني نضير الواضحة، وهو الجلاء عن يثرب، وزيادة في النكاية بهم أرسل النبي لهم واحدا من الأوس هو محمد بن مسلمة، يحمل إليهم رسالة النبي تنذر وتقول بلا لبس: اخرجوا من بلدي فلا تساكنونني بها، وقد هممتم بما هممتم به من الغدر، وقد أجلتكم عشرا، فمن رُئي بعد ذلك، ضربت عنقه (2). لقد كانت نضير تظن عبر تاريخها الطويل أن يثرب بلدها هي، لكن ها هي الرسالة واضحة مفصحة تؤكد أنها قد أصبحت بلد الرسول، وأنه سيدها، وأن عليهم مغادرتها فورا وخلال أيام عشرة أو يكونوا في خسر تقطع بعدها منهم الرقاب إن ظلوا قائمين وذلك بعد أن تغيرت القلوب أو بنص الطبري " تغيرت القلوب ومحا الإسلام العهود". ويقول ابن كثير أن النضير لما " نابذوه بنقض العهود، عند ذلك أمر الناس بالخروج إليهم .. فحاصرهم ست ليال .."، لكن يهود لم تستسلم، وهنا أمر النبي بهدم مساكنهم المنتشرة حول حصونهم، كما أمر بالمعاول وتقطيع النخل والأشجار وحرق المزروعات، فنادوه: يا محمد؛ قد كنت تنهي عن الفساد وتعيبه على من صنعه، فما بال تقطيع النخل وتحريقها؟!. (3)

ما ذنب شجرة وأنتم تزعمون أنكم مصلحون؟ (4) وقال الحلبي في سيرته: لما قطعت العجوة، شق النساء الجيوب، وضربن الخدود، ودعون بالويل. وعند ذلك نادوه .. يا أبا القاسم .. ما هذا الفساد؟.. يا محمد زعمت أنك تريد الصلاح، أفمن الصلاح قطع النخل؟ وهل وجدت فيما زعمت أنه أنزل عليك الفساد في الأرض؟ وقالوا للمؤمنين: إنكم تكرهون الفساد وأنتم تفسدون؟!. (5)

قال السهيلي في شروحه: فوقع في نفوس المسلمين شئ من هذا الكلام (6). هنا لم يكن الأمر مسألة مبادئ توجه إليها الإنتقادات والملامات، أو أفكار تعاب، فالمعركة يجب أن تحسم، ولن تحسمها سوى القوة العسكرية لا الأخلاقيات التي قعدها قوم مزارعون وضعوا لها الأعراف لحماية زروعهم، وعليه فقد جاء الرد وحيا يرفع الملامة عن النبي وصحبه، يؤكد ألا ملامة في قطع الزرع وحرق النخيل، فكله بأمر الله وحده وإرادته، ليقول الآي الكريم " ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله وليخزى الفاسقين" (الحشرة: 5).

واستمر الحصار يوما وراء آخر حتى بلغ خمسة عشر يوما، وهنا " صالحوه على أن يحقن دماءهم وله الأموال والحلقة" (7). ولهم ما حملت الإبل، ووافق النبي الكريم (ص) لكن حتى لا تحمل الإبل متاعا، فقد أعطى لكل ثلاثة أفراد بعيرا واحدا يركبون عليه ويحملون عليه ما يمكن حمله.

وجاء وقت توزيع الغنائم، وفي ذلك يقول الحلبي " كان نخل بني النضير لرسول الله (ص) خاصة، أعطاه الله تعالى إياه .. وأكثر الروايات، أن أموال بني النضير أي مواشيهم كالخيل ومزارعهم وعقارهم، حق لرسول الله خاصة له.. حبسا لنوائبه، وكان ينفق على أهله منها، وكانت صدقاته منها (8). وفي الحديث عن عمر بن الخطاب أنه قال:" إن أموال بني النضير كانت مما أفاء الله على رسوله، مما لم يوجف المسلمون عليه بخيل ولا ركاب، وكانت لرسول الله (ص) خالصة. وهو ما جاءت بشأنه الآيات لتحسم أمره، حيث أوضحت أن المسلمين لم يبذلوا في سبيله ولم يحاربوا من أجله، ومن ثم فهو من حق النبي وحده، حين تقول الآيات " وما أفاء الله على رسوله منهم فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب" (الحشر: 6)، أما ما حدث لنضير فهو بأمر الله، حيث تؤكد الآيات " ولكن الله يسلط رسله على من يشاء والله على كل شئ قدير" (الحشر: 6). أما الآيات الكريمة فكانت تختتم الحدث، يتردد صداها بين فيافي الجزيرة ويسري مع الرياح يسمع مضارب القبائل في كل مكان، ورجع الصدى منه يرجف قلوب العرب ويصك أسماعهم، حيث تقول: " سبح الله ما في السماوات وما في الأرض وهو العزيز الحكيم. هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر ما ظننتم أن يخرجوا وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين فاعتبروا يا أولي الأبصار. ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء لعذبهم في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب النار. ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاق الله فإن الله شديد العقاب" (الحشر: 4/1).

مذبحة قريظة:

عن عائشة : أن رسول الله (ص) لما فرغ من الأحزاب دخل المغتسل ليغتسل وجاءه جبريل فرأيته من خلال الباب قد عصب رأسه الغبار، فقال: يا محمد أوضعتم أسلحتكم؟ فقال: وضعنا أسلحتنا، فقال: إنا لم نضع أسلحتنا بعد، أنهد الى بني قريظة، ثم قال البخاري .. عن أنس بن مالك قال: كأني أنظر الى الغبار ساطعا في زقاق بني غنم، موكب جبريل حين سارع رسول الله (ص) الى بني قريظة (9).

أو برواية الطبري:

فلما كان الظهر أتى جبريل رسول الله (ص) معتجرا بعمامة من استبرق، على بغلة عليها رحالة، عليه قطيفة من ديباج، فقال: أوقد وضعت السلاح يا رسول الله؟ قال: نعم، قال جبريل: ما وضعت الملائكة السلاح، وما رجعت الآن إلا من طلب القوم، إن الله يأمرك يا محمد بالمسير الى بني قريظة، وأنا عامد الى بني قريظة، فأمر رسول الله (ص) مناديا فأذن في الناس: من كان سامعا ومطيعا، فلا يصلين العصر إلا في بني قريظة (10).

ولمزيد من التأكيد على أن المسير الى قريظة كان أمرا إلهيا، حمله جبريل الى الرسول الأمين، يقدم البيهقي الشواهد الدالة على مقدم مبعوث الإله الأول جبريل، يحمل ذلك الأمر السماوي، في قوله: وخرج النبي فمر بمجالس بينه وبين قريظة، فقال: هل مر بكم من أحد ؟ قالوا: مر علينا دحية الكلبي على بغلة شهباء، تحته قطيفة من ديباج، فقال النبي (ص): ليس ذلك بدحية، ولكنه جبريل عليه السلام، أرسل الى بني قريظة ليزلزلهم ويقذف في قلوبهم الرعب.

ومن المعلوم أن دحية هذا رجل معلوم الشأن لأهل يثرب، فهو دحية بن فروة بن فضالة، من الخزرج، وكان صاحب رسول الله (ص) (11). وطاعة لأمر السماء، خرج المسلمون الى بني قريظة ليضربوا عليهم الحصار، ولما يهدأ بعد غبار سوائم وخيول الأحزاب المغادرة. واصطف جنود الرحمن يتحلقون حول الحصون القرظية، ويصل الرسول الى مقدمة الدوائر المقاتلة مقتربا من الحصون، وبينما يصنع له أصحابه بالحجف ما يشبه البوق ليسمعهم كلامه، كان يهود قريظة يرهفون الأسماع وهم يرجفون لندائه:

يا إخوة القردة والخنازير: لكن ليرد المرتعدون: يا أبا القاسم ما كنت فحاشا!! (12). ليعود النبي يناديهم: يا إخوان القردة: هل أخزاكم الله وأنزل بكم نقمته؟ وتفهم قريظة الرسالة لترد راعشة: يا أبا القاسم ما كنت جهولا!! (13). وأما ما تراه قريظة، أخذت تصرخ طالبة من محمد أن يرسل إليهم من حلفائهم أبا لبابة بن عبد المنذر الأوسي، وسمح الرسول لأبي لبابة بالمرور الى حصونهم ليسمع منهم، ونتصت مع كتب السير لذلك المسمع يقول:

قالوا: يا أبا لبابة: ماذا ترى وماذا تأمرنا به فإنه لا طاقة لنا بالقتال؟ ولم نجد قولا لأبي لبابة، بل إشارة وحركة ذات معنى، فيورد ابن كثير رده على التساؤل: فأشار أبو لبابة بيده الى حلقه وأمره عليه، يريهم أنه إنما يريد بهم الذبح (14).

وهو ذات ما يرويه الطبري في قوله: ثم أنهم بعثوا الى رسول الله (ص) أن أبعث إلينا أبا لبابة بن عبد المنذر أخا بني عمرو بن عوف ـ وكانوا حلفاء الأوس ـ تستشيره في أمرنا، فأرسله رسول الله (ص) إليهم، فلما رأوه قام إليه الرجال وجهش إليه النساء والصبيان يبكون في وجهه فرقَّ لهم وقالوا له: يا أبا لبابة، أترى أن ننزل على حكم محمد؟ قال: نعم. ثم أشار بيده الى حلقه: إنه الذبح (15). وندخل مع الطبري الى حصن قريظة الكبير، نستمع لما يدور في الداخل، في تلك الهنيهات البارقة الراجفة من الزمن، لنسمعه يطالع ما يحدث ويقول: وقد كان حيي بن أخطب النضري، قد دخل على بني قريظة في حصونهم، حيث رجعت عنهم قريش وغطفان، وفاء لكعب بن أسد بما كان قد عاهده عليه، فلما أيقنوا أن رسول الله غير منصرف عنهم حتى يناجزهم، قال كعب بن أسد لهم: يا معشر يهود؛ إنه قد نزل بكم من الأمر ما ترون، وإني عارض عليكم خلالا ثلاثا، فخذوا أيها شئتم، قالوا: وما هي؟ قال: نتابع هذا الرجل ونصدقه .. قالوا: لا نفارق حكم التوراة أبدا .. قال: فهلمَّ نقتل أبناءنا ونساءنا ثم نخرج الى محمد .. ولم نترك وراءنا ثقلا يهمنا،

حتى يحكم الله بيننا وبين محمد .. قالوا نقتل هؤلاء المساكين؟! فما خير العيش بعدهم؟ قال: فإن الليلة ليلة سبت، وأنه عسى يكون محمد وأصحابه قد أمنوا فيها، فانزلوا لعلنا نصيب من محمد وأصحابه غرة، قالوا: نفسد سبتنا؟!.. قال: ما بات رجل منكم منذ ولدته أمه ليلة واحدة حازما!! (16).

وينتهي المشهد داخل الحصن بقرار من قريظة، أنها لن تقاتل، وأنها ستنزل على حكم رسول الله وتستأسر جميعا، وبالفعل ينزلون في طابور طويل يكتف فردا فردا بالحبال التي تصلهم ببعضهم، لينتظروا مصيرهم، أملين في موقف الأوس أحلافهم لحقن دمائهم، مثلما فعلت الخزرج من قبل مع قبائل يهود التي خرجت بأرواحها، وتركت المال والعقار والعتاد، وبينما هم في وهمهم هذا نسمع الطبري يقول: ثم استنزلوا فحبسهم رسول الله (ص) في دار امرأة من بني النجار (أي من الخزرج وليس من الأوس)، ثم خرج (ص) الى سوق المدينة .. فخندق بها خنادق (17). وقد بدا الأمر كما لو كان يسير حسبما توقعت قريظة من الأوس، حيث تواثبت الأوس حول النبي تذكره بأن قريظة مواليها دون الخزرج، وأنه سبق ومنح حياة يهود لمواليهم من الخزرج، يطلبون كرامتهم إزاء كرامة الخزرج في المواقف السابقة، وهنا يجيبهم الرسول (ص) بقوله:" ألا ترضون يا معشر الأوس أن يحكم فيهم رجل منكم؟ قالوا: بلى، قال: فذاك سعد ابن معاذ" (18).

في ذلك الوقت كان سعد يعاني من قطع أصاب أكحله (شريانه) بسهم غارب جاءه من خارج الخندق إبان الحصار، ولم تلجأ كتبنا التراثية هنا الى حديث الأحاجي والمعجزات التي ينسبونها للنبي (ص) لأن سعدا لقى نهايته الفاجعة خلال أيام، حيث قام النبي (ص) يحسم له جراحه بنفسه كيًّا بالنار، لكن يده انتفخت ثم انفجر الشريان بالنزيف، فعاد النبي الى كيه مرة أخرى لسد مخرج الدم بالنار فانتفخت يده مرة أخرى، أما الرواة فقد رأوا أن المعجزة لم تحدث هنا، لأن الأكحل إن قطع فلا علاج له كما أفادوا، فهناك ما يمكن علاجه بالمعجزات وهناك ما لا يمكن علاجة كقطع الأكحل. وبينما سعد على حاله هذه، أرسل إليه النبي وجاء به في مشهد يرويه الطبري بقول:

فلما انتهى سعد الى رسول الله قال (ص): قوموا الى سيدكم.. فإنزلوه، فقال رسول الله (ص): أحكم فيهم، قال: فإني أحكم فيهم بأن تقتل الرجال، وتقسم الأموال، وتسبى الذراري والنساء .. فقال رسول الله (ص) لسعد: حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة (19). وهنا يكشف لنا الطبري سر الخنادق التي أمر النبي بخندقتها، بينما كان القرظيون يكتفون بالحبال، حيث يقول: إن النبي قد " بعث إليهم، فضرب أعناقهم في تلك الخنادق، يخرج إليه إرسالا، وفيهم عدو الله حيي بن أخطب، وكعب بن أسد رأس القوم، وهم ستمائة أو سبعمائة، المكثر لهم يقول كانوا نحو الثمانمائة الى التسعمائة" (20).

ويبدأ مشهد المذبحة كالتالي: أتي بعدو الله حيي بن أخطب ..... مجموعة يداه الى عنقه بحبل، فلما نظر الى رسول الله (ص) قال: أما والله ما لمت نفسي في عداوتك أبدا. ثم أقبل على الناس فقال: أيها الناس، إنه لا بأس بأمر الله، كتاب الله وقدره، ملحمة قد كتبت على بني إسرائيل ثم جلس فضربت عنقه (21). ويشرح لنا رجالاتنا من أهل السير كيف كانت المذبحة، فيصور لنا الواقدي أحد المشاهد بقوله: إن رسول الله (ص) أمر لنا يشق لبني قريظة في الأرض أخاديد، ثم جلس، فجعل علي والزبير يضربان أعناقهم بين يديه (22). ويحدد لنا البيهقي مكان المقتلة بدقة فيقول: قتلوا عند دار أبي جهل التي بالبلاط، ولم تكن يومئذ بلاطا، فزعموا أن دماءهم بلغت أحجار الزيت التي كانت بالسوق (23).

ويشرح لنا ابن هشام أنه بينما كان الأوس حلفاء قريظة في الجاهلية، فإن الخزرج لذلك السبب كانوا يحملون لقريظة العداوة، ولما كان الخزرج أخوال النبي، فقد حبس الأسرى القرظيين لديهم، ثم عند المذبحة أمرهم هم بإجراء المذبحة، فيقول مصورا لنا مشهدا أوسع للمذبحة: فجعلت الخزرج تضرب أعناقهم، ويسرهم ذلك، فنظر رسول الله الى الخزرج، ووجوههم مستبشرة، ونظر الى الأوس فلم ير ذلك فيهم، فظن أن ذلك للحلف الذي بين الأوس وقريظة، ولم يكن بقي من قريظة إلا اثنا عشر رجلا، فدفعهم الى الأوس، فدفع الى كل رجلين من الأوس رجلا من بني قريظة، وقال: ليضرب فلان، وليذفف فلان (24).

أما شأن سعد بن معاذ فنعرف من خبره أن أكحله الذي حسمه له النبي (ص) قد عاد وانفجر بعد مذبحة قريظة، ولما كان هو صاحب الحكم الذي هو حكم الله، فقد وجبت مكافأته، فيما يرويه البيهقي: إن جبريل أتى النبي (ص) في جوف الليل، معتجرا بعمامة من استبرق، فقال: يا محمد؛ من هذا الميت الذي فتحت له أبواب السماء، واهتز له العرش؟ فقام رسول الله (ص) يجر ثوبه، مبادرا الى سعد بن معاذ، فوجده قد قبض. ومن ثم وقف النبي يشير الى سعد وهو يعلن: إن هذا الذي تحرك له العرش .. وشيع جنازته سبعون ألف ملك (25). أما ابن سيد الناس فيؤكد مشاركة الملائكة في تشييع جسد سعد الى مثواه الأخير بقوله: ولما حمل سعد على نعشه، وجدوا له خفة، فقال رسول الله: إن له حملة غيركم (26). ثم نعلم من مأثورنا علما جديدا بشأن تلك المذبحة، حيث يعلمنا أنها لم تقتصر على الرجال فقط، بل نالت أيضا من الصبية، حيث يقول الطبري مدعما من كل رجال السير والأخبار أن رسول الله (ص) قد أمر بقتل كل من أنبت منهم (27). وهو أيضا ما يأتينا تأكيده في حكاية ابن إسحاق عن صبي نجا من المذبحة هو عطية القرظي، حيث يقول: وكان رسول الله (ص) قد أمر بكل من أنبت منهم .. عن عطية القرظي قال: كان رسول الله (ص) قد أمر أن يقتل من بني قريظة كل من أنبت منهم، وكنت غلاما، فوجدوني لم أنبت، فخلوا سبيلي، رواه أهل السنن الأربعة .. وقد استدل به من ذهب من العلماء، الى أن إنبات الشعر الخشن حول الفرج دليل البلوغ. وعن كثير بن السائب أن بني قريظة عرضوا على النبي(ص) فمن كان محتلما أو نبتت عانته قتل، ومن لم يكن قد احتلم ولا نبتت عانته ترك.

واصطفى رسول الله (ص) ريحانة بنت عمرو لنفسه، وأمر بالغنائم فجمعت، فأخرج الخمس من المتاع والسبي، وأمر بالباقي فبيع في من يزيد، وقسمه بين المسلمين. أما ريحانة بنت عمرو، التي اختارها النبي، فقد قال بشأنها ابن كثير: عرض عليها النبي (ص) أن يعتقها ويتزوجها فاختارت أن تستمر على الرق، ليكون أسهل عليها، فلم تزل عنده حتى توفى عنها عليه الصلاة والسلام.

ويؤكد الطبري موقف ريحانة في قولها لسيدها الجديد: تتركني في ملكك، فهو أخف عليّ وعليك، فتركها، وكانت حين سباها رسول الله (ص) قد تعصت بالإسلام، وأبت إلا اليهودية.

غزوة المصطلق:

هبط عليهم رسول الله (ص) برجاله في جمادي الآخرة من عام ستة للهجرة. فأخذتهم المفاجأة وشلتهم الصاعقة، فلم يفيقوا إلا على قتلاهم وأسراهم وسباياهم وأموالهم تُجمع بيد القائد المنتصر. ومن بين السبايا كانت جويرية بنت الحارث. وهنا تقول لنا أم المؤمنين السيدة عائشة الغيور: فوالله ما أن رأيتها على باب حجرتي، فكرهتها وعرفت أنه (ص) سيرى منها ما رأيت. ثم إذ جويرية الأسيرة تدخل على النبي وتقول: يا رسول الله: أنا جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار سيد قومه وقد أصابني من البلاء ما لم يخف عليك فوقعت في السهم لثابت بن الشماس فكاتبته على نفسي فجئت أستعينك في كتابتي.

وهنا يتطلع سيد الخلق، العارف بمواطن الجمال والملاحة، ويملأ عينيه منها، ليعقب السهيلي على ذلك التطلع الطويل بقوله:" أما نظره عليه السلام لجويرية، حتى عرف من حسنها ما عرف، فإنما ذلك لأنها كانت امرأة مملوكة، ولو كانت حرة، ما ملأ عينه منها، لأنه لا يكره النظر الى الإماء، ويجوز أن يكون نظر إليها، لأنه نوى نكاحها، كما نظر الى المرأة التي قالت له: إني وهبت نفسي لك .. وقد ثبت عنه عليه السلام. الرخصة في النظر الى المرأة، عند إرادة نكاحها". وكل ما توقعته جويرية الحسناء، التي تعرف قدر حسنها، وقدمت لها الأقدار تحقيق رؤياها، حين قال لها النبي بعد تأمله الطويل: فهل لك في خير من ذلك؟ قالت: وما هو يا رسول الله؟ قال: أقضي عنك كتابك وأتزوجك. قال: نعم يا رسول الله قد فعلت.

وهنا تعقب السيدة عائشة ـ رضي الله عنها ـ:" وخرج الخبر الى الناس، أن رسول الله (ص) قد تزوج جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار، فقال الناس: أصهار رسول الله (ص) وأرسلوا ما بأيديهم، قالت: فلقد أعتق بتزويجه إياها أهل بيت من بني المصطلق، فما أعلم امرأة كانت أعظم على قومها بركة منها (33).

غزوة خيبر:

كانت خيبر أرض زرع وسط بدو جياع، خبرت غدر العربان وإغاراتهم المتكررة وقت نضوج المحصول، عندما كانوا يهبطون عليها كالجراد ينهبون عرق الشهور والتعب والجهد، وهو ما دعا الخيابرة الى إقامة عدد من الحصون القوية والصياصي، لصد تلك الغزوات البربرية، لكن التجربة الجديدة مع الجيش الإسلامي المنظم، أثبتت أنهم ليست مانعتهم حصونهم، فتدنى المسلمون يفتتحون الحصون حصنا حصنا، ليسقط حصن ناعم، وعنده يستشهد الصحابى محمود بن مسلمة، عندما ألقت عليه امرأة خيبرية رحاها من على سور الحصن، ثم حصن النطاة ليسقط بعده حصن الشق، ويهرب سكان كل حصن الى الحصن الذي يليه، حتى يتحصنوا جميعا في الحصون الخمسة الباقية: الأخبية والوطيح والسلالم والقموص والكتيبة.

ويظن الخيابرة أنهم باتوا في أمان، فيرفضون النداء المردد حولهم بالخروج من الحصون مستسلمين، ليمر أربعة عشر يوما من الحصار، انتهى بعدها النبي الى قرار يتم تنفيذه لأول مرة في بلاد العرب، هو الأمر بإقامة المنجنيق لدك الحصون، ذلك السلاح الذي كان قاصرا على جيوش الإمبراطوريات. وأيقن المتحصنون بالهلاك، وأنه لو ضربها بالمنجنيق لدكها دكا، وآل مصير البقية الباقية الى مآل قريظة.

وما أن يشاهد المتحصنون شكل العمل وطبيعته، ويدركون أنها أيام حتى ينتصب السلاح الرهيب، حتى يخرج من الحصن تحت راية السلام زعيمهم كنانة بن أبي الحقيق، حاملا للنبي صلحا على شروط صلح النضير: أن يغادروا بلادهم، ويتركوا للنبي أموالهم وحصونهم وأرضهم، لا يأخذون معهم لا صفراء ولا بيضاء اللهم إلا ما يستر العورة من لباس، فقط نظير أن يحقن النبي (ص) دماءهم، ووافق النبي، وهو ما نقله ابن كثير عن الواقدي وهو يروي: فنزل إليه ابن الحقيق، فصالحه على حقن دمائهم ويسيرهم، ويخلون بين رسول الله وبين ما كان لهم من الأرض والأموال والصفراء والبيضاء والكراع والحلقة، على البر، إلا ما كان على ظهر الإنسان، يعني لباسهم. (ابن كثير ـ البداية والنهاية ج 4 ص 200). فنزلوا من شدة رعبهم منه فصالحوه، وأموال بني النضير المتقدم ذكرها، مما لم يوجف عليه بخيل ولا ركاب، فكانت هذه الأموال لرسول الله خاصة، (ابن كثير ـ البداية والنهاية ج 4 ص 204). لكن الصلح بهذه الشروط الواضحة لم يسر حتى كمال اكتماله، فقد أضاف النبي الى الشروط شرطا آخر، حول الأموال حين قال: وبرئت منكم ذمة الله ورسوله، إن كتمتم شيئا. فصالحوه على ذلك. (ابن كثير ـ البداية والنهاية ج 4 ص 204). أو ما جاء عند ابن سعد برواية ابن عباس، في سؤال النبي(ص) للزعيم الخيبري المرعوب كنانة بن أبي الحقيق، وأخيه الربيع: أين آنيتكما التي كنتما تعيرانها أهل مكة؟ ويرتبك الزعيم المهزوم، ويجف حلقه وهو يقول متلعثما:" هربنا فلم تزل تضعنا أرض وترفعنا أخرى، فذهبنا، فأنفقنا كل شئ، فيرد النبي: إنكما إن كنتما تكتماني شيئا فاطلعت عليه، استحللت دماءكما وذراريكما. فقالا: نعم.(1)

وهنا نعلم أنه كان شركا وقع فيه الزعيمان، حيث نعلم أن النبي كان يعلم سلفا بأمر كنز عظيم، بل كان يعلم بمكانه، حيث يقول ابن سعد: إن الله قد دل رسوله على ذلك الكنز (2)، بينما يوضح لنا ابن هشام في سيرته، سر معرفة الرسول بالكنز المخبوء، في قوله: أتى رسول الله (ص) رجل من يهود فقال لرسول الله: إني قد رأيت كنانة يطيف بهذه الخربة كل غداة. وهو ما دفع النبي للشرط السابق ذكره، والذي أورده ابن هشام في قوله: فقال رسول الله (ص) لكنانة: أرأيت إن وجدناه عندك؛ أأقتلك؟ قال: نعم (3). وهنا نتابع من ابن سعد، الذي لم يعلم بأمر ذلك اليهودي الذي باع قومه وأفشى سر الكنز العظيم، مما دعا ابن سعد لإعتبار معرفة النبي بأمر الكنز خبرا إلهيا، فنجده يقول في روايته متابعا:

فدعا النبي رجلا من الأنصار فقال: اذهب الى قراح كذا وكذا، ثم ائت النخل فانظر نخلة عن يمينك أو عن يسارك، فانظر نخلة مرفوعة، فأتني بما فيه. فانطلق، فجاء بالآنية والأموال (4). والآن وقد كُشف خداع الرجلين، وجيء بكنزهم للنبي، توجه النبي الى كنانة مرة أخرى يسأله ما بقي من كنزه، فأنكره، فأمر به رسول الله الزبير بن العوام فقال: عذبه حتى تستأصل ما عنده.

فكان الزبير رسول الله (ص) الى محمد بن مسلمة، فضرب عنقه بأخيه محمود بن مسلمة (5).

وانطلق السيف الإسلامي يعمل في المستسلمين، ليقتل منهم في قول ابن سعد "ثلاثة وتسعين رجلا من يهود، منهم الحارث أبو زينب، ومرحب، وأسير، وياسر، وعامر، وكنانة بن أبي الحقيق، وأخوه، وإنما ذكرنا هؤلاء وسميناهم لشرفهم" (6).

وكان تبرير تلك المقتلة واضحا لكل ذي عينين، وهو ما ألح ابن كثير على شرحه وبيانه في قوله: قلت: ولهذا، لما كتموا وكذبوا وأخفوا ذلك المسك الذي كان فيه أموال جزيلة، تبين أنه لا عهد لهم**!!** فقتل أبي الحقيق، وطائفة من أهله، بسبب: نقض العهود والمواثيق**!!** .. فقتل رسول الله ابني أبي الحقيق وأحدهما زوج صفيه بنت حيي بن أخطب وسبى رسول الله (ص) نساءهم وذراريهم وأموالهم بالنكث الذي نكثوه. وأراد إجلاءهم عنها، فقالوا: يا محمد دعنا نكون في هذه الأرض نصلحها ونقوم عليها، ولم يكن لرسول الله (ص) ولا لأصحابه غلال يقومون عليها، وكانوا لا يفرغون أن يقوموا عليها، فأعطاهم خيبر، على أن لهم الشطر من كل زرع ونخيل (7).

وهكذا، وبعد المقتلة التي نتجت عن نقض العهود من زعماء خيبر، رأى من بقى منهم أن يقترحوا على النبي أمرا آخر، هو أن يظلوا في أرضهم يزرعونها ويفلحونها ويستخرجون خيراتها، بدلا من مغادرتهم وخراب الأرض وبوارها من بعدهم، على أن يظلوا على دينهم دون تبعية دينية، لكن مع تبعية خراجية، يعطون بموجبها ليثرب شطر محصولهم، مع شرط تنبيهي من النبي، يقول لهم مردفا:

على إنا إذا شئنا أن نخرجكم أخرجناكم. (عن كتاب حروب دولة الرسول)

هل بعد هذا يجرؤ أحد على الإدعاء بأن اليهود هم الذين كادوا لنبي الإسلام؟**!** أليس هو الذي كاد لهم وادعى عليهم محاولة قتله ليتخلص من الشاهد الكتابي (نسبة لأهل الكتاب) على تقوله وكذب إدعائه؟

الهوامش

---

(1) ابن سعد: الطبقات .. سبق ذكره، مج 2، ج1، ص 81.

(2) نفسه: ص 77.

(3) ابن هشام: السيرة في كتاب السهيلي .. سبق ذكره، ج 4، ص43.

(4) ابن سعد: الطبقات .. سبق ذكره، مج 2، ج 1، ص 81.

(5) ابن هشام: السيرة في كتاب السهيلي .. سبق ذكره، ج 4، ص 43.

(6) ابن سعد: الطبقات .. سبق ذكره، مج 2، ج 1، ص 77.

(7) ابن كثير: البداية .. سبق ذكره، ج 4، ص 200.

33 - بول الرسول

قال مفتي الديار المصرية د. علي جمعة لجريدة المصري اليوم (عدد 1074 22مايو 2007): إن كل جسد النبي في ظاهره وباطنه طاهر، وليس فيه أي شيء يتأفف منه أحد حتى فضلاته، فكان عرقه أطيب من ريح المسك، وكانت " أم حرام" تجمع هذا العرق وتوزعه على أهل المدينة. وأضاف أنه في حديث سهيل بن عمرو في صلح الحديبية قال:" والله دخلت على كسرى وقيصر، فلم أجد مثل أصحاب محمد وهم يعظمون محمدا، فما تفل تفلة إلا ابتدرها أحدهم يمسح بها وجهه". موضحا أن العلماء ومنهم ابن حجر العسقلاني والبيهقي والدارقطني والهيثمي أخذوا من هذا حكما بأن كل جسد النبي طاهر.

وفي السيرة الحلبية: أن قوما شكوا الى النبي ملوحة في ماء بئرهم فجاءه نفر من أصحابه حتى وقف الى ذلك البئر فتفل فيه فتفجر بالماء العذب المعين (السيرة الحلبية 294/3). وفيها أيضا قال عند الكلام على بئر رومة التي اشتراها عثمان وجعلها وقفا للمسلمين: وكانت هذه البئر ركية ليهودي يُقال له رومة يُقال إنه أسلم وكان يبيع المسلمين ماءها، كانت بالعقيق وتفل فيها فعذب ماؤها. (السيرة الحلبية 75/2). وأغرب من ذلك أن بعض الصحابة امتص دمه لما شج يوم أحد، ففي زاد المعاد: ونشبت حلقتان من حلق المغفر في وجهه فانتزعهما أبو عبيدة بن الجراح وعض عليهما حتى سقطت ثناياه من شدة غوصهما في وجهه، وامتص مالك بن سنان والد أبي سعيد الخدري الدم من وجنته. قال: ولما مص مالك جرح رسول الله حتى أنقاه قال له: مجه، وقال: والله لا أمجه أبدا ثم أدبر، فقال النبي: من أراد أن ينظر الى رجل من أهل الجنة فلينظر الى هذا (زاد المعاد:1 غزوة أحد). وفي السيرة الحلبية: ولما جرح وجه رسول الله صار الدم يسيل على وجهه الشريف وجعل يمسح الدم، وفي لفظ: ينشف دمه وهو يقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم وهو يدعوهم الى ربهم، قال: وامتص مالك بن سنان الخدري وهو والد أبي سعيد الخدري دم رسول الله ثم ازدرده، فقال رسول الله: من مس دمي دمه لم تصبه النار، وفي رواية: أنه قال: من أراد أن ينظر الى رجل من أهل الجنة فلينظر الى هذا وأشار إليه، وفي لفظ: من سره أن ينظر الى من لا تمسه النار فلينظر الى مالك بن سنان، قال: ولم ينقل أنه أمر هذا الذي امتص دمه بغسل فمه ولا أنه غسل فمه من ذلك، كما لم ينقل أنه أمر حاضنته أم أيمن بركة الحبشية بغسل فمها ولا هي غسلته من ذلك لما شربت بوله. فعن أم أيمن قال: قام رسول الله من الليل الى فخارة كانت تحت سريرها فبال فيها، فقمت وأنا عطشى فشربت ما في الفخارة وأنا لا أشعر، فلما أصبح النبي قال: يا أم أيمن قومي الى تلك الفخارة فاهريقي ما فيها، فقلت: والله لقد شربت ما فيها، فضحك رسول الله حتى بدت نواجذه، ثم قال: لا يجفر (أي لا يستكرش ويتسع) بطنك بعده أبدا، وفي رواية: لا تلج النار بطنك، وجاء في رواية بدل فخارة إناء من عيدان (بالفتح الطوال من النخل)، قال: فإن حملا على التعدد لأم أيمن ولا مانع (السيرة الحلبية 234/2). وفي رواية أنه قال لها: احتظرتِ من النار بحظار، والحظار الحاجز بين شيئين أي احتميتِ واحتجزتِ من النار بحجاز, قال: وقد شرب دمه أيضا أبو طيبة الحجام، وعلي، وكذا عبد الله بن الزبير. فعن عبد الله بن الزبير قال: أتيت النبي وهو يحتجم، فلما فرغ قال: يا عبد الله اذهب بهذا الدم فاهريقه حتى لا يراك أحد، قال: فشربته، فلما رجعت قال: يا عبد الله ما صنعت؟ قلت: جعلته في أخفى مكان علمت أنه يخفي على الناس، قال: لعلك شربته؟ قلت: نعم، وقال: ويل للناس منك، وويل لك من الناس، وكان بسبب ذلك على غاية من الشجاعة. قال الحلبي بعما أورد ما تقدم: وأخذ من ذلك بعض أئمتنا طهارة فضلاته حيث لم يأمره بغسل فمه، ولم يغسل هو فمه، وإن شربه جائز حيث أقره على شربه.

لا يقتصر الأمر على بول الرسول وبصاقه ودمه ونخامه فقط بل يمتد الى شعيرات رأسه وذقنه وحتى ملابسه ومخلفاته الموجوده في بعض مساجد العالم كمسجد اسطنبول في تركيا والمسجد الحسين في مصر.

والمخلفات الموجودة بمسجد الحسين الآن هي ثلاث قطع من النسيج وقطعة من العصى التي كان يستخدمها الرسول (ص) والمكحلة والميل (المرود) وقد ضم إليها بعض الشعر من الرأس ومن اللحية النبوية الشريفة وتحفظ جميعها في أربعة صناديق من الفضة ملفوفة في قطع من الحرير الأطلسي الأخضر الموشى بخيوط من الذهب والفضة. وتأصيل نسب تلك المخلفات تاريخية الى الرسول، تقول الروايات أن الصحابة كانوا يحرصون على الإحتفاظ بما يصل إليهم من الآثار النبوية للتبرك بها، فقد جاء عن أنس بن مالك أن النبي (ص) حلق رأسه "بمنى" ثم دعا أبا طلحة الأنصاري فأعطاه الشعر وقال له اقسمه بين الناس وإنما قسمه ليكون بركة باقية بين أظهرهم وتذكرة لهم. وتقول الأبحاث عن الشعيرات التي تنسب الى الرسول أنه قد ثبت أن الرسول كان يفرق شعره بين الناس، الأمر الذي يفهم منه كما قال النووي في كتابه أن الرسول أجاز اقتناء شعره للتبرك، وعلى ذلك فليس من المستبعد أن نجد من شعره قراضات وشعيرات طويلات أو قصيرات في كثير من أنحاء العالم. فقد ذكر العلامة ابن حجر أن شعرة من شعر رأس الرسول وتوجد شعرة أخرى في مقام التوحيد بدمشق. وهناك مجموعة كبيرة من شعرات الرسول محفوظة بقصر طوبقند بالقسطنطينية حيث يقول مؤرخو الترك: إنها كانت عند الشرفاء من أمراء مكة، فلما استولى سليم الأول على مصر طلبها من الشريف بركات أمير مكة وقتئذ، فبعث بها إليه مع ولده فحملها السلطان الى القسطنطينية. أيضا أهدى السلطان عبد العزيز سنة 278 هجرية المشهد الحسيني بدمشق شعرة ما زالت محفوظة فيه الى اليوم، كما أهدى محمد رشاد شعرتين من شعر الرسول لمدينتي عكا وحيفا حُفظت الأولى بمسجد أحمد باشا بعكا والثانية بالجامع الكبير بحيفا. ولم يقتصر وجود شعرات الرسول على شرق العالم الإسلامي حيث توجد شعرتان بطرابلس الغرب كذلك يوجد في مصر كثير من شعرات الرسول ومعظمها محفوظ في المدارس والخانقوات وفي المساجد التي بنيت في العصر المملوكي.

أما الشعرات المحفوظة مع باقي المخلفات النبوية بالمسجد الحسيني، فقد ذكر أحمد تيمور عن تاريخ بعضها وعدده حيث قال إن شعرتين كانتا مع الآثارالنبوية بقبة الغوري ونقلتا معها الى مسجد الحسين وهما في زجاجة محفوظة في

صندوق صغير من الفضة ملفوف بلفافة من الديباج الأخضر المطرز بخيوط من الفضة، ثم أضيفت إليهما شعرة كانت عند أحمد طلعت باشا رئيس ديوان الخديوي سعيد، ويقال أن هذه الشعرة جاءت هدية للسلطان ولونها كستنائي داكن قد يكون نتيجة خضابها أو دهنها وتطييبها. وفي عام 1340 هجرية أضيفت إليها شعرات كانت بالرباط حيث رأى وزير الأوقاف نقلها الى المسجد الحسيني وحفظها مع الآثار النبوية وهي ثلاث شعرات.. اثنتان منها لونهما كستنائي كلون الشعرات السابقة والثالثة لونها كستنائي فاتح يبدو أنها كانت بيضاء ثم صبغت بالخضاب.

وفي عام 1342 هجرية أيضا أحضرت الحاجة ملكة حاضنة الأمير كمال الدين ابن السلطان حسين قارورة الى المسجد الحسيني وقالت: إن بها شعرات من اللحية النبوية الشريفة وإنها تريد إهداءها للمسجد لتحفظ مع الآثار النبوية الشريفة، وكان عدد هذه الشعرات خمسا، أربعا لونها كستنائي داكن وواحدة بيضاء، حيث تقول المرويات الدينية أن الرسول كانت في لحيته شمطات. وكان طولها جميعا يتراوح بين (3-5) سنتيمترات، لذلك يرجح أن تكون هذه الشعرات من اللحية النبوية الشريفة.

كما توجد زجاجة أخرى بها شعرة بيضاء قصيرة طولها 5 سم يُقال أن علي ابن محمد بن الخلاطي قد أهداها الى مسجد الحسين لكي تحفظ مع الآثار النبوية لأنها من شعرات الرسول. ويبلغ مجموع الشعرات المحفوظة مع المخلفات النبوية بمسجد الحسين خمس عشرة شعرة ما بين بيضاء وكستنائي فاتح وداكن من أطوال مختلفة ما بين قصير يبلغ (3 سنتيمترات) الى طويل يبلغ (10,5 سنتيمتر).

34 - إحترام زوجات الرسول له

في كتابها الشهير" نساء النبي" تسرد الدكتورة عائشة عبد الرحمن " بنت الشاطئ" تفصيلات كثيرة عن علاقة نبي الإسلام بزوجاته. ننقل عنها هنا ما يلي:

كما جاء في صفحات 86،85،84: في معرض حديثها عن عائشة أحب زوجات الرسول الى قلبه:

ادخرت غيرتها للشابة القرشية الحسناء " زينب بنت جحش" وتأهبت لها قبل أن تجئ، فما أعلن الرسول زواجه من بنت عمته، بعد أن عاتبه فيها الوحي، حتى قالت عائشة في غيرة:" ما أرى ربك إلا يسارع في هواك".

السمط الثمين: ص 82

وراحت " عائشة" ـ تؤازرها حفصة ـ ترقب الزوجة الجديدة وتحصى الدقائق والساعات التي يقضيها المصطفى معها، فلما رأته يطيل المكث لديها، فكرت في حيلة تصرفه (ص) عنها..

وأشركت معها، حفصة وسودة، أيتهن دخل الرسول عليها أثر انصرافه من عند زينب، فلتقل له:" أكلتَ مغافير؟". والمغافير ثمر حلو كريه الرائحة، وكان عليه الصلاة والسلام لا يطيق الرائحة الكريهة .. وجاء الرسول "عائشة" فتشممت أنفاسه وقالت: " إنني أشم رائحة مغافير، أكلت مغافير؟". وكذلك قالت حفصة .. ولما مر بسودة سألته مثل ذلك فأجاب:" لا" .. قالت:" فما هذه الريح؟".. قال:" سقتني زينب شربة من عسل".. فقالت سودة بلهجة الخبيرة بمراعي البادية:" رعت نحله العرفط".. والعرفط: الشجر الذي يثمر المغافير .. فما كان من المصطفى إلا أن حرم على نفسه، من يومه، شرب العسل عند "زينب". وأحست " سودة" ندما فقالت لصاحبتها:" سبحان لله! والله لقد حرمناه!". فنظرت إليها عائشة، أن اسكتي!

السمط الثمين ص 81،80

حتى جاءت وافدات أخريات شغلن "عائشة" حينا عن أم سلمة وزينب، وإن عرفت أن هاتين أحب أزواج المصطفى إليه، بعدها .. وإحدى هؤلاء الوافدات من كندة، وثانية من مصر.
أما الأولى فكانت "أسماء بنت النعمان" التي أحست "عائشة" خطر جمالها منذ وقعت عليها عيناها، وقدرت أنها إذا لم تحل بينها وبين زوجها، فسوف تكلفها من أمرها عسرا .. ومن ثم قررت أن تفرغ منها قبل أن يتم الزواج!.. وبدأت تعمل على الفور مستعينة بصواحبها!.. دعت إليها حفصة، وأخرى ممن يحرصن على إرضائها، فقالت لهما: " قد وضع يده في الغرائب يوشكن أن يصرفن وجهه عنا".. واتفقن على خطة موحدة: أقبلن على العروس مهنئات، يجلونها للزفاف ويوصينها بما تفعل وما تقول استجلابا لرضا الزوج المصطفى ومحبته، فكان مما نصحن لها به أن تستعيذ بالله إذا ما دخل عليها!.. وفعلت المسكينة!.. لم تكد ترى المصطفى مقبلا عليها، حتى استعاذت بالله وفي حسبانها أنها تستجلب محبته ورضاه!.. فصرف رسول الله وجهه عنها وقال: " لقد عُذتِ بمعاذ".. وغادرها من لحظته، وأمر أن تلحق بأهلها .. فبعثت إليه، أو بعث أبوها، من يتوسط لردها ويحدث عما كان من نسائه معها، فلم يملك عليه الصلاة والسلام إلا أن يتبسم ويقول:" إنهن صواحبات يوسف، وإن كيدهن عظيم!" وبقى عند كلمته، فلم يمسك تلك التي عاذت بمعاذ. وتخلصت عائشة من منافسة خطيرة!.

35 - شفاعة النبي

في كتابه الشهير " الشفاعة" ينفي الدكتور مصطفى محمود تماما شفاعة النبي كما تظهر السطور التالية المقتبسة من كتابه:

القرآن يقول:**{ لله الشفاعة جميعا }**.. وهو بذلك يجمع سلطة الشفاعة جمعية واحدة ويجعلها لله وحده. [يونس: 3]

والسبب طبيعي .. فهو وحده الذي يعلم استحقاقات كل فرد .. وماذا فعل في دنياه من خير وشر .. وما هي أعذاره إن كانت له أعذار .. وهو الوحيد الذي يعلم قلبه وضميره ويعلم سره ويعلم ما هو أخفى من ذلك السر. فماذا سوف تضيف شفاعة أي شفيع لعلم الله؟؟!! **{ أتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الأرض}** [يونس: 18]

ومن ذا الذي يجرؤ أن يُعدل حكما حكم به رب العالمين. والقرآن يقول في آية شديدة القطع والوضوح: **{ له غيب السموات والأرض أبصر به واسمع ما لهم من دونه من ولي ولا يشرك في حكمه أحدا}** [الكهف: 26]

القرآن يقول في قطعية واضحة .. أن الله لا يشرك في حكمه أحدا .. ويقول في قرآنه: **{ وأنذر به الذين يخافون أن يُحشروا الى ربهم ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع}** [الأنعام: 51]

وكل هذا نفى صريح للشفاعة يوم الحساب. ثم يتكرر نفس المعنى في آية أخرى في سورة السجدة الآية 4:

{ الله الذي خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش ما لكم من دونه من ولى ولا شفيع أفلا تتذكرون} فأضاف في هذه الآية حرف "من".. { ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع} وهو نفى قطعي لأي نوع من ولي أو شفيع.

هذه الآيات المحكمات في نفي الشفاعة تجعلنا نعيد النظر بتفهم لأي آية تتكلم عن الشفاعة ونفهمها في حدود " المتشابه" فلا ننساق وراء هذه الأحاديث التي تملأ كتب السيرة وتدعي بأن النبي (ص) سوف يخرج من النار كل من قال لا إله إلا الله " وما أسهل أن نقول وما أهون أن ننطق بالكلام ونحن أكثر الأمم كلاما وأقلها التزاما".

ويوم القيامة يوم عظيم ويوم مجموع له الناس ويوم مشهود ويوم يجعل الولدان شيبا .. ولا يمكن أن يكون محلا لهذا التبسيط ولهذه الخفة في الفهم. **{ يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة والكافرون هم الظالمون}** [البقرة: 254]

وللأسف الشديد نحن نقرأ كتب السيرة والأحاديث بتسليم مطلق وكأنها قرآن منزل .. ومحفوظ.. والله لم يقل لنا أنه تولى حفظ هذه الكتب .. وهو لم يحفظ إلا القرآن.. وكل ما عدا القرآن من كتب يجب أن تخضع للنقد والفحص مهما عظم شأن أصحابها. وليس غريبا أن تمتلئ هذه الكتب بالمدسوس من أحاديث الشفاعة فنقرأ في أحدها أن النبي يدخل بشفاعته الى الجنة رجلا لم يفعل في حياته خيرا قط .. ويكون هذا الرجل هو آخر الداخلين الى الجنة.

وما الهدف من أمثال هذه الأحاديث المدسوسة سوى إفساد الدين والتحريض على التسيب والإنحلال وفتح باب الجنة " سبهلله" للكل.. لأن الشفيع سجد عند قدم العرش وقال متوسلا: لا أبرح حتى تدخل كل أمتي الجنة يا رب.

ومرويات كثيرة رواها أصحابها بلا عدد وبلا حصر وأحيانا بحسن نية ظننا منهم أنهم يزيدون بها في تمجيد النبي ويرفعون مقامه عند ربه..وينسون أنهم بكلامهم يفسدون جلال المشهد ويهدمون جدية اللحظة التي تشيب لها الولدان وتزيغ فيها الأبصار وتنعقد الألسن وتتزلزل الأقدام وتذهل كل مرضعة عما أرضعت. هذه اللحظة الهائلة التي يحشد فيها القرآن كل ألوان الأهوال: **{ إذا الشمس كورت وإذا النجوم انكدرت وإذا الجبال سيرت وإذا العشار عطلت وإذا الوحوش حشرت وإذا البحار سجرت وإذا النفوس زوجت وإذا الموءودة سئلت بأي ذنب قتلت وإذا الصحف نشرت وإذا السماء كشطت وإذا الجحيم سعرت}** [التكوير: 1 -12]

هل هذه لحظة يساوم فيها النبي ربه لإخراج رجل من النار وإدخاله الجنة وهو لم يفعل خيرا قط في حياته. إن لم يكن هذا هو الهزل.. فماذا يكون؟ وحاشا لله .. ما كان لرسولنا العظيم أن يفعل هذا .. إن هي إلا تخرصات وأكاذيب.. وأقوال مدسوسة.. القرآن ينفي إمكانية خروج من يدخل النار في الكثير والعديد من آياته من الكفار ومن المسلمين أيضا. **{ يريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم}** [المائدة: 37]

وقيلت في الكفار: ويقول أهل النار في سورة المؤمنون: **{ ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون قال اسأوا فيها ولا تكلمون}** [المؤمنون: 107- 108]

وقيلت في الكفار: وعن الكفار أيضا في سورة البقرة: **{ كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار }** [البقرة: 167]

ولكن القرآن يعود فيقول نفس الكلام عن المسلمين المنافقين: **{ إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا}** [النساء: 145]

ويقول عن عصاة المسلمين: **{ ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين}** [النساء: 14]

ويقول عن الظالمين والظالمون فيهم المسلم الظالم والكافر الظالم: **{ ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع}** [غافر: 18]

ويقول عن قاتل النفس ويدخل فيه المسلم وغير المسلم: **{ ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما}** [النساء: 93]

ويقول الله لمحمد في سورة الزمر: **{ أفمن حق عليه كلمة العذاب أفأنت تنقذ من في النار}** (والكلام لرسول الله مباشرة في استفهام استنكاري) [الزمر: 19]

والله ينكر على رسوله أن يقول مثل هذا الكلام عن أهل النار ممن حقت عليهم كلمة العذاب من كفار أو مسلمين.

كما ينكر الخروج من النار على من كتب عليهم بدخولها.. فكل من يدخل النار تتأبد إقامته فيها ولا يوجد في القرآن حكاية التعذيب لأجل محدود في جهنم ولا فكرة " المطهر" التي نقرأها في كتب إخواننا المسيحيين .. يقول ربنا في الآيات 80- 81 من سورة البقرة **{ وقالوا لن تمسنا النار إلا إياما معدودة قل اتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده أم تقولون على الله ما لا تعلمون. بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته** (وهو كلام عن مسلمين) **فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون}**. وفي سورة يونس الآيات 26- 27 يتكلم عن الخطائين من المسلمين:**{ والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها وترهقهم ذلة ما لهم من الله من عاصم كأنما أغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلما أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون}** والمذنبون موضوع الآيات هم الذين أذنبوا ولم يتوبوا وتمادوا وانغمسوا في ذنوبهم حتى أحاطت بهم فهم أهل الإسرار والإستكبار والتفاخر بالذنوب. وهذه الثوابت القرآنية تتناقض تماما مع مرويات الأحاديث النبوية في كتب السيرة عن إخراج الرسول (ص) لمن يشاء من أمته من النار مما يؤكد أن هذه الأحداث موضوعة ولا أساس لها من الصحة ولا يمكن أن تكون قد صدرت عن النبي. بل إن درجات النار وأقسامها قد تحددت سلفا في القرآن ومواقع المجرمين قد عُلمت. **{ وإن جهنم لموعدهم أجمعين .. لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم}** [الحجر: 43- 44]

فكل مجرم قد تحددت مكانته من قبل في النار واختصت به واختص بها .. وهذا يؤكد أن كل ما ذكر عن إخراج الرسول (ص) بشفاعته للبعض من النار وإدخالهم الجنة مشكوك في صحته. والذين يأكلون الربا من المسلمين وغير المسلمين تتحدث عنهم الآية 275 من سورة البقرة: **{ الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا وأحل الله البيع وحرم الربا فمن جاءه موعظة من ربه فإنتهى فله ما سلف وأمره الى الله ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون}** كيف يشفع الرسول في هؤلاء وكيف يسبق ربنا بالقول في قضايا حسمها الله في القرآن من الأزل. وشفاعة الملائكة للبعض في القرآن لا تأتي أبدا سابقة للحكم الإلهي بالعفو بل تأتي بعده (لا يشفعون إلا لمن إرتضى) فالحكم الإلهي بالعفو يأتي أولا وتكون شفاعة الملائكة أشبه بالبشارة.. حينما تعلم الملائكة أن الله قد ارتضى تبرئة فلان فإنها تبشره فالمقام الإلهي مقام جليل مرهوب.. وفي الحضرة الإلهية لا يملك أحد أن يسبق الله بكلمة أو رأي **{ لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون}** [الأنبياء: 27]

وفي سورة النبأ الآية 38 يقول القرآن عن الملائكة. **{ لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صوابا}** ويقول أيضا: **{ وكم من ملك في السموات والأرض لا تغني شفاعتهم شيئا إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى}**
[النجم: 26]

ومعنى ذلك أن شفاعة الملائكة لا تأتي إلا بعد الإذن وبعد العلم بأن الله قد عفا عن فلان .. فهي بشارة وليست شفاعة وهي أقرب الى التهنئة بالنجاة. والقانون العام في ذلك اليوم يوم الدين .. يوم تدان الأنفس بما عملت .. أنه لا شفاعة تجدي ولا شفاعة تقبل.. لأنه لا أحد يملك هذه الشفاعة.. فلله الشفاعة جميعا.. لمن الملك اليوم لله الواحد القهار..لا أحد غيره.. ولا كلمة الى جوار كلمته.**{ يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والأمر يومئذ لله}**[الإنفطار: 19]
لا تملك أي نفس لأي نفس .. مهما علا مقام هذه النفس التي تشفع ومهما بلغت درجتها.. لا تملك من أمر الله شيئا. ويلخص القرآن قانون هذا اليوم الرهيب في كلمات قليلة. **{ قل لله الشفاعة جميعا له ملك السموات والأرض}**

[الزمر: 44]

فجمعية الأمر والنهي في يده وحده.. هو وحده الملجأ والملاذ وجمعية الشفاعة بأسرها في يده فهو وحده صاحب العلم المحيط وهو وحده أرحم الراحمين ولا يستطيع مخلوق أن يدعى أنه أكثر رحمة بعباد الله من الله أو أعلم بهم منه.. فهو وحده عالم الغيب والشهادة.. وهو وحده الذي يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيط أي منهم بعلمه إلا بما شاء.. وهو وحده الولي وهو يحيي الموتى وهو على كل شيء قدير. **{ ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب من يعمل سوءا يجز به ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا}** [النساء: 123]

والجزاء في هذا اليوم على قدر العمل والعفو والصفح حق لله تعالى وحده فلله الشفاعة جميعا لا يشاركه في هذا الحق مخلوق فهو يعفو إن شاء ولا يُسأل عما يفعل وهو يعاقب بالنار الأبدية إن شاء. وإذا كان الهدف من شفاعة الشفعاء هو إضاقة معلومة عن عذر المذنب وظروفه فالله تعالى أعلم بظروفه من أي مخلوق .. يقول القرآن: **{ إن ربك واسع المغفرة هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض وإذ أنتم أجنة في بطون أمهاتكم}** [النجم: 32]

(فمن منكم عنده مثل هذا العلم الإحاطى) لينافس رب العالمين في هذا المقام .. لا أحد قطعا.. والله وحده هو الجدير به .. ولهذا تخلص الشفاعة له وحده في جمعية تنفي تدخل أحد .. ولا يملك الكل إلا أن ينتظر ما تنطق به المشيئة. وتبقى بعض حالات مفوض أمر أصحابها في الآخرة الى الله عز وجل وحده مثل ما جاء في هذه الآيات: **{ وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله أن يتوب عليهم إن الله غفور رحيم}**

[التوبة: 102]

{ وآخرون مرجون لأمر الله إما يعذبهم وإما يتوب عليهم والله عليم حكيم} [التوبة: 106]

ومنهم المستضعفون في الأرض يقال لهم: **{ ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا * إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا.. فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم وكان الله عفوا غفورا}** [النساء:97- 99]

فهو وحده الذي يتكرم بهذه المغفرة وهو وحده المفوض إليه في كل هذه الأمور .. وهذا معنى الآية: **{ لله الشفاعة جميعا}**. ويبقى السؤال عن المقام المحمود ما هو؟ ومن يكون الموعود به في القرآن.. ومن كان المخاطب بهذه الآيات من سورة الإسراء. **{ وإن كادوا ليستفزونك من الأرض ليخرجوك منها وإذا لا يلبثون خلافك إلا قليلا سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا ولا تجد لسنتنا تحويلا. أقم الصلاة لدلوك الشمس الى غسق الليل وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهودا.. ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا}**. والمخاطب هو محمد (ص) وحده لا سواه بلا شك.. ولا أحد منا يعلم موجبات هذا المقام المحمود ولا حدوده فهو سر من أسرار الله والجدل فيه هو جدل بغير علم ولا نخوض فيه ونرى أن التفويض فيه أسلم.

ويذكر المفسرون أنه مقام الشفاعة العظمى ولا نخوض معهم التزاما منا بقول القرآن أن " لله الشفاعة جميعا" وأن الله قال ذلك لأن جمعية الشفاعة كلها لله وحده كما ذكر القرآن وكرر في محكم آياته وأنه لا يشرك في حكمه أحدا وأنه لا أحد أعلم بخلقه منه ولا أرحم بهم منه .. فهو أرحم الراحمين وليس لله منافس في هذا ولا يجوز أن يكون له منافس.. ويؤكد ذلك القرآن مكررا في آياته أنه هو الذي أرسل رسوله للعالمين نذيرا وبشيرا وداعيا الى الله بإذنه وسراجا منيرا.. ولم تذكر كلمة شفيع عن الرسول إطلاقا.. أقول ذلك اجتهادا والله أعلم فالموضوع غيب.. ويوم الدين بأهواله.. وبما سيجري فيه هو غيب الغيب ولا يملك قارئ القرآن إلا أن يحاول الفهم دون المساس بالثوابت القرآنية ..وخصوصية المقام المحمدي من الثوابت التي لا شك فيها .. كما أن " خصوصية الشفاعة لله وحده وأن جمعية الشفاعة ينفرد بها الله وحده" هي ثابت مطلق آخر من ثوابت القرآن لا مرية فيه.

وعلينا أن نفهم الشفاعة في هذه الحدود ولا نخرج عنها. والقرآن هو الكتاب الوحيد الذي تولى رب العالمين حفظه بنفسه من أي تحريف وقال في كتابه المحكم: **{ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون}**.. ولم يقل لنا رب العالمين أنه حفظ كتاب البخاري أو غيره من كتب السيرة.. وما يقوله البخاري مناقضا للقرآن يُسأل عنه البخاري يوم الحساب ولا نسأل نحن فيه.

36 - الطب النبوي

لنبي الإسلام أحاديث كثيرة في موضوع العلاج من الأمراض أجملها وبوبها وشرحها ابن قيم الجوزية في كتابه الشهير " الطب النبوي" ونحن ننقل عنه هنا بعضا من هذه الأحاديث لكي يتعرف القارئ على حقيقة الأمر فيما يتعلق بما ينسبه المسلمون لنبيهم من قدرات إعجازية في مجال الطب. ونحن هنا ننقل عن الطبعة الرابعة عشر محرم 1411 - دار الوعي - حلب. وثق أصوله وخرج حديثه وعلق عليه الدكتور عبد المعطي أمين فلعجي.

- فصل في هديه في علاج استطلاق البطن:

في الصحيحين من حديث أبي المتوكل عن أبي سعيد الخدري أن رجلا أتى النبي (ص) فقال إن أخي يشتكي بطنه وفي رواية استطلق بطنه فقال: إسقه عسلا. فذهب ورجع فقال: قد سقيته فلم يغن عنه شيئا وفي لفظ فلم يُرده إلا استطلاقا. مرتين أو ثلاثا. كل ذلك يقول له: اسقه عسلا فقال له في الثالثة أو الرابعة: صدق الله وكذب بطن أخيك. (أخرجه البخاري في 76 - كتاب الطب (4) باب الدواء بالعسل. وفي 24- باب دواء البطون. وأخرجه مسلم في 39- كتاب السلام (31) باب التداوي بالعسل حديث 91 وأخرجه الترمزي في كتاب الطب باب ما جاء في التداوي بالعسل حديث 2082. وقال: هذا حديث حسن صحيح. وأخرجه أحمد في مسنده (3:9، 20).

- فصل في هدية (ص) في علاج لدغة العقرب بالرقية:

روى ابن أبي شيبة في مسنده من حديث عبد الله بن مسعود قال: بينما رسول الله(ص) يصلي، إذ سجد: فلدغته عقرب في إصبعه فإنصرف رسول (ص) الله وقال:" لعن الله العقرب: ما تدع نبيا ولا غيره". قال: ثم دعا بإناء فيه ماء وملح فجعل يضع اللدغة في الماء والملح ويقرأ قل هو الله أحد والمعوذتين حتى سكنت. وقد روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة، قال:" جاء رجل الى النبي (ص) فقال: يا رسول الله مالقيت من عقرب لدغتني البارحة فقال أما لو قلت حين أمسيت: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق: لم تضرك (أخرجه مسلم في 55- كتاب الذكر (16) باب في التعوذ من سوء القضاء ح 55). ويذكر عن ابن شهاب الأزهري قال:" لدغ بعض أصحاب رسول الله (ص) حية فقال النبي (ص) " هل من راق؟ فقالوا: يا رسول الله إن آل حزم كانوا يرقون رقية الحية فلما نهيت عن الرقي تركوها. فقال ادعو عمارة بن حزم فدعوه فعرض عليه رقاه. فقال: لا بأس بها. فأذن له فيها، فرقاه". (أخرجه مسلم في 39: كتاب السلام (21) باب استحباب الرقية). وفي سنن ابن ماجه - من حديث عائشة - "رخص رسول الله (ص) في الرقية من الحية والعقرب". أخرجه البخاري في كتاب الطب، باب رقية الحية والعقرب. وأخرجه مسلم في كتاب السلام باب استحباب الرقية. وابن ماجه في الطب باب رقية الحية والعقرب.

<u>- النهي عن التنفس في الإناء والنفخ فيه:</u>

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال:" نهى رسول الله (ص) أن يتنفس في الإناء أو ينفخ فيه". أخرجه الترمزي في 27 كتاب الأشربة 15 باب ما جاء في كراهية النفخ في الشراب. وأبو داود في كتاب الأشربة باب النفخ في الشراب. وابن ماجه في كتاب الأشربة باب التنفس في الإناء. والإمام أحمد في مسنده 1:220.

وهذا الحديث يتعارض مع ما جاء في الصحيحين من حديث أنس: " أن رسول الله (ص) كان يتنفس في الإناء ثلاثا". أخرجه البخاري في 74- كتاب الأشربة - باب الشرب بنفسين أو ثلاثة. وأخرجه مسلم في 36 - كتاب الأشربة - باب كراهة التنفس في نفس الإناء. وابن ماجه في 3 - كتاب الأشربة 18- باب الشرب بثلاثة أنفاس. والداري في الأشربة والإمام أحمد في مسنده 1:285، 3، 114، 185، 221، 251.

<u>حديث الذبابة:</u>

وهو في أعلى درجات الصحة ولا يضاهيه فيها حتى حديث رضاع الكبير الشهير فقد رواه البخاري وأبو داود والنسائي وابن ماجه وأحمد والدارمي وابن حبان والحاكم وأبو يعلي والطبراني والبيهقي والبغوي والطيالسي وابن عبد البر وابن قتيبة وغيرهم. والحديث مروي عن أبي هريرة وأبي سعيد الخدري وأنس بن مالك وعلي بن أبي طالب.

وقد أفرد أحد علماء الإسلام وهو الدكتور خليل إبراهيم ملا خاطر له كتاب أسماه الإصابة في صحة حديث الذبابة.(من إصدارات دار القبلة للثقافة الإسلامية - المملكة العربية السعودية - الطبعة الأولى 1405 هـ)

ونص الحديث هو" إذا وقع الذباب في إناء أحدكم فليغمسه كله ثم ليطرحه فإن في أحد جناحيه شفاء وفي الآخر دواء". من الأمراض التي ينقلها الذباب كما جاء في كتاب الطب النبوي نفسه التيفود والبارا تيفود والكوليرا والتراخوما والسُل وشلل الأطفال والقرحة. (الطب النبوي ص 231).

وقد انبرى الكثيرون من المدافعين عن الإسلام الى التدليس الفاضح وإفتعال الأبحاث العلمية لكي يقدموا تبريرا وتفسيرا لهذا الحديث الذي لا يقبله العقل أو العلم أو المنطق. وقد بائوا بالفشل الذريع بل والمضحك.

على سبيل المثال في عدد 11 نوفمبر 2003 من جريدة الأهرام القاهرية كتب د. زغلول النجار على صفحة 22" إنه من الناحية العلمية ثبت أن الذباب يتغذى على النفايات والمواد العضوية المتعفنة حيث تنتشر الفيروسات والباكتيريا والجراثيم ولكي ينفرد ربنا بالوحدانية خلق كل شيء في زوجية واضحة فخلق البكتيريا وأضرارها وقد أعطى الله للذباب القدرة على حمل الفيروسات والبكتيريا على جناح والمضادات على جناح. وأكد الدكتور زغلول

على أن مجموعات من أبحاث علماء المسلمين قامت بإجراء أبحاث على أنواع مختلفة من الأشربة وغمست الذباب في بعضها ولم يغمس في الباقي وعند الفحص المجهري إتضح أن الأشربة التي غمس فيها الذباب خالية من كل الجراثيم المسببة للمرض. الدكتور لم يذكر إسم أي مرجع علمي أو مجلة علمية جاءت بها هذه التجربة الوهمية. هذا الكلام نشر للأسف في أكبر جريدة مصرية وعربية.

بول البعير:

في الصحيحين من حديث أنس بن مالك قال:" قدم رهط من عرينة وعكل على النبي (ص) فأجتووا المدينة فشكوا ذلك الى النبي (ص) فقال: لو خرجتم الى إبل الصدقة فشربتم من أبوالها وألبانها. ففعلوا فلما صحوا: عمدوا الى الرعاة فقتلوهم واستاقوا الإبل وحاربوا الله ورسوله فبعث رسول الله في آثارهم فأخذوا: فقطع أيديهم وأرجلهم وسحل أعينهم وألقاهم في الشمس حتى ماتوا.

أخرجه البخاري في 86 كتاب الحدود (17) باب لم يسن المرتدون حتى ماتوا.
وأخرجه مسلم في 28- كتاب القسامة (2) باب حكم المحاربين والمرتدين.
وأخرجه أبو داود في كتاب الحدود باب ما جاء في المحاربة.
وأخرجه الترمزي في كتاب الطهارة باب ما جاء في بول ما يؤكل لحمه.
وأخرجه النسائي في كتاب التحريم في ثلاثة أبواب متتابعة.
وأخرجه ابن ماجه في كتاب الحدود حديث رقم 20.
وأخرجه الإمام أحمد في مسنده 163:3، 177، 198.

استخدم كثير من الدجالين اليوم هذا الحديث للإدعاء بأن بول البعير يشفي من الإستشعار والكبد الوبائي والتهابات الكلى وزيادة الكوليسترول والسكر في الجسم واورام الكبد وينشط القوة الجنسية ويعالج الأمراض الجلدية ويقضي على الفطريات التي تصيب الإنسان والحيوان والنبات. كل هذا دون بحث علمي واحد موثق في أي نشرة أو مجلة علمية.

يعوزنا الوقت لأن نتكلم عن الحجامة والحبة السوداء وغيرها من هلاوس الطب النبوي ولكننا نكتفي بتلك الأمثلة التي أوردناها لإثبات وهمية ما يسمونه طبا زورا وعدوانا.

37 ـ شق صدرالرسول وخاتم النبوة

شق صدره:

جاء في كتب السيرة ان عملية شق الصدر تكررت خمس مرات على اختلاف في بعضها، فالمرة الأولى كانت لما كان محمد مسترضعا في بني سعد وهو في السنة الثالثة من عمره. والثانية لما كان ابن عشر سنين وأشهر، والثالثة لما كان ابن عشرين سنة وأشهر، والرابعة عند مجيء الوحي، والخامسة عند المعراج. وما أدري ولا الرواة يدرون ما حكمة هذا التكرار، فإن كان المراد من هذا الشق هو إخراج حظ الشيطان منه كما جاء مصرحا به في بعض الروايات فمرة واحدة تكفي ذلك.

العملية الأولى:

خلاصة هذه العملية الجراحية الإلهية على ما هو مذكور في سيرة ابن هشام: ان محمدا بينما كان وهو في الثالثة من العمر مع ابن مرضعته حليمة السعدية في بهم لهم خلف بيوتهم، إذ جاء ابن مرضعته يشتد نحو أمه وأبيه فقال لهما ذاك القرشي قد أخذه رجلان عليهما ثياب بيض، فأضجعاه فشقا بطنه، وجعلا يسوطانه. قالت أمه فخرجت أنا وأبوه نحوه، فوجدناه قائما منتقعا وجهه، قلت فالتزمته والتزمه أبوه، فقلنا له: ما لك يا بني؟ قال: جاءني رجلان عليهما ثياب بيض فأضجعاني وشقا بطني فالتمسا شيئا لا أدري ما هو (1).

هذه هي العملية الجراحية وهي بسيطة جدا لو بقي أمرها محصورا في هذا المقدار من الكلام الذي حدث به ابن إسحق عن جهم عن أبي الجهم أحد أمثاله الموالي، ولكن الرواة تداولوها فزادوا فيها ما شاءوا وأضافوا إليه ما أرادوا، ونحن نورد لك هنا من رواياتهم ما تعرف به مقدار ما سبق لهم في هذه العملية من التلاعب.

ذكر ابن إسحق أن نفرا من أصحاب رسول الله قالوا: يا رسول الله أخبرنا عن نفسك، قال: نعم: أنا دعوة أبي إبراهيم، وبُشرى عيسى، ورأت أمي حين حملت بي أنه خرج منها نور أضاء له قصور الشام، واسترضعت في بني سعد بن بكر، فبينا أنا مع أخ لي خلف بيوتنا نرعى بهما لنا إذ أتاني رجلان عليهما ثياب بيض بطست من ذهب مملوءة ثلجا، فأخذاني فشقا بطني واستخرجا قلبي فشقاه فاستخرجا منه علقة سوداء فطرحاها، ثم غسلا قلبي وبطني بذلك الثلج حتى أنقياه، ثم قال أحدهما لصاحبه: زنه بعشرة من أمته، فوزنني بهم فوزنتهم، ثم قال: زنه بمائة من أمته، فوزنن لهم فوزنتهم، ثم قال: زنه بألف من أمته، فوزنني بهم فوزنتهم، فقال: دعه عنك فوالله لو وزنته بأمته لوزنها (2).

وعن ابن عباس إن حليمة كانت تحدث أنه أي محمدا لما ترعرع كان يخرج فينظر الى الصبيان يلعبون فيجتنبهم، فقال لي يوما: يا أماه ما لي لا أرى إخوتي بالنهار؟ قلت: فدتك نفسي، انهم يرعون غنما لنا فيروحون من ليل الى ليل، قال: ابعثيني معهم، فكان يخرج مسرورا ويعود مسرورا، قالت حليمة: فلما كان يوما من ذلك خرجوا، فلما انتصف النهار أتاني أخوه يعدو فزعا وجبينه يرشح باكيا، ينادي يا أبت ويا أما الحقا أخي محمدا، فما تلحقانه إلا ميتا، قلت وما قضيته؟ قال: بينا نحن قيام إذ أتاه رجل فاختطفه من وسطنا وعلا به ذروة الجبل ونحن ننظر إليه، حتى شق صدره الى عانته ولا أدري ما فعل به. قالت حليمة: فانطلقت أنا وأبوه نسعى سعيا، فإذا نحن به قاعدا على ذروة الجبل شاخصا ببصره الى السماء يبتسم ويضحك، فأكببت عليه وقبلته بين عينيه وقلت له: فدتك نفسي ما الذي دهاك؟ قال: خيرا يا أمه، بينا أنا الساعة قائم إذ أتاني رهط ثلاثة بيد أحدهم ابريق فضة، وفي يد الآخر طست من زمردة خضراء، فأخذوني وانطلقوا بي الى ذروة الجبل، فأضجعوني على الجبل إضجاعا لطيفا، ثم شقوا من صدري الى عانتي وأنا أنظر إليهم، فلم أجد لذلك حسا ولا ألما. الحديث (3).

العملية الثانية:

ففي المرة التي كان ابن عشر سنين جاء عن النبي أنه قال جاء فيّ رجلان فقال أحدهما لصاحبه أضجعه فأضجعني لحلاوة القفا ثم شقا بطني، فكان أحدهما يختلف بالماء في طست من ذهب والآخر يغسل جوفي، ثم شق قلبي فقال: اخرج الغل والحسد منه، فأخرج منه العلقة، فأدخل شيئا كهيئة الفضة ثم أخرج ذرورا كان معه قدره عليه ثم نقر إبهامي ثم قال أغد وسلم (4).

العملية الثالثة:

قال صاحب السيرة الحلبية وفي الدر المنثور عن زوائد مسند الإمام أحمد عن أبي بن كعب عن أبي هريرة قال: يا رسول الله، ما أول ما رأيت من أمر النبوة؟ فاستوى رسول الله جالسا وقال: لقد سألت يا أبا هريرة، إني لفي صحراء ابن عشرين سنة وأشهر إذا بكلام فوق رأسي وإذا برجل يقول لرجل أهو هو فاستقبلاني بوجوه لم أرها لخلق قط، وثياب لم أرها على أحد قط، فأقبلا الى يمشيان حتى أخذ كل واحد منهما بعضديَّ لا أجد لأخذهما مسا، فقال أحدهما: أضجعه، فأضجعاني بلا قصر ولا هصر (أي من غير أتعاب) فقال أحدهما لصاحبه: إفلق صدره ففلقه فيما أرى بلا دم ولا وجع، فقال له: أخرج الغل والحسد فأخرج شيئا كهيئة العلقة ثم نقر إبهام رجلي اليمنى وقال: اغد واسلم، فرجعت وبها رأفة على الصغير ورحمة الى الكبير (5).

العملية الرابعة:

وهي التي كانت عند ابتداء الوحي. روي عن النبي أنه قال جاءتي جبريل ومكائيل فأخذني جبريل وألقاني لحلاوة القفا (حلاوة القفا وسطه) ثم شق عن قلبي فاستخرجه، ثم استخرج منه ما شاء الله أن يستخرج، ثم غسله في طست من ماء زمزم، ثم أعاده مكانه، ثم لأمه، ثم أكفاني كما يكفى الإناء ثم ختم في ظهري (6).

العملية الخامسة:

وهي التي جرت في ليلة الإسراء وفيها روايات مضطربة غير واضحة نأتيك منها بالرواية الآتية لا لأنها معقولة أكثر من غيرها بل لأنها مفهومة أكثر. وذلك أن محمدا أتاه جبريل وميكائيل ومعهما ملك آخر وهو مضطجع في المسجد في الحجر بين عمه حمزة وابن عمه جعفر، فقال أحدهم: خذوا سيد القوم الأوسط بين الرجلين فاحتملوه حتى جاؤوا به زمزم فاستلقوه على ظهره، فتولاه منهم جبريل فشق من ثغرة نحره الى أسفل بطنه، ثم قال جبريل لميكائل: ائتني بطست من ماء زمزم كي أطهر قلبه وأشرح صدره، فاستخرج قلبه فشقه فغسله ثلاث مرات ونزع ما كان فيه من أذى، واختلف إليه ميكائيل ثلاث طسات من ماء زمزم، ثم أتى بطست من ذهب ممتلئ حكمة وإيمانا ثم أطبقه ثم ختم بين كتفيه بخاتم النبوة (7).

لو كان أمر شق صدر النبي هذا واقع متأصل ومؤثر في حياة النبي لذكره القرآن، أو لتحدث عنه النبي نفسه. ولا نعتقد أن في حديث الرسول ما يشير الى أن **صدره قد شُقَّ في طفولته وتمت خياطته بمخيط وأن أثر المخيط كان يُرى بوضوح في صدره**.

هذا كلام يخلو من المعقولية: ملك يهبط من السماء ليقوم بعملية جراحية، ومعه طست من ذهب وماء من زمزم وخيط ومخيط.

ولا ندري كيف عرفوا أن الماء الذي كان مع الملك هو ماء زمزم، مع أن الملك لم يتحدث الى أحد ولا حتى الى الطفل ذي الثلاثة أعوام، وهو الذي حكى الحكاية. هل من المعقول أن يهبط ملك من السماء ومعه طست من ذهب وخيط ومخيط؟ أوامر السماء لا تنفذ بهذا الأسلوب الفج، كما في رواية الطفل أو غيره من الرواية.

ثم .. هناك سؤال وسؤال: لماذا هبط الملك بطست الذهب من السماء ثم توجه الى مكة كي يملأه من ماء زمزم؟ ألم يكن من الأفضل أن يملأه بماء من نهر من أنهار الجنة؟ لو فعل ذلك لأصبحت الحكاية أكثرا عمقا في وقعها وتأثيرها وإعجازها.

والسؤال الآخر: ماذا حدث لطست الذهب بعد أن فرغ الملك من إجراء عمليته الجراحية وأعاد خياطة الصدر؟ هل صعد الملك بالطست ثانية الى السماء، أم دفنه في الأرض، أم ماذا؟ لأنه حتى الآن لا أثر لطست الذهب، ولو تركه الملك لكان دليلا دامغا على أكبر إعجاز في مجال الإعجاز، خصوصا وأنه طست من ذهب السماء، ولأنحنى العالم أجمع في إيمان مطلق لا مجال فيه لتكذيب. وكنا نفضل ـ لو صحت القصة ـ أن يترك الملك طست الذهب هدية لحليمة السعدية، وذلك لحسن رعايتها لمحمد.

القصة بلا سند وبلا دليل وليس هناك ما يؤكد حدوثها.

يعلق الدكتور شوقي ضيف على هذه القصة بقوله: القصة ضعيفة السند إذ رواها الطفل عبد الله أخو محمد في الرضاعة وهو في الثالثة من عمره. ومعروف أن محمدا لم يلتمس خوارق في رسالته فأولى ألا يلتمس خوارق في طفولته، ويبدو أنها نسجت تعليقا على الآية القرآنية:" ألم نشرح لك صدرك"، والآية إنما تشير الى شرح الله صدر محمد بالرسالة النبوية الربانية.

وترى الدكتورة عائشة عبد الرحمن أن القصة هي من قبيل التمثيل الذي يراد به نقاء السريرة وصفاء النفس، وهذا قريب مما ذهب إليه " درمنجم" حين رأى أن الحادثة لا تستند الى أي شئ غير المعنى الحرفي للآية القرآنية:" ألم نشرح لك صدرك".

ويتساءل الدكتور هيكل: أي داع دعا طائفة المسلمين فيما مضى ويدعو طائفة منهم اليوم الى إثبات خوارق مادية للنبي العربي؟ إنما دعاهم الى ذلك أنهم تلوا ما جاء في القرآن عن معجزات من سبق محمدا من الرسل، فاعتقدوا أن هذا النوع من الخوارق المادية لازم لكمال الرسالة فصدقوا ما روي منها وإن لم يرد في القرآن، وظنوا أنه كلما ازداد عددها كانت أدل على هذا الكمال وأدعى الى أن يزداد الناس بالرسالة إيمانا. ويضيف الدكتور هيكل: إن ما يشير إليه القرآن في : ألم نشرح لك صدرك"، هو عمل روحي بحت والغاية منه تطهير القلب وتنظيفه ليتلقى الرسالة القدسية.

خاتم النبوة (الماركة الإلهية):

كان لمحمد شامة بين كتفيه فيها شعرات متواترات كأنهن عرف فرس، وكانت هذه الشامة أسفل من غضروف كتفه الأيسر مثل التفاحة ، وقال ابن هشام: مثل أثر المحجم أي فيها نتوء لأن أثر المحجمة القابضة على اللحم يكون كذلك وقد جاء في بعض الروايات انها كبيضة الحمام (8). وسواء كانت هذه الشامة كأثر المحجم أم كالتفاحة أم كبيضة الحمامة فإنها ليست بأمر عجيب ولا غريب بل قد تكون في كثير من الناس على اختلاف في الحجم والشكل واللون والموضع، ولكن الرواة سموا هذه الشامة بخاتم النبوة أي طابعها وعلامتها الدالة عليها، ولم أقف في كتبهم على أن محمدا نفسه عبر عنها بهذه العبارة أو سماها بهذا الإسم.

ولم يكتفوا بهذه التسمية بل ذكروا أنها مذكورة في الكتب القديمة كالتوراة والإنجيل حتى قالوا أن رهبان النصارى وأحبار اليهود وكهان العرب كلهم ذكروا هذه العلامة وما عرفوا محمدا عندما رأوه إلا بها.

فقد ذكروا ان يهوديا كان يسكن مكة فلما كانت الليلة التي ولد فيها رسول الله قال في مجلس من مجالس قريش، هل ولد فيكم الليلة مولود؟ فقال القوم: ما نعلمه، قال: احفظوا ما أقول لكم، ولد هذه الليلة نبي هذه الأمة الأخيرة على كتفه علامة وتلك العلامة هي خاتم النبوة، لا يرضع ليلتين وذلك في الكتب القديمة من دلائل نبوته. وعند قول اليهودي ما ذكر تفرق القوم من مجالسهم وهم متعجبون من قوله، فلما صاروا الى منازلهم أخبر كل إنسان منهم آله، وفي لفظ

أهله فقالوا: ولد الليلة لعبد الله بن عبد المطلب غلام سموه محمدا، فالتقى القوم حتى جاؤوا اليهودي وأخبروه الخبر، قال: اذهبوا معي حتى أنظر إليه، فخرجوا حتى أدخلوه على أمه فقال: اخرجي إلينا ابنك، فأخرجته كشفوا عن ظهره فرأى تلك الشامة فخر مغشيا عليه، فلما أفاق قالوا له: ويلك ما لك، قال: والله ذهبت النبوة من بني إسرائيل. أفرحتم به يا معشر قريش! أما والله ليسطون عليكم سطوة يخرج خبرها من المشرق الى المغرب (9).

وفي السيرة الهشامية ان نفرا من نصارى الحبشة رأوه مع أمه السعدية حين رجعت به الى أمه بعد فطامه فنظروا إليه وقلبوه ورأوا خاتم النبوة بين كتفيه وحمرة في عينيه وقالوا لها: هل يشتكي عينيه؟ قالت: لا ولكن هذه الحمرة لا تفارقه، ثم قالوا لها: لنأخذن هذا الغلام فلنذهبن به الى ملكنا وبلدنا فإن هذا الغلام كائن له شأن نحن نعرف أمره. فلم تكد تنفلت منهم وأتت به الى أمه (10).

وكذلك جاء في قصة بحيرى الراهب فإنه لما رآه مع عمه أبي طالب في سفره الى الشام نظرا الى ظهره فرأى خاتم النبوة بين كتفيه على موضعه من صفته عنده (11). كون هذه الشامة خاتم النبوة أي طابعها وعلامتها الدالة عليها فشيء لم يتكلم به محمد ولم يخبر به، وإنما هو من وهم الرواة الذين جاؤوا بعد محمد، ومنشأ هذا الوهم منهم ما جاء في أحاديث شق الصدر من العبارات المتعلقة بالختم بعد الشق، وقد تقدم ذكرها، ونحن نلخص لك ههنا تلك العبارات ليتضح لك منشأ وهمهم.

جاء في بعض الروايات المتعلقة بعملية شق الصدر الأولى أنه قال " ثم قال أحدهما لصاحبه ائتني بالسكينة فأتى بها قذراها في قلبي قال وجعل الخاتم بين كتفي كما هو الآن (12). وجاء في رواية أخرى من روايات عملية شق الصدر الأولى قوله: " ثم قال بيده يمنة منه كأنه يتناول شيئا وإذا بخاتم في يده من نور يحار الناظرون دونه، فختم به قلبي، فامتلأ نورا، ثم أعاده مكانه، فوجدت برد الخاتم في قلبي دهرا، ثم قال الثالث لصاحبه تنح عنه فنحاه عني، فأمر يده ما بين مفرق صدري الى منتهى عانتي فالتأم لك الشق بإذن الله وختم عليه" (13).

وجاء في رواية من روايات عملية شق الصدر الرابعة:" ثم أكفاني كما يكفى الإناء ثم ختم في ظهري"(14).

وجاء في رواية تتعلق بعملية شق الصدر الخامسة: " واختلف إليه ميكائيل ثلاث طسات من ماء زمزم، ثم أتى بطست من ذهب ممتلئ حكمة وإيمانا ثم أطبقه، ثم ختم بين كتفيه بخاتم النبوة" (15).

فأجل نظرك في العبارات الخمس الواردة في هذه الروايات، العبارة الأولى " وجعل الخاتم بين كتفيّ"، العبارة الثانية " فختم به على قلبي"، العبارة الثالثة " وختم عليه" اي على الشق أو على الصدر الذي هو محل الشق، العبارة الرابعة " ثم ختم على ظهري"، العبارة الخامسة " ثم ختم بين كتفيه بخاتم النبوة"، تجد كل واحدة منها لا علاقة لها بالشامة التي بين كتفي محمد، أولا لأن هذه الشامة موجودة قبل شق الصدر، فإن محمدا ولد وبين كتفيه هذه الشامة على أصح الأقوال عند علماء الحديث.

ثانيا لأن الخاتم المذكور في العبارة الأولى والخامسة هو خاتم معنوي لا مادي بدليل قوله في الرواية الثانية " وإذا بخاتم في يده من نور يحار فيه الناظرون"، والخاتم من النور لا ينطبق على الشامة لأنها شيء مادي فلا يجوز أن يراد بالخاتم الشامة.

ثالثا لو فرضنا أن الخاتم مادي لوجب أن تكون الشامة أثر الخاتم لا الخاتم نفسه مع أنهم قالوا هي خاتم النبوة.

رابعا أن محل الخاتم في هذه العبارات غير واحد فإنه بين الكتفين في العبارة الأولى، وعلى القلب في العبارة الثانية، وعلى الشق أو على الصدر في العبارة الثالثة، وفي الظهر في العبارة الرابعة، وبين الكتفين في العبارة الخامسة. أما محل الشامة فهو واحد متعين لا تعدد فيه وهو أسفل من غضروف الكتف الأيسر، ولكن الرواة لما علموا أن لمحمد شامة بين كتفيه ورأوا ذكر الخاتم في روايات شق الصدر وأنه بين الكتفين في بعض الروايات، توهموا أن المراد بالخاتم هو هذه الشامة حتى أن بعضهم ادعى أن هذه الشامة لم تكن فيه يوم ولد وإنما وجدت بعد الولادة في حادثة شق الصدر خلافا لما صح عند أكثرهم من أنها موجودة فيه من يوم ولادته أي أنه ولد بها، فمن هذا الوهم جاءت تسميتهم لهذه الشامة بخاتم النبوة.

الهوامش

(1) (سيرة ابن هشام 164/1).
(2) (سيرة ابن هشام 166/1- 167).
(3) (السيرة الحلبية 93/1- 94).
(4) (السيرة الحلبية 1:101).
(5) (السيرة الحلبية 101/1- 102).
(6) (السيرة الحلبية 102/1).
(7) (السيرة الحلبية 367/1).
(8) (سيرة ابن هشام 182/1).
(9) (السيرة الحلبية 69/1).
(10) (سيرة ابن هشام 1/167).
(11) (سيرة ابن هشام 1/182).
(12) (السيرة الحلبية 1/97).
(13) (السيرة الحلبية 1/97).
(14) (السيرة الحلبية 1/102).
(15) (السيرة الحلبية1/102).

38 ـ نسج العنكبوت وبيض الحمامتين

مع أن ابن إسحق لم يذكر من أمرها شيئا إلا أن برهان الدين الحلبي تناولها في سيرته فقال: ولما دخل رسول الله وأبو بكر الغار أمر الله شجرة (قيل هي من السمر وقيل من العشر)، فنبتت في وجه الغار فسترته بفروعها، وقد روى بعضهم: كانت أمام الغار بعيدة عنه، وأن رسول الله دعاها فأقبلت حتى وقفت على باب الغار وأنها كانت مثل قامة الإنسان (1).

أقول يفهم من قوله:" فنبتت في وجه الغاز فسترته" أنها صارت له كالباب، وأن فروعها كانت متكاثفة متشابكة بحيث صار الغار لا يرلا نت خلالها، وإلا فكيف سترته، وسيأتي ما يناقض هذا في حديث قريش لما جاؤوا الى جبل ثور للطلب. وإن صح هذا الخبر، وهو بعيدعن الصحة، قلنا: يجوز أن تكون الشجرة نابتة من قبل لا بعد دخول الغار، ولكن الرواة غيروا وبالغوا، كما جاء في الرواية الثانية أنها كانت نابتة من قبل، ولكنها بعيدة عن الغار، وأن رسول الله دعاها فأقبلت حتى وقفت على باب الغار، فصاحب الرواية الأولى بالغ في إنباتها، فقال: نبتت بعد الدخول في الغار، وصاحب الرواية الثانية بالغ في قربها من الغار، فقال: دعاها رسول الله فأقبلت، كما بالغوا في مدة الإختفاء في الغار فجعلوها بضعة عشر يوما، فقد جاء في بعض الروايات في حديث مرسل: قال: مكثت مع صاحبي في الغار بضعة عشر يوما ما لنا طعام إلا ثمر البربر (هو ثمر الأراك).

قال ابن عبد البر وهذا أي القول بأنهما مكثا في الغار بضعة عشر يوما غير صحيح عند أهل العلم بالحديث (2).

قال الحلبي: وبعث الله العنكبوت فنسجت ما بين فروعها نسجا متراكما بعضه على بعض كنسيج أربع سنين (3).

أقول: أما نسج العنكبوت ما بين فروع الشجرة فممكن، لأنها تستطيع أن تنسج في ساعة نسجا كثيرا، وأما أنه متراكم كنسج أربع سنين فمبالغي. ثم إن نسج العنكبوت على غار اختفى فيه رجل لا يعد من خوارق الطبيعة، فقد نسجت العنكبوت على عبد الله بن أنيس لما أرسله محمد ليقتل سفيان بن خالد، فقتله غيلة، وقطع رأسه، وأخذها ودخل في غار في الجبل وكن فيه حتى انقطع عنه الطلب، وقد جاءت العنكبوت فنسجت على الغار الذي هو فيه (4). قال: وأمر الله تعالى حمامتين وحشيتين فوقفتا بفم الغار ويروى أنهما باضتا وفرختا (5).

أقول: أما وقوف الحمامتين بفم الغار فممكن، وليس بأمر غريب، ولا من خوارق الطبيعة، وأما أنهما باضتا وفرختا، فمبالغة، لأن مدة ثلاث ليال لا تحتمل ذلك، والى قصة الحمامة والعنكبوت أشار صاحب الهمزية بقوله:

أخرجوه منها وآواه غار	وحمته حمامة ورقاء
وكفته بنسجها عنكبوت	ما كفته الحمامة الحصداء

فذكر الحمامة والعنكبوت، ولم يذكر الشجرة، فعلى هذا يكون نسج العنكبوت على فم الغار لا فروع الشجرة كما قالوا. واقتصرعلى ذكر حمامة واحدة لا حمامتين، ولذا لم يذكر أنها باضت وفرخت، والذي نراه هو أن هذه الأخبار من تلفيق الرواة، ولم تذكر عن رواية ابن إسحق في السيرة الهشامية.

ومن المناسب بعد هذا أن نذكر لك ما ذكروه من أمر قريش وخروجهم للطلب لما فقدوا محمد من مكة.

قال صاحب السيرة الحلبية: إن المشركين لما فقدوا رسول الله شق عليهم ذلك، وخافوا ذلك، فطلبوه أعلاها وأسفلها، وبعثوا القافة (أي الذين يقصون الأثر) في كل وجه يقتفون أثره، فوجدوا الذي ذهب الى جبل ثور أثره. قال: وأقبل فتيان قريش من كل بطن بعصيهم وسيوفهم، فلما كان فتيان قريش على أربعين ذراعا من الغار تعجل بعضهم ينظر في الغار، فلم ير إلا حمامتين وحشيتين مع العنكبوت، فقال: ليس فيه أحد، فسمع النبي ما قاله فعرف أن الله عز وجل قد دارا عنه. وفي رواية: لما انتهوا الى فم الغار قال قائل منهم: ادخلوا الغار، فقال أمية بن خلف: وما أربكم (أي حاجتكم) الى الغار، إن عليه لعنكبوتا كان قبل ميلاد محمد. قال: ثم جاء قبالة فم الغار فبال، فقال أبو بكر: يا رسول الله، إنه يرانا، فقال رسول الله: يا أبا بكر لو كان يرانا ما فعل هذا. وفي بعض الروايات: لو رآنا ما تكشف عن فرجه. وقال أبو جهل: أما والله إني لأحسبنه قريبا يرانا، ولكن بعض سحره قد أخذ على أبصارنا فانصرفوا (6).

أما ابن إسحاق فلم يذكر من ذلك شيئا سوى ما حدث به عن أسماء بنت أبي بكر أنها قالت: لما خرج رسول الله وأبو بكر، أتانا نفر من قريش فيهم أبو جهل بن هشام، فوقفوا على باب أبي بكر، فخرجت إليهم، فقالوا: أين أبوك يا بنت أبي بكر؟ قالت: قلت: لا أدري والله أين أبي، قالت: فرفع أبو جهل يده، وكان فاحشا خبيثا، فلطم خدي لطمة فطرح منها قرطي، قالت ثم انصرفوا (7).

ملاحظة:

يفهم من قول صاحب السيرة الحلبية:" فلما كان فتيان قرش على أربعين ذراعا من الغار، تعجل بعضهم ينظر في الغار" (8): أن فتيان قريش قد رأوا الغار من مسافة أربعين ذراعا، وهذا يناقض ما قاله في شأن الشجرة أنها نبتت في وجه الغار فسترته، فإذا كان وجه الغار مستورا بفروع الشجرة المملوءة بنسيج العنكبوت المتراكم بعضه فوق بعض ـ كما قال ـ فكيف رأوه من مسافة أربعين ذراعا.

وأيضا يفهم من قول أمية بن خلف:" إن عليه لعنكبوتا كان قبل ميلاد محمد" (9): أن أمية استدل بوجود نسج العنكبوت على أن الغار لم يدخله أحد، إذ لو كان دخله لتمزق النسج، ولذلك قال لهم:" وما أربأكم الى الغار" (10). وهذا يناقض الأحاديث التي ذكرناها في الحياة التي قضاها محمد وأبو بكر في مدة الإختفاء في الغار، فقد قلنا إن

أسماء بنت أبي بكر كانت تأتيهما بطعامهما وشرابهما، ولكي توصل إليهما طعامهما، إما أن تدخل عليهما، وإما أن يخرجا كلاهما أو أحدهما إليها، فمع هذا كيف بقي نسج العنكبوت ولم يتمزق؟ وأيضا: إن عبد الله بن أبي بكر كان يأتيهما بأخبار قريش إذا أمسى، فيبيت عندهما: ثم يغدو الى مكة بغلس، ولا شك أنه كان يبيت معهما في الغار فيدخل ويخرج. وأيضا: عامر بن فهيرة كان إذا أمسى أراح عليهما غنم أبي بكر، فاحتلبا وذبحا ـ كما مر في رواة ابن إسحاق ـ فكيف كانا يحتلبان ويذبحان إذا لم يخرجا من الغار، وإذا قلنا: إن عامرا هو الذي كان يحتلب ويذبح لهما، فكيف كان يوصل ما يحتلبه إليهما، وهل يكون ذلك إلا بدخوله عليهما أو بخروجه إليهما؟ فالدخول الى الغار والخروج منه، يقع بالنظر الى هذا مرارا في كل يوم، فكيف يبقى نسج العنكبوت سالما غير ممزق بحيث يراه أمية بن خلف فيعرف منه أن الغار لم يدخله أحد قبل ميلاد محمد. إن هذا إلا اختلاق.

والذي نراه هو أن طلب قريش لمحمد ـ إن كان واقعا ـ فإنه لم يقع في جبل ثور بأسفل مكة، وإنما وقع بأعلى مكة. وذلك لأن قريشا تعلم أن محمدا إذا فر، فإنما يريد بفراره المدينة الكائنة في شمالي مكة، والطريق إليها يكون من أعلى مكة لا من أسفها، وجبل ثور واقع خلف مكة في طريق اليمن، أي في جهتها الجنوبية، فمن البعيد أن تطلب قريش محمدا في تلك الجهة، وما اختار محمد جبل ثور إلا لهذه الحكمة.

الهوامش

---

(1) السيرة الحلبية 36/2.
(2) السيرة الحلبية 40/2.
(3) السيرة الحلبية 36/2.
(4) السيرة الحلبية 36/2.
(5) السيرة الحلبية 37/2.
(6) السيرة الحلبية 37/2.
(7) سيرة ابن هشام 487/2.
(8) السيرة الحلبية 37/2.
(9) المصدر السابق.
(10) سيرة ابن هشام 486/2.

39 - رحمة مهداة

أحداث بعد فتح خيبر (عن كتاب حروب دولة الرسول)

وبانتهاء المعركة، جاء دور السبايا وتقسيم الأموال، فأما الأموال التي أوجف عليها المسلمون بالخيل والركاب، فقد قسمت بينهم، أما التي استسلمت وعقدت الاتفاق، فعائدها كان خاصا لرسول الله، أما السبايا فقد تم تقسيمهن بين المقاتلين من جند الله.

ويؤكد لنا رواة السير والأخبار جميعا، أن غزوة خيبر قد فشى فيها إتيان المسلمين لنساء يهود على ملأ، ففشت السبايا الخيبريات في المسلمين، إلى الحد الذي دفع النبي لوقف اغتصاب النساء الحبالى، يناشد رجاله بندائه الراقي الرحيم:

لا يحل لامرئ أن يسقي ماءه زرع غيره[1].

وكان النبي قد قتل كنانة بن أبي الحقيق، زوج صفية بنت حيي بن أخطب سيد النضير، وكان قد سبق وقتل أباها حيي في مذبحة قريظة، لذلك، وحتى لا ينصرف ذهن كائد للإسلام ونبيه الكريم، إلى أن قتل زوجها كنانة، كان للاستيلاء على صفية، فإن كتب الأخبار تأتي هنا واضحة لا تحمل في خبرها لبسا، فتعلمنا أن النبي لم يعلم بجمال صفية بنت حيي زوجة كنانة، إلا بعد أن قتل زوجها بالفعل، لنقضه العهود والمواثيق، وتتفق جميعا حول رواية أنس بن مالك الذي قال: قدمنا خيبر، فلما فتح (ص) الحصن، ذُكر له جمال صفية بنت حيي بن أخطب وقد قتل زوجها وكانت عروسا فاصطفاها لنفسه [2].

وقد قدرت الأقدار، أن تحظى صفية بالإكرام، فتحظى بسيد الخلق أجمعين، رغم أنها بنت عدو الله حيي بن أخطب، الذي حزب الأحزاب، وزوج زعيم يهود خيبر كنانة بن أبي الحقيق، الذي نقض العهود والمواثيق، بعد اتفاقه السلمي مع النبي (ص)، وهو ما يشرحه أنس في قوله: جُمع السبي فجاء دحية الكلبي فقال: يا رسول الله اعطني جارية من السبي، قال: اذهب فخذ جارية، فأخذ صفية بنت حيي، فجاء رجل إلى رسول الله فقال: يا نبي الله، أعطيت دحية صفية بنت حيي سيد قريظة والنضير؟ ما تصلح إلا لك !! قال: ادعوا بها، فلما نظر إليها (ص) قال: خذ جارية من السبي غيرها [3].

وفي رواية أخرى أن دحية الكلبي صديق النبي، تم تعويضه عن صفية بسبعة رؤوس دفعة واحدة، وهو ما أخبرنا به ثابت في قوله: "وقعت صفية في سهم دحية، وكانت جارية جميلة، فاشتراها رسول الله (ص) بسبعة رؤوس، ودفعها إلى أم سليم تصنعها وتهيئها".

وما أن ارتحل الجيش عن خيبر، حتى أناخ في سد الصهباء في الطريق إلى يثرب، وضربت للنبي وصفية قبة، ظل فيها النبي معها من الأيام ثلاثة، أو بتعبير ابن كثير: وأقام ثلاثة أيام يبني بها.... وكانت التي جمّلتها إلى رسول الله (ص) ومشّطتها وأصلحت من أمرها أم سليم بنت ملحان، أم أنس بن مالك [4]. ويروي البيهقي: وقد بات أبو أيوب ليلة دخل بها رسول الله (ص) قائما قريبا من قبته. ولما خرج الرسول من القبة سأله عن طوافه حول القبة كل ذلك الوقت، فردّ أبو أيوب مفصحا عن مدى إخلاص الرجال لصاحب الدعوة: لما دخلت بهذه المرأة، وذكرت أنك قتلت أباها وأخاها وزوجها وعامة عشيرتها، فخفت لعمر الله أن تغتالك [5].

وهو الأمر الذي يجد صداه فيما أفصح عنه لسان صفية عندما آلت إلى النبي في قولها: " كان رسول الله من أبغض الناس إليّ، قتل زوجي وأبي، فما زال يعتذر إليّ ويقول: إن أباك ألّب علي العرب .. حتى ذهب ما بنفسي" [6].
وفي خيبر أحداث حدثت ، تفصح عن كثير مما في النفوس من مكامن، وتكشف عما في العقول من مفاهيم، فهذه صفية تصفو للنبي ويزول ما بنفسها من بغض له، لتخبره وهو يبني بها داخل القبة برؤيا رأتها، يأتينا خبرها في قص البيهقي علينا: أقام رسول الله (ص) بين خيبر والمدينة ثلاث ليال يبني بصفية .. ورأى (ص) بعين صفية خضرة، فقال: يا صفية ما هذه الخضرة ؟ قالت: كان رأسي في حجر بن أبي الحقيق وأنا نائمة، فرأيت القمر زال من مكانه فوقع في حجري، فأخبرته بذلك، فلطمني وقال: تمنين ملك يثرب ؟! أو تمنين هذا الملك الذي بالمدينة ؟! فأعجب الرسول (ص) برؤياها [7].

وهو الرد الذي يعبر عن رؤية العرب آنذاك للنبي كملك على يثرب، أو رؤيتهم الأوسع لما هو آت، في صياغة ابن هشام لرد كنانة على زوجته صفية: ما هذا إلا لأنك تمنين ملك الحجاز محمدا ؟![8] وهو ما أعجب ابن كثير فطرب له وهو يوصف رؤيا صفية في قوله : " فسألها ما شأنها ؟ فذكرت له ما كانت رأت من تلك الرؤيا الصالحة رضي الله عنها وأرضاها" [9] .

ومفهوم كنانة بن أبي الحقيق، ومفهوم صفية بنت حيي عن النبوة بحسبانها ملكا، هو الفهم الطبيعي الناشئ عن تأسيس دولة للعرب في يثرب، وهي رؤية واضحة من صفية تتفق مع مفاهيم توراتها، قبل أن تعاشر النبي وتعرف معنى النبوة الحقة، فهي لا تعلم حسب مأثورها الديني سوى الملك، كملك داود، وملك سليمان وغيرهما، أما أنبياء التوراة فكانوا مجرد دراويش، وما يفعله محمد هو بالمطابقة فعل داود وسلميان عندما وحّدا قبائل البدو في دولة تأسيسية في فلسطين، وفي ضوء هذا الفهم يلتقي تجريد الكتائب والجيوش مع أساليب ملوك التوراة، وهو الأمر الذي ترك في نفسها في مبدأ الأمر بغضا شديدا لذلك الملك الذي حلمت به، وزادها بغضا ما رأته يفعل بقومها إزاء إخفائهم أمر كنزهم عنه، ويروي ابن هشام مشهدا لا شك كان ذا أثر عميق في نفس صفية، حيث يقول نقلا عن ابن إسحاق:

ولما افتتح رسول الله (ص) القموص، حصن بني الحقيق، أتى رسول الله (ص) بصفية بنت حيي بن أخطب وبأخرى معها ، فمر بهما بلال، وهو الذي جاء بهما، على قتلى من قتلى يهود ، فلما رأتهم التي مع صفية، صاحت، وصكت وجهها وحثت التراب على رأسها، فلما رآها رسول الله (ص)، قال: أغربوا عني هذه الشيطانة. وأمر بصفية فحيزت خلفه، وأبقى عليها رداءه.

فعرف المسلمون أن رسول الله (ص) قد اصطفاها لنفسه، وقال رسول الله (ص) لبلال: أنزعت منك الرحمة يا بلال، حتى تمر بامرأتين على قتلى من رجالهما؟ [10]. وهكذا كان الرسول ينبه هذا وينهي ذاك، ويحاول رفع القسوة وانعدام الرحمة، ويمنع نكاح الحبالى من النساء، ومع ذلك ظلت هناك مظاهر للقسوة تنبو هنا وتطفو هناك، مثلما حدث مع محمد بن مسلمة الذي لم يكتف بقتل كنانة زوج صفية ثأرا بأخيه محمود الذي ألقيت عليه الرحى، حيث يقول الواقدي: "إن محمد بن مسلمة ضرب ساقى مرحب فقطعهما، فقال مرحب: أجهز عليّ يا محمد، فقال محمد: ذق الموت ذق، كما ذاقه أخي محمود، وظل الرجل على حاله يعاني لولا أن مر عليه الإمام علي ففصل رأسه عن جسده رحمة به [11] ومن الجدير بالذكر أن الرواة اختلفوا في أمر صفية، هل ظلت محظية ضمن جواري الرسول أم تزوجها لتصبح من أمهات المؤمنين، خاصة أنه قد بنى بها ولم تكمل عدتها، لكن تميل الأغلبية إلى أنه أعتقها وتزوجها، وهو ما جاء في الشاهد: " قال حماد ، قال عبد العزيز لثابت، يا أبا محمد، أنت قلت لأنس ما أصدقها؟ قال أصدقها نفسها، فحرك ثابت رأسه كأنه صدقه" [12] بمعنى أنه تزوجها بدليل أنه أعطاها صداقا، وأن هذا الصداق كان عتقها.

ولا يمضي من الزمن هنيهات وأيام ، حتى يحدث أمر جلل، حيث كانت محاولة اغتيال سيد الخلق بالسم، وهو ما جاء في رواية تقول:

> دخل رسول الله (ص) على صفية، ومعه بشر بن معرور، وهو أحد بني سلمة، فقدمت إليهم الشاة المصلية، فتناول رسول الله الكتف وانتهش منها، وتناول بشر عظما وانتهش منه "[13].

ويلوك النبي نهشته من لحم الكتف، ليلفظه بسرعة ويهتف بضيوفه "ارعوا أيديكم فإن كتف هذه الشاة يخبرني أنه مسموم، فلم يقم بشر من مكانه حتى عاد لونه كالطيلسان"، ويموت بشر من نهشته ، ويشعر النبي بآثار السم القاتل تسري في بدنه، فيحتجم يومئذ، وقد حجمه مولى بني بياضة بالقرن والشفرة، وبقي رسول الله بعده ثلاث سنين، حتى كان وجعه الذي توفى فيه، فقال: "ما زلت أجد من الأكلة التي أكلت من الشاة يوم خيبر عددا، حتى كان هذا أوان انقطاع أبهري، فتوفي رسول الله شهيدا، قال ابن هشام: الأبهر هو العرق المعلق بالقلب .. فكان المسلمون يرون أن رسول الله (ص) قد مات شهيدا، مع ما أكرمه به الله من النبوة"[14].

ثم نعلم من كتب الأخبار والسير والتأريخ، أن تلك الشاة المسمومة، جاءت صفية هدية من قريبة يهودية لها هي زينب بنت الحارث أهدتها لها لتقدمها إلى سيد الخلق المصطفى، ولما سألها النبي لم اقترفت ذلك العمل الشنيع؟ قالت: " قتلت أبي وعمي وزوجي وأخي .. قال القاضي عياض: واختلفت الآثار والعلماء، هل قتلها النبي (ص) أم لا ؟"[15].

في واقعة زواج نبي الإسلام من صفية بنت حيي ملمح لا يجب أن تتجاوزه. وهو أنه تزوجها قبل أن تعتد وبعد أن قتل زوجها وأباها وأخاها وعمها. كيف يعرس إنسانا رحيما بإمرأة هو قاتل زوجها وأبيها وأخيها وعمها؟.

الـهـوامـش

1 - عيون الأثر ـ ابن سيد الفاس ص .173
2 - البداية والنهاية ـ ابن كثير ج 4 ص .197
3 - المصدر السابق ص .198
4 - البداية والنهاية ـ ابن كثير ج 4 ص .212
5 - دلائل النبوة ـ البيهقي ج 4 ص .230
6 - البداية والنهاية ـ ابن كثير ج4 ص .210
7 - دلائل النبوة ـ البيهقي ج 4 ص .230
8 - الروض الأنف ـ السهيلي ج 4 ص .43
9 - البداية والنهاية ـ ابن كثير ج 4 ص .197
10- الروض الأنف ـ السهيلي ج 4 ص .43
11- دلائل النبوة ـ البيهقي ج 4 ص .416
12- طبقات ابن سعد ج 2 ص .85
13- البداية والنهاية ـ ابن كثير ج 4 ص 211.
14- المرجع السابق.
15- دلائل النبوة ـ البيهقي ـ ج 4 ص 257.

40 ـ أسلحة الرسول

سيوف النبي (ص):

فقد جاء عنه (ص): معه قضيب من حديد يقاتل به وذكرت صفته في التوراة. فيما رواه ابن عباس رضي الله عنهما أنه يركب البعير ويلبس الشملة ويجتزئ بالكسرة وسيفه على عاتقه.

وكان النبي (ص) قدوة العرب في الإعتزاز بالسيف شهامة وجهادا وأداة للقتال في سبيل الحق. وتجمع كتب التاريخ كما يقول الفريق محمد حسن التهامي نائب رئيس الوزراء الأسبق في كتابه القيم (سيوف الرسول وعدة حربه) الذي يقع في 483 صفحة من القطع الكبير على أن الرسول كانت له عدة سلاح وآلة حرب. فكانت له تسعة سيوف هي: المأثور والعضب وذو الفقار والبتار ورسوب والمخذم وقلعي وقضيب وحتف.

وهناك من الرماح المثنى والمثوى من الثوى وهو الإقامة لأن المطعون به يقيم في موضعه. ومن الدروع ذات القصل وذات الوشاح وذات الحواشي والسغدية وفضة والبتراء والخرنق والسغدية هي درع سيدنا داود. وقد أصابها النبي من بني قينقاع. وكانت البتراء على سيدنا الحسين رضي الله عنه يوم كربلاء. ومن التروس الزلوق وفتق. ومن القسي الزوراء والصفراء والروحاء والبيضاء. والكتوم وهي التي استخدمها (ص) يوم أحد. ومن الجعبة الكافور ومن الخوذ: الموشح وذات السبوغ، وأخيرا الفسطاط. واتخذ النبي القائد الرايات والألوية فكانت له العقاب وهي راية سوداء مربعة طولها ذراع وعرضها ذراع يتوسطها هلال أبيض. وهي أول راية للجهاد، وظلت منذ غزوة بدر راية الجيوش الإسلامية. وكان له لواء المدينة من قماش أبيض مكتوب عليه (لا إله إلا الله عليه الصلاة والسلام) لحمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه.

المأثور

ونحن هنا نستعرض مع الفريق محمد حسن التهامي سيوف النبي (ص) فهو يقول عن السيف المأثور إنه أول سيف ملكه النبي وورثه عن أبيه .. وهو السيف الذي كان يمتلكه عليه الصلاة والسلام في شبابه عند البعث وبقي معه في مكة المكرمة، وآثره على كل ما عداه من عدة ومتاع. فهاجر من مكة الى المدينة المنورة وبصحبته سيدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه. وقد سار النبي (ص) في موكب زفاف ابنته الزهراء شاهرا سيفه يحيط به بنو هاشم بسيوفهم كعادة العرب. ومن ثم فالأرجح أن يعلو في سماء الحفل للسيد الهاشمي (السيف المأثور). فالزوجان هاشميان، والمحتفلون هاشميون والسيف وراثة من هاشمي.

وبقي هذا السيف معه حتى انتقل مع عدة الحرب الى سيدنا علي بن أبي طالب بعد اختيار النبي للرفيق الأعلى. حيث أجمعت كتب التاريخ كلها على إيثاره (ص) لهذا السيف. ولم يعط لأحد من الصحابة ليقاتل به في المعارك كما حدث في بدر وأحد والخندق وما عداها من الغزوات. وبقي هذا السيف معروفا في التاريخ حتى يومنا هذا بسيف سيدنا رسول الله (ص) وهو مودع في اسطمبول في غرفة الأمانات المقدسة مع سيف ثان له .. ومن تشرف باستلال هذا السيف من غمده يجده منقوشا على صفحته اسم صاحب السيف (عبد الله بن عبد المطلب) والد سيدنا رسول الله (ص).

ومما يروى أن الخلفاء العثمانيين كانوا يستلون هذا السيف من غمده قدر شبر. ثم يدعون الله تعالى بالنصر كلما خرج الجيش من جيوشهم للفتح أو للزود عن أرض الخلافة والأمة الإسلامية. كما كان الخليفة العثماني يتقلده عند توليه الخلافة وسط التكبير والتهليل والدعاء لله ولرسوله ولخليفة المؤمنين. وأول ما عرف هذا السيف كان في حرب الفجار في الجاهلية حيث حضرها النبي مع أعمامه وهو في سن الخامسة عشرة.

القضيب:

كان لرسول الله (ص) سيف يسمى (القضيب) وهو سيف دقيق يشير اسمه الى وصفه حيث القضيب يطلق على العصا. فكأنه كان يشبه العصا في خفته وسهولة حمله ومثله يكون سيفا للدفاع أو يصحبه المسافر في حله وترحاله. ولا يقدم للقتال تحسبا للسيف المضاد. هذه الأوصاف تتوافر في سيف محفوظ بمتحف (طوب قابو) منسوب الى سيدنا رسول الله ومرافقا للسيف المأثور. ومكتوب عليه على جانب النصل بالفضة (لا إله إلا الله محمد رسول الله) محمد بن عبد الله بن عبد المطلب.

ولم يستدل في أي من المراجع التاريخية على استخدام هذا السيف في أية معركة من المعارك .. وهناك احتمال بقاء هذا السيف في بيت سيدنا رسول الله شأنه في ذلك شأن السيف المأثور والذي لم يرد أنه استخدم إلا مرة في عرس السيدة فاطمة الزهراء سيدة نساء العاملين على الإمام على كرم الله وجهه.. وذلك بعد البعثة.

العضب:

ومعناه السيف القاطع ثم جعل علما لأحد الأسياف النبوية .. وكانت لرسول الله ناقة تسمى (القضباء) لنجابتها وهذا السيف أرسل به سعد بن عبادة الأنصاري الى سيدنا رسول الله قبيل توجهه الى بدر .. وأجمع المؤرخون على أن سيدنا محمد (ص) تقلده في بدر ولبس درعه (ذات الفضول) وعاد به من بدر بعد أن غنم (ذا الفقار) ثم خرج سيدنا محمد الى أحد ومعه العضب وذو الفقار.. فأعطى ذا الفقار لمولانا الإمام علي كرم الله وجهه ليقاتل به وبقى ذو الفقار مع سيدنا الإمام علي طيلة المعركة حتى عاد به الى المدينة المنورة.

والسيف العضب مهدى للرسول من سعد بن عبادة كما هو ثابت من الكتابة المنقوشة عليه (محمد رسول الله .. من سعد بن عبادة). وقد آل ميراثه الى سيدنا ومولانا الإمام الحسين رضي الله عنه، كما استقر به المطاف في مصر.

ذو الفقار:

ذو الفقار بكسر الفاء وفتحها .. وهو من أشهر سيوف النبي (ص)، ولم يفارقه وقد ورد في تسميته بهذا الإسم أنه كان في وسطه مثل فقار الظهر، وقيل سمي بذلك لأنه كان فيه حفر صغار، والفقر من السيوف ما فيه جزوز وسمي ذو الفقار لأنه ما ضرب به أمير المؤمنين أحدا إلا إفتقر في الدنيا من الحياة وفي الآخرة من الجنة.. ويروي أبو يعقوب أن طوله كان سبعة أشبار وعرضه شبر وفي وسطه كالفقار.

البتـار:

وهو سيف رسول الله (ص) الذي أخذه من يهود بني قينقاع عندما أجلاهم لخيانتهم ومحاولتهم الغدر به ونقضهم العهد النبوي الذي أخذه عليهم عندما هاجر الى المدينة. وهو سيف الأنبياء طوله 101 سم عليه كتابات ورسوم آدمية تمثل سيدنا داود وقد قطع رأس جالوت ومضاف إلى هذا الرسم بعض كلمات نبطية وعربية تقول (داود وسليمان وموسى وهارون ويوشع وزكريا ويحيى وعيسى ومحمد عليهم السلام). هذه هي سيوف الرسول التي رفعها في وجه الباطل إظهارا للحق .. وهناك منها الكثير ولكننا اكتفينا بما ألقينا الضوء عليه.

هذا ما جاء عن أسلحة نبي الإسلام الذي قال عن نفسه أنه رحمة مهداة ويقول عنه القرآن قد بعث رحمة للعالمين.

41 - شق القمر

المعجزة الكبرى الذي يُدعي البعض أن القرآن ينسبها لمحمد هي معجزة شق القمر. وسوف ننا قشها في هذا الفصل لنرى مدى صحة هذا الإدعاء.

جاء في سورة القمر: (القمر: 1- 6)

إقتربت الساعة وانشق القمر* وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر* وكذبوا واتبعوا أهواءهم ولك أمر مستقر* ولقد جاءهم من الأنباء ما فيه مزدجر* حكمة بالغة فما ثغن النذر* فتول عنهم يوم يدع الداع الى شيء نكر*.

1- واضح من الآية أن انشقاق القمر مرتبط بيوم القيامة كما قال المفسرون:

ابن كثير:

يخبر تعالى عن اقتراب الساعة وفراغ الدنيا وانقضائها كما قال تعالى" أتى أمر الله فلا تستعجلوه" قال " اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون".

الجلالان:

" اقتربت الساعة " قربت القيامة: وانشق القمر " انفلق فلقتين على أبي قبيس وقيقعان آية له (ص) وقد سُئلها فقال " اشهدوا" رواه الشيخان.

الطبري:

القول في تأويل قوله تعالى: {إقتربت الساعة} يعني تعالى ذكره بقوله { اقتربت الساعة}: دنت الساعة التي تقوم فيها القيامة، وقوله {إقتربت} افتعلت من القرب. وهذا من الله تعالى ذكره إنذار لعباده بدنو القيامة. وقرب فناء الدنيا. وأمر لهم بالإستعداد لأهوال القيامة قبل هجومها عليهم، وهم عنها في غفلة ساهون.

القرطبي:

وقال قوم: لم يقع انشقاق القمر بعد وهو منتظر: أي اقترب قيام الساعة وانشقاق القمر: وأن الساعة إذا قامت انشقت السماء بما فيها من القمر وغيره. وكذا قال القشيري. وذكر الماوردي: أن هذا قول الجمهور. وقال: لأنهُ إذا انشق ما بقي أحد إلا رآه , لأنه آية والناس في الآيات سواء. وقال الحسن: اقتربت الساعة فإذا جاءت انشق القمر بعد النفحة الثانية. وقيل:" وانشق القمر" أي وضح الأمر وظهر؛ والعرب تضرب بالقمر مثلا فيما وضح؛ قال: أقيموا بني أمي صدور مطيكم فإني الى حي سواكم لأميل فقد حمت الحاجات والليل مقمر وشدت لطيات مطايا وارحل وقيل: انشقاق القمر هو انشقاق الظلمة عنه بطلوعه في أثنائها كما يسمى الصبح فلقا؛ لإنفلاق الظلمة عنه. وقد يعبر عن انفلاقه بانشقاقه كما قال النابغة: فلما أدبروا ولهم ذوي دعانا عند شق الصبح داع.

والدليل القاطع عن أن الكلام عن يوم الحساب هو الآية 6 من السورة. وهاك تفسير المفسرون لها:

ابن كثير:

يقول تعال فتول يا محمد عن هؤلاء الذين إذا رأوا آية يعرضوا ويقولوا هذا سحر مستمر أعرض عنهم وانتظرهم" يوم يدع الداع الى شيء نكر " أي الى شيء منكر فطيع وهو موقف الحساب وما فيه من البلاء والزلازل والأهوال.

الجلالين:

" فتولى عنهم" هو فائدة ما قبله وثم به الكلام " يوم يدع الداعي" هو إسرافيل وناصب يوم يحرجون بعد " إلى شيء نكر" بضم الكاف وسكونها أي مُنكر تنكره النفوس وهو الحساب.

الطبري:

القول في تأويل قوله تعالى:{ فتول عنهم يوم يدع الداع الى شيء نكر} يعني تعالى ذكره بقوله:{ فتول عنهم}: فأعرض يا محمد عن هؤلاء المشركين من قومك، الذين إن يروا آية يعرضوا ويقولوا: سحر مُستمر، فإنهم يوم يدعو داعي الله الى موقف القيامة، وذلك هو الشيء النكر.

القرطبي:

فتول عنهم فإن لهم يوم يدعو الداعي. وقيل: تول عنهم يا محمد فقد أقمت الحُجة وأبصرهم يوم يدعو الداعي. وقيل: أي أعرض عنهم يوم القيامة ولا تسأل عنهم وعن أحوالهم، فإنهم يدعون " الى شيء نكر" وينالهم عذاب شديد. وهو كما نقول: لا تسأل عما جرى على فلان إذا أخبرته بأمر عظيم. وقيل: أي وكل أمر مُستقر يوم يدعو الداعي. قرأ ابن كثير" نكر" بإسكان الكاف وضمها الباقون وهما لغتان كعسر وعُسر وشغل وشُغل، ومعناه الأمر الفظيع العظيم وهو يوم القيامة. والداعي هو إسرافيل عليه السلام.

2- القول بأن شق القمر كان تلبية لطلب مشركي مكة الذين طلبوا آية من محمد يناقض القرآن الذي يصرح بأن الله لم يؤيد محمد بالآيات رغم إلحاح أهل قريش عليه كما نرى في الآيات التالية:

الأنبياء 5: بل قالوا أضغاثُ أحلام بل افتراه بل هو شاعر فيأتنا بآية كما أرسل الأولون.

البقرة 118و119: وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله أو تأتينا آية كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم تشابهت قلوبهم قد بينا الآياتِ لقوم يوقنون. إنا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا ولا تسأل عن أصحاب الجحيم.

الرعد 7: ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه إنما أنت منذر ولكل قوم هاد.

الرعد27: ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه قل إن الله يضل من يشاء ويهدي إليه من أناب.

الإسراء 90- 92: وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا؛ أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيرا؛ أو تسقط السماء كما زعمت علينا كيسفا ـ قطعا ـ أو تأتي باللهِ والملائكة قبيلا.

الإسراء 59: وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون وأتينا تمود الناقة مُبصرة فظلموا بها وما نرسل بالآيات إلا تخويفا.

أحاديث شق القمر:

115749 ـ انشق القمر على عهد رسول الله (ص) شقين، فقال النبي: (اشهدوا).
الراوي: عبد الله بن مسعود المحدث: البخاري ـ المصدر: الجامع الصحيح ـ الصفحة أو الرقم:3636.
خلاصة الدرجة: [صحيح]

117411 ـ عن أنس قال: انشق القمر فرقتين.
الراوي: قتادة المحدث: البخاري ـ المصدر: الجامع الصحيح ـ الصفحة أو الرقم: 4868.
خلاصة الدرجة: [صحيح]

118250 ـ انشق القمر في زمان النبي (ص).
الراوي: عبد الله بن عباس المحدث: البخاري ـ المصدر: الجامع الصحيح ـ الصفحة أو الرقم: 4866.
خلاصة الدرجة: [صحيح]

176118ـ انشق القمر على عهد رسول الله (ص) فلقتين. فستر الجبل فلقة. وكات فلقة فوق الجبل. فقال رسول الله " اللهم! اشهد". وفي رواية:" اشهدوا. اشهدوا".
الراوي: عبد الله بن مسعود المحدث: مسلم ـ المصدر: المسند الصحيح ـ الصفحة أو الرقم:2800.
خلاصة الدرجة: [صحيح]

176122ـ عن أنس قال: انشق القمر فرقتين. وفي حديث أبي داود: انشق القمر على عهد رسول الله.
الراوي: قتادة المحدث: مسلم ـ المصدر: المسند الصحيح ـ الصفحة أو الرقم: 2802.
خلاصة الدرجة: [صحيح]

شق القمر في شعر امرئ القيس:

امرؤ القيس هو أحد شعراء الجاهلية المتوفى سنة 540م (أي قبل ميلاد محمد بثلاثين سنة) كانت له قصيدة مشهورة اقتبس القرآن كثيرا من فقراتها:

دنت الساعة وانشق القمر ... عن غزال صاد قلبي ونفر
أحور قد جرت في أوصافه ... ناعس الطرف بعينيه حور
مر يوم العيد بي في زينة ... فرماني فتعاطى فعقر
بسهام من لحاظ فاتك ... فر عني كهشيم المحتظر
وإذا ما غاب عني ساعة ... كانت الساعة أدهى وأمر
كتب الحُسن على وجنته ... بسحيق المسك سطرا مختصر
عادة الأقمار تسري في الدجى ... فرأيتُ الليل يسري بالقمر
بالضحى والليل من طرته ... فرقه ذا النور كم شيء زهر
قلت إذ شق العذار خده ... دنت الساعة وانشق القمر

فورد الشطر الأول من البيت الأول في القمر 1:54 اقتربت الساعة وانشق القمر.
وورد الشكر الثاني من البيت الثالث في القمر 29:54 فنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر.
وورد الشطر الثاني من البيت الرابع في القمر31:54 فكانوا كهشيم المحتضر.
وورد الشطر الأول من البيت الثامن في الضحى 1:93و2 والضحى والليل إذا سجى.

وقال امرؤ القيس أيضا:

أقبل والعشاق من خلفه ... كأنهم من كل حدب ينسلون
وجاء يوم العيد في زينته ... لمثل ذا فليعمل العاملون

فورد الشطر الثاني من البيت الأول في سورة الأنبياء 96:21 حتى إذا فتحت باجوج وماجوج وهم من كل حدب ينسلون.
وورد الشطر الثاني من البيت الثاني في الصافات 61:37 لمثل هذا فليعمل العاملون.

لقد ناقش هذا الموضوع نقاشا حياديا الشيخ الجليل محمد الغزالي (وليس أبي حامد الغزالي). مستخدما في ذلك عقله وبحثه الدؤب لإظهار الحقيقة وأنكر مسألة إنشقاق القمر ليس إنكارا للقرآن ولكنه إنكارا للتفاسير التي أخذت الأمر على علاته ولم تجهد نفسها في إخضاع النقل للعقل وأخذت فكر القبوريين كمصدر وحيد لتفسير القرآن وأخذوا العنعنة منهاجا ولبسوا عقولهم في أرجلهم وظنوا بذلك أنهم حماة الرسالة وملوكها.

لذا فإني أرجو ممن يعرض أي قضية للنقاش ألا يأخذ آراء متجمدي الفكر من أهلها لينعق به في بوق يسمع به الدهماء.

أما عن فكر هذا الرجل الجليل الشيخ محمد الغزالي رحمه الله في هذه المسألة فيقول:ـ لنفترض جدلا بأن مسألة إنشقاق القمر قد حدثت فعلا إذا فهى معجزة إلاهية وليست سحرا وحاشا لله أن يلجأ الى السحر.

ولأنها معجزة إلاهية فلا بد أن يراها كل سكان الأرض ولا تكون حكرا على ابن عباس وزمرة معه من آل مكة.

ويستطرد الشيخ الجليل فيقول:ـ

وحيث أني قد بحثت في تاريخ كل الحضارات ولم أجد ذكرا لهذا الحدث الكوني العظيم حتى في الحضارات القريبة من الجزيرة العربية (المصرية، العراقية، السورية، اليمنية، الحبشية). فهل من المعقول أن تقتصر رؤية هذا الحدث المعجزة على بن عباس ورفاقه فقط.

ثم إن كان هذه قد حدث فهل يعقل أن الله يصنع لهم هذه المعجزة العظيمة ويكون ردهم عليها " لقد سحرنا محمد" ثم يعودون الى ديارهم دون أن ذكر لعذاب يقع عليهم نتيجة تكذيبهم هذا.

أما عن مسألة ذكر هذا في القرآن بلغة الماضي " اقتربت الساعة وانشق القمر"، ألم يذكر الله في كتابه العزيز " جفت الأقلام ورفعت الصحف" فهل الأقلام جفت وصحفنا رفعت الى الله، إذا فالعقل لا بد أن يبحث عن سر حديث الله بلغة الماضي في كثير من الآيات القرآنية.

وهنا أقول أن لغة البشر لها ماض وحاضر ومستقبل، فأما عن الماضي فقد وقع لا محالة وأما الحاضر فهو واقع نعيشة.

أما المستقبل فهو غيب عند الإنسان قد لا يحدث أما عند الله فهو ليس بغيب أي أنه عند الله واجب الحدوث.

وعندما يؤكد الله على أحداث واجبة الحدوث واجبة تختص بفعل الله سبحانه وتعالى فإنه يستخدم الماضي للتأكيد على وجوبية حدوثه، فلا عجب إذن أن يقول سبحانه وتعالى " جفت الأقلام ورفعت الصحف" و" اقتربت الساعة وانشق القمر" أى أن هذا الحدث العظيم لا بد أن يحدث عند اقتراب الساعة ليكون علامة على اقتراب الساعة.

حقيقة شقوق القمر:

شقوق القمر أو Lunar Rilles تم اكتشافها منذ ما يزيد عن مائتي عام وهي تنقسم الى ثلاثة أنواع:

sinuous rilles

arcuate rilles

straight rilles

وما يهمنا هي الآخيرة ومعناها الشقوق المستقيمة لأنه تنتمي إليها Ariadaeus Rille التي صورتها سفينة الفضاء ابوللو عشرة:

وهي أكبر وأطول شقوق القمر وأكثرها استقامة وربما هي السبب وراء الفرية العلمية التي افتراها بعضهم ... والحقيقة إن هذا الشق لا يأخذ القمر بأكمله ولا هو غائر الى عمق القمر حتى !!! بل هو مجرد شق سطحي يستمر طوله الى ثلاثمائة كيلو متر فقط أي من القاهرة الى الإسكندرية !!! وعرض هذا الشق يتراوح بين ثلاثة وخمسة كيلومترات ولا يزيد عمقه في أعمق مناطقه عن ثمانمائة متر ... وتفسير تكون هذه الشقوق هو على حسب أنواعها ... فبعضها نتج عن تدفق الحمم البركانية أو اللافا Lava على سطح القمر في بداية تكونه مما كون أخاديد ووديان ومرتفعات ونوع آخر نتج عن ما يسمى بأنابيب اللافا حيث كانت اللافا تتدفق في انفاق أذابتها اللافا في الصخور القديمة تحت سطح التربة ثم جفت تلك الأنابيب مما سبب هبوط وإنهيار سطح تربة القمر فوق تلك الأنابيب التي اتخذت شكلها الحالي ... أما النوع الثالث فناتج عن فوالق وصدوع في قشرة القمر لا تختلف عن الفوالق والصدوع الزلزالية على الكرة الأرضية أو هي ناتجة عن الحركة التكتونية أو بالأصح الأيزو ستاتيكية لقشرة القمر لأن القمر ليست له طبقات تكتونية كالأرض...

وبالمناسبة يوجد في الغرب أيضا من المخرفين والمدلسين اللذين ادعوا بأن تلك الشقوق ما هي إلا طرق أنشأها سكان الفضاء على القمر لتسهل انتقالهم على سطحه ... بل ويقولون أنهم شاهدوا أبراجا بناها سكان الفضاء على سطح القمر ايروس وبالمناسبة أيضا توجد شقوق مماثلة على سطح المريخ !!! برغم أنه لم ترد أي روايات عن انشقاق المريخ!

وما يهم علماء الفضاء الأن في هذه الشقوق هو امكانية تبطينها واعدادها لبناء مختبرات ومباني لإستخدام البشر فوق سطح القمر لأنه ثبت أن داخل تلك الشقوق هو آمن مكان للبشر من الأشعة الكونية والوهج الشمسي والأشعة فوق البنفسجية وما يسمى بقصف النيازك صغيرة الحجم micrometeorite bombardment .

الدكتور فاروق الباز وشق القمر:

منذ عام 1967 عمل الدكتور فاروق الباز بمعامل بلل بواشنطن كمشرف على التخطيط للدراسات القمرية واستكشاف سطح القمر.

وفي خلال هذه السنوات، اشترك في تقييم برنامج الوكالة الوطنية للطيران والفضاء " ناسا" للرحلات المدارية للقمر بالإضافة الى عضويته في المجموعات العلمية التدعمية لإعداد مهمات رحلات أبوللو على سطح القمر.

شغل منصب سكرتير لجنة اختيار موقع هبوط سفن برنامج أبوللو على سطح القمر.

كما كان رئيسا لفريق تدريبات رواد الفضاء في العلوم عامة وتصوير القمر خاصة.

كتب د. الباز 12 كتابا، منها أبوللو فوق القمر، الصحراء والأراضي الجافة، حرب الخليج والبيئة، أطلس لصور الأقمار الصناعية للكويت، ويشارك في المجلس الإستشاري لعدة مجلات علمية عالمية. كتب مقالات عديدة، وتمت لقاءات كثيرة عن قصة حياته وصلت الى الأربعين، منها " النجوم المصرية في السماء"، " من الأهرام الى القمر"، " الفتى الفلاح فوق القمر"، وغيرها. تبلغ أوراق د. الباز العلمية المنشورة الى ما يقرب من 540 ورقة علمية، سواء قام بها وحيدا أو بمشاركة آخرين، ويشرف على العديد من رسائل الدكتوراة.

جال د. فاروق العالم شرقا وغربا، وحاضر في العديد من المراكز البحثية والجامعات. في كل هذا الكم من المحاضرات والكتب التي كتبها والأوراق العلمية التي قدمها؛ وهو رجل مسلم ... لا يتعرض من قريب أو من بعيد عن معجزة شق القمر ... لأنه رجل يخاف أن يفقد منصبه العلمي لو أنه تكلم عن خرافة لا دليل علمي له عنها ...

http://www.arabiancreativity.com/albaz.htm

كما أن هنا مقابلة تمت مع الباز؛ والمحاور كان مسلما؛ وقد تم طرح 11 سؤالا عليه؛ والغريب أن المحاور لم يتجرأ؛ أن يقترب إطلاقا من موضوع شق القمر؛ بالرغم من أنه مسلم ويناقش رجل مسلم متخصص في سطح القمر ...

http://www.arabiancreativity.com/albaz.htm

لماذا لا يتكلم هذا المتخصص في سطح القمر؛ وهو مسلم؛ عن شق القمر ...؟!!! والجواب طبعا واضح : لأن إنشقاق القمر بالطريقة الإسلامية لم يحدث إطلاقا ...

42 ـ الإسراء والمعراج

أولا: الإسراء في كتاب سنة الأولين لإبن قرناس.

ماذا يقول القرآن الكريم عن الإسراء

السورة كان اسمها في عهد الصحابة سورة بني إسرائيل، ولا زال هذا اسمها في تفسير سفيان الثوري وابن عباس، ولكن عندما جاء مفسرو القرون اللاحقة مثل القرطبي والطبري وابن كثير سموها سورة الإسراء، لأن قصة الإسراء كانت قد انتشرت بين الناس. وقد أورد البخاري حديثا برقم (4874) يؤكد اسمها الأول، وهذا نصه: حدثنا آدمُ حدثنا شُعبةُ عن أبي إسحاق قال: سمعتُ عبد الرحمن بن يزيد سمعت ابن مسعود يقول في بني إسرائيل والكهف ومريم وطه والأنبياء: إنهنُ من العتاق الأول، وهُن من تِلادي.

والسورة سميت ببني إسرائيل لأن الآيات الأولى منها تستعرض تاريخ بني إسرائيل بصورة إجمالية وسريعة:

بسم الله الرحمن الرحيم. سُبحَانَ الذي أَسرَى بِعَبدِهِ لَيلاً منَ المَسجِدِ الحَرام الى المَسجِدِ الأقصَى الذي بَاركنَا حَولهُ لنُريهُ من آياتِنَا إنَّهُ هُو السمِيعُ البَصيرُ. وآتينَا مُوسى الكِتابَ وجعلنَاهُ هُدى لبنِي إسرائيل ألاَّ تَتخِذُوا مِن دُوننِي وكِيلا. ذُرِيَّة من حَمَلنَا مَعَ نُوح إنهُ كان عبدا شَكُورا. وقَضينَا الى بني إسرائيل في الكِتاب لتفسِدُن في الأرضَ مَرتَين ولتَعلُن عُلُوا كبيرا. فإذا جَاء وعدُ أولاهُما بَعثنَا عَليكُم عِبادا لنا أولي بأس شديد فَجَاسُوا خِلال الديار وكَان وعدا مفعُولا. ثُمَّ رددنَا لكُمُ الكرة عَليهِم وأمددناكُم بِأموال وبنينَ وجَعلناكُم أكثرَ نَفيرا. إن أحسنتُمُ أحسَنتُمُ لأنفسكُم وإن أسأتُمْ فَلهَا فَإذا جَاء وَعْدُ الآخِرةِ لِيَسُوؤُوا وُجُهَكم وليَدْخُلوا المَسجِدَ كَمَا دَخلوهُ أولَ مَرةٍ وليُتبرُوا ما عَلوا تَتبيرا. عَسى ربكُمْ أن يَرحَمكُمْ وإن عُدتم عُدنا وَجَعلنَا جَهْنمَ للكافِرينَ حصيرا (بني إسرائيل:1ـ 8).

ويقول بعض المفسرين أنها سورة مكية، بينما يستثني القرطبي والشوكاني وغيرهم، الآيات: 60، 76، 80، 107 على أنها نزلت في المدينة.

وبطبيعة الحال هناك سور نزلت بالكامل في مكة وأخرى نزلت بالكامل في المدينة، وهناك آيات من سورة نزلت في مكة وأخرى من السورة نفسها نزلت في المدينة، ولكن لا يوجد ضوابط محددة اتفق عليها المفسرون والمحدثون والفقهاء يركن لها لتحديد الآيات التي نزلت في مكة والآيات التي نزلت في المدينة. وليس هناك سجل مكتوب في عهد الرسول، يسجل متى وأين نزلت الآيات، وكل ما يقوله رجال الدين عن مكان نزول الآيات هو اجتهادات شخصية محضة.

وبعيدا عن اجتهادات المفسرين، يمكن ملاحظة بعض الخصائص الملازمة للآيات المكية وأخرى ملازمة للآيات المدنية، ومن ذلك أن السور المكية تذكر الأمم السابقة وما حل بها، وتدعو الى وحدانية الله والتفكر في مخلوقاته الدالة على تلك الوحدانية وعلى قدرته سبحانه على إعادة الخلق وإمكانية البعث.

كما أن الآيات المكية تؤكد على الصبر على الشدائد، وتدعو الرسول الى الصبر والإكثار من تسبيح الله والصلاة.

وكل آية فيها وعيد لشخص من قريش ولو لم يذكر بالإسم فهي مكية.

وكل الآيات التي ذكر فيها الحور العين والتي تصور ملذات الجنة بصور مماثلة لما في الدنيا كالخمر فهي مكية. إضافة الى خصائص أخرى.

أما الآيات المدنية فمن خصائصها أنها تتحدث عن بني إسرائيل وتخاطبهم، كما تخاطب من قالوا بأنهم نصارى. وكل الآيات التي تتحدث عن عيسى ابن مريم وأمه فهي مدنية.

وكل الآيات التي تتحدث عن المنافقين، ومثلها آيات الحدود، والآيات التي فيها تشريع أو ذكر فيها الصيام والحج والجهاد.

وهناك مواضيع ذكرت في آيات مكية، ومن ذلك الصلاة والزكاة (الإنفاق).

والآيات الثماني الأولى من سورة بني إسرائيل تتحدث عن بني إسرائيل ولذلك فهذه الآيات مدنية، كما أن السورة تعود في آخرها الى الحديث عن بني إسرائيل كما بدأت، وذلك في الآيات (101ـ 104) فتكون تلك الآيات مدنية أيضا.

ولكن هل الآية الأولى مدنية؟ أم أن السورة بدأت بآية واحدة نزلت في مكة ثم نزلت الآيات السبع التالية في المدينة؟

والمتدبر لآيات القرآن الكريم يلاحظ أنه لا يوجد في كتاب الله سورة واحدة من سوره المائة والأربع عشرة تبدأ بالحديث عن موضوع في الآية الأولى ثم تنتقل في الآية رقم اثنين الى موضوع آخر، على الإطلاق، إلا ما يكون من أمر الحروف الانفرادية التي تبدأ بها بعض السور، مثل: ألم، طسم، الر... ونحوها، أو تلك السور التي تبدأ بقسم، وكل هذه البدايات لا تتحدث عن موضوع بل هي افتتاح للسورة، ومن ذلك افتتاح سورة الحجر والتي تبدأ بقوله تعالى: الرَ تِلكَ آياتُ الكِتاب وقُرآن مُبين (الحجر:1) قبل أن تتبع بالآيات التالية: رُّبَمَا يَودُّ الذينَ كَفَروا لو كانُوا مُسلمينَ. ذَرهُم يأكُلوا ويَتَمتعُوا ويُلهِهِمُ الأمل فَسوفَ يَعلمُون (الحجر: 2ـ 3).

فهل سورة بني إسرائيل هي السورة الوحيدة في القرآن الكري التي تبدأ بالحديث عن موضوع هام جدا وغير اعتيادي، كالإسراء، وبشكل مقتضب جدا، ثم تنتقل الآية الثانية وما بعدها الى موضوع آخر ولا تعود الى الحديث عن الموضوع الذي بدأته في الآية الأولى أبدا، بل إن جميع آيات القرآن الكريم والبالغ عددها (6236 آية) لا تتحدث عنه أبدا، في الوقت الذي نزلت فيه الآيات القرآنية للحديث بالتفصيل عن مواضيع أقل شأنا من الإسراء بكثير، وفي مواضع متعددة.

هذا لو افترضنا أن الآية الأولى منفصلة عن الآيات السبع التي تليها، كما يزعم المفسرون، وهذا ما يتعارض مع كل الشواهد التي أوردناها في نقاشاتنا السابقة.

ويتبقى احتمال أن تكون الآية الأولى في السورة تتحدث عن الموضوع نفسه الذي تتحدث عنه الآيات التي تليها مثلها في ذلك مثل بقية سور القرآن العظيم بلا استثناء. وهذا ما يعطينا الحق بمناقشة هذا الإحتمال؟

ولو فعلنا فسنجد أن الآية تنص على أنه كان هناك إسراء لعبد من عبيد الله، وتم الإسراء من المسجد الحرام الذي لا يوجد مسجد حرام غيره والذي هو في مكة، وأن الإسراء، وهو السير في جنح ظلام الليل، قد تم الى المسجد الأقصى الذي بورك حوله، وكان الهدف من الإسراء هو أن يري الله سبحانه ذلك العبد بعضا من الآيات، أو المعجزات الحسية، يقول تعالى: بسم الله الرحمن الرحيم. سُبحانَ الذي أسرَى بِعبدهِ ليلا منَ المسجِدِ الأقصى الذي باركنِا حَولهُ لنُريهُ من آياتِنا إنهُ هُو السَّميعُ البَصيرُ (بني إسرائيل: 1).

بينما تتحدث الآيات السبع التالية عن موسى ورسالته ثم عن بني إسرائيل وما تعرضوا له خلال تاريخهم بإختصار شديد، وكأنه إجمال لكل ما ذكر بالتفصيل عنهم في العديد من سور القرآن، والذي ذكرنا جانبا منه في باب موقف بني إسرائيل من الدين. يقول تعالى: وَآتينَا مُّوسى الكِتابَ وَجَعلنَاهُ هُدى لِبنِي إسرائيل ألاَّ تتَّخِذُوا من دُوني وَكيلا. ذُريةَ مَنْ حَمَلنَا مَعَ نُوح إنَّهُ كَانَ عَبدا شَكُورا. وَقَضينَا الى بَنِي إسرائيل في الكِتاب لَتُفسِدُنَّ في الأرض مَرتيْنِ وَلتَعْلُن عُلوا كَبيرا. فَإذَا جَاء وعْدُ أولاهُمَا بَعثنَا عَلَيْكُمْ عِباداً لنَا أولى بَأس شَديد فَجَاسُوا خِلال الدِّيَار وكَان وعْداَ مَّفْعُولا. ثُم رَددنَا لَكُمُ الكرةَ عَليهِمْ وأمددناكُم بأمْوالِ وَبَنين وَجَعلنَاكم أكثرَ نَفيرا. إنْ أحسنتُمْ أحْسنتُمْ لأنفسكم وإن أسَأتمْ فَلهَا فَإذا جَاء وَعد الآخِرة لِيسُوؤُوا وُجُوهَكُمْ وليدْخُلوا المَسجِد كَمَا دَخَلوهُ أول مرةٍ وليِ ُتَبِّرُوا مَا عَلَوا تتبِيرا. عَسَى رَبكُمْ أن يَرحَمكُم وإن عُدتم عُدنا وَجَعَلنَا جَهَنمَ للكَافِرين حَصِيرا (بني إسرائيل: 2- 8).

وموسى عليه الصلاة والسلام ولد في بلد يحكمها فرعون، واسمها مصر. فإذا لم تكن مصر اسما لبلاد النيل أو جزء من تلك البلاد، في عصر الفراعنة وإذا كان الفراعنة لم يذكروا في كتاباتهم ذلك الفرعون الذي غرق ولا بني إسرائيل الذين هربوا مع موسى من البلاد، وهذه حقيقة ثابته، أفلا تكون مصر التي وردت في القرآن الكريم " مصرابيم" كما وردت في كتب اليهود، مستعمرة لبلاد النيل، ويحكمها فرعون، أو حاكم من قبل حكام مصر الفراعنة، كما يؤكد ذلك العديد من علماء الآثار، ومنهم كمال الصليبي في كتبه التي سبق ذكرها، والتي يقول فيها بأن تلك المستعمرة تقع في جنوب غرب جزيرة العرب. ويكون يوسف قد وجد في بئر في البلاد التي سكنها إبراهيم والتي سبق وقلنا بأنها تقع الى الشرق من القنفذة، وقد باعه من وجده في المستعمرة الفرعونية "مصر" وهناك نشأ والتحق به والده وإخوانه، وتناسلوا، ومن أحفادهم ولد موسى عليه الصلاة والسلام.

ومن الشواهد القرآنية أن يوسف كان في جنوب غرب جزيرة العرب وليس في بلاد النيل، قصة تفسير يوسف للحلم الذي رآه الملك، ومنه قوله تعالى: قَالَ تَزْرَعُونَ سبع سِنينَ دأبا فَمَا حصَدتُم فَذَرُوهُ في سُنبلهِ إلا قليلا ممَّا تأكُلونَ. ثُم يَأتي من بَعد ذلك عَامٌ فِيهِ يُغاثُ الناسُ وفيهِ يَعْصِرُونَ (يوسف:47- 49).

فأرض مصر لا تعتمد على المطر، ولكنها تعتمد على جريان نهر النيل في زراعتها، ولذلك فلا ينتظر الناس الغيث لكي يزرعون وليس لديهم ما يعرف بالزراعة البعلية المشهورة حتى في جنوب غرب جزيرة العرب والتي تعتمد على مياه المطر، فإن أغيث الناس بالمطر وزرعوا وعصروا زيوتهم، وإن احتبس المطر فلا زراعة ولا عصر.

ومن الشواهد أيضا أن الأرض التي عاش فيها يوسف كانت تعتمد على الرعي وليس على الزراعة، وبلاد النيل تعتمد على الزراعة وتربية الحيوانات تتم فيها اعتمادا على زراعة الأعلاف. ويوسف ألقي في بئر، أي مورد ماء يرده المسافرون، وأرض مصر تعتمد على النيل للتزود بالماء وليس هناك آبار، كموارد للمياه، يردها المسافرون، ولو كان يوسف وإخوته يعيشون في بلاد النيل لتم التخلص منه بطريقة تتواءم مع بيئة بلاد النيل وليس مع ما يتواءم وبيئة بدوية تناسب تهامة عسير أو شرق جبال عسير.

ومن الشواهد أيضا قوله تعالى: وَأوْحينا الى أم مُوسى أنْ أرْضِعيهِ فَإذَا خِفتِ عَليهِ فَألقِيهِ في اليَم وَلا تَخَفي وَلا تَحزنِي إنَّا رَادُّوهُ إليكِ وَجَاعِلوهُ مِن المُرسلينَ (القصص: 7).

وأليم يعني البحر، وأهل مصر الى اليوم يسمون النيل بحرا، لأنه متسع، وكذلك يسمي العراقيون نهر دجلة والفرات بالبحر. لأنه يمكن إطلاق أليم تجاوزا على وادي المياه المتسع، وهذا ينطبق على بعض أودية جنوب غرب جزيرة العرب والتي تنحدر باتجاه الشرق، ومنها وادي بيشة الذي يزيد اتساعه عن اتساع نهر النيل في بعض أجزائه، والذي كانت مصرابيم تقع على جانبه، كما يؤكد الدكتور كمال الصليبي في كتابيه: التوراة جاءت من جزيرة العرب وخفايا التوراة. ووادي بيشة كانت المياه تجري فيه طوال العام، بل لازالت بعض المجاري الصغيرة تجري فيه اليوم، والتي تسمى محليا (غيل، وعيول).

وعندما هرب موسى من فرعون لقتله رجلا من عدوه، لجأ الى مدين القريبة. ولو كان قد هرب من قرب الأهرامات الى اتجاه شبه جزيرة سيناء، فسيكون خياره، بعد اجتيازها، الذهاب الى فلسطين حيث وفرة المياه والزراعة والحياة المستقرة المشابهة للحياة التي اعتادها في بلاد النيل، ولن يتجه الى داخل فيافي جزيرة العرب الموحشة والمقفرة والمعدومة المياه، حيث مدين، الإسم الحديث الذي يطلق على منطقة غرب تبوك الحالية، والتي كانت مقفرة حتى على أيام موسى، ومرتعا للسلب والنهب الذي يمارسه البدو على من يعبر تلك المناطق، ولم تكن مدين التي ذكرت في القرآن على أنها بلد قوم شعيب، لأن القرآن الكريم يؤكد أن قوم شعيب كانوا مستقرين في قرية: قَالَ المَلا الذِينَ استكبروا من قَومِهِ لنُخرجَنكَ يا شُعيبُ والذين آمَنُوا مَعَكَ من قريتنا أو لتَعُودُن في مِلتِنَا قال أولو كنا كارهِين (الأعراف:88).

بينما لا يوجد أي شواهد أثرية لحياة مستقرة في المنطقة التي تسمى الآن بمدين، والواقعة شمال غرب جزيرة العرب.

ويكون موسى قد خرج من مصراييم، تلك البلدة التي بحكمها فرعون في وادي بيشة، خائفا، ولم يكن يحمل متاعا وزادا لسفر طويل: فَخَرجَ مِنها خَائفا يترَقبُ قالَ ربّ نَجْني من القَوم الظالِمِينَ (القصص:21).

وسلك دربا يوصل الى بئر في بلاد مدين القريبة: وَلما توجهَ تِبقَاء مَديَنَ قال عَسىَ رَبي أن يَهدِيني سَواء السبيل (القصص:22).

وقد وصلها موسى دون إبطاء، ووجد أن الرعاة يسقون دوابهم، حيث سقى لفتاتين لم تستطيعا مزاحمة الرجال، ثم استظل بظل شجرة قريبة من البئر ليستريح ويفكر في مستقبله وأين يذهب: وَلمَّا وَرد ماء مَدين وجد عليه أمة من الناس يسقون ووجد من دُونهم امرأتين تذودان قال ما خطبُكُما قالتا لا نسقي حتى يُصدر الرعاه وأبُونا شيخٌ كبير. فسقى لهُما ثم تولى الى الظل فقال رب إني لما أنزلت الى من خير فقير(القصص:23- 24).

عندما عادت إليه إحدى الفتاتين تطلب منه أن يلحق بها الى بيتها لأن والدها وافق على استضافته، وعادة أن تستضيف المرأة رجلا عابرا، معروفة الى عهد قريب في جنوب غرب جزيرة العرب ولا زالت في بلاد اليمن: فَجاءتْهُ إحداهما تمشِي على استحياء قالت إن أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا فلما جاءهُ وقص عليه القصص قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين (القصص:25).

وقد وافق موسى للعمل لدى الشيخ الطاعن في السن (1) لعدد من السنين مقابل أن يتزوج بإحدى بناته: قالتْ إحداهُما يا أبتِ استأجرهُ إن خير من استأجرت القويُّ الأمين. قال إني أريد أن أنكحَكَ إحدى ابنتيَّ هاتين على أن تأجُرني ثماني حجج فإن أتممت عشرا فمن عندك وما أريدُ أن أشق عليك ستجدني إن شاء الله من الصالحين (القصص:26- 27).

وبعد انقضاء المدة غادر تلك الأرض ومعه زوجته، ولم تكن وجهته موطنه الأصلي الذي هرب منه، لأنه لا يستطيع الذهاب الى هناك خوفا من العقاب الذي ينتظره، فاتجه الى مكان آخر.

أفلا يكون موسى عندما غادر بئر مدين مع زوجه، قد ذهب لأداء الحج في مكة وزيارة بيت الله الحرام، ومن ثم خرج من هناك باتجاه موطن جده إبراهيم وخاصة مسجده، الذي اتخذه ليصلي فيه، والي يمكن أن يكون هو مصلى إبراهيم الذي في جبل إبراهيم الذي أشرنا إليه. ولا بد أن مسيرة من مكة كان عبر تهامة، وهو ما سيتضح في الأسطر المقبلة.

وفي إحدى الليالي قرر مواصلة المسير في الليل، بإلهام خفي من الله سبحانه وتعالى، عندما شاهد نارا فترك زوجته وذهب باتجاه النار: فلما قَضى مُوسى الأجَل وسَارَ بأهلهِ آنس من جَانِب الطور نارا قال لأهلهِ امكُثوا إني آنستُ نارا العلي آتيكُم منها بخبر أو جَذوة من النار لعلكُم تصطلون (القصص: 29).

وكانت النار أسفل الطور، أو الجبل المشجر، كما يقول صاحب لسان العرب. وهو وصف لجبال جنوب غرب جزيرة العرب، خاصة في جهتها الغربية من ناحية تهامة، أكثر منه للجبال الجرداء في شمال غرب الجزيرة حيث مدين الحالية.

فلما أتاها نُودى من شاطيء الوادي الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة أن يا مُوسى إني أنا اللهُ رب العالمين (القصص:30).

فمناداة الله جل وعلا لموسى حدثت بالقرب من شجرة على حافة أحد الأودية المنحدرة من الطور، وقد يكون ذلك الوادي تجري فيه المياه، مثل الكثير من أودية عسير، والتي تجري فيها المياه لشهور عدة في السنة حتى في هذا العصر الأقل مطرا، مما كان عليه قبل أربعة آلاف سنة.

وهناك تلقى موسى آيات (معجزات) ربه: وأن ألق عَصاكَ فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مُدبرا ولم يُعقب يا مُوسى أقبل ولا تخف إنك من الآمنين. اسلك يدك في جيبك تخرجُ بيضاء من غير سوء واضمم اليك جناحك من الرهب فذانِكِ برهانان من ربك الى فرعون وملئهِ إنهم كانوا قوما فاسقين (القصص:31-32).

ويكون موسى قادما من تهامة باتجاه جبال السروات (الطور) التي تقف بانحدار شديد، في طريقه لمصلى إبراهيم الواقع في الجبال التي أمامه، عندما شاهد النار. وتهامة قليلة السكان وأهلها رحل، ولذلك كانت رؤية النار شيء ملفت للإنتباه، كما أنه استطاع رؤيتها من بعيد، لأن الأرض ليست معقدة التضاريس. ولو كان موسى قد قدم من مكة الى

مصلى إبراهيم عبر الطرق الجبلية، لكان الطريق يمر بمجمعات المزارعين، لأن المنطقة زراعية وأهلها مستقرون ولن يلفت نظره رؤية نيرانهم الواحدة تلو الأخرى.

ويكون الله سبحانة وتعالى قد أسرى بموسى في ليلة من الليالي عندما كان في طريقه من المسجد الحرام الى المسجد الذي اتخذه إبراهيم في حياته مصلى له في جبل إبراهيم الحالي، وهو مسجد قصي بالنسبة الى مكة، لأن الوصول إليه يحتاج الى عدة أيام. وفي تلك الليلة قرر موسى السير ليلا (يقال أسريت وسريت إذا سرت ليلا) (2) عندما رأى النار بالقرب من سفح الجبل الكثير الشجر حيث كلمه الله سبحانه وتعالى وأراه من آياته.

وتكون سورة بني إسرائيل بدأت بالحديث عن موسى وما حدث له في ليلة من الليالي وهو في طريقه من مكة الى موطن جده إبراهيم: سُبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنهُ هو السميع البصيرُ (بني إسرائيل: 1).

ثم تكمل الآيات التالية الحديث عن موسى وبني إسرائيل: وآتينا مُوسى الكتاب وجعلناهُ هُدى لبني إسرائيل ألا تتخذوا من دوني وكيلا. ذرية من حملنا مع نوح إنهُ كان عبدا شكورا. وقضينا الى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين ولتعلن عُلوا كبيرا. فإذا جاء وعد أولاهُما بعثنا عليكم عبادا لنا أولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا. ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا. إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها فإذا جاء وعد الآخرة ليسوؤوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دهلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا. عسى ربكم أن يرحمكم وإن عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا (بني إسرائيل: 2- 8).

وختاما نشير الى أن الرواة اعتمدوا على الآية الأولى في سورة بني إسرائيل للحديث ليس فقط عن الإسراء ولكن أيضا عن المعراج، على الرغم من أن الآية لم يأت فيها ذكر للمعراج، الذي استرسل المفسرون في الحديث عنه أكثر مما تحدثوا عن الإسراء.

وهناك موضعان في القرآن يستدل بهما، بتردد، على المعراج، لأن معناهما الحقيقي لا يدل على ذلك، وهما: الآية الستون من سورة بني إسرائيل: وإذ قلنا لك إن ربك أحاط بالناس وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس والشجرة الملعونة في القرآن ونخوفهم فما يزيدهم إلا طغيانا كبيرا.

ووجه الاستدلال يحدثنا به القرطبي في تفسيره للآية فيقول: حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا سفيان بن عيينة، عن عمرو بن دينار، عن عكرمة، عن ابن عباس، سُئل عن قوله وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس قال: هي رؤيا عين رآها النبي(ص) ليلة أسرى به. أي أن الآية تشير الى ما رآه الرسول في السماوات.

والإستدلال الثاني هو في الواقع بثلاث آيات من سورة النجم، وهي قوله تعالى: ثُم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى. فأوحى الى عبدهِ ما أوحى (النجم:8 - 10).

ووجه الإستدلال يحدثنا به القرطبي أيضا فيقول: حدثنا يحيى بن الأموي، قال: ثنا أبي، قال: ثنا محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، عن ابن عباس ثم دنا فتدلى قال: دنا ربه فتدلى.

حدثنا الربيع، قال: ثنا ابن وهب، عن سليمان بن بلال، عن شريك بن أبي نمر، قال: سمعت أنس بن مالك يحدثنا عن ليلة المسرى برسول الله (ص) أنه عرج جبرائيل برسول الله الى السماء السابعة، ثم علا به بما لا يعلمه إلا الله، حتى جاء سدرة المنتهى، ودنا الجبار رب العزة فتدلى حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى، فأوحى الله إليه ما شاء، فأوحى الله إليه فيما أوحى خمسين صلاة على أمته كل يوم وليلة، وذكر الحديث. انتهى.

ولو سلمنا بهذا التجديف على الله تبارك وتعالى فسنتصور كيف أن الله جل جلاله قد تدلى بشكل بهلواني ليقترب من محمد ويتحدث معه (تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا). والآية الستين من سورة بني إسرائيل لا يمكن الاستدلال بها على تلك القصص الخيالية عن رحلة مزعومة لمحمد، لم يعلم بها في حياته ولم يحدث بها.

ويبقى الخيار بين أن نصدق أن الله ليس كمثله شيء وأنه أعظم من أن يراه بشر أو يحادثه أو يصل الى مكانه، وأن الوحي وصل الى محمد بالطريقة نفسها التي وصل بها الى كل الرسل قبله، وبواسطة أحد الملائكة الذي لديه القدرة على نسخ الوحي في ذاكرة الرسول على شكل نصوص بلغة الرسول، دون أن تكون هناك حاجة أن ننظر الى الرسول على أن لديه قدرات فوق بشرية على الإطلاق، لأن الله يؤكد أن الرسول ما هو إلا بشر عادي تماما، لا يستطيع الرقي للسماء:" أو يكُون لك بيتٌ من زُخرف أو ترقى في السماء ولن نؤمن لرُقيك حتى تُنزل علينا كتابا نقرؤهُ قُل سبحان ربي هل كُنت إلا بشرا رسولا" (بني إسرائيل: 93).

وهذه الآية التي تنفي أن يكون الرسول محمد قد عرج به الى السماء نزلت بعد الآية الأولى في السورة والتي يزعم المفسرون أنها تفيد الإسراء والمعراج بمحمد، ولم يكلف أحد من المفسرين أو الفقهاء أو المحدثين نفسه عناء التوقف والتفكير في أنه لو كان الرسول قد أسرى وعرج به للسماء فكيف تأتي هذه الآية لتنفي ذلك نفيا قاطعا لا مرية فيه.

أما الخيار الثاني فهو أن نتعامى عن كل ما سبق وتصدق ما نسجته مخيلة الرواة الذين نقل عنهم المفسرون والمحدثون وظن الناس أنه من عند الله " ومَا هُو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون" (آل عمران:78).

ثانيا: الإسراء في كتاب محمد حسين هيكل "حياة محمد"

لن نكتفي بما كتبه ابن قرناس في كتابه "سنة الأولين" ولكننا ننقل هنا أيضا ما كتبه الدكتور محمد حسين هيكل بخصوص هذا الأمر:

الإسراء سنة (621م):

في هذه الفترة كان الإسراء والمعراج. وكان محمد ليلة الإسراء في بيت ابنة عمه هند ابنة أبي طالب، وكنيتها أم هانيء. وقد كانت هند تقول:" إن رسول الله نام عندي تلك الليلة في بيتي فصلى العشاء الآخرة، ثم نام ونمنا. فلما كان قبيل الفجر أهبنا رسول الله فلما صلى الصبح وصلينا معه قال: يا أم هانيء، لقد صليت معكم العشاء الآخرة كما رأيت بهذا الوادي، ثم جئتُ بيت المقدس فصليت فيه، ثم قد صليت صلاة الغداة معكم الآن كما ترين فقلت له: يا نبي الله لا تحدث به الناس فيكذبوك ويؤذوك. قال: والله لأحدثنهموه.

الإسراء بالروح أم بالجسد:

يستند الذين يقولون بأن الإسراء والمعراج إنما كان بروح محمد الى حديث أم هانيء هذا، والى ما كانت تقوله عائشة: ما فُقد جسد رسول الله ولكن الله أسرى بروحه. وكان معاوية ابن أبي سفيان إذا سئل عن مسرى الرسول قال: كانت رؤيا من الله صادقة، وهم يستشهدون الى جانب ذلك كله بقوله تعالى:{ وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس} (3).

وفي رأى آخرين أن الإسراء من مكة الى بيت المقدس كان بالجسد، مستدلين على ذلك بما ذكر محمد أنه شاهد في البادية أثناء مسراه مما سيأتي خبره، وأن المعراج الى السماء كان بالروح ويذهب غير هؤلاء وأولئك الى أن الإسراء والمعراج كان جميعا بالجسد. وقد كثرت مناقشات المتكلمين في هذا الخلاف حتى كتبت فيه ألوف الصحف. ولنا في حكمة الإسراء رأي نُبديه. يجب أن نروي قصة الإسراء والمعراج على نحو ما جاءت به كتب السيرة.

تصوير الإسراء في كتب السيرة:

سرد المستشرق دِرمنجم هذه القصة مستخلصة من مختلف كتب السيرة في عبارة طلية رائعة، هذه ترجمتها:" في منتصف ليلة بلغ السكون فيها غاية جلاله، وصمتت فيه طيور الليل وسكتت الضواري، وانقطع خرير الغدران وصفير الرياح، استيقظ محمد على صوت يصيح به: أيها النائم قم. وقام فإذا أمامه الملك جبريل وضاء الجبين أبيض الوجه كبياض الثلج مُرسلا شعره الأشقر، واقفا في ثيابه المزركشة بالدر والذهب، ومن حوله أجنحة من كل الألوان ترعش، وفي يده دابة عجيبة هي البراق، ولها أجنحة كأجنحة النسر انحنت أمام الرسول، فاعتلاها وانطلقت به انطلاق السهم فوق جبال مكة ورمال الصحراء متجهة صوب الشمال. وصحبه الملك في هذه الرحلة، ثم وقف به عند جبل سيناء حيث كلم الله موسى، ثم وقف به مرة أخرى في بيت لحم حيثُ ولد عيسى، وانطلق بعد ذلك في الهواء في حين حاولت أصوات خفية أن تستوقف النبي الذي رأى في إخلاصه لرسالته أن ليس لغير لله أن يستوقف حيث شاء دابته. وبلغ بيت المقدس، فقيد محمد دابته وصلى على أطلال هيكل سليمان ومعه إبراهيم وموسى وعيسى، ثم أتى بالمعراج فارتكز على صخرة يعقوب وعليه صعد محمد سراعا الى السموات، وكانت السماء الأولى من فضة خالصة علقت إليها النجوم بسلاسل من ذهب، وقد قام على كل منها ملك يحرسها حتى لا تعرج الشياطين الى علو عليها أو يستمع الجن منها الى أسرار السماء. في هذه السماء ألقى محمد التحية على آدم، وفيها كانت صور الخلق جميعا تسبح بحمد ربها. ولقى محمد في السموات الست الأخرى نوحا وهارون وموسى وإبراهيم وداود وسليمان وإدريس ويحيى وعيسى. ورأى فيها ملك الموت عزرائيل، بلغ من ضخامته أن كان ما بين عينيه مسيرة سبعين ألف يوم، ومن سلطانه أن كان تحت إمرته مائة ألف فرقة، وكان يسجل في كتاب ضخم أسماء من يُولدون ومن يموتون. ورأى ملك الدمع يبكي من خطايا الناس، وملك النقمة ذا الوجه النحاسي المنصرف في عنصر النار والجالس على عرش من لهب. وقد رأى كذلك ملكا ضخما نصفه من نار ونصفه من ثلج وحوله من الملائكة فرقة لا تفتر عن ذكر الله قائلة: اللهم قد جمعت الثلج والنار، وجمعت كل عبادك في طاعة سنتك. وكان في السماء السابعة مقر أهل العدل ملك أكبر من الأرض كلها، له سبعون ألف رأس، في كل رأس سبعون ألف فم، في كل فم سبعون ألف لسان، يتكلم كل لسان سبعين ألف لغة، من كل لغة سبعين ألف لهجة، وكلها تسبح بحمد الله وتقدس له.

" وبينما هو يتأمل هذا الخلق الغريب إذا به ارتفع الى قمة سدرة المنتهى، تقوم الى يمين العرش وتظل ملايين الملايين من الأرواح الملائكية. وبعد أن تخطى في أقل من لمح البصر بحارا شاسعة ومناطق ضياء يُعشى وظلمة قاتمة وملايين الحجب من ظلمات ونار وماء وهواء وفضاء. يفصل بين كل واحد منها وما بعده مسيرة خمسمائة عام، تخطى حُجُب الجمال والكمال والسر والجلال والوحدة، قامت وراءها سبعون ألف فرقة من الملائكة سُجدا لا يتحركون ولا يؤذن لهم فينطقون. ثم أحس بنفسه يرتفع الى حيث المولى جل شأنه، فأخذه الدهش وإذا الأرض والسماء يجتمعتان لا يكاد يراهما، وكأنما ابتلعهما الفناء فلم ير منهما إلا حجم سمسمة في مزرعة واسعة. وكذلك يجب أن يكون الإنسان في حضرة ملك العالم.

" ثم كان في حضرة العرش وكان منه قاب قوسين أو أدنى، يشهد الله بعين بصيرته، ويرى أشياء يعجز اللسان عن التعبير عنها وتفوق كل ما يحيط به فهم الإنسان. ومد العلي العظيم يدا على صدر محمد والأخرى على كتفه فأحس النبي كأنه أثلج الى فقاره، ثم بسكينة راضية وفناء في الله مستطاب.

" وبعد حديث لم تحترم كتب الأثر المدققة قدسيته أمر اله عبده أن يصلي كل مسلم خمسين صلاة في كل يوم. فلما عاد محمد يهبط السماء لقي موسى؛ فقال ابن عمران له:

" كيف ترجو أن يقوم أتباعك بخمسين صلاة في كل يوم؟! لقد بلوت الناس قبلك، وحاولت مع بني إسرائيل كل ما يدخل في الطوق محاولته؛ فصدقني وعد الى ربنا واطلب إليه أن ينقص الصلوات.

" وعاد محمد فنقص عدد الصلوات الى أربعين وجدها موسى فوق الطاقة، وجعل يردُ خليفته في النبوة الى الله مرات عدة حتى انتهت الصلوات الى خمس.

" وذهب جبريل بالنبي فزار الجنة التى أعِدت للمتقين بعد البعث. ثم عاد محمد على المعراج الى الأرض، ففك البُراق وامتطاه وعاد من بيت المقدس الى مكة على الدابة المجنحة".

رواية ابن هشام عن الإسراء:

هذه رواية المستشرق درمنجم عن قصة الإسراء والمعراج. وأنت تقع على ما قصه منثورا في كثير من كتب السيرة، وإن كنت تجد فيها جميعا خلافا بزيادة أو نقص في بعض نواحيها. من ذلك مثلا ما روى ابن هشام على لسان النبي عليه السلام بعد أن لقى آدم في السماء الأولى أنه قال:" ثم رأيتُ رجالا لهم مشافر كمشافر الإبل، في أيديهم قطع من نار كالأنهار (4)، يقذفونها في أفواههم فتخرج من أدبارهم. فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء أكلة مال اليتامى ظلما، ثم رأيت رجالا لهم بطون لم أرى مثلها قط بسبيل آل فرعون يمرون عليهم كالإبل المهيومة (5) حين يعرضون على النار يطئونهم لا يقدرون على أن يتحولوا عن مكانهم ذلك. قلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء أكلة الربا. ثم رأيت رجالا بين أيديهم لحمٌ سمين طيب الى جانبه غث منتن، يأكلون من الغث المنتن ويتركون السمين الطيب. قلت من هؤلاء يا جبريل: قال: هؤلاء الذين يتركون ما أحل الله من النساء ويذهبون الى ما حرم الله عليهم منهن. ثم رأيت نساء معلقات بثديهن، فقلت من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء اللاتي أدخلن على الرجال من ليس من أولادهم ... ثم دخل بي الجنة فرأيت فيها جارية لعساء، فسألتها لمن أنت؟ وقد أعجبتني حين رأيتها ـ فقالت: لزيد بن حارثة. فبشر بها رسول الله (ص) زيد بن حارثة.

وأنت واجد في غير ابن هشام من كتب السيرة وفي كتب التفسير أمورا أخرى غير هذه. ومن حق المؤرخ أن يسائل عن مبلغ التدقيق والتمحيص في أمر ذلك كله، وما يمكن أن يُسند منه الى النبي بسند صحيح؛ وما يمكن أن يكون من خيال المتصوفة وغيرهم. وإذا لم يكن المجال هاهنا متسعا للحكم في ذلك أو لاستقصائه، وإذا لم يكن ها هنا مجال القول في المعراج أو الإسراء أكانا بالجسم، أم كان المعراج بالروح والإسراء بالجسد، أم كان المعراج والإسراء جميعا بالروح، فما لا شك فيه أن لكل رأي من هذه الآراء سندا عند المتكلمين، وأنه لا جناح على من يقول بواحد دون غيره من هذه الآراء. فمن شاء أن يرى أن الإسراء والمعراج كانا بالروح فله من السند ما قدمنا وما تكرر في القرآن وعلى لسان الرسول:{ إنما أنا بشر مثلكم يُوحى الى أنما إلهكم إله واحد} (6)، وأن كتاب الله وحده معجزة محمد و { إن الله لا يغفر أن يُشرك به ويغفر ما دُون ذلك لمن يشاء} (7).

ولصاحب هذا الرأي أكثر من غيره أن يسأل عن حكمة الإسراء والمعراج ما هي؟ وهنا موضع الرأي الذي نريد أن نبديه ولا ندري أسبقنا إليه أم لم تُسبق.

الإسراء ووحدة الوجود:

ففي الإسراء والمعراج في حياة محمد الروحية معنى سام غاية السمو. معنى أكبر من هذا الذي يصورون، والذي قد يشوب بعضه من خيال المتكلمة الخصب حظ غير قليل. فهذا الروح القوي قد اجتمعت فيه في ساعة الإسراء والمعراج وحدة هذا الوجود بالغة غاية كمالها لم يقف أمام ذهن محمد وروحه في تلك الساعة حجاب من الزمان أو المكان أو عيرهما من الحجب التي تجعل حكمنا نحن في الحياة نسبيا محدودا بحدود قوانا المُحسة والمدبرة، والعاقلة تداعت في هذه الساعة كل الحدود أمام بصيرة محمد، واجتمع الكون كله في روحه، فوعاه منذ أزله الى أيده، وصوره في تطور والقبح والباطل بفضل من الله ومغفرة.

وليس يستطيع هذا السمو إلا قوة فوق ما تعرف الطبائع الإنسانية. فإذا جاء بعد ذلك ممن اتبعوا محمدا من عجز عن متابعته في سمو فكرته وقوة إحاطته بوحدة الكون في كماله وفي جهاده لبلوغ هذا الكمال؛ فلا عجب في ذلك ولا عيب فيه. والممتازون من الناس والموهوبون منهم درجات. وبلوغُنا الحقيقة معرض دائما لهذه الحدود التي تعجز قوانا عن تخطيها. وإذا كان من القياس مع القارق أن نذكر لمناسبة ما نحن الآن بصدده، قصة أولئك المكفوفين الذين أرادوا أن يعرفوا الفيل ما هو، فقال أحدهم: إنه حبل طويل لأنه صادف ذنبه، وقال الآخر: إنه غليظ كالشجرة لأنه صادف رجله، وقال ثالث: إنه مدبب كالرمح لأنه صادف سنه، وقال رابع: إنه مستدير مُلتو كثير الحركة لأنه صادف خرطومه ـ فإن هذا المثل، مقرونا الى الصورة التي تتكون لدى المبصر من الفيل لأول ما يراه، يسمح لنا بالموازنة بين إدراك محمد (ص) ـ كنه وحدة الكون والوجود وتصويره في الإسراء والمعراج حيث يتصل بأول الزمن من قبل آدم الى آخره يوم البعث، وحيث تنعدم نهائية المكان، إذ يُطل بعين البصيرة من لدن سدرة المنتهى الى هذا الكون يصبح أمامه سديما، وبين ما يستطيع الكثيرون إدراكه من حكمة هذا الإسراء والمعراج؛ إذ يقفون عند تفاصيل ليست من وحدة الكون وحياته إلا كذرات الجسم، بل كالذرات العالقة به من غير أن يتأثر بها نظامه. أين الواحدة من هذه الذرات من حياة هذا الجسم ومن نبض قلبه وإشراق روحه وضياء ذهنه وامتلائه بالحياة التي لا تعرف حدا، لأنها تتصل من الوجود بكل حياة الوجود؟

والإسراء بالروح هو في معناه كالإسراء والمعراج بالروح جميعا سموا وجمالا وجلالا. فهو تصوير قوي للوحدة الروحية من أزل الوجود الى أبده فهذا التعريج على جبل سيناء حيث كلم الله موسى تكليما، وعلى بيت لحم حيث ولد عيسى، وهذا الإجتماع الروحي ضمت الصلاة فيه محمدا وعيسى وموسى وإبراهيم، مظهر قوي لوحدة الحياة الدينية على أنها من قوام وحد الكون في موره الدائم الى الكمال.

الإسراء والعلم الحديث:

والعلم في عصرنا الحاضر يُقر هذا الإسراء بالروح ويقر المعراج بالروح، فحيث تتقابل القوى السليمة يشع ضياء الحقيقة؛ كما أن تقابل قوى الكون في صورة معينة قد طوع " لماركوني"؛ إذ سلط تيارا كهربيا خاصا من سفينته التي كانت راسية بالبدقية، أن يضيء بقوة الأثير مدينة سدني في أستراليا. وفي عصرنا هذا يقر العلم نظريات قراءة الأفكار ومعرفة ما تنطوي عليه، كما يُقر انتقال الأصوات على الأثير بالراديو، وانتقال الصور والمكتوبات كذلك، مما كان يعتبر فيما مضى بعض أفانين الخيال. وما تزال القوى الكمينة في الكون تتكشف لعلمنا كل يوم عن جديد. فإذا بلغ روح من القوة ومن السلطان ما بلغت نفس محمد (ص)، فأسرى به الله ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذي بارك حوله ليُريه من آياته، كا ذلك مما يُقر العلم، وكانت حكمة ذلك هذه المعاني القوية السامية في جمالها وجلالها، والتي تصور الوحدة الروحية ووحدة الكون في نفس محمد (ص) تصويرا صريحا، يستطيع الإنسان أن يصل الى إدراكه إذا هو حاول السمو بنفسه عن أوهام العاجلة في الحياة، وحاول الوصول الى كنه الحقيقة ليعرف مكانه ومكان العالم كله منها.

ريبة قريش وارتداد بعض من أسلم:

لم يكن العرب من أهل مكة ليستطيعوا إدراك هذه المعاني؛ لذلك ما لبثوا حين حدثهم محمد (ص) بأمر إسرائه أن وقفوا عند الصور المادية من أمر هذا الإسراء وإمكانه أو عدم إمكانه، ثم ساور أتباعه والذين صدقوه أنفسهم بعض الريب فيما يقوله. وقال كثيرون: هذا والله الأمر البين والله إن العير لتطرد (8) شهرا من مكة الى الشام مدبرة وشهرا مقبلة، أيذهب محمد في ليلة واحدة ويرجع الى مكة! وارتد كثير ممن أسمل. وذهب من أخذتهم الريبة في الأمر الى أبي بكر وحدثوه حديث محمد؛ فقال أبو بكر: إنكم تكذبون عليه. قالوا: بلى، ها هو ذاك في المسجد يحدث الناس. قال أبو بكر: والله لئن كان قد قاله لقد صدق، إنه ليخبرني أن الخبر ليأتيه من الله من السماء الى الأرض في ساعة من ليل أو نهار فأصدقه، فهذا أبعد مما تعجبون منه. وجاء أبو بكر الى النبي واستمع إليه يصف بيت المقدس، وكان أبو بكر قد جاءه، فلما أتم النبي صفة المسجد قال له أبو بكر: صدقت يا رسول الله. ومن يومئذ دعا محمد أبا بكر بالصديق.

القول بالإسراء بالجسد:

ويدلل الذين يقولون إن الإسراء بالجسد على رأيهم بأن قريشا لما سمعت بأمر إسرائه سألته وسأله الذين آمنوا به عن آية ذلك، فإنهم لم يسمعوا بشيء من مثله؛ فوصف لهم عيرا مر بها في الطريق، فضلت دابة من العير فدلهم عليها، وأنه شرب من عير أخرى وغطى الإناء بعد أن شرب منه، فسألت قريش في ذلك فصدقت العيران ماروى محمد عنهما. وأحسبك لو سألت الذين يقولون بالإسراء بالروح في هذا لما رأوا فيه عجبا بعد الذي عرف بالعلم في وقتنا الحاضر من إمكان التنويم المغناطيسي للتحدث عن أشياء واقعة في جهات نائية. ما بالك بروح يجمع الحياة الروحية في الكون كله ويستطيع بما حباه الله من قوة أن يتصل بسر الحياة من أزل الكون الى أبده؟

ثالثا: المعراج من كتاب معراج النبي لإبن عباس:

يصف ابن عباس ما يسمى بحادثة المعراج بالتفصيل في الكتاب المعنون " معراج النبي" ونحن ننقل هنا جزءا من هذا الكتاب ونترك للقارئ الفطن أن يقرر لنفسه إذا كان هذا الكلام يستند الى أي منطق ويستقيم مع أن فكر عقلاني.

بعض من وصف محمد لما رآه في رحلة المعراج وانتقاله من سماء الى آخرى. ورأيتً رجُلا كهلا طويلا كثير الشعر وعليه مدرعة من صوف أبيض يتوكأ على عصا يكاد شعره يغطي جسده له لحية بيضاء على صدره فقلتُ من هذا يا أخي يا جبريل قال هذا أخوك موسى بن عمران فضله الله بكلامه وجعله كليما أذن منه وسلم عليه قد دنوت منه وسلمت عليه فلما دنوت منه نظر اليَّ وجعل يقول يزعم بنو إسرائيل أني أكرم الخلق على الله وهذا أكرم مني على ربه هذا النبي القرشي الهاشمي العربي الأبطحي هذا الحبيب هذا الكريم هذا العظيم هذا محمد ألامين بن عبد الله بن عبد المطلب ثم قال مرحبا بالأخ الصالح، والنبي الناصح ثم دعا لي ولأمتي بالخير والبركة واصطفت الملائكة صفوفا وصليت بهم ركعتين على ملة إبراهيم الخليل ثم ارتقينا الى السماء السابعة في أسرع من طرفة عين وبينها وبين السماء السادسة خمسمائة عام وسُمكها مثل ذلك فطرق جبريل بابها فقالوا من هذا قال جبريل قالوا ومن معك قال محمد قالوا مرحبا بك وبمن معك ففتحوا لنا الباب فدخلناها فإذا هي سماءٌ من درة بيضاء يُقال لها العجيبة وهي العالية لم اسمع فيها صرير الأقلام ورأيت من ملائكة ربي عز وجل ملائكة يقال لها الروحانيون قال النبي (ص) فالتفت عن يميني فإذا أنا بشيخ حسن الوجه حسن الثياب جالس على كرسي من نور مسند ظهره الى البيت المعمور وهو تلقاء الكعبة شرفها الله تعالى قلتُ يا أخي يا جبريل من هذا قال هذا أبوك آدم صلوات الله عليه أدن منه وسلم عليه فدنوت وسلمت عليه فرد عليّ السلام وهنأني بالكرامة من ربي عز وجل وقال مرحبا بالولد الصالح الناصح أبشر يا محمد فالخير كله فيك وفي أمتك الى يوم القيامة وإنما يرفعك ربك ليجتبيك ويكرمك قال ورأيت البيت المعمور وفيه قناديل من جواهر وأنوار مصطفة حوله بعضها من ياقوت أصفر وبعضها من زبرجد أخضر وبعضها من لؤلؤ رطب وإذا الملائكة يطوفون حوله فهممت وطفت معهم سبعا وقلت للملائكة كم لكم تزورون هذا البيت فقالوا من قبل أن يخلق الله أباك آدم بألفي عام يزورهُ كل يوم ألف ألف وسبعون ألف ألف من الملائكة لا ترجع النوبة الى أولهم الى يوم القيامة. قال النبي ثم تقدمت أمامي فلم أر أخي جبريل معي فقلت يا أخي جبريل في مثل هذا المكان يفارق الخليل خليلهُ والأخ أخاه فلم تركتني وتخلفت عني فنادى جبريل يعز عليّ أن أتخلف عنك والذي بعثك بالحق نبيا ما منا إلا وله مقام معلوم ولو أن أحدا منا تجاوز عن مقامه لاحترق قال فلما قال لي هذا المقال وضعتُ يدي على وجهي وأخذتني الرعدة والخوف فضمني جبريل الى صدره ولفني بجناحيه وقال لا تخف ولا تحزن إنما عرج بك ربك ليجتبيك ويكرمك

ويصطفيك ويعطيك فلما قال لي هذا المقال خفف عني كل ما أجدهُ وإذا النداءُ من قبل الله زجوا بحبيبي بالنور فحينئذ أتاني الملائكة برفرف أخضر كمثل المقعد يحمله أربعة من الملائكة فوضعوه بين يدي وقالوا لي إرق يا محمد فأستويت على الرفرف فسار بي كالسهم الذي يخرجُ من القوس حتى انتهى الى بحر من نور أبيض وإذا بملك ذلك البحر لو أن الطير المسرع يطير بين منكبيه لما بلغ في خمسمائة عام ثم زُجَ بي في بحر من نور أخضر يتلألأ وإذا أنا بملك على ذلك البحر لو أذن الله له أن يبلع السموات السبع والأرضين السبع في دفعة واحدة لهان عليه ذلك لعظم خلقته ثم خرجتُ من ذلك البحر الى بحر من نور أصفر وإذا بملك على ذلك البحر لو وضع جميع ما خلق الله تعالى في السموات السبع والأرضين السبع في يده لكان كخردلة في أرض فلاةٍ ثم خرجتُ من ذلك البحر الى بحر أسود فلما رأيتهُ هويتُ ساجدا لله تعالى وناديتُ برفيع صوتي: يا غياث المستغيثين ويا إله العالمين ويا مؤنس المستوحشين ويا رب العرش العظيم يا إلهي وسيدي ومولاي أنس وحدتي في هذه الساعة بعبد من عبيدك يكلمني ويؤنسني، وإذا النداءُ من ساحل البحر يا محمد الى أقبل فأقبلت إليه وأذا أنا بملك عظيم الخلقة على ذلك البحر يكيل الماء بمكيال ويزنهُ بميزان فناديت السلام عليك ورحمة الله وبركاته يا عبد الله فقال وعليك السلام يا حبيب الله فقلت سألتك بالله أخبرني لم سميت ميكائيل ولم سُمي جبرائل ولم سمي إسرافيل ولم سمي عزرائيل قال يا حبيب الله فما الذي رأيت من العجائب حتى سألتني عن هؤلاء الملائكة في هذا المكان قلت لوجه ربي الحمد والشكر وأنا يا أخي يا ميكائيل أحب إذا رجعت الى الأرض أن لا يسألني أحد عن أخبار السموات إلا أخبرته عن قدرة الله تعالى قال صدقت يا محمد، إعلم يا حبيب الله لم سميت مكائيل لأني موكل بالقطر وبالنبات أكيل الماء بمكيال وأزنهُ بميزان وأرسلهُ الى السحاب الى حيث شاء الله تعالى فعند ذلك قلت له وما الرعد وما البرق قال يا حبيب الله البرق إذا حملت السحاب الماء أرسل الله إليه ملكا يسوقه حيث يشاء فيقع له زمجرة وقعقعة فيضربه بسوط فيخرجُ منه النور وهو البرق وإنما سمي جبريل لأنه اعطي الجبروت وهو صاحب الخسف والمسخ والقذف والزلزال والصواعق وبه أهلك الله الأمم الخالية وإنما سمي إسرافيل لأنه ليس في الملائكة أشد منه ولا أكثر منه أجنحة وريشا وهو صاحب الصور وإنما سمي عزرائل لأنه موكل بقبض الأرواح وكلنا نخافه لأنه موكل بقبض كل ذي روح قال فسلمت عليه ومضيت عنه وهو يصلي ويسلم عليّ ويدعو لي ولأمتي بالخير والبركة ولم أزل أخرق صفوفا من الملائكة حتى انتهيت الى أخي إسرافيل عليه السلام وإذا هو قد نشر أجنحتهُ وقد سد بهما الخافقين له ألف ألف جناح وألف ألف رأس في كل رأس ألف ألف وجه وفي كل وجه ألف ألف. فم في كل فم ألف ألف لسان يسبح الله تعالى بألف ألف لغة لا يشبه بعضها بعضا قدماه في تخوم الأرض السابعة السفلى والعرش على كاهله والصور في فيه له أثقاب بعدد الخلائق ورأيت الصور في فم إسرافيل ملتقمه وقد وضع قدمه اليمنى بين يديه واليسرى الى ورائه وهو منحن ينظر متى يؤمر بالنفخة واللوح المحفوظ معلق بين عينيه وعرض اللوح كما بين المشرق والمغرب ونظرت الى الصور نظرة ثانية فرأيت لو وضعت السموات والأرض وما فيهما فيه لكانوا كحلقة ملقاة في فلاة قال النبي فناديتُ السلام عليك ورحمة الله وبركاته يا أخي يا إسرافيل فقال وعليك السلام ورحمة الله وبركاته يا حبيب الله فقلت يا أخي يا إسرافيل مالي أراك هاهنا قال هذا مقامي منذ خلقني الله تعالى الى قيام الساعة اسمع كلام الله تعالى قلت يا أخي كيف تسمعُ كلام الله تعالى قال أسمعه أشد من الريح القاصف والبرق الخاطف قلت وما يقول سبحانه وتعالى قال يقول للشيء كن فيكون فما يلحق الكاف النون حتى يكون ما أراده تعالى فقلت يا أخي يا إسرافيل في أي مكان أنا قال يا حبيب الله إرفع رأسك فرفعنت رأسي وإذا أنا بالعرش وجميع ما رأيتهُ في السموات السبع والأرضين السبع بالنسبة إليه كحلقة ملقاة في فلاة قال النبي فنظرت فإذا أنا بملك على صورة الديك عنقهُ تحت العرش ورجلاه في تخوم الأرض عرفه أفرق أصفر وأخضر وهو ساجد يقول في سجوده سبحان الله العظيم فإذا سبح ذلك الديك سبحت ديوك الأرض جميعا وأجابوه بما يقول قال ولما تسمعه ديوك الأرض تميل أعناقها وتصغي بآذانها لاستماع ذلك التسبيح من ذلك الديك وتخفق بأجنحتها مجاوبة بالتسبيح والتقديس لله الواحد القهار وإذا سكت سكتت فبينما أنا كذلك إذ أنا بملائكة قياما على أقدامهم فقلتُ يا أخي يا إسرافيل من هؤلاء قال هؤلاء الروحانيون والكروبيون وهم حملة العرش: أدن منهم وسلم عليهم فدنوت منهم وسلمت عليهم فردوا علي السلام وهنئوني بالكرامة من ربي عز وجل فلينما أنا أخاطب الملائكة وإذا النداء من فوق رأسي: السلام عليك يا محمدُ الصلاة والسلام عليك يا أحمد قال فرفعت رأسي وإذا أنا بملك عظيم الخلقة وهو أشد بياضا من الثلج يقدمهُ سبعون ألف ملك على صورته وشكله فعانقني وقبلني وقال يا حبيب الله ويا أكرم الخلق على الله فسرت مع هؤلاء الملائكة وهم عن يميني وشمالي وبين يدي ومن خلفي وهم بعظمونني ويكرمونني ولم يزالوا يسيرون حتى اخترقنا سبعين ألف حجاب من در أبيض وسبعين ألف حجاب من زمرد أخضر وسبعين ألف حجاب من الإستبرق وسبعين ألف حجاب من السندس وسبعين ألف حجاب من النور وسبعين ألف حجاب من الظلمة وسبعين ألف حجاب من المسك وسبعين ألف حجاب من العنبر وسبعين ألف حجاب من الملكوت وسبعين ألف حجاب من الجبروت بين كل حجاب وحجاب خمسمائة عام قال فانتهوا بي الى حجاب الدخان ومنه الى حجاب النور ومنه الى حجاب العز ومن الى حجاب الكمال ومنه الى حجاب القهر ومنه الى حجاب الكمال ومنه الى حجاب القهر ومنه الى حجاب العظمة ومنه الى حجاب الوحدانية ومنه الى حجاب الصمدانية ومنه الى حجاب البقاء ومنه الى حجاب العلى ومنه الى حجاب الكبرياء ومنه الى حجاب الحضرة الإلهية قال النبي (ص) فلما وصلت الى حجاب الفردانية نظرت الى الوحدانية فإذا بسبعين ألف صف من الملائكة قياما على أرجلهم وإذا النداء من قبل الله تعالى: إرفعوا الحُجب التي بيني وبين حبيبي محمد فرفعت حُجب لا يعلمها إلا الله تعالى فرأيت مائة ألف صف من الملائكة قياما لا يركعون ومائة ألف صف من الملائكة ركعا لا يسجدون ومائة ألف صف سُجُودا لا يجلسون ولا يرفعون رؤوسهم الى يوم القيامة قال النبي فبينما أنا متفكر أخذتني الهيبة مما رأيت من الجلال والجمال والكمال والبهاء والعظمة وهيبة الله تعالى نوديث يا أحمد أمامك أدنُ مني قال فخطوت خطوة مسيرة خمسمائة عام فقيل لي يا أحمد لا تخف ولا تحزن فسكن قلبي مما كنت أجده فلم يزل ذلك الرفرف يعلو بي حتى قربني من حضرة سيدي ومولاي فأبصرت أمرا عظيما لا تناله الأوهام ولا تبلغه الخواطر سبحانه وتعالى مما لا عين رأت ولا أذن سمعت قد دنوت من ربي حتى صرت منه كقاب قوسين أو أدنى قيل هما

قوسا الوتر اللذين يربط فيهما الوتر وقيل المُرادُ بهما الجناحان المقرونان الى كالعينين ولا شك أنه (ص) هو الحبيب الأعظم والرسول الأكرم والحبيب قريب من الحبيب البتة قال النبي فوضع سبحانه وتعالى يده بين كتفي ولم تكن يدا محسوسه كيد المخلوقين بل يد قدرة وإرادة فوجدت بردها الى كبدي فذهب عني كل ما رأيته من العجائب وأورثني علم الأولين والآخرين وملئت فرحا وسرورا فأخذني عند ذلك الثبات والسكوت فظننت أن من في السموات والأرض قد ماتوا إلا أنا لا أسمع هناك حسا ولا حسيسا ولا حركة ثم رجع ذهني الي وعقلي علي وتفكرت فيما أنا فيه من الشرف العظيم فنوديت يا أحمد أدنُ مني فقلت إلهي وسيدي ومولاي أنت السلام ومنك السلام فناداني ثانيا: أدن مني فدنوت منه فقال وعليك السلام فسمعت نغمة كنغمة أبي بكر الصديق رضي الله عنه فقلت إلهي وسيدي أمعنا أبو بكر فقال يا محمد أنت في مكان لا يصله أبو بكر ولا غيره ولكن علمت أنه ليس في الناس أحب إليك من أبي بكر فأسمعتك مثل صوته كي لا تخاف ويطمئن لذلك قلبك قال فألهمني ربي عز وجل فقلت: التحيات لله والصلوات والطيبات قال الله تعالي: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته فقلت: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فقالت الملائكة أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له قال الله تعالى وأنا أشهد أن محمدا عبدي ورسولي فمن أحبك فقد إحببته ومن كذبك فقد باء بغضبي وقال سبحانه وتعالى آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكُتُبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالو سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير فقلت: ربنا لا تواخذنا إن نسينا أو أخطأنا أي لا تعاقبنا على النسيان الذي هو السهو وكانوا بنو إسرائيل إذا نسوا شيئا مما أمروا به أو أخطأوا بذنب عجلت لهم العقوبة بنقص شيء من مطعم أو مشرب على حسب ذلك الذنب الذي نسوهُ أو أخطأوا به فرفع ذلك عن هذه الأمة ببركة سيدنا محمد (ص) قال المؤلف رحمه الله تعالى إذا كان هذه النقصان بحسب النسيان فكيف بمن يفعل المنكر بعمده وقصده وفجوره فشومه يعم كل الأنام بقطع الغيث ونقص الثمار والآفات التي تقع من فعلها نسأل الله تعالى العفو واللطف بنا قال النبي ربنا لا تؤاخذنا مثلهم أي الأمم الذين تقدموه قبل أمتي قال الله تعالى يا حبيبي لا نؤاخذكم مثلهم فقلت: ربنا ولا تحمل علينا إصرار يعني عهدا ثقيلا وميثاقا لا نستطيع حمله فتعذ بنا بنقصه كما حملته على الذين من قبلنا يعني اليهود فجعلت منهم القردة والخنازير ومعنى إصرا يعني لا تشدد علينا فتغلظ الأمر كما شددت على الذين من قبلنا وكان بنو إسرائيل كل من أصاب منهم ذنبا أصبح ذنبه مكتوبا على عتبة داره وقيل يكتب على جبهته. فقلت: ربنا ولا تحملنا ما لاطاقة لنا به قال الله تعالى ورفعت عنك كل مشكل فقلت: واعف عنا قال الله تعالى عفونا وتجاوزنا فقلت واغفر لنا وارحمنا قال الله تعالى غفرنا وسترنا فقلت: أنت مولانا قال صدقت يا محمد أنا مولاكم قلت فانصرنا على القوم الكافرين قال الله تعالى نصرتكم على القوم الكافرين الى يوم القيامة فقال لي سبحانه وتعالى هل تراني بعينك قلت سبحانك لا تدركك الأبصار ولا تحويك الأقطار ولا يغيرك الليل والنهار وأنت الواحد القهار ثم قلت إلهي وسيدي ومولاي عشى بصري نورك وبهاؤك وجلالك لكني أراك بقلبي فقال الله تعالى صفني يا محمد فقلت سبحانك لا يصفك الواصفون ولا يحدك العارفون ولا تحويك الظنون وأنت الحي القيوم قال الله تعالى يا أحمد عظم شأني وعز سلطاني وارتفع مكاني لا إله غيري أنا ملك الملوك وقاضي الحاجات من دعاني أجبته ومن قصدني أعطيته ومن توكل عليّ كفيته ومن قام على بابنا قبلناه ومن الآفات والعاهات نجيناه يا محمد انظر الى الموضع الذي كلمتك فيه فما بيني وبينك رسول ولا ترجمان قال رسول الله (ص) فرفعت رأسي وقلت يا رب أين أنا فقال أنت على بساط الأنس فرجعت وهممت أن أخلع نعلي، فناداني ربي سبحانه وتعالى دُس على بساطنا فقد اصطفيناك وأنت السيد المفضل فالتفت عن يميني وإذا بسيف النقمة يقطر دما وهو معلق بساق العرش فقلت إلهي وسيدي ومولاي ارفع السيف عن أمتي فقال يا محمد سبق حكمي وقضائي لا يفنى أكثر أمتك إلا السيف وفي حديث آخر لا يفنى أكثر أمتك إلا بالطعن والطاعون فقلت إلهي وسيدي ومولاي إني أسألك شيئا قال الله تعالى وعزتي وجلالي لعد آليتُ على نفسي من قبل أن أخلق آدم بألفي عام أن لا تسألني شيئا إلا اعطينك فقلت إلهي وسيدي ومولاي خلقت آدم بيدك ونفخت فيه من روحك واسجدت له ملائكتك واتخذت إبراهيم خليلا وكلمت موسى تكليما ورفعت إدريس مكانا عليا وأعطيت داود زبورا وغفرت له ذنبا عظيما وأعطيت سليمان ملكا عظيما وسخرت له الإنس والجن والطير والوحش والريح وخلقت عيسى من كلمتك فيم فضلتني كما فضلت هؤلاء قال الله تعالى يا أحمد إن كنت خلقت آدم بيدي فقد خلقته من طين وقد خلقتك من نور وجهي وإن كنت اتخذت إبراهيم خليلا فقد اتخذتك حبيبا والحبيب أفضل من الخليل وإن كنت كلمت موسى تكليما فقد كلمته من وراء حجاب على طور سيناء وقد كلمتك على بساط القرب بغير حجاب ما ناله موسى ولا غيره وإن كنت رفعت إدريس مكانا عاليا، رفعته الى السماء الرابع فقد رفعتك الى مكان لم يصله أحد غيرك وإن كنت أعطيت سليمان ملكا عظيما فقد جعلت لك الأرض مسجدا والتراب طهورا وإن كنت أعطيت داود زبورا فقد أعطيتك سبعا من المثاني والقرآن العظيم وأعطيتك سورة الفاتحة وسورة البقرة وسورة ال عمران ما قرأهما أحد من أمتك إلا غفرت له ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر وعدد الرمل وإن كنت خلقت عيسى بكلمتي فقد شققت لك اسما من أسمائي وجعلت اسمك مع اسمي لا يقول عبد لا إله إلا الله إلا ويقول محمد رسول الله ومن لا يقر برسالتك فلا أقبل منه عمله وهو في الآخرة من الخاسرين قال الله تعالى وأعطيتك الكوثر ونهرا حصباؤه الدر والجوهر وماؤه أشد بياضا من الثلج وأحلى من العسل وترابه من المسك الأذفر نباته الزعفران وعرضه سبعون ألف ميل وأعطيتك الحوض المورود والشفاعة الكبرى والدرجة الرفيعة وصيام شهر رمضان وفيه أنزل القرآن عليك وأحللت لك الغنائم ولم أحلها لأحد من قبلك.

الهــوامـش

(1) وليس في القرآن الكريم أي إشارة الى أن هذا لشيخ هو النبي شعيب كما تروي كتب الأخبار، بل إن القرآن لا يذكر له اسم، ولا ينعته بالنبوة، ومنا هو إلا رجل مسكين.
(2) لسان العرب ـ حرف السين.
(3) سورة الإسراء: آية 60.
(4) الأنهار. جمع نهر (بكسر فسكون) وهو من الأحجار بما يملأ الكف.
(5) المهيومة التي بها هيام، وهو داء يأخذ الإبل في رءوسها مثل الجنون.
(6) سورة الكهف: آية 110.
(7) سورة النساء: آية 48.
(8) أي تتابع سيرها من غير انقطاع.

43 ـ الرقى والتعاويذ

كانت عرب ما قبل الإسلام تؤمن بالحسد وتأثير الحاسد في المحسود وجاء الإسلا م وأقر ذلك " قل أعوذ برب الفلق ... ومن شر حاسدٍ إذا حسد ". كما كان العرب في تلك الفترة يعتقدون في العين وهي بخلاف الحسد، ويرى ابن قيم الجوزية أن [كل عائن حاسد وليس كل حاسد عائن]، وكانوا يسترقون من الحسد والعين كليهما، وفي معتقداتهم أن كلا من الحاسد والعائن يصيب المحسود والمعيون بأذى كبير. وفي حديث أبي هريرة (رضي الله عنه) في الصحيحين وأبي داوود وابن ماجة وأحمد (العين حق) وورد في الصحيحين عن عائشة (رضي الله عنها): وأمرني النبي (ص) أو أمر أن نسترقي من العين، وأخرج البزار بسند حسن رفعه عن جابر أن [العين لتدخل الرجل القبر والجمل القدر]، وأورد الإمام ابن قيم الجوزية في كتابه الطب النبوي عدة طرق رسمها محمد (ص) للوقاية من العين. وقبل ظهور الإسلام كان النفث ـ وهو أشد من النفخ وأقل من التفل ـ في العقد أحد ضروب السحر الذي تمارسه السواحر لقاء جعل معين يعطيه الرجل إياها للإضرار بخصمه في نفسه أو ولده أو ماله، وأكثر ما يكون طلب الإضرار في البدن وهو قريب مما تسميه العامة في مصر [العمل]، كان هذا الإعتقاد شائعا ومستقرا لدى السوقة والملأ على السواء في عرب الجزيرة سابقي الإسلام، قال متمم بن نويرة:

نفثت في الخيط شبيه الرقي   من خشية الجنة والحاسد

وجاء الإسلام وأقر [النفث من العقد] واعتبره حقيقة، بل وطلب من المسلمين أن يتعوذوا بالله تعالى منه: " قل أعوذ برب الفلق من شر ما خلق ومن شر غاسق إذا وقب ومن شر النفاثات في العقد. و[عن محمد بن حاطب أن يده احترقت فأتت به أمه النبي (ص) فجعل ينفث عليها ويتكلم بكلام زعم أنه لم يحفظه]. و[قال محمد بن الأشعث: ذهب بي الى عائشة رضي الله عنها وفي عيني سوء فرقتني ونفثت]. القرطبي في تفسير سورة الفلق.

كتب الحديث أيضا ذاخرة بأقوال للنبي عن الرقية والتعوذ ننقل منها بعض الأمثلة:

الرقية من النملة:

باب: في الرقية من النملة: عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: رخص رسول الله (ص) في الرقية من العين، والحمة، والنملة. (صحيح مسلم 18/7)

باب: في رقية جبريل عليه السلام للنبي (ص): ـ عن عائشة زوج النبي أنها قالت: كان إذا اشتكى رسول الله رقاه جبريل عليه السلام، قال: بسم الله يبريك، ومن كل داء يشفيك، ومن شر حاسد إذا حسد، وشر كل ذي عين.

(صحيح مسلم 13/7)

ـ عن عبد العزيز بن صهيب عن أبي نضرة عن أبي سعيد: أن جبريل عليه السلام أتى النبي (ص) فقال: يا محمد اشتكيت؟ قال: "نعم"، قال: بسم الله أرقيك، من كل شئ يؤذيك، من شر كل نفس أو عين حاسد، الله يشفيك، بسم الله أرقيك. (صحيح مسلم 13/7)

شيطان يقال له خنزب:

باب: التعوذ من شيطان الوسوسة في الصلاة: ـ عن أبي العلاء: أن عثمان بن أبي العاص أتي النبي فقال: يا رسول الله إن الشيطان قد حال بيني وبين صلاتي وقراءتي يلبسها علي، فقال رسول الله (ص):" ذاك شيطان يقال له خنزب، فإذا أحسسته، فتعوذ بالله منه، واتفل على يسارك ثلاثا"، قال: ففعلت ذلك، فأذهبه الله عني.

(صحيح مسلم 21/7)

الرقى من العين:

باب: في الرقية من العين:ـ عن عائشة رضي الله عنها قال: كان رسول الله (ص) يأمرني أن أسترقي من العين.

(صحيح مسلم 18/7)

فليبصق عن يساره ثلاثا:

باب: إذا رأى ما يكره فليتعوذ وليتحول عن الجنب الذي كان عليه:ـ عن جابر رضي الله عنه عن رسول الله (ص) أنه قال:" إذا رأى أحدكم الرؤيا يكرهها فليبصق عن يساره ثلاثا، وليستعذ بالله من الشيطان ثلاثا، وليتحول عن جنبه الذي كان عليه".

(صحيح مسلم 52/7)

لقد أكد محمد على أذى العين كما جاء في الحديث:" حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن الدرامي وحجاج بن الشاعر وأحمد بن خراش قال عبد الله: أخبرنا، وقال الآخران: حدثنا مسلم بن إبراهيم قال: حدثنا وهيب عن ابن طاوس عن أبيه عن ابن عباس عن النبي (ص) قال:" العين حق ولو كان شيء سابق القدر سبقته العين. وإذا استغسلتم فأغسلوا (أي إذا أصبتم بعين السوء فتوضأوا)." (مسلم ج14 ص 171، رواه البخاري أيضا). وإضافة للوضوء فقد أوصى محمد بالإسترقاء من العين كما في الحديث:" حدثنا محمد بن كثير أخبرنا سفيان حدثني معبد بن خالد سمعت عبد الله بن

شداد عن عائشة رضي الله عنها قالت: أمرني رسول الله أو أمر أن يُسترقى من العين."

(البخاري ج7 ص 30)

ليس هناك أي تفسير منطقي يقدمه القرآن أو محمد أو فقهاء المسلمين عن كيفية تسبيب العين الأذى للآخرين هناك أقوال أو فتاوي كثيرة لفقهاء وعلماء المسلمين في هذا الشأن ولكنها لا تغني ولا تسمن من جوع، ويبقى التعليل المنطقي الوحيد لمثل هذا الإعتقاد أنه من باب الخرافة والشعوذة. ويُقال أن الكثيرين من الذين استرقوا أصبحوا يعانون من هجمات شيطانية إذ فتحوا بابا للشيطان ليدخل في حياتهم ويعذبهم عقليا وصحيا. لم يأمر محمد بالإسترقاء فقط، بل أنه هو نفسه كان يسترقي ولا يرقيه إلا جبريل كما جاء في الحديث:" حدثنا ابن أبي عمر المكي حدثنا عبد العزيز الداروردي عن يزيد " وهو ابن عبد الله بن أسامة بن الهاد عن محمد بن إبراهيم عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن عائشة زوج النبي قالت: كان إذا اشتكى رسول الله رقاه جبريل قال: باسم اله أرقيك ومن كل داء يشفيك ومن شر حاسد وشر كل ذي عين". (مسلم ج 14 ص 169 مكرر).

44 ـ رهن درع النبي

هل مات محمد فقيرا ودرعه مرهونة عند يهودي في المدينة:

يستمر مسلسل الأسطرة ويمتد الى الإدعاء بفقر النبي وبأنه مات ودرعه مرهونة عند يهودي.

لقد تناول الأستاذ عبد الفتاح عساكر هذا الأمر وفنده في موقعه على الإنترنت ونحن ننقل عنه هنا ما كتبه في هذا الصدد.

ولكن قبل أن نفعل هذا نسأل سؤالين:

1- كيف تكون الدرع مرهونة عند يهودي وقد أجلى محمد اليهود من المدينة؟

2- كيف يكون محمد فقيرا وكان يملك أرض فدك التي طالبت بها فاطمة بنت محمد أبا بكر بعد وفاة النبي؟

ننتقل الآن الى ما كتبه الأستاذ عبد الفتاح عساكر في هذا الصدد.

بيان بالكتب التي تحتوي مرويات أن النبي مات ودرعه مرهونة عند يهودي ...!؟

1ـ البخاري: ذكر البخاري وحده عن رهن درع النبي: (11) رواية ..؟! من رقم مسلسل (1) - (11).

2ـ ومسلم: ذكر مسلم وحده عن رهن درع النبي: (3) رواية ..؟! من رقم مسلسل (12) - (14).

3ـ والترمذي: ذكر الترمذي وحده عن رهن درع النبي: (2) رواية ..؟! من رقم مسلمسل (15) - (16).

4ـ والنسائي: ذكر النسائي وحده عن رهن درع النبي: (4) رواية ..؟! من رقم مسلسل (17) - (20).

5ـ وأبو داود: لم يذكر أبو داود روايات عن رهن درع النبي عليه الصلاة والسلام ..؟!

6ـ وابن ماجة: ذكر ابن ماجة وحده عن رهن درع النبي: (4) رواية ..؟! من رقم مسلسل (21) - (24).

7ـ وأحمد بن حنبل: ذكر أحمد وحده عن رهن درع النبي: (11) رواية ..؟! من رقم مسلسل (25) - (35).

8ـ ومالك: لم يذكر أبو داود روايات عن رهن درع النبي عليه الصلاة والسلام ..؟!

9ـ والدرامي: ذكر الدرامي وحده عن رهن درع النبي: (رواية واحدة) ..؟! من رقم مسلسل (37).

ونسـأل ...؟.

هل يستقيم ما جاء في هذه الروايات مع قول الحق تبارك وتعالى:

بسم الله الرحمن الرحيم [والضحى* والليل إذا سجى* ما ودعك ربُك وَمَا قلى* وللآخرةُ خيرٌ لك من الأولى* ولسوفَ يُعطيك ربُكَ فترضى* ألم يجدكَ يتيما فآوى* ووجدكَ ضالا فهدَى* ووجدكَ عائلا فأغنى* فأما اليتيمَ فلا تقهر* وأما السائِل فلا تنهر* وأما بنعمةِ ربك فحدث]* الآيات من(6ـ 11) من سورة الضحى.

ويقول الحق تبارك وتعالى:

[نا أعطيناكَ الكوثر إنا أعطيناكَ الكوثر] آية رقم (1) من السورة رقم 108 الكوثر.

(إنا أعطيناك) يا محمد (الكوثر): وعن معنى (الكوثر) يقول العالم الجليل الشيخ عبد الجليل عيسى ـ عميد كليتي اللغة العربية وأصول الدين الأسبق في ص 824 من المصحف الميسر النص الآتي:

هذا اللفظ من صيغ المبالغة في الكثرة. والمراد به: الخير البالغ النهاية في الكثرة.

ونسأل: هل الذي أعطاه الله (الكثرة) في كل شيء يرهن درعه عند يهودي على طعام ...؟!

ويقول الحق تبارك وتعالى:[هذا عطاؤُنا فامنُن أو امسك بغير حساب] آية ربم 39 من سورة ص.

ومعنى (فامنُن) أي اعط ... ومعنى (أمسك) أي امنع ...؟!

وأكثر هذه المرويات ذكر فيها إسم:

الأعمشُ: ورتبته: ثقة حافظ لكنه يُدلس ... وهو أهم الرواة وأشهرهم في هذا الحديث في أكثر الكتب، واسمه سليمان بن مهران. ونسبه الأسدي ألكاهلي، ولقبه: [الأعمش] عاش بالكوفة ومات 147هـ من الطبقة الصغرى من التابعين.

- وقال عنه الذهبي: ما نقموا عليه إلا التدليس وهو يدلس
- وقال عنه ابن المبارك: إنما أفسد حديث الكوفة أبو إسحاق والأعمش ...؟!
- وقال عنه ابن جرير بن عبد الحميد: أهلك أهل الكوفة أبو إسحاق الأعمش ...؟!

- وقال عنه أحمد بن حنبل: في حديث الأعمش اضطراب كثير، وقال عنه أيضا: إنه كان يروى عن أنس مع أن روايته عن أنس منقطعة لأنه ما سمع من أنس ...
- وقال عنه ابو داود: روايته عن أنس ضعيفة...
- وقال عنه ابن المديني: الأعمش كان كثير الوهم ...
- أما الحاكم النيسابوري فقد جعل الأعمش من المدلسين وأورد فيه رأي الشاذكوني القائب: من أراد التدين بالحديث فلا يأخذ عن الأعمش ولا عن قتاده إلا إذا قالا: سمعناه...
- وذكره ابن حبان في الثقات وقال: كان مُدلسا [!!!؟].

وعن الأعمش وتحت رقم: (55) في الطبقة الثانية جاء في كتاب:

{ طبقات المدلسين. كتاب تعريف أهل التقديس بمراتب الموصفين بالتدليس. تأليف شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن حجر الكناني العسقلاني المصري المتوفى عام 852هـ} قال ابن حجر النص الآتي:

*** سليمان بن مهران الأعمش مُحدث الكوفة وقارؤها وكان يُدلس وصفه بذلك الكرابيسي والنسائي والدارقطني وغيرهم*

وعن الأعمش أيضا جاء في كتاب: تهذيب التهذيب تحت رقم (386) ج:4 ص: 195 وص196 النص الآتي روى عن الستة:

وهو: سليمان بن مهران الأسدي الكاهلي مولاهم أبو محمد الكوفي الأعمش. يقال أصله من طبرستان وولد بالكوفة.

وروى عن أنس ولم يثبت له منه سماع وعبد الله بن أبي أوفى. يقال أنه مرسل.

[المرسل حديثه ضعيف كما قال النووي في كتاب التقريب]

سؤال ؟.؟.؟.؟.!.

ذكر البخاري والنسائ وابن ماجة وأحمد بن حنبل والدارمي في مروياتهم الواردة في هذا البحث وقالوا: ((توفي رسُولُ الله (ص) ودرعه مرهُونة عند يهُودي بثلاثين صاعا من شعير أخذه طعاما لأهله))؟؟

وقال الترمذي: عن ابن عباس قال:

((توفي النبي(ص) ودرعه مرهونة بعشرين صاعا من طعام أخذه لأهله))؟.؟.؟.!!!.

وإليكم ...!.
ما قيل في درع النبي (ص) في كتاب (1) البخاري.
ذكر البخاري وحده عن رهن درع النبي(11) رواية..؟!
من رقم مسلسل: (1) – (11)

1)*** روى البخاري ـ حديث رقم [1926] كتاب: البيوع ـ باب: شراء النبي بالنسيئة. حدثنا مُعلى بن أسد حدثنا عبدُ الواحد حدثنا الأعمش قال ذكرنا عند إبراهيم: في السلم فقال حدثني الأسود عن عائشة رضي الله عنها: أن النبي(ص) اشترى طعاما من يهودي الى أجل ورهنه درعا من حديد.

*** رأي أصحاب كُتب الرجال في الرواة المجروحين في لحديث (1926)، الذي رواه البخاري في كتابه:
الإسم: عبد الواحد بن زياد ـ الطبقة: الوسطى من الأتباع ـ النسب: العبدي ـ الكنية: أبو بشر ـ بلد الإقامة: الصرة ـ تاريخ الوفاة: (176هـ) ـ الرتبة: ثقة في حديثه عن الأعمش وحده مقال !!!.

الإسم: إبراهيم بن يزيد بن قيس: الطبقة: الوسطى من الأتباع ـ النسب: النخعي ـ الكنية: أبو عمران ـ بلد الإقامة: ... ـ تاريخ الوفاة: (96هـ) ـ الرتبة: ثقة يرسل كثيرا.!!!.[المرسل حديثه ضعيف...!]

*** الأعمش ورتبته: ثقة حافظ لكنه يدلس ... أهم الرواة وأشهرهم في هذا الحديث: واسمه سليمان بن مهران. ونسبه الأسدي الكاهلي، ولقبه: الأعمش عاش بالكوفة، ومات 147هـ من الطبقة الصغرى من التابعين.

** وقال عنه الذهبي: ما نقموا عليه إلا التدليس وهو يدلس.

** وقال عنه ابن المبارك: إنما أفسد حديث الكوفة أبو إسحاق والأعمش ...؟!

** وقال عنه ابن جرير بن عبد الحميد: أهلك أهل الكوفة أبو إسحاق الأعمش...؟!

** وقال عنه أحمد بن حنبل: في حديث الأعمش اضطراب كثير،

** وقال عنه أيضا: إنه كان يروى عن أنس مع أن روايته عن أنس منقطعة لأنه ما سمع من أنس ...

** وقال عنه ابو داود: روايته عن أنس ضعيفة...

** وقال عنه ابن المديني: الأعمش كان كثير الوهم ...

** أما الحاكم النيسابوري فقد جعل الأعمش من المدلسين وأورد فيه رأي الشاذكوني القائب: من أراد التدين بالحديث فلا يأخذ عن الأعمش ولا عن قتاده إلا إذا قالا: سمعناه...

** وذكره ابن حبان في الثقات وقال: كان مُدلسا [!!!؟].

** وذكره ابن حجر العسقلاني في كتاب (طبقات المدلسين) من الطبقة الثانية تحت رقم [55] وهو: سليمان بن مهران الأعمش محدث الكوفة وقارلاها. وكان يدلس وصفه بذلك الكرابيس والنسائي والدارقطني وغيرهم.

* تخريج الحديث: أخرجه مسلم برقم: (3007)،(3008)،(3009) ــ وأخرجه الترمذي: (4530)،(4571) وأخرجه ابن ماجة برقم: (2427) ــ وأخرجه أحمد بن حنبل برقم: (23017)، (24113)، (24744)، (24805).

2) *** روى البخاري ـ حديث رقم: [1927] كتاب: البيوع ـ باب: شراء النبي بالنسيئة.
1927 حدثنا مُسلم حدثنا هشام حدثنا قتادة عن أنس حدثني محمدُ بن عبد الله بن حوشب حدثنا أسباط أبو اليسع البصري حديثا هشام الدستوائي عن قتادة عن أنس رضى اللهم عنهم أنهُ مشى الى النبي (ص) بخبز شعير وإهالة سنخة ولقد رهن النبي درعا له بالمدينة عند يهودي وأخذ منهُ شعيرا لأهلهِ ولقد سمعتهُ يقولُ ما أمسى عند آل محمد (ص) صاعُ بُر ولا صاعُ حب وإن عندهُ لتسع نسوة*

*** رأي اصحاب كُتب الرجال في الرواة المجروحين في لحديث (1927)، الذي رواه البخاري في كتابه.
هشام: الإسم: قتادة بن دعامة بن قتادة ـ الطبقة: دون وسطى التابعين ـ النسب: السدوسي ـ الكنية: أبو الخطاب ـ بلد الإقامة: البصرة ـ بلد الوفاة: هيت ـ تاريخ الوفاة: (117 هـ) ـ الرتبة: حافظ ثقة ثبت لكنه مدلس ورمي بالقدر.!!!.
[انظر رأي أصحاب كتب الرجال في قتادة في الحديث رقم (2325) الذي رواه البخاري والموجود في هذا البحث تحت رقم مسلسل: (7).].

3) *** روى البخاري ـ حديث رقم:[1954] كتاب: البيوع ـ باب: شراء الإمام الحوائج بنفسه.
حدثنا يوسف بن عيسى حدثنا أبو مُعاوية حدثنا الأعمش عن إبراهيم عن الأسود عن عائشة رضي الله عنها قالت: ((اشترى رسول الله (ص) من يهودي طعاما بنسيئة ورهنهُ درعهُ)).

*** رأي أصحاب كتب الرجال في الرواة المجروحين في لحديث(1954)، الذي رواه البخاري في كتابه.

الإسم: أبو معاوية ـ الطبقة: الصغرى من التابعين ـ النسب: التميمي السعدي ـ الكنية: أبو معاوية ـ بلد الإقامة: الكوفة ـ تاريخ الوفاة:(195هـ) الرتبة: أحفظ الناس لحديث الأعمش، وقد يهم في حديث غيره.!!!.

*** الأعمش ورتبته: ثقة حافظ لكنه يدلس ...[انظر بيانات الأعمش، في الحديث رقم (1926) الذي رواه البخاري في كتابه وهو الحديث السابق المذكور في هذا البحث]

*** الإسم: إبراهيم بن يزيد بن قيس: الطبقة: الوسطى من التابعين ـ النسب: النخعي ـ الكنية: أبو عمران ـ بلد الإقامة: ... ـ تاريخ الوفاة: (96هـ) ـ الرتبة: ثقة يرسل كثيرا.!!!.[المرسل حديثه ضعيف...!]
* تخريج الحديث: نفس تخريج الحديث السابق.

4) *** روى البخاري ـ حديث رقم:[2049]، كتاب: البيوع ـ باب: شراء الطعام الى أجل. حدثنا عمرُ بن حفص بن غياث حدثنا أبي حدثنا الأعمش قال ذكرنا عند إبراهيم الرهن في السلف فقال لا بأس به ثم حدثنا عن الأسود عن عائشة رضي الله عنها: أن النبي اشترى طعاما من يهودي الى أجل فرهنهُ درعهُ.

*** رأي أصحاب كتب الرجال في الرواة المجروحين في لحديث(2049)، الذي رواه البخاري في كتابه.

*** الإسم: إبراهيم بن يزيد بن قيس: الطبقة: الوسطى من الأتباع ـ النسب: النخعي ـ الكنية: أبو عمران ـ بلد الإقامة: ... ـ تاريخ الوفاة: (96هـ) ـ الرتبة: ثقة يرسل كثيرا.!!!.[المرسل حديثه ضعيف...!]

*** الأعمش ورتبته: ثقة حافظ لكنه يدلس ...[انظر بيانات الأعمش، في الحديث رقم (1926) الذي رواه البخاري في كتابه].

5) *** روى البخاري ـ حديث رقم:(2092) كتاب: السلم ـ باب: الكفيل في السلم.
حدثنا محمد بن سلام حدثنا يعلى حدثنا الأعمش عن إبراهيم عن الأسود عن عائشة رضي الله عنها قالت: اشترى رسول الله (ص) طعاما من يهودي بنسيئة ورهنهُ درعا لهُ من حديد.

*** رأي أصحاب كُتب الرجال في الرواة المجروحين في لحديث (2092)، الذي رواه البخاري في كتابه.

*** الأعمش ورتبته: ثقة حافظ لكنه يدلس ...[انظر بيانات الأعمش، في الحديث رقم (1926) الذي رواه البخاري في كتابه].

*** الإسم: إبراهيم بن يزيد بن قيس: الطبقة: الوسطى من الأتباع ـ النسب: النخعي ـ الكنية: أبو عمران ـ بلد الإقامة: ... ـ تاريخ الوفاة: (96هـ) ـ الرتبة: ثقة يرسل كثيرا.!!!.[المرسل حديثه ضعيف...!]

6) *** روى البخاري ـ حديث رقم:(2093) كتاب: السلم ـ باب: الرهن في السلم.

حدثني محمد بن محبوب حدثنا عبدُ الواحد حدثنا الأعمش قال تذاكرنا عند إبراهيم الرهن في السلف فقال حدثني الأسود عن عائشة رضي الله عنها: أن النبي (ص) اشترى من يهودي طعاما الى أجل معلوم وارتهن منهُ درعا من حديد.

*** رأي أصحاب كُتب الرجال في الرواة المجروحين في لحديث (2093)، الذي رواه البخاري في كتابه.
الإسم: عبد الواحد بن زياد ـ الطبقة: الوسطى من أتباع ـ النسب: العبدي ـ الكنية: أبو بشر ـ بلد الإقامة: الصرة ـ تاريخ الوفاة: (176هـ) ـ الرتبة: ثقة في حديثه عن الأعمش وحده مقال!!!.

*** الأعمش ورتبته: ثقة حافظ لكنه يدلس ...[انظر بيانات الأعمش، في الحديث رقم (1926) الذي رواه البخاري في كتابه].

*** الإسم: إبراهيم بن يزيد بن قيس: الطبقة: الوسطى من الأتباع ـ النسب: النخعي ـ الكنية: أبو عمران ـ بلد الإقامة: ... ـ تاريخ الوفاة: (96هـ) ـ الرتبة: ثقة يرسل كثيرا.!!!.

7) *** روي البخاري ـ حديث رقم:[2211] كتاب: في الإستقراض وأداء الديون والحجر والتفليس ـ باب: من اشترى بالدين وليس عنده ثمنه أو ليس بحضرته..
حدثنا معلى بن أسد حدثنا عبد الواحد حدثنا الأعمش قال تذاكرنا عند إبراهيم الرهن في السلم فقال حدثني الأسود عن عائشة رضي الله عنها.
أن النبي (ص) اشترى من يهودي طعاما الى أجل ورهنه منهُ درعا من حديد.

*** رأي أصحاب كُتب الرجال في الرواة المجروحين في لحديث (2211)، الذي رواه البخاري في كتابه.
الإسم: عبد الواحد بن زياد ـ الطبقة: الوسطى من الأتباع ـ النسب: العبدي ـ الكنية: أبو بشر ـ بلد الإقامة: الصرة ـ تاريخ الوفاة: (176هـ) ـ الرتبة: ثقة في حديثه عن الأعمش وحده مقال!!!.

*** الأعمش ورتبته: ثقة حافظ لكنه يدلس ...[انظر بيانات الأعمش، في الحديث رقم (1926) الذي رواه البخاري في كتابه].

*** الإسم: إبراهيم بن يزيد بن قيس: الطبقة: الوسطى من الأتباع ـ النسب: النخعي ـ الكنية: أبو عمران ـ بلد الإقامة: ... ـ تاريخ الوفاة: (96هـ) ـ الرتبة: ثقة يرسل كثيرا.!!!.

8) *** روى البخاري ـ حديث رقم: [2325] كتاب: الرهن ـ باب: الرهن في الحضر.
حدثنا مصلم بن إبراهيم حدثنا قتادة عن انس رضي الله عنه قال:
ولقد رهن النبي (ص) درعه بشعير ومشيتُ الى النبي بخبز شعير وإهالة سنخة ولقد سمعته يقول ما أصبح لـآل محمد إلا صاع ولا أمسى وإنهم تسعة أبيات.

*** رأي أصحاب كُتب الرجال في الرواة المجروحين في لحديث (2325)، الذي رواه البخاري في كتابه.
الإسم: قتادة بن دعامة بن قتادة ـ الطبقة: دون وسطى التابعين ـ النسب: السدوسي ـ الكنية: أبو الخطاب ـ بلد الإقامة: البصرة ـ بلد الوفاة: هيت ـ تاريخ الوفاة: (117 هـ) ـ الرتبة: حافظ ثقة ثبت لكنه مدلس ورمي بالقدر.!!!.

وإليك ما جاء في كتب الرجال عن قتادة:

*** الإسم: قتادة بن دعامة بن قتادة بن عزيز بن عمرو بن ربيعة بن عمرو بن الحارث بن سدوس، والكنية: أبو الخطاب السدوسي البصري ولد أكمه [أي أعمى فاقد البصر] عام [61هـ وتوفي في هيت عام 117هـ].
حافظ ثقة ثبت لكنه مدلس ورمي بالقدر قاله يهيى بن معين ومع هذا فاحتج به أصحاب الصحاح لا سيما إذا قال حدثنا.

[انظر كتاب ميزان الإعتدال في نقد الرجال للذهبي. ج:5ص: 466]

*** وقال حنظلة بن أبي سفيان كان طاوس يفر من قتادة وكان قتادة يرمي بالقدر.

*** وقال جرير عن مغيرة عن الشعبي قتادة حاطب ليل.

*** وقال بن سعد كان ثقة مأمونا حجة في الحديث وكان يقول بشيء من القدر.

*** وقال بن حبان في الثقات كان من علماء الناس بالقرآن والفقه ومن حفاظ أهل زمانه، وكان مدلس على قدر فيه.

*** وقال أبو حاتم قتادة عن أبي الأحوص مرسل وأرسل عن أبي موسى وعائشة وابي هريرة ومعقل بن يسار.

*** وقال إسماعيل القاضي في أحكام القرآن سمعت علي بن المديني يضعف أحاديث قتادة عن سعيد بن المسيب تضعيفا شديدا وقال أحسب أن أكثرها بين قتادة وسعيد فيها رجال.
تهذيب التهذيب ج: 8 ص: 317.

*** قال عمرو بن علي ولد سنة 61 ومات سنة سبع عشرة ومائة.

*** وقال أحمد بن حنبل عن يحيى بن سعيد مات سنة 117 أو 18.

*** وقال عمرو بن علي لم يسمع قتادة من أبي قلابة قلت وقع هذا في التهذيب في ترجمة أبي قلابة.

*** وقال البخاري لا يشبه أن قتادة سمع من بشر بن عائذ لأنه قديم الموت ولا نعرف له سماعا من بن بريدة.

وقال في موضع آخر ما آرى سمع قتادة من بشير بن نهيك.

وقال علي ما أرى قتادة سمع من أبي ثمامة الثقفي ولم يسمع من أبي عبد الله الجدلي.

وقال البزار لم يسمع من طاوس ولم يسمع من الزهري وقد روى عنه ثلاثة أحاديث.

*** وقال الحاكم في علوم الحديث لم يسمع قتادة من أنس وقد ذكر بن أبي حاتم عن أحمد بن حنبل مثل ذلك وزاد قيل له فابن سرجس فكأنه لم يره سماعا.
قال أحمد ولم يسمع من عبد الله بن الحارث الهاشمي ولا من القاسم ولا سالم ولا سعيد بن جبير ولا عبد الله بن مغفل.

*** وقال البرديجي لم يصح له سماع من أبي سلمة بن عبد الرحمن ولم يسمع من الشعبي ولا من عروة بن الزبير.

*** وقال بن معين لم يسمع من بن أبي مليكة ولا من حميد بن عبد الرحمن الحميري ولا من مسلم بن يسار ولا من رجاء بن حيوة ولا من حكيم بن عفان ولا من عبد الرحمن مولى أم برثن وقال في رواية بن الجنيد ولم يلق سعيد بن جبير ولا مجاهدا ولا سليمان بن يسار.

*** وقال يحيى بن سعيد لم يسمع سماعه من معاذة.

*** وقال أبو داود حدث قتادة عن ثلاثين رجلا لم يسمع منهم ...؟!.
ولم يسمع من حصين بن المنذر.

[أنظر كتاب تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني ج 8 ص 315 - 318].ا.هـ.

*** الأعمش:[انظر بيانات الأعمش، في الحديث رقم (1926) الذي رواه البخاري في كتابه].

9) *** روى البخاري ـ حديث رقم:[2326] كتاب: الرهن ـ باب: من رهن درعهُ.

حدثنا مُسدد حدثنا عبدُ الواحد حدثنا الأعمش قال تذاكرنا عند إبراهيم الرهن والقبيل في السلف فقال إبراهيم حدثنا الأسود عن عائشة رضي الله عنها:

((أن النبي (ص) اشترى من يهودي طعاما الى أجل ورهنهُ درعه.))

*** رأي أصحاب كتب الرجال في الرواة المجروحين في لحديث (2326)، الذي رواه البخاري في كتابه.
الإسم: عبد الواحد بن زياد ـ الطبقة: الوسطى من الأتباع ـ النسب: العبدي ـ الكنية: أبو بشر ـ بلد الإقامة: الصرة ـ تاريخ الوفاة: (176هـ) ـ الرتبة ثقة في حديثه عن الأعمش وحده مقال !!!.

*** الأعمش ورتبته: ثقة حافظ لكنه يدلس...[انظر بيانات الأعمش، في الحديث رقم (1936) الذي رواه البخاري في كتابه].

الإسم: إبراهيم بن يزيد بن قيس ـ الطبقة: الصغرى من التابعين ـ النسب: النخعي ـ الكنية: أبو عمران ـ بلد الإقامة: ... ـ تاريخ الوفاة: (96هـ) ـ الرتبة: ثقة يرسل كثيرا.!!!.

باب: من رهَنَ دِرعُهُ

10) *** روى البخاري ـ حديث رقم:[2330] كتاب: الرهن ـ باب: الرهن عند اليهود وغيرهم.
حدثنا قتيبة حدثنا جرير عن الأعمش عن إبراهيم عن الأسود عن عائشة رضى اللهُ عنها قالت: ((اشترى رسول الله من يهودي طعاما ورهنه درعه)).

*** رأي أصحاب كُتب الرجال في الرواة المجروحين في لحديث (2330)، الذي رواه البخاري في كتابه.

*** الأعمش ورتبته: ثقة حافظ لكنه يدلس...[انظر بيانات الأعمش، في الحديث رقم (1926) الذي رواه البخاري في كتابه].

الإسم: إبراهيم بن يزيد بن قيس ـ الطبقة: الصغرى من التابعين ـ النسب: النخعي ـ الكنية: أبو عمران ـ بلد الإقامة: ... ـ تاريخ الوفاة: (96هـ) ـ الرتبة: ثقة يرسل كثيرا.!!!.

بـــاب

ما قيل في درع النبي (ص) والقميص في الحرب وقال النبي أما خالد فقد احتبس أدراعهُ في سبيل الله.
11) *** روى البخاري ـ حديث رقم:[2700] كتاب: الجهاد والسير ـ باب: ما قيل في درع النبي واللباس في الحرب.
حدثنا محمد بن كثير أخبرنا سفيان عن الأعمش عن إبراهيم عن الأسود عن عائشة رضي الله عنها قالت:
تُوفي رسُول الله ودرعه مرهونة عند يهودي بثلاثين صاعا من شعير وقال يعلى حدثنا الأعمش درع من حديد وقال مُعلى حدثنا عبد الواحد حدثنا الأعمش وقال رهنهُ درعا من حديد.

*** رأي أصحاب كُتب الرجال في الرواة المجروحين في لحديث (2700)، الذي رواه البخاري في كتابه.

الإسم: عبد الواحد بن زياد ـ الطبقة: الوسطى من الأتباع ـ النسب: العبدي ـ الكنية: أبو بشر ـ بلد الإقامة: الصرة ـ تاريخ الوفاة: (176هـ) ـ الرتبة ثقة في حديثه عن الأعمش وحده مقال !!!.

*** الأعمش ورتبته: ثقة حافظ لكنه يدلس...[انظر بيانات الأعمش، في الحديث رقم (1926) الذي رواه البخاري في كتابه].

الإسم: إبراهيم بن يزيد بن قيس ـ الطبقة: الصغرى من التابعين ـ النسب: النخعي ـ الكنية: أبو عمران ـ بلد الإقامة: ... ـ تاريخ الوفاة: (96هـ) ـ الرتبة: ثقة يرسل كثيرا.!!!.

بـــاب

ما ذكر من درع النبي (ص) وعصاه وسيفه وقدحه وخاتمه وما استعمل الخُلفاء بعدهُ من ذلك مما لم يُذكر قسمتهُ ومن شعره ونعله وآنيته مما يتبركُ أصحابهُ وغيرهم بعد وفاتهِ.

12) *** روى البخاري ـ حديث رقم 4107] كتاب: المغازي ـ باب: وفاة النبي.

باب حدثنا قبيصة حدثنا سفيان عن الأعمش عن إبراهيم عن الأسود عن عائشة رضي الله عنها قالت توفي النبي ودرعه مرهونة عند يهودي بثلاثين.

*** رأي أصحاب كُتب الرجال في الرواة المجروحين في لحديث (4107)، الذي رواه البخاري في كتابه.

*** الأعمش ورتبته: ثقة حافظ لكنه يدلس...[انظر بيانات الأعمش، في الحديث رقم (1926) الذي رواه البخاري].

الإسم: إبراهيم بن يزيد بن قيس ـ الطبقة: الصغرى من التابعين ـ النسب: النخعي ـ الكنية: أبو عمران ـ بلد الإقامة: ... ـ تاريخ الوفاة: (96هـ) ـ الرتبة: ثقة يرسل كثيرا.!!!.

ذكر البخاري وحده عن رهن درع النبي: (11) رواية...؟!. من رقم مسلسل 1 ـ 11.

(2) ما قيل في درع النبي (ص)

في كتاب: مسلم ذكر مسلم وحده عن رهن درع النبي: (3) رواية ...؟!. من رقم مسلسل 12 ـ 14.

13) *** روى مسلم ـ حديث رقم:[3007] كتاب: المساقاة ـ باب: الرهن وجواز في الحضر كالسفر.

حدثنا يحيى بن يحيى وأبو بكر بن أبي شيبة ومحمد بن العلاء واللفظ ليحيى قال يحيى أخبرنا وقال الآخرون حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن إبراهيم عن الأسود عن عائشة قالت اشترى رسول الله من يهودي طعاما بنسيئة فأعطاه درعا له رهن.

*** رأي أصحاب كُتب الرجال في الرواة المجروحين في لحديث (3007)، الذي رواه مسلم في كتابه.

الإسم: أبو معاوية ـ الطبقة: الصغرى من التابعين ـ النسب: التميمي السعدي ـ الكنية: أبو معاوية ـ بلد الإقامة: الكوفة ـ تاريخ الوفاة: (195هـ) ـ الرتبة: أحفظ الناس لحديث الأعمش، وقديهم في حديث غيره.!!!.

*** الأعمش ورتبته: ثقة حافظ لكنه يدلس...[انظر بيانات الأعمش، في الحديث رقم (1926) الذي رواه البخاري وذكرناه في هذا البحث].

الإسم: إبراهيم بن يزيد بن قيس ـ الطبقة: الصغرى من التابعين ـ النسب: النخعي ـ الكنية: أبو عمران ـ بلد الإقامة: ... ـ تاريخ الوفاة: (96هـ) ـ الرتبة: ثقة يرسل كثيرا.!!!.[المرسل حديثه ضعيف ...!.]

14) *** روى مسلم ـ حديث رقم: [3008] كتاب: المساقاة ـ باب: الرهن وجوازه في الحضر كالسفر. حدثنا إسحق بن إبراهيم الحنظي وعلي بن خشرم قلنا أخبرنا عيسى بن يونس عن الأعمش عن إبراهيم عن الأسود عن عائشة قالت اشترى رسول الله من يهودي طعاما ورهنهُ درعا من حديد.
*** رأي أصحاب كُتب الرجال في الرواة المجروحين في لحديث (3008)، الذي رواه مسلم في كتابه.

*** الأعمش ورتبته: ثقة حافظ لكنه يدلس...[انظر بيانات الأعمش، في الحديث رقم (1926) الذي رواه البخاري].

الإسم: إبراهيم بن يزيد بن قيس ـ الطبقة: الصغرى من التابعين ـ النسب: النخعي ـ الكنية: أبو عمران ـ بلد الإقامة: ... ـ تاريخ الوفاة: (96هـ) ـ الرتبة: ثقة يرسل كثيرا.!!!.[المرسل حديثه ضعيف ...!.]

15) *** روى مسلم ـ حديث رقم: [3009] كتاب: المساقاة ـ باب: الرهن وجوازه في الحضر كالسفر.
حدثنا إسحق بن إبراهيم الحنظلي أخبرنا المخزومي حدثنا عبد الواحد بن زياد عن الأعمش قال ذكرنا الرهن في السلم عند إبراهيم النخعي فقال حدثنا الأسود بن يزيد عن عائشة:

((أن رسول الله (ص) اشترى من يهودي طعاما الى أجل ورهنه درعا له من حديد وحدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا حفص بن غياث عن الأعمش عن إبراهيم قال حدثني الأسود عن عائشة عن النبي مثله ولم يذكر من حديد)).

*** رأي أصحاب كُتب الرجال في الرواة المجروحين في لحديث (3009)، الذي رواه مسلم في كتابه.

الإسم: عبد الواحد بن زياد ـ الطبقة: الوسطى من الأتباع ـ النسب: العبدي ـ الكنية: أبو بشر ـ بلد الإقامة: الصرة ـ تاريخ الوفاة: (176هـ) ـ الرتبة ثقة في حديثه عن الأعمش وحده مقال !!!.

*** الأعمش ورتبته: ثقة حافظ لكنه يدلس...[انظر بيانات الأعمش، في الحديث رقم (1926) الذي رواه البخاري].

الإسم: إبراهيم بن يزيد بن قيس ـ الطبقة: الصغرى من التابعين ـ النسب: النخعي ـ الكنية: أبو عمران ـ بلد الإقامة: ... ـ تاريخ الوفاة: (96هـ) ـ الرتبة: ثقة يرسل كثيرا.!!!.

ذكر مسلم وحده عن رهن درع النبي: (3) رواية ...؟! من رقم مسلسل 12 ـ 14

(3) ما قيل في درع النبي (ص)
في كتاب الترمذي

ذكر الترمذي وحده عن رهن درع النبي: (2) رواية ...؟! من رقم مسلسل (15) - (16)

16) *** روى الترمذي ـ حديث رقم:[1135] كتاب: ـ باب: حدثنا محمد بن بشار حدثنا ابن أبي عدي وعثمان بن عمر عن هشام بن حسان عن عكرمة عن ابن عباس قال توفي النبي ودرعه مرهونه بعشرين صاعا من طعام أخذه لأهله قال ابو عيسى هذا حديث حسن صحيح.

*** رأي أصحاب كُتب الرجال في الرواة المجروحين في لحديث (1135)، الذي رواه الترمذي في كتابه.

*** عكرمة مولى ابن عباس: واتهام عكرمة بالكذب ظاهرة واضحة في تاريخه، وإليك أقوال علماء الجرح والتعديل عنه:؟!!!

* قال عنه ابن سيرين: (كداب).
* وقال عنه ابن أبي ذئب: (رأيت عكرمة وكان غير ثقة)!.
* وقال عنه محمد بن سعد في الطبقات الكبرى: (ليس يُحتج بحديثه، ويتكلم فيه الناس)!.
* وقال عنه سعيد بن جُبير: (إنكم لتحدثون عن عكرمة بأحاديث لو كنت عنده ما حدث بها)!.
* وقال عنه سعيد بن المسيب: (لا ينتهي عبد ابن عباس حتى يلقى في عنقه ويُطاف به)!. وكان سعيد بن المسيب يقول للعبد الذي عنده واسمه: (برد) [لا تكذب علي كما كذب عكرمة علي ابن عباس.]!!! وبسبب كثرة أكاذيبه علي ابن عباس بعد موت بن عباس فإن علي بن عبد الله بن عباس: جعل في يديه وقدميه قيودا وحبسه على باب (الحش) وهي دورة المياه.!!! فسئُل علي بن عبد الله بن عباس: عن ذلك فقال:[إنن هذا الخبيث يكذب علي أبي]!!!.

* وقالوا إن مسلم تجنب الرواية عن عكرمة فروى له بعض الروايات مقرونا بغيره أي لم يرو له منفردا.!!!.* وأعرض مالك عن الرواية عن عكرمة إلا في حديث أو حديثين، وقال [مطرف] سمعت مالكا يكره أن يذكر عكرمة ولا أرى أنه روى عنه.

* وقال: أحمد بن حنبل ـ إن مالكا روى عن عكرمة حديثا واحدا.!!!.

* وأما البخاري فقد انتقده بعض المحققين في روايته عن عكرمة ـ خاصة حديث [من بدل دينهُ فاقتلوهُ]

أقام عكرمة بالمدينة وتوفى عام (ت:104هـ)، من الطبقة الوسطى من التابعين، والنسب البربري، وكنيته: أبو عبد الله. ولمزيد من المعلومات عن عكرمة ـ إقرأ ترجمته في كتاب الكبقات الكبرى ـ لإبن سعد:133/2 و212/5 ـ واقرأ كذلك كتاب ميزان الإعتدال الذهبي ـ 13/4 ـ 17. [وكتاب تهذيب التهذيب).

17) *** روى الترمذي ـ حديث رقم: [1136] كتاب: البيوع عن رسول الله ـ باب: حدثنا محمد بن بشار حدثنا ابن أبي عدي عن الدستوائي عن قتادة عن أنس قال محمد وحدثنا معاد بن هشام قال حدثنا أبي عن قتادة عن أنس قال: مشيت الى النبي بخبز شعير وإهالة سنخة ولقد رهن له درع عند يهودي بعشرين صاعا من طعام أخذه لأهله ولقد سمعته ذات يوم يقول ما أمسى في آل محمد (ص) صاع ثمر ولا صاعُ حب وإن عندهُ يومئذ لتسع نسوة قال أبو عيسى هذه حديث حسن صحيح.

*** رأي أصحاب كُتب الرجال في الرواة المجروحين في لحديث (1136)، الذي رواه الترمذي في كتابه.

الإسم: قتادة بن دعامة بن قتادة ـ الطبقة: دون وسطى التابعين ـ النسب: السدوسي ـ الكنية: أبو الخطاب ـ بلد الإقامة: البصرة ـ بلد الوفاة: هيت ـ تاريخ الوفاة: (117هـ) الرتبة: حافظ ثقة ثبت لكنه مدلس وري بالقدر.!!!.[انظر رأي أصحاب كتب الرجال في قتادة في الحديث رقم (2325) الذي رواه البخاري والموجود في هذا البخث تحت رقم مسلسل: (7)].

(4) ما قيل في درع النبي (ص)
في كتاب النسائي

ذكر النسائي وحده عن رهن درع النبي: (4) رواية ...؟!

18) *** روى النسائي ـ حديث رقم: [4530] كتاب: البيوع ـ باب: الرهن في الحضر.
أخبرني محمد بن آدم عن حفص بن غياث عن الأعمش عن إبراهيم عن الأسود عن عائشة قالت اشترى رسول الله من يهودي طعاما الى أجل ورهنه درعه.

*** رأي أصحاب كُتب الرجال في الرواة المجروحين في لحديث (4530)، الذي رواه النسائ في كتابه.

*** الأعمش ورتبته: ثقة حافظ لكنه يدلس...[انظر بيانات الأعمش، في الحديث رقم (1926) الذي رواه البخاري].

الإسم: إبراهيم بن يزيد بن قيس ـ الطبقة: الصغرى من التابعين ـ النسب: النخعي ـ الكنية: أبو عمران ـ بلد الإقامة: ... ـ تاريخ الوفاة: (96هـ) ـ الرتبة: ثقة يرسل كثيرا.!!!.

19) *** روى النسائي ـ حديث رقم: [4531] كتاب: البيوع ـ باب: الرهن في الحضر.

أخبرنا إسمعيل بن مسعود قال حدثنا خالد قال حدثنا هشام قال حدثنا قتادة عن أنس بن مالك أنهُ مشى الى رسول الله بخبز شعير وإهالة سنخة قال ولقد رهن درعا له عند يهودي بالمدينة وأخذ منه شعيرا لأهله.

*** رأي أصحاب كُتب الرجال في الرواة المجروحين في لحديث (4531)، الذي رواه النسائ في كتابه.

الإسم: قتادة بن دعامة بن قتادة ـ الطبقة: دون وسطى التابعين ـ النسب: السدوسي ـ الكنية: أبو الخطاب ـ بلد الإقامة: البصرة ـ بلد الوفاة: هيت ـ تاريخ الوفاة: (117هـ) الرتبة: حافظ ثقة ثبت لكنه مدلس وري بالقدر.!!!.[انظر رأي أصحاب كتب الرجال في قتادة في الحديث رقم (2325) الذي رواه البخاري والموجود في هذا البحث تحت رقم مسلسل: (7)].

20) *** روى النسائي ـ حديث رقم: [4571] كتاب: البيوع ـ باب: مبايعة أهل الكتاب.

أخبرنا أحمد بن حرب قال حدثنا أبو معاوية عن نالأعمش عن إبراهيم عن الأسود عن عائشة قالت اشترى رسول الله من يهودي طعامنا بنسيئة وأعطاه درعا له رهنا.

*** رأي أصحاب كُتب الرجال في الرواة المجروحين في لحديث (4571)، الذي رواه النسائ في كتابه.

الإسم: أبو معاوية ـ الطبقة: الصغرى من التابعين ـ النسب: التميمي السعدي ـ الكنية: أبو معاوية ـ بلد الإقامة: الكوفة ـ تاريخ الوفاة: (195هـ) ـ الرتبة: أحفظ الناس لحديث الأعمش، وقديهم في حديث غيره.!!!.

*** الأعمش ورتبته: ثقة حافظ لكنه يدلس...[انظر بيانات الأعمش، في الحديث رقم (1926) الذي رواه البخاري].

الإسم: إبراهيم بن يزيد بن قيس ـ الطبقة: الصغرى من التابعين ـ النسب: النخعي ـ الكنية: أبو عمران ـ بلد الإقامة: ... ـ تاريخ الوفاة: (96هـ) ـ الرتبة: ثقة يرسل كثيرا.!!!.

21) *** روى النسائي ـ حديث رقم: [4572] كتاب: البيوع ـ باب: مبايعة أهل الكتاب. أخبرنا يوسف بن حماد قال حدثنا سفيان بن حبيب عن هشام عن عكرمة عن ابن عباس قال:((توفي رسول الله (ص) ودرعه مرهونة عند يهودي بثلاثية صاعا من شعير لأهله.)).

*** رأي أصحاب كُتب الرجال في الرواة المجروحين في لحديث (4572)، الذي رواه النسائي في كتابه.
عكرمة:[انظر بيانات عكرمة في الحديث رقم (1135) الذي رواه الترمذي في هذا الحديث.

(5) ما قيل في درع النبي (ص)

في كتاب: أبو داود.[مولود 202هـ وتوفي 275 هـ].
لم يذكر أبو داود روايات عن رهن درع النبي عليه الصلاة والسلام...؟!

(6) ما قيل في درع النبي (ص)

في كتاب: ابن ماجة. ذكر: ابن ماجة. وحده عن رهن درع النبي (ص) :(4) رواية ...؟!
من رقم مسلمسل (21) - (24)

22) *** روى ابن ماجة ـ حديث رقم: [2427] كتاب: الأحكام ـ باب: الرهون.
حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا حفص بن غياث عن الأعمش عن إبراهيم حدثني الأسود عن عائشة:((أن النبي (ص) اشترى من يهودي دعاما الى أجل ورهنه درعه)).

*** رأي أصحاب كُتب الرجال في الرواة المجروحين في لحديث (2427)، الذي رواه ابن ماجة في كتابه.

*** الأعمش ورتبته: ثقة حافظ لكنه يدلس...[انظر بيانات الأعمش، في الحديث رقم (1926) الذي رواه البخاري].

الإسم: إبراهيم بن يزيد بن قيس ـ الطبقة: الصغرى من التابعين ـ النسب: النخعي ـ الكنية: أبو عمران ـ بلد الإقامة: ... ـ تاريخ الوفاة: (96هـ) ـ الرتبة: ثقة يرسل كثيرا.!!!.

23) *** روى ابن ماجة ـ حديث رقم: [2428] كتاب: الأحكام ـ باب: الرهون.
حدثنا نصر بن علي الجهضمي حدثني أبي حدثنا هشام عن قتادة عن أنس قال: ((لقد رهن رسول الله (ص) درعه عند يهودي بالمدينة فأخذ لأهله منه شعيرا)).

*** رأي أصحاب كُتب الرجال في الرواة المجروحين في لحديث (2428)، الذي رواه ابن ماجة في كتابه.

الإسم: قتادة بن دعامة بن قتادة ـ الطبقة: دون وسطى التابعين ـ النسب: السدوسي ـ الكنية: أبو الخطاب ـ بلد الإقامة: البصرة ـ بلد الوفاة: هيت ـ تاريخ الوفاة: (117هـ) الرتبة: حافظ ثقة ثبت لكنه مدلس ورمي بالقدر.!!!.[انظر رأي أصحاب كتب الرجال في قتادة في الحديث رقم (2325) الذي رواه البخاري والموجود في هذا البحث تحت رقم مسلسل: (7)].

24) *** روى ابن ماجة ـ حديث رقم: [2429] كتاب: الأحكام ـ باب: الرهون.

حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا وكيع عن عبد الحميد بن بهرام عن شهر بن حوشب عن أسماء بنت زيد: ((أن النبي (ص) تُوفي ودرعه مرهونة عند يهودي بطعام)).

*** رأي أصحاب كُتب الرجال في الرواة المجروحين في لحديث (2429)، الذي رواه ابن ماجة في كتابه. شهر بن حوشب: صدوق كثير الإرسال والأوهام.!!![المرسل حديثه ضعيف...!.]

25) *** روى ابن ماجة ـ حديث رقم: [2430] كتاب: الأحكام ـ باب: الرهون.
حدثنا عبد الله بن معاوية الجمحي حدثنا ثابت بن يزيد حدثنا هلال بن خباب عن عكرمة عن ابن عباس: ((أن رسول الله (ص) مات ودرعه رهن عند يهودي بثلاثين صاعا من شعير)).
*** رأي أصحاب كُتب الرجال في الرواة المجروحين في لحديث (2430)، الذي رواه ابن ماجة في كتابه.
عكرمة:[انظر بيانات عكرمة في الحديث رقم (1135) الذي رواه الترمذي في هذا البحث.

(7) ما قيل في درع النبي (ص)

في كتاب: أحمد بن حنب ذكر: أحمد بن حنبل. وحده عن رهن درع النبي: (11) رواية ...؟! من رقم مسلسل (25 - 35)

26) *** روى أحمد بن حنبل ـ حديث رقم: [2005] كتاب: ومن سند بني هاشم ـ باب: بداية سند عبد الله بن العباس.

حدثنا يزيد أخبرنا هشام عن عكرمة عن ابن عباس قال: قبض النبي ودرعه مرهونة عند رجل من يهود الى ثلاثين صاعا من شعير أخذها رزقا لعياله.

*** رأي أصحاب كُتب الرجال في الرواة المجروحين في لحديث (2005)، الذي رواه أحمد بن حنبل في كتابه.
عكرمة: [انظر بيانات عكرمة في الحديث رقم (1135) الذي رواه الترمذي في هذا البحث.
* تخريج الحديث: هذا الحديث أخرجه في كتابه كل من:
الترمذي: في كتاب البيوع عن رسول الله برقم: (1135)، وفي كتاب: الأدب عن رسول الله (2738). والنسائي في كتاب البيوع، برقم: (4572).
وابن ماجة في كتاب الأحكام برقم: (2430).
والدارمي في كتاب البيوع: (2469).

27) *** روى أحمد بن حنبل ـ حديث رقم: [3234] كتاب ومن سند بني هاشم ـ باب: باقي السند السابق.
حدثنا محمد بن جعفر حدثنا هشام عن عكرمة عن ابن عباس قال:

((توفي رسول الله (ص) ودرعه مرهونة عند يهودي بثلاثين صاعا من شعير أخذه طعاما لأهله)).

*** رأي أصحاب كُتب الرجال في الرواة المجروحين في لحديث (3234)، الذي رواه أحمد بن حنبل في كتابه.

عكرمة:[انظر بيانات عكرمة في الحديث رقم: (1135) الذي رواه الترمذي في هذا البحث.
* تخريج الحديث: هذا الحديث أخرجه في كتابه كل من:
الترمذي: في كتاب البيوع عن رسول الله برقم: (1135)، وفي كتاب: الأدب عن رسول الله (2738). والنسائي في كتاب البيوع، برقم: (4572).
وابن ماجة في كتاب الأحكام برقم: (2430).
والدارمي في كتاب البيوع: (2469).

28) *** روى أحمد بن حنبل ـ حديث رقم: [11555] كتاب: باقي سند المكثرين ـ باب: باقي سند أنس بن مالك.
حدثنا محمد بن فضيل أخبرنا الأعمش عن أنس قال:
كانت درع رسول الله (ص) مرهونة ما وجد ما يفتكها حتى مات.

*** رأي أصحاب كُتب الرجال في الرواة المجروحين في لحديث (11555)، الذي رواه أحمد بن حنبل في كتابه.

*** الأعمش ورتبته: ثقة حافظ لكنه يدلس...[انظر بيانات الأعمش، في الحديث رقم (1926) الذي رواه البخاري].

29) *** روى أحمد بن حنبل ـ حديث رقم: [11911] كتاب: باقي سند المكثرين ـ باب: باقي سند أنس بن مالك قال: ((وقد رهن رسول الله (ص) درعا له عند يهودي بالمدينة فأخذ منه شعيرا لأهله)).

*** رأي أصحاب كُتب الرجال في الرواة المجروحين في لحديث (11911)، الذي رواه أحمد بن حنبل في كتابه.

30) *** روى أحمد بن حنبل ـ حديث رقم: [12692] كتاب: باقي سند المكثرين ـ باب: باقي السند السابق.

حدثنا روح وعبد الصمد قالا حدثنا هشام بن أبي عبد الله عن قتادة عن أنس بن مالك قال: ((أنه مشى الى رسول الله بخبز شعير وإهالة سنخة ولقد رهن درعا له عند يهودي فأخذ شعيرا لأهله ولقد سمعته ذات يوم يقول قال عبد الصمد يقولُ قال عبد الصمد يقول ذلك مرارا ما أمسى عند آل محمد صاع بر ولا صاع حب وإن عنده تسع نسوة حينئذ))

*** رأي أصحاب كُتب الرجال في الرواة المجروحين في لحديث (12692)، الذي رواه أحمد بن حنبل في كتابه.

الإسم: قتادة بن دعامة بن قتادة ـ الطبقة: دون وسطى التابعين ـ النسب: السدوسي ـ الكنية: أبو الخطاب ـ بلد الإقامة: البصرة ـ بلد الوفاة: هيت ـ تاريخ الوفاة: (117هـ) الرتبة: حافظ ثقة ثبت لكنه مدلس ورمي بالقدر.!!!.[انظر رأي

أصحاب كتب الرجال في قتادة في الحديث رقم (2325) الذي رواه البخاري والموجود في هذا البحث تحت رقم مسلسل: (7)].

31) *** روى أحمد بن حنبل ـ حديث رقم: [13010] كتاب: باقي سند المكثرين ـ باب: باقي السند السابق.

حدثنا حسن حدثنا شيبان عن قتادة عن أنس بن مالك قال لقد دُعي نبي الله (ص) ذات يوم على خبز شعير وإهالة سنخة قال ولقد سمعته ذات يوم المرار وهو يقول والذي نفس محمد بيده ما أصبح عند آل محمد صاع حب ولا صاع تمر وإن له يومئذ تسع نسوة ولقد رهن درعا له عند يهودي بالمدينة أخذ منه طعاما فما وجد لها ما يفتكها به.

*** رأي أصحاب كُتب الرجال في الرواة المجروحين في لحديث (13010)، الذي رواه أحمد بن حنبل في كتابه.

الإسم: قتادة بن دعامة بن قتادة ـ الطبقة: دون وسطى التابعين ـ النسب: السدوسي ـ الكنية: أبو الخطاب ـ بلد الإقامة: البصرة ـ بلد الوفاة: هيت ـ تاريخ الوفاة: (117هـ) الرتبة: حافظ ثقة ثبت لكنه مدلس ورمي بالقدر.!!!.[انظر رأي أصحاب كتب الرجال في قتادة في الحديث رقم (2325) الذي رواه البخاري والموجود في هذا البحث تحت رقم مسلسل: (7)].

32) *** روى أحمد بن حنبل ـ حديث رقم: [23017] كتاب: باقي سند الأتصار ـ باب: حديث السيدة عائشة.
حدثنا أبو معاوية قال حدثنا الأعمش عن إبراهيم عن الأسود عن عائشة قالت اشترى رسول الله (ص) من يهودي طعاما نسيئة فأعطاه درعا له رهنا.
*** رأي أصحاب كُتب الرجال في الرواة المجروحين في لحديث (23017)، الذي رواه أحمد بن حنبل في كتابه.
الإسم: أبو معاوية ـ الطبقة: الصغرى من التابعين ـ النسب: التميمي السعدي ـ الكنية: أبو معاوية ـ بلد الإقامة: الكوفة ـ تاريخ الوفاة: (195هـ) ـ الرتبة: أحفظ الناس لحديث الأعمش، وقديهم في حديث غيره.!!!.
*** الأعمش ورتبته: ثقة حافظ لكنه يدلس...[انظر بيانات الأعمش، في الحديث رقم (1926) الذي رواه البخاري].

الإسم: إبراهيم بن يزيد بن قيس ـ الطبقة: الصغرى من التابعين ـ النسب: النخعي ـ الكنية: أبو عمران ـ بلد الإقامة: ... ـ تاريخ الوفاة: (96هـ) ـ الرتبة: ثقة يرسل كثيرا.!!!.

33) *** روى أحمد بن حنبل ـ حديث رقم: [24113] كتاب: باقي سند الأتصار ـ باب: باقي السند السابق. أحمد بن حنبل حدثنا يحيى بن زكريا بن أبي زائدة قال أخبرنا الأعمش عن إبراهيم عن الأسود عن عائشة قالت: إن رسول الله (ص) اشترى من يهودي طعاما فرهنه درعه.
*** رأي أصحاب كُتب الرجال في الرواة المجروحين في لحديث (24113)، الذي رواه أحمد بن حنبل في كتابه.
*** الأعمش ورتبته: ثقة حافظ لكنه يدلس...[انظر بيانات الأعمش، في الحديث رقم (1926) الذي رواه البخاري].
الإسم: إبراهيم بن يزيد بن قيس ـ الطبقة: الصغرى من التابعين ـ النسب: النخعي ـ الكنية: أبو عمران ـ بلد الإقامة: ... ـ تاريخ الوفاة: (96هـ) ـ الرتبة: ثقة يرسل كثيرا.!!!.

34) *** روى أحمد بن حنبل ـ حديث رقم: [24744] كتاب: باقي سند الأتصار ـ باب: باقي السند السابق. حدثنا ابن نمير عن الأعمش عن إبراهيم قال حدثني الأسود عن عائشة قالت رهن رسول الله درعا وأخذ منه طعاما.
*** رأي أصحاب كُتب الرجال في الرواة المجروحين في لحديث (24744)، الذي رواه أحمد بن حنبل في كتابه.
*** الأعمش ورتبته: ثقة حافظ لكنه يدلس...[انظر بيانات الأعمش، في الحديث رقم (1926) الذي رواه البخاري].
الإسم: إبراهيم بن يزيد بن قيس ـ الطبقة: الصغرى من التابعين ـ النسب: النخعي ـ الكنية: أبو عمران ـ بلد الإقامة: ... ـ تاريخ الوفاة: (96هـ) ـ الرتبة: ثقة يرسل كثيرا.!!!.

35) *** روى أحمد بن حنبل ـ حديث رقم: [24805] كتاب: باقي سند الأتصار ـ باب: باقي السند السابق. حدثنا يزيد قال أخبرنا سفيان عن الأعمش عن إبراهيم عن الأسود عن عائشة قالت: ((توفى رسول الله (ص) ودرعه مرهونة بثلاثين صاعا من شعير.))
*** رأي أصحاب كُتب الرجال في الرواة المجروحين في لحديث (24805)، الذي رواه أحمد بن حنبل في كتابه.
*** الأعمش ورتبته: ثقة حافظ لكنه يدلس...[انظر بيانات الأعمش، في الحديث رقم (1926) الذي رواه البخاري].
الإسم: إبراهيم بن يزيد بن قيس ـ الطبقة: الصغرى من التابعين ـ النسب: النخعي ـ الكنية: أبو عمران ـ بلد الإقامة: ... ـ تاريخ الوفاة: (96هـ) ـ الرتبة: ثقة يرسل كثيرا.!!!.

36) *** روى أحمد بن حنبل ـ حديث رقم: [26285] كتاب: من مسند القبائل ـ باب: من حديث أسماء ابنة يزيد. ((حدثنا وكيع حدثنا عبد الحميد بن بهرام الفزاري عن شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد مثله.))
*** رأي أصحاب كُتب الرجال في الرواة المجروحين في لحديث (26285)، الذي رواه أحمد بن حنبل في كتابه.
شهر بن حوشب: صدوق كثير الإرسال والأوهام.

37) *** روى أحمد بن حنبل ـ حديث رقم: [26305] كتاب: من مسند القبائل ـ باب: من حديث أسماء ابنة يزيد.
باب: حدثنا هاشم قال حدثني عبد الحميد قال حدثني شهر بن حوشب قال حدثتني أسما بنت يزيد:
((أن رسول الله (ص) توفي يوم توفي ودرعه مرهونة عند رجل من اليهود بوسق من شعير)).
*** رأي أصحاب كُتب الرجال في الرواة المجروحين في لحديث (26305)، الذي رواه أحمد بن حنبل في كتابه.
شهر بن حوشب: صدوق كثير الإرسال والأوهام.

(8) ما قيل في درع النبي (ص)

في كتاب ومالك. [مولود 93/91 هـ ـ وتوفي 179 هـ]

لم يذكر مالك روايات عن رهن درع النبي عليه الصلاة والسلام...؟!

(9) ما قيل في درع النبي (ص)

في كتاب الدارمي ذكر الدارمي . ةحده عن رهن درع النبي: (رواية واحدة)...؟! رقم مسلسل (37).

38) *** روى الدارمي [2469] كتاب: البيوع - باب: الرهن.
أخبرنا يزيد بن هارون حدثنا هشام عن عكرمة عن ابن عباس قال:
توفي رسول الله (ص) وإن درعه لمرهونة عند رجل من اليهود بثلاثين صاعا من شعير.
*** رأي أصحاب كُتب الرجال في الرواة المجروحين في الحديث (2469)، الذي رواه الدارمي في كتابه.

الخلاصة:

يتضح مما سبق أن رواية رهن درع النبي عند يهودي هي من تلفيق الرواة الذين أرادوا أن ينسبوا لمحمد الذهد والنسك وهي ضمن غيرها من دواعي الأسطرة.

45 ـ قدسية الحجر الأسود

الحجر الأسود لم ينزل من الجنة بل هو منحوت بيد البشر

صحيح البخاري 15078 حدثنا عبد الصمد حدثنا ثابت يعنى أبا زيد حدثنا هلال يعني ابن خباب عن مجاهد عن مولاه أنه حدثه أنه كان فيمن يبني الكعبة في الجاهلية قال ولي حجر أنا نحته بيدي أعبده من دون الله تبارك وتعالى فأجيء باللبن الخاثر الذي أنفسه على نفسي فأصبه عليه فيجيء الكلب فيلحسه ثم يشغر فيبول فبنينا حتى بلغنا موضع الحجر وما يرى الحجر أحد فإذا هو وسط حجارتنا مثل رأس الرجل يكاد يتراءى منه وجه الرجل فقال بطن من قريش نحن نضعه وقال آخرون نحن نضعه فقالوا اجعلوا بينكم حكما قالوا أول رجل يطلع من الفجُ فجاء النبي (ص) فقالوا أتاكم الأمين فقالوا له فوضعه في ثوب ثم دعا بُطونهم فأخذوا بنواحيه معه فوضعهُ هو صلى الله عليه وسلم.

وفي تاريخ الإسلام للذهبي الجزء الأول الصفحة 77:

وكان بين بنيان الكعبة وبين ما أنزل عليه خمس سنين. هذا حديث صحيح. وقد روى نحوه داود العطار عن ابن خثيم. ورواه محمد بن كثير المصيصي عن عبد الله بن واقد عن عبد الله ابن عثمان بن خثيم عن نافع بن سرجس قال: سألت أبا الطفيل فذكر نحوه. وقال عبد الصمد بن النعمان: حدثنا ثابت بن يزيد ثنا هلال بن خباب عن مجاهد عن مولاه أنه حدثه أنه كان فيمن يبني الكعبة في الجاهلية قال: ولي حجر أنا نحته بيدي أعبده من دون الله فأجيء باللبن الخاثر الذي أنفسه على نفسي فأصبه عليه فيجيء الكلب فيلحسه ثم يشغر فيبول فبنينا حتى بلغنا الحجر وما يرى الحجر منا أحد فإذا هو وسط حجارتنا مثل رأس الرجل يكاد يتراءى منه وجه الرجل فقال بطن من قريش: نحن نضعه وقال آخرون: بل نحن نضعه. فقالوا له فوضعه في ثوب ثم دعا بطونهم فأخذوا بنواحيه معه فوضعه هو. اسم مولى مجاهد: السائب بن عبد الله.

الأحجار السوداء إما نيزكية أو بركانية:

تشترك جميع كعبات الجزيرة في صفتين أساسيتين؟ فجميعها أبنية مكعبة؟ وجميعها أطر لأحجار سوداء، وقد قال الدكتور القمني في كتابه الحزب الهاشمي: أن هذه الأحجار إما نيزكية أو بركانية؟ وإن سبب اسوداد لونها هو عوامل الإحتراق التي تعرضت لها؟ وإن سبب تقديس هذه الأحجار هو كونها آتية من عالم مجهول؟ فالحجر البركاني مقذوف ناري من باطن الأرض؟ وما صيغ حوله من أساطير قسمته طبقات ودرجات واحتسبته علما لأرواح السالفين المقدسين؟ كذلك الحجر النيزكي؟ وربما كان أكثر جلالا؟ لكونه يصل الى الأرض وسط مظاهرة احتفالية سماوية تخلب لب البدوي المبهور (الحزب الهاشمي ـ د. القمني ص 21و22)، لهذا الرأي له شواهد في كتب التراث بل وفي القرآن؟ إذ يقول في سورة الجنة 72:9 وأنا كنا نقعُدُ منها مقاعِد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا، وفي كتب السيرة نجد الكثير عن تلك الشهب (أو النيازك) التي كانت ترمي بها الشياطين (السيرة الحلبية ـ ج2 ص 335 وما بعدها) وعلى هذا الأساس ترجع تسمية الكعبات؟ ببيوت الله ـ كما ذكر د. القمني ـ فهذه الأحجار تأتي لهم من عند إله السماوات؟ فجعلوا لها بيوتا؟ وقدسوها؟ وعظموها وحجوا إليها؟ ظنا منهم بأنهم هكذا إنما يزورون الله في بيته ممثلا في هذه الأحجار السوداء التي تسقط عليهم من السماء ولكنها في البداية والنهاية عبادة أحجار.

قصي بن كلاب هو أول من أظهر الحجر الأسود:

ويذكر العلامة جواد علي جواد على المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ـ د. جواد علي ص 398:" وفي رواية: إن قصيا هو أول من أظهر " الحجر الأسود"، وكانت " إياد" دفنته في جبال مكة، فرأتهم امرأة حين دفنوه، فلم يزل " قصي" يتلطف بتلك المرأة جتى دلته على مكانه، فأخرجه من الجبل، واستمر عند جماعة من قريش يتوارثون حتى بنت قريش الكعبة فوضعوه بركن البيت، بازاء باب الكعبة في آخر الركن الشرقي".

كان العرب يعبدون الحجارة:

صحيح البخاري ـ باب المغازي ـ وفد نبي حنيفة وحديث تمامة بن أنال ـ ح 4027:

حدثنا الصلت بن محمد قال سمعت مهدي بن ميمون قال سمعت أبا رجاء العطاردي يقول كنا نعبد الحجر فإذا وجدنا حجرا هو أخير منه ألقيناه وأخذنا الآخر فإذا لم نجد حجرا جمعنا جثوة من تراب ثم جئنا بالشاة فحلبناه عليه ثم طفنا به فإذا دخل شهر رجب قلنا منصل الأسنة فلا ندع رمحا فيه حديدة ولا سهما فيه حديدة إلا نزعناه وألقيناه شهررجب وسمعت أبا رجاء يقول كنت يوم بعث النبي (ص) غلاما أرعى الإبل على أهلي فلما سمعنا بخروجه فررنا الى النار الى مسيلمة الكذاب.

لم يكن الحجر الأسود هو الوحيد الذي عبده العرب الوثنيين:

الفقرة التالية للمؤرخ العلامة جواد علي في موضع آخر من كتاب المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثانية الجزء الثالث 1980م الفصل السبعون أصنام الكتابات ص 739 وأما " هفلس" "

ها ـ فلس "، فإنه " الفلس"، عند أهل الأخبار. وقد ذكروا أنـه كـان علـى هيـأة حجر أسود تعبدت لـه " سليم"، أو علـى صورة إنسان قد من حجر عند " طيء".

ويقول في صفحة 681:

وأما ال Fetishism من أصل Factitus، بمعنى السحر، أي القوة المؤثرة الخفيـة، Magic، فللبـاحثين فـي تـأريخ الأديـان آراء متعددة في تعريفها وفي تثبيت حدودها. والرأي الغالب الشائع بينهم انها عِبادة أو تقديس للأشياء الماديـة الجامـدة التي لا حياة فيها لإعتقاد أصحابها بوجود قوة سحرية فيها؛ وقوى غير منظورة في تلك الأشياء تلازمها ملازمـة مؤقتة أو دائمة. ويحمل Fetish " البد" لجلب السعد الى صاحبه. وهو في نظر " تيلور"Dr. Tylot بمثابـة " إلـه البيت" وقوة فاعلة خفية تطرد الخبائث. عن صاحبه، وتجلب الخير لـه. ولحدوث الأحلام ونشوئها في نظر الأقوام البدائيـة دخل كبير في رأي العلماء في ظهور هذه العقيدة. وأصحاب هذه العقيدة لا ينظرون الى تلك الأشياء الماديـة على انها نفسها ذات قوة فعالة خفية، وانها الرمز أو الصورة للأله المنسوب ذلك الشيء إليه، بل هم يرون أن تلك الأشياء ليست سوى منازل أو مواضع لإستقرار تلك القوة المؤثرة التي يكون لها دخل في إسعاد الإنسان، وهو يقدس الأشياء الماديـة كالحجارة مهما كانت صغيرة أو كبيرة، مهندمة ومصقوله صقلتها يد الإنسان، ومستها أو لم تمسها يد، بل كانت علـى نحو ما وجدها في شكلها الطبيعي لأنه حينما يتقرب الـى تلك الحجـارة، لا يتقرب إليها نفسها، بل يتقرب الـى الـروح التي تحل فيها. فالروح هي المعبودة، لا الحجر الذي تحل الروح فيه، وليس الحجر أو المواد الأخرة إلا بيتـا أو فندقا تنزل الروح فيه. ولم يذكر " ابن الكلبي" العوامل التـي دفعت بعبدة الأحجـار الـى اختيـار أربعـة أحجـار مـن بين عدد عديد من الأحجـار، ثـم اختيـار حجر واحد من بين هذه الأحجـار الأربعـة المختـارة. فهل أخـذ هذا العدد من نظريـة العناصر الأربعة التي وضعها الفيلسوف " امبدوكلس" "Emedokles" 490 - 430 قبل الميلاد". نظرية أن الكون قد تكون من عناصر أربعة هي: النار، والماء، والهواء، والتراب، فكانوا يختارون لذلك أربعة أحجـار، تمثـل هذه القوى الأربع المكونة على رأي الناس في " ذلك الوقت لأساس الكون ثم يختارون حجرا واحد من بينهـا يكون أحسنها وأجملها، ليكون رمزا لها، وممثلا للاله. وقد كان من الجاهليين من يختار الأحجار الغريبة فيتعبد لها فـإذا رأوا حجـرا أحسن وأعجب تركوا الحجارة القديمة وأخذوا الحجارة الجديدة. قال ابن دريد: " الحارث بن قيس: وهو الذي كـان إذا وجد حجرا أحسن من حجر أخذه فعبده. فهذه هي عبادة الأحجار عند الجاهلين.

<u>أساطير حول الحجر الأسود:</u>

<u>الحجر الأسود من حجارة الجنة:</u>

أخرج الأزرقي عن الشعبي قال: لما أمر إبراهيم أن يبني البيت وانتهى الى موضع الحجر قال لإسماعيل: ائتني بحجـر ليكون علما للناس يبتدئون منه الطواف، فأتاه بحجر فلم يرضه، فأتى إبراهيم بهذا الحجر ثم قال: أتاني به من لم يكلنـي الى حجرك.

وأخرج الأزرقي عن عبد الله بن عمرو أن جبريل عليـه السـلام هو الـذي نـزل عليـه بـالحجر مـن الجنـة، وأنـه وضـعه حيث رأيتم، وأنكم لن تزالوا بخير ما دام بين ظهرانيكم، فتمسكوا به ما استطعتم فإنـه يوشك أن يجـيء فيرجـع بـه الـى حيث جاء بـه. وأخـرج أحمد والترمذي وصححه ابن خزيمـة عن ابن عبـاس قـال: قـال رسـول الله (ص)" نـزل الحجـر الأسود من الجنة وهو أشد بياضا من اللبن، فسودته خطايا بنـي آدم". وأخرج البزار عن أنس عن رسـول الله قـال " الحجر الأسود من حجارة الجنة". وأخرج الأزرقي والجندي عن مجاهد قال: الركن من الجنـة، ولـو لـم يكـن مـن الجنـة لفني. وأخرج الأزرقي والجندي عن ابن عباس عن النبي قال:" لولا ما طبع من الركن من أنجاس الجاهليـة وأرجاسـها وأيدي الظلمة والأثمة لإستشفى به من كل عاهة، ولألقاه اليوم كهيئتـه يوم خلقـه الله وإنمـا غيـره الله بالسـواد لـئلا ينظـر أهل الدنيا الى زينة الجنة، وإنه لياقوتة بيضاء من ياقوت الجنة، فوضعه الله يومئذ لآدم حين أنزلـه فـي موضـع الكعبـة قبل أن تكون الكعبة، والأرض يومئذ طاهرة لم يعمل فيها بشيء من المعاصـي ولـيس لهـا أهل ينجسـونها، ووضـع لهـا صفا من الملائكة على أطراف الحرم يحرسونه من جـان الأرض، وسكانها يومئذ الجن ولـيس ينبغـي لهـم أن ينظـروا إليه لأنه من الجنة، ومن نظر الى الجنة دخلها، فهم على أطراف الحـرم حيث أعلمـه اليوم محدقون بـه مـن كل جانـب بينه وبين الحرم.

وأخرج أبو الشيخ فـي العظمـة عن ابن عبـاس. أن رسـول (ص)الله قـال: إن البيت الـذي بـوأه الله لآدم كـان مـن ياقوتـة حمراء لهـا بابـان أحدهما شرقي والآخـر غربـي، فكـان فيهـا قناديل مـن نـور الجنـة، آنيتهـا الـذهب منظومـة بنجـوم مـن ياقوت أبيض، والركن يومئذ نجم من نجومه، ووضع لها صفا من الملائكة على أطراف الحرم، فهم اليوم يـذبون عنـه لأنه شيء من الجنة، لا ينبغي أن ينظر إليه إلا من وجبت له الجنة ومن نظر إليهـا دخلهـا، وإنمـا سـمي الحـرم لأنهـم لا يجاوزونه، وإن الله وضع البيت لآدم حيث وضعه والأرض يومئذ طاهـرة لم يعمل عليهـا شـيء مـن المعاصـي، ولـيس لها أهل ينجسونها، وكان سكانهاالجن".

<u>الحجر الأسود يمين الله:</u>

وأخرج الجندي عن ابن عبـاس قـال: الحجـر الأسـود يمين الله فـي الأرض، فمـن لـم يـدرك بيعـة رسـول الله (ص) فاسـتلم الحجر فقد بايع الله ورسوله.

وأخرج الأزرقي والجندي عن ابن عباس قال: إن هذا الركن الأسود يمين الله في الأرض يصافح به عباده.

وأخرج الأزرقي عن ابن عباس قال: ليس في الأرض من الجنة إلا الركن الأسود والمقام، فهما جوهرتان من جوهر الجنة، ولولا ما مسهما من أهل الشرك ما مسهما ذو عاهة إلا شفاه الله تعالى.

وأخرج الأزرقي عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: نزل الركن وإنه لأشد بياضا من الفضة، ولولا ما مسه من أنجاس الجاهلية وأرجاسهم ما مسه ذو عاهة إلا برئ.

وأخرج الأزرقي عن عائشة قالت: قال رسول الله (ص)" أكثروا استلام هذا الحجر فإنكم توشكون أن تفقدوه، بينما الناس يطوفون به ذات ليلة إذ أصبحوا وقد فقدوه، إن الله لا ينزل شيئا من الجنة إلا أعاده فيها قبل يوم القيامة.

وأخرج الأزرقي عن يوسف بن ماهك قال: إن الله جعل الركن عيد أهل هذه القبلة كما كانت المائدة عيدا لبني إسرائيل، وإنكم لن تزالوا بخير ما دام بين ظهرانيكم، وأن جبريل عليه السلام وضعه في مكانه.

وأخرج الأزرقي عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: إن الله يرفع القرآن من صدور الرجال والحجر الأسود قبل يوم القيامة.

وأخرج الأزرقي عن مجاهد قال: كيف بكم إذا أسرى بالقرآن فرفع من صدوركم، ونسخ من قلوبكم، ورفع الركن؟

وأخرج الأزرقي عن عثمان بن ساج قال: بلغني أن النبي (ص) قال" أول ما يرفع الركن والقرآن ورؤيا النبي في المنام".

وأخرج ابن أبي شيبة والطبراني عن عبد الله بن عمرو قال: حجوا هذا البيت واستلموا هذا الحجر، فوالله ليرفعن أو ليصيبه أمر من السماء، إن كانا لحجرين إهبطا من الجنة فرفع أحدهما وسيرفع الآخر، وإن لم يكن كما قلت فمن مر على قبري فليقل هذا قبر عبد الله بن عمرو الكذاب.

وأخرج الحاكم وصححه والبيهقي في شعب الإيمان عن ابن عمر قال:" استقبل النبي (ص) الحجر فإستلمه، ثم وضع شفتيه عليه يبكي طويلا، فالتفت فإذا بعمر يبكي فقال: يا عمر ههنا تسكب العبرات".

وأخرج الطبراني عن ابن عباس قال: قال رسول الله (ص)" الحجر الأسود من حجارة الجنة، وما في الأرض من الجنة غيره وكان أبيض كالمهاة، ولولا ما مسه من رجس الجاهلية ما مسه ذو عاهة إلا برئ ".

وأخرج الطبراني عن ابن عمر قال: نزل الركن الأسود من السماء فوضع على أبي قبيس كأنه مهاة بيضاء، فمكث أربعين سنة ثم وضع على قواعد إبراهيم.

<u>الحجر الأسود طمس من لمس العرب الوثنيين دليل على أنه ليس قوة إلهية إنما هو حجر لا يضر ولا ينفع:</u>

وأخرج الأزرقي عن عكرمة قال: الركن ياقوتة من يواقيت الجنة والى الجنة مصيره. قال: وقال ابن عباس: لولا ما مسه من أيدي الجاهلية لأبرأ الأكمة والأبرص.

وأخرج الأزرقي عن ابن عباس قال: أنزل الله الركن والمقام مع آدم عليه السلام ليلة نزل بين الركن والمقام، فلما أصبح رأي الركن والمقام فعرفهما فضمهما وأنس بهما.

وأخرج الأزرقي عن أبي بن كعب عن النبي (ص) قال: الحجر الأسود نزل به ملك من السماء".

وأخرج الأزرقي عن ابن عباس قال: أنزل الله الركن الأسود من الجنة وهو يتلألأ تلألؤا من شدة بياضه، فأخذه آدم فضمه إليه أنسا به.

وأخرج الأزرقي عن ابن عباس قال: نزل آدم من الجنة ومعه الحجر الأسود متأبطه، وهو ياقوتة من يواقيت الجنة، ولولا أن الله طمس ضوءه ما استطاع أحد أن ينظر إليه، ونزل بالباسة ونخلة العجوة. قال أبو محمد الخزاعي: الباسة آلات الصناع.

وأخرج الأزرقي عن ابن عباس قال: أن عمر بن الخطاب سأل كعبا عن الحجر الأسود فقال: مروة من مرو الجنة.

وأخرج الأزرقي عن ابن عباس قال: لولا أن الحجر تمسه الحائض وهي لا تشعر والجنب وهو لا يشعر، ما مسه أجذم ولا أبرص إلا برئ.

وأخرج الأزرقي عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: كان الحجر الأسود أبيض كاللبن، وكان طوله كعظم الذراع وما أسود ألا من المشركين كانوا يمسحونه، ولولا ذلك ما مسه ذو عاهة إلا برئ.

وأخرج الأزرقي عن عثمان بن ساج قال: أخبرني ابن نبيه الحجبي عن أمه أنها حدثته، أن أباها حدثها: أنه رأى الحجر قبل الحريق وهو أبيض يتراءى الإنسان فيه وجهه. قال عثمان: وأخبرني زهير: أنه بلغه أن الحجر من رضراض ياقوت الجنة، وكان أبيض يتلألأ فسوده أرجاس المشركين وسيعود الى ما كان عليه، وهو يوم القيامة مثل أبي قبيس في العظم، له عينان ولسان وشفتان يشهد لمن استلمه بحق، ويشهد على من استلمه بغير حق.

وأخرج خزيمة عن ابن عباس قال: قال رسول الله (ص)" الحجر الأسود ياقوتة بيضاء من يواقيت الجنة وإنما سودته خطايا المشركين، يبعث يوم القيامة مثل أحد يشهد لمن استلمه وقبله من أهل الدنيا".

<u>الحجر الأسود سيكون له عينان ولسان ويشهد هذا بعينه عبادة الوثن:</u>

وأخرج أحمد والترمذي وحسنه وابن ماجه وابن خزيمة وابن حبان وابن مردويه والبيهقي في شعب الأيمان عن ابن عباس ع النبي (ص) قال: إن الله يبعث الركن الأسود له عينان يبصر بهما، ولسان ينطق به، يشهد لمن استلمه بحق".

وأخرج الأزرقي عن سلمان الفارسي قال: الركن من حجارة الجنة، أما والذي نفس سلمان بيده ليجيئن يوم القيامة له عينان ولسان وشفتان، يشهد لمن استلمه بالحق.

يمين الله حجر يصافح بها خلقه فما بالك بباقي جسم الله بلا شك سيكون صنم:

وأخرج الأزرقي عن ابن عباس قال: الركن يمين الله في الأرض يصافح بها خلقه، والذي نفسي بيده ما من امرئ مسلم يسأل الله عنده شيئا إلا أعطاه إياه.

وأخرج ابن ماجه عن عطاء بن أبي رباح. أنه سئل عن الركن أسود فقال: حدثني أبو هريرة أنه سمع رسول الله (ص) يقول: من فاوضه فإنما يفاوض يد الرحمن".

وأخرج الترمذي وحسنه والحاكم وصححه والبيهقي في شعب الإيمان عن ابن عباس قال: قال رسول الله (ص)" إن لهذا الحجر لسانا وشفتين، يشهد لمن استلمه يوم القيامة بحق".

وأخرج ابن خزيمة والطبراني في الأوسط والحاكم والبيهقي في الأسماء والصفات عن عبد الله بن عمرو" أن رسول الله (ص) قال: يأتي الركن يوم القيامة أعظم من أبي قبيس له لسان وشفتان، يتكلم عن من [إستلمه؟؟].

وأخرج الطبراني في الأوسط عن عائشة قالت: قال رسول الله (ص)" اشهدوا هذا الحجر خيرا فإنه يأتي يوم القيامة، شافع مشفع، له لسان وشفتان يشهد لمن استلمه".

المسلمين في بداية عهدهم كانوا يرائون (من الرياء) المشركين ويطوفون معهم حول الحجر الأسود وظلوا حتى اليوم يرائون أنفسهم والحقيقة أنهم بطوافهم حول الحجر الأسود إنما يعبدون الوثن (الأنصاب):

صحيح البخاري حديث رقم 1502:

حدثنا سعيد بن أبي مريم أخبرنا محمد بن جعفر بن أبي كثير قال أخبرني زيد بن أسلم عن أبيه أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال للركن أما والله إني لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا أني رأيت النبي (ص) استلمك ما استلمتك فإستلمه ثم قال فما لنا وللرمل إنما كنا راءينا به المشركين وقد أهلكهم الله ثم قال شيء صنعه النبي (ص) فلا نحب أن نتركه.

الحك في العرب قبل الأسلام:

وقد جاء في كتاب (الملل والنحل، أبي القاسم الشهرستاني، ص 247) " إنه كان يمارس في الحج طقس غريب وهو الإحتكاك بالحجر الأسود". ويفسر الدكتور سيد القمني في كتابه الموسوم ب (الأسطورة والتراث، سينا للنشر، ص 127) سر الإحتكاك بالحجر الأسود بقوله:" وهناك رواية إسلامية: إن الحجر الأسود كان أبيض ولكنه أسود من مس الحيض في الجاهلية. أي أنه كان هناك طقس لدى الجاهليين تؤديه النساء في الحجر، وهو مس الحجر الأسود بدماء الحيض، ودماء الحيض بالذات؟!! وقد كان دم الحيض عند المرأة في اعتقاد الأقدمين هو سر الميلاد، فمن المرأة الدم، ومن الرجل المني، ومن الإله الروح ...".

يذكر كليمنضوس الإسكندراني عام 190 للميلاد أن " العرب يعبدون حجرا" ملمحا الى الحجر الأسود لذي الشر (ذو الشرى هو الإله القومي للأنباط. المترجم) في البتراء. ماكسيموس تيريوس كتب في القرن الثاني قائلا:" سكان العربية يتوجهون بالعبادة الى ما لا أعرف أي إله هو، والذي يرمزون إليه بحجر مكعب"، وهو يلمح الى الكعبة التي تحتوي على الحجر الأسود. قدم الحجر الأسود الكبير مشهود له أيضا من معرفتنا أن الفرس القدامى يدعون أن ماهابد وخلفاءه تركوا الحجر الأسود في الكعبة بالإضافة الى آثار وصور أخرى، وأن الحجر يرمز الى زحل.

46 ـ تعريف الصحابي

يتناول الأستاذ إبراهيم فوزي هذا الموضوع
في كتابه " تدوين السنة" فيقول:

يتفق الفقهاء على أن من شروط الحديث الصحيح أن يكون اسناده متصلا بين الراوي والصحابي الذي سمعه من النبي (ص). ويسمى بالحديث المتصل.

يقول الخطيب البغدادي:" كل حديث اتصل اسناده بين من رواه وبين النبي (ص) لم يلزم العمل به إلا بعد ثبوت عدالة رجاله، سوى الصحابي الذي رفعه الى النبي (ص). لأن عدالة الصحابة ثابتة ومعلومة بتعديل الله لهم، وإخباره عن طهارتهم، واختياره لهم في نص القرآن"(1).

وقد قامت خلافات على تعريف الصحابة. وفي كتب الحديث ثلاث تعريفات للصحابة هي:

التعريف الأول: هو تعريف البخاري، الذي ورد في كتابه " الصحيح": " كل من صحب النبي (ص) أو رآه من المسلمين فهو من أصحابه" (2). وقد أخذ بهذا الرأي أحمد بن حنبل في مسنده فقال: " كل من صحب رسول الله سنة أو شهرا أو يوما أو ساعة، أو رآه فهو من أصحابه، وله من الصحبة قدر ما صحبه".

التعريف الثاني: وهو التعريف الذي قاله عبد الله بن عمر بن الخطاب. وهو" كل من رأى رسول الله وقد أدرك سن الحلم وأسلم وعقل الدين ورضيه فهو عندنا من أصحابه ولو ساعة من نهار"(3).

وقد أخذ بهذا التعريف الواقدي، وهو يشترط أن يكون الصحابي عند وفاة رسول الله قد أدرك سن الحلم، وبموجب هذا التعريف لا يعتبر من كانوا دون سن البلوغ عند وفاة رسول الله من الصحابة. كعبد الله بن عباس وغيره.

التعريف الثالث: وهو التعريف الذي ذكره التابعي سعيد بن المسيب، المتوفي سنة 94هـ، ويقول فيه: " لا يعتبر من الصحابة إلا من أقام مع رسول الله سنة أو سنتين، وغزوا معه غزوة أو غزوتين"(4).

ويؤيد الغزالي هذا التعريف فيقول:" إن الصحابة فسروا معنى الصحابة بمن كثرت صحبته للنبي(ص)"(5).

ويلخص الخطيب البغدادي ما تعارف عليه المسلمون قديما في تعريف الصحابة فيقول:" تقرر الأمة، وهو عرف، وهو انهم لا يستعملون تسمية الصحابة إلا لمن كثرت صحبته للنبي (ص). وكثر لقاؤه معه. ولا يجوز ذلك على من لقبه ساعة، أو سمع منه حديثا"(6).

ولكن الخطيب البغدادي نفسه يعود فيقول:" إن الخبر عن الثقة الأمين المأمون مقبول ويعمل به، وإن لم تطل صحبته للنبي (ص)، ولا سمع منه إلا حديثا واحدا"(7).

ويقول أبو زرعة الرازي:" توفي رسول الله وكان من رآه وسمع منه يزيد على المئة ألف إنسان من رجل وامرأة وطفل. وكلهم روى عنه سماعا أو رؤية"(8).

وكلمة صحابة كانت في عرف الصحابة أنفسهم، تعني المهاجرين والأنصار من أهل المدينة، وهم الذين ذكرهم القرآن في آيات عديدة منها الآية:{ **والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقا}** (9). والآية { **والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار}** (10).

أما الذين أسلموا بعد فتح مكة، وكانوا ممن حاربوا النبي (ص) قبل فتحها، فلا يعتبرون من الصحابة، وهم الذين نعتهم القرآن بالكفار في سورة الفتح { **محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم}** (11). وقالوا إن إسلامهم بعد أن غلبوا على أمرهم لا يجعلهم من الصحابة. ولا يعتبرون عدولا فيما نقلوه عن النبي (ص) من أحاديث إلا بعد البحث عن عدالتهم.

يقول شارح مسلم: الثبوت " إن الإشتباه هو في مسلمي ما بعد الفتح، فإن بعضهم هم من المؤلفة قلوبهم، وهم موضع خلاف". وقد بقي العرف بعد وفاة النبي (ص) قائما على إعتبار المهاجرين والأنصار، الذين نص عليهم القرآن، هم وحدهم الذين تطلق عليهم كلمة الصحابة. وقد أخذ المسلمون بهذا العرف في إجتماع سقيفة بني ساعدة، الذي تم فيه اختيار أبي بكر خليفة للمسلمين. فلم يشارك في هذا الإجتماع سوى المهاجرين والأنصار من أهل المدينة. أما غيرهم من سائر العرب في مكة والجزيرة العربية، فقد أبعدوا عن الشورى، ولم يؤخذ رأيهم في اختيار خليفة رسول الله، ولم يعتبروا من الصحابة.

ولكن البخاري ومسلما، خرجا على نص القرآن في تعريف الصحابة أنهم { **السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار}** والذين { **آمنوا من بعد وهاجروا في سبيل الله والذين آووا ونصروا** } فساووا بينهم وبين من أسلموا بعد الفتح، وساووا بينهم وبين المنافقين والمؤلفة قلوبهم، فاعتبروهم جميعا من الصحابة.

إن نظرية البخاري في تعريف الصحابة بقوله:" كل من رأى النبي من المسلمين فهو من الصحابة" هي نظرية فاسدة ولا مؤيد لها من القرآن ولا من السنَّة. وهي مخالفة لمعنى الصحبة في اللغة. فالصحبة في اللغة تعني المرافقة أو المعاشرة. وأما المشاهدة والرؤية وسماع الحديث فلا تسمى صحبة. والقرآن مليء بأخبار المنافقين والسفهاء من أهل المدينة الذين رأوا النبي (ص) وسمعوا حديثه ولم يكونوا من أصحابه، وقد جاء ذمهم في القرآن الكريم في آيات عديدة منها الآية: { **ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم**} (12).

وفي القرآن سورة للمنافقين (رقم 63) تحدثت عنهم، وجاء في مطلعها: { **إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد أن المنافقين لكاذبون. اتخذوا أيمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله أنهم ساء ما كانوا يعملون**}.

وجاء في سورة الأحزاب: { **لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها إلا قليلا** } (13).

وجاء في سورة التوبة: {**يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين وأغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير**} (14). وهذه الآية اعتبرت الكفار والمنافقين في مرتبة واحدة وأمرت النبي (ص) بجهادهم.

وإذا كان القرآن يقول: { **والله يشهد أن المنافقين لكاذبون** } وينعتهم بالفسق في قوله تعالى: { **إن المنافقين هم الفاسقون** } (15)، وبالخداع بقوله تعالى: { **إن المنافقين يخادعون الله** } (16). وهؤلاء جميعا شاهدوا النبي (ص) وسمعوا أحاديثه، فهل يصح أن نعتبرهم من الصحابة حسب تعريف البخاري؟

ويظهر فساد نظرية البخاري في تعريف الصحابة أنه اعتبر من كانوا في سن الصغر، وقبل ادراكهم سن الحلم، هم من الصحابة، وروى لهم الأحاديث التي قالوا أنهم سمعوها من النبي (ص)، كعبد الله بن عباس. فقد نقل البخاري عنه أنه قال:" توفى رسول الله وأنا ابن عشر سنين مختونا". وفي رواية ثانية للبخاري، يقول عبد الله بن عباس:" توفي رسول الله وأنا ابن عشر سنين وقد قرأت المحكم. قيل له وما المحكم؟ قال: المفصل"(17).

وعبد الله بن عباس هو جد العباسيين، وكان يسرهم رواية الحديث عنه، وهذا ما يفسر كثرة الأحاديث المروية عنه والتي قال أنه سمعها من رسول الله، وذلك لتدعيم حكمهم في صراعهم على السلطة مع الطالبيين، (أتباع علي بن أبي طالب). وقد بلغت الأحاديث المروية ع ابن عباس 1660 حديثا منها 234 في صحيحي البخاري ومسلم. وبعض هذه الأحاديث تنسخ أحكام القرآن كحديث (ألحقوا الفرائض بأهلها فما بقي فهى لأوْلى رجل ذكر) (18). هذا الحديث نسخ أحكام القرآن وأعاد جانبا من أحكام الإرث الى العصر الجاهلي، حيث كانوا يورثون الذكور ويحرمون الاناث من الميراث.

وعبد الله بن عباس لم يكن يعرف النبي (ص) ولا اجتمع به قبل فتح مكة في السنة الثامنة للهجرة. فقد كان عند الفتح طفلا في الثامنة من عمره، يقيم في مكة مع أبيه العباس الذي لم يهاجر الى المدينة مع من هاجروا إليها. وقد عرف ابن عباس النبي (ص) واجتمع به عند الفتح.

ويقول ابن عباس – كما يروي البخاري: " لقد ضمني النبي (ص) وقال : (اللهم علمه الكتاب) (19). وقد عاد النبي (ص) بعد الفتح الى المدينة وبقى ابن عباس مع والده في مكة الى أن جاء الى المدينة قبيل وفاة رسول الله، فأين هي صحبة ابن عباس للنبي (ص)..؟

وروى البخاري عن ابن عباس أنه قال:" والله الذي لا إله غيره ما نزلت سورة من كتاب الله إلا وأنا أعلم أين نزلت، ولا نزلت آية من كتاب الله إلا أنا أعلم فيما نزلت"(20). وبالإستناد الى هذا الحديث أطلقوا على ابن عباس لقب ترجمان القرآن. وهذا القول، أي أنه كان يعلم عن كل آية أين نزلت وفيما نزلت، إنما هو كذب وافتراء. فقد استمر الوحي ثلاث عشرة سنة في مكة وعشر سنين في المدينة، فكيف علم بنزول جميع آيات القرآن، وكان ابن عشر سنين عند وفاة رسول الله ..؟

وذهب عدد من علماء الحديث الى القول أن ابن عباس لم يسمع من النبي (ص) شيئا. وقال آخرون أنه لم يسمع سوى أربعة أحاديث.

ويقول: لقد بلغ عدد الأحاديث التي رويت لابن عباس 1660 حديثا. وله في مسند أحمد بن حنبل 1696 حديثا (21).

ومن بين الذين رويت لهم أحاديث عن النبي (ص)، وكانوا في سن الصغر، النعمان بن بشير وكان عمره، عند وفاة رسول الله، ثماني سنين. يقول التابعي يحيى بن معين أن أهل المدينة ينكرون أن يكون قد سمع شيئا من النبي (ص) (22).

ومنهم محمود بن الربيع وكان عمره عند وفاة رسول الله خمس سنين. ومنهم عبد الله بن الزبير وكان عمره تسع سنين. ومسلمة ابن مخلد الصامت وكان عمره عشر سنين. والمسور بن مخرمة وكان ابن ثماني سنين. وعمر بن أبي مسلمة وكان ابن تسع سنين. والحسن بن علي وكان ابن ثمان وأخوه الحسين وكان ابن سبع. وأبو الطفيل الكناني وكان ابن ثماني سنوات (23).

أما كيف قبلت رواية الأحاديث عن رسول الله من أطفال غير مدركين، ولم يبلغوا سن الحلم، فهذه من التناقضات في علم الحديث. فأغلب العلماء يشترطون في الراوي، عند تحمل الحديث، أن يكون عاقلا ومدركا وواعيا لما يسمع، ومن دون ذلك لا يمكنه التحدث بما سمعه، ولا الإفضاء به الى غيره، من دون زيادة ولا نقصان.

ويقول التابعي يحيى بن معين:" إن حد الغلام في الحديث أربع عشرة سنة". ويقول يزيد بن هارون:" مقدار الغلام عندنا في الحديث عشرة سنة" (24).

ويحاول بعض المؤلفين أن يبرروا صدور أحاديث عن أشخاص كانوا في سن الصغر، عند وفاة رسول الله. فيقولون عنهم أنهم قد يكونون سمعوها من غيرهم من الصحابة، ونسبوا سماعها الى أنفسهم، ولم يذكروا أسماء من سمعوها منهم. وهذا القول يُعد في علم الحديث تدليسا، والتدليس، عند علماء الحديث، هو الكذب.

الخلاف على عدالة الصحابة:

ومثلما اختلف علماء الحديث على تعريف الصحابة فقد اختلفوا على عدالتهم. فذهب جمهور كبير منهم الى اعتبار جميع الصحابة عدولا في أقوالهم وأفعالهم، وأنهم صادقون ولا يكذبون فيما نقلوه عن النبي (ص) من أحاديث وأخبار. وبالإستناد الى هذا الإعتقاد بحثوا عن عدالة رجال الإسناد ولم يبحثوا عن عدالة الصحابة.

يقول الخطيب البغدادي:" كل حديث اتصل اسناده بين من رواه وبين النبي (ص) لم يلزم العمل به إلا بعد ثبوت عدالة رجاله، سوى الصحابي الذي سمعه من النبي (ص)، لأن عدالة الصحابة ثابته ومعلومة بتعديل الله لهم، وإخباره عن طهارتهم، واختياره لهم في نص القرآن"(25).

ويستند هذا الفريق في تعديل الصحابة الى بعض آيات القرآن والأحاديث التي قالها النبي (ص) في الثناء على أصحابه جملة وأفرادا. كالآية: { **محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا، سيماهم في وجوههم من أثر السجود** }(26).

وقد غالى هذا الفريق في تقديس الصحابة من دون تمييز بينهم، ومن دون حصر لهم. فيقول أبو زرعة:" إذا رأيت رجلا ينتقص أحدا من أصحاب رسول الله فاعلم أنه زنديق"(27). ولم يقل أبو زرعة هذا القول في أولئك الذين ظلوا أربعين سنة يشتمون علي بن أبي طالب على المنابر وبينهم عدد من الصحابة أمثال المغيرة بن شعبة وغيره.

إن القول بعدالة جميع الصحابة وطهارتهم لم يكن له وجود في عصر الصحابة ولا في عصر التابعين، وهذه كتب التاريخ مليئة بالأخبار القبيحة عن بعض الصحابة.

يقول الغزالي في (المستصفى):" والذي عليه سلف الأمة إن عدالة الصحابة معلومة بتعديل الله وثنائه عليهم، فلا حاجة لهم الى التعديل" ثم يقول:" وقد زعم قوم إن حالهم كحال غيرهم في لزوم البحث عن عدالتهم، وقال قوم: حال العدالة كانت في بداية الأمر الى ظهور الحرب والخصومات، ثم تغيرت الحالة، وسفكت الدماء، فلا بد من البحث عن عدالتهم".

لقد كانت الإنقسامات السياسية والصراع على السلطة بين الصحابة، وما نشأ عنها من فتن وحروب، قد أوغرت الصدور بالأحقاد، واستباح كل فريق التجريح بالفريق الآخر. وكان معاوية منذ أن استقر له الحكم في الشام قد فرض على أئمة المساجد شتم علي بن أبي طالب على المنابر، واستمر هذا الحال قائما في عهد خلفائه. الى أن جاء الخليفة عمر بن عبد العزيز. وكان فضل هذا الخليفة الصالح أنه سعى لإزالة هذه الأحقاد والضغائن من النفوس، فمنع التجريح بالصحابة، وفرض على أئمة المساجد الدعاء لهم على المنابر. ومنذ ذاك العهد انقلب الحال الى عكس ما كان عليه، فظهر إجماع على القول بعدالة جميع الصحابة وطهارتهم، استنادا الى آيات القرآن التي مر ذكرها. وبالإستناد الى هذه الآيات أصبغ رجال الدين والفقه على الصحابة ثوبا من القدسية، وصار التجريح بهم فسقا وفجورا. وهذا مما يساعد على إثبات صحة الأحاديث التي نقلوها عن رسول الله والقول عنهم أنهم لا يكذبون عليه.

أما الفتن والحروب التي وقعت بين الصحابة، والأفعال القبيحة التي نقلها المؤرخون عن بعضهم، فقد سكتوا عنها. وبعضهم أولوها تأويلات تمنع المساس بهم. وستروها بأغطية من الإجتهادات الفقهية.

يقول النووي في " شرح مسلم ": " قال العلماء أن الأحاديث الواردة في ظاهرها حمل على الصحابة يجب تأويلها".

أما المؤرخون القدامى فلم يكونوا كذلك، وإنما تمسكوا بالصدق والأمانة في نقل الأخبار عن الصحابة. فدوّنوا لكل واحد منهم حسناته وسيئاته، وهي ماثلة في كتبهم. ولم يفعلوا كما فعل رجال الدين والأصوليون من ابراز لحسناتهم وتغطية لسيئاتهم.

لقد كانت سيرة الصحابة حسنة ونظيفة في حياة النبي(ص). فأثنى عليهم القرآن، وأثنى عليهم النبي(ص). وبقيت كذلك في عهد الخليفتين أبي بكر وعمر. وقد كان أبو بكر وعمر يخشيان على الصحابة، إن هم انطلقوا في البلاد المفتوحة، الإنزلاق في مباهج الدنيا والتلذذ بالثراء ورغد العيش، بعد أن توسعت الدولة الإسلامية وضمت إليها بلادا ذات خيرات كثيرة، فحرصا على بقائهم في المدينة ومنعهم من الخروج الى البلاد المفتوحة. وقد أوصى أبو بكر خليفته عمر بن الخطاب، بعد أن ولاه الخلافة، محذرا من عواقب انطلاق الصحابة في الأمصار.

وسار عمر على وصية أبي بكر، وكان الصحابة يسألونه الخروج للجهاد فيثنيهم ويقول:" إن في غزوكم مع رسول الله ما يكفيكم".

ويروي المؤرخون عن الصحابة الذين ولاهم عمر على الأمصار أنهم أثروا بسرعة فائقة، فإستدعاهم وحاسبهم. منهم أبو هريرة الذي ولاه إمارة البحرين، فأثرى خلال أقل من سنتين، فإستدعاه وقال له:" يا عدو الله، سرقت مال الله. لقد وليتك البحرين وأنت بلا نعلين فمن أين لك هذا؟ وحاسبه وأخذ منه عشرة آلاف درهم" (28).

وروى الطبري عن عمر بن الخطاب أنه كان إذا إستعمل العمال خرج يشيعهم فيقول:" إني لم استعملكم على أمة محمد (ص) على اشعارهم ولا على أبشارهم، إنما استعملتكم عليهم لتقضوا بينهم بالحق، وتقسموا بينهم بالعدل. لا تجلدوا العرب فتذلوها، ولا تجمروها فتفتنوها، ولا تغفلوا عنها فتحرموها. جردوا القرآن وأقلوا الرواية عن رسول الله وأنا شريككم" (29).

ولكن ما أن مات عمر وآلت الخلافة الى عثمان حتى انطلق الصحابة في الأمصار. وأقبلوا على جمع المال والثروات، مستغلين صحبتهم للنبي (ص). وتكونت بينهم طبقة من أصحاب الثروات الكبيرة.

يقول ابن سيرين:" كثر المال في زمن عثمان، فبيعت الجارية بوزنها، والفرس بمائة ألف درهم" (30).
وروى المسعودي أنه" في أيام عثمان اقتنى الصحابة المال والضياع. فكان لعثمان يوم مقتله عند خازنه مائة وخمسون ألف دينار. وألف ألف درهم، وقيمة ضياعه بوادي القرى وحنين مائة ألف دينار. وخلَّف ابلا وخيلا كثيرة" (31).

وروى البخاري في صحيحه عن عبد الله بن الزبير عن أبيه الزبير ابن العوام قال:" لما وقف الزبير يوم الجمل دعاني وقال لي: يا بنيَّ لا يقتل اليوم إلا ظالم أو مظلوم، وإني لا أراني إلا سأقتل مظلوما ثم أوصاني أن أقضي ديونه، وأوصى بثلث ماله".

ويقول عبد الله أنه بعد أن سدد ديون أبيه ونفذ وصيته قسم تركته، وكان له أربع نسوة، فأصاب كل امرأة ألف ألف ومائتا ألف درهم." وكان جميع ماله خمسون ألف ألف ومائتا ألف دينار". ويقول البخاري عن عبد الله بن الزبير أنه كان لأبيه أراض منها الغابة وأحد عشر دارا في المدينة، وداران في البصرة ودار في الكوفة ودار في مصر. وقد باع عبد الله الغابة" بألف ألف وستمائة ألف درهم، واشترى منها معاوية سهما ونصفا بمائة وخمسين ألف درهم" (32).

وذكر المسعودي في كتابه " مروج الذهب" " إن ثروت الزبير بلغت خمسين ألف دينار وألف فرس وألف عبد وضياعا كثيرة في البصرة والكوفة ومصر" (33).

وحدثت أم ذروة، مولاة عائشة فقالت: بعث الزبير الى سيدتها بغرارتين فيهما مال بلغ مائة ألف درهم، وكانت صائمة، فدعت بطبق، فجعلت تقسم في الناس. يقول عروة بن الزبير:" رأيت عائشة تتصدق بسبعين ألف درهم".

ويقول المسعودي:" وكانت غلة طلحة بن عبيدالله من العراق ألف دينار، ومن ناحية السراة أكثر من ذلك. وبنى دارا في الكوفة ودارا في المدينة شيدها بالآجر والجص والساج" (34).

ويقول عن عبد الرحمن بن عوف:" كان على مربطه مائة فرس وألف بعير وعشرة الآف شاة, وبلغ الريع من متروكة بعد وفاته أربعة وثمانين ألف درهم (35).

ويقول المسعودي عن زيد بن ثابت أنه " ترك من الذهب والفضة ما كان يكسر بالفؤوس، وكان له من الأموال والضياع بقيمة مائة ألف دينار" (36).

ويذكر عباس محمود العقاد ثروات هؤلاء الصحابة ثم يقول:" أنهم أصبحوا في حصة علي بن أبي طالب، عندما آلت الخلافة إليه، وأصبحوا عنصرا من أقوى عناصر القلق والنفور من دوام الحكومة الجديدة، وقد عرفوا عليا من قبل ومن بعد، فعلموا أنه لن يقرهم على ما هم فيه. ولن يلبث أن يحاسبهم على ما جمعوه من المال" (37).

ولكن هذا الذي يرويه المؤرخون عن إثراء الصحابة لا ينطبق على كل الصحابة. فقد كان بينهم من كانوا على مستوى عالٍ من الخلق الرفيع والفقه والطهارة. وكان على رأس هؤلاء ثلاثة من الخلفاء الراشدين وهم: أبو بكر وعمر وعلي. وإذا كان لكل منهم شخصيته المميزة، فإنهم كانوا يُجسدون في سلوكهم وحياتهم الخاصة والعامة المباديء والقيم الروحية والخلقية التي قام عليها الإسلام، وقد عاشوا عيشة كفاف وهم على رأس السلطة.

فكان أبو بكر، وهو خليفة المسلمين، يعيش هو وعياله من المرتب الذي خصص له يوم توليه الخلافة، لن يزد فيه شيء، وكان قبل ذلك يعمل في التجارة، فتركها وانصرف الى شئون المسلمين.

وأما عمر بن الخطاب فكان يقول:" والله لا يحل لعمر من مال المسلمين إلا حلتان: حلة للشتاء وحلة للصيف وقوتي وقوت عيالي، كرجل من قريش، ليس بأغناهم ولا بأفقرهم" (38).

وأما علي بن أبي طالب فقد كان يعيش مع عياله بعد توليه الخلافة عيشة كفاف وفقر.

روى عنه عقبة بن علقمة قال:" دخلت على علي في الكوفة، فإذا بين يديه لبن حامض، آذتني حموضته، وكسر خبز يابس. فقلت: يا أمير المؤمنين! أتأكل مثل هذا؟ قال: يا أبا الجنوب! كان رسول الله يأكل أيبس من هذا ويلبس أخشن من هذا، وأشار الى ثيابه. فإن لم آخذ بما أخذ به خفت أن لا ألحق به" (39).
وروى عنه هارون بن عنترة عن أبيه قال: دخلت على علي في فصل الشتاء وهو بالكوفة، وعليه قطيفة، وهو يرتعد من البرد. فقلت: يا أمير المؤمنين! إن الله جعل لك ولأهلك في هذا المال نصيبا، وأنت تعمل في نفسك هكذا؟ قال: والله ما أرزؤكم شيئا. وما هي إلا قطيفتي التي أخرجتها من المدينة" (40).

وقد لام عامله على البصرة عثمان بن حنيف الأنصاري لحضوره وليمة أقامها له أحد أثرياء البصرة، فكتب إليه يقول:" يا أبا حنيف! قد بلغني أن رجلا من أهل البصرة دعاك الى مأدبة، فأسرعت إليها، تستطاب لك الألوان، وتنقل إليك الجفان. ما ظننت أنك تجيب الى طعام قوم. عائلهم مجفو، وغنيهم مدعو. فانظر الى ما تقضمه من هذا المقضم، فما اشتبه عليك فالفظه، وما أيقنت بطيب وجوهه فنل منه" (41).

هؤلاء الصحابة الكبار كانوا يتحرجون بالتحدث عن رسول الله بغير الأحاديث التي لها صفة تشريعية أو اجتماعية أو تهذيبية، خشية الغلط واشاعة الكذب على النبي (ص). بخلاف غيرهم من صغار الصحابة، الذين كانوا يثرثرون برواية أحاديث عن رسول الله، ليس فيها سنّة ولا تشريع ولا عبادة، ولا شيء يفيد المسلمين في دينهم أو دنياهم، كأحاديث أبي هريرة التي زادت في كتب الصحاح والسنن على الخمسة آلاف حديث. وكان عمر بن الخطاب يستشيط منه غيظا عندما يسمع منه تلك الأحاديث المتدنية في معانيها، فهدده وقال له:" لتتركن الحديث عن رسول الله أو لألحقنك بأرض دوس" (42). وقد توقف أبو هريرة بعد هذا التهديد عن التحدث عن الرسول الى أن مات عمر. فعاد يحدث وقال:" إني أحدثكم بأحاديث عن رسول الله لو حدثتكم بها زمن عمر لضربني بالدرة" (43).

وقد نسب المؤرخون الى عدد من الصحابة أفعالا قبيحة لا تقرها الآخلاق ولا الشريعة ولا الدين، وقد سكت عنها رجال الفقه الإسلامي، أو أولوها تأويلات محرفة كعادتهم في تحريف الحوادث التاريخية كي تتفق من منهجهم.

لقد أول الغزالي الحرب بين علي ومعاوية بأنها خلاف في الإجتهاد معتبرا معاوية من الصحابة (44). وسكت عن الجرائم الكثيرة التي ارتكبها لتوطيد حكمه.

فمن جرائم معاوية ما ذكره المؤرخون عنه عندما فتح مصر واستخلصها من يد علي بقيادة عمرو بن العاص، فقد " قبض ابن العاص على واليها محمد بن أبي بكر وأرسله مقيدا الى معاوية في الشام، فقتله وحشاه في جوف حمار ثم أحرقه. ولما سمعت عائشة بما فعله معاوية بأخيها لعنته، وضمت أولاد أخيها إليها، وكان القاسم بن محمد بن أبي بكر في عيالها" (45). وهذا الفعل يدل على الإستهانة بالقيم الأخلاقية والدينية وبالشريعة التي حرمت التمثيل بجثث الموتى، ولا يمكن للغزالي تأويله.

وسجل المؤرخون لمعاوية قتله عبد الرحمن بن خالد بن الوليد بعد أن قاد جيش المسلمين الى أسوار القسطنطينية وحاصرها وكاد يفتحها. فاستدعاه معاوية وأمر من يدس له السم فمات.

روى الطبري في أخبار عام 46 للهجرة، " أنه لما تعاظم شأن عبد الرحمن في بلاد الشام ومال إليه الناس لبأسه وجهاده في غزو بلاد الروم ومحاصرة القسطنطينية، ولِمَا كان عندهم من آثار أبيه خالد بن الوليد، خافه معاوية وأمر ابن آثال، وكان نصرانيا، أن يحتال في قتله، وضمن له أن هو فعل ذلك أن يضع عنه خراجه ما عاش، وأن يوليه خراج حمص. فلما قدم عبد الرحمن من بلاد الروم الى حمص دعاه ابن آثال ودس له السم في شراب مع بعض مماليكه فشربوا وماتوا.

ولما سمع ابنه خالد بن عبد الرحمن، وكان في المدينة، بما فعله معاوية بأبيه، جاء الى حمص وقتل ابن آثال، فحبسه معاوية ثم أطلق سراحه بعد أن دفع دية ابن آثال لورثته" (46).

وتذكر المصادر التاريخية من مآثر عبد الرحمن بن خالد بن الوليد أنه تمكن بجيشه من اجتياز آسيا الصغرى واختراق الجبال والتحصينات التي أقامها البيزنطيون في وجه تقدم الجيش الإسلامي، وتوصل الى أسوار القسطنطينية وقام بحصارها، وهو الحصار الأول لها، وبعد مقتله تراجع جيش المسلمين عنها، وفشلت جميع المحاولات التي قامت بعد ذلك لفتحها.

ومن جرائم معاوية قتله حجر بن عدي (47) مع ثمانية من أصحابه، لأنه كان يردُّ على المغيرة بن شعبة ثم على زياد ابن أبيه وهما يشتمان علي بن أبي طالب على منبر الكوفة.
تقول الرواية: قبض زياد والي معاوية على البصرة والكوفة على حجر بن عدي مع أربعة عشر رجلا من أصحابه وأوثقهم بالحديد وأرسلهم الى معاوية في الشام، فأخلى سبيل ستة منهم وقتل الثمانية. وقد روى الطبري كيفية قتلهم فقال:

" أرسل معاوية رسولا الى السجن يقول لحجر وصحبه: إنا قد أمرنا أن نعرض عليكم البراء من علي بن أبي طالب واللعن له. فإن فعلتم تركناكم، وإن أبيتم قتلناكم. فأبرؤوا من هذا الرجل، قالوا: اللهم إنا لسنا فاعلين. فأمر معاوية بحفر قبورهم واعطائهم أكفانهم وأمهلهم الى صباح اليوم الثاني حتى يبرؤوا من علي. فقاموا الليل كله يصلون. فلما أصبحوا قال لهم أصحاب معاوية: أتبرؤون من هذا الرجل؟ قالوا: بل نبرأ ممن تبرأ منه. قال: فدُقت أعناقهم وألقوا في قبورهم" (48). وذكر المؤرخون عن (معاوية) أنه أغرى بعض الصحابة والتابعين وأغدق عليهم المال وولاهم المناصب لرواية أحاديث في ذم علي بن أبي طالب كالمغيرة بن شعبة وعمرو بن العاص وأبي هريرة.

يقول الشيخ محمد عبده أن معاوية وضع قوما من الصحابة والتابعين على رواية أخبار قبيحة على علي بن أبي طالب تقضي الطعن فيه والبراء منه وجعل لهم على ذلك جعلا، منهم أبو هريرة (49).

ويذكر الرواة عن علي بن أبي طالب أنه قيل له:" أن معاوية داهية. قال علي: والله ما معاوية بأدهى مني، ولكنه يغدر ويفجر ولولا كراهية الغدر لكنت من أدهى الناس" (50).

وسجل المؤرخون لعدد من كبار الصحابة أفعالا قبيحة تنال من عدالتهم. فقد روى الطبري عن طلحة بن عبيد الله وهو الذي قالوا عنه أنه من العشرة المبشرين بالجنة. فذكر اشتراكه في التحريض على مقتل عثمان بن عفان." فكان يطوف على الناس الذين كانوا يحاصرون داره ويحضهم على الدخول عليه وقتله. وقد رآه عثمان من ثقب الباب فقال لعبد الله بن عياش، وكان معه في الدار: الله اكفني طلحة، فإنه حمل هؤلاء عليَّ وإليهم، وإني لأرجو الله أن يكون منها صفرا، وأن يسفك دمه. لقد انتهك مني ما لا يحل له" (51).

ولما تمت البيعة لعلي بن أبي طالب في المدينة ذهب طلحة وبايع عليا بالخلافة. ثم ذهب الى مكة وانضم الى الأمويين للمطالبة بالثأر لعثمان. وذهب مع عائشة والزبير على رأس جيش الأمويين الى البصرة لمحاربة علي، فقتل

في المعركة. وقيل أن الذي قتله هو مروان بن الحكم، رآه يفرّ من المعركة، فلحق به ورماه بسهم فقتله، وقال: هذا الذي أعان على قتل عثمان (52).

وروى المؤرخون عن علاقة المغيرة بن شعبة بامرأة تدعى أم جميل، عندما كان واليا على البصرة في عهد عمر بن الخطاب. يقول ابن خلكان في كتابه (وفيات الأعيان) ما خلاصته:

" ولَّى عمر بن الخطاب المغيرة بن شعبة أميرا على البصرة. فكان يخرج من داره نصف النهار ويذهب الى امرأة يقال لها أم جميل بنت عمرو. زوجها الحجاج بن عتاك بن الحارث بن وهب الجشمي. وقد ترصده أهل البصرة، منهم الصحابي أبو بكرة واخوته لأمه وهم: نافع وشبل وزياد. ولما دخل المغيرة الى بيت أم جميل دخلوا هم الى غرفة قبالة غرفتها. فضربت الريح باب الغرفة ففتحته. فنظروا فإذا هم بالمغيرة مع المرأة على هيئة جماع. قال أبو بكر: بلية قد ابتليتم. انظروا فنظروا حتى تثبتوا. فجلس أبو بكرة حتى خرج عليهم المغيرة فقال له: إن كان أمرك ما قد علمنا فاعتزلنا. قال: وذهب المغيرة ليصلي بالناس الظهر. فقال أبو بكرة: لا والله لا تصلي بنا وقد فعلت ما فعلت. وكتبوا بذلك الى عمر. فأمرهم أن يقدموا عليه جميعا. المغيرة والشهود. فلما قدموا جلس عمر للمحاكمة. فدعى الشهود والمغيرة. فشهد أبو بكرة قال: رأيته بين فخذيها. قال عمر: لا والله حتى تشهد لقد رأيته يلج فيها ايلاج المرود في المكحلة. قال: نعم. قال عمر: اذهب مغيرة ذهب ربعك. ثم دعا نافعا فقال له عمر: عمَّ تشهد؟ قال على مثل ما شهد أبو بكرة. قال عمر: لا حتى تشهد إنك رأيته يلج فيها ولوج المرود في المكحلة. قال: نعم. قال عمر: اذهب مغيرة، لقد ذهب نصفك، ثم دعا الثالث فقال له: علام تشهد؟ قال: على مثل شهادة صاحبي. قال عمر: اذهب مغيرة، لقد ذهب ثلاثة أرباعك. وكان زياد، وهو الشاهد الرابع غائبا. وقد رآه المغيرة في المسجد، وقد اجتمع عنده رؤوس المهاجرين والأنصار. فقال المغيرة لزياد: يا زياد! اذكر الله تعالى، فإن الله وكتابه ورسوله وأمير المؤمنين حقنوا دمي إلا أن تتجاوز الى ما لم تر مما رأيت. فدفعت عينا زياد واحمر وجهه. وفي المحاكمة سأله عمر: ما عندك يا زياد؟ قال: يا أمير المؤمنين: رأيته مستبطنها. قال عمر: أرأيته يدخله ويولجه كالميل في المكحلة؟ قال لا. قال عمر: الله أكبر. قم يا مغيرة فاجلدهم (أي بجرم القذف). فقام مغيرة الى أبي بكرة وجلده ثمانين جلدة وجلد الباقين".

يقول البيهقي في " السنن" عن أبي بكرة، لما كان المغيرة يجلده، أنه كان يقول:" أشهد أنه زان". فهم عمر أن يعيد عليه الحد. فنهاه علي بن أبي طالب وقال له:" إن جلدته فارجم صاحبك" قال: " فتركه".

هذه القصة رويت من مصادر عديدة، رواها الطبري في تاريخه، ورواها الحاكم في " المستدرك" ورواها البيهقي في " السنن"، ورواها ابن خلكان في " وفيات الأعيان"، وكلها تجمع على أن عمر بن الخطاب حاكم " المغيرة" بجرم الزنى، وإن ثلاثة شهود، وهم من الصحابة، أدوا الشهادة حسب أصولها الشرعية. وإن الشاهد الرابع قال إنه رآه مستبطنها ولم ير الميل في المكحلة. فاعتبر عمر البيّنة ناقصة وجلد الشهود الثلاث بجرم قذف المغيرة.

وإذ كان عمر قد برأ المغيرة من جرم الزنى، فكان الأولى برجال الحديث ان لا يقبلوا أحاديث أبي بكرة بعد أن جلده عمر بجرم القذف، وقد جاء في القرآن الكريم: { **والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا أولئك هم الفاسقون**}(53).

وأما إذا كان أبو بكرة وصاحباه صادقين، وكان المغيرة زانيا، فيجب أيضا عدم الأخذ بأحاديثه عن رسول الله، لأن من كان هذا شأنه يسهل عليه الكذب على النبي (ص). بينما يعتبر رجال الحديث كلا من أبي بكرة والمغيرة من الصحابة، ولهما في كتب الصحاح والسنن عشرات الأحاديث عن رسول الله.

ومن أفعال المغيرة بن شعبة أنه أشار على معاوية بتوليه ابنه يزيد الخلافة. جاء في كتاب " الكامل في التاريخ" لإبن الأثير:" ان المغيرة بن شعبة، الذي عينه معاوية واليا على الكوفة، هو الذي أشار على معاوية أن يجعل الحكم بعده وراثيا فيوصي بالخلافة لإبنه يزيد".

فلقد كان معاوية يخشى تولية يزيد الخلافة لما عرف عنه بين الناس من فسق وفجور ونقمة المسلمين عليه. ولكن معاوية، بعد أن عين " المغيرة" واليا على الكوفة، لم يلبث أن أخذ بمشورته وأوصى بالخلافة لإبنه يزيد، وأوصى المغيرة أن لا يترك شتم علي بن أبي طالب والترحم لعثمان. وقد أخذ المغيرة بهذه الوصية طيلة مكوثه في الكوفة الذ امتدى سبع سنين. فكان كلما صعد المنبر شتم عليا وترحم على عثمان.

وكان المغيرة يجلس في مسجد الكوفة، وقد فرض على كل من يدخل عليه أن يبدأ بسب علي بن أبي طالب. فقد روى أحمد في مسنده (54) عن رباح بن الحارث قال: كان المغيرة بن شعبة في المسجد الأكبر وعنده أهل الكوفة عن يمينه وعن يساره. فجاء رجل يدعى " سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل" (55). فحيّاه المغيرة وأجلسه بجانبه، فجاء رجل من أهل الكوفة فاستقبله المغيرة فأخذ يسب ويسب. فقال " ابن نفيل": من يسب هذا يا مغيرة؟ قال: يسب علي بن أبي طالب. قال: يا مغيرة بن شعبة (قالها ثلاثا):" إني أسمع أصحاب رسول الله يُسَبون عندك ولا تنكر ولا تُغير. فأنا أشهد على رسول الله بما سمعت أذناي ووعاه قلبي أنه قال: أبو بكر في الجنة. وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة. وعلي في الجنة. وطلحة في الجنة، والزبير في الجنة، وأبو عبيدة في الجنة، وعبد الرحمن بن عوف في الجنة، وسعد بن أبي وقاص في الجنة، قيل له من العاشر؟ قال أنا سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل".

ولم يكن كل الصحابة منقادين لهوس معاوية في شتم علي بن أبي طالب. فقد أخرج " مسلم" في صحيحه والترمذي في سننه ان معاوية قال لسعد بن أبي وقاص:" ما يمنعك أن تسب أبا تراب قال: أما ذكرت ثلاثا قالهن رسول الله فيه؟ لأن تكون لي واحدة منهن أحب الى من حُمُر النعم. سمعت رسول الله يقول لعلي يعد أن خلَّفهُ على أهله في غزوة تبوك (أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى؟). وسمعته يقول يوم خيبر(لأعطين الراية

رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله)، وأعطاها لعلي. والثالثة لما نزلت الآية: { **قل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ...** } (56) دعا رسول الله عليا وفاطمة وحسنا وحسينا وقال: (اللهم هؤلاء أهلي)، ولفهم معه بالرداء".

ويُشيد المؤرخون ببطولات خالد بن الوليد وجهاده في الفتوحات الإسلامية، وثناء النبي(ص) عليه. ولكنهم لم يسكتوا عن بعض الأفعال التي بدرت منه فسجلوها في سيرته، منها قتله مالك بن نويرة ثم نزا على امرأته ليلة قتله." وكان مالك طلب من خالد أن يرسله الى أبي بكر ليحكم فيما نسب إليه الى عشيرته بالارتداد عن الإسلام. وكان عبد الله بن عمر وأبو قتادة الأنصاري حاضرين، فكلما خالدا وألحا عليه أن يرسل مالكا الى أبي بكر، فرفض وقال: لا أقالني الله أن لم أقتله. ثم قال لضرار بن الأزور أن يضرب عنقه، فالتفت مالك الى زوجته ليلى بنت المنهال. وقد لمح في عيني خالد إعجابه بها. فقال: إن هذه هي التي قتلتني. قال خالد: بل إن الله قتلك برجوعك عن الإسلام. قال مالك: إني على الإسلام. قال خالد: يا ضرار اضرب عنقه فضرب عنقه، ثم أخذ خالد زوجته وبنى بها تلك الليلة. ويروي بعضهم أنه كان لخالد هوى في زوجة مالك قبل ذلك. وبذلك يقول نمير السعدي:

قضى خالد بغيا علي بعرسه وكان له هوى فيها قبل ذلك (57)

وتقول الروايات إن " أبا قتادة الأنصاري" غضب لفعلة خالد، إذ قتل مسلما من دون حق ونزا على إمرأته. فتركه منصرفا الى المدينة وأقسم أن لا يكون أبدا في جيشه. وذهب الى عمر بن الخطاب وقصَّ عليه القصة. فذهب عمر الى أبي بكر، وقد أثارته فعلة خالد، وطلب إليه أن يعزله، ولكن أبا بكر لم يفعل. وقال له:" هيه يا عمر! تأول فأخطأ". ولكن عمر لم يقنع بهذا الجواب وقال لأبي بكر:" إن عدو الله عدا على امرأة رجل مسلم فقتله ونزا على امرأته. فليس من الحق أن لا يؤاخذ". ولم يسمع أبو بكر إزاء ثورة عمر إلا أن يستقدم خالدا ليسأله عما صنع. فقدم خالد، وقد رآه عمر يدخل المسجد وعليه قباء، وقد غرز في عمامته أسهما فنهض إليه ونزعها وحطمها وصاح:" قتلت امرأ مسلما ثم نزوت على امرأته. والله لأرجمنك بالحجارة". وتقول الروايات أن أبا بكر عنّف خالدا وأمره أن يفارق ليلى.

إن جميع الروايات التي ذكرها المؤرخون القدامى تقول ان خالدا قتل مالك بن نويرة ونزا على امرأته يوم مقتله، ومنهم الطبري (58)، وانهم لم يبرئوه من هذه الجريمة. سوى ان بعض المتأخرين من الأصوليين المتأولين الذين يحاولون تزوير التاريخ وقلب الحقائق، يقولون، في محاولة منهم لتبرئة خالد لاعتبارات وهمية، إن خالدا لم يبنِ بزوجة مالك الى أن انقضت عدتها، فعقد عليها. وبعضهم قالوا انه لم يتزوجها، وكلها ادعاءات ليس لها في الآثار القديمة ما يؤيدها.

يقول عباس محمود العقاد في كتابه " عبقرية خالد": " إن ما يوجبه الحق علينا، بعد ثبوت هذا كله، ان نقول إن وقعة البطاح صفحة في تاريخ خالد كان خيرا له وأجمل لو انها حُذفت ولم تكتب" (59).

ومن الصحابة الذين أشاد المؤرخون بجهادهم في الإسلام عمرو ابن العاص. وقد سجلوا عليه الى جانب ذلك صفحة سوداء في الغدر والكذب منها موقفه المشين في حادثة التحكيم في حرب صفين.

فقد روى الطبري وغيره أنه بعد أن اتفق الجانبان، علي ومعاوية على حل النزاع بينهما بطريق التحكيم، اختار معاوية عمرو بن العاص. واختار علي أبا موسى الأشعري، حكمين بينهما. وقد اجتمع هذان الحكمان واتفقا على خلع علي ومعاوية وترك الأمر شوري بين المسلمين. وتقدم أبو موسى وأعلن على الناس قرارهما فقال:" إني خلعت عليا ومعاوية فاستقلوا بأمركم وولوا عليكم من رأيتموه أهلا لهذا الأمر"، ثم تنحى وتقدم ابن العاص وقال:" إن هذا قد خلع صاحبه وأنا أخلعهُ وأثبت صاحبي معاوية". قال أبو موسى:" لا وفقك الله. لقد غدرت وفجرت. إنما مثلك كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث، وإن تتركه يلهث". قال عمرو:" إنما مثلك كمثل الحمار عليه أسفار" وأخذ كل واحد منهما يلعن الآخر ويُشهر به.

إن موقف ابن العاص لا يمكن أن يُوصف إلا بالغدر والكذب والخداع، ولا يصح أن يصدر عن صحابي صادق وأمين. ويقول الأشعري:" لقد حذرني ابن عباس من غدر ابن العاص وفجوره ولكني اطمأنيت له" (60).

وأما عثمان بن عفان فهو من العشرة الذين قيل عنهم إن النبي (ص) بشرهم بالجنة، فقد وُليَّ الخلافة بعد أن تعهد أن يسير على خطى أبي بكر وعمر. وكان علي بن أبي طالب قد رفض مثل هذا التعهد(61). ولكن عثمان ما أن وُليَّ الخلافة حتى انحرف عن خط أبي بكر وعمر وسار على هواه وتبع مصالح عشيرته بني أمية. وآثر أقاربه وأبناء عشيرته في المناصب والعطاءات. وأقطع ابن عمه مروان بن الحكم أرض فدك. وكان أبو بكر حرم فاطمة منها لأنه سمع النبي (ص) يقول: (نحن الأنبياء لا نورث وما تركناه فهو صدقة). ومن أفعال عثمان أنه نفى أبا ذر الغفاري الى الصحراء الى أن مات فيها، وكان معاوية قد أبعده عن الشام لأنه كان ينتقده في تصرفاته المغايرة للشريعة في ادارة شؤون الدولة.

أما عائشة فمن أفعالها القبيحة التي سجلها المؤرخون أنها كانت تُحرّض على قتل عثمان بسبب فساد حكمه وايثار أبناء عشيرته الأموية في تولي المناصب والعطاءات، وعدم سماع شكوى المسلمين من ظلم عماله في الأقاليم. وكانت تقول:" اقتلوا نعثلا فقد كفر"(62).

ولما حُوصر عثمان في داره تركت المدينة وذهبت الى مكة بحجة العمرة ولم تفعل شيئا لردع الناس عنه. ولما علمت بمقتله وهي في مكة أخذت تطالب بالثأر له. وقادت جيش الأمويين الى البصرة لمقاتلة علي لأنه لم يثأر لعثمان. وقد استنكر عملها زوجات النبي (ص) لمخالفتها قوله تعالى: { **وقرن في بيوتكن** } (63). وقد طعن علي في مسلكها، فقال، عندما سارت الى البصرة: أيها الناس إن عائشة سارت الى البصرة ومعها طلحة والزبير، وكل منهما يرى

الأمر له دون صاحبه. أما طلحة فابن عمها، وأما الزبير فختنها. والله إن راكبة الجمل الأحمر ما تقطع عقبة ولا تحل عقدة إلا في معصية الله وسخطه" (64).

وروى البخاري عن عبد الله بن عمر أثناء الفتنة التي انتهت بوقعة الجمل حديثا قال:" خطب النبي (ص) مرة وأشار الى مسكن عائشة وقال: (ههنا الفتنة ثلاثا من حيث يطلع قرن الشيطان)(65). وفي هذا الحديث يتنبأ النبي (ص) في مسلكها بإثارة الفتنة والتسبب بمقتل عشرات الآلاف من المسلمين".

وكان أبو هريرة من أكثر الصحابة الذين اتهموا بوضع الأحاديث عن رسول الله. يقول ابن قتيبة في كتابه "تأويل مختلف الحديث": " لقد أتى أبو هريرة ما لم يأت بمثله من جلة الصحابة والسابقين الأولين. اتهموه وانكروا عليه، وقالوا كيف سمعت هذا وحدك ومن سمع معك؟ وكانت عائشة أشدهم إنكارا عليه، وكانت تعارضه لتطاول الأيام بها وبه، وقد توفيت قبله بسنة" (66).

وقد أنكرت عائشة على أبي هريرة كثيرا من الأحاديث التي رواها عن النبي (ص) وقالت له:" إنك تحدث عن رسول الله بأحاديث ما سمعناها منه. فرد عليها ساخرا (كما رواه البخاري) وقال: إنه كان يشغلك عن رسول الله المرآة والمكحلة. فأجابته عائشة: إنما أنت الذي شغلك عن رسول الله بطنك، وألهاك نهمك عنه، جتى كنت تعدو وراء الناس في الطرقات تلتمس منهم أن يُطعموك من جوعك. فينفرون منك ويهربون، ثم ينتهي بك الأمر الى أن تُصرع مغشيا عليك من الجوع أمام حجرتي، فيحسب الناس إنك مجنون، فيطأن عنقك بأرجلهم" (67).

ويقول الآمدي:" إن الصحابة أنكرت على أبي هريرة كثرة رواياته عن رسول الله حتى قالت عائشة أنه كان مهذارا في حديث المهراس" (68).

أما حديث " المهراس " فهو أن أبا هريرة روى حديثا عن رسول الله أنه قال:" إذا استيقظ أحدكم من نومه فليغسل يده قبل أن يضعها في الإناء فإنه لا يدري أين باتت). فلم تأخذ عائشة بهذا الحديث وقالت: كيف نصنع بالمهراس؟" (69). وذُكر عن عائشة حديث رواه أبو هريرة عن النبي (ص) أنه قال: (ما يقطع الصلاة ثلاثة: الكلب والحمار والمرأة) فقالت عائشة: شبهتمونا بالكلاب والحمير، والله لقد رأيت رسول الله يصلي وأنا على السرير بينه وبين القبلة مضطجعة" (70).

وروى ابن عبد الله في " الإصابة" أن جماعة من الصحابة سمعوا أبا هريرة يقول:" قال رسول الله: (من أصبح جنبا فلا صيام عليه). فلما سمعوا هذا الحديث سارعوا لعند زوجتي النبي (ص)، عائشة وأم سلمة، للتحقيق من صحة الحديث وطرحوه عليهما، فأجابتا: إن رسول الله كان يمضي ليلته جنبا وفي الصباح يصوم. ورجع الصحابة الى أبي هريرة فقالوا له ما سمعوه من عائشة وأم سلمة، فاعترف لهم أنه لم يسمع هذا الحديث من النبي (ص)، إنما سمعه من غيره. وفي رواية أخرى قال أنه سمعه من الفضل بن أبي طالب" (71).

وذكر الإمام الزركشي إن أبا هريرة روى حديثا عن رسول الله " إنه قال: (الشؤم في ثلاثة أشياء: البيت والمرأة والفرس). فردت عائشة وقالت: إن أبا هريرة سمع الحديث بشكل سيئ أو ناقص. فقالت: لقد دخل علينا أبو هريرة حين كان رسول الله في وسط الجملة فلم يسمع سوى نهاية الحديث. كان رسول الله يقول: (قاتل الله اليهود إنهم يقولون: الشؤم في البيت والمرأة والفرس" (72). وقد روى البخاري هذا الحديث مكررا من دون أن يذكر التصحيح الذي قالته عائشة.

وذكر الذهبي في سير أعلام النبلاء عن يزيد بن هارون قال:" سمعت شعبة يقول: كان أبو هريرة يُدلس في الحديث" (73).

وفي رواية ثانية قال يزيد بن هارون:" سمعت شعبة يقول: أبو هريرة كان يدلس في الحديث، فيروي ما سمعه من كعب الأحبار وما سمعه من رسول الله، فلا يميز هذا من ذاك" (74).

وأُتهم أبو هريرة بأنه كان ينتحل الأحاديث وينسبها الى النبي (ص) كحديث: (لا يدخل الجنة ولد الزنى). فأنكرت عائشة هذا الحديث وقرأت الآية: **{ ولا تزر وازرة وزر أخرى}** (75). وهي تنفي أن تتحمل نفس الإنسان وزر غيرها، ويعني ذلك أن أولاد الزنى لا يتحملون أوزار آبائهم.

يقول مصطفى صادق الرافعي في أبي هريرة:" كان أبو هريرة أكثر الصحابة رواية عن رسول الله، ولهذا كان عمر وعثمان وعلي وعائشة ينكرون أحاديثه ويتهمونه. وهو أول راوية في الإسلام أتهم، وكانت عائشة أشدهم إنكارا عليه لتطاول الأيام بها وبه، وتوفيت قبله بسنة".

وكان أبو هريرة يدافع عن نفسه في كثرة ما كان يرويه عن رسول الله. فكان يرد على الذين يتهمونه بالكذب فيقول:" إنكم تقولون إن أبا هريرة يكثر من الحديث عن رسول الله. وتقولون ما بال المهاجرين والأنصار لا يحدثون عن رسول الله بمثل حديث أبي هريرة! إن إخواني المهاجرين كان يشغلهم الصفق في الأسواق، وكان يشغل إخواني من الأنصار العمل في أموالهم، وكنت ألزم رسول الله على ملء بطني، فأشهد إذا غابوا وأحفظ إذا نسوا. وكنت أمرأ مسكينا من مساكين الصفة أعي حين ينسون" (76).

وفي رواية ثانية قال أبو هريرة:" إن إخواننا من المهاجرين كان يشغلهم الصفق في الأسواق، وإن إخواننا من الأنصار كان يشغلهم العمل في أموالهم، وإن أبا هريرة كان يلزم رسول الله بشبع بطنه فيحضر ما لا يحضرون، ويحفظ ما لا يحفظون".

ويقول أبو هريرة:" حفظت عن رسول الله (ص) وعاءين، فأما أحدهما فبثثته، وأما الآخر لو بثثته لقطع هذا البلعوم" (77). وهو يشير الى الأحاديث التي يستنكرها الناس أو لا يُصدقونها فلم يبثها.

ويعترف أبو هريرة بأن الصحابة كانوا يتهمونه بالكذب على النبي (ص) فقد روى مسلم عن الأعشى عن أبي رزين قال:" خرج علينا أبو هريرة فضرب بيده على جبهته فقال: ألا انكم تحدثون أني أكذب على رسول الله لتهتدوا وأضل. وأني أشهد لسمعت رسول الله يقول: (إذا انتطع شسع أحدكم فلا يمش في الآخر حتى يصلحه)" (78).

ويفسر النووي كلمات هذا الحديث فيقول:" الشسع أحد سوار النعال، وهو الذي يدخل بين الإصبعين، ويدخل طرفه في الثلب الذي في صدر النعل المشدود في الزمام. والزمام هو السير الذي يُعقد فيه الشسع، وجمعه شسوع". فهل يُصدق إن النبي(ص) يتحدث عن سيور النعل؟ وما هي قيمة هذا الحديث في الشريعة حتى يرويه مسلم، فيما لو صح إن أبا هريرة لم يكذب على رسول الله؟

يقول رشيد رضا عن أبي هريرة:" إنه انفرد بأحاديث كثيرة كان بعضها معرضا للإنكار أو مظنة لغرابة موضوعها. ومنها أحاديث الفتن وإخبار النبي(ص) ببعض المغيبات التي تقع بعده. ولذلك نرى الناس ما زالوا يتكلمون في أبي هريرة" (79).

ويقول رشيد رضا كذلك عن أبي هريرة وعن عبد الله بن عباس:" إن أبا هريرة وابن عباس ما وضعا أساس الشريعة، ولا أركانها ولا أصولها ولا فروعها". ويقول:" لو أحصينا ما إنفرد به أبو هريرة من أحاديث الأحكام الشرعية لرأيناه قليلا جدا، وعلمنا أنه لو لم يروه لما نقصت كتب الأحكام شيئا، وإن الطعن في أبي هريرة لو كان صادقا ما حط من قدر الشريعة شيئا، ولو لم يخلق أبو هريرة لما نقصت الشريعة شيئا" (80).

ويقول رشيد رضا:" لقد ثبت أن أبا هريرة كان يسمع من كعب الأحبار، وأكثر أحاديثه عنعنة. وقد صرح بأنه سمع رسول الله يقول: (خلق الله التربة يوم السبت). وقد حزموا بأن هذا الحديث أخذه من كعب الأحبار" (81).

وكان عمر بن الخطاب يستشيط غيظا من أبي هريرة حينما يسمع منه مثل هذه الأحاديث المستهجنة، فهدده بالكف عن التحدث عن رسول الله. " يقول (ابن عساكر) عن السائب بن يزيد أنه سمع عمر يقول لأبي هريرة: لتتركن الحديث عن رسول الله أو لألحقتك بأرض دوس (82). وقال لكعب الأحبار: لتتركن الحديث أو لألحقنك بأرض القردة".

وقد انقطع أبو هريرة بعد هذا التهديد عن التحدث عن رسول الله الى أن مات عمر. فعاد يحدث وقال: إني أحدثكم بأحاديث لو حدثت بها زمن عمر لضربني بالدرة".

وعن الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال:" ما كنا نستطيع أن نقول: قال رسول الله حتى قُبض عمر، كنا نخاف السياط" (83).

ويقول رشيد رضا:" لو طال عمر عُمر بن الخطاب حتى مات أبو هريرة لما وصلت إلينا أحاديثه الكثيرة ومنها في البخاري وحده 449 حديثا" (84).

وقد قيل عن عمر بن الخطاب أنه كان يكره رواية الحديث عن رسول الله. وهو قول غير صحيح لأن عمر روى بضعة عشر حديثا جميعها في أحكام الشريعة. وقد روى ابن شهاب الزهري عن عمر أنه كان يقول:" أقلوا الرواية عن رسول الله إلا فيما يعمل به" (85).

ويقول ابن سعد في طبقاته، في ترجمة عبد الله بن عباس:" أن الحديث عن رسول الله قد فشا منذ وفاة عثمان بن عفان" وقد ولمع نجم أبي هريرة في عهد معاوية بعد أن مات أكثر الصحابة، ولم يبق إلا القليل منهم. فأفرط في الحديث عن رسول الله. وكانت عائشة تكذبه بعد أن طال العمر بينها وبينه، وقد قالت عنه أنه كان مهذارا.

لجأ أبو هريرة الى معاوية في الشام بعد أن آل الحكم إليه. وعاش في قصره، وكان يصحبه في رحلاته. فعندما زار معاوية الكوفة بعد أن تنازل له الحسن بن علي على الخلافة، كان أبو هريرة في حاشيته.

ويقول شيخ المعتزلة الإمام أبو جعفر الاسكافي فيما نقله عنه ابن أبي الحديد عن الأعمش قال:" لما قدم أبو هريرة الى العراق مع معاوية عام المجاعة سنة 41 هـ، جاء الى مسجد الكوفة، فلما رأى كثرة من استقبله من الناس، جثا على ركبتيه ثم ضرب صلعته وقال: يا أهل العراق أتزعمون أني أكذب على رسول الله وأحرق نفسي بالنار. والله لقد سمعت رسول الله يقول: (إن لكل نبي حرما، وإن المدينة حرمي، فمن أحدث فيها حدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين). وقال: أشهد بالله أن علي بن أبي طالب أحدث فيها. قال: فلما بلغ معاوية مقالته أجازه وأكرمه وولاه إمارة المدينة" (86).

وكان أبو هريرة مع معاوية في صفين، يقول الإمام أبو القاسم البلخي:" كان أبو هريرة مع معاوية في صفين، وكان يقول: أن أرمي فيهم سهم - يعني جيش علي - أحب الى من حُمر النعم" (87).

وكان معاوية يوفد أبا هريرة في المهمات الكبيرة، فأرسله مع أبي الدرداء الى علي يدعوانه الى الشوري. فلم يقابلهما علي وإنما قابلهما عبد الرحمن بن غنم الأشعري. فكان مما قاله لهما:" عجبا منكما كيف جاز عليكما ما جئتما به؟ تدعوان عليا أن يجعلها شورى؟ وقد بايعه المهاجرون والأنصار وأهل الحجاز والعراق. وإن من رضيه خير ممن كرهه، ومن بايعه خير ممن لم يبايعه. وأي مدخل لمعاوية من الشورى، وهو من الطلقاء الذين لا تجوز لهم الخلافة وهو وأبوه من رؤوس الأحزاب!" (88).

وفي مهمة ثانية أرسل معاوية أبا هريرة والنعمان بن بشير الأنصاري الى علي يسألانه " أن يدفع قتلة عثمان الى معاوية ليقيدهم به لعل الحرب أن تطفأ. وقد تكلم أبو هريرة فلم يرد عليه علي بشيء وإنما ردّ على النعمان فقال له: " حدثني عنك يا نعمان. أنت أهدى قومك سبيلا بين الأنصار؟ قال: لا. قال: كل قومك اتبعني إلا شذاذا منهم ثلاثة أو

أربعة. أفتكون أنت من الشذاذ؟ قال النعمان: أصلحك الله. إنما جئت لأكون معك وألزمك، وقد كان معاوية سألني أن أؤدي هذا الكلام، ورجوت أن يكون لي موقف معك، أجتمع فيه معك. وقد أقام النعمان عند علي. أما أبو هريرة فعاد الى معاوية بالخبر" (89).

ويروي المؤرخون قصة هيام يزيد بن معاوية بحب زينب بنت اسحاق، زوجة عبد الله بن سلام القرشي. فأراد معاوية أن يحتال على زوجها لكي يطلقها ويزوجها ابنه يزيد. فأرسل أبا هريرة الى عبد الله يبلغه رغبة معاوية في أن يزوجه ابنته لورعه، على أن يطلق زوجته لكي تخلص ليزيد. وقد نجح أبو هريرة في هذه المهمة، فطلق عبد الله زوجته ولكن معاوية لم يزوجه ابنته (90).

وروى ابن عبد ربه عن أبي هريرة " أنه نظر الى عائشة بنت طلحة، وكانت مشهورة بجمالها، فقال: سبحان الله! ما أحسن ما غذاك أهلك. والله ما رأيت وجها أحسن منك إلا وجه معاوية على منبر رسول الله" (91).

وروى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة، عندما كان يعيش في قصر معاوية، حديثا عن رسول الله، يدعم به حكم معاوية. قال:" قال رسول الله: (من أطاعني فقد أطاع الله. ومن عصاني فقد عصى الله. ومن أطاع الأمير فقد أطاعني. ومن يعصى الأمير فقد عصاني" (92).

وقد كانت مدة صحبة أبي هريرة للنبي (ص) أقل من سنتين فقد قدم من اليمن الى المدينة في السنة السابعة للهجرة، ووافى النبي (ص) وهو في خيبر يوم فتحها، وقدم معه في الوقت نفسه أبو موسى الأشعري، وجاءا الى خيبر. وقد طلبا من النبي (ص) أن يسهم لهما من الفيء فأسهم لهم (93).

يقول أبو هريرة:" أتيت رسول الله وهو بخيبر بعد فتحها فقلت يا رسول الله أسهم لي. فكلم المسلمين فأشركوني من سهامهم" (94).

وعاد أبو هريرة من خيبر الى المدينة، ولم يعمل في تجارة أو زراعة وإنما أقام في الصفة، وهي موقع في المدينة من الجهة الشمالية، تقع في مؤخرة مسجد رسول الله، وأهلها فقراء لا منازل لهم ولا عشائر، وكانوا ينامون في المسجد. وكانت صفة المسجد مثواهم فنسبوا إليها. ويقول أبو الفداء في تاريخه:" كان رسول الله إذا تعشى يدعو طائفة منهم يتعشون معه، أو يفرق طائفة منهم على الصحابة ليعشوهم".

وقد ظل أبو هريرة في الصفة لا يبرحها الى أن أرسله النبي (ص) الى البحرين مع العلاء بن الخضرمي. الذي عينه النبي (ص) أميرا على البحرين بعد فتحها في مطلع السنة التاسعة للهجرة. وقد أوصى النبي(ص) العلاء بأبي هريرة.

يقول ابن سعد في طبقاته الكبرى عن سالم مولى بني نصر: " سمعت أبا هريرة يقول: بعثني رسول الله مع العلاء بن الخضرمي الى البحرين وأوصاه بي خيرا. ولما وصلنا الى البحرين قال العلاء لي: إن رسول الله قد أوصاني بك خيرا، فانظر ما تحب. قلت: تجعلني مؤذنا لك. فعهد لي بذلك" (95). وكان عمل أبي هريرة في البحرين التأذين. وبقي فيها الى أن توفي النبي (ص)، وهذه المدة القصيرة، التي تقل عن السنتين في صحبة أبي هريرة للنبي، لا تتناسب مع ضخامة عدد الأحاديث التي رويت عنه، والتي تزيد على الخمسة آلاف حديث.

وفي سنة 20هـ ولاه عمر بن الخطاب امارة البحرين لمعرفته السابقة بهذا البلد، ثم بلغ عمر عنه أشياء تخل بالأمانة فعزله وولى مكانه عثمان بن أبي العاص الثقفي. ولما عاد أبو هريرة الى المدينة كان معه أربعمائة ألف درهم. فقال له عمر: " أظلمت أحدا؟ قال: لا. قال: فما جئت به لنفسك؟ قال: عشرين ألفا. قال: من أين أصبتها؟ قال: كنت أتجر، فقاسمه عمر وأخذ منه عشرة آلاف" (96).

وفي رواية سعد في طبقاته قال له عمر:" يا عدو الله وعدو كتابه. سرقت مال الله". الى آخر الحديث. وروى البلاذري مثل ذلك في (فتوح البلدان) (97).

وفي رواية ابن عبد ربه أن عمر قال له:" استعملتك على البحرين وأنت بلا نعلين، ثم بلغني أنك ابتعت أفراسا بألف وستمائة دينار. فمن أين لك هذا؟ قال: كانت لي أفراس تناتجت وعطايا تلاحقت. قال: قد حسبت لك رزقك ومؤونتك وهذا فضل فأده. قال: ليس لك ذلك. قال: بلى. وسأوجع ظهرك. ثم قال إليه وضربه بالدرة حتى أدماه" (98).

وقد وردت أخبار أبي هريرة عن امارته في البحرين ومحاسبة عمر له في" البداية والنهاية" لابن كثير (99). وفي " عيون الأخبار" لابن قتيبة الدينوري (100).

لقد اشترط علماء الحديث في الراوي شروطا عديدة لكي يعتبروه عدلا وثقة كي يصح الأخذ بحديثه. ولو طبقنا هذه الشروط على الصحابة نراها لا تنطبق على الكثيرين منهم بالنسبة للافعال القبيحة. التي رواها المؤرخون عنهم.

أما القول بأن القرآن شهد بعدالتهم وصدقهم فهذا القول يسري على أعمال الصحابة في حياة النبي(ص). فقد انضبطوا بقيادته وحس توجيهاته، وجاهدوا معه في قتال المشركين ونشر الدين واعلاء كلمة المسلمين. ولكن كثيرين منهم لم يبقوا كذلك، وقد جاء القرآن وفي أحاديث النبي(ص) أمثلة كثيرة على ذلك. لقد جاء في القرآن الكريم { **وما محمد إلا رسول الله قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبه فلن يضر الله شيئا. وسيجزي الله الشاكرين**} (101).

وهذه الآية توقعت أن ينقلب بعض الصحابة على أعقابهم بعد وفاة النبي(ص). وهو ما أظهرته الأحداث.

وقد روى البخاري عن العلاء بن المسيب عن أبيه قال: " لقيت البراء بن عازب فقلت له: طوبى لك. صحبت النبي (ص) وبايعته تحت الشجرة. قال: يا ابن أخي! انك لا تدري ما أحدثنا بعده" (102).

وروى مسلم في صحيحه عن حذيفة عن النبي(ص) " إنه قال: (في أصحابي اثنا عشر منافقا، فيهم ثمانية لا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط)" (103).

وروى مسلم عن جابر بن سمرة قال:" سمعت رسول الله يقول: (إن بين يدي الساعة كذابين فاحذروهم) (104).

وعن سعيد بن المسيب عن أبيه أنه كان يُحدث عن أصحاب رسول الله، فروى حديثا قال أنه سمعه من النبي(ص) يقول: (يرد عليَّ الحوض رجال من أصحابي فيُجلون عنه، فأقول: يا رب أصحابي، فيقال: انك لا علم لك بما أحدثوا بعدك. إنهم إرتدوا على أعقابهم القهقري) (105).

وفي رواية عن سهل بن سعيد قال:" قال النبي(ص)" (إني فرطكم على الحوض، من مرَّ عليَّ شرب. ومن شرب لا يظمأ أبدا. ليردن عليَّ أقوام أعرفهم ويعرفونني ثم يُحال بيني وبينهم فأقول إنهم مني، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول: سحقا لمن غيَّر)" (106).

وفي رواية مسلم عن ابن عباس قال:" قام النبي(ص) فينا خطيبا بموعظة فقال: (أيها الناس! إنكم تحشرون الى الله حفاة عُراة غرلا، كما بدأنا أول خلق، نعيده وعدا علينا إنا كنا فاعلين. إلا أنه سيجاء برجال من أمتي فيؤخذ بهم ذات الشمال فأقول: يا رب أصحابي، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك. قال: فيقال لي إنهم لا يزالون مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم)" (107).

الهوامش

(1) **الكفاية.** (2) **البخاري**، ج 4، ص18. (3) **الكفاية.**
(4) المصدر نفسه. (5) **المستصفى**. ج1، ص165. (6) **الكفاية.**
(7) المصدر نفسه.
(8) **الإستيعاب**: ابن عبد البر هو الإمام عبد الله بن عبد الكريم بن فروخ ، المتوفي سنة 264 هـ يقول عنه ابن حنبل أنه كان يحفظ سبعمائة ألف حديث عن رسول الله.
(9) **القرآن الكريم**، سورة الأنفال، الآية 74. (10) **القرآن الكريم**، سورة التوبة، الآية 100.
(11) **القرآن الكريم**، سورة الفتح، الآية 29. (12) **القرآن الكريم**، سورة التوبة، الآية 101.
(13) **القرآن الكريم**، سورة الأحزاب، الآية 60. (14) **القرآن الكريم**، سورة التوبة، الآية 73.
(15) **القرآن الكريم**، سورة التوبة، الآية 67. (16) **القرآن الكريم** ، سورة النساء، الآية 142.
(17) **البخاري**، ج 6، ص 110. (18) **البخاري**، ج 8، ص5.
(19) **البخاري**، ج 8، ص 138. (20) **البخاري**،.ج 6، ص102.
(21) **المنارة**، ج 18، ص 19 (22) **الكفاية**،
(23) المصدر نفسه. (24) المصدر نفسه.
(25) المصدر نفسه. (26) **القرآن الكريم** سورة الفتح، الآية 29.
(27) **الكفاية.**
(28) **العقد الفريد**، ابن عبد ربه، **طبقات ابن سعد**، **وفتوح البلدان**: البلاذري، ص 93.
(29) **الطبري**، ج 4، ص 204.
(30) محمد بن سيرين البصري المتوفي سنة 110هـ كان إمام أهل البصرة.
(31) **مروج الذهب.** (32) **البخاري**، ج4، ص 52 و 53.
(33) **مروج الذهب**، ج 2، ص 141. (34) المصدر نفسه. (35) المصدر نفسه.
(36) المصدر نفسه.
(37) **المجموعة الإسلامية**، عبقرية علي. (38) **الطبري** (سيرة عمر).
(39) **عبقرية علي** ، العقاد. (40) المصدر نفسه. (41) **نهج البلاغة.**
(42) ابن عساكر وغيره، والحديث مشهور، ودوس هي عشيرة أبي هريرة في اليمن.
(43) المصدر نفسه. (44) **المستصفى.** (45) **الطبري**، ج5، ص 105.
(46) **الطبري**، ج 5، ص 227.
(47) حجر بن عدي كان من فضلاء الصحابة قدم النبي (ص) في المدينة وشهد القادسية، الطبري.
(48) **الطبري**، في حوادث سنة 51 هـ. وابن الأثير, ج3، ص202. وابن عساكر، ج2، ص379.
(49) **تاريخ محمد عبده**، ج2، ص176، **وابن الأثير**، ج3، ص 20.
(50) شرح **نهج البلاغة.** (51) **الطبري**، ج 4، ص378.
(52) **الإصابة**، ابن عبد البر. (53) **القرآن الكريم**، سورة النور، الآية 4.
(54) ج 1، ص 187. (55) هو من العشرة المبشرين بالجنة.
(56) **القرآن الكريم**، سورة آل عمران، الآية 61. (57) **عبقرية خالد**، عباس محمود العقاد.
(58) **الطبري**، ج 3، ص 276. (59) موسوعة العقاد، **عبقرية خالد**،ص915
(60) **الطبري**، ج5، ص70.
(61) **الطبري**، ج4، ص227-240. عن الكيفية التي اختير بها عثمان للخلافة.
(62) **الطبري**، ج4، ص459. ونعثل هو رجل كث اللحية، وكان عثمان يُشبه به لتشابههما.
(63) **القرآن الكريم**، سورة الأحزاب، الآية 33.
(64) **تاريخ أبي الفداء**، ج1، ص 87.
(65) رواه البخاري مكررا، ج2، ص164 وج 4، ص46.
(66) توفيت عائشة سنة 58 هـ، وتوفي أبو هريرة سنة 59 هـ.
(67) **تأويل مختلف الحديث:** ابن قتيبة الدينوري.
(68) **الإحكام في أصول الأحكام**، الآمدي. والمهذار من هذر أي كثير الخطأ في كلامه، وقيل هو سقط الكلام.
(69) رواه البخاري. والمهراس هو جرن من الحجر يملأونه ماء ويتطهرون به ويغتسلون.
(70) رواه **مسلم**، ج4، ص 229. (71) **الإصابة**، ج 11، ص 112، وج 7،ص 440.
(72) جاء في **الإصابة**، ابن عبد البر.
(73) **البخاري**، ج2، ص432. شعبة هو شعبة بن الحجاج إمام الجرح والتعديل.
(74) **الإصابة**: ابن عبد البر، ج2، ص 338. (75) **القرآن الكريم**، سورة الإنعام، الآية 164.
(76) **البخاري**، ج3،ص3، والصفة موقع في المدينة من الجهة الشمالية في مؤخرة مسجد رسول الله. وكان أهلها أناس فقراء، ليس لهم مساكن ولا عشائر. ينامون في المسجد. وكان أبو هريرة منهم. أنظر: **البخاري**، عن أهل الصفة، ج4، ص172.
(77) **البخاري**، ج1- ص 29. (78) **صحيح مسلم**، ج14، ص 75.
(79) **المنار**، ج19، ص 108. (80) المصدر نفسه.
(81) المصدر نفسه. (82) دوس عشيرة أبي هريرة في اليمن.
(83) **أعلام النبلاء**، ج2، ص 433. (84) **مجلة المنارة**، ج 10، ص 851.
(85) **البداية والنهاية**، **أعلام النبلاء.** (86) **شرح نهج البلاغة**، ج 1، ص 359.
(87) **قبول الأخبار ومعرفة الرجال**، ص 56. (88) **الإستيعاب**، ابن عبد البر، جج2، ص 414.
(89) **شرح نهج البلاغة**، ابن أبي الحديد، ج 1، ص 213.
(90) القصة يرويها العقاد في كتابه:**معاوية بن أبي سفيان**، ص 159.
(91) **العقد الفريد**، ج 6، ص 101. (92) **صحيح مسلم**، ج 12، ص 223.
(93) **البخاري**، ج 4، ص 55. (94) **فتح الباري**، ج6، ص31، وج7، ص393.
(95) **الإصابة**، ابن حجر، ج7، ص 204. (96) **الطبري.**
(97) **فتوح البلدان**، ص 82. (98) **العقد الفريد**، ج1 ، ص53.
(99) ص 111. (100) ج 1، ص 53.
(101) **القرآن الكريم**، سورة آل عمران، الآية 144. (102) **البخاري**، ج 3، ص 32.
(103) **مسلم**، ج17 ص124. سم الخياط:ثقب الإبرة. (104) **صحيح مسلم**، ج18، ص45.
(105) **البخاري**، ج 7، ص208 .الحوض هو الكوثر وهو نهر في الجنة.
(106) **البخاري**، ج 7، ص 207. (107) **صحيح مسلم**، ج 17، ص 164.

47 ـ شروط الحديث الصحيح

يتناول الأستاذ إبراهيم فوزي في كتابه" تدون السنة" هذا الموضوع فيقول:

قامت خلافات كثيرة بين رجال الحديث حول صحة أحاديث الآحاد من جهة اسنادها، وتدور هذه الخلافات حول الشروط التي يجب توافرها في الحديث الصحيح، وهي تتناول المسائل التالية:

1- الخلاف على شروط الراوي.
2 ـ الخلاف على عدالة الإسناد.
3 ـ الخلاف على تعريف الصحابة وعدالتهم.

أولا: الخلاف على شروط الراوي

يقول الإمام الشافعي في الشروط التي يجب توافرها في الحديث الصحيح هو أن يكون الراوي ثقة في دينه، معروفا بالصدق في حديثه، عاقلا لما يتحدث به، وأن يكون سمع الحديث من ثقة عن ثقة عن ثقات حتى يتناهي الى الصحابي الذي سمعه من النبي (ص) (1).

ويقول يحيى بن معين (158 – 233هـ): " لا يكتب الخبر عن النبي (ص) حتى يرويه ثقة عن ثقة عن ثقات حتى يتناهى الى النبي (ص) ، ولا يكون فيهم رجل مجروح ولا مجهول. فإذا ثبت الخبر بهذه الصفة وجب قبوله" (2).

ويقول الخطيب البغدادي:" يشترط أن يكون الراوي وقت تحمل الحديث وسماعه مميزا وضابطا لما يسمعه، ويجب أن يكون المحتمل وقت تحمل الحديث عالما بما يسمعه، واعيا وضابطا له حتى تصح منه معرفته بعينه عند التنكر له كما عرفه وقت التحمل، فيقول به كما سمعه بلفظه إن كان الحديث مما يُروى بلفظه أو كان يروى على المعنى" (3).

وسُئل عبد الله بن المبارك (118- 181هـ) عن العدالة في الرجل لكي يقبل حديثه فقال:" أن تكون فيه أربع خصال: لا يشرب الخمر، ولا يكون في دينه خزية، ولا يكذب، ولا يكون في عقله شيء" (4).

وروى ابن شهاب الزهري عن سعيد بن المسيب أنه قال: " من كان فضله أكثر من نقصه فهو عدل" (5).

وقد رويَ عن النبي (ص) أنه قال:(من عامل الناس فلم يظلمهم، وحدثهم فلم يكذبهم، ووعدهم فلم يخلفهم، فهو من كملت مروءته، وظهرت عدالته، ووجبت اخوته، وحُرمت غيبته) (6).

وذهب بعضهم فقالوا لا يشترط في العدل سوى اسلامه، واستدلوا بحديث الأعرابي الذي رويناه آنفا فقال:" إني رأيت الهلال. يعني رمضان. فقال النبي (ص): (أتشهد أن لا اله إلا الله وأن محمدا رسول الله؟) قال: نعم. قال النبي (ص): (قم يا بلال أذن بالناس فيصوموا غدا). فقالوا ان النبي (ص) خبر اسلامه ولم يختبر عدالته".

واشترط بعضهم في العدل أن يكون قائما بواجباته الدينية. فقد ذكر الخطيب البغدادي عن رجل قطع مسافات طويلة ليسمع حديثا عن شيخ، فلما علِمَ أنه لا يصلي إلا قليلا عاد ولم يسمع منه.

ويقول أبو العالية:" كنت أرحل الى الرجل مسيرة أيام لأسمع منه حديثا، فأول ما افتقد منه صلاته، فإن وجدته يقيمها أقمت وسمعت منه، وإن وجدته يُضيعها رجعت ولم أسمع منه، وقلت: هو لغير الصلاة أضيع"(7).

ولم يأخذ فقهاء آخرون بهذه الأقوال بعد أن خبروا أن كثيرا ممن كانوا قائمين بواجباتهم الدينية كانوا يكذبون على رسول الله.

يقول يحيى بن معين:" ما رأيت الصالحين يكذبون في شيء أكذب منهم في الحديث" (8).

ويقول اِلإمام مالك:" لقد أدركت هذا البلد (يعني المدينة) وفيها مشائخ له فضل وصلاح وعبادة يحدثون عن رسول الله، فما سمعت من واحد منهم حديثا قط ". قيل له: ولِمَ يا أبا عبد الله؟ قال:" لم يكونوا يعرفون بما يحدثون" (9).

ويقول مالك:" لا تأخذ العلم عن أربعة: سفيه معلن السَفه و'ن كان اروى الناس، وكذاب يكذب في حديثه مع الناس، وصاحب هوى يدعو الناس الى هواه، وشيخ له فضل وعبادة إذ كان لا يعرف ما يُحدث".

وقد اعتبر الإمام مالك جميع المتكلمين من أهل البدع والأهواء الذين لا تقبل شهاداتهم ولا تسمع أحاديثهم (10).

واشترط بعضهم في الراوي سلامة مذهبه فقالوا لا يؤخذ الحديث عن المتشيعين لعلي بن أبي طالب، ولا بحديث من كان قدريا أو معتزليا. وقد أخذ البخاري بهذا المذهب فلم يرو لأحد من أئمة الشيعة وأهل البيت حتى ولو كانوا من الصحابة.

وغالى بعضهم في شروط الراوي فقالوا لا يقبل حديث من يجلس في الطرقات ويأكل في الأسواق، ويصحب الأرذال، ويبول في الطريق، أو يبول قائما، أو يتبسط في المداعبة والمزاح (11).

ورُويَ عن شعبة بن الحجاج (82- 160هـ) أنه جاء الى حساء ابن مصلك ليأخذ عنه حديثا فرآه يبول مستقبلا القبلة فضعَّفه وعاد ولم يأخذ عنه (12).

ويقول شعبة:" أتيت منزل المنهال بن عمر فسمعت فيه صوت الطنبور فرجعت". ويقول:" لقيت ناجية الذي روى عنه ابن اسحق، فرأيته يلعب الشطرنج فتركته ولم أكتب عنه" (13).

وهكذا جرى تقويم الحديث من هذا المنطلق لاعتبارات تتعلق بأخلاق الراوي ولم يجر تقويم الفكر والعقل لدى رجال الإسناد. فقد يكون الراوي ممن يتمتع بالشروط التي وضعوها لتجعل منه الرجل الصدوق والموثوق والعدل، ولكنه لا يتمتع بمستوى فكري وعقلي يُؤهله لتقويم الحديث من جهة المعنى. فقد يكون ممن يؤمنون بالخرافات والأوهام التي كانت سائدة في عصره، فيخرج الحديث، من غير قصد سيء، بأوهامه وخرافاته، خاصة وأن الأحاديث بعد طول الزمن أصبحت تروى بالمعنى وليس باللفظ. وهذا ما يفسر استبعاد رجال الفكر والعلم عن الأخذ بأحاديثهم، بينما شاعت في الكتب المجموعة أحاديث ذات مستويات متدنية من الوجهة الفكرية.

*** التفريق بين رواية الحديث والشهادة**

اختلف علماء الحديث في التفريق بين رواية الحديث وبين الشهادة أمام القضاء. فبعضهم جعلوا شروط الراوي كشروط الشاهد وهي: العقل والبلوغ والحرية والعدد، فقالوا: لا تقبل رواية الصغير الذي لم يدرك سن البلوغ، ولا المجنون، ولا العبد ولا الأمة، ولا تقبل الشهادة بأقل من اثنين. بينما ذهب فريق آخر فجعلوا شروط رواية الحديث عن النبي (ص) أقل من شروط الشهادة. فقد اكتفوا بأن تتوافر في رواية الحديث الشروط التالية:

أولا: أن يكون الراوي عاقلا ومميزا وقد أدرك سن البلوغ. واختلفوا فيما لو سمع الحديث في الصغر وأداه بعد البلوغ. فعند بعضهم يصح وعند آخرين لا يصح.

ثانيا: أن يكون مسلما. واختلفوا فيما لو سمع الحديث وهو مشرك أو كتابي وأداه بعد اسلامه. فيصح عند بعضهم ولا يصح عند الآخرين ويستدل هذا الفريق في التمييز بين رواية الحديث وبين الشهادة، بأن النبي (ص) قبل في حادثة الإفك، شهادة بريرة، وهي جارية لعائشة." فقال لها:(هل علمت على عائشة شيئا يُريبك؟). قالت: عائشة أطيب من طيب الذهب" (14).

كما ذهب بعضهم الى القول بجواز رواية الحديث عن المشرك، مستندين الى أن النبي (ص)، " لما توجه سنة ست الى مكة، وصل الى مكان يدعى ذو الخليفة، فبعث عينا من خزاعة، يخبره عن جيش قريش، وكان هذه العين مشركا" (15).

إن الرجال الذين جمعوا الحديث ودونوه في الكتب قبلوا رواية الصغير الذي سمع الحديث في الصغر وأداه بعد البلوغ، وقبلوا رواية العبد والأمة، وقبلوا رواية الشخص الذي سمع الحديث وهو مشرك أو كتابي وأداه بعد اسلامه. وقبلوا رواية الشخص الواحد. وهذا بخلاف الشهادة.

يقول الإمام الشافعي فيما يخالف فيه الحديث الشهادة:" أقبل في الحديث الرجل الواحد والمرأة الواحدة، سواء أكان عبدا أم أمة، ولا أقبل واحدا في الشهادة، وأقبل في الحديث أن يقول حدثني فلان عن فلان، ولا أقبل في الشهادة إلا إذا قال: سمعت أو رأيت أو شهدت" (16).

ويقول القاضي أبو بكر محمد بن الطيب فيما يختلف فيه الشاهد عن رواية الحديث:" أن يكون الشاهد عن راوية الحديث:" أن يكون الشاهد حرا وغير والد ولا ولد ولا قريب قرابة تدعو الى مظنة. وغير صديق وملاطف. وأن يكون رجلا في بعض الشهادات، لا أنثى. وأن يكون اثنين في بعض الشهادات وأربعة في بعضها الآخر. وكل ذلك غير معتبر في المخبر عن رسول الله" (17).

ويقول الخطيب البغدادي:" لقد قبل علماء السلف ما رواه النساء والعبيد ومن ليس بفقيه، ومن لم يروِ إلا حديثا أو حديثين، فإن قبل كيف يقبل خبر العبد والصغير وليس هما من أهل الشهادة؟ قلنا اجماع الناس على ذلك" (18).

لقد كان الصحابة في أول الإسلام يتحرجون في رواية الحديث عن رسول الله خشية الغلط وعدم القدرة على الحفظ أو الضبط وحسن الأداء، وكانوا لا يقبلون الحديث من الصغار ولا يقبلون الرواية بأقل من اثنين، وقد زالت كل هذه التحفظات، عند جمع الحديث في القرنين الثاني والثالث الهجريين فكانت النتيجة أن تسربت الى كتب الحديث أحاديث نُسبت الى النبي (ص) خالية من كل مضمون فكري أو علمي أو اجتماعي، وبعضها يمس بمقام النبوة.

ثانيا: الخلاف على عدالة رجال الإسناد

على الرغم من الشروط الكثيرة التي اشترطها علماء الحديث في الراوي لقبول حديثه، فقد قامت خلافات كثيرة حول عدالة رجال الإسناد. فمن كان عدلا وثقة عند بعضهم، هو عند غيرهم ضعيف وليس بعدل ولا ثقة.

يقول الذهبي:" لم يجتمع علماء الحديث على توثيق ضعيف ولا على تضعيف ثقة" (19).

ويقول السبكي: " فربَّ مجروح عند عالم مُعدَل عند غيره. فيقع الإختلاف في الإحتجاج حسب الإختلاف في التزكية" (20).

وقد روى البخاري عن رجال ضعّفهم مسلم ولم يرو لهم. وروى مسلم عن رجال ضعّفهم البخاري ولم يرو لهم.

يقول الحاكم في " المستدرك": " عدد من أخرج لهم البخاري ولم يخرج لهم مسلم بلغ 434 شيخا. وعدد من أخرج لهم مسلم ولم يخرج لهم البخاري بلغ 625 شيخا".

ومن الأمثلة على الخلاف بين البخاري ومسلم على رجال الإسناد، إن البخاري اعتبر عكرمة مولى عبد الله بن عباس رجل ثقة وصدق ولا يكذب في الحديث، وروى له في صحيحه أحاديث كثيرة عن سيده ابن عباس، بينما ضعَّفه مسلم ولم يرو له شيئا.

وقد طعن كثيرون في عكرمة واتهموه بالكذب فيما رواه من أحاديث عن ابن عباس، منهم التابعي سعيد بن المسيب، المتوفي سنة94هـ، فقال لمولاه برو:" لا تكذب عليَّ كما كذب عكرمة على مولاه ابن عباس"(21).

ويقول ابن سعد:" تكلم الناس في عكرمة ولا يحتج بحديثه"(22).

وكان الإمام مالك يكره الرواية عن عكرمة (23).

وكان عكرمة عند وفاة ابن عباس لا يزال على الرق فورثه ابنه علي. ويقول عبد الله بن الحارث:" دخلت على علي بن عبد الله بن عباس وعكرمة موثق بالباب، فقلت: ما تفعلون بمولاكم؟ قال علي: إن هذا كان يكذب على أبي" (24).

وروى البخاري عن رجال كثيرين جرّح بهم غيره من رجال الحديث. فقد روى عن اسماعيل بن عبد الله بن مالك، الذي جرّحه النسائي، وقال عنه يحيى بن معين أنه كذاب.

وروى البخاري عن زياد بن عبد الله العامري، الذي قال فيه الترمذي عن وكيع أنه كان يكذب في الحديث.

وروى البخاري عن الحسن بن مدرك السدوسي الطحان، وقد رماه أبو داوود بالكذب.

وروى البخاري عن أحمد بن صالح المصري، الذي قال عنه النسائي أنه ليس بثقة، ورماه يحيى بن معين بالكذب (25).

ولم يرو البخاري عن ابن جريح عالم مكة، فاعتبره من الضعفاء، بينما روى له مسلم وغيره من أصحاب السنن (26).

ولم يرو البخاري ولا مسلم عن الإمام الشافعي، لأنه كان بزعمهما ضعيفا في الرواية، وإن مذهبه في مراسيل الصحابة ليس حجة (27).

ولم يرو البخاري عن الإمام أبي حنيفة إذ اعتبره من الضعفاء المتروكين.

يقول ابن عبد ربه:" إن ممن جرح بأبي حنيفة محمد بن اسماعيل البخاري، وقدره من الضعفاء المتروكين ولم يرو له. كما لم يرو له مسلم في صحيحه. بينما روى له النسائي والترمذي. وقد تعصب له ودافع عنه شعبة بن الحجاج ويحيى بن معين وابن جريح وغيرهم" (28).

والذين جرحوا بأبي حنيفة يقولون عنه:" ما رأينا واحدا أجرأ على الله من أبي حنيفة" (29). وقالوا أنه لم يصح عنده من أحاديث رسول الله إلا أحاديث قليلة يقول ابن خلدون أنها سبعة عشر حديثا.

ويقول ابن عبد ربه:" أن أهل الحديث طعنوا بأبي حنيفة لأنه كان يرد كثيرا من أحاديث العدول، إذ كان يذهب في ذلك الى عرضها على ما اجتمع إليه من الأحاديث ومعاني القرآن، فما شذ عن ذلك رده وسماه شاذا" (30).

وقد طعن أبو حنيفة في كثير من الأحاديث التي وردت في الصحيحين منها حديث:" إن يهوديا رضَّ رأس جارية بين حجرين، فرضَّ النبي (ص) رأسه بين حجرين" (31). فقال أبو حنيفة عن هذا الحديث أنه كذب وهذيان (32).

ومنها الحديث الذي جاء في الصحيحين أن النبي (ص) قال: (البيعان بالخيار ما لم يتفرقا). وقال أبو حنيفة: " إذا وجب البيع فلا خيار" (33).

ومنها الخبر الذي جاء في الصحيحين أن النبي (ص) كان إذا عزم على السفر قرع بين زوجاته في أيهن ستسافر معه، قال أبو حنيفة:" القرعة قمار" (34).

وقد ضعف علماء الحديث نحوا من ثمانين رجلا من رواة البخاري وضعفوا من رواة مسلم 160 رجلا.

ويختلف البخاري ومسلم في صحة الرواية عمن تشيعوا لعلي بن أبي طالب. فالبخاري يعتبر كل من تشيع لعلي هو صاحب هوى وغير موثوق، ولا تجوز الرواية عنه حتى لو كان من الصحابة.

فقد ذكر الخطيب البغدادي في كتابه " الكفاية" عن أبي عبد الله ابن الأخرم الحافظ " أنه سئل: لمَ ترك البخاري الرواية عن الصحابى أبي الطفيل؟ قال: لأنه كان متشيعا لعلي بن أبي طالب" (35). بينما روى له مسلم.

ولم يعتبر مسلم التشيع لعلي بن أبي طالب سببا في تضعيف الراوي. فقد ذكر الخطيب البغدادي في كتابه " الكفاية" عن محمد بن يعقوب أنه " سُئل عن رأيه في الفضل بن محمد الشواني فقال عنه أنه صدوق في الرواية إلا أنه كان من المغالين في التشيع، قيل له: ولكنك حدثت عنه. قال: لأن أستاذي (يعني مسلما) ملأ كتابه من أحاديث المتشيعيين لعلي بن أبي طالب".

ويختلف البخاري ومسلم في صحة الرواية عن الخوارج. فمسلم يعتبرهم خارجين عن الإسلام، ولا تجوز الرواية عنهم. ويذكر حديثا عن سهل بن حنيف " إنه سمع رسول الله يذكر الخوارج، وقد أشار بيده نحو العراق، فقال: (

يخرج منه قوم يقرؤون القرآن بألسنتهم لا يجوز تراقيهم. يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية). وهذا الحديث يرويه البخاري (ج8 ص53) ولكنه يبيح الرواية عنهم. فقد روى لعدد منهم، ممن جاهروا بذم علي بن أبي طالب. فقد روى عن أبي الأحمر السائب بن فروج، المتوفى سنة 136هـ، وكان شاعرا هجاء وهو القائل للصحابي أبي الطفيل في ذم علي بن أبي طالب:

لعمرك انني وأبا طفيل لمختلفان والله الشهيد
لقد ضلوا بحب أبي تراب كما ضلت عن الحق اليهود

وروى البخاري عن عمران بن حطان السدوسي، المتوفى سنة 84هـ، وكان من شعراء الخوارج، وهو القائل في مدح عبد الرحمن بن ملجم قاتل علي بن أبي طالب:

يا ضربة من تقي ما أراد بها إلا ليبلغ من ذي العرش رضوانا(36)

لقد اشترط الفقهاء في رواية الحديث عن رسول الله أن يكون الراوي خاليا من الأهواء، وبالإستناد الى ذلك لم يرو البخاري لأحد من الشيعة، ولو كانوا من الصحابة، بحجة أنهم أصحاب هوى. فهل كان الخوارج خالين من الأهواء؟ وهل كان عمران بن حطان السدوسي صادقا وخاليا من الهوى، وهو يصف عبد الرحمن بن ملجم بقوله عنه " تقيا"؟ وكيف يكون القاتل تقيا وقد جاء في القرآن الكريم { **ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعدَّ له عذابا عظيما**}. ولو أن هذا البيت من الشعر الذي يقوله عمران بن حطان السدوسي في مدح عبد الرحمن بن ملجم، قيل في مدح أبي لؤلؤة، قاتل عمر بن الخطاب، فماذا يكون موقف البخاري من قائله؟ ألا يدل على أن البخاري كان صاحب هوى بالرواية عمن ناصبوا عليا العداء؟

لقد روى البخاري لمعاوية بن أبي سفيان وعده من الصحابة، وخصص له بابا في كتابه الصحيح سماه:" باب ذكر معاوية رضي الله عنه"؛ بينما قال عنه المؤرخون أنه كان من المؤلفة قلوبهم، وهم الذين آمنوا بلسانهم ولم يؤمنوا بقلوبهم.

يقول الطبري أن النبي (ص) في غزوة حنين قسم الفيء من الغنم والإبل، فأعطى المؤلفة قلوبهم، منهم أبو سفيان بن حرب، أعطاه مائة بعير، وأعطى إبنه معاوية مائة بعير (37).

وكان معاوية فرض على أئمة المساجد شتم علي بن أبي طالب على المنابر، يقول ابن عساكر:" كان أول عمل لمعاوية، بعد أن استولى على الحكم، ان كتب لعماله في جميع الآفاق بأن يلعنوا عليا على المنابر" ويقول ابن عساكر:" كانت مجالس الوعاظ في الشام تختم بشتم علي بن أبي طالب" (38).

وروى البخاري أحاديث كثيرة للمغيرة بن شعبة، وكان معاوية عيَّنه واليا على الكوفة، فأقام فيها سبع سنين، وكان كلما صعد المنبر ذمّ عليا وترحم لعثمان.

ويقول الطبري في تاريخه:" ولى معاية المغيرة بن شعبة على الكوفة، وأوصاه أن لا يترك شتم علي وذمه، والترحم لعثمان. والإستغفار له، والعيب على أصحاب علي" (39).

إن البخاري فيما رواه من أحاديث عمن ناصبوا عليا العداء، يضع علامة استفهام على أهوائه السياسية. وقد ذكر في صحيحه عن ابن سيرين أنه قال:" إن عامة ما يروى عن علي بن أبي طالب هو الكذب" (40). وهو يقصد أحاديث النبي (ص) التي قيلت في علي ابن أبي طالب.

الهـوامـش

(1) **الكفاية**.

(2) **الكفاية**.

(3) المصدر نفسه.

(4) المصدر نفسه.

(5) المصدر نفسه.

(6) المصدر نفسه.

(7) **الرحلة في طلب العلم**، الخطيب البغدادي.

(8) **الكفاية**.

(9) كتاب **الإمام مالك**، محمد أبو زهرة.

(10) المصدر نفسه.

(11) **الكفاية**.

(12) المصدر نفسه.

(13) المصدر نفسه.

(14) **البخاري**.

(15) **زاد المعاد**، ابن القيم الجوزية التوفي سنة 751هـ.

(16) **الكفاية**.

(17) المصدر نفسه.

(18) **الكفاية**.

(19) **تذكرة الحفاظ**.

(20) **طبقات الشافعية**.

(21) **جامع بيان العلم**، ابن عبد البر.

(22) **طبقات ابن سعد**.

(23) **الكفاية**.

(24) **وفيات الأعيان**، ابن خلكان.

(25) **طبقات الشافعية**.

(26) ابن جريج اسمع عبد الملك بن عبد العزيز أصله رومي، وكان نصرانيا وأسلم، وهو ممن قاموا بجمع الحديث في القرن الثاني للهجرة. يقول عنه الحافظ الذهبي:" أتهم بوضع الحديث. وقد تزوج تسعين مرة زواج متعه، توفي سنة 150 هـ.

(21) الفخر الرازي، ص 148.

(28) الإنتفاء.

(29) المصدر نفسه.

(30) المصدر نفسه.

(31) رواه البخاري، ج3،ص89، وجاء مكررا.

(32) الملكي: محمد بن علي المكي، المتوفى سنة 386 هـ.

(33) المصدر نفسه.

(34) المصدر نفسه.

(35) جاء في **الإستيعاب**: ابن عبد البر، عن أبي الطفيل، ج3، ص5: هو عامر بن وائلة الكناني، توفى سنة مائة، وكان آخر من مات من صحابة رسول الله. وكان ثقة، ويعترف بفضل الشيخين أبي بكر وعمر ولكنه كان يقدم عليا عليهما.

(36) وقد رد عليه القاضي أبو الطيب الطبري الشافعي:

إني لأبـرأ ممـن أنـت ذاكـره — عن ابن ملجم الملعون بهتانا

إني لأذكـره يـومـا فـألعنـــه — دينا وألعن عمران بن حطانا

عليك ثـم عليه من جـماعتنا — لعائـن كثـرت سـرا واعـلانا.

طبقات **الشافعية**، للسبكي.

(37) **تاريخ الطبري**، ج3، ص90.

(38) **تاريخ ابن عساكر**، ج3، ص407.

(39) **الطبري**، في حوادث سنة 51، ج 6، ص 108، وابن الأثير، ج 3، ص 202.

(40) **البخاري**، ج 2، ص 259.

48 - الإعجاز العلمى فى السنة

كتب د. خالد منتصر في كتابه " وهم الإعجاز العلمي":

تم تدشين نظرية الإعجاز العلمي في كتب الحديث بواسطة د. زغلول النجار فقد كان أول وأبرز صوت يعلن عن هذا الإكتشاف المذهل، فقد كان أستاذه مصطفى محمود أكثر حذرا ولم يحاول الإقتراب من هذه المنطقة الشائكة لأنه كان قد فطن الى أن التدخل في منطقة السنة النبوية بنظريات الإعجاز سيتحول الى مغامرة محفوفة بالمخاطر، فهي منطقة ألغام شديدة الإنفجار لأن السنة النبوية في النهاية نتاج بشري في معظمها وهذا لا يعني إنكارا للسنة النبوية وإلا ما كان الصحابة يراجعون النبي بسؤالهم الشهير: أهو الرأي أم الوحي؟ ولذلك فالأخطاء العلمية واردة ولا عيب فيها ولا نقيصة، ذلك لأن الرسول (ص) كان يتحدث بمفردات عصره وأفكار وعلوم زمنه وإلا ما فهمه ولا إقتنع بنبوته أحد في هذه البقعة الجافة القاحلة علميا قبل زراعيا، وكانت جرأة د. زغلول صادمة حين بدأ بحديث الذبابة الشهير محاولا منحه صبغة علمية فقد أطلق زغلول النجار في 11 توفمبر 2003 في جريدة الأهرام صفحة 22 قنبلة كانت أقوى من إحتمالي ولا تحتمل السكوت، فقد تحدث عن حديث الذبابة وجعل منه كشفا علميا وفتحا بيولوجيا على الغرب الجاهل أن يحلله ويفتح معاملة لإستقباله والإحتفاء به، والحديث يقول " إذا وقع الذباب في شراب أحدكم فليغمسه ثم لينزعه فإن في إحدى جناحيه داء وفي الأخرى شفاء"، ويعلق قائلا أنه من الناحية العلمية ثبت أن الذباب يتغذى على النفايات والمواد العضوية المتعفنة حيث تنتشر الفيروسات والبكتيريا والجراثيم ولكي ينفرد ربنا بالوحدانية خلق كل شيء في زوجية واضحة فخلق البكتيريا وأضدادها وقد أعطى الله للذباب القدرة على حمل الفيروسيات والبكتيريا على جناح، وأكد الدكتور زغلول على أن مجموعات من أبحاث المسلمين قامت بإجراء أبحاث على أنواع مختلفة من الأشربة وغمست الذباب في بعضها ولم يغمس في الباقي وعند الفحص المجهري إتضح أن الأشربة التي غمس فيها الذباب خالية من كل الجراثيم المسببة للمرض!! وبالطبع لا يصمد هذا الكلام أمام أي تحليل علمي والسؤال وما دام الدكتور زغلول بهذه العبقرية لماذا لم ينشئ لنا مصنعا إسلاميا لإستخراج المضادات الحيوية من أجنحة الذباب ويكفينا شر الجات وغلاء المضادات الحيوية؟، والمدهش أن هذه البديهية كنا قد تصورنا أنها حسمت في العشرينات حين تبنى المفكر الإسلامي محمد رشيد رضا في مجلته المنار ذات التوجه الإسلامي فكرة أن هذا الحديث غريب ويجب ألا نتمسك به حين قال في المجلد 29 الجزء الأول " حديث الذباب المذكور غريب عن الرأي والتشريع، فمن قواعد الشرع العامة أن كل ضار قطعا فهو محرم قطعا، وكل ضار ظنا فهو مكروه كراهة تحريمية أو تنزيهية على الأقل"، وكان بعض الشيوخ قد كفروا د. محمد توفيق صدقي حين هاجم هذا الحديث في العشرينات في نفس المجلة وقد دافع عنه رشيد رضا قائلا " ذلك المسلم الغيور لم يطعن في صحة هذا الحديث إلا لعلمه بأن تصحيحه من المطاعن التي تنفر الناس من الإسلام، وتكون سببا لردة بعض ضعفاء الإيمان، وقليلي العلم الذين لا يجدون مخرجا من مثل هذا المطعن إلا بأن فيه علة في المتن تمنع صحته، وما كلف الله مسلما أن يقرأ صحيح البخاري ويؤمن بكل ما فيه وإن لم يصح عنده". الجملة الأخيرة التي قالها رشيد رضا جملة شجاعة ترسخ لنا مبدأ هاما من الممكن أن يصدم البعض وهو أننا لسنا مطالبين بأن نتبع كل ما كتبه البخاري لمجرد صحة السند فمن المهم جدا أن نناقش المتن إذا كان مخالفا للعقل حتى ولو أجازه البخاري، والأمثلة كثيرة ومتعددة ولكن علماء الحديث المعاصرين كسالى عن التنقيب والبحث ومرعوبون من فكرة تنقيح أحاديث البخاري، برغم أنه قد رفض من قبلهم أئمة ورجال دين مستنيرون بعض أحاديث البخاري لتعارضها مع العقل ولأنها كانت تتحدث عن معلومات وبيئة هذا الماضي البعيد، وسنكتفي من هذه الأمثلة بما يعارض العلم الحديث ويهدم نظرية الإعجاز العلمي المزعومة"

* الأحاديث التي أخرجها الشيخان بالنسبة لرفض فكرة العدوى وهي " قال رسول الله (ص) لا عدوى ولا صفر ولا هامة، فقال أعرابي يا رسول الله: فما بال إبلي تكون في الرمل كأنها الظباء فيأتي البعير الأجرب فيدخل بينها فيجربها؟، فقال من أعدى الأول؟! " والحديث الثاني " لا عدوى ولا طيرة ويعجبني الفأل"، والحديث الثالث " لا عدوى ولا طيرة، وإنما الشؤم في ثلاثة" المرأة والفرس والدار". والغريب أن هناك أحاديث أخرى تثبت العدوى مثل " إذا سمعتم بالطاعون بأرض فلا تدخلوها"، والسؤال هل يكمن الإعجاز في الأحاديث الأولى أم الحديث الأخير؟!، وحل هذا التناقض بسيط وهو كما قال كثير من الفقهاء عن أن أحاديث المفاهيم العلمية والطبية والملابس والطعام ... الخ، ليست من العقيدة ولا من الأوامر الإلهية الموحاة للنبي ومجال الفصل ما بين السنة القولية والفعلية واسع ولا مجال هنا لمناقشته.

* الحديث الذي أخرجه الشيخان عن حركة الشمس والذي يقول " كنت مع النبي في المسجد عند غروب الشمس، فقال يا أبا ذر أتدري أين تغرب الشمس؟، قلت: الله ورسوله أعلم!، قال: فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش فذلك قوله تعالى والشمس تجري لمستقر لها"، وللعلم إعتمد على هذا الحديث بن باز في فتواه التي كفر بها من يقول بكروية الأرض وحركتها حول الشمس، وفي رواية أخرى يتحدث الرسول عن أن الشمس يُقال لها إرتفعي وإرجعي فتطلع وتغرب ... الخ، ومن المعروف الآن لطلاب المرحلة الإعدادية في الجغرافية أن الشمس مستقرة في مكانها وأن الشروق والغروب ليس سببه حركتها هي بل سببه دوران الأرض حول نفسها، وأن هذا الشروق والغروب مستمران طيلة الأربع والعشرين ساعة وفي كل لحظة تكون في حالة شروق بالنسبة لمكان في الأرض، وفي الوقت نفسه في حالة غروب بالنسبة للمكان المقابل من الأرض، ومن الواضح أن الحديث يتماشى مع ثقافة أهل هذا الزمان ومفاهيمهم التي تعتبر الأرض ساكنة ومسطحة وأن الشمس هي التي تتحرك، ولم يكن مطلوبا من الرسول أن يكون عالما بنظريات الفلك في القرن العشرين ولم يكن تقصيرا منه أن يتحدث بلغة وعلوم قومه وإلا لرفض أهل البادية إعتناق دينه حينذاك.

* حديث خلق الله آدم طوله ستون ذراعا وأن الخلق لم يزل ينقص بعده حتى الآن والذي أخرجه الشيخان أيضا، وهنا تبرز إشكالية علمية هامة فالذراع عند العرب إما 24 أصبع أي حوالي 48 سم أو 32 أصبعا أي حوالي 64 سم، يعني بهذا القياس فإن أبانا آدم لن يكون طوله أقل من ثلاثين مترا بأي حال من الأحوال وهذا يخالف كل ما إكتشفه علماء الآثار والحفريات عن أقدم هياكل البشر العظمية التي لا يختلف طولها عما عليه الإنسان الآن إلا قليلا! وأيضا لم يلاحظ هذا القصر التدريجي من ثلاثين الى عشرين الى عشرة متر ... الخ، والغريب أن هذا الحديث مثلما أدهشني أدهش الحافظ بن حجر العسقلاني فقد كتب في كتابه فتح الباري " ويشكل على هذا ما يوجد الآن من آثار الأمم السالفة كديار ثمود، فإن مساكنهم تدل على أن قاماتهم لم تكن مفرطة في الطول على حسب ما يقتضيه الترتيب السابق، ولا شك أن عهدهم قديم، وأن الزمان الذي بينهم وبين أول هذه الأمة، ولم يظهر لي الى الآن ما يزيل هذا الإشكال".

* حديث آخر أخرجه الشيخان يقول : إذا سمعتم صياح الديكة فإسألوا الله من فضله، فإنها رأت ملكا، وإذا سمعتم نهيق الحمار فتعوذوا بالله من الشيطان، فإنه رأى شيطانا" وهذا الحديث من غرائب مرويات أبي هريرة، وسنناقش بالمنطق هذا الحديث فالقرآن والحديث ينصان على أن لكل إبن آدم ملائكة حفظة وملكان يكتبان أعماله وعلى ذلك فلا بد أن تصيح الديكة طيلة الأربع والعشرين ساعه، وكذلك الحال مع الحمار لا بد هو الآخر أن ينهق أربعا وعشرين ساعة لأن لكل إنسان شيطانا موكلا به وقرينا يضلله، وفي القرى المصرية نشاهد حميرا كثيرة أمام المساجد وفي الشوارع فيجب عليها طبقا للأحاديث أن تنهق عند الآذان لأن هناك حديثا يقول أنه إذا نودى للصلاة أدبر الشيطان له ضراط، فهنا كان لا بد للحمار أن ينهق عند سماع صوت المؤذن لأنه سيشاهد الشيطان الذي خرج وأدبر!!.

* الحديث الذي أخرجه البخاري والذي يقول أن التثاؤب من الشيطان، ونحن درسنا التثاؤب في كلية الطب بأنه إنعكاس فسيولوجي عند التعب أو النعاس ولا علاقة له بشيطان أو خلافه.

* وكذلك الحديث الذي أخرجه الشيخان والذي يقول " ما من مولود يولد إلا نخسه الشيطان فيستهل صارخا من نخسة الشيطان إلا إبن مريم وأمه". وبالطبع يعف جميع أطباء النساء والولادة أن سبب صراخ المولود هو دخول الهواء للرئتين لأول مرة بعد أن كان يعتمد الجنين على الحبل السري في الغذاء والأوكسيجين.

* حديث آخر أخرجه الشيخان مروي عن أبي هريرة ويتعارض مع العلم الحديث ويقول " إشتكت النار الى ربها فقالت رب أكل بعضي بعضا، فأذن لها بنفسين: نفس في الشتاء ونفس في الصيف، فأشد ما تجدون في الحر، وأشد ما تجدون من الزمهرير" وبالطبع ينكر علم الجغرافيا هذا الكلام فسبب الحر والبرد عوامل جغرافية وجوية مثل ميل الشمس وعموديتها وحركة الرياح والضغط الجوي والقرب والبعد عن سطح البحر ... الخ، والسؤال إذا كان هذا النفس يخرج على العالم كله فكيف نفسر تفاوت وإختلاف درجات الحرارة في بقاع العالم المختلفة في نفس الوقت؟.
وفي النهاية نقول نحن عندما تصدينا لدعاة الإعجاز العلمي كان هدفنا الأول هو الدفاع عن الدين وعن العلم أيضا، ويجب علينا أن ننظر الى كم التخلف والجهل الذي نعيش فيه كمسلمين ونعترف بأننا في القاع فكريا وعلميا، والحل هو أن نتسلح بالمنهج العلمي في التفكير ونؤمن بأن معجزة ديننا في أفكاره وثورته الإجتماعية وتفاعله مع رغبات البشر وحياتهم البسيطة، وليس عيبا أو نقيصة أو قدحا في الدين ألا نجد فيه نظرية فيزياء أو معادلة كيمياء فيكفيه أنه نصحنا بأن نسير في الأرض ونقرأ وندرس ونحلم بتغيير المستقبل.

49 - الإســـناد

القرآن قائم على أساس الإيمان، أما الحديث المنسوب للنبي فهو قائم على الشك. ولعلاج هذا الشك اخترعوا الإسناد، أي أن ذلك الحديث رواه فلان عن فلان ... الخ حتى النبي لإثبات أن النبي قال ذلك الحديث، إذ كان الإسناد صحيحا أو لم يقله إذا كان الإسناد ضعيفا. وفي عصرنا لم يعد أحد يهتم إذا كان الإسناد صحيحا أو ضعيفا، فيكفي أن يقال قال رسول الله ليصدق الناس فورا أن النبي قال فعلا هذا الكلام. ونرجع للإسناد الذي يؤكد أن الحديث مثل جدار يريد أن ينقض ويقع فيقوم ((الإسناد)) بإسناده حتى لا يسقط ولا ينهار ... فالقرآن قضية إيمانية أما الحديث فليس قضية إيمانية، وإنما هو قضية علمية عندهم، تدخل في باب البحث والإجتهاد وليس في قضايا العقيدة واليقين، ولذلك اختلف علماء الجرح والتعديل في مدح راو أو تجريحه، وفي اثبات حديث ما أو نفيه، فالإمام مسلم في صحيحه لم يكتف بما قاله البخاري استاذه ولم ياخذ بكل أحاديثه ولم يترك ما تركه البخاري من أحاديث، فجاء صحيح مسلم مختلفا عن صحيح البخاري، ثم جاء الحاكم فأستدرك على البخاري ومسلم، وقبلهم جميعا كان أحمد بن حنبل مختلفا في مسنده ثم جاء المتأخرون أكثر اختلافا. ولأنها قضية علمية عندهم تقوم على الإختلاف في وجهات النظر فإن أحدا لم يحكم بتكفير أحد ... إذ هي أمور ظنية بحثية إنسانية وليست أمور العقيدة والدين.

الإسناد يناقض المنهج العلمي: إن الإسناد قضية علمية تتراوج بين الشك والإثبات وليست قضية إيمانية، ومع ذلك فإن الإسناد يناقض المنهج العلمي والتعقل المنطقي. إن البخاري مثلا عاش في القرن الثالث الهجري ومات سنة 256 هـ. أي بينه وبين النبي قرنان ونصف قرن من الزمان. وإذا اعتبرنا الجيل أربعين عاما فإن بينه وبين البخاري ستة أجيال. فكيف يستقيم في المنهج العلمي أن تتداول ستة أجيال كلمة ما منسوبة للنبي عبر الروايات الشفهية حتى يأتي من يسجلها بعد النبي بمائتين وخمسين عاما؟ ولنأخذ على ذلك مثلا من أحاديث البخاري ..... ونناقشه من حيث الإسناد ومن حيث المتن والموضوع. ونختار من أحاديث البخاري أهونها على عقلية القارئ التي عاشت على تقديس البخاري بسبب إسناد أحاديثه للنبي (ص). تحت عنوان ((باب مباشرة الحائض)) أورد البخاري أحاديث تؤكد أن النبي عليه السلام كان يباشر نساءه جنسيا اثناء المحيض، ونختار منها هذا الحديث بإسناده ((حدثنا إسماعيل بن خليل قال أخبرنا عن بن مسهر، قال أخبرنا أبوا إسحاق هو الشيباني عن عبد الرحمن بن الأسود، عن أبيه عن عائشة قالت: كانت إحدنا إذا كانت حائضا فأراد رسول الله (ص) أن يباشرها أمرها أن تتزر في فور حيضتها ثم يباشرها، قالت: وإيكم يملك إربه كما كان النبي (ص) يملك إربه)) (صحيح بخاري بحاشية السندى مكتبة زهران مجلد 1 الجزء الأول ص 64).

والحديث السابق ينقسم الى جزئين السند والمتن:

فالسند هو سلسلة الرواة الذين عن طريقهم تم إسناد الحديث الى النبي، وهم ستة: إسماعيل بن خليل الذي حدث البخاري بهذا الحديث وكان في جيل استاذه البخاري. وقد ذكر أن الذي حدثه بهذا الحديث علي بن مسهر الذي لم يره البخاري وعاش في القرن الثاني، وهكذا تمتد السلسلة الى أبي 'سحق أو الشيباني، ثم الى عبد الرحمن الأسود، ثم الى أبيه، ثم الى عائشة أم المؤمنين، التي زعموا أنها قالت متن الحديث ونصه.

وأولئك الرواة تسلسلوا عبر الزمن، والبخاري لم ير منهم إلا واحدا هو الذي ادعى أنه حدثه بذلك الحديث. والرواة الماضون الذين عاشوا في أزمنة متعاقبة لا يوجد دليل على أنهم رووا ذلك الكلام، ويستحيل عقلا بالمنهج العلمي إثبات صدقهم في نقل تلك الرواية شفهيا عبر قرنين ونصف قرن من الزمان الملئ بالفتن والإضطرابات، وعبر ستة أجيال اختلفت ظروفهم. وحتى لو تخيلنا أنهم جميعا عاشوا في نفس الزمن ونفس الجيل فإن إحتمال الكذب والنسيان والإضطراب وارد في النقل الشفهي لتلك الرواية عبر ستة أشخاص خلال أربعين عاما، بل خلال أربعين يوما بل ربما خلال أربعين ساعة. وهذا واقع في الحياة العملية حين نتداول قصة حدثت في يوم وليلة، فيلحقها التغيير والتبديل، طالما رواها أكثر من راوي، وكل منهم يضفي عليها من عنده بحيث تختلف عن الأصل، فكيف بمئات الآلوف من الأحاديث اسندوها للنبي (ص) بعد موته بقرون؟

وحقائق التاريخ في العلم المسمى بعلم الحديث تؤكد أن إختراع الإسناد تم في القرن الثاني الهجري، حيث تكاثرت الروايات الشفهية وتكاثر الكذب فيها، فإشترطوا اسنادها عبر رواة سابقين كانوا ماتوا قبلها فيما بين منتصف القرن الثاني الى عصر النبي (ص)، أولئك الرواة المذكورون الموتى لم يكن لهم علم بذلك الذي اسندوه إليهم من روايات. وعليه فقد تبارى العلماء في عصر التدوين، في بداية عصر المأمون في تسجيل أسماء رواة كيفما اتفق. وهذا ما تواصلنا إليه خلال ابحاث متخصصة. ثم وقعوا في النزاع والإختلاف في تعديل ذلك الراوي أو تجريحه، تبعا للإختلاف المذهبي والهوى الشخصي بحيث يقول الذهبي في كتابه المشهور في " الجرح والتعديل" {ميزان التعديل}:" ما اجتمع علماء هذا الشأن على تعديل ضعيف أو تضعيف ثقة". وقد تأسس علم الحديث والجرح والتعديل على أساس الإختلافات الفقهية والعقيدية والفكرية بين المسلمين في العصر العباسي وما تلاه. ونعود الى البخاري في باب ((مباشرة الحائض)) ونقرر أن متن هذا الحديث قد تكرر في عدة أحاديث أخرى، تنسب للنبي (ص) أنه كان يباشر نساءه في المحيض، وكلها أحاديث كاذبة لأنها تنسب للنبي عليه السلام أنه يخالف القرآن، إذ يقول تعالى: ((يسألونك عن المحيض قل هو أذى، فإعتزلوا النساء في المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن، فإذا تطهرن فأتوهن من حيث أمركم الله أن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين: البقرة 222)) أي أنهم سألوا النبي (ص) عن المحيض، وانتظر النبي (ص) الإجابة من السماء فنزلت الآية تؤكد على اعتزال النساء جنسيا في المحيض وعدم الإقتراب منهن بعد حتى يطهرن، ثم يبيح الإقتراب منهن بعد الطهر. وهنا تناقض جلى بين الآية الكريمة وحديث البخاري الذي جاء ضمن أحاديث أخرى تحت عنوان جنسي مثير يقول " باب مباشرة الحائض". فالقرآن يؤكد ليس فقط على اعتزال النساء في

المحيض ـ ومفهوم أنه الإعتزال الجنسي وليس الخصومة والشقاق ـ وإنما يؤكد أيضا على عدم الإقتراب منهن جنسيا بأي كيفية. والبخاري يؤكد في أحاديثه على أن النبي كان لا يعتزل نساءه جنسيا في المحيض. وليس هناك من حل وسط بين القرآن والبخاري في هذه القضية، بحيث إنك إذا آمنت بالقرآن فعليك بتكذيب البخاري، أما إذا آمنت بحديث البخاري فأنت بالتالي تكذب القرآن. وعموما فإن علم ((الجرح والتعديل)) إنصب أساسا على فحص الإسناد أو سلسلة الرواة، دون إهتمام يذكر بفحص المتن أو موضوع الحديث نفسه، وقام فحص الإسناد على أساس الهوى المذهبي والشخصي فلم يحدث إطلاقا أن اتفقوا على أن ذلك الراوي ثقة أو أنه ضعيف، لأن من يمتدحه أهل السنة يهاجمه الشيعة وهكذا بين سائر الطوائف والفرق، ونتج عن ذلك الإختلاف في الحكم على كل راو في سلسلة الإسناد أن صارت الأحكام نسبية، حتى داخل كل فرقة أو مذهب.

وبالتالي قسموا الأحاديث حسب درجتها من الثقة والصحة الى قسمين كبيرين:

1) الأول الحديث المتواتر وهو صحيح بدرجة مائة في المائة، وقد اختلفوا فيه، فقال بعضهم أنه لا يوجد أصلا حديث متواتر مقطوع بصدقة، وقال بعضهم أنه يوجد حديث متواتر واحد وهو حديث ((من كذب عليّ متعمدا فليتبوأ مقعده من النار)) وقال بعضهم أنه حديث متواتر ولكنه يخلو من كلمة متعمدا. ورأى بعضهم أن الحديث المتواتر ثلاثة فقط، وارتفع بعضهم بالأحاديث المتواترة الى خمسة أو سبعة.

2) أما القسم الثاني من الأحاديث فهي الأحاديث الآحاد. وقد قالوا بأن كل الأحاديث المذكورة في كتب الأسانيد (السند) هي أحاديث آحاد، أي رواها واحد عن واحد. وهي تفيد الظن ولا تفيد اليقين، لأن اليقين لا يكون إلا في آيات القرآن. وقالوا أن أحاديث الآحاد يمكن العمل بها إذا ترجح صدقها أو إذا اتفقت مع آية قرآنية. ومع هذا فإنه في عصرنا ـ حيث النفوذ السلفي القائم ـ لن تجد شيخا سلفيا جريئا يشكك في البخاري على أساس أن أحاديثه ظنية تحتمل الكذب كما تحتمل الصدق شأن كل المرويات البشرية التراثية.

ونعود الى الإسناد في أحاديث الآحاد وقد قسموا أحاديث الآحاد (وهي كل الأحاديث في رأينا) الى درجات من حيث الصحة من حسن وغريب وضعيف الخ.. وهو بلا شك تقسيم مضحك لأنه يعني بالنسبة للسند للنبي (ص) أنه قال هذا الحديث بنسبة 70% أو قال ذلك الحديث بنسبة 50% أو 10%. وذلك لا يستقيم مع المنهج العلمي، لأنه أما أن يكون النبي (ص) قد قال ذلك الكلام، فتكون نسبة إسناده للنبي (ص) هي 100%، وأما أن يكون النبي لم يقل هذا الحديث فتكون نسبة إسناده للنبي هي صفر في المائة، ولا توسط بين هذا وذاك. وبالتالي فإن المنهج العلمي يستحيل معه اسناد ذلك الكلام للنبي بعد ستة أجيال من الروايات الشفهية، وبعد أن تم اختراع تلك السلاسل من الرواة بعد موت أصحابها بعشرات السنين دون أن يعرفوا عنها شيئا. والمنهج القرآني يتفق مع المنهج العلمي في ذلك.

الإسناد يناقض المنهج القرآني:

إن إسناد قول ما للنبي (ص) يعني تحويل ذلك القول أو الحديث أوالخبر الى حقيقة دينية يكون المسلم مطالبا بالإيمان بها والعمل وفقا لأحكامها.

وهذا لا يتأتى إلا للقرآن وحده، فالقرآن كتاب محفوظ بقدرة الله تعالي له بداية وله نهاية، ينقسم الى 114 سورة، وكل سورة تضم آيات محددة مرقمة. والله تعالى يقول للمشركين عن القرآن ((وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله: البقرة 23)) وبغض النظر عن موضوع الآية وهو تحدي المشركين بأن يأتوا بسورة مثل سور القرآن فإن الآية تؤكد أن ما نزل على النبي هو سور فقط. ولا توجد تلك السور إلا في القرآن الكريم فقط، إذن ما نزل عليه هو القرآن فقط. وليس هنالك من وحي آخر يقال عنه وحي السنة عند من يعتقد أن الأحاديث والسنن كانت وحيا الآهيا. وليس هناك في الإسلام حديث إلا حديث الله تعالى في القرآن. أما تلك الأحاديث التراثية وأسفارها فلا أول لها ولا آخر. وهي تتناقض حتى في الكتاب الواحد، وربما في الصفحة الواحدة. إن إسناد قول ما للنبي (ص) وجعله حقيقة دينية هو اتهام للنبي (ص) بأنه فرط في تبليغ الرسالة، ولم يبلغ بنفسه تلك الأحاديث المنسوبة إليه، ولم يقم بتدوينها وكتابتها كما حدث مع القرآن. لأن تلك الأحاديث لو كانت جزء من الدين ولم يبلغه الرسول للناس ولم يقم بتدوينه فإن النبي (ص) على ذلك لم يبلغ كل الرسالة، وإنه ترك جزء منها يتناقله الناس ويختلفون فيه الى أن تم تدوينه بعد النبي بقرون ولا يزالون يختلفون فيه.

إلا إننا نؤمن أن النبي عليه السلام قام بتبليغ الرسالة كاملة وهي القرآن ولم يكتم منه شيئا ونزل قوله تعالى يزكي النبي ((اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا: المائدة 3)) فأكتمل الإسلام بإكتمال القرآن، بل ومات النبي (ص) بعدها مباشرة، وتروى الإسانيد والأحاديث نفسها إن النبي (ص) نهى عن كتابة أي شيء غير القرآن، وإن أبا بكر وعمر وعثمان وعليا قد نهوا عن رواية وكتابة أي حديث منسوب للنبي (ص)، ولذلك امتنع تدوين ما نسب للنبي الى أن جاءت الدولة العباسية وعصور الفتن والإضراب العقائدي والمذهبي فتم تدوين أحاديث نسبوها للنبي (ص) عبر ذلك الإسناد، وهي تحمل كل معالم التناقض مع القرآن وعصر النبي عليه السلام. ألا أن ذلك الإسناد أعطى لها قدسية وحصنها من النقد والنقاش فعاشت حتى الآن تنشربيننا التطرف والتخلف وكل ما يسيء للإسلام العظيم. وعليه فإن الخروج من هذا المأزق يحتم إلغاء ذلك الإسناد، أي قطع الصلة بين تلك الأحاديث والنبي عليه السلام، رحمة بالإسلام وتماشيا مع المنطق والمنهج العقلي والعلمي. ثم ننظر الى متن الحديث وموضوعه في ضوء أنه ثقافة تعبر عن العصور التي تم تدوينها فيها. ثم نبحثها من خلال ثقافة عصرها تاريخيا وحضاريا بما فيها من خطأ أو صواب، أي تصبح تراثا معدوم التقديس، كأي تراث بشري تنعكس عليه أحوال البشر من إرتفاع وهبوط وصلاح وفساد. وإذا نظرنا للبخاري مثلا بهذا المقياس فقط انصفنا الإسلام ورسول الله عليه السلام، وإلا كنا في عداد أعداء النبي (ص) الذين سيتبرأ منهم يوم القيامة (الأنعام 116:112/الفرقان. 31:30). نقول هذه عن علم ودراسة بما

يحتويه البخاري من أحاديث تطعن في النبي والإسلام، وظلت محصنة من النقد بسبب حماية الإسناد وما أضفاه الإسناد على البخاري من تقديس ورهبة.

الإسناد يناقض مفهوم الشهادة:

وقف المتهم بالقتل في قفص الإتهام ونوديَ على الشاهد الأول، سأله القاضي: هل اعترف أمامك المتهم بالجريمة؟ فقال الشاهد: لم أسمعه بأذني، وإنما أخبرني بإعترافه أخي. عندها اسقط القاضي شهادته واستدعى أخاه ليسأله فقال: لم أسمع إعترافه بنفسي وانما روى لي هذا الإعتراف أبي، فأسقط القاضي شهادته أيضا واستدعى أباه، فقال الآب: لم أسمع اعترافه ولكن روى الإعتراف لي الذي مات أمس. ومن الطبيعي أن يطلق القاضي سراح المتهم ويطرد الشهود لأنهم ليسوا شهودا. حيث أن الشهادة تكون بالسماع الشخصي المباشر والرؤية العيانية المباشرة ... هذه بالطبع قصة رمزية تؤكد على أن الإسناد عبر أقاويل سماعية خلال عصور متباينة ليس لها أساس ولا يأخذ بها أي نظام قضائي، فالبخاري لم يعش عصر النبي (ص) وكذلك الرواة الذين سبقوه. والصحابة الذين عاشوا عصر النبي (ص) انشغلوا بالفتوحات والفتن والمنازعات عن كل ما نسبوه إليهم، وحتى لو رووا أحاديث فمن أين لنا أن نتأكد مما قالوه، وليس بيننا شاهد عاش من عصرهم وبقى حيا قرنين من الزمان، ثم كتب بنفسه ما سمع بأذنيه وما شاهد بعينيه؟... وحتى لو وقع ذلك فإن من حقنا أن نتشكك فيما قال بسبب الشيخوخة وضعف الذاكرة ((ومنكم من يرد الى أرذل العمر لكي لا يعلم من بعد علم شيئا: الحج 5)). إن الإسناد عبر أجيال من الموتى يناقض الشهادة القانونية، وبالتالي فإنه من الظلم للإسلام أن تقوم تشريعاته وهي أصل القوانين على شهادات زائفة مشكوك في صدقها. ولهذا فإن التقديس الحقيقي للشريعة أن تقتصر على الكتاب الحكيم، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وعلى أساس أن سنة النبي هي في تطبيق القرآن وفق ظروف عصره.

وبالمناسبة نرجع للقرآن في موضوع الإسناد والشهادة ونعطى منه ملمحين:

1 - فالشهادة في مفهوم القرآن هي الرؤية والسمع بالحواس، وبالمعاصرة والمعايشة، وهي جزء أساسي من تشريع القرآن. وفي الشهادة على الديون يوجب القرآن تدوين الشهادة حتى في أيسر المعاملات ((ولا تسأموا أن تكتبوه صغيرا أو كبيرا الى أجله: البقرة 282)) فهل ينطبق تشريع الشهادة في القرآن وأحكامه على اسناد شهادات منسوبة للنبي في التشريع وغيره عبر أجيال من الرواة الموتى عاشوا بين عصر النبي وعصر التدوين وهم لم يروا شيئا ولم يسمعوا شيئا؟

2 - ونقل القرآن الكريم في قصة وسورة يوسف إتهام شقيقه بالسرقة، إن يوسف قد رتب إتهام أخيه الشقيق بالسرقة حتى يتسنى له أن يحتفظ به معه، وكان أخوة يوسف في رحلتهم الثانية لمصر قد ضغطوا على أبيهم يعقوب كي يسمح لهم بإصطحاب أخيهم معهم، فلما احتجزه يوسف عزيز مصر بتهمة السرقة يئس الإخوة من استعادته فقال أخوهم الأكبر ((إرجعوا الى أبيكم فقولوا يا أبانا إن إبنك سرق، وما شهدنا إلا بما علمنا، وما كنا للغيب حافظين: يوسف 81)) أي أن أخاهم الأكبر يقول لهم ليشهدوا بما رأوه من ضبط المسروقات في وعاء أخيهم، وما كانوا للغيب حافظين .. وهذه هي الشهادة من أناس عايشوا الحدث وشهدوا بما رأوه، ومع المعايشة والحضور والشهود والمعاصرة فإن هناك من الخفايا التي لا يعلمونها ... فالشهادة في المفهوم القرآني أن تشهد بما رأيت وسمعت بنفسك مع الإقرار بأنك لا تعلم غير ما شهدت بنفسك، وما خفي عنك لا يعلمه إلا علام الغيوب. وإذا طبقنا مفهوم الشهادة هذا على الإسناد وضح لنا التناقض الهائل بين الشهادة التي ينبغي أن تقوم على الحق المرئي والمسموع من الشاهد المُشاهد وبين الإسناد وهو كذب صريح ليس فيه شهادة أو شهود على الإطلاق، إذ كيف يشهد الميت أو يحكي الحي على ما لم يره وما لم يعش أحداثه؟

موضوعات المسند:

الإسناد هو سلسلة الرواة والعنعنة وقد عرضنا لها ... أما المسند فهو موضوع الحديث من الحديث. والآن نشير الى موضوعات المسند أو ما جاء به الإسناد إلينا من موضوعات تخالف القرآن والإسلام. إن الأحاديث كلها تصب في ثلاثة موضوعات رئيسية، وهي (1) الغيبيات (2) التشريعات (3) الأخلاقيات أو الترغيب والترهيب.

في الغيبيات: اسندوا للنبي أحاديث يخبر فيها عن غيوب الماضي قبل عصره، وعن غيوب المستقبل في الدنيا، غيوب الآخرة من علامات الساعة ووقائع القيامة، والحشر والشفاعة والعرض وأحوال الجنة والنار، وكلها أكاذيب لأن القرآن يؤكد على أن النبي عليه السلام لا يعلم الغيب، ولو كان يعلم الغيب لإستكثر من الخير وما مسه السوء، وأنه عليه السلام لا يدري ما سيحدث له أو لغيره، وأنه لا يعلم شيئا عن علامات الساعة أو علم الساعة، وليس له أن يتحدث عن كل تلك الغيبيات (الأنعام 50، الإعراف 187، 188، الأحقاف 9، النازعات 5:42، الجن 27:25 مجرد أمثلة).

ويرتبط بالغيبيات ما نسبوه للنبي (ص) من أحاديث الشفاعة يوم القيامة، وهي تناقض القرآن الذي يجعل الشفاعة لله وحده تقوم بها الملائكة حين تقدم العمل الصالح للصالحين يوم الحساب، أما النبي نفسه فلا يملك لأحد نفعا أو ضرا (البقرة 48، 133، 354، 255، طه 110:109، الأنبياء 28:26، النجم 26، الزخرف 86، ق 21، الزمر 19، لقمان 34:33) ومع ذلك فإن أكاذيب الشفاعة البشرية يوم القيامة قد جعلها الإسناد من المعلوم من الدين بالضرورة مع خطرها الشديد في تدهور أخلاق المسلمين.

وفي التشريعات: أسندوا للنبي (ص) أنه كان يفتي في أمور التشريع، وهذا يناقض حقيقة قرآنية أساسية وهي أن النبي (ص) كان إذا سئل عن أي شئ كان ينتظر الإجابة من الوحي، فينزل عليه الوحي (يسألونك عن كذا فقل لهم كذا)... ومن تدبر الموضوعات التي سئل فيها النبي (ص) وانتظر الإجابة من السماء يتضح لنا أنه كان يمكنه أن

يجيب بنفسه من واقع معلوماته العامة، مثل سؤاله عن الأهلة (يسألونك عن الآهلة قل هي مواقيت للناس والحج: البقرة 189) ومثل سؤاله عن موضوعات اليتيم، وقد تكررت آيات القرآن في الحض على رعاية اليتيم، ومع ذلك كانوا يسألونه عن اليتيم، إلا أنه لم يبادر بالإجابة وانتظر الوحي فينزل الوحي يؤكد ما سبق قوله تعالى (ويسألونك عن اليتامى قل إصلاح لهم خيرا وإن تخالطوهم فإخوانكم: البقرة 23).

وفي موضوع الظهار ـ وهو أحد أنواع الطلاق ـ أصرت إمرأة على أن يفتي لها النبي (ص) وتعجلت الحكم ورفض النبي وانتظر نزول الوحي ونزل قوله تعالى (قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي الى الله والله يسمع تحاوركما أن الله سميع بصير: المجادلة 1) فالمرأة تعجلت وأخذت تجادل النبي (ص) تطلب منه حكما فلما يئست منه اشتكت الى الله تعالى فنزل الحكم، وهكذا كانوا يستفتون النبي فلا يفتيهم، وانما ينتظر حتى تنزل الفتوى وحيا من السماء، كأن يقول تعالى (ويستفتونك في النساء فالله يفتيكم فيهن: النساء 127) لم يقل (قل افتيكم) بل إن الله تعالى هو الذي كان يفتي ويشرع ((يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة: النساء 176)).

بإيجاز ... كانت مهمة النبي (ص) مقتصرة على التبليغ دون الإفتاء، وحين كانوا يسألونه أو يستفتونه كان ينتظر الإجابة من الوحي حتى في الأمور المعروفة لديه، وكانت سنته هي في تطبيق ما ينزل عليه وحي بإمكاناته البشرية وبإمكانات عصره، هذا ما كان في عصر النبي (ص) وهذا ما يؤكد أن للإسلام مصدرا وحيدا هو القرآن. أما نحن فمن حقنا أن نجتهد في تطبيق تشريع القرآن وفق ظروف عصرنا واجتهادنا يقبل الخطأ والصواب ونحن مسئولون عنه. وبهذا يعلوا الإسلام فوق الزمان والمكان محفوظا بتشريعه الى قيام الساعة وبعيدا عن أخطاءنا وخطايانا .. إلا أن الإسناد نسب للنبي تشريعات تخالف القرآن مثل الرجم وحد الرده والحسبة وجعل من حق الحاكم أن يمتلك الأرض ومن عليها ... وبالإضافة الى اختراع الإسناد لتلك التشريعات المخالفة فإن العصر العباسي اخترع مفهوما جديدا لإلغاء التشريعات القرآنية تحت دعوى النسخ. مع أن النسخ في القرآن واللغة العربية معناه الإثبات والكتابة وليس الحذف والإلغاء (راجع كتبنا عن: النسخ، وحد الردة، والقرآن وكفى مصدرا للتشريع).

وفي الأخلاقيات: نسبوا للنبي أحاديث في الترغيب والترهيب أفسدت أخلاق المسلمين إذ كانت ترتب الجزاء العظيم على مجرد كلمة أو قراءة سورة أو صلاة ركعتين، وبمجرد أن يقول الإنسان ذلك أو يفعله فقد ضمن الجنة مهما ارتكب من ذنوب وآثام، وبالتالي فعليه أن يسعى في الأرض بالفساد ثم يضمن الجنة بمجرد أن يقول لا إله إلا الله .. وهذا يخالف منهج القرآن الأخلاقي الذي يجعل الجنة من نصيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات، أي حفلت حياتهم بالإيمان والعمل الصالح النافع وليس مجرد كلمة أو تبرع من مال حرام وسط حياة حافلة بالآثام. وعن طريق أحاديث الغيبيات والتشريعات والآخلاقيات أقام الأسناد دينا جديدا مخالفا للقرآن مناقضا له، واكسب ذلك الدين المخالف قدسية حين نسبه للنبي. ومن أسف فإنه إذا تعارضت 150 آية قرآنية كلها تنفي شفاعة النبي مع حديث الشفاعة في البخاري فإن الناس ينحازون للبخاري ضد القرآن ... أليس كذلك؟

التراث المقدس وغير المقدس:

ما سبق ينصب أساسا على التراث السنى الذي أسنده رواة السنة للنبي (ص) فأصبح ذلك التراث السني دينا مقدسا. إلا أن الشيعة لهم أيضا تراثهم المقدس الذي أسندوه للنبي (ص) والى علي وذريته وأصحاب القداسة عندهم من الأئمة. وأصبح ذلك التراث أيضا دينا مقدسا مخالفا للإسلام ولكن يقف في موقع الخصومة للتراث السني المقدس ـ لدى السنيين ـ بسبب الخلاف السياسي العقدي والحركي.

ثم جاء التصوف ابنا للتشيع متخففا من طموحاته السياسية ومن الطعن في كبار الصحابة، فأعرض عن السند، ولم يهتم بإختراع سلسلة الرواة. إذ يقوم التصوف في عقيدته على الإتحاد بالله وحلول الذات الإلهية في نفس الشيخ الصوفي، وحين تشرق أنوار المعرفة الإلهية في داخله ـ بزعمهم ـ ينطق بالعلم اللدني، وحينئذ فليست هناك حاجة للرواة لأنه جلس ـ بزعمهم ـ مع الله في الحضرة الإلهية.

ومن مهنا كان الصوفي في العصر العباسي الثاني يقول : حدثني قلبي عن ربي". وامتلآ كتاب" أحياء علوم الدين" للغزالي بأقاصيص وأقاويل من هذه النوعية، أو أن يقول الغزالي:" أوحى الله لبعض الصالحين " هذا بالإضافة الى أحاديث نسبها للنبي (ص) بدون إسناد وقام العراقي في تخريجها بإثبات أنها " لا أصل لها " أي لم يذكرها غير الغزالي، أو بعبارة أخرى اخترعها الغزالي اختراعا. ثم اضاف الصوفية الى تلك الأكاذيب اختراع المنامات، أي يزعم أحدهم أنه رأى النبي في المنام فقال له النبي كذا. وتحفل كتب الصوفية بهذه المنامات، ثم أكاذيب " الهواتف" أي يسمع الصوفي هاتفا يقول له كذا .. وفي العصر المملوكي كانت المنامات تغلف التراث الصوفي وتؤثر في الحياة المملوكية سياسيا واجتماعيا وثقافيا ودينيا، حتى كان المألوف أن يدعى أحدهم أنه يرى النبي (ص) يقظة وليس فقط في المنام، وأشهر من إدعى ذلك كان السيوطي، وقد ذكر ذلك الشعراني في ترجمته له في الطبقات الصغرى.

بإيجاز نقول: إن الإسناد حول التراث السني والشيعي الى أديان مقدسة زورا وبهتانا وشجع الصوفية على الإفتراء على الله ورسوله بدون إسناد. والإسناد مع قداسته المزعومة فإنه لا يصمد أمام النقد لأنه يحمل أوزارا من التخريف والأخطاء الموضوعية تؤكد حاجته الشديدة لتلك القدسية لتحميه من سهام النقد والإعتراض. إلا أن التراث العقلي (الذي يستحق الإحترام حتى ولو اختلفنا معه) لم يكن محتاجا الإسناد أو القدسية. ولذلك ظل تراث المعتزلة والمفكرين منسوبا الى أعلام تلك الطوائف العقلية، لم يحاول الجاحظ ـ مثلا ـ أن ينسب أراءه للنبي (ص) بل نسبها لنفسه والى من قالها من زملائه وأصدقائه، وإذا قرأت الجاحظ في " البخلاء" و" البيان والتبين" وباقي رسائله وجدت رائحة الثقافة الجاحظية وعصره وبيئته وازددت له احتراما لأنه كان صادقا مع نفسه، وقد مات الجاحظ سنة 255 هـ. وعاش معه

في نفس العصر البخاري (ت 256هـ). الذي نسب ثقافة العصر العباسي للنبي (ص) عبر ذلك الإسناد المشئوم فأوقع بالنبي (ص) والإسلام أفدح الأضرار.

ومع الأسف فإن الغلبة لم تكن للجاحظ والمعتزلة ومنهجهم العقلي، وإنما كانت ـ بسبب الظروف السياسة ـ لمن كان يسميهم العصر العباسي الأول بالحشوية، أي الذين يحشون عقولهم بأسانيد كاذبة منسوبة للنبي (ص)، ويحاولون نشر أرائهم بهذه الطريقة. لقد انحاز المأمون ثم المعتصم والواثق للمعتزلة. وحدثت فتنة خلق القرآن التي اضطهد فيها ابن حنبل، ثم جاء الخليفة المتوكل وكان حانقا على المعتزلة وزعيمهم ابن الزيات، فقتله وانحاز للحشوية " أصحاب الحديث والسنن" وتعصب لهم وأرسل دعاتهم في الأفاق لنصرة السنة فيما يحكي ابن الجوزي في المنتظم. ودخلت الدولة العباسية في دور الضعف واحتاجت أكثر الى اخضاع العوام بالدين، فازداد دور الشيوخ من الفقهاء ثم الصوفية، وكي يتم للشيوخ اخضاع العوام كان لا بد من الإستناد الى مرجعية دينية تكون لافتة، يشيرون إليها دون مناقشة، وقام الإسناد بهذه المهمة. وبالتدريج تعود الناس على الخضوع بمجرد أن يقول لهم الشيخ روى أن النبي (ص) قال كذا. وأصبح اختراع الأحاديث يحقق غايات سياسية ومذهبية واجتماعية طالما يجعله الإسناد يحظى بتقديس العوام. ثم بمرور الزمن أصبح الشيخ يقول بكل ثقة .. ((قال صلى الله عليه وسلم كذا)) كأنه سمع ذلك من النبي (ص) بنفسه ودون إسناد، ودون ذكر إنها رواية قالها أشخاص، قد يخطئون وقد يصيبون، وهذا ما تسمعه حتى الآن من شيوخ المواصلات في القاهرة عن الذي يبني مسجدا ولو كمحفص قطاة.

ثم ظهر في عصرنا ـ عصر الصحوة السلفية ـ إتجاه جديد بين الجماعات السلفية الحالية وهو اختراع أحاديث تخدم وجهة نظرهم مثل حديث ((من أكرم شرطيا أهانه الله)) وقد عقب بعضهم على ذلك الحديث المخترع في هذه الأيام قائلا: كيف تستحل الكذب على الرسول؟ فقال الشيخ المتطرف أنه لا يكذب على النبي وإنما يكذب للنبي. نفس الحجة القديمة للذين كانوا يكذبون على النبي محمد عليه السلام ... أي أن اختراع الأحاديث لا يزال ساريا..

بين الحديث والسنة:

ويبقى السؤال الأخير، هل تلك الأحاديث هي سنة النبي عليه السلام؟ هنا نضع بعض الحقائق القرآنية والحقائق التراثية:

1 ـ معنى السنة في القرآن هو المنهج أو الطريقة وذلك فيما يخص تعامل الله تعالى مع المشركين. كما أن معناها هو التشريع الإلهي، وبالمعنيين فإن السنة في القرآن تأتي منسوبة لله، أي سنة الله، يقول تعالى في تشريع خاص بالنبي (ص) ((ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له، سنة الله في الذين خلوا من قبل وكان أمرا لله قدرا مقدورا: الأحزاب 38)) وفي الآية الكريمة يتضح أن ((فرض الله)) يعني ((سنة الله)) يعني ((أمر الله)) هي ((شريعة الله)) أي أن السنة معناها الشرع.

2 ـ وهذا يتفق مع المعنى اللغوي لكلمة السنة، تقول ((سن قانونا)) أي شرع قانونا، وإذا تم سن القانون أصبح شريعة واجبة التنفيذ.

3 ـ وهذا أيضا يتفق مع المعنى الفقهي لمصطلح ((السنة العملية)) إذ تعنى السنة العملية العبادات من الصلاة وزكاة وحج وصيام.

4 ـ وفي كل ذلك فإن الله تعالى هو صاحب التشريع الذي نزل في القرآن الكريم، والنبي عليه السلام هو القدوة لنا في تطبيق ذلك التشريع، لذلك يقول تعالى ((لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة: الأحزاب 21)) لم يقل كان لكم في رسول الله سنة حسنة، لأن السنة هي سنة الله، أما النبي عليه السلام فهو القدوة الحسنة في تطبيق سنة الله وشرع الله..

5 ـ ألا أن بعض فقهاء التراث يقولون أن السنة العملية هي العبادات التي أشرنا إليها، أما السنة القولية للنبي فهي تلك الأحاديث التي اسندوها إليه بعد موته بقرون فيما يعرف بكتب الصحاح وغيرها. وهنا نختلف معهم، لأن السنة القولية للنبي عليه السلام هي ما ورد في القرآن في كلمة " قل" التي يتميز بها القرآن.

6 ـ وقد تكررت كلمة "قل" للنبي في القرآن (332) مرة.. وكانت الموضوعات التي ترددت فيها كلمة "قل" تشمل كل ما يحتاجه المؤمن من أمور الدين، وبعضها يؤكد ما جاء في القرآن أيضا بدون كلمة "قل". وكان النبي عليه السلام مأمورا بأن يقول ذلك القول المنصوص عليه في القرآن كما هو دون زيادة أو نقصان، إذ لا يملك أن يتقول على الله تعالى شيئا في أمر الدين ((ولو تقول علينا بعض الأقاويل، لأخذنا منه باليمين، ثم لقطعنا منه الوتين، فيما منكم من أحد عنه حاجزين: الحاقة 44:47)). بإختصار أن السنة القولية للنبي هي كلمة ((قل)) لأن السنة تعنى الشرع المفروض أتباعه.

7 ـ ويقولون أن تلك الأحاديث هي مصدر المعرفة بالصلاة والعبادات. وهذا خطأ ظاهر لأن تلك الأحاديث أقاويل، والسنة هي طريقة تأدية للعبادة وكان معروفا تأدية العبادات ليس فقط قبل عصر البخاري وغيره، بل كانت معروفة قبل نزول القرآن، إذا كانت هن الملامح الأساسية لملة إبراهيم التي أمر الله تعالى النبي والمسلمين بإتباعا حنفاء، بل أن تلك الأحاديث التي رويت فيما بعد النبي بقرون لم تتعرض بالتفصيل لكيفية تأدية الصلاة. وأكثر من ذلك أنها تشوه الصلاة وتشكك فيها.

8 ـ ومن الطبيعي أن النبي عليه السلام وهو يقيم دولة وينشئ أمه ويوجه مكائد أن تكون له أقوال وتعليمات، كما كانت له تطبيقاته في تنفيذ شرائع القرآن خارج العبادات، مثل أعداد الجيش والقوة الحربية. وذلك كله يدخل ضمن التاريخ والسيرة، وليس ضمن الدين الذي يعلو فوق الزمان والمكان.

9 - والملاحظ أن العصر العباسي حين قالم بتدوين سيرة النبي (ص) بأثر رجعي فإنه تجاهل ما ينفع الناس منها، لأن ذلك الذي ينفع الناس كان ضارا بالحكام من الخلفاء المستبدين، وقد قامت دولة النبي الإسلامية على أساس الشوري أو الديمقراطية المباشرة حيث يحكم الناس أنفسهم بأنفسهم، وحيث كان الناس مصدر السلطة والقائمين أيضا بالسلطة. وعاش أهل المدينة على ذلك في حياة النبي (ص) ، وتركهم النبي يحكمون أنفسهم بأنفسهم دون أن يعين لهم حاكما، والسيرة الحقيقية للنبي كانت تؤكد ذلك من خلال أكثر من خمسمائة خطبة النبي (ص) في المدينة، ومن خلالال مجالس الشوري التي تحدث عنها القرآن الكريم في الآيات الأخيرة من سورة النور وسورة المجادلة وسورة النساء. وتلك الديمقراطية المباشرة في عهد النبي عليه السلام كانت تناقض تماما الإستبداد العباسي حيث يملك الخليفة الأرض ومن عليها دون حسيب أو رقيب، ولذلك أهمل التدوين العباسي أكثر من خمسمائة خطبة للنبي عليه السلام والمئات من مجالس الشوري ... واستبدل بذلك تأليف تشريعات وسيرة تتفق مع ثقافة العصر العباسي. ثم قام الإسناد بتحويل هذه الثقافة العباسية الى دين عن طريق الإسناد .. وبمرور الزمن أصبحت تلك الثقافة العباسية مقدسة لا يجرؤ أحد على نقد مصادرها من كتب (الصحاح). والدليل على قداساتها المترسبة في القلوب والعقول هو تلك الرهبة التي يحس بها القارئ لهذا المقال. من مقال للأستاذ أحمد صبحي منصور.

50 ـ الوضاعون الصالحون

لم يكن وضع الحديث على نبي الإسلام مقصورا على أصحاب الأهواء فحسب وإنما كان الصالحون من المسلمين يضعون كذلك أحاديث على النبي، ويجعلون ذلك حسبة لله بزعمهم، ويحسبون أنهم بعملهم هذا يحسنون صنعا، وإذا سألهم سائل. كيف تكذبون على رسول الله، قالوا: نحن نكذب له لا عليه! وإن الكذب على من تعمده!

روى مسلم في كتابه عن يحيى بن سعيد القطان قال: لم نر الصالحين في شيء أكذب منهم في الحديث ـ وفي رواية ـ لم نر أهل الخير في شيء أكذب منهم في الحديث، يعني أنه ـ كما قال مسلم: يجري على لسانهم ولا يتعمدون الكذب.

قال الحافظ ابن حجر وقد اغتر قوم من الجهلة فوضعوا أحاديث الترغيب والترهيب وقالوا: نحن لم نكذب عليه، بل فعلنا ذلك لتأييد شريعته!! وما دروا أن تقويله صلى الله عليه وسلم ما لم يقل يقتضي الكذب على الله لأنه إثبات حكم من الأحكام الشرعية، سواء كان في الإيجاب أو الندب، وكذا مقابلهما وهو الحرام والمكروه، ولا يعتد بمن خالف ذلك من الكرامية حيث جوزوا وضع الكذب في الترغيب والترهيب في تثبيت ما ورد في القرآن والسنة واحتج بأنه كذب له لا عليه وهو جهل باللغة العربية.

قال عبد الله النهاوندي: قلت لغلام أحمد، من أين لك هذه الأحاديث التي تحدث بها في الرقائق؟ فقال وضعناها لنرقق بها قلوب العامة، قال ابن الجوزي عن غلام أحمد هذا: أنه كان يتزهد ويهجر شهوات الدنيا، ويتقوت الباقلاء صرفا، وغلقت أسواق بغداد يوم موته. وكان أحمد بن محمد الفقيه المروزي ـ من أصلب أهل زمانه في السنة، وأكثرهم مدافعه عنها، ويحقر كل من خالفها، وكان مع ذلك يضع الحديث ويقلبه.

وأخرج البخاري في التاريخ الأوسط عن عمر بن صبيح بن عمران التميمي أنه قال: أنا وضعت خطبة النبي، وأخرج الحاكم في المدخل بسنده الى أبي عمار المروزي، أنه قيل لأبي عصمة: من أين لك عن عكرمة عن ابن عباس في فضائل القرآن سورة سورة، وليس عند أصحاب عكرمة هذا؟ فقال إني رأيت الناس قد أعرضوا عن القرآن واشتغلوا بفقه أبي حنيفة، ومغازي، ابن إسحاق فوضعت هذا الحديث حسبة لطيفة.

51 - المبشرون بالجنة

يروي أبو داود عن سعيد بن زيد قال: أشهد على رسول الله (ص) أني سمعته يقول: عشرة في الجنة: النبي في الجنة. وأبو بكر في الجنة. وطلحة في الجنة. وعمر في الجنة. وعثمان في الجنة. وسعد بن مالك في الجنة. وعبد الرحمن بن عوف في الجنة. ولو شئت لسميت العاشر. قال: فقالوا: من هو؟ قال: سعيد بن زيد .. (1).. وروى الترمذي عن عبد الرحمن بن عوف، أن النبي (ص) قال: أبو بكر في الجنة. وعمر في الجنة. وعلي في الجنة. وعثمان في الجنة. وطلحة في الجنة. والزبير بن العوام في الجنة. وعبد الرحمن بن عوف في الجنة. وسعيد بن زيد في الجنة. وأبو عبيدة بن الجراح في الجنة (2)..

الإستنتاج:

- إن القوم يتخبطون في تحديد من هم العشرة فتارة يدخلون سعد بن أبي وقاص وتارة يضعون مكانه سعد بن مالك..

- إن الرواية الأولى لم تذكر الإمام عليا ولا ابن الجراح وبهذا يكون المبشرون بالجنة سبعة فقط بعد إخراج الرسول من هذه الحسبة بالطبع..

- إن وضعهم النبي من ضمن المبشرين بالجنة أمر يؤكد الوضع والإختلاق..

- إن سيرة هؤلاء العشرة - إن كانوا عشرة - لا توجب لهم هذا الفضل ..

- إن راوي الحديث هو أحد المبشرين بالجنة وهو هكذا يبشر نفسه.

- أن البخاري ومسلم لم يذكرا شيئا في باب الفضائل والمناقب عن سعد بن زيد وعبد الرحمن بن عوف..

- أن العشرة الذين اتفق أهل السنة على تعظيمهم وتكريمهم ليس فيهم سعد بن مالك..

- أن الرواية الثانية ذكرت تسعة فقط واستثنت سعد بن أبي وقاص..

ومما يدل على هذا التخبط والإختلاق وأن الأمر تفوح منه رائحة السياسة رواية البخاري التي تحدد أن رسول الله بشر ثلاثة بالجنة هم أبو بكر وعمر وعثمان.. تقول الرواية: إن أبا موسى الأشعري قال: لأكونن بواب رسول الله اليوم فجاء أبو بكر فدفع الباب .. فقلت: من هذا؟ .. فقال: أبو بكر.. فقلت: على رسلك. ثم ذهبت فقلت يا رسول الله هذا أبو بكر يستأذن.. فقال: أئذن له وبشره بالجنة.. فأقبلت حتى قلت لأبي بكر: أدخل ورسول الله يبشرك بالجنة.. ثم رجعت فإذا إنسان يحرك الباب فقلت من هذا؟ فقال: عمر بن الخطاب. فقلت على رسلك. ثم جئت الى رسول الله فسلمت عليه فقلت هذا عمر بن الخطاب يستأذن .. فقال: أئذن له وبشره بالجنة.. فجئت فقلت أدخل وبشرك رسول الله بالجنة.. ثم رجعت فجلست فقلت: إن يرد الله بفلان خيرا يأت به. فجاء إنسان يحرك الباب.. فقلت: من هذا؟ فقال: عثمان بن عفان.. فقلت: على رسلك. فجئت رسول الله فأخبرته .. فقال: أئذن له وبشره بالجنة على بلوى تصيبه.. فجئته فقلت له: أدخل وبشرك رسول الله بالجنة على بلوى تصيبك (3).

ويروي البخاري أن عمر لما طعن كان يقول: والله لو أن لي طلاع الأرض ذهبنا لأفتديت به من عذاب الله عز وجل قبل أن أراه (4).. والسؤال الذي يطرح نفسه هنا هو: لماذا يقول عمر هذا الكلام وهو من المبشرين بالجنة؟ ويروي مسلم أن الرسول (ص) قام خطيبا فقال: يا أيها الناس إنكم تحشرون الى الله حفاة عُراة غرلا، كما بدأنا أول خلق نعيده وحدا علينا إنا كنا فاعلين. ألا وإن أول الخلائق يكسى يوم القيامة إبراهيم (عليه السلام) ألا وإنه سيجاء برجال من أمتي فيؤخذ بهم ذات الشمال فأقول يا رب أصحابي. فيقال إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك. فأقول كما قال العبد الصالح. قال فيقال لي أنهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ أن فارقتهم (5). فهؤلاء الذين ارتدوا بعد وفاة الرسول كيف يكونون عدولا. وكيف يدخلون الجنة؟.. ويروي أبو بكر عن نفسه: والله لو وضعت قدما في الجنة وقدما خارجها ما أمنت مكر الله (6) وهذا أبو بكر أيضا يشك في دخوله الجنة.. ويروي البخاري حديث أبواب الجنة: باب الصلاة وباب الجهاد وباب الصدقة وباب الصيام. فقال أبو بكر للرسول (ص): وهل يدعى منها كلها أحد يا رسول الله؟ قال نعم وأرجو أن تكون منهم يا أبا بكر (7). قال ابن حجر نقلا عن الفقهاء: الرجاء من الله ومن نبيه واقع. وبهذا التقرير يدخل الحديث في فضائل أبي بكر (8). إن فقهاء القوم يحاولون لي عنق النص وتفسير الرجاء بمعنى اليقين حتى ينفوا عن أبي بكر شبهة عدم دخوله الجنة. وإذا كانت مكانة أبي بكر عند الرسول كما يصفون فلماذا لم يقل الرسول: نعم وأنت منهم يا أبا بكر. حتى ينفي الشك من صدور السامعين .. وينبغي لنا هنا أن نعرض لمناقب العشرة المذكورين حتى يتبين لنا كيف تتم عملية التضخيم على حساب الآخرين. ثم نقارن هذه الفضائل والمناقب بمناقب وفضائل من لم يذكروا ضمن العشرة وذلك من أجل وضوح الرؤيا..

يروي البخاري قول الرسول: إن أحسن الناس علي في صحبته وما له أبو بكر. ولو كنت متخذا خليلا غير ربي لأتخذت أبا بكر ولكن أخوة الإسلام ومودته. لا يبقين في المسجد باب إلا سد. إلا باب أبي بكر (9).. ومثل هذه المنقبة التي جاء بها البخاري لأبي بكر محل جدل كبير بين فقهاء القوم. إذ أن أكثر الفقهاء يشك في أن أبا بكر كان له دار مجاورة لمسجد الرسول. بل الثابت أن بيته كان بالسنح على أطراف المدينة. وهذا دفع ببعضهم الى تفسير الحديث على الوجه المجازي. وادعاء أن المقصود بالباب الخلافة والأمر بالسد كناية عن طلبها. والمقصود بهذا التأويل هو دفع الشك عن متن الحديث أولا. وقطع الطريق على خصوم أبي بكر ثانيا.. وينقل ابن حجر قول ابن حبان عن هذا الحديث: في هذا دليل على أنه الخليفة بعد النبي (ص) لأنه حسم بقوله: سدوا عني كل خوخة في المسجد. أطماع الناس كلهم عن أن يكونوا خلفاء بعده وقال ابن حجر معلقا وقوى بعضهم ذلك بأن منزل أبي بكر كان بالسنح عن عوالي

المدينة. وهذا الإسناد ضعيف لأنه لا يلزم من كون منزله كان بالسنح من عوالي المدينة أن لا يكون له دار مجاورة للمسجد (10).. ومن حيث السند فهذا الحديث فيه شك إذ أن البخاري رواه من طريقين: طريق فليج ابن سليمان عن أبي سعيد الخدري (11) .. وطريق عكرمة عن ابن عباس (12).. وكلاهما فليج عكرمة من الخوارج المكفرين للمسلمين المعادين لجميع الصحابة وقد ذمهم فقهاء القوم ورجال الحديث (13). ويروي البخاري عن عمرو بن العاص قوله للرسول (ص): أي الناس أحب إليك؟ قال: عائشة فقلت من الرجال؟ قال: أبوها. قلت ثم من؟ قال: عمر. فعد رجالا (14) .. ويكفي للرد على هذه الرواية أن راويها عمرو بن العاص حليف معاوية ومدبر أمره في الصراع مع الإمام علي وصاحب فكرة رفع المصاحف على أسنة الرماح في وقعة صفين (15) .. مما يؤكد تناقض القوم وأن الهدف من وراء مثل هذه الروايات هو تضخيم أناس لا وزن لهم. رواية مسلم التي تقول: قال رسول الله (ص): لن يدخل أحدا منكم عمله الجنة. قالوا: ولا أنت يا رسول الله. قال: ولا أنا إلا أن يتغمدني الله منه بفضل ورحمة (16).. وفي رواية أخرى: قال رسول الله (ص): قاربوا وسددوا وعلموا أنه لن ينجو أحد منكم بعمله. قالوا يا رسول الله ولا أنت. قال ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل (17).. وفي رواية: لا يدخل أحد منكم عمله الجنة ولا يجيره من النار ولا أنا إلا برحمة من الله (18).. فإذا كان رسول الله يشك في دخوله الجنة فكيف يوقن هؤلاء بدخولها؟..

خلاصة القول هي إذا كان الرسول لا يضمن الجنة لنفسه فكيف يبشر بها آخرون؟!.

الهـوامش

(1) أنظر الترمذي (ج 334/4).. وأبو داود.

(2) أنظر المرجعين السابقين.

(3) أنظر البخاري ومسلم كتاب فضائل الصحابة. باب فضل أبي بكر ومناقب عمر وعثمان.

(4) أنظر البخاري. كتاب فضائل الصحابة. باب مناقب عمر.

(5) أنظر المرجع السابق كتاب الفتن وكتاب الرقاق.

(6) أنظر الطبري (ج 2) والسيرة النبوية لإبن هشام. وكنز العمال (ج 5).

(7) أنظر البخاري. كتاب فضائل الصحابة. باب فضل أبي بكر.

(8) أنظر فتح الباري (ج 29/7).

(9) أنظر البخاري باب فضل أبي بكر.

(10) أنظر فتح الباري (ج 29/7).

(11) أنظر المرجع السابق.

(12) أنظر المرجع السابق.

(13) قال ابن معين في فليج: ليس بثقة. وقال أحمد: كان يرى رأي الصفرية من الخوارج. أما عكرمة فقد كذبه ابن عمر وابن المسيب ويحيى بن سعيد وابن سيرين. أنظر كتب علم الرجال.

(14) أنظر البخاري. باب فضل أبي بكر.

(15) وانظر ترجمة عمرو بن العاص في كتب التراجم.

(16) أنظر مسلم كتاب صفة القيامة والجنة والنار. باب لن يدخل أحد الجنة بعمله.

(17) المرجع السابق.

(18) المرجع السابق.

52 - فهم الصحابة للإسلام

أحداث سقيفة بني ساعدة نموذجا

إن أحداث سقيفة بني ساعدة تلقي ضوءا ساطعا على فهم الصحابة والدائرة الصغيرة المحيطة بنبي الإسلام - عن ماهية الإسلام. فبينما كان جسد النبي لم يزل دافئا وابن عمه علي يقوم على تكفينه تسارع كبار الصحابة ليحوذوا المُلك والسلطان. إن دل هذا على شئ فإنه يدل على أن الصحابة فهموا جيدا إن الإسلام مُلك وجاه وإمارة فيه الأمراء والوزراء كما يكشفه السجال الذي دار بين الصحابة في يوم وفاة نبي الإسلام.

ففي ذلك اليوم اجتمع الأنصار في السقيفة لتولية سعد بن عبادة وأتوا به وهو مريض ملفوف، ووصل أبو بكر وعمر وأبو عُبيدة بن الجراح ومعهم رهط من مؤيديهم من المهاجرين، بينما سعد بم عبادة يخطب في الأنصار قائلا:" يا معشر الأنصار لكم سابقة في الدين وفضيلة في الإسلام ليست لأحد من العرب. إن محمدا لبث في قومه بضع عشرة سنة يدعوهم الى عبادة الرحمن وخلع الأوثان، فما آمن به إلا القليل. وما كانوا يقدرون على إعزاز دينه ولا على دفع ضيم عنه حتى رزقكم الله الإيمان به وبرسوله، فكنتم أشد الناس على عدوه حتى استقامت العرب لأمر الله طوعا أو كرها، فدانت لرسول الله بأسيافكم، ولكم أن تستبدوا بهذا الأمر من دون الناس فإنه لكم دونهم فأجابه الجميع أن قد وفقت وأصبت الرأي ونحن نوليك هذا الأمر". وخطب أبو بكر مذكرا الأنصار أن المهاجرين أول من آمن من العرب، وهم أولياءه وعشيرته وأحق الناس بهذا الأمر بعده لا ينازعهم ذلك إلا ظالم ثم ذكر فضل الأنصار وقال:" فليس بعد المهاجرين الأولين عندنا بمنزلتكم، فنحن الأمراء وأنتم الوزراء". فقام الأنصاري الجباب بن المنذر يخاطب قومه:" يا معشر الأنصار، املكوا عليكم أمركم فإن الناس (أي المهاجرين) في فيئكم وفي ظلكم، ولن يجترئ مجترئ على خلافكم، ولا تختلفوا فيفسد عليكم رأيكم وينتقض عليكم أمركم، فإن أبى هؤلاء إلا ما سمعتم فمنا أمير ومنهم أمير". فرد عمر على المنطق بقوله:" هيهات، لا يجتمع اثنان في قرن .. والله لا ترضى العرب أن يؤمروكم ونبيها من غيركم، لكن العرب لا تمتنع أن تولي أمرها من كانت النبوة فيهم .. فمن ذا ينازعنا سلطان محمد وإمارته ونحن أولياؤه وعشيرته".

ومرة أخرى يرد الحباب مخاطبا قومه:" يا معشر الأنصار أملكوا على أيديكم ولا تسمعوا مقالة هذا وأصحابه، فيذهبوا بنصيبكم من هذا الأمر، فإن أبوا عليكم ما سألتموهم فأجلوهم عن هذه البلاد وتولوا عليهم هذه الأمور فأنتم والله أحق بهذا الأمر منهم، فإنه بأسيافكم دان لهذا الدين من لم يكن يدين به. أنا جذيلها المحك وعذيقها المرجب، أما والله لو شئتم لنعيدنها جذعة، والله لا يرد عليّ أحد إلا حكمت أنفه بالسيف، فقال عمر: إذن يقتلك الله، قال: بل إياك يقتل (فوكأ عمر في بطنه ودس في فيه التراب في رواية أبي بكر الجوهري في ابن أبي الحديد 16/2). فقال أبو عبيدة بن الجراح: يا معشر الأنصار كنتم أول من ناصر وآزر فلا تكونوا أول من بدل وغير. فقام بشير بن سعد وكان حاسدا لسعد بن عبادة فقال: .. ألا أن محمدا من قريش وقومه أحق به، وأيم الله لا يراني الله أنازعهم هذا الأمر أبدا. فقال أبو بكر: هذا عمرو هذا أبو عبيدة فأيهما شئتم فبايعوا .. فقالت بعض الأنصار لا نبايع إلا عليا قال عمر: فكثر اللغط وارتفعت الأصوات حتى تخوفت الإختلاف فقلت لأبي بكر، ابسط يدل لأبايعك فلما ذهبا ليبايعاه سبقهما إليه بشير بن سعد فبايعه فناداه الحباب بن المنذر: يا بشير عُقت عقاق!! أنفست على ابن عمك الإمارة؟.. فما رأت الأوس ما صنع بشير بن سعد وما تدعو إليه قريش وما تطلب الخزرج من تأمير سعد بن عبادة قال بعضهم لبعض وفيهم أسيد بن حضير وكان أحد النقباء: والله لئن وليتها عليكم الخزرج مرة لا زالت لهم عليكم .. فقوموا بايعوا أبا بكر فقاموا إليه فبايعوه .. فوطئوا سعد ابن عبادة فقال أناس من أصحاب سعد: اتقوا سعدا ولا تطأوه فقال عمر: اقتلوه قتله الله وفي رواية بلسان عمر: ثم وثبنا على سعد بن عبادة وهو مريض فوطأناه فقد خشيت إن فارقنا القوم ولم تكن بيعة أن يحدثوا بعدنا بيعة، فإما أن نتابعهم أو نخالفهم فيكون فسادا". ثم قام عمر على رأس سعد فقال:" لقد هممت أن أطأك حتى تنذ عضدك. فأخذ قيس بن سعد بلحية عمر فقال: والله لو حصصت منه شعرة ما رجعت وفي فيك واضحة. فقال أبو بكر: مهلا يا عمر الرفق هنا أبلغ، فأعرض عنه عمر، فقال سعد لعمر: أما والله لو أن بي قوة ما أقوى على النهوض لسمعت مني في أقطارها وسككها زئيرا يحجرك وأصحابك. أما والله إذا لألحقنك بقوم كنت فيهم تابعا غير متبوع. إحملوني من هذا المكان، فحملوه فأدخلوه داره .. وجاء البراء بن عازب فضرب الباب على بني هاشم وقال: يا معشر بني هاشم بويع أبا بكر، فقال بعضهم لبعض: ما كان المسلمون يحدثون حدثا نغيب عنه ونحن أولى بمحمد، فقال العباس: فعلوها ورب الكعبة". تاريخ الطبري مجلد 2 ص234- 246، البداية والنهاية - ابن كثير مجلد 3ص 215- 217، الكامل - ابن الأثير مجلد 2ص 325 - 332.

هؤلاء هم أصحاب محمد الذين تلقوا منه الدعوة غضة طرية وفهموا مقاصده وأهدافه حق فهم دون لبس أو غموض، وعاشوا ما فهموه وتعلموه منه وطبقوه في حياتهم. فالأمر إذا لم يكن رسالة سماوية تنتشر بقوة تأثيرها وبإرادة إلهية وإنما كان ملكا عضوضا يتصارع ويتقاتل عليه الصحبة.

الملائكة تحارب مع المسلمين

جاء في كتاب " حروب دولة الرسول" للدكتور سيد القمني ما يلي:

ملائكة بدر: في أول مشهد تقدمه كتب السير لمقدم الملأ السماوي الى بدر، يروي ابن إسحق: وقد خفق رسول الله خفقة وهو في العريش، ثم انتبه فقال: أبشر يا أبا بكر، أتاك نصر الله، هذا جبريل أخذ بعنان فرسه يقوده على ثنايان النقع (1).

وفي رواية أخرى، قال رسول الله (ص) : أبشر يا أبا بكر، هذا جبريل معتجر بعمامة صفراء، آخذ بعنان فرسه بين السماء والأرض، فلما نزل الى الأرض تغيب عني ساعة، ثم طلع على ثناياه النقع يقول: أتاك نصر الله إذ دعوته (2). ثم تتوالى الروايات، عن بعض رجال من بني مازن لا نعرف من هم تحديدا، عن أبي داود المازني، أنه قال: إني لأتبع رجلا من المشركين يوم بدر لأضربه، إذ وقع رأسه قبل أن يصل إليه سيفي، فعرفت أنه قد قتله غيري (3).

فهذا رجل يقتل في المعمعة، وسط سيوف عديدة متشابكة ورماح تطير ونبال تنز وغبار وسنابك خيول، ورؤوس تغطيها الخوذ، وأجساد مدرعة بالدروع، ويقول المازني أن غيره قتل القتيل، لكن هذا الغير القاتل بمجهوليته في المعمعة يتم التقاطه ليصبح أحد الملائكة، ليؤكده قول أبي إمامه لولده: يا بنيّ لقد رأيتنا يوم بدر، وإن أحدنا يشير بسيفه الى المشرك، فيقع رأسه عن جسده قبل أن يصل إليه السيف (4).

وتتتالى الروايات التي عادة ما يشار الى روايتها بالقول: قال رجل كذا وكذا، أو عن رجل من بني كذا، ومثلها قول ابن عباس: بينما رجل من المسلمين يومئذ، يشتد في إثر رجل من المشركين أمامه، إذ سمع ضربة بالسوط فوقه، وصوت الفارس يقول: أقدم حيزوم (وحيزوم هو فرس الملاك جبريل)، إذ نظر المشرك أمامه فخر مستلقيا، فنظرنا إليه فإذا هو خطم من أنفه، وشق وجهه كضربة السوط، فاخضر ذلك جميعا، فجاء الأنصاري فحدث ذلك رسول الله فقال: صدقت، ذلك مدد من السماء الثالثة (4). ويروي بعض بني ساعدة، عن أسيد مالك بن ربيعة، بعد أن ذهب بصره،" لو كنت اليوم معي ببدر ومعي بصري، لأريتكم الشعب الذي خرجت منه الملائكة، لا أشك في ولا أتمارى " (5). وهكذا، فالرجل الوحيد الذي رأى الملائكة رؤي العين، ورأي الشعب الذي انسلت منه صفوفهم الى جبال بدر وواديه، قد ذهب بصره، حتى لا يتمكن من تحديد المكان، ويظل القص هلاميا، وقفا على رواية عن بعض بني ساعدة. ومثل تلك الروايات، روايات أخرى، منها رواية أبي بردة بن نيار حيث قال:" جئت يوم بدر بثلاثة رؤوس، فوضعتها بين يدي النبي (ص)، فقلت: يا رسول الله: أما رأسان فقتلتهما، أما الثالث فإني رأيت رجلا أبيض طويلا ضربه، فأخذت رأسه، فقال رسول الله: ذلك فلان من الملائكة" (6) أما عن أبي جهل الذي بات معلوما عدد من اشتركوا في قتله بالإسم، فإن هناك من روى عن النبي قوله:" قتله ابنا عفراء والملائكة، وابن مسعود قد شارك في قتله" (7).

هذا ناهيك عن روايات أخرى مجهولة المصدر، مثل رواية ابن عباس إذ قال: حدثني رجل من بني غفار، قال: أقبلت أنا وابن عم لي حتى أصعدنا في جبل يشرف على بدر، ونحن مشركان ننتظر الواقعة على من تكون الدبرة، فننهب مع من ينتهب، قال: فبينما نحن في الجبل إذ دنت منا سحابة، فسمعنا فيها حمحمة الخيل، فسمعت قائلا يقول: أقدم حيزوم، قال: فأما ابن عمي فانقشع قناع قلبه فمات مكانه، وأما أنا فكدت أهلك ثم تماسكت (8). أما المشركون (والرواة أسلموا بعد ذلك عند الفتح)، فوجد بعضهم ـ فيما يبدو ـ في هبوط الملائكة، تبريرا لهزيمتهم المخجلة أمام المسلمين، فحاك بعضهم على ذات المنوال، فهذا المغيرة ابن الحارث يذكر أنه كان قال زمن بدر، لأبي بهي " وأيم الله ما لمت الناس، لقينا رجالا بيضا على خيل بلق، بين السماء والأرض، والله ما تليق شيئا، ولا يقوم لها شئ" (9).

وهكذا تقدم الطلقاء بدلائهم الى مائدة المزايدات، ومنها رواية ابن حجر في الإصابة (9/2)، عن السائب بن أبي حبيش الذي اسم يوم الفتح الإسلامي لمكة، ونال من الرسول نصيبه من الأعطيات، ثلاثين وسقا في خيبر، فكان يحدث الناس زمن عمر بن الخطاب عندما قرر عمر قطع أنصبة المؤلفة قلوبهم عنهم، بقوله: والله ما أسرني أحد من الناس، فيقال: فمن؟ فيقول: لما انهزمت قريش انهزمت معها، فأدركني رجل طويل على فرس أبيض بين السماء والأرض، فأوثقني رباطا، وجاء عبد الرحمن بن عوف فوجدني مربوطا، وكان عبد الرحمن ينادي في العسكر: من أسر هذا؟ فليس أحد يزعم أنه أسرني، حتى انتهى بي الى رسول الله (ص) فقال رسول الله: يا ابن أبي حبيش، من أسرك؟ فقلت: لا أعرفه، وكرهت أن أخبره بالذي رأيت، فقال رسول الله: أسرك ملك من الملائكة، اذهب يا ابن عوف بأسيرك فذهب بي عبد الرحمن بن عوف، فقال السائب: ما زلت تلك الكلمات أحفظها، وتأخر إسلامي، حتى كان من أمري ما كان.

أما البيهقي، فيعقب على رواية السائب بقوله الكاشف: ولا أعلمه روى عن النبي (ص) شيئا (10). ثم يجد المطالع لسيرة ابن هشام، كشفا رصده (ابن هشام) راوي السيرة عبر عدد من الصفحات على استطالتها، بأسماء قتلى قريش في بدر، وأسماء الذين قتلوهم من المسلمين، كل قتيل، وكل قاتل، دون إسقاط لإسم مقتول أو لإسم قاتل من الطرفين (11).

وربما كانت مثل تلك المزايدات التي أوردناها، مدعاة لتهكم رجل ملحد مثل ابن الراوندي، وهو يتساءل: من هؤلاء الملائكة الذين أنزلهم الله يوم بدر لنصرة نبيه؟ إنهم كانوا مفلولي الشوكة قليلي البطش، فإنهم على كثرتهم واجتماع أيديهم وأيدي المسلمين معهم، لم يقتلوا أكثر من سبعين رجلا؟ وأين كانت الملائكة يوم أحد حين توارى النبي بين القتلى ولم ينصره أحد؟ (12).

وإذ كنا نورد كلام ذلك الملحد، فلكي نرى الى أي حد يمكن أن تبلبل تلك الروايات الفؤاد، ولا شك أن موقفه كملحد مرفوض بالقطع من جانبنا، لكنا ربما تساءلنا تساؤلا مشروعا من مسلم يريد الإطمئنان لطوية فؤاده، حرصا على صيانة إيمانه ونقائه، مع تساؤل من سأل (أبي الحسن السبكي)، وهو يقول: سئلت عن الحكمة في قتال الملائكة مع النبي ببدر، مع أن جبريل قادر على أن يدفع الكفار بريشة من جناحه، فأجبت: وقع ذلك لإرادة أن يكون الفعل للنبي وأصحابه ... وكان يكفي ملك واحد، فقد أهلكت مدائن قوم لوط بريشة من جناح جبريل، وبلاد ثمود وقوم صالح بصيحة (13). أما الأهم برأينا في خبر الملائكة، فهو أن إعلام النبي للمسلمين قبل القتال بالمدد السماوي، كان كفيلا بتقوية روحهم المعنوية، وإنزال السكينة على قلوبهم، وهو ما أدى بالفعل الى نومهم ليلة القتال نوما أخذوا به راحتهم، استعدادا لإستقبال قريش في الصباح، كما كان وجود الملائكة ـ في حالة أخرى ـ حلا مثاليا لمشكلة توزيع الأنفال، عندما اختلف المسلمون حول أنصبتهم في أنفال بدر، فنزعت من أيديهم ووضعت بيد رسول الله (ص) ليقرر ما يراه لشأنها، بإعتبار الله وملائكته هم أصحاب ذلك النصر، وهو ما قالت بشأنه الآيات: " يسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول فإتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم" (الأنفال 1).

وهي الآيات التي كان سببها ما يرويه أبو إمامة الباهلي: سألت عبادة بن الصامت عن الأنفال فقال: فينا أصحاب بدر نزلت، حين اختلفنا في النفل وساءت فيه أخلاقنا، فنزعه الله من أيدينا فجعله الى رسوله، فقسمه رسول الله (ص) بين المسلمين عن بواء، أي على السواء (14). والعجيب بشأن ما روي عن الملائكة البدريين، قصصا أخرى، كان واضحا أن أصحابها لم يجدوا أية دلائل ظاهرة يمكن تأويلها ونسبتها الى الملائكة، فالتقطت نمل الوادي الذي ربما سال من جحوره بفعل المعركة، وما سكب من ماء القلب المغورة، لترى في ذلك النمل ملائكة السماء، وهو ما جاء في قول جبير بن مطعم، " رأيت قبل هزيمة القوم والناس يقتتلون، مثل البجاد الأسود أقبل من السماء مثل النمل الأسود، فلم أشك أنها الملائكة، فلم يكن إلا هزيمة القوم ... وعن حكيم ابن حزام قال: لقد رأيتنا يوم بدر وقد وقع بوادي خلص بجاد من السماء قد سد الأفق، وإذا الوادي يسيل نملا، فوقع في نفسي أن هذا شيئ من السماء أيد به محمد (ص) فما كانت إلا الهزيمة، وهي الملائكة". لكن الملاحظ هنا أن الرواية خرجت بنمل الوادي الى فضاء الأسطورة، لتضع جملة تقول: إنه نمل سماوي، سقط من السماء على الأرض. والحاسم في أمر تلك الروايات جميعا، والذي يضع أمر الملائكة في موضعه الصحيح، ولا يسمح بسلب الرواة للعقلانية المعهودة عن دين الإسلام، فهو ما جاء بين الروايات هادئا رصينا يقول: لولا أن الله تعالى حال بيننا وبين الملائكة التي نزلت يوم بدر، لمات أهل الأرض خوفا من شدة صعقاتهم وارتفاع أصواتهم (15).

أما القاطع في المسألة فهو: إن الملائكة كانت تأتي الرجل في صورة الرجل يعرفه وكان الملك يتصور من يعرفون (16).

الهوامش

---

(1) الروض الأنف ـ السهيلي ج3 ص 38.
(2) دلائل النبوة ـ البيهقي ج3 ص 54.
(3) تاريخ الطبري ج 2 ص 453.
(4) دلائل النبوة ـ البيهقي ج3 ص 51.
(5) الروض الأنف ـ السعيلي ج 3 ص 41.
(6) دلائل النبوة ـ البيهقي ج 3 ص58.
(7) المصدر السابق ص 87.
(7) ابن سيد الناس ـ ج 1 ص 312.
(9) البداية والنهاية ، ابن كثير ج 3 ص 309.
(10) دلائل النبوة ـ البيهقي ج3 ص 60.
(11) الروض الأنف ، السهيلي ج3 ص 102.
(12) في الفلسفة الإسلامية ـ إبراهيم البيومي ص 83.
(13) دلائل النبوة ـ البيهقي ج 3 ص 58.
(14) الروض الأنف ـ السهيلي.
(15) السيرة الحلبية ج 2 ص 407.
(16) البداية والنهاية ـ ابن كثير ج 3 ص 280.

53 ـ ذهد الصحابة

عمر بن الخطاب نموذجا

الكتابات التبجيلية وخاصة المتأخرة منها صورت ابن الخطاب بصورة الزاهد المدبر عن الدنيا وأشاعت عنه حكايات لطيفة مسلية مثل أخذ قميص ابنه عبد الله ليكمل به قميصه ولأنه كان رجلا طويلا وأنه كان أكل الزيت في وقت الرمادة حتى اسودت بشرته وأن ثوبه كان يحمل ما يقرب من عشرين رقعة ... الخ ورغم أن من يتحفوننا بهذه الحكايا الظريفة لم يقدموا لنا مصادرها لتأكيدها فإن أغلبها حسب رواياتهم المحبوكة أو المسبوكة، قد حدثت إبّان الفتوحات التي أتت بالأموال الوفيرة، وإذا كان عمر قبل ذلك كان يملك من الثروات ما يغنيه عن ترقيع ثوبه فكيف يلبس ثوبا مرقعا بعد الفتوحات؟ أما المجاعة: فكيف يحدث في أثرب/ المدينة وقد كانت مصب أنهار ثروات العراق والشام ومصر وغيرها وكلها فتحت في عهده وعلى سبيل المثال يوضح لنا الخبر الآتي مقدار الثروة الأسطورية التي كسحت من بلد واحد:

وفي هذه السنة فتح عمرو بن العاص الإسكندرية وسائر أعمال مصر واجتباها أربعة عشر ألف ألف دينار من خراج رؤوسهم لكل رأس دينار وخراج غلاتهم عن كل مائة أردب أردبين (1).

فإذا كان هذا هو مقدار الأموال التي جُبيت من مصر وحدها دون سائر البلاد المفتوحة فكيف نسلم بوقوع رمادة في يثرب/ المدينة.

ولو فرضنا مستحيلا فإن تلك المجاعة لم تدم سوى أيام لأن غازي مصر عمرو بن العاص أرسل قافلة امتدت من الفسطاط حتى يثرب تنوء ظهور جمالها بمحصول عرق (العلوج) المصريين وشقائهم في أرضهم!

ولقد ناقشت المصادر مسألة إسمرار وجه عمر في زمن المجاعة أو الرمادة وانتهت الى عدم صحتها ففي الأصل كان ابن الخطاب أسمر شديد السمرة وصاحب الوجه الأسمر أو البالغ السمرة لا يتأثر وجهه بأكل الزيت أو خلافه بل الذي يفعل ذلك أبيض الوجه (قال أبو عمر: وصفه زر بن حبيش وغيره أنه كان آدم شديد الأدمة وهو الأكثر عند أهل العلم) (2). وأكد هذه الحقيقة ابن عبد البر بل إنه أورد العبارة التي تحملها بحروفها ووصف من قال ذلك أنهم (أهل العلم بأيام الناس وسيرهم وأخبارهم) (3).

ويستطرد قائلا عن حكاية إسمرار وجه عمر من أكله الزيت إبان الرمادة أنها منكرة (وزعم الواقدي أن سمرة عمر وأدمته إنما جاءت من أكله الزيت عام الرمادة وهذا منكر من القول) (4). وهذا الزعم المنكر، يتحول على ألسنة المُحدثين قصيدة عصماء في مدح عمر! ونحن نرى أنها (القصة) تنفي الزهد لأنها تدل دلالة قاطعة على أن أكل الزيت بضعة أيام أضر به، فأين هو الزهد إذن؛ أما ترقيع الثوب فقد قلنا إذا كان عمر لم يفعل ذلك قبل الفتوحات فكيف يفعله بعدها فضلا عن أنه لا يتفق والتفكير السليم إذ إنه كان آنذاك خليفة ورأس دولة مترامية الأطراف ودخولها وفيرة فما الذي يستوجب ذلك؟

بل العكس هو الأقرب الى المنطق خاصة وقد صار من ضمن (رعاياه) أبناء شعوب مختلفة تعوّدوا على أن يروا حكامهم في هيئة تليق بمقامهم.

وطول حياته لم يلبس محمد المرقعات ولم يؤثر عنه ذلك أبدا، فبمن تأسى عمر في ترقيع ثوبه؟ بل إننا قرأنا في السيرة أن محمدا كان يقابل وفود القبائل في ملابس حسنة وهيأة مناسبة وهذا هو ما يوجبه التفكير الصحيح وطبائع الأمور.

إنها حكايات ابتدعت لإلصاق الزهد بـ (عمر) ولكن خانها التوفيق!

ولنتفحص أحوال عمر في الحقبتين اللتين مرّ بهما:

أ ـ قبل الخلافة:

1 ـ حدثنا سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار قال: لما قدم رسول الله (ص) المدينة أقطع أبا بكر وعمرا (رضي) (5).

2 ـ عن سالم عن ابيه عن جده أن عمر بن الخطاب قال: كان رسول الله (ص) يعطيني العطاء فأقول: إعطه من هو أفقر مني، فقال له رسول الله (ص) : إذا جاءك من هذا المال وأنت غير مشرف ولا سائل فخذه ومالا، فلا تتبعه نفسك (6). هذا حديث عائلي إذا صح هذا التوصيف لأن راويه هو حفيد عمر، مما يعطيه مصداقية كبيرة.

3 ـ عن ابن عمر (رضي) قال: أصاب عمر بخيبر أرضا فأتى النبي (ص) فقال أصبت أرضا لم أصب مالا قط أنفر منه (7).

4 ـ وكان من الطبيعي أن ينشغل ابن الخطاب العدوي في العناية بأراضيه حتى عن حضور مجالس محمد بإنتظام فكان يحضرها يوما ويتخلف عن حضورها يوما ليعتني فيه بها (عن ابن عباس (رضي) عن عمر قال: كنت أنا وجار لي من الأنصار من بني أمية بن زيد وهي من عوالي المدينة كنا نتناوب النزول على رسول الله (ص) ينزل يوما وأنزل يوما .. الى آخر الحديث) (8).

5 ـ شهد عمر بن الخطاب مع رسول الله (ص) بدرا وأُحُدا والخندق وبيعة الرضوان وخيبر والفتح وحنينا وغيرها

من المشاهد (9). بخلاف السرايا التي ساهم وكان في بعضها على رأس السرية مثل (تربة) سنة سبع من الهجرة، ولا شك أنه أخذ نصيبه من الغنائم فيها وبعضها كثر نزه مثل خيبر وحنين، وعن نصيبه في خيبر: (قال ابن إسحق فوقع سهم رسول الله (ص) وعمر و... في الشق) (10).

أما غزوة هوازن أو غزوة حنين فمشهور أنها أكثر الغزوات غنائم وقصرها محمد على قريش وقبائل من العرب وحرم الأنصار أوسَهُم وخزرجهُم فوجدوا في أنفسهم وكثرت القالة (11). ... الخ.

هذه إطلالة سريعة على ثروة عمر بن الخطاب قبل أن يلي الخلافة ولعمر الحق ليس هذا هو شأن الزهد مثل محمد الذي مات ودرعه مرهونة عند يهودي، رهنها ليشتري طعاما لأهل بيته!.

ثم نلقي نظرة الى أحواله المالية:

ب ـ بعد الخلافة:

لم يرد في أي مصدر أن ابن الخطاب العدوي إنخلع من ثروته بعد أن اعتلى كرسي الخلافة وفي عهده مصر الأمصار وفتح الفتوح: العراق والشام ومصر والجزيرة وديار بكر وأرمينيا وأذربيجان وبلاد الجبال وفارس وخوزستان وغيرها.

وكل واحدة منها كانت تسفح على أثرب/ المدينة الأموال الطائلة التي تجاوزت عشرات الملايين بصورة أدهشت الصحاب وخيرتهم ومنهم ابن الخطاب نفسه كما سنرى في فصلة قادمة..

وكانت هذه الملايين توزع كعطايا على أهل يثرب المحظوظين وفي مقدمتهم المهاجرين وعلى رأسهم القرشيين ومنهم عمر ـ ونعوذ بالله أن نقول إنه كان يؤثر نفسه أو بني عديّ بشيء أزيد من أنصبتهم التي فرضت علانية وعلى رؤوس الأشهاد ـ ولكنه لكونه قديم الإسلام وقرشيا ومهاجرا ومن أهل بدر فلا شك أن نصيبه من العطاء جزيل مثله مثل غيره ممن يشترك معه في هذه المزايا.

1 ـ ودوّن عمر الدواوين وفرض العطاء سنة 20 هـ وقال: قد كثرت الأموال فأشير عليه أن يجعل ديوانا .. وقال: اكتسبوا الناس على منازلهم ... وكل من شهد بدرا من قريش ثلاثة آلاف ولنفسه أربعة آلاف ولإبنه خمسة آلاف (12). أي أن عطاءه كان أربعة آلاف، هذا بخلاف راتبه كخليفة.

2 ـ وفي الوقت الذي كان يخطب فيه من على المنبر ينهي عن المغالاة في المهور نراه يدفع لأم كلثوم بنت علي من فاطمة بنت محمد صداقا في رواية (حفص بإسناد أن عمرا أصدق أم كلثوم ابنة علي أربعين ألفا) (13). (.. في هذه السنة خطب عمر الى علي بن أبي طالب أم كلثوم بنت علي وأمها فاطمة بنت رسول الله (ص) فقال علي: إنها صغيرة ... وأمهرها عشرة آلاف دينار) (14).

وليستبين القارئ ضخامة المهر الذي دفعه ابن الخطاب ليتزوج الصغيرة الشريفة أم كلثوم حفيدة محمد نقول له: إن دينار الذهب بمكة وزنه مائتان وثمانية وعشرون درهما في عهد النبي (ص).

3 ـ كانت علامة ثراء المرء هو زواجه من عدد كبير من النسوة الحرائر وتسريه بالإماء وإذا طبقنا هذا المقياس على ابن الخطاب العدوي الفيناه محبوكا عليه فهو قد تزوج:

1 ـ زينب بنت مظعون أم: عبد الله وعبد الرحمان الأكبر وحفصة.

2 ـ أم كلثوم بنت علي أم: زيد الأكبر ورقية.

3 ـ جميلة بنت عاصم بن ثابت حميّ الدُبُر أم عاصم ـ كان اسمها عاصية فسماها محمد جميلة.

4 ـ مليكة بنت جرول الخزاعية أم: زيد الأصغر وعبيد الله.

5 ـ عاتكة بنت زيد أم غياض.

6 ـ فكيهة بنت الحارث بن هشام بن المغيرة أم: فاطمة.

بخلاف الإماء واللاتي بعد ولادتهن يسمين (أمهات ولد) منهن:

7 ـ لهية: أم عبد الرحمن الأوسط.

8 ـ أم ولد هي أم عبد الرحمن الأصغر (المجبر).

9 ـ فكيهة أم ولد (بخلاف فكيهة الحرة) وهي أم زينب (15).

الهوامش

1 - تاريخ اليعقوبي2/.154
2 - أسد الغابة 4/.181
3 - الإستيعاب 1146/3.
4 - المصدر السابق.
5 - كتاب الخراج ـ أبي يوسف قاضي القضاة ص .37
6 - جمع الجوامع للسيوطي 1/.488
7 - أخرجه الستة في الصحاح وراوي الحديث هو إبنه الأكبر عبد الله.
8 - المغنى لإبن قدامة المقدس 6/.356
9 - أسد الغابة 154/4.
10 - الدرر في إختصار المغازي والسير ـ ابن عبد البر الجزري 4/.154
11 - عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير ـ ابن سيد الناس 2/.194
12 - تاريخ اليعقوبي 2/.153
13 - المغنى لإبن قدامة 68/8.
14 - تاريخ اليعقوبي 2/.150
15 - الرياض النضرة في مناقب العشرة ص 466 ـ 470.

54 ـ تقديس الصحـابة

يتمنى الكثير من المسلمين اليوم العودة الى عهد الخلفاء الراشدين ظنا منهم أنه كان عهدا مجيدا تمتع بعدالة الحاكم ونزاهته بل وصل الحال بهم أنهم اسبغوا القداسة على الصحابة لدرجة أنهم يمنعون تصوير شخصياتهم في أفلام سينمائية أو أعمال مسرحية.

فهل كان الصحابة ورعون أتقياء كما يتوهم البعض؟ في السطور القليلة القادمة سوف نتناول ـ بإختصار ـ جانبين من حياة كبار الصحابة. الجانب الأول هو علاقتهم بعضهم ببعض والآخر هو علاقتهم بالمال وفي هذا الجانب الأخير سوف نقارن بين الوضع المالي للصحابة قبل وبعد الفتوحات الإسلامية.

أولا: علاقة الصحابة بعضهم ببعض:

1 - في يوم وفاة النبي وقبل أن يدفن دب الخلاف بين الأنصار والمهاجرين في سقيفة بني ساعدة على الخلافة وكادوا أن يطأوا سعد بن عباده زعيم الخزرج بأقدامهم. بل أن عمر بن الخطاب كاد أن يقتله.

2 - نفي عثمان بن عفان الصحابي أبا ذر الغفاري الى الربذة حيث مات فيها.

3 - قتل خالد بن الوليد مالك بن نويرة اليربوعي التميمي ليتزوج زوجته أم متمم صاحبة أجمل ساقين في الجزيرة العربية.

4 - سحل عثمان بن عفان الصحابي الجليل ابن مسعود وكسر له ضلوعه وفتق بطن عمار بن ياسر.

5 - اشترك أربعة من الصحابة في قتل عثمان بن عفان وهم: محمد بن أبي حذيفة ومحمد بن أبي بكر بن أبي قحافة وعمر بن الحمق الخزاعي وعبد الرحمن بن عديس.

6 - الصحابي محمد بن أبي بكر قتله الصحابيان عمرو بن العاص ومعاوية بن حديج وأحرقوه في جوف حمار ميت.

7 - طلحة والزبير بن العوام والسيدة عائشة أم المؤمنين قاموا على رأس جيش لمحاربة علي بن أبي طالب في موقعة الجمل التي مات فيها ...15,ألف مسلم في ثلاثة ايام منهم طلحة والزبير.

8 - حارب الصحابى معاوية بن أبي سفيان علي بن أبي طالب ومن بعده إبنه الحسن وانتهى بأن استعدى إحدى زوجاته عليه وهي جعدة بن الأشعث بن قيس الكندي فدست له السم في الشراب وقتلته كما قتل الحسين حفيد النبي في كربلاء.

9 - قتل يزيد بن معاوية الحسين حفيد الرسول في موقعة كربلاء وغرس رأسه في رمح وغرس الرمح فوق قبر الرسول.

10- قاتل المسلمون بعضهم بعضا في صفين ومات منهم ... .11 مسلم.

11- في موقعة الحرة ضرب جيش يزيد بن معاوية الكعبة بالمنجنيق واستباحوا نساء المدينة لمدة ثلاثة أيام حبلت فيها من سفاح ألف عذراء من بنات الصحابة والصحابيات.

هذا كان مجرد غيض من فيض وننتقل الآن الى الذمة المالية للصحابة. كما جاء الحديث عنها في كتاب شدو الرباب بأحوال مجتمع الصحابة للشيخ خليل عبد الكريم.
تبرز الأهمية البالغة للبدء بالكشف عن أحوال الصحبة وهم في بداية الطريق بضرب بعض الأمثلة حتى إذا جاءت أخبار العز والبُلهنية تغدو المقارنة ضرورية ويتأكد أن الصحاب قد ربح بيعهم في الدنيا قبل الآخرة:

1 - عن أسماء بنت أبي بكر قالت: تزوجني الزبير وما له في الأرض من مال ولا مملوك ولا شئ غير ناضح (الجمل الذي يُسقى عليه الماء) وغير فرسه فكنت أعلف فرسه وأستقي الماء وأخرز غربه (أخيط دلوه المصنوع من الجلد) وأعجن ولم أكن أحسن الخبز فكان يخبز جارات من الأنصار وكن نسوة صدق، وكنت أنقل النوى من أرض الزبير التي أقطعه رسول الله (ص) على رأسي وهي على ثلثي فرسخ (الفرسخ حوالي ثلاثة أميال).(1)

2 - عن أبي الأسود أن عبد الله مولى أسماء بنت أبي بكر حدثه أنه كان يسمع أسماء تقول كلما مرت بالحجون صلى الله على محمد لقد نزلنا معه ها هنا ونحن يومئذ خفاف قليل ظهرنا (ركائبنا)، قليلة أزوادنا ... (2) وسوف نرى فيما بعد كم بلغت ثروة الزبير وكم خلف من تركة؟
في الخبر الثاني أسماء بنت أبي بكر تصل على محمد لأن مشروع دولة قريش الذي نفذه في يثرب/ المدينة نقلها هي وزوجها وأولادها نقلة لم يكونوا يتخيلونها فقد أصبحوا من أثرياء قريش بعد أن كانوا بإعترافها الصريح (قليل ظهرنا أي ركائبنا) قليلة أزوادنا.

3 - قال عبد الله بن عمر: كنت غلاما شابا عزبا فكنت أنام في المسجد على عهد رسول الله (ص). (3)
الحديث الذي رواه البخاري ومسلم أصح كتب السنة ومسند أحمد صاحب المقام العالي بينها يشير بصراحة الى مشكلة العزوبة التي استجدت على مجتمع يثرب/ المدينة بعد نزوح (هجرة) الصحاب، هذا من ناحية ومن ناحية

أخرى فسوف نرى هذا الصاحب الذي لم يكن يجد مأوى يؤوب إليه سوى المسجد سوف تتدفق أنهار الثروة بين يديه حتى إنه كان يُلبس جواريه ملابس النسوة الحرائر ويحليهن بعقود وأساور الذهب وهو ما لا تجده الحرات من النسوان العامة حتى إن أباه عمر بن الخطاب شكاه الى أخته حفصة إحدى زوجات محمد لتلفت نظره الى ذلك.

4 - عن عبد الله بن أبي أوفى أنه سُئل عن الجراد فقال: غزوت مع رسول الله (ص) ست غزوات نأكل الجراد هكذا رواه سفيان بن عيينة ورواه الثوري عن أبي يعفور قال: سبع غزوات وورد في (تحفة الأحوذي) في كتاب الأطعمة (4). والغزوة هي التي يشترك فيها محمد بنفسه ومجموع الغزوات هو سبع وعشرون غزوة أي رُبع الغزوات تقريبا لم يكن طعام الصحبة فيها سوى الجراد ثم تغير الحال فأصبح أخشن طعامهم (لعاب النحل ب لباب البر).

5 - اما إذا كانت سرية (أي لا يشترك فيها محمد) فإنها تخرج بدون زاد، اعتمادا على ما تجده عند من تغزوهم فإذا لم تعثر لديهم على شئ فليس أمام أفرادها سوى الشوك.
حدثني أبو بكر بن إسماعيل بن محمد عن أبيه سعد بن أبي وقاص: ولقد أصابنا في سفرنا مجاعة ولقد خرجنا من المليحة وبين المليحة وبين المدينة ستة برد بينها وبين المعدن ليلة ـ بين معدن بني سُليم وبين المدينة، قال: لقد خرجنا من المليحة نوبة، (الجماعة من الناس) وما معنا من ذواق حتى قدمنا المدينة، قال قائل: أبا اسحاق كم كان بين ذلك وبين المدينة؟ قال: ثلاث، كنا إذا بُلغ منا أكلنا العضا، وشربنا عليه الماء حتى قدمنا المدينة (5).
ثم دارت الأيام وتنعم سعد بن أبي وقاص مثل غيره من كبار الصحاب بالأموال التي كسحت من البلاد المفتوحة وبنى له قصرا في العقيق (6).

6 - وكان بعض الصحاب عديم الكسب، لا حرفة ولا تجارة ولا زراعة فكانت زوجته هي التي تنفق عليه وعلى أولاده وعلى البيت وكانت تعتبر ذلك صدقة تُحسب لها ولا يجد هو غضاضة في ذلك.
زينب امرأة عبد الله بن مسعود قالت: يا رسول الله أمرت اليوم بالصدقة وكان عندي حلي فأردت أن أتصدق به فزعم ابن مسعود أنه وولده أحق من تصدقت عليهم، فقال النبي (ص): قال ابن مسعود زوجك وولدك أحق من تصدقت به عليهم ـ رواه البخاري (7) .
ورواه النسائي: أن زينب امرأة ابن مسعود سألت رسول الله (ص) هل يسعها أن تضع صدقتها في زوجها وبني أخ لها يتامى؟ قال: نعم ولك أجران: أجر القرابة وأجر الصدقة (8).
ولكن ابن مسعود لا يظل هكذا فإن الفلك الدوار يحول الأحوال فيغدو (ابن مسعود) إقطاعيا يمتلك الإقطاعيات ـ كما سنرى بعد قليل.

7 - حتى العوالي من الصحاب كان الفقر يضربهم ـ في البدء ـ ضربا موجعا حتى لا يجدوا القوت الضروري الذي يسدون به رمقهم.
روى الأسود بن عامر حدثنا شريك النخعي عن عاصم بن كليب عن محمد بن كعب القرظي قال: قال علي لقد رأيتني على عهد رسول الله (ص) أربط الحجر على بطني من شدة الجوع وإن صدقة مالي تبلغ اليوم أربعين ألفا. رواه أحمد عن حجاج عن شريك ورواه إبراهيم بن سعيد الجوهري وفيه لتبلغ أربعة آلاف دينار (9). وأبو الحسنين كما وصفناه سابقا مستقيم الخلق يتسم بالصراحة ويستوي باطنه وظاهره ومن ثم نراه في هذا الخبر يعلن أنه أصبح ثريا حتى إنه يدفع زكاة المال أربعين ألفا وهي كما نعلم ربع العُشر وبحسبة بسيطة ندرك أن ثروته مليون وستمائة ألف ـ من المال السائل فحسب لأن هناك الكثير مما لا يُدفع عنه الزكاة مثل العقارات (المباني) والأرضين والخيول والحلي (في بعض المذاهب) والعبيد والجواري والأسلحة .. الخ.

8 - والخبر التالي يوضح لنا أيضا حال علي وهو في أول الطريق: إن عليا (رضي) إستقى لرجل من اليهود كل دلو بثمرة وجاء به الى النبي (ص) يأكل منه قال علي: كنت أدلوا الدلو بثمرة واشترطها جلدة (10). وبعد ذلك أصبح من أصحاب الأراضي يزارع عليها بالثلث أو الربع كما روى البخاري؛ وطلق الحسن ابنه إحدى زوجاته فمتعها بعشرة آلاف (درهم أو دينار) فإستقلتها أي رأتها قليلة لا تليق بثروة ابن علي!

9 - عن عبد الله بن مغفل المزني قال: أصبت من فيئ خيبر جراب شحم فاحتملته على عاتقي الى رحلي وأصحابي، قال: فلقيني صاحب المغاني الذي جعل عليها، فأخذ بناحيته وقال: هلم هذا نقسمه بين المسلمين قال: قلت: لا.
والله لا أعطيكه، فجعل يجاذبني الجراب قال فرآنا رسول الله (ص) ونحن نصنع ذلك قال: فتبسم رسول الله ضاحكا، ثم قال لصاحب المغانم: لا أبا لك خل بينه وبينه قال: فأرسله فإنطلقت به الى رحلي وأصحابي فأكلناه (11).
هذا الخبر الذي حمله إلينا ابن هشام في السيرة يرسم صورة ناطقة عن حقيقة الحالة المالية للصحبة في البداية فصحابي في خيبر يعثر (يصيب) جراب شحم فيعتبره غنيمة دسمة ويحتازه ليخص به نفسه وصحبه الذين هم معه في رحله عند عودته إليهم فيراه (صاحب المغانم) أي الموكل بحفظها فينازعه إياه وينكر عليه قصده في الإستئثار به لأنه في نظره من حق كل رجل اشترك في الغزوة لولا أن محمدا أمره أن يخلي بينه وبين الجراب فإنطلق عبد الله فرحا مسرورا الى رحله وأكله هو ومن معه. هؤلاء الصحاب الذين كانوا يتنازعون على جراب شحم والذي اعتبره من أصابه صيدا ثمينا سيملكون قرى بأكملها!!! كما سنذكر بعد قليل في البلاد التي وطأتها خيولهم المباركة بدعوى إخراج أهلها من عبادة العباد الى عبادة رب العباد مع أن هؤلاء الأهل لم يشكوا لهم من ذلك ولم يستنجدوا بهم!

10- أسماء بنت عميس التي ذكرناها فيما سبق في أكثر من خبر تروي لنا هذا الحديث:
عن أسماء بنت عميس أن النبي (ص) دخل عليها لبعض حاجة ثم خرج فشكت إليه الحاجة (12)، ولا شك أن ذلك كان بعد وفاة جعفر بن أبي طالب وكان قد ترك لها بضعة أولاد صغار وقبل زواجها من أبي بكر ثم من علي.
عبد الله بن جعفر بن أبي طالب (له صحبة) أسلفه الزبير بن العوام ألف ألف درهم فلما قتل (الزبير) قال ابنه عبد الله لعبد الله بن جعفر إني وجدت في كتب أبي أن له عليك ألف ألف درهم، فقال هو صادق فاقبضها إن شئت (13). عبد الله بن جعفر هذا هو أحد أبناء أسماء بنت عميس التي كانت تشتكي الى محمد حاجتها وحاجتهم ولكن انقلب الحال إنقلابا يفوق الخيال ـ والفضل في ذلك للبلاد الموطوءة فقد أصبح أحد أولئك الأولاد (عبد الله) مليونيرا إذ بمجرد أن يقول له عبد الله بن الزبير أنه وجد مكتوبا بخط أبيه الزبير (أن له عليك ألف ألف درهم = مليون درهم) رد عليه ابن جعفر: هو صادق فاقبضها إن شئت لم يقل نظرة الى ميسرة أو أمهلني ولو شهرا بل أبدى استعداده لدفع المليون درهم على الفور لا على التراخي ولو ساعة واحدة ـ ترى كم كانت تبلغ ثروة عبد الله بن جعفر إذا كان على استعداد للوفاء بدينه البالغ مليون درهم في التو!
ومن أي مصدر واتته هذه الثروة السائلة وقد كانت والدته وهو صغير تشكو الحاجة الى محمد (ابن عم أبيه)؟
وهذه الواقعة قد حدثت بعد وفاة الزبير أو مقتله أي بعد مصرع عثمان لأن الزبير قتل في أثناء موقعة الجمل ـ ومعلوم أن معظم الفتوحات تمت في خلافة عمر واستكملت زمن عثمان، حينذاك بدأت الأموال تتدفق على المدينة من كل صوب وحدب وعبد الله بن جعفر من بني هاشم وكان عمر يغدق عليهم هم بالذات لأنهم من الفروع السامقة من قريش الذين كانت تعتمل في صدورهم عوامل النقمة لأن الخلافة أفلتت منهم وجنحت الى فرعين متواضعين تيم (فرع ابن أبي قحافة) وعدي (فرع ابن الخطاب) وعبد الله بن جعفر لا بد أنه كان صاحب نصيب موفور من تلك الغنائم لأنه ولد جعفر الطيار ابن عم محمد ـ وهكذا تحول هو وأخوته من الحاجة الى اكتناز الملايين حتى إنه سدد المليون الى عبد الله بن الزبير فور المطالبة به.
ونكتفي بهذه النماذج لإثبات أن الصحاب كانوا في أول أمرهم يعانون من جهد للبلاء والخلة والعوز، والكتب التراثية للسيرة المحمدية ودواوين السنة تعج بعشرات الأخبار التي تؤكد هذه الحقيقة التي لا يُمارى فيها إلا مكابر.
وننتقل بعد ذلك الى وصف أحوال الصحاب بعد أن أقبلت عليهم الدنيا إقبالا لم يكونوا يحلمون به بعد الفتوحات التي أشرنا إليها كثيرا ـ وعدد من الصحاب كان لديه الشجاعة الأدبية ليصدع بذلك دون جمجمة وبعبارات واضحة ذات دلالة أكيدة.

1 - عمرو بن العاص:

وخلف عمرو من العين (الذهب) ثلثمائة ألف دينار وخمسة وعشرين ألف دينار ومن الورق (الفضة) ألف درهم، وغلة مائتي ألف دينار بمصر وضيعته المعروفة بـ (الوهط) قيمتها عشرة آلاف ألف درهم (14).

2 - على بن أبي طالب:

وأما علي (رضي) فتوسع في هذا المال من جله، ومات عن أربع زوجات وتسع عشرة أم ولد سوى الخدم والعبيد وتوفي عن أربعة وعشرين ولدا من ذكر وأنثى وترك لهم من العقار والضياع ما كانوا به أغنياء قومهم ومساتيرهم وهذا أمر مشهور لا يقدر على إنكاره من له أقل علم بالأخبار والآثار (15). وقد رأينا في فصلة (البداية) أن ابن أبي طالب كان يعمل بيديه بأجر زهيد وأنه كان يربط الحجر على بطنه من الجوع ولما بلغ فاطمة بنت محمد خبر عزم أبيها تزويجها منه اعترضت بحجة أنه (فقير آل أبي طالب).

3 - عبد الله بن مسعود:

روى يحيى بن آدم القرشي عن طريق حجاج عن قاسم بن عبد الرحمن قال: جاء دهقان الى عبد الله بن مسعود (رضي) فقال: اشتر مني أرضي، فقال عبد الله: على أن تكفيني خراجها، قال نعم: فاشتراه منه (16). وفي البداية رأينا أن عبد الله بن مسعود كانت زوجته تنفق عليه هو وأولاده من الزكاة (الصدقة) وأنها سألت في ذلك محمدا فأجازه والآن نجده (عبد الله بن مسعود) يشتري الضياع!!!

4 - زيد بن ثابت:

ذكر سعيد بن المسيب أن زيد بن ثابت حين مات خلف من الذهب والفضة ما كان يُكسر بالفئوس غير ما خلف من الأموال والضياع بقيمة مائة ألف دينار (17).

5 - عبد الله بن العباس بن عبد المطلب:

حدثنا عبد الرحمان بن مهدي عن حماد بن سلمة عن حميد عن الحسن قال: جاء رجل الى ابن العباس فقال: أتقبل منك الأبُلة بمائة ألف قال فضربه مائة (18).
الرجل عرض على ابن العباس أن يدفع له مائة ألف (دينار أو درهما) مقابل أن يتولى هو أمر الضيعة التي تطل على نهر الأبلة مباشرة ولكن هذا العرض لم يُرق في عين ابن عباس فرفضه ولم يكتفِ بذلك بل أمر بالرجل فضرب مائة سوط وأوقع عليه عقوبة أخرى نحجبها عن القارئ.

6 - سعد بن أبي وقاص:

وابتنى سعد بن أبي وقاص داره بالعقيق فرفع سمكها ووسع فضاءها وجعل أعلاها شرفات (19). والعقيق كما ذكرنا من أطيب أحياء المدينة وبعض الروايات تسميه (قصر سعد) وسبق أن أوردنا خبرا عن سعد أنهم في بعض

السريا لم يكن لهم ما يقتاتون به سوى شجر (العضاء) أو الشوك. والقصر ذو الشرفات يحتاج الى إماء وعبيد وخدم يقومون بشؤونه ويرعون سيده، وسعد من العشرة المبشرين بالجنة وهو بذلك جمع بين الحسنيين: بُلهنية الدنيا ولذائذ الجنة التي لا تخطر على قلب بشر.

7 - أنس بن مالك بن النضر:

أنس بن مال أنصاري خزرجي من بني النجار - قدمته أمه وهو صبي ليخدم محمدا بعد وصوله أثرب وخدمه عشر سنوات ولذلك حمل لقب الخادم، "خادم محمد" وهو من ألقاب التشريف في مجتمع الصحبة. ونشأته بهذه المثابة تدل على الفقر ولكن عندما تغيرت الأحوال وتاريخه يؤهله لأن يغدو من بين القابعين على رأس الهرم الإجتماعي كان حتما أن ينال نصيبه الوفير من الفرصة الإقتصادية الجديدة.(وهو آخر من توفي بالبصرة من الصحابة وكان موته بقصره بالطف ودفن هناك على فرسخين من البصرة) (20). ويصرح أنس بذلك: قال أنس: إني لمن أكثر الأنصار مالا وولدا (21). ومدلول هذا التصريح أن أنسا بلغ من الثراء حدا كبير لأن هناك من بين الأنصار من كان يملك الأطام (جمع أطم) والحيطان (البساتين) والمزارع والكروم والنخيل .. الخ فإذا فاق غنى أنس ثروة هؤلاء فكم كانت ثروته؟

8 - سعيد بن زيد بن عمرو:

كان في مهمة تجسس مع طلحة بن عبيد الله فاعتبرهما محمد ممن شهد بدرا وضرب لهما بسهميهما فيها (وكان عثمان قد أقطع سعيد أرضا بالكوفة فنزلها وسكنها) (22)، وسكنها من بعده أولاده. كما كانت له أرض بـ(الشجرة) وهي التي خاصمته فيها أو في جزء منها أروى بنت أويس الى مروان بن الحكم والي المدينة فأنكر سعيد ذلك وقال كيف أظلمها ... الخ (23). واستعدى عليها السماء فتولت تصفيتها الجسدية.

9 - عبد الرحمن بن عوف:

كان لثروته الطائلة - يقول له محمد كلما لقيه (لن تدخل الجنة إلا زحفا يا ابن عوف) وفي رواية إلا حبوا، ولقد شهدت عائشة بنت أبي بكر بذلك (فقالت عائشة: سمعت النبي (ص) يقول: يدخل عبد الرحمن بن عوف الجنة حبوا) (24)، كل ذلك ولم يكن ابن عوف قد أخذ "هبرته" من غنائم بلاد الفتح المبارك. ولشدة ترفه أعطاه محمد رخصة لبس الحرير دون رجال أمته حتى الذين يجيئون من بعده الى يوم القيامة وقد أراد أن يمد هذا الإستثناء الى بنيه ولكن عمر بن الخطاب زبره زبرا شديدا (25)، وكان يرتدي البُرد أو الحلة التي تساوي خمسمائة أو أربعمائة (25). في الوقت الذي كان فيه علي بن أبي طالب يبحث في السوق عن قميص يصلح للبس بثلاثة دراهم (26)، علما بأن ابن عوف عندما نزح (هاجر) من مكة الى أثرب كان على رتبة (اللهم لبيك). وآخى محمد بينه وبين سعد بن الربيع الأنصاري وكان من أغنياء الصحابة (توفي بعد ذلك في عركة أحد) وقد عرض سعد على عبد الرحمان أن يشاطره ماله وأن ينزل له عن إحدى زوجاتيه، أجملهما التي تروق له ولكن ابن عوف رفض وقال له بارك الله في مالك وولدك، " دلوني على السوق" (27). وانصرف للمتاجرة حتى تملك نواة من ذهب فخطب إحدى بنات الأوس وهي بنت أبي الحيسر من بني عبد الأشهل (وهي التي قال له رسول الله (ص) حين نكحها بنواة من ذهب: أولِم ولو بشاة) (28). وسوف نرى كم وصلت ثروته! ونحلل الأوضاع الإجتماعية واللاإقتصادية التي مكنته وصاحبيه الآخرين أن يصبحوا من أكبر أغنياء العالم في عصرهم الميمون!

أ - عن ابن عيينة عن إبراهيم بن عبد الرحمان بن عوف قال: صالحنا امرأة عبد الرحمان ابن عوف التي طلقها في مرضه من ثلث الثمن بثلاثة وثمانين ألف، وعن غير ابن عيينة أنها صولحت بذلك عن ربع الثمن (29). وبحسبة بسيطة يبين أن ثمن تركة ابن عوف يبلغ ثلث مليون دينار أي أن ما خلفه من المال السائل فحسب مليونين وثلثي مليون دينار!!! وأوضح لنا اليعقوبي اسم تلك المرأة (أو الزوجة) ورفع مبلغ التصالح الى مائة ألف (وكان عبد الرحمان قد طلق امرأته تماضر بنت الأصبغ لما اشتدت علته فورثها عثمان فصولحت على رُبع الثمن على مائة ألف دينار وقيل ثمانين ألف دينار) (30)، والحكاية مشهورة ومتواترة في كتب الفقه لأن بها مسألة فقهية وهي طلاق الزوجة طلقة بائنة في مرض الموت - ومعنى ذلك أن - ثُمن التركة 100 ألف × 4=400،000 دينار. أي أن سائل المال في التركة 400،000×8=3،200،000 ثلاثة ملايين دينار ومائتي ألف دينار. هذا بخلاف عناصر التركة الأخرى المتنوعة، فهذا الذي أصدق أولى زوجاته في مفتتح وصوله الى أثرب خمسة دراهم فحسب يتم التصالح مع إحدى زوجاته الأربع (طبعا اللاتي على ذمته) بثلاثة وثمانين ألف دينار وفي رواية اليعقوبي بمائة ألف دينار!

ب - عن عائشة سقى الله عبد الرحمان بن عوف من سلسبيل الجنة، وقد كان وصل أزواج النبي (ص) بأربعين ألفا (31).

ج - (... أن عبد الرحمان أوصى بحديقة لأمهات المؤمنين بيعت بأربعمائة ألف) (32).

هـ - قال عبد الرحمن: يا أصحاب رسول الله (ص) كل من كان من أهل بدر له عليَّ أربعمائة دينار؟ فقام عثمان مع الناس فقيل له: ألست غنيا؟ قال: هذه وصلة من عبد الرحمان لا صدقة - وهو من مال حلال - فتصدق عليهم في ذلك بمائة وخمسين ألف دينار (33)، والذي يصل زملاء السلاح - رُفقة بدر - أو الحرس القديم بمائة وخمسين ألف دينار كم كان يملك؟

وأخيرا نأتي الى التركة التي خلفها عبد الرحمن بن عوف فنجد أن الأخبار التي وردت بشأنها اختلفت والذي نراه أن كلا من الرواة علم شطرا منها فحكاه وأنه أقرب الى تصوير الحقيقة هو الجمع بين ما ورد في الأخبار التي جاءت بخصوصها.

و ـ خلف ألف بعير وثلاثة ألف شاة ومائة فرس ترعى بالبقيع وكان يزرع بالجرف على عشرين ناضحا فكان يدخل قوت أهله سنة (34). وواضح أن الخبر يتناول شطر التركة الذي كان بأثرب/ المدينة لأن البقيع والجرف مكانان فيها.

ي ـ وخلف مالا عظيما من ذلك: ذهب قطع بالفئوس حتى محلت (ظهر بها بثور) أيدي الرجال منه، وترك ألف بعير ومائة فرس وثلاثة آلاف شاة ترعى بالبقيع (35). وهذا الخبر تدل ألفاظه أنه ذكر بعض التركة (من ذلك).

هذه هرولة في جنبات ابن عوف أول الصحابة بالغي الثراء أو (المليونيرات).

10- الزبير بن العوام:

عن أسماء بنت ابي بكر:

قالت إن الزبير عندما تزوجها كان مليطا من المال سوى ناضح (جمل لسقاية الماء) وفرس وأنها كانت تمشي ثلثي فرسخ ذهابا وإيابا لتحضر نوى لعلف الفرس وكان نسوان أنصاريات هن اللاتي يخبزن لها لأنها لم تكن تجيد الخبيز ولم يكن لديها خادم تقوم به ...الخ.

وصرحت أسماء بأنها كلما مرت بالمحجون (بمكة) كانت تصلي على محمد لأنهم في حياته كان ظهرهم (ركابهم) متواضع وزادهم (طعامهم) جشب (خشن) وبفضل الخطة الحكيمة والمُحكمة التي نفذها محمد قامت دولة قريش في يثرب وانتقلت أسماء وأسرتها الى ذروة الثروة فكيف لا تصلي عليه!!!

ولا عجب في ذلك .. بل ربما يمكن العجب في عكسه ـ فقد طرأت التحولات والزبير بن العوام من أهل القمة لقرابته من محمد فهو ابن عمته وصهر أبي بكر وزوج أخت عائشة وباللقب الفخم الذي منحه إياه محمد (الحواري) وبسبقه في دخول الدين فهو خامس المسلمين وهاجر الهجرتين (36). وبلائه في معارك التثبيت الأولى بل إنه أول من سل سيفا في سبيل الله (37). وكان ذلك مبكرا للغاية في مكة في أيام الدعوة الوليدة ذلك أنه سمع أن محمدا قد أخذه الكفار (فخرج عريانا ما عليه شيء بيده السيف مصلتا فتلقاه النبي (ص) فقال: ما لك يا زبير قال: سمعت أنك قد قتلت فقال: فما كنت صانعا قال: أردت والله أن استعرض أهل مكة وأجري دماءهم كالنهر لا أترك أحدا منهم إلا قتلته حتى أقتلهم عن آخرهم ـ فضحك النبي (ص) وخلع رداءه وألبسه) (38). ولذلك كان من الطبيعي أن ـ هذا الموقف المندفع الذي وقفه الزبير يقابل من السماء بالتحية والجائزة السنية (فنزل جبريل وقال: (أي محمد) إن الله يقرئك السلام ويقول له إقرأ مني على الزبير السلام، وبشره أن الله أعطاه ثواب كل من سل سيفا في سبيل الله منذ بعثك حتى تقوم الساعة) (39).

عن كعب قال: كان للزبير ألف مملوك يؤدون إليه الخراج فما كان يدخل بيته درهما واحدا يعني أنه كان يتصدق بذلك كله (40).

الزبير الذي وصفنا حاله في البداية أصبح لديه ألف مملوك يعملون ويكدون ويعرقون ثم (يؤدون إليه الخراج) أي يسلمونه حصيلة شقائهم آخر اليوم أو الأسبوع والخبر يحكي أنه كان يتصدق بعرق هؤلاء الرقيق ولا يبقي منه درهما.

عن أم درّة قالت: بعث الزبير الى عائشة بغرارتين تبلغ ثمانين ومائة ألف درهم (41). وعائشة هي أخت زوجته أسماء فكلتاهما بنت أبي بكر بن أبي قحافة فقد عزّ عليه أن تتمرغ زوجته في حنايا النعيم وأختها (عائشة) محرومة إذ توفي زوجها محمد ودرعه مرهونة لدى يهودي كما يدعي المبجلون.

وكانت له دور كثيرة ربما يستعصي إحصاؤها باع أحدهما بستمائة ألف:(عن جويرية قالت: باع الزبير دار له بستمائة ألف ـ فقيل له يا أبا عبد الله غُبنت، قال: كلا والله لتعلمن أني لم أغبن فهي في سبيل الله) (42).

لقد عز عليه وهو الرأسمالي المرموق أن يقال له غُبنت لأن الغبنة شارة الغفلة وما يجوز لمثله أن يوصف بذلك فسارع الى الإعلان بأنه قد ظهر ثمنها لصالح السماء ـ علما بأنه رد غير سديد إذ ما كان يمنعه أن يستوفي الثمن كاملا دون غبن ثم يضعه في سبيل الله وبذلك يكون ثوابه أجزل.

سبق أن ذكرنا أنه أسلف عبد الله بن جعفر بن أبي طلالب ألف ألف (مليون) درهم فكم كانت ثروته آنذاك وهو يقرض منها مليون درهم؟

ونظرا لثرائه الوسيع وغناه العريض كان الصحابة يوصونه بأولادهم عند غيابهم (أوصى سبعة من أصحاب النبي (ص) منهم: عثمان وعبد الرحمان بن عوف والمقداد وابن مسعود كان يحفظ عليهم أولادهم وينفق عليهم من ماله) (43). مع أن من بين هؤلاء الصحبة من كان صاحب مال ممدود مثل عثمان وعبد الرحمن بن عوف وعبد الله ابن مسعود (بعد الفتوحات)، والذي يكفل ذراري هؤلاء في غيبتهم وينفق عليهم من ماله ولا يمس مالهم لا شك أن ثروته تسع مثل هذا الصنيع دون خدش.

وفي أيام الجهد الأولى اقتصر على زوجة واحدة هي بنت أبي قحافة وكان الوفاء يفرض عليه ألا يرزأها بضرائر ينكدن عليها عيشها وهي التي كافحت معه وكانت تمشي فراسخ طويلة لتحضر النوى لفرسه الفرد.

ولكنه لم يفعل وتزوج خمسا عليها وهكذا لقيت (ذات النطاقين) على يد (الحواري) جزاء سنمار! وكان يختار زوجاته على الفرازة. وينتقيهن من البطون السامقة: مثل آل أبي معيط (رهط عثمان بن عفان الخليفة الثالث) وآل العاص (بني أمية) وبني أسد بن خزيمة ـ وكان ذلك بداهة يكلفه الشيء الكثير من المهور وغيرها.

وفي أيام عثمان اقتنى جماعة من الصحابة: الضياع والدور منهم الزبير بن العوام بنى داره بالبصرة وهي المعروفة في هذا الوقت (سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة) تنزلها التجار وأرباب الأموال وأصحاب الجهازات وغيرهم وابتنى أيضا دور بمصر والكوفة والإسكندرية. وبلغ مال الزبير بعد وفاته خمسين ألف دينار وخلف الزبير ألف فرس وألف عبد وآمة.

طلحة ين عبيد الله:

عن محمد بن إبراهيم قال: كان طلحة يغل بالعراق ما بين أربعمائة ألف الى خمسمائة ألف ـ ويغل باسراه عشرة آلاف دينار أو أكثر أو أقل ... وكان لا يدع أحدا من بني تيم إلا كفاه مؤنة عياله، ويزوج أياماهم ويخدم عائلهم ويقضي دين غارمهم (44). وبنو تيم هم رهط طلحة. وكان يرسل الى عائشة إذا جاءت عليه كل سنة عشرة آلاف ولقد قضى عن صبيحة (إحدى قريباته) ثلاثين ألف درهم (45). وعائشة هي زوجة محمد وبنت ابن أبي قحافة فهي تيمية مثله وتمت له بصلة قرابة حميمة فضلا عن أنها أخت إحدى زوجاته.

وأجمعت المصادر على أن غلته كانت (كل يوم ألفا وافيا، قال الواقدي والوافي وزنه وزن الدينار (46). أي أن دخله السنوي هو خمسة وستون وثلاثمائة الف دينار ـ والمسعودي نص في الخبر الذي أورده على أن الألف دينار الوافي اليومي كانت غلة أراضيه في العراق فقط وهذا هو المعقول). ويعطينا المسعودي لقطات سريعة من ثروة طلحة فيقول: (ابتنى داره بالكوفة المشهورة بدار الطلحيين بالكناسة وكانت غلته من العراق كل يوم ألف دينار وقيل أكثر من ذلك ـ وبناحية الشراة أكثر من ذلك ـ وشيد داره بالمدينة وبناها بالآجر والجُص والساج) (47). ويقول الفيروز آبادي إن الشراة وادٍ بين كبكب ونعمان على ليلة من عرفة، وبناء الدار بالآجر والجص والسراج كان آية الثراء آنذاك مثل استعمال الرخام الطلياني والسراميك ... الخ في ايامنا هذه.

سبحان مغير أحوال الصحابة بعد نزوح خيرات البلاد الموطوئة الى المدينة.

إن الإنسان ليعجب كيف ينسف إليهم محدثوا المسلمين الذهد والعزوف عن مباهج الدنيا ومسراتها.

المـراجـع

(1) صحيح البخاري ومسلم وأخرجه ابن سعد في الطبقات.
(2) رواه البخاري في صحيحه في باب العمرة.
(3) الحديث في صحيح البخاري ومسلم ومسند أحمد.
(4) أسد الغابة 182/3.
(5) المغازي للواقدي 17/1.
(6) حي من الأحياء الراقية.
(7) المغني لإبن قدامة المقدسي 281/3.
(8) المصدر السابق ص 283.
(9) منهاج السنة النبوية ـ ابن تيمية 130/4.
(10) سنن ابن ماجة وهو من كتب الصحاح السنة.
(11) سيرة ابن هشام 44/4.
(12) مجمع الزوائد للهيثمي.
(13) أسد الغابة 199/3.
(14) مروج الذهب ـ المسعودي 18/2.
(15) منهاج السنة النبوية ـ ابن تيمية 130/4.
(16) الأستخراج لأحكام الخراج ـ أبو الفرج الحنبلي ص 84.
(17) مروج الذهب ـ المسعودي 544/1.
(18) الأموال ـ أبو عبيد القاسم بن سلام ص 89.
(19) مروج الذهب ـ المسعودي 544/2.
(20) أسد الغابة ـ 152/1.
(21) الإستيعاب 111/1.
(22) الإستيعاب 618/2.
(23) المصدر السابق.
(24) أسد الغابة 483/3.
(25) طبقات ابن سعد.
(26) حياة الصحابة ـ الكاند هلوي 471/2.
(27) أسد الغابة 481/3.
(28) جمهرة أنساب العرب ابن حزم الأندلسي.
(29) الإستيعاب 847/2.
(30) تاريخ اليعقوبي 171/2.
(31) سنن الترمذي.
(32) أخرجه الترمذي وقال حسن غريب.
(33) المصدر السابق ص 768.
(34) الإستيعاب 847/2.
(35) أسد الغابة 485/3.
(36) أسد الغابة 250/2.
(37) الإستيعاب 511/2.
(38) الرياض النضرة للمحب الطبري ص 732.
(39) المصدر السابق.
(40) الأستيعاب 514/2، الرياض النضرة ص 774، أسد الغابة 2/ 252.
(41) الرياض النضرة ص 774.
(42) المصدر السابق.
(43) أسد الغابة 252/2.
(44) الرياض النضرة ص 720.
(45) المصدر السابق.
(46) أسد الغابة 89/2، الرياض النضرة ص 721، مروج الذهب 544/1، الإستيعاب 770/2.
(47) مروج الذهب 544/1.

55 ـ عدالة الصحابة

عمر بن الخطاب نموذجا

فيما يلي نص العهدة العمرية كما وردت في تفسير ابن كثير للآية 29 من سورة التوبة.

العهدة العمرية

لقد اشترط عليهم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه تلك الشروط المعروفة في إذلالهم وتصغيرهم وتحقيرهم وذلك مما رواه الأئمة الحفاظ من رواية عبد الرحمن بن الأشعري وقال: كتبت لعمر بن الخطاب رضي الله عنه حين صالح نصارى من أهل الشام بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب لعبد الله عمر أمير المؤمنين من نصارى مدينة كذا وكذا إنكم لما قدمتم علينا سألناكم الأمان لأنفسنا وذرارينا وأموالنا وأهل ملتنا وشرطنا لكم على أنفسنا أن لا نحدث في مدينتنا ولا فيما حولها ديرا ولا كنيسة ولا قلاية ولا صومعة راهب ولا نجدد ما خرب منها ولا نحيي منها ما كان خططا للمسلمين وأن لا نمنع كنائسنا أن ينزلها أحد من المسلمين في ليل ولا نهار وأن نوسع أبوابها للمارة وابن السبيل وأن ننزل من رأينا من المسلمين ثلاثة أيام نطعمهم ولا نؤوي في كنائسنا ولا منازلنا جاسوسا ولا نكتم غشا للمسلمين ولا نعلم أولادنا القرآن ولا نظهر شركا ولا ندعو إليه أحدا ولا نمنع أحدا من ذوي قرابتنا الدخول في الإسلام إن أرادوه وأن نوقر المسلمين وأن نقوم لهم من مجالسنا إن أرادوا الجلوس ولا نتشبه بهم في شئ من ملابسهم في قلنسوة ولا عمامة ولا نعلين ولا فرق شعر ولا نتكلم بكلامهم ولا نكتني بكناهم ولا نركب السروج ولا نتقلد السيوف ولا نتخذ شيئا من السلاح ولا نحمله معنا ولا ننقش خواتيمنا بالعربية ولا نبيع الخمور وأن نجز مقاديم رءوسنا وأن نلزم زينا حيثما كنا وأن نشد الزنانير على أوساطنا وأن لا نظهر صلبنا ولا كتبنا في شئ من طرق المسلمين ولا أسواقهم ولا نضرب نواقيسنا في كنائسنا إلا ضربا خفيفا وأن لا نرفع أصواتنا بالقراءة في كنائسنا في شئ في حضرة المسلمين ولا نخرج شعانين ولا بعوثا ولا نرفع أصواتنا مع موتانا ولا نظهر النيران معهم في شئ من طرق المسلمين ولا أسواقهم ولا نجاورهم بموتانا ولا نتخذ من الرقيق ما جرى عليه سهام المسلمين وأن نرشد المسلمين ولا نطلع عليهم في منازلهم. قال فلما أتيت عمر بالكتاب زاد فيه ولا نضرب أحدا من المسلمين شرطناه لكم ذلك على أنفسنا وأهل ملتنا وقبلنا عليه الأمان فإن نحن خالفنا في شئ مما شرطناه لمن وظفنا على أنفسنا فلا ذمة لنا وقد حل لكم منا ما يحل من أهل المعاندة والشقاق.

تحكي كتب التراث حكاية طريفة للتدليل على عدالة عمر وهي كما يلي:

في يوم من الأيام جاء رسول كسرى الى المدينة المنورة عاصمة الدولة الإسلامية آنذاك لمقابلة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه. فسأل عن قصره، قالوا: ليس له قصر. سأل عن حصنه، قالوا: ليس له حصن. قال: فأين يسكن، فأشاروا الى بيت أمير المؤمنين. فلما دنا منه إذا هو كأبسط بيوت فقراء المسلمين. فقال لأهله أين أمير المؤمنين، قالوا: هو ذاك الذي ينام تحت الشجرة. فلما دنا منه وجده نائما في ملابس بسيطة تحت ظل شجرة قريبة. فقال مقولته الشهيرة:" حكمت فعدلت فأمنت فنمت يا عمر."

ولكن بعيدا عن الحكايات الطريفة تورد لنا كتب التراث واقعة بالِغة الدلالة على عدم عدالة عمر. ورد بلفظ القاضي (أحمد) الشهير بابن خلكان، في كتابه وفيات الأعيان، وهي رواية هامة توضح موقف عمر بن الخطاب بعد أن أصبح خليفة، من تطبيق حد الرجم على (المغيرة بن شعبة). في رواية القاضي أحمد، التي يلخصها لنا الإمام شرف الدين الموسوي تحت عنوان: درؤه الحد عن المغيرة بن شعبة " ذلك حيث فعل المغيرة مع الإحصان، ما فعل مع أم جميل بنت عمرو، إمرأة من قيس، في قضية من أشهر الوقائع التاريخية في تاريخ العرب، كانت سنة 17 للهجرة. لا يخلو منها كتاب اشتمل على حوادث تلك السنة، وقد شهد عليه بذلك كل من أبي بكرة وهو معدود من فضلاء الصحابة وحملة الآثار النبوية، ونافع ابن الحارث وهو صحابي أيضا، وشبل بن معبد. وكانت شهادة هؤلاءالثلاثة صريحة، بأنهم رأوا المغيرة بن شعبة يولجه في أم جميل إيلاج الميل في المكحلة، لا يكنون ولا يحتشمون، ولما جاء الرابع وهو زياد بن سميلة يشهد أفهمه الخليفة رغبته في ألا يُخزى المغيرة، ثم سأله عما رآه فقال: رأيت مجلسا، وسمعت نفسا حثيثا وانتهازا ورأيته مستبطنها، فقال عمر: أرأيته يدخله ويخرجه كالميل في المكحلة؟ فقال: لا، لكني رأيته رافعا رجليها فرأيت خصيتيه تتردد الى ما بين فخذيها، ورأيت حفزا شديدا وسمعت نفسا عاليا، فقال عمر: أرأيته يدخله ويخرجه كالميل في المكحلة؟ فقال: لا، فقال عمر: الله أكبر، قم يا مغيرة إليهم فاضربهم، فقام يقيم الحدود على الثلاثة" (1).

أيتجاسر أحد بعد هذه الواقعة أن يشكك في عدالة عمر رضي الله عنه وأرضاه.

(2) عبد الحسين شرف الدين الموسوي: النص والإجتهاد، مؤسسة الأعلمي، كربلاء، ط4، 1966، ص259، انظر أيضا ابن كثير: البداية والنهاية، ج7، ص 83، 84.

56 ـ دخـول الجـنة

فيما يلي عشرة أحاديث من صحيح البخاري ـ أصح كتاب بعد كتاب الله عند غالبية المسلمين ـ تظهر بوضوح كامل السهولة المتناهية في دخول الجنة يمكننا معها أن نقول أنه في المفهوم الإسلامي أن كل من هب ودب من المسلمين سوف يدخله الله فسيح جناته.

من قال لا إله إلا الله:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله (ص) قال: من قال سبحان الله وبحمده في يوم مائة مرة، حطت عنه خطاياه، وإن كانت مثل زبد البحر.

من صلى البردين دخل الجنة:

عن أبي موسى رضي الله عنه أن النبي (ص) قال: من صلى البردين دخل الجنة.

من أحصى أسماء الله دخل الجنة:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله (ص) قال: إن لله تسعة وتسعين إسما مائة إلا واحد، من أحصاها دخل الجنة.

إذا شهد أربعة لمسلم بخير دخل الجنة:

عن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله (ص): أيما مسلم شهد له أربعة بخير أدخله الله الجنة، فقلنا: وثلاثة؟ قال: وثلاثة، فقلنا: واثنان، ثم لم نسأله عن الواحد.

من صام رمضان إيمانا واحتسابا:

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال رسول الله (ص): من صام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه.

من وافق تأمينه تأمين الملائكة:

عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي(ص) قال: إذا أمن الإمام فأمنوا، فإنه من وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه.

ـ وعنه رضي الله عنه أن رسول الله (ص) قال: إذا قال أحدكم: آمين، وقالت الملائكة في السماء: آمين، فوافقت إحداهما الأخرى، غفر له ما تقدم من ذنبه.

من يقم ليلة القدر إيمانا وإحتسابا:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله (ص): من يقم ليلة القدر إيمانا وإحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه.

من قال سبحان الله وبحمده مائة مرة:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أتيت النبي (ص) وعليه ثوب أبيض وهو نائم، ثم أتيته وقد استيقظ، فقال: ما من عبد قال: لا إله إلا الله، ثم مات على ذلك، إلا دخل الجنة، قلت: وإن زنى وإن سرق؟ قال: وإن زنى وإن سرق، قلت: وإن زنى وإن سرق؟ قال: وإن زنى وإن سرق، قلت: وإن زنى وإن سرق؟ قال: وإن زنى وإن سرق، على رغم أنف أبي ذر، وكان أبو ذر إذا حدث بهذا، قال وإن رغم أنف أبي ذر.

57- جنة الإسلام

في كتابه الشهير " حادى الأرواح الى بلاد الأفراح" لإبن قيم الجوزية وصف مفصل للجنة كما صورها محمد لسامعيه من الأعراب.

والكتاب مكون من تسعة وستون بابا تسرد أدق تفاصيل هذه الجنة الوهمية كما كانت في الخيال الإعرابي في القرن السابع الميلادي. ونحن هنا نلتقط بعض الملامح القليلة لهذه الجنة لكي نبين للقارئ الكريم هذا الجانب الهام من الأسطورة المحمدية.

1 ـ درجات الجنة ووجود العرش فوقها ووجود نهر النيل فيها:

كما روى البخاري في صحيحه: من حديث أبي هريرة عن النبي (ص) أنه قال:" إن في الجنة مائة درجة أعدها الله عز وجل للمجاهدين في سبيله بين كل درجتين كما بين السماء والأرض فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فِإنه في وسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن ومنه تفجر أنهار الجنة" (1).

وروى الترمذي نحوه: من حديث معاذ بن جبل وعبادة بن الصامت ولفظ حديث عبادة:" الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين مسيرة مائة عام والفردوس أعلاها درجة، ومنها الأنهار الأربعة والعرش فوقها فإن سألتم الله فاسألوه الفردوس الأعلى" (2).

وفي المعجم للطبراني: من حديث الحسن عن سمرة قال: قال رسول الله (ص) " الفردوس ربوة الجنة وأعلاها وأوسطها ومنها تنفجر أنهار الجنة"(3).

وفي صحيح البخاري: من حديث شعبة عن قتادة قال: أخبرني أنس بن مالك أن رسول الله (ص) قال: " رفت الى سدرة المنتهى في السماء السابعة نبقها مثل قلال هجر وورقها مثل آذان الفيلة يخرج من ساقها نهران ظاهران ونهران باطنان فقلت: يا جبريل ما هذا قال: أما النهران الباطنان ففي الجنة وأما الظاهران فالنيل والفرات" (4).

2 ـ الله يعطي محمد نهر الكوثر فى الجنة:

همام عن قتادة عن أنس أن رسول الله (ص) قال:" بينا أنا أسير في الجنة إذا بنهر حافته قباب اللؤلؤ المجوف فقلت: ما هذا يا جبريل قال: هذا الكوثر الذي أعطاك ربك قال فضرب الملك بيده فإذا طينة مسك أذفر" (5).

وفي صحيح مسلم: من حديث المختار بن فلفل عن أنس بن مالك عن النبي (ص) قال:" الكوثر نهر في الجنة وعدنيه ربي عز وجل" (6).

وقال محمد بن عبد الله الأنصاري: حدثنا حميد الطويل عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله (ص) :" دخلت الجنة فإذا بنهر يجري حافتاه خيام اللؤلؤ فضربت يدي إلى ما يجري فيه من الماء فإضا أنا بمسك أذفر فقلت: لم هذا يا جبريل قال: هذا الكوثر الذي أعطاك الله عز وجل" (7).

قال الترمذي: حدثنا هناد حدثنا محمد بن فضيل عن عطاء بن السائب عن محارب ابن دثار عن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله (ص) :" الكوثر نهر في الجنة حافتاه من ذهب ومجراه على الدر والياقوت تربته أطيب من المسك، وماؤه أحلى من العسل، وأبيض من الثلج" (8).

3 ـ جنتان من ذهب وجنتان من فضة:

وقد أخرجا في الصحيحين من حديث أبي موسى الأشعري أن رسول الله (ص) قال:" جنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما، وجنتان من فضة آنيتهما وما فيهما، وما بين القوم وبين أن ينظروا الى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن" (9).

وفيهما أيضا من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله (ص) :" إن أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر، والذين يلونهم على أشد كوكب دري في السماء إضاءة، لا يبولون، ولا يتغوطون، ولا يمتخطون، ولا يتفلون، أمشاطهم الذهب، ورشحهم المسك، ومجامرهم الألوة، وأزواجهم الحور العين، أخلاقهم على خلق رجل واحد، على صورة أبيهم آدم عليه السلام ستون دراعا في السماء" (10).

4 ـ مناديل سعد بن معاذ الذى إهتز عرش الرحمن لموته:

وفي الصحيحين: عن أنس بن مالك قال: أهدى أكيدر دومة الى النبي (ص) جبة من سندس فتعجب الناس من حسنها، فقال:" لمناديل سعد في الجنة أحسن من هذا" (11).

وفي الصحيحين: من حدبق البراء قال: أهدي لرسول الله (ص) ثوب حرير فجعلوا يعجبون من لينه فقال رسول الله:" تعجبون من هذا؟ لمناديل سعد بن معاذ في الجنة أحسن من هذا" (12).

5 ـ خيام أهل الجنة:

قال تعالى:{ حُور مقصُوراتٌ في الخيام} [الرحمن:72].

وفي الصحيحين: من حديث أبي موسى الأشعري عن النبي(ص) قال:" إن للمؤمن في الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدة مُجوفة طولها ستون ميلا، فيها أهلون يطوف عليهم المؤمن فلا يرى بعضهم بعضا" وفي لفظ لهما:" في الجنة خيمة من لؤلؤة مُجوفة عرضها ستون ميلا في كل زاوية منها أهل ما يرون الآخرين يطوف عليهم المؤمن" (13).

6 - الله خلق آدم على صورته طوله ستون ذراع:

قال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرزاق قال حدثنا معمر عن هَمام عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله (ص) :" خلق الله عز وجل آدم على صورته، طوله ستون ذراعا، فلما خلقه، قال له: إذهب فسلم على أولئك النفر، وهم نفر من الملائكة جلوس، فاستمع ما يُحيونك، فأنها تحيتك، وتحية ذريتك، قال: فذهب فقال: السلام عليك، فقالوا: السلام عليكم ورحمة الله، فزادوه ورحمة الله، قال: فكل من يدخل الجنة على صورة آدم طوله ستون ذراعا، فلم يزل ينقص الخلق بعده حتى الآن" (14)، متفق على صحته.

7 - ظل شجر الجنة (قارن مع قيظ شمس الظهيرة في حياة الأعرابي):

وفي الصحيحين: من حديث أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة قال: قال رسول الله (ص) :" إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها فأقرءوا إن شئتم {وَظِلٍ ممدُود}" (15).

وفي الصحيحين إيضا: من حديث أبي حازم عن سهل بن سعد عن رسول الله (ص) :" إن في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها " قال أبو حازم فحدثنا به النعمان بن أبي عياش الزرقي فقال: حدثني أبو سعيد الخدري عن النبي (ص) :" إن في الجنة لشجرة يسير الراكب الجواد المضمر السريع في ظلها مائة عام لا يقطعها" (16).

وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرحمن بن مهدي حدثنا شعبة عن أبي الضحاك سمعت أبا هريرة يقول: قال رسول الله:" إن الجنة شجرة يسير فيها الراكب في ظلها سبعين أو مائة سنة هي شجرة الخلد" (17).

8 - فقراء المهاجرين يأكلون ثور الجنة:

روى مسلم في صحيحه من حديث ثوبان قال: كنت قائما عند رسول الله (ص) فجاء حبر من أحبار اليهود، فقال: السلام عليك يا محمد، فدفعته دفعة كاد يصرع منها، فقال: لم تدفعني، فقلت: ألا تقول يا رسول الله! فقال اليهودي : إنما ندعوه باسمه الذي سماه به أهله، فقال رسول الله (ص) :" إن اسمي محمدا الذي سماني به أهلي"، فقال اليهودي: جئت أسألك، فقال له رسول الله:" أينفعك بشيء أن حدثتك"، فقال: اسمع بأذني فنكث رسول الله بعود معه فقال، سل؟ فقال اليهودي: أين يكون الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض؟ فقال رسول الله:" في الظلمة دون الجسر"، قال: فمن أول الناس إجازة يوم القيامة؟ قال:" فقراء المهاجرين"، قال اليهودي: فما تُحفتهم حين يدخلون الجنة؟ قال:" زيادة كبد النون"، قال: فما غذاؤهم على أثرها؟ قال:" ينحر لهم ثور الجنة الذي كان يأكل من أطرافها"، قال: فما شرابُهم؟ قال:" من عين فيها تسمى سلسبيلا"، قال: صدقت، قال: وجئت أسألك عن شيء لا يعلمه أحد من أهل الأرض إلا نبي أو رجل أو رجلان، قال:" أينفعك إن حدثتك؟"، قال: أسمعك بأذني، قال: جئت أسألك عن الولد؟ قال:" ماء الرجل أبيض، وماء المرأة أصفر، فإذا اجتمعا فعلا منى الرجل منى المرأة أذكر بإذن الله تعالى، وإن علا منى المرأة منى الرجل آنثا بإذن الله تعالى"، قال اليهودي: لقد صدقت، وإنك لنبي، ثم انصرف، فقال رسول الله (ص):" لقد سألني هذا،عن الذي سألني عنه ومالي علم بشيء منه حتى أتاني الله عز وجل به" (18).

9 - سيقان شجر الجنة من الذهب:

وفي جامع الترمذي: من حديث أبي حامد عن أبي هريرة قال: قال رسول الله (ص):" ما في الجنة شجرة إلا وساقها من ذهب" قال: هذا حديث حسن (19).

10 - محد أول من يأخذ بحلقة باب الجنة:

وقد روى سهيل: بن أبي صالح عن زياد النمري عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله (ص) :" أنا أول من يأخذ بحلقة باب الجنة ولا فخر" (20).

11- محمد هو أول من يقرع باب الجنة:

وفي صحيح مسلم: من حديث المختار بن فلفل عن أنس قال: قال رسول الله (ص):" أنا أكثر الناس تبعا يوم القيامة، وأنا أول من يقرع باب الجنة" (21).

12 - محمد هو أول من يفتح له باب الجنة:

وروى مسلم في صحيحه: من حديث سليمان بن المغيرة عن ثابت عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله : " آتي باب الجنة يوم القيامة، فأستفتح فيقول الخازن: من أنت فأقول: مُحمد فيقول: بك، أمرت أن لا أفتح لأحد قبلك" (22).

13- آنية الجنة من الذهب والفضة:

وفي الصحيحين من حديث أبي موسى الأشعري عن رسول الله (ص) أنه قال:" جنتان من ذهب آنيتهما وحليبهما وما فيهما، وجنتان من فضة آنيتهما وحليتهما وما فيهما، وما بين القوم وبين أن ينظروا الى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن" (23).

14 - أمشاط أهل الجنة من الذهب والفضة:

في الصحيحين من حديث همام بن منبه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: رسول الله (ص):" أول زمرة تلج الجنة صورتهم على صورة القمر ليلة البدر، لا يبصق فيها ولا يتغوطون فيها، ولا يتمخطون فيها، آنيتهم وأمشاطهم

الذهب والفضة، ومجامرهم الألوة، ورشحهم المسك، ولكل واحد منهم زوجتان يرى مخ ساقها من وراء اللحم الحسن، لا اختلاف بينهم، ولا تباغض، قلوبهم على قلب رجل واحد، يسبحون الله بكرة وعشيا" (24).

15 - فقراء المهاجرين يسبقون الأغنياء الى الجنة بأربعين خريفا:

وفي صحيح مسلم من حديث عبد الله بن عمرو قال سمعت رسول الله (ص) يقول:" فقراء المهاجرين يسبقون الأغنياء يوم القيامة بأربعين خريفا" (25).

16- أكثر أهل الجنة من المسلمين:

في الصحيحين من حديث عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله (ص) :" أما ترضون أن تكونوا ربع أهل الجنة؟" فكبرنا، ثم قال:" أما ترضون أن تكونوا ثلث أهل الجنة؟" فكبرنا، ثم قال:" إني لأرجو أن تكونوا شطر أهل الجنة، وسأخبركم عن ذلك ما المسلمون في الكفار إلا كشعرة بيضاء في ثور اسود أو كشعرة سوداء في ثور أبيض" (26).

هذا لفظ مسلم، وعند البخاري:" وكشعرة سوداء في ثور أبيض" بغير ألف.

17 - الرجل يرى مخ ساق زوجته من وراء الثياب:

رواه الإمام أحمد حدثنا عفان حدثنا حماد بن سلمة حدثنا يونس عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة عن النبي (ص) :" للرجال من أهل الجنة زوجتان من الحور العين، على كل واحدة سبعون حلة يرى مخ ساقها من وراء الثياب" (27).

18 - النساء يكثرن اللعن ويكفرن العشير:

عن جابر قال: شهدت مع رسول الله (ص) العيد صلى قبل أن يخطب بعد ما صلى فوعظ الناس وذكرهم ثم أتى النساء فوعظهن ومعه بلال فذكرهن وأمرهن بالصدقة، قال: فجعلت المرأة تلقى خاتمها وخرصها والشيء كذلك، فأمر النبي بلالا فجمع ما هناك، ثاب:" إن منكن في الجنة ليسير"، فقالت امرأة: يا رسول الله لم؟ قال:" إنكن تكثرن اللعن، وتكفرن العشير" (28).

19 - أكثر أهل النار من النساء:

عن عمران بن حصين قال: بلغني أن رسول الله (ص) قال:" اطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء واطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء" (29).

وفي صحيح مسلم عن ابن عباس قال: قال رسول الله (ص) :" اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء، واطلعت في الثار فرأيت أكثر أهلها النساء" (30).

وروى الإمام أحمد بإسناد صحيح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله (ص) :" اطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء، واطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء" (31).

وفي الصحيح من حديث ابن عمر عن رسول الله (ص) قال:" يا معشر النساء تصدقن، وأكثرن الإستغفار، فإني رأيتكن أكثر أهل النار؟"، فقالت امرأة منهن: وما لنا يا رسول الله أكثر أهل النار؟ فقال:" تكثرن اللعن، وتكفرن العشير، ما رأيت من ناقصات عقل ودين أغلب لذى لب منكن"، قالت: يا رسول الله وما نقصان العقل والدين؟ قال:" أما نقصان العقل، فشهادة امرأتين تعدل بشهادة رجل، فهذا نفصان العقل، وتمكث الأيام لا تصلي وتفطر فهذا نقصان الدين" (32).

20 - مسلمون يدخلون الجنة بغير حساب:

ثبت في الصحيحين من حديث الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله (ص) يقول:" يدخل الجنة من أمتي زمرة هم سبعون ألفا تضيء وجوههم إضاءة القمر ليلة البدر"، فقام عكاشة بن محصين الأسدي يرفع نمرة عليه، فقال: يا رسول الله: ادع الله أن يجعلني منهم، فقال رسول الله (ص) :" اللهم اجعله منهم"، فقام رجل من الأنصار فقال: يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم، فقال:" سبقك بها عكاشة" (33).

وفي الصحيحين من حديث سهل بن سعد أن رسول الله (ص) قال:" ليدخلن الجنة من أمتي سبعون ألفا بغير حساب أو سبعمائة ألف آخذ بعضهم ببعض حتى يدخل أولهم وآخرهم الجنة، وجوههم على صورة القمر ليلة البدر" (34).

21- المسك تراب الجنة:

وفي الصحيحين من حدث الزهري عن أنس بن مالك قال: كان أبو ذر يُحدث أن رسول الله (ص) قال:" أدخلت الجنة فإذا فيها جنابذ اللؤلؤ، وإذا ترابُها المسك" (35).

وقد روى مسلم في صحيحه من حديث حماد بن سلمة عن الحريري عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله (ص): سأل ابن صياد عن تربة الجنة فقال: درمكة بيضاء مسك خالص، فقال رسول الله (ص):" صدق" (36).

22- المؤمنون لا يرون بعضهم بعضا في الجنة:

وفي الصحيحين من حديث أبي موسى الأشعري عن النبي (ص) قال:" إن للمؤمن في الجنة لخيمة من لؤلؤة واحد مُجوفة طولها ستون ميلا، فيها أهلون يطوف عليهم المؤمن، فلا يرى بعضهم بعضا"(37).

23- بيت خديجة في الجنة:

وفي الصحيحين من حديث عبد الله بن أبي أوفى وأبي هريرة وعائشة أن جبريل قال للنبي (ص) : هذه خديجة أقرئها السلام من ربها، وأمره أن يبشرها ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب (38)، والقصب هنا قصب اللؤلؤ المجوف.

24 - قصر عمر بن الخطاب في الجنة:

وفي الصحيحين من حديث حميد عن أنس أن النبي (ص) قال:" أدخلت الجنة، فإذا أنا بقصر من ذهب، فقلت: لمن هذا القصر، قالوا: لشاب من قريش، فظننت أني أنا هو، فقلت: ومن هو؟ قالوا: لعمر بن الخطاب (39).

25 - المؤمن يؤتى قوة مائة رجل في الجماع:

وقد روى الترمذي في جامعه من حديث قتادة عن أنس عن النبي (ص) قال:" يعطى المؤمن في الجنة قوة كذا وكذا من الجماع"، قيل: يا رسول الله أو يطيق ذلك؟ قال:" يعطي قوة مائة"(40).

26 - دحما دحما:

قال الطبراني: وحدثنا عبدان بن أحمد حدثنا محمد بن عبد الرحيم البرقي حدثنا عمرو بن أبي سلمة حدثنا صدقة عن هاشم بن زيد عن سليم بن أبي يحيى أنه سمع أبا أمامة يُحدث أنه سمع رسول الله (ص) وسئل هل يتناكح أهل الجنة؟ قال:" بذكر لا يمل، وشهوة لا تنقطع دحما دحما" (41).

27 - الحمل والوضع في ساعة واحدة:

قال الترمذي في جامعه: حدثنا بندار حدثنا معاذ بن هشام قال حدثني أبي عن عامر الأحول عن أبي الصديق الناجي عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله (ص) :" المؤمن إذا اشتهى الولد في الجنة كان حمله ووضعه وسنه في ساعة كما يشتهي" (42).

28 - أهل الجنة لا ينامون:

روى ابن مردويه من حديث سفيان الثوري عن مُحمد بن المنكدرعن جابر رضي الله عنه قال: رسول الله (ص):" النوم أخو الموت، وأهل الجنة لا ينامون".

وذكر الطبراني من حديث يحيى بن سعيد الأنصاري عن محمد بن المنكدر عن جابر قال: سئل نبي الله (ص) فقيل: أينام أهل الجنة؟ فقال النبي:" النوم أخو الموت وأهل الجنة لا ينامون"(43).

1 - ذكر ابن وهب عن محمد بن كعب القرظي أنه قال:" والله الذي لا إله إلا هو لو أن امرأة من الحور العين أطلعت سوارها من العرش لأطفأ نور سوارها نور الشمس والعمر."

2 - قال ابن عباس " إن في الجنة حوراء يُقال لها لعبة لو بزقت في البحر لعذب ماء البحر كله مكتوب على نحرها من أحب أن يكون له مثلي فليعمل بطاعة ربي عز وجل."

3 - روي الغزالي في إحياء علوم الدين:" إن أية امرأة من نساء أهل الجنة لو أطلعت على الأرض لأضاءت ما بين الشرق والمغرب، ولملأت ما بينهما وبين الجنة رائحة طيبة، وأن على الواحدة من الحور العين ثوب إذا انفذها بصر، رأى صاحب البصر مخ ساقها من وراء ذلك."

4 - روي أيضا أن نساء الجنة خالدات البكارة، وأن شغل أهل الجنةهو افتضاض الأبكار وأن أدنى أهل الجنة منزلة يتزوج خمسمائة حوراء وأربعة آلاف بكر وثمانية ألف ثيب، يعانق كل واحد منهن مقدار عمره في الدنيا، وأن في الجنة سوقا ما فيها بيع ولا شراء إلا صور من الرجال والنساء فإذا اشتهى الرجل صورة دخل فيها، وما من عبد يدخل الجنة إلا وتحت رجليه اثنتان من الحور العين يغنيانه بأحسن صوت سمعه لأنس والجن وليس بمزمار الشيطان، ولكن بتحميد الله وتقديسه.

5 - روي الترمذي أن رسول الله سئل عن الحور العين من أي شيء خلقن فقال:" من ثلاثة أشياء، أسفلهن من المسك وأوسطهن من العنبر، وأعلاهن من الكافور وشعورهن وحواجبهن سواد خط من النور."

6 - ذكر الدارمي في مسنده عن زيد بن أرقم قال: قال رسول الله:" أن الرجل من أهل الجنة ليعطي قوة مائة رجل في الأكل والشرب والجماع والشهوة."

7 - عن ابن عباس قال: قلنا يا رسول الله أنفضي لنسائنا في الجنة كما نفضي إليهن في الدنيا قال:" أي والذي نفسي في بيده إن الرجل ليفضي في الغداة الواحدة الى مائة عذراء."

8 - عن أبي محمد الدارمي عن أبي أمامة قال رسول الله:" ما من أحد يدخله الله الجنة إلا زوجه اثنتين وسبعين زوجة، اثنتين من الحور العين وسبعين من ميراثه من أهل النار، ما منهن واحدة إلا ولها قبل، قبل شهي، وله ذكر لا ينثني."

9 - وروي من حديث أبي هريرة عن رسول الله هل تمس أهل الجنة أزواجهم فقال نعم " بذكر لا يمل وفرج لا يحفى وشهوة لا تنقطع."

الهــوامش

(1) مسلم (2003).
(2) البخاري (2790، 7423).
(3) الترمذي (2531)
(4) الطبراني في الكبير (213/7).
(5) البخاري (3887).
(6) البخاري (6581).
(7) مسلم (400).
(8) مسند أحمد (103/3، 115، 263).
(9) البخاري (4878)، ومسلم (180).
(10) البخاري (3245)، ومسلم (2834).
(11) البخاري (2616)، ومسلم (2469).
(12) البخاري (3249)، ومسلم (2468).
(13) البخاري (3243)، ومسلم (2838).
(14) البخاري (3226، 6227)، ومسلم (2841).
(15) البخاري (3251، 3253)، ومسلم (2826).
(16) البخاري (6553)، ومسلم (2828).
(17) أحمد في مسنده (455/2).
(18) صحيح مسلم، 315.
(19) الترمذي، 2525.
(20) صحيح الجامع، 1459.
(21) صحيح مسلم، 196
(22) صحيح مسلم، 197.
(23) صحيح البخاري، 3878وصحيح مسلم 180.
(24) صحيح البخاري، 3246 وصحيح مسلم 2834.
(25) صحيح مسلم، 2979.
(26) صحيح البخاري، 6528 وصحيح مسلم، 221.
(27) مسند أحمد 345/2.
(28) صحيح البخاري، 304 وصحيح مسلم 80.
(29) صحيح البخاري، 3241، 5198، 6449.
(30) صحيح مسلم، 2737.
(31) مسند أحمد، 297/2.
(32) صحيح مسلم، 80.
(33) صحيح البخاري، 3247و صحيح مسلم 219.
(34) صحيح البخاري، 5752 - 6541 وصحيح مسلم 220.
(35) صحيح البخاري، 3342 و صحيح مسلم 163.
(36) صحيح مسلم، 2928،
(37) صحيح البخاري، 3243- 4880 و صحيح مسلم 2838.
(38) البخاري،3817،3816،1792، 3819 ومسلم2432، 2433.
(39) البخاري 3242، 3680، 7023 ومسلم 2395.
(40) الترمذي (2536).
(41) أخرجه الطبراني في مسنط الشاميين (956) والكبير(160/8) وانظر المجمع (10/ 416).
(42) صحيح الجامع (6649) للألباني رحمه الله.
(43) صحيح الجامع (6808) للألباني رحمه الله.

58 ـ مكانة المرأة في الإسلام

أتعجب كثيرا عندما أشاهد بعض علماء المسلمين من النساء يتحدثن عن أن الإسلام أنصف المرأة وأكرمها والواقع المؤيد بترسانة من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية يدحض هذا وينسفه من أساسه. إن مجرد قرآءة هذه الآيات والأحاديث يقتلع هذا الإدعاء الزائف من جذوره.

فيما يلي عينة من هذه الآيات والأحاديث:

1- للرجال عليهن درجة:

والمُطلقاتُ يتربصنَ بأنفُسهن ثلاثة قروءٍ ولا يحل لهن أن يكتمن ما خلق الله في أرحامهن إن كن يؤمن بالله واليوم الأخر وبُعُولتُهن أحق بردهن في ذلك إن أرادوا إصلاحا ولهن مثل الذي عليهم بالمعروف وللرجال عليهن درجة والله عزيز حكيم. [سورة البقرة 228:2]

2- شهادة المرأة المسلمة نصف شهادة الرجل مهما كانت مكانتها في المجتمع:

يَا أيها الذين أمنُوا إذا تداينتُم بدين الى أجل مُسمى فاكتبُوهُ وليكتب بينكم كاتب بالعدل ولا يأب كاتب أن يكتب كما علمه اللهُ فيكتب وليملل الذي عليه الحق وليتق الله ربه ولا يبخس منه شيئا فإن كان الذي عليه الحق سفيها أو ضعيفا أو لا يستطيع أن يمل هو فليملل وليهُ بالعدل واستشهدوا شهيدين من رجالكم فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى ولا يأب الشهداء إذا ما دعوا ولا تسأموا أن تكتبوه صغيرا أو كبيرا الى أجله ذلكم أقسط عند الله وأقوم للشهادة وأدنى ألا ترتابوا إلا أن تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم فليس عليكم جناح ألا تكتبوها وأشهدوا إذا تبايعتم ولا يُضار كاتب ولا شهيد وإن تفعلوا فإنه فسوق بكم واتقوا الله ويعلمكم الله والله بكل شيء. [سورة البقرة 282:2]

3- ميراث المرأة المسلمة نصف ميراث الرجل:

يوصيكمُ اللهُ في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثتين فإن كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك وإن كانت واحدة فلها النصف ولأبويه لكل واحد منهما السدس مما ترط إن كان له ولد فإن لم يكن له ولد وورثه أبواه فلأمه الثلث فإن كان له إخوة فلأمه السدس من بعد وصيه يوصي بها أو دين أباؤكم وأبناؤكم لا تدرون أيهم أقرب لم نفعا فريضة من الله إن الله كان عليما حكيما. [سورة النساء 11:4]

4- ضرب النساء المسلمات وهجرهن في المضاجع:

الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما انفقوا من أموالهم فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن فإن أطعنكم فلا تبغُوا عليهن سبيلا إن الله كان عليّا كبيرا. [سورة النساء 34:4]

5- حبس المرأة المسلمة حتى الموت:

واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم فإن شهدوا فأمسكوهن في البيوت حتى يتوفاهن الموت أو يجعل الله لهن سبيلا. [سورة النساء 15:4]

6- المرأة المسلمة تشارك ثلاثة نساء مع زوجها أو عدد لا نهائي من ملكات اليمين:

وإن خفتم ألا تُقسطوا في اليتامى فإنكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فإن خِفتُم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ذلك أدنى ألا تعولوا. [سورة النساء 3:4]

الحديث رقم (2225) من صحيح مسلم: عن مالك بن أنس عن ابن عمر أن رسول الله (ص) قال:

" الشؤم في الدار والمرأة والفرس".

الحديث رقم (6546) من صحيح البخاري: عن عمران بن الحصين عن النبي (ص) قال:

" اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء، واطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء."

الحديث رقم (1403) من صحيح مسلم: عن جابر أن رسول الله (ص) رأى امرأة فأتى امرأته زينب وهي تمعس منيئة لها فقضى حاجته ثم خرج الى أصحابه فقال:

" إن المرأة تقبل في صورة شيطان، وتدبر في صورة شيطان، فإذا أبصر أحدكم امرأة فإن ذلك يرُدُ ما في نفسه".

الحديث رقم (5119) من صحيح البخاري: عن سلمة بن الأكوع عن أبيه عن رسول الله (ص) قال:
" إيما رجل وامرأة توافقا فعشرة ما بينهما ثلاث ليال، فإن أحبا أن يتزايدا أو يتتاركا تتاركا".

الحديث رقم (1453) مسلسل (26) من صحيح مسلم: أيضا عن عائشة:
جاءت سهلة بنت سهيل الى النبي (ص) فقالت: يا رسول الله إني أرى في وجه أبي حذيفة من دخول سالم (وهو حَليفةُ) فقال النبي:" أرضعيه" قالت وكيف أرضعه وهو رجل كبير، فتبسم رسول الله وقال:" قد علمت أنه رجل كبير"، زاد عمر في حديثه، وكان قد شهد بدرا وفي رواية ابن أبي عمر (فضحك رسول الله).

الحديث رقم (5132) من صحيح البخاري: عن سهل بن سعد قال:

" كنا عند النبي جلوسا فجاءته امرأة تعرض نفسها عليه فخفض فيها النظر ورفعه فلم يُردها. فقال رجل من أصحابه: زوّجنيها يا رسول الله. قال: أعندك شيء؟ قال: ما عندي من شيء. قال: ولا خاتما من حديد؟ قال: ولا خاتما، ولكن أشق بردي هذه فأعطيها النصف وآخذ النصف. قال: لا. هل معك من القرآن شيء. قال: نعم. قال: اذهب فقد ملكتها لك بما معك من القرآن.

وفي البخاري ومسلم عن نقص النساء في العقل والدين .. وهو حديث رواه الصحابى الجليل أبو سعيد الخدري رضي الله عنه فقال: " خرج رسول الله (ص) في أضحى أو فطر ـ الى المصلى فمر على النساء فقال: يا معشر النساء ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من أحداكن". قلن: وما نقصان ديننا وعقلنا يا رسول الله؟ قال:" أليس شهادة المرأة مثل نصف شهادة الرجل "؟ قلن: بلى. قال: " فذلك من نقصان عقلها. أليس إذا حاضت لم تصل ولم تصم"؟ قلن: بلى. قال:" فذلك من نقصان دينها"

هذه مجرد أمثله لبعض الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تثبت بما لا يدع مجالا لأي شك تدنى مكانة المرآة في القرآن والسنة.

أمثلة قرآنية أخرى لتدني وضع المرأة في الإسلام:

ـ تشبيه المرأة بالنجاسة التي تذهب وضوء الرجل وذلك بذكرها بعد الغائط.
((أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستمُ النساء)) [سورة المائدة: 6]

ـ النظر للمرأة على انها سلعة قابلة للإستبدال.
وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج. [سورة النساء:20]

ـ على المرأة التي يطلقها زوجها أن تلتزم البيت في حين يتمتع هو بحريته.
((يأيها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن واحصوا العدة واتقوا الله ربكم لا تخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن إلا أن يأتين بفاحشة مبينة وتلك حدود الله ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه)) [سورة الطلاق: 65]

ـ استنكف الله أن يكون له الأنثى بدلا من الذكر واعتبرها قسمة ضيزي (أي ناقصة جائرة: معجم لسان العرب).
((الكمُ الذكر ولهُ الأنثى تلك إذا قسمه ضيزي)) [سورة النجم: 22]

ـ ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون. [سورة النحل: 57]
((أم له البنات ولكم البنون.)) [سورة الطور: 39]

ـ للرجل في الآخرة حور عين ولا شيء للمرأة.
((وَحُور عين كأمثال اللؤلؤ المَكنون)) [سورة الواقعة: 22]

ـ للرجل الإحتفاظ بأي عدد من النساء يسمون ملك اليمين له أن يفعل بهم ما يشاء دون سؤال وبأدنى الحقوق المدنية.
((وإن خُفتم ألا تقسطوا في اليتامى فإنكحُوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورُباع فإن خِفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ذلك أدنى ألا تعُولوا)) [سورة النساء 3]

- للرجل اغتصاب نساء أعداءه وإن كن محصنات (أي متزوجات) وله أن يجعلهم رقيقا عنده يبيع ويشتري بهم كما يشاء.

((يا أيُها النبي إنا أحللنا لك أزواجك اللاتي أتيت أجُورهُن وما ملكت يمينك مما أفاء اللهُ عليك))
[سورة الأحزاب: 50]

ـ للرجل القوامة على المرأة وأن كان تكبره سننا وتفوقه رجاحة بالعقل والحكمة (والقوامة بإختصار: أن الرجل كالحاكم على المرأة مؤدب لها إذا عوجت وأخطأت وضلت الطريق وأن يتولى أمرها ويصلح حالها ويأمرها)
((الرجالُ قوامُون على النساء بما فضل اللهُ بعضهمُ على بعض وبما أتفقوا من أموالِهم فالصالحاتُ قانتات حافظات للغيب بما حفظ اللهُ)) [سورة النساء: 34]

59 ـ فرضية الحجاب

يعتقد البعض أن الحجاب فرض عين يوجب على المرأة المسلمة أن ترتديه والواقع أنه " فرض الفقهاء" الغرض منه مسخ المرأة وإمتهانها وتجريدها من إنسانيتها وتصويرها على أنها سبب لفتنة الرجال بكشفها عن شعرها. وللمستشار محمد سعيد العشماوي دارسة مستفيضة في هذا الموضوع تضمنها كتابه " فرضية الحجاب وحجية الحديث " والتي نوجزها فيما يلي:

ما هي حقيقة الحجاب؟ وما المقصود به؟ وما الأساس الديني الذي يستند إليه من يدعي أنه فريضة إسلامية؟

ولماذا يرى البعض أنه ليس فرضا دينيا، وإنما مجرد شعار سياسي؟

بيان ذلك يقتضي تتبع الآيات القرآنية التي يستند إليها أنصار " الحجاب" لإستجلاء حقيقتها، واستقصاء الغرض منها، ثم بيان الحديث النبوي في ذلك وتتبع مفهومه ونطاقه، ثم عرض أسلوب الإسلام في تنفيذ أحكامه.

أولا: آية الحجاب:

الحجاب لغة هو الساتر، وحجب الشيء أي ستره، وامرأة محجوبة أي امرأة قد سترت بستر (لسان العرب، المعجم الوسيط: مادة حجب).

والآية القرآنية التي وردت عن حجاب النساء تتعلق بزوجات النبي وحدهن، وتعني وضع ساتر بينهن وبين المؤمنين.

" يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم الى طعام غير ناظرين إناه ولكن إذا دعيتم فادخلوا فإذا طعمتم فإنتشروا ولا مستأنسين لحديث إن ذلك كان يؤذي النبي فيستحي منكم والله لا يستحي من الحق وإذا سألتموهن (أي نساء النبي) متاعا فإسألوهن من وراء حجاب ذلك أطهر لقلوبكم وقلوبهن وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا إن ذلكم كان عند الله عظيما" [سورة الأحزاب 33-53]

وهذه الآية تتضمن ثلاثة أحكام:

الأول: عن تصرف المؤمنين عندما يدعون الى الطعام عند النبي.

الثاني: عن وضع الحجاب بين زوجات النبي (ص) والمؤمنين.

الثالث: عن عدم زواج المؤمنين بزوجات النبي (ص) بعد وفاته.

وقيل في أسباب نزول الحكم الأول من الآية (تصرف المؤمنين عندما يدعون الى الطعام عند النبي) إنه لما تزوج زينب بنت جحش "امرأة زيد" أولم عليها. فدعا الناس، فلما طعموا جلس طوائف منهم يتحدثون في بيت النبي (ص) وزوجه "زينب" مولية وجهها الى الحائط، فثقلوا على النبي (ص) ومن ثم نزلت الآية تنصح المؤمنين ألا يدخلوا بيت التبي إذا ما دعوا الى طعام إلا بعد أن ينضج هذا الطعام، فإذا أكلوا فلينصرفوا دون أن يجلسوا طويلا يتحدثون ويتسامرون. " تفسير القرطبى ـ طبعة دار الشعب ـ ص 5306"

وقيل في أسباب نزول الحكم الثاني من الآية (والخاص بوضع حجاب بين زوجات النبي والمؤمنين) إن عمر بن الخطاب قال للنبي (ص)، يا رسول الله، إن نساءك يدخل عليهن البر والفاجر، فلو أمرتهن أن يحتجبن. فنزلت الآية. وقيل إنه إثر ما حدث عند زواج النبي بزينب بنت جحش نزلت الآية بأحكامها (الثلاثة) تبين للمؤمنين التصرف الصحيح عندما يدعون الى طعام في بيت النبي (ص) وتضع الحجاب بين زوجات النبي والمؤمنين، وتنهى عن الزواج بزوجاته بعد وفاته (المرجع السابق). ولا شيء يمنع من قيام السببين معا.

فالقصد من الآية أن يوضع ستر بين زوجات النبي (ص) وبين المؤمنين، بحيث إذا أراد أحد من هؤلاء أن يتحدث مع واحدة من أولئك ـ أو يطلب منها طلبا ـ أن يفعل ذلك وبينهما ساتر، فلا يرى أي منهما الآخر، لا وجهه ولا جسده ولا أي شيء منه.

هذا الحجاب (بمعنى الساتر) خاص بزوجات النبي وحدهن، فلا يمتد الى ما ملكت يمينه (من الجواري) ولا الى بناته، ولا الى باقي المؤمنات، وفي ذلك يروى عن أنس بن مالك أن النبي (ص) أقام بين خيبر والمدينة ثلاثا (من الأيام) يبني عليه (أي يتزوج) بصفية بنت حيي، فقال المؤمنون إن حجبها فهي من أمهات المؤمنين (أي من زوجاته) وإن لم يحجبها فهي مما ملكت يمينه (أي وضع ستر) بينها وبين الناس. (بذلك فهم المؤمنون أنها زوج له وأنها من أمهات المؤمنين وليست مجرد جارية)، (أخرجه البخاري ومسلم).

ثانيا: آية الخمار:

أما آية الخمار فهي:" وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن" (سورة النور: 24-31).

وسبب نزول هذه الآية أن النساء كن في زمان النبي (ص) يغطين رؤوسهن بالأخمرة (وهي المقانع) ويسدلنها من وراء الظهر، فيبقى النحر (أعلى الصدر) والعنق لا ستر لهما، فأمرت الآية بلى (أي إسدال) المؤمنات للخمار

على الجيوب، فتضرب الواحدة منهن بخمارها على جيبها (أعلى الجلباب) لستر صدرها " المرجع السابق ص 4622".

فعلة الحكم في هذه الآية هي تعديل عرف كان قائما وقت نزولها، حيث كانت النساء يضعن أخمرة (أغطية) على رؤوسهن ثم يسدلن الخمار وراء ظهورهن فيبرز الصدر بذلك، ومن ثم قصدت الآية تغطية الصدر بدلا من كشفه، دون أن تقصد الى وضع زي بعينه.

وقد تكون علة الحكم في هذه الآية (على الراجح) هي إحداث تمييز بين المؤمنات من النساء وغير المؤمنات (اللاتي كن يكشفن عن صدورهن)، والأمر في ذلك شبيه بالحديث النبوي الموجه للرجال (احفوا الشوارب وأطلقوا اللحي) وهو حديث يكاد يجمع كثير من الفقهاء على أن القصد منه قصد وقتي، هو التمييز بين المؤمنين وغير المؤمنين (الذين كانوا يفعلون العكس فيطلقون الشوارب ويحفون اللحي).

فالواضح من السياق ـ في الآية السالفة والحديث السابق ـ أن القصد الحقيقي منهما هو وضع فارق أو علامة واضحة بين المؤمنين والمؤمنات وغير المؤمنين وغير المؤمنات. ومعنى ذلك أن الحكم في كل أمر حكم وقتي يتعلق بالعصر الذي أريد فيه وضع التمييز وليس حكما مؤبدا (وسيلى بيان أوفى في ذلك).

ثالثا: آية الجلابيب:

أما آية الجلابيب فنصها كالآتي:

" يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المزمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين" (سورة الأحزاب 33ـ59) وسبب نزول هذه الآية أن عادة العربيات (وقت التنزيل) كانت التبذل، فكن يكشفن وجوههن كما يفعل الإماء (الجواري). وإذا كن يتبرزن في الصحراء قبل أن تتخذ الكنف (دورات المياه) في البيوت، فقد كان بعض الفجار من الرجال يتعرضون للمؤمنات على مظنة أنهن من الجواري أو من غير العفيفات، وقد شكون ذلك للنبي ومن ثم نزلت الآية لتضع فارقا وتمييزا بين " الحرائر" من المؤمنات وبين الإماء (الجواري) وغير العفيفات هو إدناء المؤمنات لجلابيبهن، حتى يعرفت فلا يؤذين بالقول من فاجر يتتبع النساء دون أن يستطيع التمييز بين الحرة والجارية أو غير العفيفة (المرجع السابق ص 5325، 5326).

وقد قيل إن الجلباب هو الرداء، وقيل إنه ثوب أكبر من الخمار، وقيل إنه القناع، ولكن الصحيح أنه الثوب الذي يستر جميع البدن (المرجع السابق).

فعلة الحكم في هذه الآية أو القصد من إدناء الجلابيب أن تعرف الحرائر من الإماء (الجواري) ومن غير العفيفات، حتى لا يختلط الأمر بينهن ويعرفن، فلا تتعرض الحرائر للإيذاء وتنقطع الأطماع عنهن. والدليل على ذلك أن عمر بن الخطاب كان إذا رأى أمة (جارية) قد تقنعت أو أدنت جلبابها عليها، ضربها بالدرة محافظة على زي الحرائر (ابن تيمية ـ حجاب المرأة ولباسها في الصلاة ـ تحقيق محمد ناصر الدين الألباني ـ المكتب الإسلامي ـ ص37).

وقد اختلف الفقهاء في معنى إدناء الجلابيب على تفصيل لا محل له، والأرجح أن المقصود به ألا يظهر جسد المرأة.

وإذا كانت القاعدة في علم أصول الفقه أن الحكم يدور مع العلة وجودا وعدما. فإن وجد الحكم وجدت العلة، وإذا انتفت العلة انتفى (أي رفع) الحكم، إذ كانت القاعدة كذلك، فإن علة الحكم المذكور في الآية ـ وهي التمييز بين الحرائر والإماء ـ قد انتقلت لعدم وجود إماء "جواري" في العصر الحالي، وانتفاء ضرورة قيام تمييز بينهما، ولعدم خروج المؤمنات الى الخلاء للتبرز وإيذاء الرجال لهن، ونتيجة لإنتفاء علة الحكم فإن الحكم نفسه ينتفي (أي يرتفع) فلا يكون واجب التطبيق شرعا.

حديث النبي (ص): واضح مما سلف أن الآيات المشار إليها لا تفيد وجود حكم قطعي بإرتداء المؤمنات زيا معينا على الإطلاق وفي كل العصور، ولو أن آية من الآيات الثلاث الآنف ذكرها تفيد هذا المعنى ـ عل سبيل القطع واليقين ـ لما كانت هناك ضرورة للنص على الحكم نفسه مرة أخرى في آية أخرى، فتعدد الآيات يفيد أن لكل منها قصدا خاصا وغرضا معينا يختلف عن غيره، لأن المشرع العادي منزه عن التكرار واللغو فما البال بالشارع الأعظم؟!.

ومن أجل ذلك، فقد روى حديثان عن النبي (ص) يستند إليهما في فرض غطاء الرأس (الذي يسمى خطأ بالحجاب) فقد روى عن عائشة عن النبي (ص) أنه قال:" لا يحل لإمرأة تؤمن بالله واليوم الآخر إذا عركت (بلغت) أن تظهر إلا وجهها ويديها الى هاهنا" وقبض على نصف الذراع. وروى عن أبي داود عن عائشة أن أسماء بنت أبي بكر دخلت على رسول الله (ص) فقال لها:" يا أسماء إن المرأة إذا بلغت المحيض لم يصلح أن يرى فيها إلا هذا، وأشار الى وجهه وكفيه".

ويلاحظ على هذين الحديثين أنهما من الآحاد أحاديث الآحاد لا الأحاديث المجمع عليها، أي المتواترة أو الأحاديث المشهورة، وفي التقدير الصحيح أن أحاديث للإسترشاد والإستئناس، لكنها لا تنشيء ولا تلغي حكما شرعيا، ومن جانب آخر، فإنه رغم رواية الحديثين عن واحدة ـ هي عائشة زوج النبي (ص) ـ فإنه قد وقع تناقض بينهما، ففي الحديث الأول قيل إن النبي (ص) قبض على نصف ذراعه عندما قال الحديث، بما يفيد أن الجائز للمؤمنة البالغة أن تظهر وجهها ونصف ذراعها (بما في ذلك الكفين) بينما قصر الحديث الثاني الإجازة على الوجه والكفين وحدهما " دون نصف الذراع"، ومن جانب ثالث، فقد ورد الحديث الأول بصيغة الحلال والحرام، بينما جاء الحديث الثاني

بصيغة الصلاح" لا يصلح للمرأة إلا كذا"، وفارق ما بين الإثنين كبير، ذلك أن الحلال والحرام يدخل في نطاق الحكم الشرعي، في حين أن "الصلاح" يتعلق بالأفضل والأصلح في ظروف إجتماعية معينة.

ومع هذا الإختلاف البين بين الحديثين، فإنهما يثيران مسألة وقتية الأحكام، أي تأقيت الحكم في حديث شريف معين، بوقت بذاته وعصر محدد، ذلك أن بعض الفقهاء يرى أنه فيما صدر عن النبي حتى من تشريعات ـ ما يفيد أنه تشريع زمني روعيت فيه ظروف العصر. فقد يأمر النبي (ص) بالشيء أو ينهي عنه في حالة خاصة لسبب خاص، فيفهم الصحابة (أو الناس) أنه حكم مؤبد بينما هو في الحقيقة حكم وقتي.

وقد كان لعدم الفصل بين النوعين من الأحكام" المؤبد والوقتي أثر كبير في الخلاف بين الفقهاء. فقد يرى بعضهم حكما للرسول يظن أنه شرع عام أبدي لا يتغير بينما يراه الآخر صادرا عنه لعلة وقتية، وأنه حكم جاء لمصلحة خاصة قد تتغير على مر الأيام (عبد الوهاب خلاف ـ مصادر التشريع مرنة ـ مجلة القانون والإقتصاد ـ عدد أبريل ـ مايو سنة 1944 ص 359، محمد مصطفى شلبي، تعليل الأحكام، طبعة سنة 1949، ص28).

وأخذا بهذا النظر، فإن ما جاء في الحديثين المنوه عنهما، وخاصة ذلك الحديث الذي ورد بلفظ "الصلاح" أقرب الى أن يكون حكما وقتيا يتعلق بظروف العصر وليس حكما مؤبدا بحال من الأحوال، يؤيد هذا النظر ما أنف شرحه من أن آية الخمار قد قصدت تعديل عرف جار والتمييز ـ غالبا ـ بين المؤمنات وغير المؤمنات، كما أن آية الجلابيب قد قصدت التمييز بين الحرائر والإماء (الجواري) أو بينهن (أي الحرائر العفيفات) وبين غير العفيفات.

<u>أسلوب القرآن في تنفيذ الأحكام</u>: ومهما يكن الرأي، فإن أسلوب القرآن ونهج الإسلام هو عدم الإكراه على تنفيذ أي حكم من أحكامه، حتى أحكام الحدود (العقوبات)، وإنما يكون التنفيذ دائما بالقدوة الحسنة والنصيحة اللطيفة والتواصي المحمود.

ففي القرآن:" لا إكراه في الدين" [سورة البقرة:2-256]. وإذا كان الأصل أن لا إكراه في الدين ذاته، فلا إكراه ـ من باب أولى ـ في تطبيق أي حكم من أحكامه أو تنفيذ أي فريضة من فرائضه، إنما تكون نتيجة عدم التطبيق وعدم التنفيذ إثما دينيا، وهو أمر يتصل بالعلاقة بين الإنسان وربه، وحتى في الحدود (العقوبات) فإن القاعدة فيها أن لا حد على تائب، ومعنى ذلك أن الحد لا يقام على من يعلن التوبة وإنما يقام على من يرفض ذلك ويصر على توقيع العقوبات عليه. وفي تصرف النبي (ص) إثر رجم أحد الزناة ما يفيد أنه إذا أراد الجاني أن يفر من تطبيق العقوبة فعلى الجماعة (المجتمع) أن تمكنه من ذلك، أن الحدود لا تقام إلا بإرادة الجاني، وبقصد تطهيره إن رغب هو في التطهر.

فإذا كان ذلك هو الأساس في الإسلام، والقاعدة في القرآن، فإنه لا يجوز إكراه أي إمراة أو فتاة على إرتداء زي معين، سواء كان الإكراه ماديا بإستعمال العنف أم كان معنويا بالتهديد بالعنف أو الإتهام بالكفر، ويكون المكره في هذه الحالة آثما لإتباعه غير سبيل الإسلام، وانتهاجه غير نهج القرآن.

وقد كان من نتيجة الإكراه، والتلويح بالإكراه، على تغطية النساء رؤوسهن بغطاء يسمى خطأ بالحجاب (مع أن الحجاب شيء آخر كما سلف البيان) كان من نتيجة ذلك أن وضعت بعضهن هذا الغطاء رياء، وأحيانا أخرى مع وضع الأصباغ والمساحيق على الوجه بصورة تتنافى مع معنى الحجاب، وقد يحدث مع ارتداء ما يسمى بالحجاب أن تقف به سيدة أو فتاة في المراقص العامة أو النوادي الليلية وهي تخاصر رجلا أو فتى تراقصه على الملأ، أو قد تسير أو تجلس معه في طريق مظلم أو مكان موحش دون وجود المحرم.

إن الحجاب الحقيقي هو منع النفس عن الشهوات وحجب الذات عن الأثام، دون أن يرتبط ذلك بزي معين أو بلباس خاص، غير أن الإحتشام وعدم التبرج في الملبس والمظهر أمر مطلوب يقره كل عاقل وتتمسك به أي عفيفة.

الخلاصة:

يخلص من كل ذلك:

- الحجاب يعني وضع ساتر معين، وهو في القرآن يتعلق بوضع ستر بين زوجات النبي ـ وحدهن ـ وبين المؤمنين، بحيث لا يرى المؤمن من يتحدث إليها من أمهات المؤمنين ولا هي تراه.
- الخمار كان وقت التنزيل عرفا تضع النساء بمقتضاه مقانع (أغطية) على رؤوسهن ويرسلنها وراء ظهورهن فتبدو صدورهن عارية، ومن ثم فقد نزل القرآن بتعديل هذا العرف بحيث تضرب المؤمنات بالخمار على جيوبهن ليخفين صدورهن العارية ويتميزن بذلك عن غير المؤمنات.
- إدناء الجلابيب كان أمرا بقصد التمييز بين النساء المؤمنات الحرائر وبين الإماء (الجواري) منهن أو بين العفيفات وغير العفيفات، وإذا انتفت علة هذا التمييز لعدم وجود إماء (جواري) في الوقت الحاضر فإنه لم يعد ثم محل لتطبيق الحكم.
- حديث النبي (ص) عن الحجاب بالمفهوم الدارج حالا هو من أحاديث الآحاد التي يسترشد ويستأنس بها، وهو أدنى الى أن يكون أمرا وقتيا يتعلق بظروف العصر لتمييز المؤمنات عن غيرهن، أما الحكم الدائم فهو الإحتشام وعدم التبرج.

الحجاب دعوى سياسية:

الحجاب ـ بالمفهوم الدارج حالا ـ شعار سياسي وليس فرضا دينيا ورد على سبيل الجزم والقطع واليقين والدوام، في القرآن الكريم أو في السنة النبوية. لقد فرضته جماعات الإسلام السياسي ـ أصلا ـ لتميز بعض السيدات

والفتيات المنضويات تحت لوائهم عن غيرهن من المسلمات وغير المسلمات، ثم تمسكت هذه الجماعات به كشعار لها، وأفرغت عليه صبغة دينية، كما تفعل بالنسبة للبس الرجال للجلباب أو الزي الهندي "الباكستاني"، زعما بأنه زي إسلامي، وهذه الجماعات ـ في واقع الأمر ـ تتمسك بالظواهر دون أن تتعلق بالجواهر، وتهتم بالتوافه من المسائل والهوامش من الأمور، ولا تنفذ الى لب الحقائق وصميم الخلق وأصل الضمير، وقد سعت هذه الجماعات الى فرض ما يسمى بالحجاب ـ بالإكراه والإعنات ـ على نساء وفتيات المجتمع كشارة يظهرون بها انتشار نفوذهم وامتداد نشاطهم وازدياد أتباعهم، دون الإهتمام بأن يعبر المظهر عن الجوهر، وأن تكون هذه الشارة معنى حقيقيا للعفة والإحتشام وعدم التبرج.

وقد ساعدهم على انتشار ما يسمى بالحجاب بعض عوامل منها عامل اقتصادي هو ارتفاع أسعار تجميل الشعر وتصفيفه، وازديادها عن مستوى قدرة أغلب الناس. والدليل على أن للعامل الإقتصادي أثرا في انتشار ما يسمى بالحجاب، أن هذا العامل ذاته هو الذي يدفع كثيرا من النساء والفتيات الى العمل ـ في الغالب ـ للحصول على موارد مالية أو لزيادة إيراد الأسرة مع أن جماعات الإسلام السياسي تدعي أن عمل المرأة حرام. فالعامل الإقتصادي ـ في غالب الأحيان ـ هو الذي دفع كثيرا من النساء والفتيات الى وضع غطاء للرأس، وإن كان مزركشا وخليعا، كأنما الشعر وحده هو العورة لا بد أن تستر ثم تكون بعد ذلك غطاء لأي تجاوز أو فجور.

60 ـ ضرب الزوجات

في سنة 2004 إجتاحت إسبانيا حالة من الغليان والغضب بسبب أحد الكتب الدينية التي أصدرها إمام مسجد مدينة فيونجريولا الإسبانية، وقد تطرق الشيخ محمد كمال مصطفى في كتابه الذي يحمل عنوان " المرأة في الإسلام" الى مسألة ضرب الزوج لزوجته حسب الشريعة. أصدر أحد القضاة في برشلونة حكما بتغريم الشيخ محمد كمال مصطفى مبلغ ألفين ومائة وستين يورو وسجنة لمدة سنة مع وقف تنفيذ الحكم في السابقة الأولى، بشرط ألا تزيد مدة العقوبة الصادرة ضد المتهم على سنتين. الجزء الذي آثار المشكلة حول كتاب " المرأة في الإسلام" هو الجزء الذي يقول فيه الشيخ محمد أن تأديب الزوجة العاصية لزوجها يكون بضربها بعصا خفيفة على الأيدي والقدمين. بحيث لا يخلف هذا الضرب ندبا أو جروحا ظاهرة على جسمها، وأوضح الشيخ محمد أن هذا الضرب لا يجب أن يتم في وقت يكون فيه الزوج عصبيا، بل يجب أن يكون هادئا وواعيا لما يفعله، وذكر مصطفى في كتابه أن الغرض من ذلك هو شعور الزوجة بنوع من المعاناة النفسية دون إهانتها أو إيذائها جسديا. ويؤكد كتاب " المرأة في الإسلام" أن ضرب الزوجة يجب أن يكون آخر ما يلجأ إليه الزوج في معاقبة زوجته. فالقرآن الكريم جعل الضرب ثالث خطوة يلجأ إليها الزوج. أما الخطوة الأولى حسب النص القرآني فهي الحوار الهاديء بدون إنفعال، والخطوة الثانية هي هجر الزوجة، ويأتي الضرب في آخر القائمة إذا فشلت الطريقتان السابقتان.

ومن جانبه رأى القاضي أن ما كتبه الشيخ محمد كمال مصطفى يعتبر تحريضا على العنف ضد المرأة، كما أوضح القاضي أن المجتمع الحالي يختلف تماما عما كان عليه منذ أربعة عشر قرنا مشيرا الى أن الفقرات التي تحدث فيها الشيخ عن ضرب الزوجات تعد خرقا لقانون العقوبات وانتهاكا للحقوق الدستورية للمرأة، بينما أوضح المحامي الذي يدافع عن الشيخ محمد أن ما كتبه موكله لا يعبر عن رأيه الشخصي، بل هو إعادة صياغة لكتابات إسلامية في القرن الثالث عشر والقرن التاسع عشر.

إنبرى الدكتور أحمد شوقي الفنجري الى الدفاع عن الإسلام في موضوع ضرب الزوجات فيقول مُعلقا على الآية 34 من سورة النساء " واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع وأضربوهن فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا إن الله كان عليا كبيرا".

الحل الأول: في قوله تعالى" فعظوهن" والموعظة تكون بالتذكير بكلام الله ورسوله وبالحكمة والرأي.

الحل الثاني: في قوله تعالى " واهجروهن في المضاجع" فإذا لم يجد هذان الحلان يكون الحل الأخير هو الضرب كأمل في إنقاذ الزواج بدل اللجوء الى الطلاق.. وقد لاحظ الكثير من علماء النفس ومن المتخصصين في التربية النفسية أن بعض النساء إذا كانت طائشة ومتهورة وخاصة إذا كانت صغيرة السن وقليلة الشعور بالمسئولية فإن الضرب الخفيف قد يعيدها الى الصواب والرشد ويجعلها تفيق الى أخطائها. وهده حقيقة تحدث ولا يمكن إنكارها والشواهد عليها كثيرة. وقد شاهدت فيلما أمريكيا من أفلام " حدث بالفعل" وفيه جدة وجد من كبار السن يقصان على أحفادهما قصة حياتهما ففاجأتهم الجدة بأن أهم يوم في حياتها الطويلة هو يوم ضربها زوجها لأنها كانت صغيرة وطائشة وكانت تقابل بعض أصدقائها الشباب الذين يتعاطون المخدرات والمسكرات. ويوم أن اضطر الى ضربها كان ذلك إيذانا بإنقاذ الزواج لأنها تغيرت بالفعل وعادت الى رشدها. وقد نص فقهاء الشريعة على شروط هذا الضرب في حالى النشوز وأكدوا أن يكون غير مبرح ولا يؤذي ولا يؤدي الى ضرر بالجسم أو يترك علامة. واقترح بعض الفقهاء أن يكون الضرب بالسواك أو ما يماثله لأن القصد ليس التعذيب بقدر ما هو تعبير عن السخط والتأنيب.

كان هذا رأي الدكتور أحمد شوقي الفنجري وهو إعتراف صريح بضرب الزوجات كحل أخير كما هو واضح من نص الآية. ولكن هناك من يتطرف في محاولة مستميته لتجميل صورة الإسلام بشكل لا يخلوا من التدليس مثل الدكتور منصور الرفاعي وكيل وزارة الأوقاف السابق فيقول لا : إن الضرب دليلا على أن الضارب فقد رجولته وبدأ ينتحل المعاذير فأخذ من الآية القرآنية دليلا على إباحة الضرب، لكن الحقيقة أن الأسلام نهى عن ضرب المرأة، وجاءت الأحاديث الصحيحة بأن الرجل لا يضرب زوجته تحت أي ظرف من الظروف. يضيف الشيخ منصور: إن حقيقة الآية أنها نبهت الرجل الى أن المرأة إذا التوى بها الأمر ولم يعجبه بعض تصرفاتها فعليه أن يوجهها برفق وأسلوب حسن كل ما فيه كلام هين لين يوصي بالترابط والمحبة، فإن لم تستجب لهذا الكلام رغم أنها سارت في الطريق الذي نها عنه تكون كارهة وتسرح.

أما مفهوم الضرب الذي جاء في الآية فالمقصود منه أن يربت الى جسدها برفق مُعلنا أنه غاضب منها لأنها لم تسمع كلامه، وهنا تكون العلاقة قائمة على خير ما يرام. أن الضرب الذي ذكر في القرآن إنما شرع لتقويم المرأة الفاسدة، ولا يعني لفظ الضرب في الآية الكريمة حقيقة الضرب الموجع المؤلم، وإنما يكون بمثابة طبطبة على الكتف شرط أن يبتعد عن الوجه، ولا يأتي ذلك إلا في مرحلة متأخرة جدا بعد إتخاذ الوسائل الممكنة للعلاج الأول وهو التفاهم والتوجيه بالود والإحترام. وكان الرسول إذا أراد أن يتخذ موقفا من إحدى نسائه يشير إليها بالسواك الذي في يديه قائلا:" لولا خوفي من الله لأوجعتك بهذا ضربا". ومن المعروف أن السواك قطعة خشبية صغيرة خفيفة ولا يمكن أن توجع حتى طفلا رضيعا مما يدل على أن توجيه الرسول في كلمته " لولا خوفي من الله" دليل على أن الإسلام يحترم مشاعر المرأة ونهى عن إيذائها حتى بأبسط الأشياء كالسواك.

61 - الزواج السياحي

الزواج عهد بين الإنسان والله أن يأخذ شريك حياته زوجا في الفقر والغنى في الصحة والمرض الى أن يفرقهما الموت. هذا العهد يأخذه الإنسان على نفسه أمام الطرف الآخر وأمام شهود. أما الزواج في الإسلام فهو عقد بين اثنين أمام شهود وفي مقابل مهر. وفي هذا يقول رسول الإسلام " أعطوهن مهورهن اللاتي استحللتن بها فروجهن". أكثر من هذا يقول القرآن في الآية 24 من سورة النساء:" فما استمتعتم به منهن فأتوهن أجورهن فريضة ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة ... إن الله كان عليما حكيما". وفي عقد الزواج تقول الزوجة " زوجتك نفسي على سنة الله ورسوله وعلى مذهب الإمام أب حنيفة النعماني على الصدقة المسمى بيننا.

يروج البعض كثيرا لقول القرآن عن الزواج أنه مودة وسكن ولكن سنة رسول الإسلام وواقع المسلمين وفتاوي علمائهم المستندة على آيات القرآن وسنة الرسول جعلت من الزواج الإسلامي دعارة صريحة دون أي شك أو ريب. يكفيك أن تستعرض أنواع الزواج الإسلامي اليوم لكي تتضح لك حقيقة الزواج في الإسلام بلا رتوش أو موارية وكلها زيجات شرعية تتوافر فيها جميع أركان الزواج من الإيجاب والقبول والشهود والمهر والإعلان والولى. ومن أنواع هذا الزواج المسيار والعربي والمتعة والمصياف والفرند وكلها زيجات شرعية على سنة الله ورسوله وقد أقرتها المجامع الفقهية في كل من مصر بلد الأزهر والمملكة العربية السعودية حامية حِمى الإسلام استنادا الى مبدأ التيسير في الفقه الإسلامي وإعمالا لسنة رسول الإسلام في إباحة المتعة كما هو ثابت في الأحاديث الصحيحة التي نذكر منها هُنا اثنين على سبيل المثال:

- عن جابر بن عبد الله وسلمة بن الأكوع رضي الله عنهما قالا: كنا في جيش فأتانا رسول الله (ص) فقال: إنه قد أذن لكم أن تستمتعوا فإستمتعوا. صحيح البخاري 1844.

- عن سلمة بن الأكوع عن أبيه عن رسول الله (ص) قال: إيما رجل وإمرأة توافقا فعشرة ما بينهما ثلاث ليال فإن أحبا أن يتزايدا أو يتتاركا تتاركا. صحيح البخاري 5119.

أنواع الزواج الإسلامي:

1 - زواج الفرند: بدل من أن يتخذ الشاب أو الشابة المسلمة " بوي فرند" أو جيرل فرند يتزوجا وكل منهما يعيش مع أهله وليس هناك بيت زوجية.

2 - زواج المصياف: وهو زواج الثري العربي من فتاة صغيرة فقيرة من بلد المصيف إثناء قضاءه أجازة الصيف وبعدها يعود الى بلده تاركا لها بعد أن يطلقها مبلغا من المال أو بعض الهدايا.

3 - زواج المسيار: وهو تيسيرا من الزوجة على رجل الأعمال الذي يزور بلدها لدواعي العمل. فهي تقيم مع أهلها بصورة دائمة ولكن عند زيارة رجل الأعمال الى بلدها تقيم معه عدة أيام أو أسابيع في إحدى الفنادق.

4 - زواج المتعة: وهو زواج فيه كل أركان الزواج ولكنه لأجل معين وينتهي الزواج بإنقضاء المدة المتفق عليها. ويمكن تمديدة بحسب ما جاء في الحديث الشريف وهو ثابت بأحاديث صحيحة كثيرة.

جاء في صحيح مسلم: عن جابر بن عبد الله قال: كنا نستمتع بالقبضة من التمر والدقيق لأيام على عهد رسول الله (ص) وأبي بكر حتى نهى عمر عنه. ومعنى ذلك انتفاء حدوث النسخ من رسول الله كما ثبت عن عمر قوله: مُتعتان كانتا على عهد رسول الله وأنا أنهى عنهما وأعاقب عليهما: متعة الحج ومتعة النساء. وروى الطبري أن عمران بن سوادة نصح عمر فلم يقبل النصح إذ قال له: عابت أمتك منك أربعا .. إنك حرمت متعة النساء وقد كانت رخصة من الله نستمتع بقبضة ونفارق عن ثلاث. واختلفت الأحاديث كثيرا في زمن التحريم فعددوا لها العديد من المواضع بين الإباحة والتحريم كل حديث بموضع مختلف: صدر الإسلام - عام أوطاس - يوم خيبر - يوم الفتح - غزوة تبوك - حجة الوداع - وقال عمران بن الحسن: ما حلت قبلها ولا بعدها. وقد اضطر فقهاء السنة للخروج من مأزق التناقض هذا بالقول بتكرار وتعاقب الإباحة والتحريم فقال مسلم: إنه أبيح ثم نسخ ثم أبيح ثم نسخ وقال ابن كثير في تفسيره: وقد ذهب الشافعي وطائفة من العلماء الى أنه أبيح ثم نسخ ثم أبيح ثم نسخ مرتين. وذكر القرطبي: أنها تقتضي التحليل والتحريم سبع مرات. وقد علق ابن القيم - في زاد المعاد - على ذلك التردد الشاذ بين الإباحة والتحريم بقوله: وهذا النسخ لا عهد. وقد ذكر الإمام فخر الدين الرازي في تفسيره ج 3 عن عمران بن حصين قال: أنزل الله في المتعة آية وما نسخها بآية أخرى وأمرنا رسول الله وآله بالمتعة وما نهانا عنها ثم قال رجل برأيه ما شاء.

وأخرج البخاري أيضا عن عمران بن حصين قال نزلت آية المتعة في كتاب الله ففعلناها مع رسول الله ولم ينزل قرآن يحرمها ولم ينه عنها حتى مات صلى الله عليه وآله.

5 - الزواج العرفي: وهو زواج شرعي رغم أنه يتم كثيرا بدون ولي وقد أقر الإمام أبو حنيفة أن المرأة البالغة العاقلة الرشيد يحق لها أن تزوج نفسها بدون ولي. وأما عن الإشهار فإنه يستوفى بوجود بعض أصدقاء الفتى والفتاة.

62 - الإسلام والإرهاب

الخدعة الكبرى الذي يرددها كثير من المسلمين حتى صدقوها من كثرة ترديديها أن الإسلام دين سلام. بل أنهم يقولون إن أصل كلمة " إسلام " هو " سلام " وليس تسليم.

والواقع أن الإرهاب مطلب شرعي إسلامي لا بد منه.

نجد في سورة الأنفال قوله تعالى: " واعِدُوا لهُم ما استطعتم من قوةٍ ومن رباط الخيل ترهبُون به عدو اللهِ وعدُوكم". قال القرطبي: ترهبون به عدو الله وعدوكم من اليهود والكفار ومشركي العرب. فالله جل وعلا يأمر هذه الأمة أن تعد العدة لتخويف هذه الطوائف من الناس، ليشعروا بالرعب والهلع من المسلمين.
وحين نتأمل في حياة النبي (ص) نجد أنه طبق الإرهاب في عدد من المرات فنذكر جملة منها:

تخويف أهل مكة وبيان أنه أرسل إرهابهم فقد قال (ص): " يا معشر قريش أما والذي نفس مُحمد بيدهِ لقد جئتكم بالذبح" ـ أخرجه أحمد ـ وكان يشير الى عنقه كما في بعض الروايات فهو إرهاب لهم وبيان أنه أرسل ليذبحهم.

الأمر بإغتيالات ونذكر منها: خبر اغتيال عبد الله بن أنيس لخالد بن سفيان بن نبيح الهذلي. وخبر اغتيال خمسة رجال من بني سلمة من الخزرج يقودهم عبد الله بن عتيك لسلام بن أبي الحقيق. وخبر ارسال النبي لعمرو بن امية الضمري وسلمة بن اسلم لقتل أبي سفيان بن حرب ولم يقدرا عليه فقتلا عثمان بن مالك بن عبيد الله التيمي. وقد قال النبي لبياميين بن عمير بن كعب لقد آذانا ابن عمك يريد عمرو بن جحاش فجعل جعلا لرجل فقتله وقد أذن له النبي.

كتاب السيرة النبوية لإبن إسحاق يذخر بوقائع أمر محمد بقتل العديد من الناس نقتبس هنا بعض منها ولكن قبل أن نفعل هذا ننقل هنا مقطعا من كتاب دلائل النبوة للبيهقي لما فيه من دلالات واضحة عن فكر نبي الإسلام كما افصح عنه اثناء بيعة العقبة الثانية:

الدم الدم والهدم الهدم:

ويخبرنا البيهقي أن هذا الوفد العظيم الذي يتكون من سبعين رجلا؛ ممثلين لأهل المدينة؛ لم يكن بينهم سوى ثلاثة نقباء من الأوس، وهم: أسيد بن حضير، وسعد بن خيتمة، وأبو الهيثم ابن التيهان، وأنه عندما انتهى النبي من كلامه، ووصل الى القول:" أبايعكم على أن تمنعوني مما منعتم منه أبناءكم ونساءكم"؛ تناول البراء ابن معرور ـ كبير القوم ـ يده وقال:" نعم والذي بعثك بالحق، نمنعك مما نمنع منه أرزنا؛ فبايعنا يا رسول الله، فنحن والله أهل الحرب والحلقة، ورثناها كابرا عن كابر"، وهنا اعترض أبو الهيثم ابن التيهان الأوسي الأمر؛ قائلا:" يا رسول الله إن بيننا وبين أقوام حبالا، وإنا قاطعوها؛ فهل عسيت إن أظهرك الله، أن ترجع الى قومك وتدعنا؛ فقال رسول الله " بل الدم الدم، والهدم الهدم، أنا منكم وأنتم مني، أسالم من سالمتم، وأحارب من حاربتم ... فأخذ البراء بن معرور بيد رسول الله فضرب عليها، وكان أول من بايع، وتتابع الناس فبايعوا"، ثم " أخذ عليهم العباس بن عبد المطلب المواثيق لرسول الله بالوفاء، وعظم العباس الذي بينهم وبين رسول الله وذكر أن أم عبد المطلب، سلمى بنت عمر بن زيد بن عدي بن النجار". وقبل أن ينصرفوا، أراد أهل الحرب والحلقة استعراض قدراتهم القتالية وفنونهم الحربية للنبي؛ فقال له ابن عبادة:" إن شئت لنميلن غدا على أهل منى بأسيافنا"، فأجّل النبي الإمالة بالسيف الى ما بعد الخروج من مكة بقوله:" لم نؤمر بعد". تاريخ الطبري ج2، ص365.

نعود الآن لنعطي بعض الأمثلة من السيرة النبوية:

محمد يبغي ضرب عنق عبد الله بن سعد بن أبي سرح:

(سبب أمر الرسول بقتل سعد وشفاعة عثمان فيه):

وإنما أمر رسول الله (ص) بقتله أنه قد كان أسلم، وكان يكتب لرسول الله الوحي، فإرتد مشركا راجعا الى قريش، ففر الى عثمان بن عفان، وكان أخاه للرضاعة، فغيبه حتى أتى به رسول الله بعد أن إطمأن الناس، وأهل مكة، فاستأمن له: فزعموا أن رسول الله صمت طويلا، ثم قال: نعم؛ فلما انصرف عنه الأنصار: فهلا أو مات الى يا رسول الله؟ قال: إن النبي لا يقتل بالإشارة.

(السيرة النبوية)

محمد يقطع الأيدي والأرجل ويسمل الأعين:

(قتل البحليين وتنكيل الرسول بهم):

فلما صحوا وانطوت بطونهم، عدوا على راعي رسول الله (ص) يسار، فذبحوه وغرزوا الشوك في عينيه، واستاقوا اللقاح. فبعث رسول الله في آثارهم كرز بن جابر، فلحقهم، فأتى بهم رسول الله مرجعه من غزوة ذي قرد، فقطع أيديهم وأرجلهم، وسمل أعينهم.

(السيرة النبوية)

قتل ابنة مروان نصر لله ورسوله: (بغرس سيف في صدرها وإخراجه من ظهرها وهي نائمة ورضيعها في حضنها).

(خروج الخطمي لقتلها):

فقال رسول الله (ص) حين بلغه ذلك، ألا أخذ لي من ابنة مروان؟ فسمع ذلك من قول رسول الله (ص) عمير بن عدي الخطمي، وهو عنده؛ فلما أمسى من تلك الليلة سرى عليها في بيتها فقتلها، ثم أصبح مع رسول الله، فقال: يا رسول الله، إني قد قتلتها. فقال نصرت الله ورسوله يا عمير، فقال: هلى على شيء من شأنها يا رسول الله؟ فقال: لا ينتطح فيها عنزان.

(السيرة النبوية)

نصرت بالرعب:

(ما نزل في الأساري والمغانم):

قال ابن إسحق: ثم عاتبه الله تعالى في الأساري، وأخذ المغانم، ولم يكن أحد قبله من الأنبياء يأكل مغنما من عدو له قال ابن إسحق: حدثني محمد أبو جعفر بن علي بن الحسين، قال: قال رسول الله: نصرت بالرعب، وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا، وأعطيت جوامع الكلم، وأحلت لي المغانم ولم تحلل لنبي كان قبلي، وأعطيت الشفاعة، خمس لم يؤتهن نبي قبلي.

(السيرة النبوية)

الخير كله في السيف:

(جاء في باب: فضل الجهاد):

عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد، عن علي بن الحكم، عن عمر بن أبان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله (ص): الخير كله في السيف وتحت ظل السيف. ولا يقيم الناس إلا السيف. والسيف مقاليد الجنة والنار. (صحيح الكافي من سلسلة صحاح الأحاديث عند الشيعة الإمامية للشيخ محمد الباقر البهبوي ـ الجزء الأول ـ الدار الإسلامية).

باب: قتل كعب بن الأشرف:

عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله (ص):" من لكعب بن الأشرف، فإنه قد أذى الله ورسوله"؟ فقال محمد بن مسلمة رضي الله عنه: يا رسول الله، أتحب أن أقتله؟ قال: " نعم".

(صحيح مسلم 1170)

محمد يُجبر البشر على الإيمان بالإسلام:

قال البخاري ومسلم وغيرهما: إن النبي (ص) قال إن الله أمره أن يُقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة، فإن فعلوا فقد عصموا دمائهم وأموالهم إلا بحق الشهادتين، أن بما يستحق بناءا على هاتين الشهادتين من تكاليف. والنص كالتالي :

" أمرتُ أن أقاتل الناس حتى يشهدُوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ويقيموا الصلاة ويُؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابُهُم على الله"!.

هذه مجرد عينة لإثبات أن الإرهاب ضارب في جذور الإسلام منذ نشأته. للمزيد من الأدلة على إرهاب الإسلام نحيل القارئ الكريم الى فصل " محمد واليهود ـ من كاد لمن؟".

ولكن قبل أن ننتهي من هذا الفصل لا يفوتنا أن نذكر شيئا عن سلاح النبي وعن سيوفه على وجه الخصوص التي كانت مفخرة للمسلمين على مر العصور.

سيوف النبي صلى الله عليه وسلم

فقد جاء عنه (ص): معه قضيب من حديد يقاتل به وذكرت صفته في التوراة. فيما رواه ابن عباس رضي الله عنهما أنه يركب البعير ويلبس الشملة ويجتزئ بالكسرة وسيفه على عاتقه.

وكان النبي (ص) قدوة العرب في الإعتزاز بالسيف شهامة وجهادا وأداة للقتال في سبيل الحق. وتجمع كتب التاريخ كما يقول الفريق محمد حسن التهامي نائب رئيس الوزراء الأسبق في كتابه القيم (سيوف الرسول وعدة حربه) الذي يقع في 483 صفحة من القطع الكبير على أن الرسول كانت له عدة سلاح وآلة حرب. فكانت له تسعة سيوف هي: المأثور والعضب وذو الفقار والبتار ورسوب والمخذم وقلعي وقضيب وحتف.

وهناك من الرماح المثنى والمثوى من الثوى وهو الإقامة لأن المطعون به يقيم في موضعه. ومن الدروع ذات القصل وذات الوشاح وذات الحواشي والسغدية وفضة والبتراء والخرنق والسغدية هي درع سيدنا داود. وقد أصابها النبي من بني قينقاع. وكانت البتراء على سيدنا الحسين رضي الله عنه يوم كربلاء. ومن التروس الزلوق وفتق. ومن القسى الزوراء والصفراء والروحاء والبيضاء. والكتوم وهي التي استخدمها (ص) يوم أحد. ومن الجعبة الكافور ومن الخوذ: الموشح وذات السبوغ، وأخيرا الفسطاط. واتخذ النبي القائد الرايات والألوية فكانت له العقاب وهي راية سوداء مربعة طولها ذراع وعرضها ذراع يتوسطها هلال أبيض. وهي أول راية للجهاد، وظلت منذ غزوة بدر راية الجيوش الإسلامية. وكان له لواء المدينة من قماش أبيض مكتوب عليه (لا إله إلا الله عليه الصلاة والسلام) لحمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه.

المـأثور

ونحن هنا نستعرض مع الفريق محمد حسن التهامي سيوف النبي (ص) فهو يقول عن السيف المأثور إنه أول سيف ملكه النبي وورثه عن أبيه .. وهو السيف الذي كان يمتلكه عليه الصلاة والسلام في شبابه عند البعث وبقي معه في مكة المكرمة، وآثره على كل ما عداه من عدة ومتاع. فهاجر من مكة الى المدينة المنورة وبصحبته سيدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه. وقد سار النبي (ص) في موكب زفاف ابنته الزهراء شاهرا سيفه يحيط به بنو هاشم بسيوفهم كعادة العرب. ومن ثم فالأرجح أن يعلو في سماء الحفل للسيد الهاشمي (السيف المأثور). فالزوجان هاشميان، والمحتفلون هاشميون والسيف وراثة من هاشمي.

وبقي هذا السيف معه حتى انتقل مع عدة الحرب الى سيدنا علي بن أبي طالب بعد اختيار النبي للرفيق الأعلى. حيث أجمعت كتب التاريخ كلها على إيثاره (ص) لهذا السيف. ولم يعط لأحد من الصحابة ليقاتل به في المعارك كما حدث في بدر وأحد والخندق وما عداها من الغزوات. وبقي هذا السيف معروفا في التاريخ حتى يومنا هذا بسيف سيدنا رسول الله (ص) وهو مودع في اسطمبول في غرفة الأمانات المقدسة مع سيف ثان له .. ومن تشرف باستلال هذا السيف من غمده يجده منقوشا على صفحته اسم صاحب السيف (عبد الله بن عبد المطلب) والد سيدنا رسول الله (ص).

ومما يروى أن الخلفاء العثمانيين كانوا يستلون هذا السيف من غمده قدر شبر. ثم يدعون الله تعالى بالنصر كلما خرج الجيش من جيوشهم للفتح أو للزود عن أرض الخلافة والأمة الإسلامية. كما كان الخليفة العثماني يتقلده عند توليه الخلافة وسط التكبير والتهليل والدعاء لله ولرسوله ولخليفة المؤمنين. وأول ما عرف هذا السيف كان في حرب الفجار في الجاهلية حيث حضرها النبي مع أعمامه وهو في سن الخامسة عشرة.

القضيب:

كان لرسول الله (ص) سيف يسمى (القضيب) وهو سيف دقيق يشير اسمه الى وصفه حيث القضيب يطلق على العصا. فكأنه كان يشبه العصا في خفته وسهولة حمله ومثله يكون سيفا للدفاع أو يصحبه المسافر في حله وترحاله. ولا يقدم للقتال تحسبا للسيف المضاد. هذه الأوصاف تتوافر في سيف محفوظ بمتحف (طوب قابو) منسوب الى سيدنا رسول الله ومرافقا للسيف المأثور. ومكتوب عليه على جانب النصل بالفضة (لا إله إلا الله محمد رسول الله) محمد بن عبد الله بن عبد المطلب.

ولم يستدل في أي من المراجع التاريخية على استخدام هذا السيف في أية معركة من المعارك .. وهناك احتمال بقاء هذا السيف في بيت سيدنا رسول الله شأنه في ذلك شأن السيف المأثور والذي لم يرد أنه استخدم إلا مرة في عرس السيدة فاطمة المزهراء سيدة نساء العاملين علي الإمام علي كرم الله وجهه.. وذلك بعد البعثة.

العضب:

ومعناه السيف القاطع ثم جعل علما لأحد الأسياف النبوية .. وكانت لرسول الله ناقة تسمى (القضباء) لنجابتها وهذا السيف أرسل به سعد بن عبادة الأنصاري الى سيدنا رسول الله قبيل توجهه الى بدر .. وأجمع المؤرخون على أن سيدنا محمد (ص) تقلده في بدر ولبس درعه (ذات الفضول) وعاد به من بدر بعد أن غنم (ذا الفقار) ثم خرج سيدنا محمد الى أحد ومعه العضب وذو الفقار.. فأعطى ذا الفقار لمولانا الإمام علي كرم الله وجهه ليقاتل به وبقى ذو الفقار مع سيدنا الإمام علي طيلة المعركة حتى عاد به الى المدينة المنورة.

والسيف العضب مهدى للرسول من سعد بن عبادة كما هو ثابت من الكتابة المنقوشة عليه (محمد رسول الله .. من سعد بن عبادة). وقد آل ميراثه الى سيدنا ومولانا الإمام الحسين رضي الله عنه، كما استقر به المطاف في مصر.

ذو الفقار:

ذو الفقار بكسر الفاء وفتحها .. وهو من أشهر سيوف النبي (ص)، ولم يفارقه وقد ورد في تسميته بهذا الإسم أنه كان في وسطه مثل فقار الظهر، وقيل سمي بذلك لأنه كان فيه حفر صغار، والفقر من السيوف ما فيه جزوز وسمي ذو الفقار لأنه ما ضرب به أمير المؤمنين أحدا إلا إفتقر في الدنيا من الحياة وفي الآخرة من الجنة.. ويروي أبو يعقوب أن طوله كان سبعة أشبار وعرضه شبر وفي وسطه كالفقار.

البتـار:

وهو سيف رسول الله (ص) الذي أخذه من يهود بني قينقاع عندما أجلاهم لخيانتهم ومحاولتهم الغدر به ونقضهم العهد النبوي الذي أخذه عليهم عندما هاجر الى المدينة. وهو سيف الأنبياء طوله 101 سم عليه كتابات ورسوم آدمية تمثل سيدنا داود وقد قطع رأس جالوت ومضاف إلى هذا الرسم بعض كلمات نبطية وعربية تقول (داود وسليمان وموسى وهارون ويوشع وزكريا ويحيى وعيسى ومحمد عليهم السلام). هذه هي سيوف الرسول التي رفعها في وجه الباطل إظهارا للحق .. وهناك منها الكثير ولكننا اكتفينا بما ألقينا الضوء عليه.

هذا ما جاء عن أسلحة نبي الإسلام الذي قال عن نفسه أنه رحمة مهداة ويقول عنه القرآن قد بعث رحمة للعالمين.

63 ـ نشر الإسلام أم نهب الشعوب

جاء في كتاب شدو الربابة بأحوال مجتمع الصحابة ـ الجزء الثاني. للشيخ خليل عبد الكريم:

مغانم البلاد الموطوءة:

1 - قال أبو يوسف: حدثني بعض أشياخنا قال: سمعت ميمون بن مهران يحدث أن عمر بن الخطاب (رضي) كان يجني من العراق كل سنة: مائة ألف ألف (1). أي جباية العراق وحده: مائة مليون درهم.

2 - حدثنا عبد الله بن المبارك عن عبد الله بن الوليد عن عبد الله بن معقل حدثني عبد الملك بن أبي حرة عن أبيه قال: أصفى عمر بن الخطاب (رضي) هذا السواد عشرة أصناف: أصفى من قتل في الحرب ومن هرب .. وكل أرض لكسرى وكل أرض كانت لأحد من أهله .. وكان خراج ما أصفى سبعة الآف ألف (2).

غلة أرض الصوافي في العراق سبعة ملايين وفي رواية أخرى أربعة ملايين في العام الواحد.

عمرو بن العاص كان يجبي من مصر أربعة عشر مليون دينار ـ ضريبة الرؤوس بخلاف خراج الأرض ـ ويخبرنا الأخباريون أن هذا القدر استصغره الخليفة الثالث عثمان فعزل ابن العاص واستصفى من خلفه على ولايتها مبلغا أكبر بداهة بطرق لا تخفى، فواجه عثمان عَمْرا بذلك فرد أن ذلك كان على حساب الرعية والأرض.

3 - عن يزيد بن حبيب قال: جنى عمرو خراج مصر وجزيتها ألفا ألف وجباها عبد الله بن سعد بن أبي سرح أربعة آلاف ألف فقال عثمان لعمرو: إن اللقاح بمصر بعدك قد درت ألبانها قال: ذلك أنكم أعجفتم أولادها (3). وواضح أن الرقمين اللذين أوردهما البلاذري في الفتوح شديد التواضع بالنسبة للرقم الأول.

ولا ندري كيف يضاعف عبد الله بن سعد بن أبي السرح قيمة الخراج والجزية إلا إذا كان قد استعمل أساليب شديدة القساوة ولعل في تعليق عمرو (أعجفتم أولادها) خير دليل على ذلك وكان يتوجب على الخليفة (عثمان) أن يسأله كيف فعل ذلك ولكن فيما يبدو أن كل ما كان يهمه الرقم!

4 – عن موسى بن يزيد قال: حمل أبو موسى الأشعري الى عمر بن الخطاب (رضي) ألف ألف، فقال عمر بكم قدمت؟ قال: بألف ألف قال فأعظم ذلك عمر وقال: هل تدري ما تقول؟ قال: نعم، قدمت بمائة ألف ومائة ألف حتى عشر مرات فقال عمر: إن كنت صادقا ليأتين الراعي نصيبه باليمن ودمه في وجهه (4).

هنا نجد عمرا لا يصدق أن إحدى الولايات التي وطئوها برماحهم وسنابك الخيول تغل مليون درهم في السنة وعقدت الدهشة لسانه واعتقد أن أبا موسى لا يدري ما يقول! وهي عبارة عميقة الدلالة وحتى بعد أن أكد له أبو موسى الخبر، وعد المليون على أصابعه (مائة ألف عشر مرات) ولم يصدقه (إن كنت صادقا..) عجز الخبر يوضح خطة ابن الخطاب في منح أبناء الجزيرة العربية الأعطيات دون أن يسألوها بل تصلهم في مستقر دورهم. وما هي إلا ناتج عرق (العلوج) في تلك الولايات.

5 - وخبر آخر يقطع بصحة ما قلناه: دهشة الصحاب وتحيرهم من كثرة الأموال التي صُبت عليهم صبا بصورة ما كانت تخطر على بالهم، عن أبي هريرة قال: قدمتُ من البحرين بخمسمائة ألف درهم فأتيت عمر بن الخطاب ممسيا فقلت: يا أمير المؤمنين إقبض هذا المال قال: كم هو؟ قلت: خمسمائة ألف درهم قال: تدري كم خمسمائة ألف؟ قلت: نعم مائة ألف ومائة ألف خمس مرات، قال: أنت ناعس إذهب الليلة فبت حتى تصبح فلما أصبحت أتيته فقلت: إقبض هذا المال قال: وكم هو؟ قلت: خمسمائة ألف درهم قال: أمن طيب هو؟ قلت: لا أعلم إلا ذلك. فقال عمر (رضي) أيها الناس إنه قد جاء مال كثير فإن شئتم أن نكيل لكم كيلنا وإن شئتم نعد لكم عددنا (5).

هذا الخبر على قصره النسبي مشحون بالدلالات:

أ - إن الخليفة لم يصدق أن يأتي له أحد عماله بخمسمائة ألف درهم من إحدى الولايات الموطوءة وهذا يشي بالحالة المالية المتواضعة التي كانوا عليها حتى إن رأس الدولة يستكثر مثل هذا المبلغ.

ب- أنه يجابه العامل (الوالي) بأنه لا يدري ما يقول وأنه ناعس أي يحلم وما يقوله مجرد حلم ويطلب منه أن يستكمل منامه.

ج - أنه يدلنا على الأفق المعرفي إذ يتهم الخليفة جابيه بأنه لا يدري كم هو العدد خمسمائة ألف.

د - أن عمرا بعد أن استوثق من صحة العدد صاح في الناس (أيها الناس قد جاءنا ما كثير) يبشرهم أن فتوحاتهم درت درورا وفيرا.

هـ- أنه من كثرة الأموال التي إنهالت عليهم من كل حدب وصوب كانوا يوزعونها بطريق الكيل (فإن شئتم أن نكيل لكم كيلا).

ز - إن ابن الخطاب يسأل إن كان هذا المال طيبا؟ فهو يعرف أنه منتوج كدح وكد العلوج حصيلة عملهم من طلوع الشمس الى مغيبها.

ح - إن أبا هريرة الذي أحضر هذا المال كان في أول أمره يلازم محمدا على شبع بطنه أصبح أميرا على البحرين زمن عمر ثم بلغه عنه أنه اشترى أفراسا بألف وستمائة دينار فاستدعاه وسأله عن ذلك وأغلظ له الكلام وقال له: استعملتك على البحرين وأنت بلا نعلين فرد أبو هريرة: كانت لنا أفراس تنتج وعطايا تلاحقت، والذي لا شك

فيه أن مثله لا يجهل أن عطايا (هدايا) الأمراء غلول (روى إبراهيم الحربي في كتاب الهدايا عن ابن عباس (رضي) أن النبي (ص) قال: هدايا الأمراء غلول) (6).

ولم يقتنع عمر برد أبي هريرة ولم يوافقه على أنه من حقه شرعا أن يمد يده لـ(عطايا تلاحقت) لأنه يعلم أن تلك العطايا لا تنفح للأمير (الوالي/العامل) من أجل سواد عينيه إنما رهبة أو رغبة من منصبه، لهذا شاطره (قاسمه أي أخذ نصف) ماله ومما يلفت النظر أن أبا هريرة لم يكن الأوحد الذي فعل معه ذلك بل طبق الجزاء نفسه الصارم على عدد من أعلام الصحابة منهم: أبو موسى الأشعري حين عزله عن البصرة وسعد بن أبي وقاص حين عزله عن العراق.

لما فتح سعد بن أبي وقاص مدينة طيسفون، المسماة عند العرب بالمدائن، وكان ذلك في خلافة عمر بن الخطاب سنة 21 هجرية، أرسلت الغنائم التي اغتنمها جيش المسلمين الى المدينة، وكان فيها مال كثير من مال كسرى، ومن جملة ذلك سوارا كسرى، وتاجه، ومنطقته، وبساطه الكبير، وكان ستين ذراعا في ستين ذراعا منظوما باللؤلؤ والجواهر الملونة على ألوان أزهار الربيع، كان يبسط لكسرى في إيوانه ويشرب عليه إذا عدمت الزهور. وأرسلت مع الغنائم السبايا أيضا وهن بنات كسرى، وكن ثلاثا وعليهن من الحلى والحلل والجواهر ما يقصر اللسان عن وصفه. وأمر عمر بن الخطاب بالمال الذي جيئ به من أموال كسرى فصب في صحن المسجد، وأخذ يفرقه على المسلمين. وعند ذلك دعا سراقة وقال له ارفع يديك وألبسه السوارين، وقال له: قل: الحمد لله الذي سلبهما كسرى بن هرمز، الذي كان يقول أنا رب الناس، وألبسهما سراقة بن مالك، ورفع عمر بهذا الكلام صوته. ثم قطع البساط وفرقه بين المسلمين، فأصاب عليا منه قطعة باعها بخمسين ألف دينار. ثم جيئ ببنات الملك الثلاث، فوقفن بين يديه، وأمر المنادي أن ينادي عليهن، وأن يزيل نقابهن عن وجههن ليزيد المسلمون في ثمنهن، فإمتنعن من كشف نقابهن ووكزن المنادي في صدره، فغضب عمر وأراد أن يعلوهن بالدرة (السوط) وهن يبكين، فقال له علي: مهلا يا أمير المؤمنين، فإني سمعت رسول الله يقول: ارحموا عزيز قوم ذل، وغني قوم افتقر. فسكن غضبه، فقال له علي: إن بنات الملوك لا يعاملن معاملة غيرهن من بنات السوقة، فقال له عمر: كيف الطريق الى العمل معهن؟ فقال: يقومن، ومهما بلغ ثمنهن يقوم به من يختارهن، فقومن، وأخذهن علي، فدفع واحدة لعبد الله بن عمر، فجاءت منه بولده سالم، ودفع الثانية لمحمد بن أبي بكر فجاءت منه بولده القاسم، ودفع الثالثة لولده الحسين فجاءت منه بولده علي الملقب بزين العابدين.

ثم إن عمر بن الخطاب قد أساء الى بنات كسرى، وقد أغلظ لهن في القول والفعل، كما أنه أساء الى العربية بتقسيمه تلك الغنائم وتفريقها بين المسلمين بعد تمزيقها شر ممزق، إذ كان يجب عليه أن يحتفظ بتاج كسرى ومنطقته وبساطه لتكون عند العرب مفخرة لهم من مفاخرهم التاريخية، ولكن عمر لم يكن فيما فعله من بيع البنات وتقسيم الغنائم إلا تلميذا لمحمد، فإن محمدا هو الذي أباح سبي النساء في حروبه وجعلهن ملكا تحت رق من سباهن، إن شاء وطأهن وإن شاء باعهن، وهو الذي أحل الغنائم لأتباعه، وأوجب تقسيمها عليهم، بعد أخذ خمسها لله ولرسوله، فلا لوم على عمر فيما فعله.

الهوامش

(1) كتاب الخراج لقاضي القضاة أبي يوسف ص 124.

(2) الإستخراج لأحكام الخراج لإبن رجب الحنبلي ـ دار الحداثة ـ بيروت ص 107.

(3) فتوح البلدان 253/1.

(4) كتاب الخراج ص 50.

(5) المصدر السابق ص 49، فتوح البلدان 1:55.

(5) السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية ـ ابن تيمية.

64 ـ حروب الإسلام كانت دفاعية

أمثلة من الفتوحات الإسلامية كما وردت في كتاب
" الفن العسكري الإسلامي:

الكتاب من تأليف العميد الركن ياسين سويد (شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ـ بيروت ـ لبنان ـ الطبعة الثانية ـ 1990).

1 ـ حروب الردة

بعد موت النبي مباشرة ارتدت عن الإسلام قبائل عديدة في مختلف أنحاء الجزيرة كطي وأسد وغطفان وسليم وهوزان وبني عامر وبني ثعلبة بن بربوع وبني حنيفة وغيرها. وكانت حركة الإرتداد هذه من الخطورة بحيث أنها هددت الى حد كبير وبجدية متناهية مصير الإسلام والمسلمين وكان تحرك الخليفة أبي بكر تجاه هذه الحركة في مستوى الحدث الخطير فجيش كل قوات المسلمين وعلى رأسها قادة من أمثال خالد وعكرمة بن جهل والمهاجر بن أمية وشرحبيل بن حسنة وخالد بن سعيد وحذيفة بن محسن وعرمجة بن هرثمة وسويد بن مقرن والعلاء بن الحضرمي ومعن بن حاجز وعمرو بن العاص.

2 ـ غزو العراق

بعد آن فرغ أبو بكر من قتال المرتدين في الجزيرة العربية عام 12 هجرية (633م) قرر أن يسير جيوشا لفتح العراق فجيش لفتح العراق جيشين: جيش بقيادة خالد بن الوليد غزي العراق عن طريق " الإبلة" وهي في زاوية الخليج الذي يدخل الى مدينة البصرى.

والجيش الثاني بقيادة عياض بن غنم الذي غزي العراق من ناحية الشمال الشرقي وهي ناحية المصيخ على حدود الشام.

3 ـ غزو الشام

في أواخر عام 12 هجرية وتنفيذا لرغبة سابقة أبداها نبي الإسلام عندما بدأ بتجهيز حملة بقيادة أسامة بن زيد لإنفاذها الى الشام (إلا أنه توفي قبل ذلك) حشد أبو بكر الصديق جيشا بلغ عديدة نحو عشرين آلف مقاتل نظمه في خمس فرق تم توزيعها وتسييرها الى الشام على الشكل التالي:

الفرقة الأولى:

القائد : يزيد بن أبي سفيان.
الهدف : دمشق
العديد : 3 ـ 4 الآف مقاتل
المهمة : احتلال دمشق ومساندة الفرق الأخرى

الفرقة الثانية:

القائد : شرحبيل بن حسنة
الهدف : بصري عاصمة حوران
العديد : 3 ـ 4 الآف مقاتل
المهمة : احتلال بصري ومساندة الفرق الأخرى

الفرقة الثالثة:

القائد : أبو عبيدة الجراح
الهدف : حمص
العديد : 3 ـ 4 الآف مقاتل
المهمة : احتلال حمص ومساندة الفرق الأخرى

الفرقة الرابعة:

القائد : عمرو بن العاص
الهدف : فلسطين
العديد : 6 ـ 7 الآف مقاتل
المهمة : احتلال فلسطين

الفرقة الخامسة

القائد : عكرمة بن أبي جهل
العديد : 6 الآف مقاتل
المهمة : احتياط في المدينة

4 - فتح مصر والعبور الى شمال أفريقيا

ما أن فرغ عمرو بن العاص من فتح قيصارية في فلسطين عام 19 هجرية (640م) حتى انطلق بمن معه وكانوا نحو أربعة الآف مقاتل مجتازا حدود فلسطين غربا باتجاه مصر لفتحها. وكان عليها حاكم روماني اسمه المقوقس فنزل أول ما نزل بالعريش في سيناء من ارض مصر ثم تابع سيره الى الفرماء وكانت مدينة محصنة ومنيعة تسيطر على الطريق الرئيسي الممتد من العريش الى مصر فحاصرها شهرا وقاتل حاميتها فأنتصر عليها وفتح المدينة ثم تابع تقدمه باتجاه الجنوب العربي سالكا طريقا هي الحد الفاصل بين الصحراء والري حتى وصل الى بلبيس فقاتل حاميتها وكانت بقيادة أرطبون فأنتصر عليه وامتلك المدينة ثم استمر في تقدمه جنوبا بغرب حتى أطل على مدينة " هليوبوليس" التي تعرف اليوم بعين شمس وكان عمرو قد طلب من الخليفة إمداد فأمده بعشرة آلاف رجل بقيادة الزبير بن العوام. بعد سقوط حصن بابليون في يد عمرو بن العاص سقط حصن كريون أيضا. بعدها اتجه عمرو الى الإسكندرية عاصمة مصر في هذا الوقت فوجد أهلها معدين لقتاله فقاتلهم المسلمون قتالا شديدا وحاصروهم ثلاثة أشهر انتهت بأن فتحها عمرو بالسيف سنة 20 هجرية.

5 - فتح ليبيا

بعد فتح الإسكندرية بفترة وجيزة غزا جيش المسلمين ليبيا بقيادة عقبة بن نافع الذي وقف على شاطئ البحر الأبيض على فرسه شاهرا سيفه وقائلا " والله لو علمت أن وراء هذا البحر يابسة لخضته بغرس هذا".

6 - غزو البحر

ركب المسلمون البحر غازيين في عهد الخليفة عثمان بن عفان فغزوا قبرص وفتحوها عام 28 هجرية (648م) ثم غزوا رودس وصقلية ثم خاضوا ضد الروم عام 34 هجرية (655م) أهم معركة بحرية في تاريخ الفتوح الإسلامية وهي معركة " ذات الصواري" (وكانت الحملة بقيادة عبد الله بن أبي سرح والي مصر).

7 - غزو الأندلس

غزت جيوش المسلمين بقيادة طارق بن زياد الليثي الأندلس سنة 92 هجرية (711م) بعد أن عبرت بحر الزقاق (مضيق جبل طارق حاليا) بين المغرب وأسبانيا ليلا في واقعة شهيرة في التاريخ الإسلامي تم فيها حرق السفن التي نقلت الجيوش حتى لا يكون هناك مفر من القتال الذي ألهب ناره القائد الهمام بخطبته الشهيرة التي بدأها بالقول:" البحر ورائكم والعدو أمامكم". (تعليق من جانبنا: لاحظ أنه لا يقول: البحر ورائكم والناس اللذين سوف ندعوهم بالحكمة والموعظة الحسنة أمامكم!).

يختتم المؤلف كتابه بخلاصة يحاول فيها تجميل الصورة وإضافة صبغة من التقديس والتبجيل عليها ورغم هذا فأنها تبقي اعترافا صريحا واضحا لا تخطئه العين بأن السيف كان له القول الفيصل في انتشار الإسلام في سنوات التأسيس الأولى وما بعدها:

جاء في صفحات 363 - 366 ما يلي:

1 - لم يكن النبي محمد نبيا مرسلا للعرب فقط، وإنما كان صاحب رسالة إنسانية كونية حملها لينشرها على الناس أجمعين، لذا، كان لا بد أن ينطلق، هو وخلفاؤه من بعده، حاملين رسالة الإسلام الى العالم وخارج حدود الجزيرة العربية، وذلك أمر يتطلب ولا شك، اقتحاما وإيجابية ومبادأة وتوسعا لفرض السيادة، وهذه كلها مواقف هجومية بطبيعتها.

2 - لم يكن للعقيدة الإسلامية أن تحقق ما حققته من توسع وفتوح في جميع أقطار الدنيا لو لم تكن تتميز بعقيدة عسكرية هجومية، فالجهاد في الإسلام لم يكن لرد الإعتداء بقدر ما كان لنشر مبادئ الدين الحنيف، لذا لم يعتبر المسلمون جهادهم في سبيل نشر الإسلام اعتداء وإنما هو قتال في سبيل إعلاء كلمة الله بإعتبار أن الدين عند الله الإسلام، كما أنه، أي القتال، دفاع عن عقيدة الإسلام في وجه المشركين.

3 - لم يكن للدعوة الإسلامية أن تنتشر إلا بالجهاد الذي هو في صلب الحياة الإسلامية ومن أهم الشعائر اللازمة لممارسة عقيدة الإسلام قولا وعملا، ورغم أنه " لا إكراه في الدين " يظل الجهاد في الإسلام أحد أهم وسائل نشر الدعوة الإسلامية التي حددت لغير المسلمين من أهل الكتاب ثلاث منافذ للخلاص لا رابع لها وهي: الإسلام أو الجزية أو المنابذة، أي القتال، ولم تحدد للكافرين والمشركين أكثر من منقذين هما الإسلام أو القتال. وإذا كان الإسلام قد فرض الجزية على أهل الكتاب، في دولته، وحيث يبسط سيادته، فذلك لأمر يتعلق بالنظام العام للدولة، حيث يكون أهل الكتاب رعايا، ولا تكون الجزية أكثر من " بدل " عن الحماية أو الخدمة العسكرية. وإذا كانت العقيدة الإسلامية قد فرضت على الكفار والمشركين، فذلك لأمر يتعلق أيضا بالنظام العام للدولة الإسلامية، حيث يجب أن تسود دعوى الإسلام، مظهرا من مظاهر الإقرار بسلطة الدولة الإسلامية وسيادتها، ويكون الإسلام، بالنسبة الى من دخل فيه من الكفار والمشركين، مظهرا من مظاهر الإيمان بعقيدة الإسلام.

4 - لا ينتقص من سمو الدين الإسلامي وأخلاقياته أن تكون العقيدة العسكرية المنبثقة عنه هجومية في الأساس، فما أرسل الله نبيه إلا رسولا للعالمين، وما كانت الدعوة الإسلامية لتتقوقع داخل حدود الجزيرة العربية، طالما أنها أتت لتكون دعوة إنسانية وشمولية، ولكن المسلمين حافظوا، في جميع مراحل فتوحهم، على أخلاقية في السلوك العسكري في ممارسة الحرب ندر أن عرفها سواهم من الفاتحين.

5 ـ لم يكن المسلمون ليتحملون هزيمة واحدة داخل حدود الجزيرة العربية إذا ما حُوصروا من أعدائهم الرابضين على حدودهم (الروم والفرس)، لذا كان عليهم أن ينقلوا الحرب الى ديار الإعداء، وبالفعل، لم يخض للحرب من مبرر، أما إذا لم تؤد هذه العلاقات الى غايتها المرجوة أصبح القتال أمرا لازما، بل واجبا دينيا على المسلمين. وإذا كان المسلمون قد لجئوا الى أسلوب الهجوم في القتال، في سعيهم لحماية الدعوة الإسلامية والذود عنها ونشرها، فذلك لأنهم كانوا ملزمين بالدفاع عنها ضد مختلف صفوف الأعداء الذين واجهوها، منذ بدئها، سواء في الجزيرة العربية أو خارجها، كما كانوا ملزمين بتنفيذ أوامر الله عز وجل في أن يؤدوا المهمة التي انتدبهم الله لها وهي: الجهاد في سبيله ونشر دينه في أصقاع الأرض قاطبة وفي الأمم كافة، ولم يكن ذلك ممكنا إلا بالوسائل الهجومية، سلما كانت هذه الوسائل أو حربا. من كل ما تقدم، نرى أن العقيدة العسكرية الإسلامية هي عقيدة ذات طابع هجومي، وقد جمع الإسلام، في القرآن والحديث والسنة، بين النظرية والتطبيق، في تحديد هذه العقيدة العسكرية وفي ممارستها، ولم يتوان الخلفاء، بعد النبي والقادة العسكريون في مختلف معارك الفتوح، عن الإستمرار في تطبيق هذه العقيدة القتالية، حتى تمكنوا، بفضلها، من تحقيق أعظم الإنتصارات في تاريخ الأمم. (انتهى).

يتضح مما سبق بما لا يدع مجالا للشك بأن الإسلام انتشر عن طريق السيف وليس عن طريق الجدال بالموعظة الحسنة وعدم الإكراه في الدين كما يتشدق مروجوه .. أكثر من هذا إن كل الآيات الداعية الى التسامح وخلافه قد نزلت أثناء الحقبة المكية وهي التي كان المسلمون فيها مستضعفين لا حول لهم ولا قوة. أما بعد الهجرة الى المدينة واللجوء الى السيف اشتد بأس المسلمين ونزلت الآيات الناسخة وأشهرها آية السيف في سورة التوبة التي نسخت كل الآيات الداعية للتسامح من أمثال لا إكراه في الدين وغيرها.

65 ـ سماحـة الإسلام

يقول القرآن في سورة محمد " فلا تهنوا وتدعوا الى السلم وأنتم الأعلون". (محمد: 35)

والمعنى واضح وهو المسالمة في وقت الضعف والقتل والذبح في وقت القوة. وهذا يفسر موقف النبي من أهل الكتاب عندما كان ضعيفا في مكة وبعدما إشتد عوده وأنشأ جيشا في المدينة، هذا ما تناوله الدكتور سيد محمود القمني ـ ضمن ما تناوله ـ في كتابه " الأسطورة والتراث" ننقل عنه هنا بعض السطور:

د ـ السيف والقرآن المدني:

جاء في صفحة 272 - 273:

فالمعلوم أن موقف الإسلام من المسيحية كان في البداية موقفا مهادنا يؤكد حرية الإعتقاد وأن في الإنجيل هدى ونور وإن القرآن جاء يصادق على ما سبق وورد فيه وأن الله رفع أصحابه فوق الكافرين الى يوم القيامة لأسباب ظرفية واضحة في حاجة المسلمين الى دار هجرة لدى نجاشي الحبشة المسيحية وحيث رددت شفاه المسلمين هناك الآيات عن المسيح وأمه، فكان أن أحسن استقبالهم ووصلهم بالود والرحمة. كذلك الحال في الموقف من اليهودية واليهود، فقد كانت يثرب دار هجرة للمسلمين، بينما كانت معقلا كبيرا ليهود الجزيرة، وكانت (المصلحة) تستدعي أن تسبق المسلمين، المهاجرين الى يثرب، آيات تردد ذكر أنبياء بني إسرائيل وقصص العهد القديم. والإقرار بأن فضلهم على العالمين، وأن توراتهم فيها هدى ونورا، وعليهم الحكم بما جاء فيها، وكان أول عمل سياسي هام قام به المصطفى (ص) عند وصوله يثرب هو عقد الصحيفة التي كفلت حرية الإعتقاد لأهل المدينة جميعا، وكان من أهم نصوصها " هذا كتاب محمد النبي، بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب ومن تبعهم، أن اليهود يتفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين .. وأن لليهود دينهم وللمسلمين دينهم .. وأن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة .."، بل وأشترع للمسلمين صوم الغفران اليهودي، بل والتوجه في الصلاة وجهة اليهود (بيت المقدس) ولكن الظرف لم يستمر على حاله، مما أدى الى إلغاء الصوم العبري واستبداله بصوم رمضان العربي، كما ألغيت كعبة بيت المقدس واستبدلت بكعبة مكة، ثم أخذ كل من النبي (ص) واليهود يكتشفون اختلاف توجهاتهم، ثم يكتشفون اختلافات عميقة، بين ما في يدي اليهود من التوراة، وبين ما يتلوه رسول الله (ص) ، وهنا اتخذ الأمر وجهة أخرى، خاصة بعد غزوة بدر الكبرى، التي مكنت المسلمين من العتاد والسلاح والقوة المادية والمعنوية، حيث يكشف لنا الوحي عن سبب اختلاف القرآن عن التوراة الأصلية ومن هنا حق قتالهم لتبديلهم آيات الله " وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله"، بعد أن أصبح " الدين عند الله الإسلام". وكان نفس الموقف من المسيحية اليعقوبية بعد انتفاء الحاجة للحبشة ونجاشيها، وكان لا بد أن يقول الوحي كلمته إزاء العقائد المسيحية وهو الأمر الذي ينطبق على الموقف من أهل مكة، حيث بدأت الآيات الحكيمة في مكة زاخرة بما يلائم حال الضعف التي كان عليها المسلمون وسط أكثرية معادية، فقررت حرية الإعتقاد وأنه لا إكراه في الدين، والأمر موكول الى الله يوم القيامة، أما بعد الهجرة من مكة الى المدينة، وبعد وقعة بدر الكبرى والتحول من حال الضعف الى حال القوة، أتت الآيات الناسخة تبطل حرية الإعتقاد، وتأمر بقتال غير المسلمين وقتلهم، وهو الأمرالذي لحظه الإمام السيوطي وجلة الأجلاء من علماء، لكنهم أدرجوه في باب المنسأ وهو ما عبرت عنه الآيات بجلاء { فأعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره} (انتهى).

واضح من كلام د. سيد القمني أن " سماحة الإسلام" قد نسخها سيف الإسلام. وهذا ليس إفتراء من الدكتور فإن آيات القرآن نفسها تؤكد ذلك كما جاء في كتاب " الناسخ والمنسوخ " لأبي جعفر النحاس والذي قدم له وكيل الجامع الأزهر د. شعبان محمد إسماعيل.

وسأورد هنا معظم آيات التسامح والتي يرى المفسرون أنها نسخت حسب كتاب النحاس وأرجو أن تعزروني للإطالة:

*ـ قوله (تعالى):" وقولوا للناس حسنا الآية: منسوخة في حق المشركين بآية السيف: " فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم" الآية. وقال محمد بن علي بن الحسين بن الإمام علي (رضي الله عنهم أجمعين) وعطاء بن أبي رباح: هي محكمة. ومعنى حسنا: قولوا أن محمدا رسول الله. وقال عطاء: قولوا لهم ما تحبون أن يقال لكم.

*ـ قوله (تعالى):" فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره" أصل العفو الترك والمحو والصفح الإعراض والتجاوز، نسخ بقوله (تعالى):" قاتلوا الذين لا يؤمنون" الى قوله " وهم صاغرون"، وأمر الله القتل والسبي لبني قريظة والجلاء والنفي لبني النضير، قال المحققون: إن مثل هذا لا يسمى منسوخا لأن الله جعل العفو والصفح مؤقتا بغاية وهو إتيان أمره بالقتال، ولو كان غير مؤقت بغاية لجاز أن يكون منسوخا.

*ـ قوله (تعالى):" وقاتلوا في سبيل الله الذي يقاتلونكم ولا تعتدوا، إن الله لا يحب المعتدين": منسوخة بقوله (تعالى):" فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه"، وبقوله (تعالى):" وقاتلوا المشركين كافة".

*ـ قوله (تعالى):" يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه": منسوخة بآية السيف:" فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم"، في كل زمان ومكان.

*ـ قوله (تعالى):" لا إكراه في الدين": منسوخة بآية السيف.

*ـ قوله (تعالى):" وإن تولوا فإنما عليك البلاغ ": منسوخ بآية السيف. قلت: وينبغي أن يكون مثله قوله (تعالى):" فإن تولو فإن الله لا يحب الكافرين"، إذ جواب الشرط محذوف أي: فأعرضوا عنهم.

*ـ قوله (تعالى):" ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظا "، وقوله:" فأعرض عنهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا "، وقوله:" إلا الذين يصلون الى قوم بينكم وبينهم ميثاق ": منسوخة بآية السيف.

*ـ قوله (تعالى):" ستجدون آخرين يريدون أن يأمنوكم ويأمنوا قومهم": منسوخة بآية السيف، وهم أسد وغطفان وقيل: بنوا عبد الدار.

*ـ قوله (تعالى):" قل لست عليكم بوكيل"، أي: بمسلط ألزمكم بالإسلام أو بريب، وقوله:" وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا وغرتهم الحياة الدنيا" وهم اليهود والنصارى، وقوله (تعالى):" قل لله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون". وقوله:" فمن أبصر فلنفسه ومن عمى فعليها وما أنا عليكم بحفيظ": منسوخة بآية السيف، وقوله:" وأعرض عن المشركين"، وقوله:" ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله"، وقوله (تعالى):" فذرهم وما يفترون "، وقوله:" قل يا قوم اعملوا على مكانتكم إني عامل فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار"، وقوله:" إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء" أي: فرقا" لست منهم في شيء" أي من قتالهم: كلها منسوخة بآية السيف.

*ـ قوله (تعالى):" خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين"، هذه الآية من عجيب القرآن أولها وآخرها منسوخ ووسطها محكم. وقوله:" خذ العفو" أي: الفضل من أموالهم تقدم أنه منسوخ بآية الزكاة، " وأمر بالعرف" أي المعروف محكم،" وأعرض عن الجاهلين": منسوخ بآية السيف.

*ـ قوله (تعالى):" وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون": منسوخة بقوله (تعالى):" قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم " الآية.

*ـ قوله (تعالى):" قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وإن يعودوا فقد مضت سنة الأولين": منسوخة بقوله (تعالى):" وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة" أي: شرك.

*ـ قوله (تعالى):" وإن جنحو للسلم فاجنح لها": منسوخة عند جماعة بآية السيف.

*ـ قوله (تعالى):" فانتظروا إني معكم من المنتظرين "، وقوله:" وما أنا عليكم بوكيل": منسوخة بآية السيف، وقوله:" واصبر حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين".

*ـ وقوله (تعالى):" وإن كذبوك فقل لي عملي ولكم عملكم أنتم بريئون مما أعمل وأنا برئ مما تعملون"، كلها منسوخة بآية السيف.

*ـ وقوله (تعالى):" إنما أنت نذير"، وقوله:" وانتظر إنا منتظرون" منسوخة بآية السيف.

*ـ قوله (تعالى):" فإنما عليك البلاغ": منسوخة بآية السيف.

*ـ قوله (تعالى):" ذرهم يأكلون ويتمتعوا ويلههم الأمل فسوف يعلمون"،

*ـ وقوله (تعالى):" فاصفح الصفح الجميل"، أي: أعف عن المشركين، وقوله:" لا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجا منهم ولا تحزن عليهم واخفض جناحك للمؤمنين"،

*ـ وقوله (تعالى):" واعرض عن المشركين"، أي: اكفف عن حربهم ولا تبال بهم: كلها منسوخة بآية السيف.

*ـ وقوله (تعالى):" وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين": منسوخة بآية السيف.

*ـ قوله (تعالى):" وما أرسلناك عليهم وكيلا: منسوخة بآية السيف.

*ـ قوله (تعالى):" وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضى الأمر وهم في غفلة وهم لا يؤمنون"، وقوله:" قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدا"، وقوله:" فلا تعجل عليهم إنما نعد لهم عدا"، أي: بطلب عقوبتهم وتعجيل عذابهم: كلها منسوخة بآية السيف.

*ـ قوله (تعالى):" فاصبر على ما يقولون"، أي: من الشتم والتكذيب، وقوله:" قل كل متربص فتربصوا فستعلمون من أصحاب الصراط السوي ومن اهتدى": منسوختان بآية السيف.

*ـ قوله (تعالى):" الله يحكم بينكم يوم القيامة فيما كنتم فيه تختلفون": منسوخة بآية السيف، وقيل: محكمة.

*ـ قوله (تعالى):" وجاهدوا في الله حق جهاده": منسوخة بقوله:" أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا" الآية، قالوا: نسخت هذه الآية نيفا وسبعين آية.

*ـ سورة المؤمنون: وفيها من المنسوخ آيتان منسوختان بآية السيف: قوله (تعالى):" فذرهم في غمرتهم حتى حين"، وقوله (تعالى):" ادفع بالتي هي أحسن السئة نحن أعلم بما يصفون".

*ـ قوله (تعالى):" وأن أتلوا القرآن فمن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضل فقل إنما أنا من المنذرين": منسوخة بآية السيف.

*ـ قوله (تعالى):" ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم"، منسوخة بقوله (تعالى):" قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر" الى قوله (تعالى):" وهم صاغرون".

*ـ قوله (تعالى):" قل إنما الآيات عند الله وإنما أنا نذير مبين": منسوخة بآية السيف.

*ـ قوله (تعالى):" فاصبر إن وعد الله حق": منسوخة بآية السيف.

*ـ قوله (تعالى):" فأعرض عنهم وانتظر إنهم منتظرون": منسوخة بآية السيف.

آية: " ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع أذاهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا": منسوخة بآية السيف.

*ـ (تعالى):" إن أنت إلا نذير"، منسوخ معناها بآية السيف، إذ المعنى ليس عليك شيء سوى الإنذار.

*ـ فيها من المنسوخ آية: قوله (تعالى):" فتول عنهم حتى حين"، قال ابن عباس: يعني الموت، فعلى هذا تكون الآية منسوخة، قال مقاتل: نسختها آية القتال، وقال السدي:" فتول عنهم" أي: حتى تؤمر بالقتال فعلى هذا تكون الآية محكمة.

*ـ قوله (تعالى):" إن الله يحكم بينهم في ما هم فيه يختلفون"، وقوله:" قل يا قوم اعملوا على مكانتكم إني عامل فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم، أنا أنزلنا عليك الكتاب للناس بالحق فمن اهتدى فلنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها وما أنت عليهم بوكيل"، وقوله:" قل اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك"، وقوله:" فاعبدوا ما شئتم من دونه، قل إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة، ألا ذلك هو الخسران المبين": كلها منسوخة بآية السيف.

*ـ قوله (تعالى):" لست عليهم بمسيطر" أي: بمسلط لتكرههم على الإيمان ونسخت بآية السيف.

*ـ قوله (تعالى):" لكم دينكم ولي دين" منسوخ بآية السيف.

ما هي آية السيف هذه التي فعلت الأفاعيل، لقد نسخت آية السيف حسب كثير من المفسرين والعلماء مائة وأربع وعشرين آية والعجيب أنها نسخت بعد ذلك ولكن ليس بالعودة الى السلم ولكن بإختيار المن أو الفداء (المال)، ونص آية السيف هو " فإذا انسلخ الأشهر الحرم فإقتلوا المشركين حيث وجدتموهم" [التوبة: 5].

ويقول النحاس في كتابه تلخيص الناسخ والمنسوخ:

وفي تفسير الجلالين للآية: (فإذا انسلخ) خرج (الأشهر الحرم) وهي آخر مدة التأجيل (فإقتلوا المشركين حيث وجدتموهم) في حل أو حرم (وخذوهم) بالأسر (واحصروهم) في القلاع والحصون حتى يضطروا الى القتل أو الإسلام.
ويقول عنها ابن كثير: { فإذا انسلخ الأشهر الحرام فإقتلوا المشركين حيث وجدتموهم} الآية، رواه العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما. وقاله قتادة والضحاك والسدي وابن جريج وقال الآخرون وهم الأكثرون: ليست بمنسوخة، ثم قال بعضهم: إنما الإمام مخير بين المن على الأسير ومفاداته فقط، ولا يجوز له قتله. وقال آخرون منهم: بل له أن يقتله إن شاء لحديث قتل النبي (ص) النضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط من أساري بدر. وقال ثمامة بن أثال لرسول الله (ص) حين قال له: ما عندك يا ثمامة؟ فقال إن تقتل تقتل ذا دم، وإن تمنن تمنن على شاكر، وإن كنت تريد المال فإسأل تعط منه ما شئت. وزاد الشافعي رحمة الله عليه فقال: الإمام مخير بين قتله أو المن عليه أو مفاداته أو استرقاقه أيضا. وكل الآيات التي يوردها دعاة أن الإسلام يقبل الآخر ويقول في حرية المعتقد يتفق المفسرون على أنها منسوخة بهذه الآية، فهذه هي كلمة الإسلام الأخيرة حول اختلاف العقائد، الجزيرة للمسلمين فقط، العرب لا يقبل منهم جزية، إما الإسلام أو السيف، وغيرهم إما الإسلام أو السيف أو الإتاوة المسماة بالجزية، ومن يدعي أن هذه الإتاوة ضريبة حماية نسأله: ألم يصالح المسلمون بلدانا مستقلة على الجزيرة؟ إن التسامح في الإسلام كان عن ضعف فما جاء إلا اتقاء أذى بإعلانه أنه من دعاة السلام، وما إن مُكِن لمحمد في الأرض حتى صار موقف الإسلام من حرية العقيدة واضح، فهو يرى أن الوفود إليه صلاح للبلاد والعباد، وأن الخروج عليه ردة وفتنة يجب أن تتقى، ولا يرى الآخر نهائيا، ويعتبره عدو يريد به شرا دائما، ولا يحترمه أو ينظر له بنفس نظرته للمسلم، ويستحل قتله أو أخذ إتاوة منه.

66 ـ الجهاد فى سبيل الله

المرغبات فى الجهاد:

كان محمد يرغب المسلمين في القتال والجهاد في سبيل الله بأمرين: أحدهما غائب، والآخر حاضر، وإن شئت فقل أحدهما معنوي والآخر مادي، أما المعنوي فهو الجنة ونعيمها الخالد المقيم. والمفهوم من الأحاديث النبوية، إنه ليس هناك طريق يؤدي الى الجنة تأدية مضمونه بكل سلامة واطمئنان سوى الشهادة، وهي أن يموت المرء قتيلا في سبيل الله، فلذا كانت الشهادة أكبر مرغب في القتال.

وإليك بعض ما روي من الأحاديث في هذا الباب. قال: إن للشهيد عند الله خصالا: أن يغفر له من أول دفعة من دمه، ويرى مقعده من الجنة، ويحلى حلية الإيمان، ويزوج من الحور العين، ويجار من عذاب القبر، ويأمن من الفزع الأكبر، ويوضع على رأسه تاج الوقار، الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها، ويزوج اثنتين وسبعين من الحور العين، ويشفع في سبعين إنسانا من أقاربه (23).

وقال لجابر بن عبد الله وقد استشهد أبوه (24): ألا أخبرك ما قال الله لأبيك؟ قال: بلى، قال: ما كلم الله أحدا إلا من وراء حجاب وكلم أباك كفاحا (أي وجاها)، فقال: يا عبدي تمن عليّ أعطك، قال: يا رب أحيني فأقتل فيك ثانية قال: إنه سبق مني أنهم إليها لا يرجعون، قال: يا رب فأبلغ من ورائي. فانزل إليه:" ولا تحسين الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون (25).

وجاء مثل هذا في رواية أخرى أنه قال: يخاطب أصحابه بعد غزاة أحد: لما أصيب إخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم من أجواف طير خضر ترد أنهار الجنة، وتأكل من ثمارها، وتأوي الى قناديل من ذهب في ظل العرش، فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم وحسن منقلبهم قالوا: يا ليت أخواننا يعلمون ما صنع الله لنا لئلا يزهدوا في الجهاد، ولا يتكلموا عن الحرب، فقال الله: أنا أبلغهم عنكم. فأنزل الله على رسوله:" ولا تحسبن الذين قتلوا ..." الآية (26).

وفي المسند أيضا: أفضل الشهداء الذين يلقوا في الصف لا يلفتون وجوههم حتى يقتلوا، أولئك يتلبطون (أي يضطجعون) في الغرف العلى من الجنة، ويضحك إليهم ربك، وإذا ضحك ربك الى عبد في الدنيا فلا حساب عليه. والأحاديث في هذا كثيرة فمن أرادها ليرجع الى كتب الحديث.

أم حارثة بن قيس الأنصاري جاءت الى النبي بعدما قتل ابنها يوم بدر وهو غلام، فقالت: يا رسول الله، حدثني عن حارثة، فإن يكن في الجنة لم أبك عليه ولكن أحزن، وإن يكن في النار بكيت ما عشت في دار الدنيا. وفي رواية: إن يكن في الجنة صبرت وإن يكن غير ذلك اجتهدت عليه في البكاء، فقال لها: يا أم حارثة، أنها ليست بجنة ولكنها جنات، وحارثة في الفردوس الأعلى، فرجعت وهي تضحك وتقول بخ بخ لك يا حارثة (27).

ما أورده صاحب السيرة الحلبية في غزوة بدر، وقال: ثم خرج رسول الله من العريش الى الناس فحضهم وقال: والذي نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابرا محتسبا مقبلا غير مدبر إلا أدخله الله الجنة، فقال عمير ابن الحمام (بضم الحاء المهملة وتخفيف الميم) وبيده ثمرات يأكلهن: بخ بخ ما بين وبين أن أدخل الجنة إلا أن يقتلني هؤلاء، ثم قذف الثمرات من يده، وأخذ سيفه فقاتل القوم حتى قتل (28).

وقال عوف بن الحارث بن عفراء: يا رسول الله، ما يضحك الرب من عبده؟ (أي ما يرضيه غاية الرضا) قال: غمسه يده في العدو حاسرا (أي لا درع له ولا مغفر)، فنزع درعا كانت عليه فقذفها ثم أخذ سيفه فقاتل حتى قتل.

وأما المادي: فهو الغنائم والسبايا، ومن المعلوم أن العرب في جاهليتهم كانوا يغتنمون الأموال ويستبون النساء والرجال في حروبهم.

فأقر محمد هذه العادة في الإسلام، وأحل لجيوشه الغنائم، وجعل ذلك من خصائصه التي اختص بها دون من كان قبله من الأنبياء، كما جاء في ذلك أنه قال:" أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي: أرسلت للناس كلهم عامة، ونصرت بالرعب، وأحلت لي الغنائم، وجعلت لي الأرض مسجدا، والتراب طهورا" (29).

فكان يرغب أصحابه في الغزو بالغنيمة كما قال لعمرو بن العاص لما أرسله في غزوة ذات السلاسل؛ فمن عمرو بن العاص قال: بعث اليّ رسول الله فأمرني أن آخذ ثيابي وسلاحي، وقال: يا عمرو، إني أريد أن أبعثك على جيش فيغنمك الله ويسلمك، فقلت: إني لم أسلم رغبة في المال، قال: نعم المال الصالح للرجل الصالح (30).

ولما خرج الى تبوك وتجهز الناس قال للجد بن قيس: يا جد، هل لك في جلاد بني الأصفر، وفي لفظ: يا أبا قيس، هل لك أن تخرج معنا لعلك تحقب (أي تردف خلفك) من بنات بني الأصفر؟ فقال: يا رسول الله، أو تأذن لي (أي في التخلف) ولا تفتني، فوالله لقد عرف قومي أنه ما من رجل أشد عجبا بالنساء مني، وإني أخشى إن رأيت نساء بني الأصفر أن لا أصبر، فأعرض عنه رسول الله وقال له: أذنت له: فأنزل الله تعالى:" ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتني" الآية (31).

وفي رواية أخرى أنه قال: اغزوا تبوك تغنموا بنات بني الأصفر نساء الروم. فقال قوم من المنافقين: ائذن لنا ولا تفتنا، فأنزل الآية:" ألا في الفتنة سقطوا" (32).

فكانت الغنائم من حوافزهم الى الغزو، ومن مرغباتهم في الخروج للقتال. حتى أن حبيب بن يساف الخزرجي، خرج مع المسلمين في غزوة بدر وهو مشرك غير مسلم طمعا في الغنيمة، ففرح المسلمون بخروجه، إلا أن رسول

الله لم يقبله، وقال له: ارجع فإنا لا نستعين بمشرك، فراجع رسول الله وتكررت منه المراجعة، فأبى رسول الله أن يخرج معهم إلا إذا أسلم، فأسلم ومضى معه (33). ولا ريب أن إسلامه لم يكن إلا لأجل الغنيمة.

ولا يخفى أن الغنيمة وإن كانت ترغبهم في الخروج الى الحرب إلا أنها ليست من المرغبات التي تجعلهم يصدقون في القتال كالجنة. فإن الجنة لا تنال إلا بالشهادة التي هي الموت بالقتل في صدمة الحرب، فهي لذلك تجعلهم يصدقون في حملتهم على العدو ويصلون معمعان الحرب مستقتلين. وليست كذلك الغنيمة، فإنها تحصل بدون ذلك، فلذا كان محمد يكره أن يراهم إذا خرجوا طامعين في الغنيمة فقط، ويسره منهم أن لا يخرجوا إلا راغبين في الجهاد، كما قال ذلك يوم خيبر، فإنه لما رجع من الحديبية وخرج الى خيبر في أول سنة سبع، جاء الذين كانوا قد تخلفوا عنه في غزوة الحديبية يريدون الخروج معه رجاء الغنيمة، فقال له: لا تخرجوا معي إلا راغبين في الجهاد فأما الغنيمة فلا. ثم مر مناديا ينادي بذلك فنادى.

أما تقسيم الغنائم بينهم فإليك ما جاء عن ذلك في زاد المعاد لإبن القيم قال: وكان إذا ظفر بعدوه أمر مناديا فجمع الغنائم كلها، فبدأ بالأسلاب فأعطاها لأهلها (سيأتي الكلام في الأسلاب قريبا)، ثم أخرج خمس الباقي فوضعه حيث أمر الله به من مصالح الإسلام، ثم يرضخ من الباقي لمن لا سهم له من النساء والصبيان والعبيد، ثم قسم الباقي بالسوية بين الجيش للفارس ثلاثة أسهم، سهم له وسهمان لفرسه، وللراجل سهم. قال: وكان يسوي بين الضعيف والقوي في القسمة ما عدا النفل، وكان إذا أغار في أرض العدو بعث سرية بين يديه، فما غنمت، أخرج خمسه ونفلها ربع الباقي، وقسم الباقي بينها وبين سائر الجيش، قال: وكان له سهم من الغنيمة يدعى الصفى، إن شاء عبدا وإن شاء آمة، وإن شاء فرسا يختاره قبل الخمس (34).

قال: وكانوا يستأجرون الأجراء للغزو على نوعين، أحدهما أن يخرج الرجل ويستأجر من يخدمه في سفره، والثاني أن يستأجر من ماله من يخرج في الجهاد، ويسمون ذلك الجعائل، وفيها قال النبي: للغازي أجره وأجر الغازي. وكانوا يتشاركون في الغنيمة على نوعين أيضا، أحدهما شركة الأبدان، والثاني أن يدفع الرجل بعيره الى الرجل أو فرسه فيغزو عليه على النصف مما يغنم، حتى ربما اقتسما السهم فأصاب أحدهما قدحه والآخر نصله وريشه، قال: وكان لا يسهم لمن قدم من المدد بعد الفتح (35)، انتهى.

أما السبايا من الرجال والنساء فكانت كأموال الغنائم تقسم على الجيش أيضا من ضمن تقسيم الأموال. فتكون السبايا ملكا لهم إن شاءوا استرقوهم، وإن شاءوا كاتبوهم، وإن شاءوا أخذوا فداءهم إذا افتداهم أهلوهم.

وربما وقعت المرأة في سهم رجلين منهم، فتكون ملكا للإثنين كما وقع ذلك في غزوة بني المصطلق، قال الحلبي في سياق حديث هذه الغزوة: وأمر رسول الله بالأسارى فكتفوا، واستعمل عليهم بريدة، ثم فرق السبي فصار في أيدي الناس، ووقعت برة بنت الحارث في سهم ثابت بن قيس وابن عم له، فجعل ثابت لابن عمه نخلات له بالمدينة من حصته من برة، وكاتبها على تسع أوراق من ذهب (36).

قال: فدخلت (أي برة) على رسول الله، فقالت: يا رسول الله، إني إمرأة مسلمة (أي لأنها أسلمت) لإني أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله، وأني برة بنت الحارث سيد قومه، أصابنا من الأمر ما قد علمت، ووقعت في سهم ثابت بن قيس وابن عم له، وخلصني ثابت من ابن عمه بنخلات في المدينة وكاتبني على ما لا طاقة لي به، وإن رجوتك فأعني في مكاتبتي، فقال رسول الله: أو خير من ذلك، قالت: ما هو؟ قال: أؤدي عنك كتابتك وأتزوجك، قالت: نعم يا رسول الله، بأبي أنت، فأدى رسول الله ما كان كاتبها عليه، واعتقها وتزوجها وهي ابنة عشرين سنة، وسماها جويرية. ويذكر أن عليا هو الذي أسرها، قال: ولا مانع أن يكون على أسرها ثم وقعت في سهم ثابت وابن عمه عند القسمة، لأنه لم يثبت في هذه الغزوة أن النبي جعل الأسرى لمن أسرهم كما وقع في بدر.

قال: وعن عائشة قالت: كانت جويرية امرأة حلوة، لا يكاد يراها أحد إلا أخذت بنفسه، فبينما النبي عندي ونحن على الماء (أي الذي هو المريسيع) إذ دخلت جويرية تسأله في كتاب، فوالله ما هو إلا ان رأيتها، فكرهت دخولها على النبي، وعرفت أن سيرى منها مثل الذي رأيت. فقالت: يا رسول الله، إني إمرأة مسلمة. الحديث. قالوا: إنما كرهت عائشة دخولها على النبي لما جبلت عليه النساء من الغيرة (37).

ويفهم من قصة برة أو جويرية أن السبايا إذا أسلموا لا ينجيهم من الرق، بل يبقون ملكا لمن سباهم، وهذا عجيب جدا، لأنهم إنما قوتلوا وسبوا لأجل الإسلام، فإذا أسلموا يلزم أن يكونوا أحرار كغيرهم من المسلمين. وكانوا يطأون النساء والسبايا إن شاءوا لأنهن ملك أيمانهم، ففي السيرة الحلبية: قال: روى الشيخان، عن أبي سعيد الخدري أنه قال: غزونا مع رسول الله غزوة بني المصطلق فسبينا كرائم العرب واقتسمناها وملكناها، فطالت علينا العزبة، وفي لفظ: فأصبنا سبايا، وبنا شهوة للنساء واشتدت علينا العزوبة، وأحببنا الفداء، وأردنا أن نستمتع ونعزل (العزل هو الإنزال خارج الفرج) وقلنا نعزل ورسول الله بين أظهرنا! فسألناه عن ذلك، فقال: لا عليكم أ لا تفعلوا، ما كتب الله خلق نسمة هي كائنة الى يوم القيامة. أي ما عليكم حرج في عدم فعل العزل أي في الإنزال من الفرج، لأن العزل هو الإنزال خارج الفرج بأن يجامع حتى إذا قارب الإنزال نزع فأنزل خارج الفرج، وقوله: فإن الله قد كتب من هو خالق الى يوم القيامة، أي أعزلتم أم لا فلا فائدة من عزلكم لأن الماء قد يسبق العزل الى الرحم فيجيئ الولد وقد ينزل في الفرج ولا يجيء الولد.

روى مسلم في صحيحه عن أبي سعيد الخدري: إن رسول الله بعث جيشا الى أوطاس فلقي عدوا فقاتلوهم فظهروا عليهم، وأصابوا سبايا، وكان ناس من أصحاب رسول الله تحرجوا من غشيانهن من أجل أزواجهن من المشركين، فأنزل الله عز وجل في ذلك:" والمحصنات من النساء إلا ما ملكت أيمانكم (38) أي فهن لكم حلال إذا انقضت عدتهن.

قال: فتضمن هذا الحكم إباحة وطء المسبية وإن كان لها زوج من الكفار، وهذا يدل على محل حقه، وعلى رقبة زوجته، وصار سابيها أحق بها منه. الى آخر ما قال (39).

وقد تباع هذه السبايا صفقة واحدة كما يباع المتاع. كما وقع في غزوة بني قريظة، فإنهم بعدما ضربت أعناق رجالهم، وكانوا ستمائة وقيل: سبعمائة وخمسين، أرسلت نساؤهم وذراريهم الى نجد لبيعهم وشراء خيل وسلاح بثمنهم. قال الحلبي في سيرته: ثم بعث رسول الله سعد بن زيد الأنصاري بسبايا بني قريظة الى نجد، فابتاع لهم بهم خيلا وسلاحا، وقيل: بعث بجملة منهم لا بهم كلهم وكان عدد السبايا ألفا.

وقال ابن اسحاق: وكان رسول الله اصطفى لنفسه من نسائهم (أي نساء بني قريظة) ريحانة بنت عمرو بن خناقة، إحدى نساء بني عمرو بن قريظة، فكانت عند رسول الله حتى توفي عنها وهي في ملكه، فكانت من سراريه لا من أزواجه (40).

وبالنظر الى ما ذكرناه آنفا من تقسيم الغنائم نقلا عن ابن القيم، تكون الأسرى كسائر أموال الغنيمة في تقسيمها على الجيش بعد إخراج الخمس منها. ولكن هذا كان بعد غزوة بدر، فأما في غزوة بدر فإن النبي جعل الأسرى كالأسلاب، فكل من أسر أسيرا فهو له، وكل من قتل قتيلا فله سلبه، وإنما فعل ذلك تحريضا على القتال وترغيبا في أخذ أسلاب القتلى وفداء الأسرى. فعلى هذه تكون الغنيمة التي تقسم على الجيش ما بقي بعد إخراج الأسلاب وإخراج الأسرى.

ففي الكشاف للزمخشري، أن النبي شرط لمن كان له بلاء في ذلك اليوم (أي يوم بدر)، أن ينفله أي يعطيه زيادة على سهمه، قال فتسارع شبانهم حتى قتلوا سبعين، وأسروا سبعين، فلما يسر الله الفتح اختلفوا في ما بينهم وتنازعوا، فقال الشبان: نحن المقاتلون، وقال الشيوخ والوجوه الذي كانوا عند الرايات: نحن كنا ردا لكم وفئة تنحازون إليها أن انهزمتم. وقالوا لرسول الله: المغنم قليل والناس كثير، وأنك إن لم تعط هؤلاء ما شرطت لهم حرمت أصحابك (41).

ولم تكن إذ ذاك قاعدة متبعة في تقسيم الغنائم، رأى محمد أنه أمام مشكلة يجب حلها عاجلا لئلا يتسع الخلاف ويتمادى النزاع، فلم يجد لتلك المشكلة حلا سوى أن ينزع الغنائم من أيديهم ويجعلها لله ولرسوله، وحينئذ يكون الحكم فيها له وحده، وإذا كان الحكم له هان الأمر. فأنزل من السماء:" يسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله وللرسول فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين" (42). فبهذه الآية نزعها الله من أيديهم وجعلها لمحمد يضعها حيث يشاء. قال الحلبي في سيرته: فدلت الآية على أن الغنيمة لرسول الله خاصة ليس لأحد من المقاتلة شئ منها (43).

أما محمد فإنه، بعد ما صار الحكم إليه، لم يخرج عن الشرط الذي شرطه لمن كان له بلاء في ذلك اليوم، فجعل الأسرى لمن أسروهم، وجعل أسلاب القتلى لمن قتلوهم، وقسم الباقي على المسلمين بالسوية، وكان سهمه كسهم واحد منهم، إلا أنه تنفل زيادة على سهمه سيفه ذا الفقار، وكان لمنبه بن الحجاج، وقيل: لإبنه العاص، وتنفل أيضا زيادة على سهمه جمل أبي جهل وكان مهريا (44)، لأن محمد كان له الصفى، وهو يصطفيه ويختار لنفسه من الغنيمة قبل القسمة، كما تقدم ذكره.

ومن هذا أي من جعل محمد سهمه من الغنيمة كسهم واحد منهم، يتضح لنا جليا أنه لما نزع الغنائم من أيديهم وجعلها له وحده بحكم الآية، لم يقصد بذلك أن يأخذ الغنيمة وحده ويستأثر بها دونهم، وإنما قصد إرضاءهم بما يعطيهم منها، إذ لا يخفى أنها إذا كانت ملكا له وحده بحكم الآية النازلة من السماء، كان له الحق أن يتصرف فيها كما يشاء، وأن يعطي منها ما يشاء لمن يشاء، وحينئذ يرضون بما يعطونه منها، ويكون عندهم كعطية من عطاياه لا كغنيمة لهم فيها حق. وفي هذا ما فيه من الدلالة على حزمه وتحوطه في الأمور وحسن تدبيره في حل المشكلات.

ولا ريب أن آية الأنفال لم تكن إلا تدبيرا مؤقتا لحسم النزاع، لأن جعل الغنائم لرسول الله يعطيها من يشاء، كيفما يشاء، ربما يؤدي الى التقول من بعض ضعفة الإيمان. فالأحوط هو أن يوضع لتقسيم الغنائم حكم عام يكون معمولا به في كل وقت حتى يرضى كل واحد بنصيبه، ولا يتكرر الخلاف والنزاع. فلا بد إذن من آية تنسخ آية الأنفال.

فنسخت بأية تقسيم الغنائم:" واعلموا أن ما غنمتم من شئ فإن لله خمسه وللرسول ولذي القربى والأيامي والمساكين وابن السبيل" (45). فكان الحكم في تقسيمها هكذا: تقسم الغنائم ـ (بعد الصفى الذي يختاره رسول الله لنفسه) ـ الى خمسة أقسام: أربعة منها للمقاتلة، وواحد وهو الخمس؛ يقسم الى خمسة أقسام أيضا، فالقسم الأول وهو خمس الخمس لرسول الله يفعل فيه ما أحب، والثاني لذوي القربى وهم بنو هاشم وبنو المطلب، والثالث لليتامى، والرابع للمساكين، والخامس لابن السبيل. ومما كان محمد يرغب به المسلمين في القتال زيادة على الغنيمة الأسلاب، فكان يقول لأصحابه إذا دخلوا في الحرب: من قتل قتيلا فله سلبه؛ وسلب القتيل هو ما عليه من ثياب وسلاح. فلم يجعل الأسلاب من الغنيمة ولذلك لم يخمسها بل حكم بسلب كل قتيل لقاتله واكتفى فيه بشاهد واحد من دون يمين وقد قتل أبو طلحة الأنصاري يوم حنين عشرين قتيلا فأخذ أسلابهم كلها.

وقد ادعى بعضهم أنه لم يقل من قتل قتيلا فله سلبه إلا يوم حنين. وهذا غير صحيح، بل الصحيح ما قاله آخرون من أنه قال ذلك وفعله قبل حنين بستة أعوام، وقد ذكر البخاري في صحيحه: إن معاذ بن عمرو بن الجموح ومعاذ بن عفراء الأنصاريين، ضربا أبا جهل بن هشام يوم بدر بسيفيهما حتى قتلاه، فانصرفا الى رسول الله فأخبراه فقال: أيكما قتله؟ فقال كل واحد منهم: أنا قتلته، فقال هل مسحتما سيفكما؟ قالا: لا، فنظر الى السيفين فقال: كلاكما قتله، وسلبه لمعاذ بن عمرو بن الجموع. قال بعضهم: إنما قضى بسلبته لمعاذ بن الجموح لأنه أثخنه والآخر جرحه بعده، وإنما قال: كلاكما قتله ملاطفة للثاني وتطبيبا لقلبه. قال ابن القيم: وهذا يدل على أن كون السلب للقاتل أمر مقرر معلوم من أول الأمر، وإنما تجدد يوم حنين للإعلام العام وللمنادة به لا شرعيته (46).

ويفهم مما تقدم أن الجنة من المرغبات العامة، لأنها تصلح للترغيب في الإسلام وفي القتال، بخلاف الغنيمة فإنها لا تصلح إلا للترغيب في القتال، ولما كان محمد بمكة قبل أن يهاجر الى المدينة، لم تكن الغنيمة من المرغبات، لأن الحرب لم تكن مشروعة بمكة، وحيث لم تكن الحرب لم تكن الغنيمة، ولكنه كان يرغب في الإسلام بالماديات أيضا كما رغب قومه في الإسلام بأن يكونوا ملوكا للعرب والعجم، إذ قال لهم لما اجتمعوا له في بيت عمه أبي طالب:" أعطوني كلمة تملكون بها العرب وتدين لكم العجم" (47).

المراجـــع

(1) السيرة الحلبية، 75/2.
(2) السيرة الحلبية، 128/2.
(3) السيرة الحلبية، 128/2
(4) سورة البقرة: 130/2.
(5) سورة البقرة: 143.
(6) زاد المعاد في هدى خير العباد، ج 1.
(7) زاد المعاد جزء 1 تحويل القبلة.
(8) السيرة الحلبية، 128/2 ـ 129.
(9) سورة البقرة: 144.
(10) السيرة الحلبية، 2: 130- 131.
(11) السيرة الحلبية، 128/2.
(12) الحج: 39 ـ 40.
(13) البقرة: 190.
(14) السيرة الحلبية، 58/2.
(15) مسند أحمد، 4869، 5409.
(16) صحيح البخاري كتاب الإيمان حديث رقم 20، كتاب الجهاد حديث رقم 2727، صحيح مسلم كتاب الإيمان حديث رقم 30 و 31.
(17) ابن هشام، 595/2.
(18) ابن هشام، 591/2.
(19) المصدر السابق.
(20) ابن هشام، 706/2.
(21) ابن هشام، 662/2.
(22) السيرة الحلبية، 71/3.
(23) سنن الترمذي 1586، سنن ابن ماجة 2789.
(24) سنن ابن ماجة 2790.
(25) آل عمران: 169.
(26) مسند أحمد، 2267.
(27) السيرة الحلبية، 162/2.
(28) السيرة الحلبية، 166/2.
(29) صحيح البخاري 323 و 419، صحيح مسلم 810، مسند أحمد 2644، سنن النسائي 429.
(30) السيرة الحلبية، 191/2.
(31) التوبة: 49.
(32) السيرة الحلبية، 132/3.
(33) السيرة الحلبية، 148/2.
(34) زاد المعاد 216/3.
(35) السيرة الحلبية، 280/2.
(36) المصدر السابق.
(37) المصدر السابق.
(38) سورة النساء: 24.
(39) زاد المعاد 12/4 ـ 13
(40) ابن هشام، 346/2.
(41) الكشاف ـ تفسير سورة الأنفال الآية 1.
(42) سورة الأنفال: 10.
(43) السيرة الحلبية، 184/2.
(44) السيرة الحلبية، 185/2.
(45) سورة الأنفال، 10.
(46) زاد المعاد، 218/3.
(47) السيرة الحلبية 304/1.

67- سر كثرة أحاديث أبي هريرة

في كتابه الشهير " أضواء على السنة المحمدية"
يتناول الأستاذ محمد أبو رية أحاديث أبي هريرة الكثيرة فيقول:

كان أبو هريرة صريحا صادقا في الإبانة عن سبب صحبته للنبي (ص)، كما كان صريحا صادقا في الكشف عن حقيقة نشأته. فلم يقل إنه صاحبه للمحبة والهداية ـ كما كان يصاحبه غيره من سائر المسلمين ـ وإنما قال: " إنه قد صاحبه على ملء بطنه". ففي حديث رواه أحمد والشيخان عن سفيان عن الزهري عن عبد الرحمن الأعرج قال:" سمعت أبا هريرة يقول: إني كنا أمرأ مسكينا أصحب رسول الله على ملء بطني".

وفي رواية لمسلم: كنت رجلا مسكينا أخدم رسول الله على ملء بطني. وفي رواية له أيضا: وكنت ألزم رسول الله على ملء بطني.

وسجل التاريخ أنه كان أكولا نهما، يطعم كل يوم في بيت النبي، أو في بيت أحد أصحابه، حتى كان بعضهم ينفر منه.

ومما رواه البخاري عنه أنه قال: كنت أستقرئ الرجل الآية وهي معي كي ينقلب بي فيطعمنى ـ وكان خير الناس للمساكين جعفر بن أبي طالب، كان ينقلب بنا فيطعمنا ما كان في بيته، وروى الترمذي عنه: وكنت إذا سألت جعفر عن آية لم يجبني حتى يذهب الى منزله. ومن أجل ذلك كان جعفر هذا في رأي أبي هريرة أفضل الصحابة جميعا، فقدمه علي أبي بكر وعمر وعلي وعثمان وغيرهم من كبار الصحابة رضى الله عنهم جميعا.

فقد أخرج الترمذي والحاكم بإسناد صحيح عن أبي هريرة: ما احتذى النعال ولا ركب المطايا، ولا وطئ التراب، بعد رسول الله أفضل من جعفر بن أبي طالب.

كثرة أحـاديثه:

أجمع رجال الحديث على أن أبا هريرة كان أكثر الصحابة حديثا عن رسول الله**!** على حين أنه لم يصاحب النبي إلا عاما وتسعة أشهر**!**

وقد قال هو عن نفسه ـ كما روى البخاري ـ ما من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أحد أكثر حديثا منى، إلا ما كان من عبد الله بن عمرو فقد كان يكتب ولا أكتب.

قال ابن حجر في الفتح: ثبت أن أبا هريرة لم يكن يكتب ـ [ص167ج 2 فتح الباري]. وكذلك لم يحفظ القرآن.

ولو بحثنا عن كل ما رواه ابن عمرو هذا لوجدناه 700 حديث عند ابن الجوزي وفي مسند أحمد 722 روى البخاري منها سبعة ومسلم 20، وقد أفزعت كثرة رواية أبي هريرة عمر بن الخطاب فضربه بالدرة وقال له: أكثرت يا أبا هريرة من الرواية، وأحر بك أن تكون كاذبا على رسول الله. ثم هدده وأوعده إن لم يترك الحديث عن رسول الله فإنه ينفيه الى بلاده.

وقد أخرج ابن عساكر من حديث السائب بن يزيد: لتتركن الحديث عن رسول الله أو لألحقنك بأرض دوس.

ومن أجل ذلك كثرت أحاديثه بعد وفاة عمر وذهاب الدرة، إذ أصبح لا يخشى أحدا بعده. ومن قوله في ذلك: إني أحدثكم بأحاديث لو حدثت بها زمن عمر لضربني بالدرة ـ وفي رواية لشج رأسي ـ وعن الزهري عن أبي سلمة: سمعت أبا هريرة يقول: ما كنا نستطيع أن نقول قال رسول الله حتى قبض عمر**!** ثم يقول:

أفكنت محدثكم بهذه الأحاديث وعمر حي؟ أما والله إذن لأيقنت أن المخففة ستباشر ظهري.

كيف سوغ كثرة الرواية!

كان أبو هريرة يسوغ كثرة الرواية عن النبي (ص) بأنه ما دام لا يحل حراما ولا يحرم حلالا، فإنه لا بأس من أن يروى، وقد أيد صنيعه هذا بأحاديث رفعها الى النبي، ومنها ما رواه الطبراني في الكبير عن أبي هريرة أن رسول الله قال:" إذا لم تحلوا حراما ولم تحرموا حلالا وأصبتم المعنى فلا بأس".

وقال أيضا إنه سمع النبي يقول:" من حدث حديثا هو لله عز وجل رضا فأنا قلته وإن لم أكن قلته". روى ذلك ابن عساكر في تاريخه.

وأخرج الطحاوي عن أبي هريرة:" إذا حدثتم عني حديثا تعرفونه ولا تنكرونه فصدقوا به، قلته أم لم أقله، فإني أقول ما يعرف ولا ينكر، وإذا حدثتم عني حديثا تنكرونه ولا تعرفونه فكذبوا به، فإني لا أقول ما ينكر ولا يعرف". [الموافقات للشاطبي ص 23 ج2].

تدليسـه:

ذكر علماء الحديث أن أبا هريرة كان يدلس ـ والتدليس كما عرفوه أن يروى عمن لقيه ما لم يسمعه منه أو عمن عاصره ولم يلقه، موهما أنه سمعه منه.

وقال زيد بن هارون: سمعت شعبة يقول: أبو هريرة كان يدلس ـ أي يروى ما سمعه من كعب وما سمعه من رسول الله، ولا يميز هذا من هذا ـ ذكره ابن عساكر ـ وكأن شعبة يشير بهذا الى حديث " من أصبح جنبا فلا صيام له"؛ فإنه لما حوقق عليه قال: أخبرنيه مخبر ولم أسمعه من رسول الله. [البداية والنهاية لإبن كثير ج8 ص 109].

وقال ابن قتيبة في [تأويل مختلف الحديث]: (ص50) وكان أبو هريرة يقول، قال رسول الله (ص) كذا وإنما سمعه من الثقة عنده فحكاه.

أول راوية اتهم في الإسلام:

قال ابن قتيبة في تأويل مختلف الحديث:" إنه لما أتى أبو هريرة من الرواية عنه صلى الله عليه وسلم ما لم يأت بمثله من صحبه من جلة أصحابه والسابقين الأولين أتهموه وأنكروا عليه وقالوا: كيف سمعت هذا وحدك؟ ومن سمعه معك؟ وكانت عائشة رضي الله عنها أشدهم إنكارا عليه لتطاول الأيام بها وبه" وممن إتهم أبا هريرة بالكذب، عمر وعثمان وعلي وغيرهم وبذلك كان ـ كما قال الكاتب الإسلامي الكبير مصطفى صادق الرافعي ـ [أول راوية اتهم في الإسلام].

ولما قالت له عائشة: إنك لتحدث حديثا ما سمعته من النبي صلى الله عليه وسلم أجابها بجواب لا أدب فيه ولا وقار، إذ قال لها ـ كما رواه ابن سعد والبخاري وابن كثير وغيرهم: شغلك عنه صلى الله عليه وسلم المرآة والمكحلة! وفي رواية ـ ما كانت تشغلني عنه المكحلة والخضاب، ولكن أرى ذلك شغلك!!.

على أنه لم يلبث أن عاد فشهد بأنها أعلم منه، وأن المرآة والمكحلة لم يشغلاها، ذلك أنه لما روى حديث " من أصبح جنبا فلا صوم عليه" أنكرت عليه عائشة هذا الحديث فقالت: إن رسول الله كان يدركه الفجر وهو جنب من غير احتلام فيغتسل ويصوم، وبعثت إليه بأن لا يحدث بهذا الحديث عن رسول الله، فلم يسعه إزاء ذلك إلا الإذعان. وقال: إنها أعلم مني، وأنا لم أسمعه من النبي، وإنما سمعته من الفضل بن العباس ـ فاستشهد ميتا وأوهم الناس أنه سمع الحديث من رسول الله (ص) كما قال ابن قتيبة في تأويل مختلف الحديث.

وكان علي رضي الله عنه سيئ الرأي فيه، وقال عنه: ألا إنه أكذب ـ أو قال: أكذب الأحياء على رسول الله لأبو هريرة. ولما سمع أنه يقول: حدثني خليلي! قال له: متى كان النبي خليلك؟.[شرح نهج البلاغة ج1ص 360].

كان أبو هريرة عندما يريد شيئا يضع له حديثا:

روى ابن عمر أن رسول الله أمر بقتل الكلاب إلا كلب ماشية أو كلب صيد فقيل لابن عمر: إن أبا هريرة يقول: أو كلب زرع! أي أنه زاد من عنده ـ أو كلب زرع، فقال ابن عمر: إن لأبي هريرة زرعا (1)! أي أن أبا هريرة قد جاء بهذه الزيادة لأن له زرعا!.

ما رواه كبار الصحابة:

أبو هريرة روى عن رسول الله 5374 روى البخاري منها 446 على حين أنه لم يصاحب النبي (ص) إلا عاما وبضعة أشهر ـ وبقى أن تعرف مقدار ما رواه الذين سبقوه بالإيمان وكانوا أدنى منه الى رسول الله وأعلم بالدين وأبعد في الفضل والجهاد من المهاجرين والأنصار وغيرهم وقضوا مع الرسول سنين طويلة ـ لنرى كم روى كبارهم من أحاديث رسول الله.

ما رواه أبو بكر:

فهذا أبو بكر أول الرجال إسلاما بعد علي، وشيخ الصحابة جميعا وقضى مع النبي ما قضى بمكة والمدينة وكان نسابة العرب، ترى كم من حديث رواه؟

قال النووي في تهذيبه: روى الصديق عن النبي 142 حديثا، أورد السيوطي منها في تاريخ الخلفاء 104 وله في البخاري 22 حديثا.

ما رواه عمر:

أسلم سنة ست وظل مع النبي الى آخر حياته (ص) ومن قوله: كنت وجارا من الأنصار نتناوب النزول على رسول الله، ينزل يوما، وأنزل يوما، فإذا نزلت جئته بخبر ذلك اليوم من الوحي وغيره، وإذا نزل فعل مثل ذلك ـ وبرغم ذلك كله لم يصح عنه إلا حَوَالي خمسين حديثا كما أثبت ذلك ابن حزم.

ما رواه علي:

أول من أسلم وتربي في حجر النبي وعاش تحت كنفه من قبل البعثة وظل معه الى أن انتقل النبي الى الرفيق الأعلى لم يفارقه لا في سفر ولا في حضر وهو ابن عمه وزوج إبنته فاطمة الزهراء، شهد المشاهد كلها سوى تبوك فقد استخلفه النبي فيها على المدينة فقال: يا رسول الله، أتخلفني في النساء والصبيان؟ فقال رسول الله: أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى؟ إلا أنه لا نبي بعدي.

هذا الإمام الذي لا يكاد يضارعه أحد من الصحابة جميعا في العلم ـ قد أسندوا له كما روى السيوطي 58 حديثا، وقال ابن جزم: لم يصح منها إلا خمسون حديثا لم يرو البخاري ومسلم منها إلا نحوا من عشرين حديثا.

ما رواه عثمان:

أما عثمان فقد روى البخاري له تسعة أحاديث ومسلم خمسة.

ما رواه بقية كبار الصحابة:

الزبير بن العوام روى له البخاري تسعة أحاديث ومسلم حديث.

طلحة بن عبيد الله روى له البخاري أربعة أحاديث.

عبد الرحمن بن عوف روى له البخاري تسعة أحاديث.

أبي بن كعب له في الكتب الستة ستون حديثا ونيف.

زيد بن ثابت روى له البخاري ثمانية أحاديث، واتفق الشيخان على خمسة.

سلمان الفارسي أخرج له البخاري 4 أحاديث ومسلم ثلاثة ... الخ.

وقد ثبت أن كثيرا من الصحابة لم يرووا عن النبي شيئا، منهم سعيد بن زيد ابن نفيل أحد العشرة وأبي بن عمارة ... الخ.

أمثلة من أحاديث أبو هريرة:

" أصبت بثلاث مصيبات في الإسلام! لم أصب بمثلهن! موت رسول الله وكنت صويحبه، وقتل عثمان (طبعا)، والمزود. قالوا: وما المذود يا أبا هريرة؟ قال: كنا مع رسول الله في سفر (أي سفر يا مولانا) فقال: يا أبا هريرة، أمعك شيء؟ قلت: تمر في مزود، قال: جيء به، فأخرجت تمرا قال: فمسه ودعا فيه، ثم قال: ادع عشرة، فأكلوا حتى شبعوا، ثم كذلك حتى أكل الجيش كله (يا سلام!) وبقي من تمر معي في المزود: أي جيش كان ذلك؟ وفي أية غزوة؟ـ وهل كان معلقا في الصفة؟ وهل أخذه معه في البحرين؟ وإذا كان يطعم من المزود حياة النبي وخلفائه الثلاثة، فلم كان يركب الصعب في سبيل طعامه، ويستقريء الناس الآيات وهي معه ليطعموه أو يحرموه؟.

فقال يا أبا هريرة: إذا أردت أن تأخذ منه شيئا فأدخل يدك ولا تكفه، قال: فأكلت منه حياة النبي، وأكلت منه حياة أبي بكر كلها، وأكلت منه حياة عمر كلها، وأكلت منه حياة عثمان كلها فلما قتل عثمان (2) انتهب ما في يدي! وانتهب المزود! ألا أخبركم كم أكلت منه؟ أكلت منه أكثر من مائتي وسق!.

وإذا كان قد ذكر في هذا الحديث أن مزوده كان فيه تمر، وأن النبي قد طلب منه ومسّهُ ثم أطعم منه الجيش، فإنه قد قال في رواية أخرى جاءت في مسند أحمد وإسنادها جيد: أعطاني رسول الله شيئا من تمر فجعلته (مكتل) (3) لا مزود ـ فعلقناه في (سقف البيت) (4) فلم نزل نأكل منه حتى كان آخره، أصابه أهل الشام حيث أغاروا على المدينة ـ يعني جيش بسر بن أرطاة الذي بعثه معاوية لينكل بأهل المدينة ومكة ـ وما دام جند معاوية هم الذين أغاروا على هذا المزود فيكن عوضه من معاوية، وقد كان، فعوضه عنه بالشيء الكثير!.

وإذا كانت رواية أحمد هذه تدل على أن أبا هريرة قد علق المزود في سقف البيت ـ فإن رواية الذهبي في [سير الأعلام] تدل على أن المزود كان معلقا (بحقوه) (أي معقد إزاره) وهاك رواي الذهبي:

قال أبو هريرة: أتيت رسول الله (ص) بتمرات فقلت: ادع لي فيهن يا رسول الله بالبركة، ثم قال: خذهن فاجعلهن في (مزود) فإذا أردت منهن فأدخل يدك فخذ، ولا تنثرهن نثرا، قال: فحملت من ذلك التمر كذا وكذا (5) وسقا في سبيل الله، وكنا نأكل ونطعم، وكان المزود معلقا بحقوي.

الله يقرأ : طه ويس:

أسند الدارمي عن أبي هريرة أن رسول الله قال:" إن الله تبارك وتعالى قرأ طه ويس قبل أن يخلق السموات والأرض بألفي عام"!

مانع الزكاة يوم القيامة:

مانع الزكاة يوم القيامة يطوق بشجاع أقرع له زبيبتان يوم القيامة ـ متفق عليه.

كيف يحشر الناس يوم القيامة؟

يحشر الناس يوم القيامة على ثلاثة أثلاث! ثلث على الدواب، وثلث على وجوههم، وثلث على أقدامهم ينسلون ـ رواه البيهقي.

أحاديث متناقضة!

في سنن أبي داود عن أبي هريرة عن النبي (ص) أنه قال: ما من رجل يسلم عليّ إلا ردّ الله عليّ روحي، حتى أرد عليه السلام!

هذا مع ما في النسائي وغيره عنه أن النبي قال: إن الله وكل بقبري ملائكته يبلغوني عن أُمتي السلام!

وفي سنن أبي داود وغيره عنه أنه قال: أكثروا من الصلاة عليّ يوم الجمعة، وليلة الجمعة، فإن صلاتكم معروضة عليّ، فقالوا: يا رسول الله كيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت؟ فقال:" إن الله حرم على الأرض أن تأكل لحوم الأنبياء".

وروى الحاكم في المستدرك والطبراني ـ ورجاله رجال الصحيح ـ عن أبي هريرة: أن النبي قال: إن الله أذن لي أن أحدث عن ديك رجلاه في الأرض وعنقه مثبته تحت العرش وهو يقول: سبحانك ما أعظم شأنك!.

روى البزار عن أبي هريرة أن النبي قال: إن الشمس والقمر ثوران في النار يوم القيامة!

فقال الحسن: وما ذنبهما؟ فقال: أحدثك عن رسول الله وتقول ما ذنبهما؟

روى الإمام أحمد عن أبي هريرة أن رسول الله قال:

إن في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام،

روى البخاري عن أبي هريرة قال رسول الله: اشتكت النار الى ربها فقال: أكل بعضي بعضا، فأذن لها بنفسين، نفس في الشتاء، ونفس في الصيف، فأشد ما تجدون في الحر وأشد ما تجدون من الزمهرير.

وروى أبو هريرة أن رسول الله قال: النيل وسيحان وجيحان والفرات من أنهار الجنة؛

وروى الترمذي في جامعه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله: العجوة من الجنة وفيها شفاء من السم.

وفي رواية بزيادة: والكمأة من المن وماؤها شفاء العين!

وروى مسلم عن أبي هريرة: أخذ رسول الله بيدي! فقال: خلق الله التربة يوم السبت، وخلق فيها الجبال يوم الأحد! وخلق الشجر يوم الإثنين! وخلق المكروه يوم الثلاثاء وخلق النور يوم الأربعاء! وبث فيها الدواب يوم الخميس! وخلق آدم عليه السلام بعد العصر من يوم الجمعة في آخر الخلق من آنخر ساعة من ساعات الجمعة فيما بين العصر الى الليل. وقد روى هذا الحديث كذلك أحمد والنسائي عن أبي هريرة!!

ومن العجيب أن أبا هريرة قد صرح في هذا الحديث (بسماعه) من النبي (ص) وأنه قد أخذ بيده حين حدثه به.

روى البيهقي عنه أنه لما دخل دار عثمان وهو محصور، استأذن في الكلام ولما أذن له قال: إني سمعت رسول الله يقول، إنكم ستلقون بعدي فتنة واختلافا، فقال له قائل من الناس فمن لنا يا رسول الله؟.. أوما تأمرنا؟ فقال: عليكم بالأمين وأصحابه، وهو يشير الى عثمان، وقد أورده أحمد بسند جيد.

ولما نسخ عثمان المصاحف دخل عليه أبو هريرة فقال: أصبت ووفقت! أشهد لسمعت رسول الله يقول: إن أشد أمتي حبا لي، قوم يأتون من بعدي يؤمنون ولم يروني، يعملون بما جاء في الورق المعلق .. حتى رأيت المصاحف. قال فأعجب ذلك عثمان، وأمر لأبي هريرة بعشرة آلاف.

وهذا الحديث من غرائبه، وهو ينطق ولا ريب بأنه ابن ساعته.

ومما وضعه في معاوية ما أخرجه الخطيب عنه: ناول النبي (ص) معاوية سهما فقال: خذ هذا السهم حتى تلقاني به في الجنة.

وأخرج ابن عساكر وابن عدي والخطيب البغدادي عنه: سمعت رسول الله يقول: إن الله ائتمن على وحيه ثلاثة: أنا وجبريل ومعاوية، وفي رواية أخرى عن أبي هريرة مرفوعا: الأمناء ثلاثة، جبريل وأنا ومعاوية.

ونظر (أبو هريرة) الى عائشة بنت طلحة وكانت مشهورة بالجمال الفائق ـ فقال: سبحان الله، ما أحسن ما غذاك أهلك! والله ما رأيت وجها أحسن منك إلا وجه معاوية على منبر رسول الله.

روى البخاري (6) وغيره عنه أنه قال: إنكم تقولون إن أبا هريرة يكثر الحديث عن رسول الله، ويقولون: ما با المهاجرين والأنصار لا يحدثون عن رسول الله بمثل حديث أبي هريرة، وإن إخوتي من المهاجرين كان يشغلهم الصفق بالأسواق ـ وكنت ألزم رسول الله على ملء بطني، فأشهد إذا غابوا وأحفظ إذا نسوا، وكان يشغل إخوتي من الأنصار عمل أموالهم، وكنت امرا مسكينا من مساكين الصفة أعي حين ينسون. وقد قال رسول الله في حديث يحدثه: إنه لن يبسط أحد ثوبه حتى أقضي مقالتي هذه ثم يجمع إليه ثوبه إلا وعي ما أقول، فبسطت نمرة (7) علي حتى إذا قضى رسول الله مقالته جمعتها الى صدري، فما نسيت من مقالة رسول الله تلك من شيء.

يذكر أبو هريرة في هذا الحديث أنه هو الذي بسط نمرته، ولكن الذهبي يروي عنه حديثا يدل على أن النبي هو الذي نزع نمرة أبي هريرة من على ظهره، وبسطها بينه وبين أبي هريرة!

وهاك ما قاله الذهبي (8) من حديث سعد بن أبي هند عن أبي هريرة، أن رسول الله قال:

ألا تسألني من هذه الغنائم التي يسألني أصحابك؟ قلت أسألك أن تعلمني مما علمك الله، فنزع نمرة (9) كانت على ظهري فبسطها بيني وبينه حتى كأني أنظر الى العمل يدب عليها (أعوذ بالله) فحدثني حتى استوعبت حديثه قال: اجمعها فصُرها إليك فأصبحت لا أسقطت حرفا مما حدثني.

وعن المقبري عن أبي هريرة قال: قلت لرسول الله، إني سمعت منك حديثا كثيرا ـ فأنساه ـ فقال: أبسط (رداءك) فبسطته فغرف بيديه فيه، ثم قال: ضمه، فضممته فما نسيت حديثا بعده (10).

الهـوامــش

(1) نص رواية أبي هريرة: من اتخذ كلبا إلا كلب ماشية أو صيد انتقص من أجره قيراط كل يوم. وهذا الحديث رواه مسلم في صحيحه.
(2) هنا السر وقد ذكر مصيبته في عثمان ليشايع بها الأمويين ...
(3) المتكل بكسر الميم الزنبيل وهو ما يعمل من من الخوص يحمل في التمر وغيره.
(4) يروي هنا أن المزود كان معلقا في " سقف البيت" ولم يكن له بيت، بل كان مقامه في الصفة.
(5) قدر هذه الكذكذه بمائتي وسق ـ والوسق حمل بعير.
(6) ص 231 ج 4 فتح الباري.
(7) ص 275 ج 13 من فتح الباري" فبسطت بردة كانت علي" وفي الرواية التي ستأتيك أن النبي قال له: أبسط رداءك.
(8) ص 429 ج 2 سير أعلام النبلاء,
(9) النمرة شملة فيها خطوط بيض وسود.
(10) ص 56 ج 4 ق 2 طبقات ابن سعد.

68 ـ عصمة الأنبياء

داود النبي نموذجا

يحاول هذا البحث الوصول الى إجابة السؤال التالي:ـ هل يقر القرآن بوقوع النبي داود في خطيئة الزنا أم لا؟

وللإجابة على هذا السؤال سوف نتناول الآيات الواردة في القرآن والتي ذكرت قصة داود بالبحث والتحليل، والآيات موضوع الدراسة موجودة في سورة "ص" وبالتحديد من الآية 21 الى الآية 26 حيث تقول الآيات:ـ (وهَل أتاكَ نبأ الخصم إذ تسوَرُوا المِحراب {21} إذ دخلوا على داوودَ ففزع مِنهُم قالوا لا تخف خصمان بغى بعضُنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط واهدنا الى سواء الصراط {22} إن هذا أخي لهُ تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة فقال أكفلنيها وعزني في الخطاب {23} قال لقد ظلمك بسُؤال نعجتك الى نعاجه وإن كثيرا من الخلطاء ليبغي بعضهُم على بعض إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هُم وظن داوود أنما فتناهُ فاستغفر ربهُ وخر راكعا وأناب. {24} فغفرنا لهُ ذلك وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب {25} يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيُضلك عن سبيل الله إن الذين يضلون عن سبيل الله لهُم عذاب شديد بما نسُوا يوم الحساب {26}.

ولنرجع الى المصادر الإسلامية في تفسير القرآن:

أولا: تفسير الجلالين:ـ { وهل} معنى الإستفهام هنا التعجب والتشويق الى استماع ما بعده { أتاك} يا محمد { نبأ الخصم إذ تسوروا المحراب} محراب داود أي مسجده حيث منعوا الدخول عليه من الباب لشغله بالعبادة أي خبرهم وقصتهم { إذ دخلوا على داود ففزع منهم قالوا لا تخف} نحن { خصمان} قيل فريقان ليطابق ما قبله من ضمير الجمع وقيل اثنان والضمير بمعناها والخصم يطلق على الواحد وأكثر وهما ملكان جاءا في الصورة خصمين وقع لهما ما ذكر على سبيل الفرد لتنبيه داود عليه السلام على ما وقع منه وكان له تسع وتسعون إمرأة وطلب إمرأة شخص ليس له غيرها وتزوجها ودخل بها { بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط} تجر { واهدنا} أرشدنا { الى سواء الصراط} وسط الطريق الصواب { إن هذا أخي} أي على ديني { له تسع وتسعون نعجة} يعبر بها عن المرأة { ولي نعجة واحدة فقال أكفلنيها} أي اجعلني كافلها { وعزني} غلبني { في الخطاب} أي الجدال وأقره الآخر على ذلك { قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك} ليضمها { الى نعاجه وإن كثيرا من الخلطاء} الشركاء { ليبغي بعضهم على بعض إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم} ما لتأكيد القلة فقال الملكان صاعدين في صورتيهما الى السماء قضى الرجل على نفسه فتنبه داود قال تعالى { وظن} أي أيقن { داود أنما فتناه} أوقعناه في فتنة أي بلية بمحبته تلك المرأة { فإستغفر ربه وخر راكعا} ساجدا { وأناب} { فغفرنا له ذلك وإن له عندنا لزلفى} أي زيادة خير في الدنيا { وحسن مآب} مرجع في الآخرة { يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض} تدبر أمر الناس { فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى} أي هوى النفس { فيضلك عن سبيل الله} عن الدلائل الدالة على توحيده { إن الذين يضلون عن سبيل الله} عن الإيمان بالله { لهم عذاب شديد بما نسوا} بنسيانهم { يوم الحساب} المرتب عليه تركهم الإيمان ولو أيقنوا بيوم الحساب لآمنوا في الدنيا.

نتيجة 1: هذا تفسير الجلالين ذكر قصة اشتهاء داود لزوجة غيره:

ثانيا زبدة التفاسير:ـ (وهل أتاك نبأ الخصم إذ تسوروا المحراب) بعث الله الى داود ملكين لينبهه على التوبة، أتياه من أعلى سوره، ونزلوا إليه في محرابه حيث يصلي. عن ابن عباس أن داود رأى إمرأة أوريا تغتسل فأعجبته فقدم زوجها في الحرب حتى قتل فلما انقضت عدتها خطبها داود وتزوجها. فتسور عليه الملكان المحراب، وكان شأنهما ما قص الله في كتابه، وخر داود ساجدا فغفر الله له وتاب عليه. وبعض العلماء ينكر هذه القصة في حق إمرأة أوريا، ويقول: لم يكونا ملكين، بل كانا بشرين اختصما في النعاج حقيقة. (إذ دخلوا على داود ففزع منهم) دخلوا عليه بغير إذنه، ولم يدخلا من الباب الذي يدخل منه الناس (ولا تشطط) أي لا تجُر في حكمك (واهدنا الى سواء الصراط) أرشدنا الى الحق، واحملنا عليه، ثم قال أحدهما: (إن هذا أخي له تسع وتسعون نعجة) النعجة الأنثى من الضأن، وقد يقال لبقر الوحش نعجة (ولي نعجة واحدة) والعرب تكنى عن المرأة بها، وتشبه النساء بالنعاج من البقر (فقال أكفلنيها) أي أعطني نعجتك حتى أضمها الى نعاجي وتكون كفلي ونصيبي (وعزني في الخطاب) أي غلبني (قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه) حكم ببطلان ما سمعه من طلب صاحب النعاج التسع والتسعون أن يضم إليه النعجة الواحدة التي مع صاحبه ولم يكن معه غيرها. قال النحاس: ويقال: إن خطيئة داود هي قوله: (لقد ظلمك) لأنه قال ذلك قبل أن يتثبت فربما كان صاحب النعجة الواحدة هو الظالم (وإن كثيرا من الخلطاء) وهم الشركاء في المال. (ليبغي بعضهم على بعض) يظلمه غير مراع لحقه (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) فإنهم يتحامون ذلك، ولا يظلمون خليطا ولا غيره (وقليل ما هم) أي: وقليل هم (وظن داود أنما فتناه) أيقن أننا ابتليناه، علم عند ذلك أنه هو المراد، وأن مقصودهما التعريض به وبصاحبه الذي أراد أن يحتال عليه حتى يتزوج إمرأته. وقيل: استغفر ربه من أنه حكم بين الخصمين في النعاج قبل أن يسمع بينة الخصم الآخر وكان الحق له (فاستغفر ربه) لذنبه (وخر راكعا) أي: ساجدا، وعبر بالركوع عن السجود (وأناب) أي: رجع الى الله بالتوبة من ذنبه، وذنب داود الذي استغفر له وتاب عنه، ما تقدم من أنه قدم زوج المرأة الواحدة في الحرب حتى قتل، فتزوجها هو، ونبهه الله على ذلك، وعرض له بإرسال ملائكته إليه حتى يستغفر لذنبه ويتوب منه، فاستغفر وتاب (فغفرنا له ذلك) أي ذلك النب الذي استغفر منه (وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب) الزلفي: القربة والكرامة بعد المغفرة لذنبه، وحسن المآب: حسن المرجع، وهو الجنة (يا داود إنا جعلناك خليفة) أي: وقلنا له: استخلفناك على الأرض، أو جعلناك خليفة لمن قبلك من الأنبياء، لتأمر

بالمعروف، وتنهي عن المنكر (فاحكم بين الناس بالحق) أي: بالعدل الذي هو حكم الله بين عباده (ولا تتبع الهوى) في الحكم بين العباد (فيضلك عن سبيل الله) هو طرق الحق، أو طريق الجنة (بما نسوا يوم الحساب) أي: بسبب تركهم العمل لذلك اليوم، ومنه القضاء بالعدل.

نتيجة 2: وهذه أقوال زبدة التفاسير ذكرت قصة داود واشتهائه للمرأة المتزوجة وقصة استحمامها في البحيرة، الى جانب أن داود قال (لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه) كقول آخر للعلماء وواضح جدا أن قصة اشتهاء داود للزوجة المرأة هي الغالبة على التفسير. وسوف يتضح لنا أي تفسير هو الذي رجح عند العلماء عندما نستعرض بقية التفاسير.

ثالثا: مختصر الطبري:ـ { نبأ الخصم}: خبر الخصم. و "الخصم" في هذا الموضع: ملكان { إذ تسوروا المحراب} دخلوا من غير باب و"المحراب": مقدم كل بيت ومجلس. { ففزع منهم} لأنهم دخلا عليه ليلا، في غير وقت نظره بين الناس { قالوا لا تخف} لما رأياه قد ارتاع من دخولهما عليه من غير الباب { خصمان} بمعنى: نحن خصمان { بغى}: تعدَّى بغير حق { ولا تشطط} لا تمِل ولا تحِف { واهدنا}: احملنا على الحق وأرشدنا إليه { إن هذا أخي} يعني: على ديني { له تسع وتسعون نعجة} مثل ضربه الخصم المتسور على داود { فقال أكفلنيها} انزل لي عنها. وخل سبيلها، لأضمها اليَّ { وعزني في الخطاب}: صار أعز مني في مخاطبته إياي. { قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه ...} الى قوله: { وأناب} يقول داود: لقد ظلمك بسؤال نعجتك الواحدة الى التسع والتسعين من نعاجه { وإن كثيرا من الخلطاء}: من الشركاء { ليبغي}: ليتعدة { وقليل ما هم} بمعنى: وقليل هم. { وإن له عندنا لزلفى} لقربه منا يوم القيامة { وحسن مآب}: حسن منقلب. { إنا جعلناك خليفة في الأرض} استخلفناك حكما بين أهلها، من بعد من كان قبلك من رسلنا { ولا تتبع الهوى} في قضائك بينهم { فيضلك عن سبيل الله}: فتجور عن الحق، الذى هو سبيل الله.

نتيجة 3: تفسير الطبري أيضا رجح قصة اشتهاء داود لزوجة أوريا:

رابعا: تفسير القرطبي:ـ فيه أربع وعشرون مسألة:

الأولى: قوله تعالى: {وَهَل أتاكَ نبأ الخَصم إذ تسَورُوا المِحرابَ} " الخصم" يقع على الواحد والإثنين والجماعة لأن أصله المصدر. قال الشاعر:

وخصم غِضاب ينفضُونَ لِحاهُمُ كنفض البَراذين العِرابِ المَخَاليا

النحاس: ولا خلاف بين أهل التفسير أنه يراد به ها هنا ملكان. وقيل:" تسوروا" وإن كان اثنين حملا على الخصم، إذ كان يلفظ الجمع ومضارعا له، مثل الركب والصحب. تقديره للإثنين ذوا خصم وللجماعة ذوو خصم. ومعنى:" تسورُوا المِحراب" أتوه من أعلى سوره. يُقال: تسور الحائط تسلقه، والسور حائط المدينة وهو بغير همز، وكذلك السورُ جمع سورةٍ مثل بُسرةٍ وبُسر وهي كل منزلة من البناء. ومنه سورة القرآن لأنها منزلة بعد منزلة مقطوعة عن الأخرى. وقد مضى في مقدمة الكتاب بيان هذا. وقول النابغة:

ألم تر أن اللهَ أعطاكَ سُورةً ترى كل ملكٍ دونها يتذبذب

يريد شرفا ومنزلة. فأما السور بالهمز فهو بقية الطعام في الإناء. ابن العربي: والسور الوليمة بالفارسي. وفي الحديث: أن النبي (ص) قال يوم الأحزاب: " إن جابرا قد صنع لكم سورا محيلا بكم". والمحراب هنا الغرفة لأنهم تسوروا عليه فيها قاله يحيى بن سلام. وقال أبو عبيدة: إنه صدر المجلس، ومنه محراب المسجد. وقد مضى القول فيه في غير موضع. { إذ دخلوا على داوود} جاءت "إذ" مرتين لأنهما فعلان. وزعم الفراء: أن إحداهما بمعنى لما. وقول آخر أن تكون الثانية مع ما بعدها تبيينا لما قبلها. قيل: إنهما كانا إنسيين قاله النقاش. وقيل: ملكين قاله جماعة. وعينهما جماعة فقالوا: إنهما جبريل وميكائيل. وقيل: ملكين في صورة إنسيين بعثهما الله إليه في يوم عبادته. فمنعهما الحرس الدخول، فتسوروا المحراب عليه، فما شعر وهو في الصلاة إلا وهما بين يديه جالسين وهو قوله تعالى: { وهل أتاك نبأ الخصم إذ تسوروا المحراب} أي علوا ونزلوا عليه من فوق المحراب قاله سفيان الثوري وغيره. وسبب ذلك ما حكاه ابن عباس أن داود عليه السلام حدث نفسه إن ابتلى أن يعتصم. فقيل له: إنك ستبتلي وتعلم اليوم الذي تبتلي فيه فخذ حذرك. فأخذ الزبور ودخل المحراب ومنع من الدخول عليه، فبينا هو يقرأ الزبور إذ جاء طائر كأحسن ما يكون من الطير، فجعل يَدرُج بين يديه. فهم أن يتناوله بيده، فاستدرج حتى وقع في كوة المحراب، فدنا منه ليأخذه فطار، فاطلع ليبصره فأشرف على امرأة تغتسل، فلما رأته غطت جسدها بشعرها. قال السدي: فوقعت في قلبه. قال ابن عباس: وكان زوجها غازيا في سبيل الله وهو أوريا بن حنان، فكتب داود الى أمير الغزاة أن يجعل زوجها في حملة التابوت، وكان حملة التابوت إما أن يفتح الله عليهم أو يقتلوا، فقدمه فيهم فقتل، فلما انقضت عدتها خطبها داود، واشترطت عليه إن ولدت غلاما أن يكون الخليفة بعده، وكتبت عليه بذلك كتابا، وأشهدت عليه خمسين رجلا من بني إسرائيل، فلم تستقر نفسه حتى ولدت سليمان وشَبَ، وتسور الملكان وكان من شأنهما ما قص الله في كتابه. ذكره الماوردي وغيره. ولا يصح. قال ابن العربي: وهو أمثل ما روي في ذلك. قلت: ورواه مرفوعا بمعناه الترمذي الحكيم في " نوادر الأصول" عن يزيد الرقاشي، سمع أنس بن مالك يقول: سمعت رسول الله (ص) يقول:" إن داود النبي عليه السلام حين نظر الى المرأة فهم بها قطع على بني إسرائيل بعثا وأوصى صاحب البعث فقال: إذا حضر العدو قرب فلانا وسماه، قال فقربه بين يدي التابوت ـ قال ـ وكان ذلك التابوت في ذلك الزمان يُستنصر به فمن قدم بين يدي التابوت لم يرجع حتى يقتل أو ينهزم عنه الجيش الذي يقاتله فقدم فقتل زوج المرأة ونزل الملكان على داود فقصا عليه القصة". وقال سعيد عن قتادة: كتب الى زوجها وذلك في حصار عمان مدينة بلقاء أن يأخذوا بحلقة الباب، وفيه الموت الأحمر، فتقدم فقتل. وقال الثعلبي قال قوم من العلماء: إنما إمتحن الله داود بالخطيئة لأنه تمنى يوما على ربه منزلة إبراهيم وإسحاق ويعقوب، وسأله أن يمتحنه نحو ما إمتحنهم، ويعطيه نحو ما أعطاهم. وكان داود قد قسم الدهر ثلاثة أيام، يوم يقضي

فيه بين الناس، ويوم يخلو فيه بعبادة ربه، ويوم يخلو فيه بنسائه وأشغاله. وكان يجد فيما يقرأ من الكتب فضل إبراهيم وإسحاق ويعقوب. فقال : يا رب! إن الخير كله قد ذهب به آبائي فأوحى الله تعالى إليه: إنهم ابتلوا ببلايا لم يبتل بها غيرهم فصبروا عليها. ابتلى إبراهيم بنمرود وبالنار وبذبح ابنه، وابتلى إسحاق بالذبح، وابتلى يعقوب بالحزن على يوسف وذهاب بصره، ولم تبتل أنت بشيء من ذلك. فقال داود عليه السلام: فابتلني بمثل ما ابتليتهم، وأعطني مثل ما أعطيتهم، فأوحى الله تعالى إليه: إنك مُبتلى في شهر كذا في يوم الجمعة. فلما كان ذلك اليوم دخل محرابه، وأغلق بابه، وجعل يصلي ويقرأ الزبور. فبينما هو كذلك إذ مثل له الشيطان في صورة حمامة من ذهب، فيها من كل لون حسن، فوقف بين رجليه، فمد يده ليأخذها فيدفعها لابن له صغير، فطارت غير بعيد ولم تؤيسه من نفسها، فامتد إليها ليأخذها فتنحت، فتبعها فطارت حتى وقعت في كوة، فذهب ليأخذها فطارت ونظرُ داود يرتفع في إثرها ليبعث إليها من يأخذها، فنظر امرأة في بستان على شط بركة تغتسل قاله الكلبي. وقال السدي: تغتسل عريانة على سطح لها فرأى أجمل النساء خلقا، فأبصرت ظله فنفضت شعرها فغطى بدنها، فزاده إعجابا بها. وكان زوجها أوريا بن حنان، في غزوة مع أيوب بن صوريا ابن أخت داود، فكتب داود الى أيوب أن ابعث بأوريا الى مكان كذا وكذا، وقدمه قبل التابوت، وكان من قدم قبل التابوت لا يحل له أن يرجع وراءه حتى يفتح الله عليه أو يستشهد. فقدمه ففتح له فكتب الى داود يخبره بذلك. قال الكلبي: وكان أوريا سيف الله في أرضه في زمان داود، وكان إذا ضرب ضربة وكبر كبر جبريل عن يمينه وميكائيل عن شماله، وكبرت ملائكة السماء بتكبيرة حتى ينتهي ذلك الى العرش، فتكبر ملائكة العرش بتكبيره. قال: وكان سيوف الله ثلاثة كالب بن يوفنا في زمن موسى، وأوريا في زمن داود، وحمزة بن عبد المطلب في زمن رسول الله (ص). فلما كتب أيوب الى داود يخبره أن الله قد فتح على أوريا كتب داود إليه: أن ابعثه في بعث كذا وقدمه قبل التابوت ففتح الله عليه، فقتل في الثالثة شهيدا. فتزوج داود تلك المرأة حين انقضت عدتها. فهي أم سليمان بن داود. وقيل: سبب امتحان داود عليه السلام أن نفسه حدثته أنه يطيق قطع يوم بغير مقارفة شيء. قال الحسن: إن داود جزأ الدهر أربعة أجزاء جزءا لنسائه، وجزءا للعبادة، وجزءأ لبني إسرائيل يذاكرونه ويذاكرهم ويبكونه ويبكيهم، ويوما للقضاء. فتذاكروا هل يمر على الإنسان يوم لا يصيب فيه ذنبا؟ فأضمر داود أنه يطيق ذلك فأغلق الباب على نفسه يوم عبادته، وأمر ألا يدخل عليه أحد، وأكب على قراءنة الزبور، فوقعت حمامة من ذهب بين يديه. وذكر نحو ما تقدم.

يمضي القرطبي بعد ذلك في تناول الثلاثة وعشرين مسألة الأخرى ولكن بغية الإختصار سوف نوجز هنا نتيجة هذه المسائل:

خامسا: تفسير البيضاوي:

أقصى ما في هذه القصة الإشعار بأنه عليه الصلاة والسلام (داود) ود أن يكون له ما لغيره، وكان له أمثاله، فنبهه الله بهذه القصة، فاستغفر وأناب عنه، وما روي أن بصره وقع على امرأة فعشقها، وسعى حتى تزوجها، وولدت منه سليمان أن صح فلعله خطب مخطوبته أو استنزله عن زوجته، وكان ذلك معتادا فيما بينهم وقد واسى الأنصار المهاجرين بهذا المعنى، وما قيل أنه أرسل أوريا الى الجهاد مرارا وأمر أن يقدم حتى قتل فتزوجها داود هراءً وافتراء. نتيجة 7: واضح من تفسير البيضاوي اعتماده في تفسير الآية على قصة أوريا، لدرجة وصفه للزيجة بأنها كانت (هراء وافتراء).

خلاصة البحث:-

1 - أجمعت تفاسير العلماء المسلمين على تفسير قصة خطية داود بقصة أوريا...

2 - من أين استقوا تفسيرهم لقصة أوريا التي اجمعوا عليها؟: قصة أوريا التي تحكي خطية النبي داود هي قصة مستقاة من الكتاب المقدس، وقد أخذها المفسرون المسلمون وعدلوا فيها بما يتناسب مع أهوائهم، فقاموا بتخفيف الذنب الذي ارتكبه داود من الزنا الى النظر بشهوة، ودفع الزوج الى الموت حتى يحظى بزوجته خالصة له، ولم يعتمد العلماء المسلمون في حذفهم لبعض تفاصيل القصة وتعديلهم فيها على أي مصادر علمية أو أثرية ولا حتى عن طريق محمد، بل اعتمدوا على تقديرهم الشخصي للخطوط الحمراء في تصورهم للخطية التي تكون صادرة عن نبي. حيث أجمعوا على أنها لا يجب أن تكون من الكبائر ويجب تعديل القصة لجعل الخطية من الصغائر فقط. مع ملاحظة أن تقسيم الخطايا الى كبائر وصغائر هو تقسيم إسلامي فقط وغير موجود في المسيحية حيث تعتبر المسيحية أن كل خطية هي كبيرة لأنها خطية في حق الله الغير محدود. بينما يغفل الدين الإسلامي في تقسيمه للخطايا هذا الأمر ويعتمد في تقسيمه للخطايا على تقديرات بشرية لحجم الخطية وضررها الإجتماعي الدنيوي ومقدار اللذة التي يحصل عليها الخاطيء. إذن الخلاصة التي نستنتجها من هذه النقطة تحديدا هي أن علماء المسلمين أعلاه لم يكونوا أمناء وحذفوا (حرفوا) تفاصيل لا تروق لهم في الكتاب المقدس..، أي أنهم قاموا بعملية يجرمها القرآن أصلا ويعتبرها من أبشع الذنوب، وهي عملية التحريف في نصوص مقدسة لكي تتوافق لا مع القرآن ولكن مع تقديراتهم الشخصية ومعاييرهم الأخلاقية وهو أمر يدعو الى العجب. ولا يستثنى من هذا الأمر إلا ابن كثير الذي ربما يكون قد أدرك هذا الأمر ومن ثم رفض أن يذكر قصة أوريا لأنه رفض أن يحرف في نصوص الكتاب المقدس بما يتلاءم مع هواه كما فعل المفسرون الآخرون دون استحياء، وقد أدى به ذلك الى الإمتناع عن تفسير هذه الآية أصلا وطالب القاريء أن يقرأها كما هي وأن يرد علمها الى الله. وهو شيء يستدعي الإحترام للمفسر ابن كثير لأنه نأى بنفسه عما فعله المفسرون الآخرون ورفض أن يحرف في نصوص الكتاب المقدس لأنه يرفض ذكر نصه كما هو. ورفض المفسرون ومن بينهم ابن كثير لذكر نص الكتاب المقدس الذي يحكي خطية أصلا نابع من اعتبارات ذاتية زائفة ترفع الأنبياء فوق مرتبة وطبيعة البشر الخاطئة وتضعهم في مصاف الملائكة وتنفي عنهم أن نوع من الخطايا، وهو ما يتعارض مع القرآن ذاته، مما يدفع العلماء المسلمين مرغمين بنصوص القرآن التي تذكر خطايا الأنبياء الى التصغير من هذه الخطايا

والتقليل من شأنها قدر المستطاع حتى لا يصل لهم الأمر الى حد نفي الآيات القرآنية ذاتها وهو ما يخرجهم من دائرة الإسلام. لذلك عمدوا الى أخذ القصص الحقيقية من الكتاب المقدس مجبرين، وعندما رأوا صراحة الكتاب المقدس وذكره لخطايا الأنبياء دون محاباة أو تمجيد زائف لأي شخص، عمدوا الى تحريف النصوص وذكر القصص في كتبهم محرفة حتى تلائم متطلباتهم الذاتية. ولكن هذه الجريمة التي قام بها المفسرون للأسف ـ أو ربما لحسن الحظ ـ أوقعتهم في إشكالية لم يشعروا بها وهذه الإشكالية هي ما نناقشه في النقطتين التاليتين:

3 ـ لو اعتمدنا على التفسير الذي يقول بأن خطية داود التي استغفر وأناب عنها وتسببت في سجوده أربعين عاما كما تقول روايات المسلمين فسوف نقع في إشكالية هامة تؤثر على صورة نبي الإسلام نفسه بإعتباره أفضل نبي في الأنبياء وسوف تؤدي الى هدم هذا الإعتقاد المجمع عليه من علماء المسلمين من أساسه ... لأنه إذا كان من سنن الأنبياء أنهم إذا أخطأوا ولم يسمعوا لقول أحد المتخاصمين وتسرعوا في الحكم أن يخروا ركعا وأن ينيبوا أربعين عاما كاملة .. حتى يغفر الله لهم، فإن هذا يدفع الى التساؤل عن سنن الأنبياء الذين يعبسون في وجوه العمي الضعفاء ويعرضون عنهم ليس لشيء بل لأنهم فقط أرادوا أن يعرفوا ماذا يعني الإسلام!!! (راجع سورة عبس في القرآن)، والغريب أن المفسرين لا يعتبرون هذا ذنبا على الإطلاق، وهو ما يدفع للتساؤل أيضا عن عدد السنين التي كان داود سيقضيها ساجدا من وجهة نظر العلماء المسلمين لو أن رجلا جاء له وطلب منه أن يعرفه على الله ولكن داود عبس في وجه الرجل وأدار له ظهره، أعتقد أن هذا الذنب أعظم من الحكم في قضية دون الإستماع الى كل أطرافها.. لأن الحكم يكون في قضية دنيوية بينما العبوس والإعراض عن الأعمى الذي جاء يسأل عن الله وعن مستقبله الأخروي كان في أمر أجل وأخطر من القضية الدنيوية التي كان داود يحكم فيها بين الخصمين (قضية نزاع على إمرأة)، ولكن مع ذلك نجد المفسرين المسلمين يجعلون داود خاطئا ويسجد أربعين سنة حتى ينبت عشب الأرض من دموعه، وينفون تماما أن العبوس في وجه الأعمى كان خطأ من محمد وإن كان خطأ فقد إستلزم فقط مجرد عبارات عتاب رقيق دون أي سجود أو بكاء كما فعل داود.. وهو ما يدفع الى التساؤل عن أحقية محمد لكي يكون أفضل من داود.. وعن عدالة هذا التفضيل...

4 ـ لو أخذنا بالتفسير الآخر الذي قاله العلماء والذي يعتمد على أن خطية داود كانت النظر بشهوة الى زوجة أوريا فقط فسوف نجد أنه من سنن الأنبياء أنهم إذا اشتهوا زوجات الغرباء أن يخروا ركعا وأن ينيبوا أربعين عاما.. حتى يغفر الله لهم. ولكن بعض الأنبياء اشتهوا زوجات أدعيائهم وأحلها الله لهم حلالا طيبا (راجع كتاب " زوجات النبي" لبنت الشاطي في قصة زواج محمد من زينب بنت جحش)، ولم يكن في ذلك عليهم أي لوم، بل ربما كان اللوم لهم لأنهم كتموا مشاعرهم في داخلهم ولم يفصحوا عنها، لأنهم قالوا لأبناءهم بالتبني (امسك عليك زوجك واتق الله). وهي أيضا مقارنة بين داود ومحمد تدفعنا الى التساؤل حول معيار العدالة في تفضيل محمد على داود وعلى الأنبياء عامة، وحول العدالة التي تجعل من ذنوب داود حسنات لمحمد... وهو ما يؤدي بنا الى الرفض المطلق لكون هذه العدالة من مصدر إلهي إطلاقا.. فلا بد أن يكون مصدرها إنساني بحت.

5 ـ هذه النقطة جانبية ولكني أحب الإشارة إليها، فقد ظهر في تفسير القرطبي أن محمدا أخذ دعاء سجود التلاوة من شخص عادي رأى الدعاء في المنام فأعجب الدعاء النبي فأخذه هو وأصبح بذلك سنة، فمن أولى بهذه السنة؟

6 ـ هل هناك أي دليل من العقل والنقل على أن اليهود حرفوا قصة داود ونسبوا له الزنى؟ هل ذكر نبي الإسلام إن داود لم يزني؟، ولماذا يفعل اليهود ذلك، أعني التحريف ونسب الزنا الى داود؟، ولو فعلوا ذلك استهزاء بداود فلماذا لا يزالون يعتزون به كملك لهم بل ينتظرون عودة مملكته؟، ولماذا لم يحذفوا القصص التي تمجد داود كملك من التوراة طالما أن غرضهم الإساءة إليه كنبي؟ متى تم اضافة هذه القصة وما السبب؟

7 ـ سؤال منطقي يوجه الى المعترضين على قصة خطية داود الواردة في الكتاب المقدس: هل الحديث (حدثوا عن بني اسرائيل ولا حرج) يستثنى منه قصة داود؟، وإذا كانت الإجابة بنعم فما الدليل على ما تقول به من إستثناء لهذه القصة من الحديث سوى أنها " لا تعجبك ولا تليق بنبي"؟.

69 ـ أسماء الله الحُسنى

قال رسول الإسلام " إن لله تسعة وتسعين إسما من أحصاها دخل الجنة". هذا ما قاله الرسول منذ أربعة عشر قرنا ولكن لعلماء ومشايخ اليوم رأيا آخر. (صحيح البحاري).

لم يكتفي بعض الدعاة بإثارة الجدل حول أسماء الله الحسنى بل قاموا بااللجوء الى المحاكم وإرسال إنذارات على يد محضر لكل من شيخ الأزهر ووزراء الأوقاف والتربية والتعليم والإعلام لمطالبتهم بحذف 21 أسما من أسماء الله الحسنى بدعوى عدم صحتها وعدم جواز تسمية الله سبحانه وتعالى بها. وكان من بين هؤلاء الدُعاة الشيخ يوسف البدري والدكتور محمود شعبان عميد معهد إعداد الدعاة بعين شمس والدكتور محمد عبد الرزاق أستاذ العقيدة بجامعة الأزهر والذي قام بإعداد دراسة تحت عنوان " أسماء الله الحسنى الثابتة في الكتاب والسنة "، وشكك في بعض الرواة الذين قاموا بجمعها في نهاية القرن الثاني الهجري ومن بين هؤلاء الرواة الوليد بن مسلم وعبد الملك الصنعاني وعبد العزيز ابن حصين، كما تدعي الدراسة أن هؤلا ء لا يجوز الإحتجاج برواياتهم بسبب أنهم كثيرو التدليس على الحديث. وقامت الدراسة بتجميع أسماء الله الحسنى الواردة بنصها في القرآن والسنة وقامت بمقارنتها بالأسماء المشهورة لدى العامة والمنقوشة بمساجد الأوقاف ومطبوعة بالكتيبات الصادرة عنها، وأشارت الى أن هناك 29 إسما ليست مُطابقة للشروط العلمية وهي " الخافض المعز المُذل الجليل الباعث المحصى المبدئ المعيد المحي المميت الواجد الماجد الوالي المنتقم ذو الجلال والإكرام المقسط الجامع المغني الضار النافع النور الهادي البديع الباقي الرشيد الصبور". وأشارت الدراسة الى أن من بين هذه الأسماء غير المطابقة للمواصفات العلمية 21 إسما أغلبها أوصاف لا يصح الإشتقاق منها ولا تصح تسمية الله تعالى بها وهي "<u>الخافض المعز المذل العدل الجليل الباعث المحصي المبدئ المعيد المميت الواجد الماجد الوالي المقسط المانع الضار النافع الباقي الرشيد الصبور"</u>. وذكرت الدراسة أن هناك أسماء صحيحة بديلة لتلك الأسماء هي الخلاق والقادر والقدير والمقتدر والوتر والجميل. دراسة الدكتور محمد عبد الرزاق لم تكن المحاولة الأولى للتشكيك في اسماء الله الحسنى حيث طالب الدكتور حسن حنفي أستاذ الفلسفة الإسلامية بحذف بعض الأسماء مثل المهيمن والمتكبر والجبار وأوضح أن هذه الأسماء تدل على الديكتاتورية للذات الإلهية. ليس هذا فقط بل شكك أيضا الداعية محمد هداية في حقيقة بعض أسماء الله الحسنى حيث أشار الى أنه تمت إضافة بعض الأسماء الغريبة التي لا يمكن أن تقترن بلفظ الجلالة ومن هذه الأسماء اسم " المنتقم" وهذا الإسم مأخوذ من قوله تعالى: إن الله عزيز ذو انتقام".

وعن الدراسة نفسها يقول الباحث: إن الدراسة التي يستخدم فيها الحاسب الآلي ـ لأول مرة في التاريخ الإسلامي ـ حتى قرأ القرآن والسنة حصرا واستقصى كل نص فيه مئات المرات على مدار عامين كاملين من البحث والجهد. لأن البحث يعتمد بالدرجة الأولى على الجمع بين الخبرة الواسعة في استخدام الحاسوب والإلمام بكيفية التعامل مع جميع برامج معالجة النصوص والبرامج الإسلامية التي ظهرت منذ عشر سنوات حتى الآن وكيفية تنصيبيها على الحاسب والوصول الى التصور الكلي للقرآن والحديث النبوي على الكمبيوتر. كذلك تصور النتائج الشاملة التي يسفر عنها البحث بالكمبيوتر من قبل متخصص بعينه في العقيدة ملم إلماما كاملا بما سبق وعلى مستوى الأستاذ ا الجامعي وهذا نادرا ما يصعب تواجده في لجنة البحوث العلمية في الأزهر ليس تقليلا من شأنهم، بل هم أهل العلم والفضل لكنه الواقع، فكثير من الشيوخ وأساتذة الجامعة في اللجنة ـ كما يقول د. محمود عبد الرازق ـ لا يعرفون كيفية استخدام الحاسب فعلا إلا على نحو يسير نظرا لما تقدم، فقد شرحنا الدراسة بكاملها مبسطة على ثلاثين محاضرة مسموعة ومكتوبة قرص "سي. دي" أسطوانة مدمجة تعمل على الكمبيوتر، وجميع التسجيلات الصوتية MP3 تضمنت هذه الأسماء التي تتطلب التعديل والأدلة عليها وما جاء أيضا في بقية الأجزاء من الشرح، والدلالة والدعاء سواء كان دعاء مسألة أو دعاء عبادة، وتضمنت الأدلة على أن كثيرا من الأسماء المشهورة ليست من أسماء الله الحسني أو لا توافق ضوابط الإحصاء مع ذكر العلة في ذلك، وكيف أنها من جمع الوليد بن مسلم المدرج في رواية الترمذي وأنه لا يجوز أن تسمى الله "عز وجل" إلا بما يسمى به نفسه أو سماه به نبيه (ص) لا يتجاوز في ذلك القرآن والحديث. ونظرا لما هو متوقع من ردود الفعل الواسعة في الوسط الإسلامي عند عامة الناس وخاصتهم لا سيما أنه يمس ما اعتادوا عليه من بعض الأسماء المشهورة منذ أكثر من ألف عام والتي لا دليل عليها من كتاب أو سنة، فقد تقدمنا قبل الإعلان عن الأمر ونشره بطلب للأزهر الشريف لفحص وتدقيق وصلاحية الموضوع للنشر والتداول. بعد فحص وتدقيق من الأمانة العامة لمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر دام قرابة ستة أشهر جاءت موافقة الأزهر الشريف على ما ذكرناه في هذه المحاضرات جميعها بتاريخ 2005/2/5. هذا بالإضافة الى أن فضيلة المُفتي د. على جمعة عندما نما الى علمه هذا الموضوع طلب لقائي بمكتبه وذهبت إليه وأطلعته على كيفية ما توصل إليه البحث الحاسوبي من نتائج والذي استمر أكثر من عامين. وقد قدر فضيلته ما بذل فيه من جهد، وطلب مني إخراجه في كتاب جامع للأجزاء الخمسة التي طبعت فيها الدراسة. ونص التصريح كما هو وارد بالصورة الموجودة هو: تصريح طبع وتداول صادر في 2005/2/5 ـ أسطوانات ليزر "CD" ديسكات كمبيوتر، يقول بالنص: السيد/ د. محمود عبد الرزاق.. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد.. فيسر الأمانة العامة لمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر "الإدارة العامة للبحوث والتأليف والترجمة أن نخطركم بأنها قد وافقت على طلبكم الخاص بطبع الآتي:

1 ـ برنامج بعنوان " أسماء الله الحسنى" إلقاؤكم ـ مسجل على أسطوانة واحدة، وليس على الأسطوانة المذكورة ما يتعارض مع العقيدة الإسلامية، ولا مانع من طبعها ونشرها على نفقتكم الخاصة مع التأكد من ضرورة العناية التامة بتصوير الآيات القرآنية من المصحف، وأيضا العناية التامة بالأحاديث النبوية الشريفة، وعزوها الى مصادرها، ومعتمدة من الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية ومدير عام إدارة البحوث والتأليف والترجمة.

على الجانب الآخر من هذه القضية الخطيرة تقف جلة من المعارضين ولهذا فإن محاولات التشكيك في أسماء الله الحسنى لاقت رفضا شديدا من جانب علماء الأزهر الذين وصفوا هذه المحاولات بأنها محاولات تفرق بين صفوف المسلمين ولا تجمعهم على كلمة واحدة. وهذا ما أكده الدكتور سعيد صوابي أستاذ أصول الدين بجامعة الأزهر حيث أشار الى أن الله عز وجل له صفات كمال وجلال وجمال فأسماء الله كلها حسنى حتى الأسماء التي يدعون أنها لا تليق، لمعرفة حسن هذه الأسماء يجب أن نكملها مع بعضها فمثلا لفظ "الضار" جاء بعدها "النافع" وكذلك "المعز" جاء بعدها "المذل". أما لفظ " المنتقم" الذي يعترضون عليه فمعناه أن الله تعالى منتقم من الظالم فإذا لم يكن كذلك فمن يأخذ بحق المظلومين وينتقم من الظالم؟! مشيرا الى قول الرسول عليه الصلاة والسلام:" إن لله تسعة وتسعون إسما مائة إلا واحدا من أحصاها دخل الجنة" وهذا معناه أن الرسول حصر هذه الأسماء بالقطع بأنها تسعة وتسعون إسما. ووصف الدكتور صوابي محاولات التشكيك بأنها إفتراء على الله وقال الرسول عليه الصلاة والسلام:" ليس أحد أصبر على أذى سمعه من الله". أما عن شرعية الإجتهاد في أسماء الله الحسنى وحذف وإضافة أسماء إليها قال الدكتور رمضان جمعة أستاذ ورئيس قسم الشريعة الإسلامية بجامعة الفيوم: إن المسألة ليست مطلقة بل الأصل أننا نصف الله بما وصف به نفسه في القرآن أو ما أشار إليه الرسول لذلك قال تعالى:" لله الأسماء الحسنى فأدعوه بها" فالله يوصف بكل كمال وسواء هذا مذكور نصا أو رواه أحد الرواة عن الرسول (ص) أما إطلاق المسألة فهو غير صحيح إلا في حالة وجود أسماء لا تليق بالله عز وجل ولكن الأسماء التي تم ذكرها لم توضح ها المعنى.

ويستشهد د. جمعة بحديث الرسول ب " من أحصاها دخل الجنة" أي من أحصى مدلولات وتجليات هذه الأسماء في الكون ويرعاها في أعماله دخل الجنة وليس معنى أحصاها حفظها ورددها، مشيرا الى أن إثارة هذه المسألة تعمل على تشتت المسلمين وتشكيكهم في أمور ثابته متوارثة عن السلف الصالح. واتفق مع ما سبق الشيخ منصور الرفاعي وكيل وزارة الأوقاف الأسبق حيث أشار الى أن الإجتهاد في أسماء الله الحسنى غير مقبول لأن هذا يعتبر من قبيل التلاعب فهذه الأسماء مرت على آلاف العلماء الموثوق بهم ولم يشككوا فيها مثل الإمام الشافعي. وأضاف: فمن يشكك فيها إنما يسيء الى نفسه قبل أن يسيء الى الله عز وجل لأن الله يغار على أسمائه حيث قال تعالى:" ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون".

70 - الكذب الحميد

جاء في كتاب " روح الإسلام" الذي كتبه الداعية الإسلامي " عفيف طبارة" ليدعو الناس فيه الى الإسلام، صفحة 247 ما يلي:" ليس الكذب دائما سيئا. فمن المؤكد أن هناك حالات يكون فيها الكذب أكثر فائدة من الصدق للصالح العام ولفض النزاع بين الناس. وفي هذا الصدد يقول النبي: لا يضل من يصلح بين الناس (بالكذب)، ومن يؤيد الصلاح ويقول ما هو صالح". هذا الأمر تؤيده الكثير من القصص في حياة محمد. فهو كثيرا ما كذب وما حث أتباعه على الكذب. وكان دائما ينادي أنه في سبيل الإسلام يُباح للمسلم عدم مراعاة الصدق. من هذه الأمثلة قصة قتل كعب ابن الأشرف من قبيلة بني النضير اليهودية. وصلت التقارير الى محمد أن كعب كان يؤيد القرشيين في معركتهم ضد محمد. بالإضافة الى ذلك نما الى علم محمد أن كعب كان يتلو شعرا يغازل فيه نساء المسلمين. وفي رأي محمد كان كعب قد " أذى الله والرسول". فطلب محمد متطوعين ليخلصوه من ابن الأشرف. وكان كعب وقبيلته أقوياء في ذلك الوقت ولم يكن من السهل لغريب أن يتسلل وينفذ هذه العملية. ولكن رجلا يُدعى محمد ابن مسلمة تطوع بأن يقوم بهذه المهمة على شرط أن يسمح له محمد بالكذب. وبناء عليه ذهب ابن مسلمة الى كعب وجعل يذكر له قصصا يذم فيها محمد. وبعد أن كسب ثقة كعب استدرجه بعيدا عن بيته ليلا الى مكان ناء حيث قتله في جنح الظلام.

وهناك مثالا آخر مشابه في قصة مقتل شعبان بن خالد الهذلي. وكانت قد وصلت الأخبار الى محمد أن شعبان يعد جيشا لمحاربة المسلمين. فأمر محمد رجلا اسمه عبد الله بن أنيس بقتله. ومرة أخرى طلب القاتل من النبي أن يسمح له بالكذب، فسمح له، ثم قال له أن يقول أنه من خزاعة (وهذه كذبة أخرى). وعندما رأى شعبان عبد الله قادما سأله:" ممن الرجل؟" فرد عبد الله " من خزاعة". واستمر عبد الله يقول له " سمعت بجمعك لمحمد فجئتك لأكون معك". واستمر عبد الله في السير مع شعبان يقول له ذما في محمد " عجبا لما أحدث محمد من هذا الدين (الإسلامي) المحدث، سب الآباء، وسفه أحلامهم". واستمر في الحديث والمشي الى أن وصلا الى خيمة شعبان. ومضى رفاق شعبان الى خيامهم، وبعد ذلك دعى شعبان عبد الله الى داخل الخيمة ليستريح. وجلس عبد الله في الخيمة الى أن أحس أن الجميع قد هدأوا وناموا فانقض على شعبان وقتله وأخذ رأسه الى محمد. فلما وصل عبد الله الى المدينة ورآه محمد من بعيد، صاح محمد فرحا " أفلح الوجه". فرد عبد الله التحية بقوله " أفلح وجهك يا رسول الله".

وفي الحديث يؤكد محمد نفس المفهوم:

عن كتاب إحياء علوم الدين للعلامة الإسلامي الغزالي - المجلد 4 صفحة 284- 287. عن أم كلثوم (إحدى بنات النبي) أنها قالت:" ما سمعت رسول الله يرخص في شيء من الكذب إلا في ثلاث: الرجل يقول القول يريد به الصلاح، والرجل يقول القول في الحرب، والرجل يحدث امرأته، والمرأة تحدث زوجها". وحديث آخر نسب الى النبي " كل الكذب يُكتب على ابن آدم إلا رجل كذب بين مسلمين ليصلح بينهما". وحديث آخر يقول:" يا أبا كاهل أصلح بين الناس". أي ولو بالكذب. وفي حديث آخر جمع النبي كل المواقف التي يحل فيها الكذب فقال:" كل الكذب يُكتب على ابن آدم لا محالة إلا أن يكذب الرجل في الحرب فإن الحرب خدعة أو يكون بين الرجلين شحناء فيصلح بينهما أو يحدث إمرأته فيرضيها". وهذا الحديث على درجة عالية من التوثيق نفرد له بعض السطور لكي يطمئن قلب القارئ الكريم.

ما سمعت رسول الله (ص) يرخص في شيء من الكذب إلا في ثلاث: كان رسول الله يقول: لا أعده كذابا الرجل يصلح بين الناس، ويقول القول لا يريد به إلا الإصلاح، والرجل يقول في الحرب، والرجل يحدث إمرأته والمرأة تحدث زوجها.

الراوي: أم كلثوم بنت عقبة
خلاصة الدرجة: [أشار في المقدمة أنه صحيح الإسناد]
المحدث: عبد الحق الإشبيلي
المصدر: الأحكام الصُغرى
الصفحة أو الرقم: 534

لا يحل الكذب إلا في ثلاث كذب الرجل إمرأته ليرضيها والكذب في الحرب والكذب ليصلح بين الناس.

الراوي: أسماء بنت يزيد بن السكن
خلاصة الدرجة: [حسن كما قال في المقدمة]
المحدث: ابن حجر العسقلاني
المصدر: هداية الرواة
الصفحة أو الرقم: 447/4

لا يحل الكذب إلا في ثلاث: كذب الرجل عل إمرأته ليرضيها، والكذب في الحرب، والكذب ليصل بين الناس.

الراوي: أسماء بنت يزيد
خلاصة الدرجة: حسن
المحدث: الألباني
المصدر: مشكاة المصابيح
الصفحة أو الرقم: 4960

لم أسمع رسول الله (ص) يرخص في شيء مما يقول الناس: إنه كذب؛ إلا في ثلاث: الرجل يصلح بين النا، والرجل يكذب لإمرأته، والكذب في الحرب.

الراوي: أم كلثوم بنت عقبة
خلاصة الدرجة: إسناده صحيح
المحدث: الألباني
المصدر: النصيحة
الصفحة أو الرقم: 216

ما سمعت رسول الله يرخص في شيء من الكذب إلا في ثلاث كان رسول الله يقول لا أعده كاذبا! الرجل يصلح بين الناس، يقول القول ولا يريد به إلا الإصلاح، والرجل يقول في الحرب، والرجل يحدث إمرأته، والمرأة تحدث زوجها.
الراوي: أم كلثوم بنت عقبة
خلاصة الدرجة: صحيح
المحدث: الألباني
المصدر: صحيح أبي داود
الصفحة أو الرقم: 4921

ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس فيقول خيرا أو ينمي خير قالت: ولم أسمعه يرخص في شيء مما يقول الناس من الكذب إلا في ثلاث: الإصلاح بين الناس، وحديث الرجل إمرأته، وحديث المرأة زوجها.

الراوي: أم كلثوم بنت عقبة
خلاصة الدرجة: صحيح
المحدث: الألباني
المصدر: صحيح الأدب المفرد
الصفحة أو الرقم: 297

لا يصلح الكذب إلا في ثلاث: يحدث الرجل إمرأته ليرضيها، والكذب في الحرب، والكذب ليصلح بين الناس.

الراوي: أسماء بنت يزيد
خلاصة الدرجة: حسن
المحدث: الألباني
المصدر: صحيح الجامع
الصفحة أو الرقم: 7723

لا يحل الكذب إلا في ثلاث: يحدث الرجل إمرأته ليرضيها، والكذب في الحرب، والكذب ليصلح بين الناس.

الراوي: أسماء بنت يزيد
خلاصة الدرجة: صحيح دون قوله:" ليرضيها"
المحدث: الألباني
المصدر: صحيح الترمذي
الصفحة أو الرقم: 1939

لم يقف الأمر عند أحاديث محمد فقط بل أن في القرآن، يدعو الله المسلمين أحيانا الى الكذب:

" لا يؤاخذكم الله باللغو في إيمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الإيمان فكفارته إطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم أو كسوتهم أو تحرير رقبة. فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام ذلك كفارة إيمانكم إذا حلفتم واحفظوا إيمانكم كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تشكرون". سورة المائدة 89:5.

" لا يؤاخذكم الله باللغو في إيمانكم ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم والله غفور رحيم". سورة البقرة 225:2.

" من كفر بالله بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان. ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب الله ولهم عذاب عظيم". سورة النحل 106:16.

ويقول العلامة الإسلامي الشيخ الطبري في شرحه للآية السابقة أن هذه الآية نزلت على محمد بعد أن سمع أن عمار بن ياسر كفر بمحمد لما أخذه بني المغيرة وأجبروه على ذلك. فقال له محمد " إن عادوا فعُد". (أي إذا أخذوك مرة أخرى فاكذب مرة أخرى). هذه الآيات القرآنية وغيرها توضح أن الله ـ ليس فقط ـ يغفر للمسلم الكذب غير المقصود. بل أيضا يغفر للمسلم الكذب المقصود بعد أداء بعض الفروض ككفارة. أيضا توضح أنه من حق المسلم أن يكذب بعد القسم وأن ينكر إيمانه بالله طالما يقول ذلك بلسانه فقط بينما يتمسك بالإيمان في قلبه.

71 - الصلاة وتدرجها

إذا كان الأنبياء مرسلون من عند إله السماء الذي يعلم الغيب وما يخفى، فلا بد لمثل هذا الإله أن يوحي لأنبيائه بتشريعات يعرف الإله مُقدما أنها تشريعات مُفصلة ومُحكمة وتمثل ما يريده ذلك الإله، خاصة إذا كان التشريع يتعلق بالطريقة التي يريد الإله من الناس أن يعبدوه بها. ومثل هذه التشريعات لا تحتاج تدرجا في سنها لأنها طقوس عِبادة لا تمس ما تعارف عليه المجتمع من قوانين تجارة أو امتلاك العبيد أو قوانين العقاب التي توصلت إليها المجتمعات بعد آلاف السنين من التجارب والأخطاء، وبالتالي يصعب عليهم التخلي عنها دفعة واحدة ولذلك من المحتمل عقلا أن يتدرج التشريع الجديد في مثل هذه الأشياء. ولكن طريقة العبادة لا تتغير كما تتغير التشريعات الأخرى إذا استجد في المجتمع ما يبرر ذلك. فقد نفهم أن يتدرج الإسلام، مثلا، في تحريم الخمر لأن شرب الخمر كان سائدا في المجتمع وقد يقف تحريمها حائلا بين قبول الإسلام وبين الذين يحبون الخمر. والتشريعات الإسلامية عامة، نادرا ما جاءت مكتملة، أغلبها جاء متقطعا وفي جرعات صغيرة إن دلت على شيء فإنما تدل على أن محمد كان يتعلم هذه التشرعات من الممارسة ومما يسمعه أو يراه بعد أن يسن التشريع الجديد، فيغير ويبدل في التشريعات بما تقتضيه ظروف الحوادث. فالصيام مثلا بدأ بصيام يوم عاشوراء، كما يفعل اليهود، ثم صار صيام يوم كل شهر، ثم صيام عشرة أيام في رمضان، ثم شهر رمضان كله. فلماذا تدرج محمد على مدى عدة سنوات في فرض الصلاة وفي استكمال ركعاتها وأوقاتها؟ والجواب الحقيقي هو أن محمد لم يكن يعرف ما هي الصلاة. كل ما كان يعرفه أن اليهود والنصارى كانوا يصلون. يقول ابن رشد القرطبي عن الصلاة (الصلاة عبادة محضة غير معقولة المعنى يقصد منه القربي فقط، لذلك لا يسأل المؤمن لماذا كان عددها خمسا ولماذا تفتقر الى النية). وما دامت الصلاة عبادة محضة لا تخضع للعقل، كان من المفروض أن ينزل الله تشريعها مكتملا دون أن يخشى على رسوله من سؤال عنها، ولكنه لم يفعل.

وأول ذكر للصلاة جاء في القرآن كان في سورة الإسراء وجاء فيه (أقم الصلاة لدلوج الشمس الى غسق الليل وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهودا) (الإسراء 78). ونحن نعرف أن سورة الإسراء جاءت في آخر سنوات محمد بمكة، أي في حوالي السنة العاشرة من بدء الرسالة. وهذا هو الزمن الذئ فرض فيه محمد الصلاة، بعد موت خديجة في السنة العاشرة من بدء الرسالة (شذرات الذهب للدمشقي، ج1، ص 14). وعندما فرضها كانت في الفجر وفي غسق الليل. وكانت ركعتين في الفجر وركعتين في الغسق. وتعلم محمد الركوع والسجود من جماعة من اليهود يُقال لهم (السامريون) The Samaritans. كانت هذه الفرقة من اليهود يركعون ويسجدون، تماما كما يفعل المسلمون الآن (الشخصية المحمدية لمعروف الرصافي، ص 451). وقد أصبحت صلاتهم تلك من العبادات القديمة جدا فتخلى عنها أغلبهم ولكن هناك فرقة ما زالت تمارس هذا النوع من الصلاة. (أنظر الفيديو على هذا الموقع)

http://www.youtube.com/watch?v=0aHWASyMjwg

وبناء على ما تعلمه محمد من هذه الفئة من اليهود، جاء بآيات في القرآن مثل (يا مريم اقنتي الى ربك واسجدي واركعي مع الراكعين) (آل عمران 43) لأن مريم كانت يهودية وافترض محمد أنها كانت تصلي صلاة السامريين ذات الركوع والسجود. وأصبحت صلاة المسلمين تتكون من قراءة القرآن والركوع والسجود. ولكنها ما زالت ركعتين في الصباح وركعتين في المساء (السيرة النبوية لإبن هشام، ج 2، ص 86)..

ثم جاء في شرح سورة الإسراء، التي كانت تنزل في شكل آيتين أو ثلاث على فترات متقاربة، أن الله فرض على أمته خمسين صلاة ولكن بعد تدخل موسى ورجوع محمد الى الله عدة مرات طالبا تخفيض الصلاة على أمته، انتهى التشريع بخمس صلوات في اليوم، ورغم ذلك طلب موسى من محمد أن يرجع الى الله ويطلب تخفيضها لأن خمس صلوات في اليوم كثيرة على عباده، ولكن محمد اكتفى بالخمس لأنه استحى أن يسأل الله تخفيضا أكثر.

وفي بداية الأمر كانت الخمس صلوات ركعتين في كل مرة الى أن هاجر محمد الى المدينة. والسبب في أنه اختار خمس صلوات هو اتصاله بالفرس في أثناء ترحاله في التجارة، وعرف منهم أن صلاتهم خمس مرات في اليوم (صلاة الفجر "كاه أشهن" وصلاة الصبح "كاه هاون" وصلاة الظهر " كاه رقون" وصلاة العصر" كاه أزيرن" وصلاة الليل " كاه عيوه سرتيرد") (ديورانت، قصة الحضارة، المعتقدات، ص 395، نقلا عن حسن عياش، الحياة الدينية عند العرب قبل الإسلام، رسالة الدكتوراة). وفي السنة الأولى من قدومه الى المدينة زاد صلاة الحضر الى أربع ركعات في الظهر، وأربع في العصر وأربع في العشاء - وكانت صلاة الحضر والسفر ركعتين (المنتظم في التاريخ لإبن الجوزي، ج 3، ص 14). ولكنه صلى الصبح ركعتين كما كان، وزاد ركعة في المغرب، ثم زاد صلاة الضحى، وصلاها كما يقول مجاهد ركعتين، وأربعا، وستا وثمانيا (زاد المعاد لإبن قيم الجوزية، ج 1، ص 153). ويظهر من هذا أنه كان يصلي الضحى حسب المزاج من ركعتين الى ثماني ركعات. ثم أشكل على الناس موضوع القراءة في الصلاة، إذ كان محمد يقرأ في بعض الصلوات ولا يقرأ في الأخرى، فكان ابن عباس لا يقرأ في صلاة السر وقال (" قرأ رسول الله (ص) في صلوات وسكت في أخرى" فنقرأ فيما قرأ ونسكت فيما سكت. وسئل هل في الظهر والعصر قراءة؟ فقال: لا، وأخذ الجمهور بحديث خباب ، أنه صلى الله عليه وسلم كان يقرأ في الظهر والعصر، قيل فبأي شيء كنتم تعرفون ذلك؟ قال: بإضطراب لحيته") (بداية المجتهد ونهاية المقتصد، لإبن رشد القرطبي، ج 1، ص 90). فمحمد لم يخبر أصحابه أنه كان يقرأ في السر في الركعات التي لم يسمعوه يقرأ فيها جهرا، وإنما تخيل بعضهم أنه كان يقرأ سرا لأن لحيته كانت تضطرب، بينما قال ابن عباس إنه لم يكن يقرأ في السر. فلو كان فعلا يقرأ القرآن في الظهر والعصر سرا لوجب عليه أن يخبر أصحابه. ثم ما هي الحكمة في قراءة السر في بعض الركعات، هل كان الله يخشى أن يسمع الكفار قراءة القرآن، مثلا. ليس هناك أي سبب منطقي يجعل بعض

الركعات سرا وبعضها جهرا، غير ما تعلمه محمد من اليهود الذين يعتبرون الصمت في بعض ركعات الصلاة نوعا من الخشوع.

http://www.geocities.com/buddychai/Religion/JewishPrayer.html?200913

وأما صلاة الفجر ذات الركعتين فكان اختلاف الصحابة في القراءة في الركعتين كبيرا، ففي صفة القراءة المستحبة فيهما هو الإسرار، وذهب قوم الى أن المستحب فيهما هو الجهر (بداية المجتهد لإبن رشد القرطبي، ج 1، ص 148). فلم يكن أحد في حياة محمد يعرف إذا كانت القراءة في الركعتين سرا أم جهرا.

وفي البدء كان أصحاب محمد يتكلمون في الصلاة كما قال زيد ابن أرقم (كنا نتكلم في الصلاة، يُكلم الرجُلُ صاحبهُ وهو الى جنبه في الصلاة حتى نزلت: { وقومُوا للهِ قانِتِينَ} [البقرة: 238]، فأمرنا بالسكوت، ونهينا عن الكلام) (زاد المعاد، ج 3، ص 12). فحتى نزول سورة البقرة (بدأ نزولها في السنة الثانية بعد الهجرة واكتملت بعد حوالي ست سنوات) وكانوا يتحدثون في الصلاة ويبصقون كأنهم بالأسواق، وهذا يؤكد أن الإمام (النبي) لم يكن يقرأ في كل الصلوات جهرا لأنه لو قرأ جهرا لاستمعوا له بدل أن يتكلموا.

وبعد الهجرة بدأت غزوات الرسول وكثر السفر فصارت الصلاة العادية مشقة على المسافرين وفيها تأخير عليهم،

(Mishna Berachoth IV.4 Cited in The Origins of th Koran, Ibn Warraq, p 183)

ولذلك أتى محمد بالآية التي تقول (وإذا ضربتم في الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا في الصلاة إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا) (النساء 101). وسورة النساء نزلت حوالي السنة الرابعة بعد الهجرة، أي بعد سبع عشرة سنة من بدء الرسالة. وأباح لهم قصر الصلاة إذا خافوا أن يهجم عليهم الذين كفروا. لكن فيما بعد أصبح المسلمون يقصرون الصلاة بناء على المسافة التي يسافرها المسلم وليس بناء على خوفه أن يفتنه الذين كفروا.

ولكن هذا التشريع كان مطاطا ولم يلتزم به محمد ولا عائشة ولا ابن مسعود ولا عثمان (حج الناس هذه السنة عثمان وضرب فسطاطه بمنى، وكان أول فسطاط ضربه عثمان بمنى، وأتم الصلاة بها وبعرفة فكان أول ما تكلم به الناس في عثمان ظاهرا حين أتم الصلاة بمنى فعاب ذلك عيرُ واحدٍ من الصحابة) (الكامل في التاريخ للمبرد، ج 2، سنة 29، ذكر إتمام الصلاة). (روى هشام بن عُروة، عن أبيه، أنها {عائشة} كان تصلي في السفر أربعا، فقلت لها: لو صليت ركعتين، فقالت: يا ابن أختي! إنه لا يشق عليَّ). (زاد المعاد لابن القيم، ج1، ص 220). (قال الشافعي رحمه الله: لو كان فرضُ المسافر ركعتين، لما أتمها عثمان، ولا عائشة، ولا ابنُ مسعود، ولم يَجُز أن يُتمها مسافر مع مقيم، وقد قالت عائشة: كل ذلك قد فعل رسول الله (ص)، أتم وقصر، ثم روى عن إبراهيم بن محمد، عن طلحة بن عمرو، عن عطاء بن أبي رباح، عن عائشة قالت: كل ذلك فعل النبي (ص) قصر الصلاة في السفر وأتم) (زاد المعاد لإبن قيم الجوزية، ج 1، ص 220). فيبدو أن التشريع كان بشريا محضا ولم يكن إلهيا، وكان تنفيذه حسب المزاج. وهذا هو الإمام الشافعي يشكك في أن قصر الصلاة كان تشرعا ربانيا. وبما أن أهل المدينة لم تكن لهم حرفة ولا تجارة تشغلهم طوال اليوم غير الغزوات، رأى محمد أن يستغل أوقات فراغهم عندما لم يكونوا غازين، في الصلاة، فزاد عليهم عدة صلوات أخرى سماها نوافل. فبعد أن طلع ونزل بين السموات عدة مرات في محاولته تقليل عدد الصلوات، واكتفى بخمسة في اليوم، قرر أن يزيدهم، فأتى بصلاة الوتر وقال أن الله قد زادها عليهم ففي حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده (أن رسول الله قال" إن الله قد زادكم صلاة وهي الوتر فحافظوا عليها") (بداية المجتهد لإبن رشد، ج 1، ص 64). فكيف يزيد الله صلاة إضافية على المسلمين بعد أن أنقصها من خمسين الى خمسة لأن المسلمين لا يطيقون أكثر من خمسة صلوات، كما توسل له محمد؟.

ثم زادت النوافل حتى قال الإمام الخميني إن الركعات المندوبة أكثر من أن تُحصى، ومنها الرواتب اليومية وهي ثمان ركعات للظهر قبله، وثمان للعصر قبله، وأربع للمغرب بعده، وركعتان من جلوس للعشاء بعده، وركعتان للفجر قبله، وأحدى عشرة ركعة نافلة الليل، وصلاة الليل ثمان ركعات، ثم ركعتا الشفع، فعدد ركعات النوافل أربع وثلاثون ركعة، ضعف عدد الفرائض. (تحرير الوسيلة للخميني، ج 1، ص 123).

فهل هناك أي سبب منطقي يجعل محمد يصعد وينزل ويساوم الله لتقليل عدد الصلوات اليومية، ثم يزيد الله ضعفها فيما بعد، تماما كما يفعل السياسيون الآن عندما يعدون بتقليل الضرائب المباشرة كي يكسبوا الأصوات في الإنتخابات، وبمجرد استلامهم الحكومة يخفضون الضرائب المباشرة، كما وعدوا، ولكنهم يزيدون في الضرائب غير المباشرة أضعاف ما نزلوه من الضرائب المباشرة؟.

ثم هناك صلاة الكسوف وصلاة الخسوف، وصلاة العيدين، وصلاة الإستسقاء وصلاة الإستخارة وصلاة تحية المسجد، وصلاة الفتح وصلاة الجنازة. وهذه الصلاة كانت عبارة عن أوكازيون في عدد تكبيراتها، (كان النبي (ص) يكبر على الجنائز أربعا وخمسا وستا وسبعا وثمانيا حتى مات النجاشي، فصف الناس وراءه وكبر أربعا، ثم ثبت صلى الله عليه وسلم على أربع حتى توفاه الله) (بداية المجتهد لأبن رشد القرطبي، ج 1، ص 169). فلولا موت النجاشي لظل عدد التكبيرات غير معروف.

ثم كان هناك موضوع الآذان للصلاة، (وقد كان ر سول الله (ص) حين قدم المدينة إنما يجتمع الناس إليه للصلاة لحين مواقيتها، بغير دعوة، فهم رسول الله حين قدمها أن يجعل بوقا كبوق يهود الذين يدعون به، لصلاتهم، ثم كرهه ثم أمر بالناقوس، فنُحت ليُضرب به للمسلمين للصلاة. وبينما هم على ذلك جاء عبد الله بن زيد بن ثعلبة للنبي وقال إنه رأى في المنام رجلا يحمل ناقوسا وأراد عبد الله أن يشتريه منه للصلاة، فقال له الرجل هل أدلك على خير من ذلك، وذكر له الأذان) (سيرة ابن هشام، ج 4، ص 36). فالأذان لم يوحيه الله لمحمد وإنما حلم به مسلم عادي.

أما القبلة التي يصلون عليها فقد بدأها ببيت المقدس كما كانت تفعل اليهود، ثم حولها الى الكعبة بعد حوالي سنتين في المدينة، وعندما كان يسافر في غزواته كان يصلي على ناقته في بعض الأحيان وتكون قبلته في اتجاه سير الناقة. (عن ابن عمر، قال كان رسول الله (ص) يُصلي في السفر على راحلته حيث توجهت، يُومئ إيماءً صلاة الليل، إلا الفرائض ويُوتر على راحلته) (زاد المعاد لإبن القيم، ج 1، ص 221). ولما استفسر الصحابة عن ذلك أتى لهم بالآية التي تقول (ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله إن الله واسع عليم) (البقرة: 15). فيتضح من هذا السرد أن تشريع الصلاة كان خبط عشواء دون أي تخطيط يليق بأله في السماء قد فرض ذلك التشريع. ويكفي هذا التخبط بإقناع أي إنسان لا يفكر بعاطفته بدل عقله أن محمد لم يكن يتلقى وحيا من السماء وإنما كان يطور التشريع حسب ما يتعلمه مع مرور الزمن واحتكاكه بالأفراد الذين أتوا من ثقافات مغايرة مثل سلمان الفارسي وحذيفة بن اليمان. فالتشريعات الإلهية يجب أن تكون مدروسة قبل أن تنزل للأنبياء، ويجب كذلك أن تكون ثابتة ولا تتغير إلا إذا تغيرت الظروف الإجتماعية بعد مئات السنين، لأن الإله يعلم ما سوف يكون مستقبلا.

(عن موقع الأدينيين العرب)

72 - هل ألغى الإسلام الرق؟

موضوع الرق في الإسلام من أكثر المواضيع حساسية، ولحساسيته الشديدة يتجنب المسلمون إثارته بقدر الإمكان نظرا لما يسببه من حرج بالغ وتعرية كاملة لوجه الإسلام الحقيقي، فكيف لدين يدعي المساواة بين البشر(الناس سواسية كأسنان المشط) أن يقر استعباد الإنسان لأخيه الإنسان؟ فالإسلام لا يقر فقط العبودية بل يضع العبيد في مرتبة أقل من البشر العاديين حتى في التكليف والعقوبات.

ففي الآية 178 من سورة البقرة نجد:" يأيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى". فحياة العبد لا تساوي حياة الحر، فلو قتل حرٌ عبدا لا يُقتل الحر بالعبد، ولكن يُقتل العبد إذا قتل حُرا. أما الإماء فلا تساوي الواحدة منهم، حتى المسلمة، إلا نصف الحرة حتى في العقاب، فالمرأة الحرة كلها عورة ولا يجوز أن تكشف أي جزء من جسمها غير وجهها ويديها، أما الآمة فعورتها من سرتها الى ركبتيها، ولذا يجوز لها أن تكشف صدرها إن أرادت. والأمة إذا طلقت أو مات زوجها فعدتها نصف عدة الحرة. والأمة أو العبد لا يتزوجوا إلا بإذن سيدهم. والأمة إذا كانت متزوجة وباعها سيدها، تعتبر طالقة من زوجها وليس له الحق في الإعتراض.

والآية 25 من سورة النساء تخبرنا عن الأماء:" فإذا أحصن فإن أتين بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب". وعليه إذا زنت الأمة لا تُرجم حتى وإن كانت متزوجة بل تُجلد خمسين جلدة، ويُقاس عليهن العبيد كما يقول تفسير الجلالين.

وأما نكاح الأماء فمباح للسيد متى ما شاء وأي عدد من الأماء شاء. ومن لم يستطع من المسلمين نكاح المحصنات المؤمنات لعدم مقدرته ماديا فينكح أمة بإذن أهلها، ولكن هذا غير مستحب لأن أولاده منها يكونون ملكا لسيدها. ومحمد نفسه يعتبر العبيد أقل درجة من بقية البشر (وتحديدا العبيد السود في عنصرية واضحة). ورد في صحيح البخاري (حدثنا مسدد حدثنا يحيى بن سعيد عن شعبة عن أبي التياح عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة) فضرب المثل بالعبد الحبشي لقلة شأنه ولأنه أقل من بقية البشر. يبرر معظم المسلمين موقف الإسلام من العبودية بأن الإسلام حض على العتق بأن جعل العتق كفارة للعديد من الذنوب وهذه مغالطة واضحة. فالعتق هو عبارة عن عقاب من الله للمسلم العاصي - العقاب عن طريق ترك شيء مرغوب - فالإسلام لا يأمر بالعتق بل يعتبره عقاب. كان محمد يمتلك الكثير من العبيد والأماء نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر: أسامة بن زيد بن حارثة، وأمه وكان اسمها بركة، كانت حاضنة رسول الله في صغره، ومنهم أبو رافع القبطي ومنهم أيمن بن عبيد بن زيد الحبشي ومنهم ثوبان بن يُجدد ويُقال له أبو عبد الكريم ومنهم حنين وهو جد إبراهيم بن عبد الله بن حنين، ومنهم رافع أو أبو رافع ويقال له أبو البهي، ومنهم رباح الأسود ومنهم رويفع ومنهم زيد بن حارثة الكلبي ومنهم زيد أبو يسار، ومنهم سفينة أبو عبد الرحمن وهذا لقب أعطاه إياه الرسول، ومنهم سلمان الفارسي ومنهم شقران الحبشي ومنهم ضُميرة بن أبي ضميرة الحميري ومنهم عُبيد مولى النبي ومنهم فضالة ومنهم قفيز وكركرة وكيسان ومابور القبطي الخصي ومنهم مدعم وكان أسود من مولدي حسمي بارض الشام ومنهم مهران أو طهمان وميمون ونافع وتفيع وواقد وهشام مولي النبي ويسار ويقال أنه الذي قتله العرنيون ومثلوا به، ومنهم أبو الحمراء وأبو سلمى راعي النبي وابو ضميرة وأبو عسيب وأبو كبشة الأنماري وأبو مويهبة. وكان له عدد كبير من الأماء.

الأسئلة التي أود طرحها هنا تتلخص في الآتي:-

1 - إذا كان الإسلام دين إنساني يدعو للمساواة والحرية لِم لم يحرم العبودية مباشرة؟ أو بالتدريج كما فعل مع الخمر؟

2 - بما أن العبودية حلال في الإسلام فما رأي الإخوة المسلمين في القوانين: "الوضعية" التي تحرم الرق في العديد من الدول الإسلامية؟ هل يجوز لإنسان تحريم ما أحله الله؟ ألم ينهي الله الرسول نفسه عن تحريم ما أحله الله (يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك)؟. محمد ليس فقط لم يعتق عبيده ولكنه أيضا إستهجن من قام بالعتق بدون وجوبه كالكفارة كما نرى في الحديث التالي:

<u>حديث في الصحيحين البخاري ومسلم:</u>

- عن ميمونة بنت الحارث: { أنها أعتقت وليدة لها ولم تستأذن النبي، فلما كان يومها الذي يدور عليها فيه، قالت: أشعرت يارسول الله أني أعتقت وليدتي؟ قال: أو فعلت؟ قالت: نعم، قال: أما إنك لو أعطيتها أخوالك كان أعظم لأجرك} متفق عليه. وهنا نجد محمد يعظم إهداء العبد للأقارب مع إستمرار عبوديته على أن يعتقه كما أشار الى زوجته بذلك فهو هنا لم يرحم ولم يدع رحمة ميمونة تفوت دون أن يؤنبها على إسرافها الغير مبرر بكفارة على سبيل المثال. (عن منتدى الملحدين العرب).

ننتقل الآن لنورد المزيد من الأدلة من القرآن والسنة على سماح الإسلام للمسلمين بتملك العبيد وعدم إلغائه للرق:

لنبدأ من القرآن ولنلاحظ ما يلي:

1 - القرآن لم يحرم العبودية والمتاجرة بالعبيد على الإطلاق، وهذه اشارة ضمنية من القرآن بأنه يجوز للمسلم أن يمتلك العبيد وأن يتاجر بهم.

2 - القرآن ذكر بصريح العبارة أنه يجوز للمسلم أن يمتلك العبيد وأن يتاجر بهم.

3 ـ القرآن ذكر بصريح العبارة أنه يجوز للرجل المسلم أن يمارس الجنس مع عدد غير محدد من العبدات، فمثلا لو كان يمتلك 100 عبدة فيمكنه ممارسة الجنس معهن.

4 ـ القرآن ذكر بصريح العبارة أنه يجوز للمرآة تملك العبيد.

سأقوم هنا بإيراد بعض آيات القرآن التي تبين ذلك:

سورة الأحزاب: آية 50: يا أيها النبي إنا أحللنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن وما ملكت يمينك مما أفاء الله عليك وبنات عمك وبنات عماتك وبنا خالك وبنات خالاتك اللاتي هاجرن معك وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي إن أراد النبي أن يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين قد علمنا ما فرضنا عليهم في أزواجهم وما ملكت أيمانهم لكيلا يكون عليك حرج وكان الله غفورا رحيم.

تفسير الطبري: وقوله: { وما ملكت يمينك مما أفاء الله عليك} يقول: وأحللنا لك إماءك اللواتي سبيتهن، فملكتهن بالسباء، وصرن لك بفتح الله عليك من الفيء.

وقوله: { وما ملكت أيمانهم } ويقول تعالى ذكره: قد علمنا ما فرضنا على المؤمنين في أزواجهم؛ لأنه لا يحل لهم منهن أكثر من أربع، وما ملكت أيمانهم، فإن جميعهن إذا كن مؤمنات أو كِتابيات، لهم حلال بالسباء والتسري وغير ذلك من أسباب الملك.

سورة النساء: آية 3: فإنكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ذلك أدنى ألا تعولوا . تفسير الطبري: { أو ما ملكت أيمانكم } قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك: 6757 ـ حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: { فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم } يقول: فإن خفت ألا تعدل في واحدة، فما ماكت بمبنك. ـ حدثنا محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن مفضل، قال: ثنا اسباط، عن السُدى: { أو ما ملكت أيمانكم } السراري. حدثت عن عمار، قال: ثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع: { فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم } فإن خِفت خفت ألا تعدل في واحدة فما ملكت يمينك.

سورة المؤمنين: آية 6: إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين .

تفسير الطبري: يقول: إلا من أزواجهم اللاتي أحلهُن الله للرجال بالنكاح، أو ما ملكت أيمانهم: يعني بذلك: إماءهُم, و " ما" التي في قوله: { أو ما ملكت أيمانهم } في محل خفض عطفا على الأزواج. وبنحُو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:ـ حدثنا محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: { والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين }يقول: رضي الله لهُم إثيانهم أزواجهم وما ملكت أيمانهم.

نكتفي بهذا القدر من التفاسير وسندرج بعض الآيات الأخرى التي تحلل للمسلمين امتلاك العبدات والعبيد ويمكن للقاريء الكريم الرجوع للتفاسير بنفسه:

سورة النساء: آية 24: والمحصنات من النساء إلا ما ملكت أيمانكم كتاب الله عليكم وأحل لكم ما وراء ذلكم أن تبتغوا بأموالكم محصنين غير مسافحين فما استمتعتم به منهن فأتوهن أجورهن فريضة ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة أن الله كان عليما حكيما.

سورة النساء: آية 25: ومن لم يستطع منكم طولا أن ينكح المحصنات المؤمنات فمما ملكت أيمانكم من فتياتكم المؤمنات والله أعلم بإيمانكم بعضكم من بعض فانكحوهن بإذن أهلهن وأتوهن أجورهن بالمعروف محصنات غير مسافحات ولا متخذات أخدان فإذا أحصن فإن أتين بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب ذلك لمن خشي ألعنت منكم وأن تصبروا خير لكم والله غفور رحيم.

سورة النور: آية 31: وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن أو أباء بعمولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو إخوانهن أو بني إخوانهن أو بني إخواتهن أو نسائهن أو ما ملكت أيمانهن أو التابعين غير أولي الإربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن وتوبوا الى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون.

سورة الأحزاب: آية 55: لا جناح عليهن في آبائهن ولا أبنائهن ولا إخوانهن ولا أبناء إخوانهن ولا أبناء أخواتهن ولا نسائهن ولا ما ملكت أيمانهن واتقين الله أن الله كان على كل شيء شهيدا.

من خلال الآيات سابقة الذكر يظهر لنا وبوضوح أن القرآن حلل وشرع امتلاك العبدات. فحين يضع الإسلام قانون يسمح للرجل بنكاح العبدات بالإضافة لزوجاته الأربع المسلمات. فإن ذلك لا يوحي وبأي حال من الأحوال أن للإسلام مشكلة مع العبودية.

السِنة:

سنكتفي هنا بإيراد بعض الأحاديث من صحيح مسلم لأن المجال لا يتسع لإدراج الكثير من الأحاديث بهذا الخصوص.

حديث: أيما عبد أبق من مواليه فقد كفر حتى يرجع إليهم.
حديث: أيما عبد أبق فقد برئت منه الذمة.
حديث: إذا أبق العبد لم تقبل له صلاة.

المقصود، إن أي عبد هرب من أسياده فإنه يعتبر كافر وأن ليس له ذمة وأنه لن تقبل منه صلاة ما دام هاربا! في هذه الأحاديث الرسول يحث العبيد على السمع والطاعة وعدم الخروج على أمر مالكهم، كيف يكون من يحث العبيد على الهروب من أسيادهم يريد تحرير العبيد؟

حديث: وقع في سهم دحية جارية، فقيل يا رسول الله، إنه وقعت في سهم دحية جارية جميلة، قال: فإشتراها رسول الله بتسعة رؤس، ثم دفعها الى أم سليم تصنعا وتهيئها، قال: وأحسبه قال: تعتد في بيتها وهي صفية بنت حيي، فجعل رسول الله وليمتها التمر والأقط والسمن، قال: فحصت الأرض أفاحيص، وجيء بالأنطاع فوضعت فيها، ثم جيء بالأقط والسمن. فشبع الناس، قال: وقد قال الناس: لا ندري أتزوجها أم اتخذها أم ولد، قال: فقالوا: إن حجبها فهي امرأته، وإن لم يحجبها فهي أم ولد، فلما أراد أن يركبها حجبها حتى قعدت على عجز البعير، فعرفوا أنه قد تزوجها. من هذا الحديث نلاحظ أن الصحابة كانوا يعرفون طباع الرسول في موضوع سبايا الحرب، فإن لم يقم الرسول بحجب السبية فهذا يعني أنه سيتخذها عبدة له.. وهذا الحديث يوضع كيف أن الرسول عندما سمع بجمال صفية سال لعابه وبعث لصاحبها ليشتريها منه! هل من الممكن أن يكون هذا النبي أراد تحرير العبيد؟!

حديث: إن العبد إذا نصح لسيده وأحسن عبادة الله فله أجره مرتين. وهنا أيضا نلاحظ أن الرسول يحث العبيد على الإلتزام وعلى تنفيذ أوامر أسيادهم وأن يكونوا مطيعين.

العبودية في التاريخ الإسلامي:

إن أي شخص لديه إطلاع بسيط على تاريخ الإسلام بدءا بمحمد وأبو بكر وعمر وإنتهاءا بسقوط الخلافة الإسلامية يعلم علم اليقين أن تجارة العبيد وامتلاك الجواري والرقيق كانت رائجة جدا على مدار التاريخ الإسلامي. فنبي الإسلام وزوجاته كانوا يمتلكون العبيد. صحابته كانوا يمتلكون العبيد ويتاجرون بهم. الخلفاء المسلمين وعامة المسلمين كلهم كانوا يمتلكون العبيد. لم يكن أحد يمانع في أن يكون لديك عدد من العبيد. ولم يرى المسلمون في ذلك ممارسة خاطئة، بل أن الحصول على العبيد والغنائم كان أحد الأمور التي تشجع المسلمين على شن حروبهم وغزواتهم على الدول الأخرى. حيث من المعروف أنه يجوز للمسلمين سبي النساء والأطفال واسترقاقهم.

وهنا دعوني أتحدث فقط وبإختصار عن المماليك، كل المسلمين في الوقت الحالي يسمعون عن دولة المماليك وعن قطز والظاهر بيبرس وغيرهم. ولكن الغالبية الساحقة من المسلمين لا يعرفون لماذا يتم تسميتهم بهذا الإسم.

المماليك كانوا عبيدا يتم جلبهم وهم أطفال من الدول المفتوحة ويتم وضعهم في معسكرات وتنشئتهم على الطريقة الإسلامية وتدريبهم كجنود. وكان الهدف الأساسي من القيام بلك هو ضمان ولائهم للخليفة. فالجنود الأحرار عادة ما يكون ولائهم لشيوخ قبائلهم ولتحالفاتهم أكبر من ولائهم للخليفة. أما إذا أتينا بأطفال صغار السن وقمنا بتربيتهم على الولاء للخليفة فإنهم سيكونون أكثر ولاءا من الجنود الأحرار. والمماليك كانت لهم حقوق أكثر من العبيد العاديين، ولكنهم في النهاية كانوا عبيدا، ومع الوقت وبسبب عددهم الكبير جدا إزداد نفوذهم حتى أصبحوا قوة سياسية ونجحوا في تكوين دولة قوية.

تخيل معي عزيزي القاريئ: خليفة المسلمين يقوم بجلب أطفال قاصرين من دول عديدة، يقوم بإبعادهم عن أهلهم وأوطانهم وسلخهم من جذورهم، ووضعهم في معسكرات وتدريبهم ليكونوا جيشا له وحماة لعرشه. وكل هذا كان يجري حسب الشرع الإسلامي الذي يسمح بإسترقاق الأطفال. هل يمكن أن يسمح دينا سماويا بهذا؟!.

73 - الإسلام والبغاء

تشريع البغاء في الإسلام - فقه الأمر الواقع:

من بين الآيات، التي طالما تسببت لي في عسر هضم فكري حاد، اثناء دراسة القرآن، تبرز الآية رقم 33 في سورة النور والتي تقول " وليستعفف الذين لا يجدُون نِكاحا حتى يُعنيهُم اللهُ من فضلهِ والذين يبتغون الكتاب مما ملكت أيمانكم فكاتبُوهُم إن علمتم فيهم خيرا وآتوهُم من مال الله الذي آتاكم ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء إن أردن تحصنا لتبتغوا عرض الحياة الدنيا ومن يُكرههن فإن الله من بعد إكراههن غفور رحيم". وكان الجزء المتعلق بالبغاء، - والذي يبدو أنه قد أقحم أقحاما على النص، وبصورة لا تتناسب مع سياق الآية - يشكل لغزا عصيا بالنسبة لي .. الآية موجهة للمسلمين، فما علاقة المسلمين بالبغاء؟؟

الجواب الجاهز لدى مدرس الدين آنذاك، هو أن البغاء - الدعارة - كان من الظواهر اللاأخلاقية التي كانت منتشرة في الجزيرة العربية في العصر الجاهلي، والتي جاء الإسلام لمحاربتها والقضاء عليها قضاء مبرما .. الظاهرة - كما شرح الأستاذ - كانت موجودة في مكة عندما تلقى محمد " الرسالة "، كما أنها كانت موجودة أيضا في يثرب عندما هاجر إليها الرسول محمد، حيث كان لدى بعض من تظاهروا بالإسلام (المنافقين) مواخير تعمل فيها فتياتهن أي أمائهن - وهن الرقيق من النساء. وإن الآية نزلت لتأمرهم بالكف عن تلك الأفعال الشنيعة التي تتناقض مع أركان الدين، وتشوه صورة الإسلام والمسلمين.

ولكن هذا الجواب، أثار بدوره العديد من الأسئلة. وخاصة فيما يتعلق بالقضاء المبرم على تلك الظاهرة. لأن الآية تركت الباب مفتوحا - من الناحية التشريعية - لمالكي الفتيات في أن يستمروا في مزاولة تجارتهم طالما أن الفتيات موافقات على ممارسة البغاء، أي برضاهن، فإن أردن - أي الفتيات - تحصنا، ورفضن الإستمرار في ممارسة الدعارة، فإن على المالك أن لا يكرههن على فعل ذلك، وإلا .. وإلا ماذا .. لا شيء .. لأن الله غفور رحيم.!!

وبعبارة أخرى أن الإسلام يتدخل في حالة أكراه الفتاة غير الراغبة بممارسة الدعارة، بتقديم النصيحة لمالكها فقط، وما عدا ذلك فإن الله غفور رحيم!!. هل يعقل هذا .. دعارة وبغاء وزنا في الإسلام .. عيني عينك هكذا .. وفي عهد من .. عهد الرسول محمد الذي اشترط على المؤمنات لدخول الإسلام عدم ممارسة الزنا؟؟ هذه الأسئلة كانت على طرف لساني، ولكنني لم أجرؤ على طرحها بالطبع .. وإنما احتفظت بأسئلتي لنفسي، وأخذت أطور لنفسي نظرية خاصة للخروج من هذا التناقض. كان الحل الوحيد في وجهة نظري آنذاك، أن الإسلام قد وضع الأرضية المناسبة لحل هذه المعضلة، مثلما فعل مع أصل المشكلة أي العبودية. حيث راهن الإسلام، على سمو أخلاق المسلمين، ووضع لهم الحوافز الأخلاقية والدينية، ورغبهم في عتق العبيد والإماء، فإذا ما تم تحرير جميع العبيد والإماء، فلن يعود هناك من سيد يجبر أمته على البغاء، ولن تكون هناك آمة تمارس الدعارة بعد أخذ موافقة مالكها .. أليس كذلك؟؟؟. حل معقول، ولكنه حل زمني، أي يحتاج الى وقت لتحققه، والى أن يتم ذلك، كان على الرسول محمد أن يتحمل وجود دور الدعارة في المدينة، ويغض النظر عنها، وعن ما يحدث فيها من ممارسات يندى لها الجبين؟؟ وهكذا عدت الى نقطة البداية، ولم استطع تجاوزها، الا بعد أن أخذت انظر الى الإسلام، ومحمد، نظرة أكثر واقعية نظرة أنسانية، تضع الأمور في سياقها التاريخي الصحيح. ولنعد مرة أخرى الى الآية السابقة ونبحث في الظرف التاريخي الذي نزلت فيه. يذهب معظم مفسري القرآن، الى أن ذلك الجزء من الآية الوارد في سورة النور المتعلق بالبغاء، إنما قد نزل في عبد الله بن أبي بن سلول، الذي كان سيد الخزرج، وكاد أن يصبح ملكا على يثرب، لولا قدوم محمد إليها، مما قضى على طموحاته السياسية. ويجمع المسلمون - الذين قلما أجمعوا على شيء - عل أن ابن سلول، هو رأس المنافقين، الذين دخلوا الإسلام في الظاهر، وناصبوه العداء في الباطن. وكان لإبن سلول مواقف مشهوده، تجرأ فيها على محمد واهانه وتآمر عليه. وفي المقابل كان محمد، يكظم غيظه ويحاول أن يتفادى الدخول في صراع مكشوف مع ابن سلول بأي طريقة كانت، لأنه كان يدرك أن مواجهة من هذا النوع، تستثار فيها النعرات والعصبيات، ستطيح بأحلامه بإقامة الدولة الإسلامية المنشودة. وفي هذا السياق، حدثت القصة التالية: كان لابن سلول اماء يساعين - أي يمارسن البغاء - وكان يأخذ منهن ما يحصلن عليه من أجر، وإذا حبلت أي منهن نتيجة ممارسة الزنا، كان يأخذ المولود، يربيه ويبيعه. وكان هذا أمرا شائعا لدى العرب آنذاك، ولا ينقص من قدر الرجل الذي يقوم به - بدليل أن أهل يثرب كادوا أن ينصبوا ابن أبي سلول ملكا عليهم. ويبدو أن الكيل قد طفح بإحدى الأماء، فقررت التمرد والثورة على ذلك الوضع المزري الذي كانت تعيشه، ويروي الطبري في تفسيرة لسبب نزول هذه الآية أن " أمة لعبد الله بن أبي، أمرها فزنت، فجاءت ببرد، فقال لها ارجعي فإزني، فقالت والله لا أفعل، أن يك هذا خيرا (أي الزنا) فقد استكثرت منه، إن يكن شرا فقد آن لي أن أدعه".

وأما ابن كثير فيورد قصة أكثر دلالة إذ يشير الى أنه بعد غزوة بدر وقع في نصيب ابن أبي سلول، أسير من قريش، ويقول " وكانت لعبد الله ابن ابي بن سلول، جارية يقال لها معاذه، وكان القرشي الأسير يريدها على نفسها، وكانت مسلمة، وكانت تمتنع منه لإسلامها، وكان عبد الله بن أبي يكرهها على ذلك، ويضربها رجاء أن تحمل من القرشي فيطلب فداء ولده".

وآيا كانت القصة، فإن ما حدث بعد ذلك، هو أن الأمور تصاعدت بإتجاه حدوث المواجهة التي طالما سعى إليها ابن سلول، وكان يتحاشاها محمد بأي ثمن .. إذ لجأت الفتاة الى ابي بكر وشكت له حالها، وبدوره قام أبو بكر بإخبار الواقعة للرسول .. وهنا أسقط في يد محمد إذ كان أمامه خيارين لا ثالث لهما .. أما أن ينتصر للفتاة المسكينة ويواجه ابن سلول، ويجازف بخسارة كل ما سعى لتحقيقه .. وأما أن يخذلها ويفقد مصداقيته أمام المؤمنين بدعوته.

يقول ابن كثير " فأقبلت الجارية الى ابي بكر رضي الله عنه فشكت إليه ذلك، فذكره أبو بكر للنبي، فأمره بقبضها، فصاح عبد الله بن أبي من يعذرنا من محمد يغلبنا على مملوكتنا، فأنزل الله فيهم هذا"!!. وكما يتضح من قول ابن سلول " من يعذرنا من محمد" ـ أي من يلومنا فيه ـ أنه رأى في الواقعة فرصه سانحة للتخلص من غريمه، ولعله اعتقد أنه قد حشر محمد في الزاوية .. ولكن فات ابن سلول أن محمدا كان يمتلك سلاحا لا قبل له به، وهو جبريل ـ أي الوحي! إذ ما أن وصلت الأمور الى نقطة الصدام، حتى نزل جبريل مسرعا ومسعفا محمد بمخرج من هذه الأزمة الخانقة .. فجاءت تلك الآية بصياغتها التوفيقية العجيبة، لتطفيء النار التي كان يحاول ابن سلول اشعالها!! ولا تكرهوا فتيانكم على البغاء إن أردن تحصنا لتبتغوا عرض الحياة الدنيا ومن يُكرههن فإن الله من بعد إكراههن غفور رحيم."

ومن يتمعن في تلك الآية يجد أنها حاولت رفع الحرج عن محمد في عدم التدهل لنصرة تلك الجارية، من خلال حصر المسألة بين السيد وأمته ـ والتي تعتبر مما ملكت أيمانه وله أن يفعل فيها ما يشاء؛ دور محمد هنا يقتصر على نصح السيد بعدم إكراه فتاته على البغاء، فإن ضرب السيد عرض الحائط بهذه النصيحة، فإن المسألة هنا قد خرجت من يد محمد، وأصبحت بين مالك الجارية وبين الله، والذي هو بالمناسبة غفور رحيم.!!

وأما بالنسبة للفتاة المسكينة التي ترفض ممارسة الزنا لأنها تريد تحصين نفسها، فإنه لا حرج عليها طالما أنها مكرهه على فعل ذلك. وأما بالنسبة لابن سلول، فعلينا أن نلاحظ الصياغة السياسية الركيكة والمخادعة للآية، والتي تتحاشى القاء لوم مباشر أو غير مباشر على مالك الفتاة ـ ابن سلول ـ ومن يُكرههُنَّ فإن اللهَ من بعد إكراههن غفورٌ رحيم " .. ماذا سيحدث لمن ومن يُكرههن. " وما هو جزاءه؟؟.. هذا التعمد الواضح في ترك الأمر مُبهما عل هذا النحو، إنما يهدف لإفساح المجل أمام محمد لإتخاذ الموقف الذي يشاء من ابن سلول. ولا يعطي أي ذريعة لإبن سلول في إتهام محمد بالسعي الى تحريض جواريه عليه أو كما قال : يغلبنا على مملوكتنا".

وهكذا طويت المسألة، الفتاة عادت الى الماخور، وابن سلول عاد لنصب المكائد لمحمد، وأما محمد الذي نجا من هذه الورطة بواسطة الوحي، يستمد مشروعيته من تلك الآية ـ الفضيحة؟ (من موقع اللادينين العرب)

74 - تحريم الخمر

في مقالة بمجلة الأهرام العربي بتاريخ 29 يونيو 2002 كتب الباحث أحمد عثمان ما يلي:

ليس صحيحا أن القرآن الكريم قد حرم شرب الخمر أو جرم تناوله فالقرآن، وإن جعل الخمر مكروها. فهو لم يحرمه بنص صريح، وكان عمر بن الخطاب هو أول من قرر تحريم شرب الخمر، ثم تبعه الفقهاء بعد ذلك وليس صحيحا أن الكتب السماوية حرمت شرب الخمر قبل الإسلام، فليس هناك نص واحد لا في التوراة ولا في الإنجيل ينص على هذا التحريم ومع أن تحريم الخمر يبدو الآن وكأنه أصبح ركنا رئيسيا من أركان العقيدة الإسلامية، فإن الموقف لم يكن كذلك في أثناء حياة النبي محمد نفسه، ورغم أن العقاب الذي حدده ابن الخطاب لشارب الخمر لا يتجاوز ثمانين جلدة، فإن بعض الفقهاء في أيامنا هذه يعتبرون من ينكر تحريم الخمر مرتدا عن الإسلام، بما يتبع ذلك من الحكم بتكفيره واستحلال دمه.

سورة يوسف:

كان النبيذ الذي يصنع من العنب والتمر والعسل منتشرا في جزيرة العرب قبل الإسلام عندما جاء النبي برسالته، وهناك العديد من قصائد الشعر الجاهلي التي تتغنى بالخمر، بل إن قريشا كانت تمزج ماء زمزم بالتبيذ لتصنع شرابا تقدمه في موسم الحج للوافدين لزيارة الكعبة، في وقت كانت فيه السقاية في بني هاشم. ومع هذا فطوال حوالي اثنى عشر عاما خلال وجود الرسول في مكة قبل الهجرة من المرحلة الأولى للدعوة الإسلامية، لم تأت سور القرآن بأي ذكر لمنع استخدام الخمر أو لتحريمه وفي هذه المرحلة جاء الحديث عن الخمر في آيتين من سورة يوسف إذ " دخل معه السجن فتيان قال أحدهما إني أراني أعصر خمرا .." الآية 36" فقال لهما يوسف " يا صاحبي السجن أما أحدكما فيسقي ربه خمرا.." الآية 41. وبالطبع فنحن لا نجد هنا أية أوصاف أو أحكام خاصة تتعلق بالخمر الذي ورد ذكره في سياق قصة يوسف الصديق. بل إن ذكر الخمر جاء في الآية 67 من سورة النحل، بإعتباره رزقا حسنا للمؤمنين " من ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا إن في ذلك لآية لقوم يعقلون".

وأول ما ثار الحديث عن تأثير الخمر في القرآن كان في السور المدنية، حيث جاء الحديث عنها في ثلاث سور. كانت الأولى في ترتيب النزول بعد الهجرة الى المدينة هي سورة البقرة حيث تقول الآية 219 " يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما.." ونحن هنا نجد وصف الخمر على أن له منافع للناس، إلا أن له كذلك أضرار، وأضرار الخمر تفوق نفعها. وهذا هو ما يتفق عليه رجال الطب في عصرنا الحاضر. لكننا لا نجد في سورة البقرة حكما على الخمر سواء بجواز تعاطيها أو عدمه وعلى هذا فطوال حوالي ثلاثة عشر عاما في بداية الدعوة الإسلامية، لم يتحدث القرآن عن تحريم الخمر، ولا قام الرسول بمنع الصحابة من تعاطيها وأول حكم يتعلق بالخمر في القرآن هو الذي جاء في الآية 43 من سورة النساء، التي نزلت عقب موقعة بدر في العام الثالث للهجرة : يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون.." وكما نرى فحكم المنع في هذه الآية لا ينصرف الى شرب الخمر، وإنما عن تأدية الصلاة أثناء غياب الوعي بالسكر فهذه الآية لا تنهي المؤمنين عن تعاطي الخمر، بل تنهاهم عن الصلاة وهم سكارى، الى أن يعودوا الى رشدهم وعقلهم. بل إن هذه الآية لا تنهي عن الصلاة إلا أولئك الذين وصلوا الى درجة السكر ممن تعاطوا الخمر، لأنهم في هذه الحالة يفقدون عقولهم ولا يعودون يدركون ما يفعلون، وهذا هو ما تقرره القوانين المدنية الآن في جميع الدول التي لا تحرم شرب الخمر، عندما تمنع السكارى من قيادة السيارات.

رجس من عمل الشيطان

أما الذكر الثالث الذي ورد في القرآن عن الخمر، فهو الذي جاء في سورة المائدة، آخر السور التي نزلت من القرآن بعد حجة الوداع في العام العاشر من الهجرة إذ جاء في الآية 9 من سورة المائدة " يا أيها الذين أمنوا إنما الخمر والميسر والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون" وهذه هي الآية التي ثار الخلاف عند تفسيرها، والتي اعتمد عليها فقهاء الإسلام لتحريم الخمر وتقول القصة إن القائد خالد ابن الوليد أرسل عمر بن الخطاب يبلغه بأن جنود المسلمين كانوا يتناولون الخمر بكثرة بعد انتهائهم من المعارك فيسكرون، وخشى أمير المؤمنين أن يؤدي ذلك الى هزيمتهم في القتال فقرر تحريم الخمر. ولما سأل عمر الصحابة الذين كانوا في المدينة عن العقاب الواجب توقيعه على شارب الخمر، نصحوه بتقرير ثمانين جلده، قياسا على العقاب الذي قرره القرآن للذين يرمون المحصنات ثم لا يأتون بأربعة شهداء، كما جاء في الآية 4 من سورة النور ولأن القرآن لم يحرم الخمر فهو لم يقرر عقابا لا في الدنيا ولا في الآخرة، لشاربها والمشرع عندما يقوم بتحريم فعل ما، فهو بالضرورة يقرر عقوبة لمن لا يلتزم بهذا التحريم.

والخلاف هنا يتعلق بدلالة كلمتين وردتا في هذه الآية، هما كلمتي "رجس" و "اجتنبوه" فقد ذهب بعض الفقهاء الى أن تشبيه القرآن للخمر بأنه "رجس من عمل الشيطان" يكفي لتحريمه إلا أن هذا التفسير لا يتفق مع ما جاء في القرآن نفسه. فقد وردت كلمة رجس كذلك مرتبطة بعمل الله سبحانه وتعالى فالآية 71 من سورة الأعراف تقول " قد وقع عليكم من ربكم رجس وغضب " وكلمة رجس تنعني " قذارة" وإن كان تفسير الجلالين ذهب الى أنها في هذه الحالة تعني "عذاب" وعلى كل حال فمجرد وصف الخمر بأنها رجس، لا يعني أنها محرمة. فالتحريم يأتي عادة عن

طريق استخدام تعبيرين محددين "لا" الناهية كما في " يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة" آل عمران، الآية 13 أو " حرمت " كما في " حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم" النساء الآية 23.

إجتنبوه

أما بالنسبة الى كلمة " إجتنبوه" فبينما ذهب بعض المفسرين، مثل فضيلة الشيخ متولي الشعراوي. الى إعتبار الإجتناب أشد منعا من التحريم، فإن قاموس اللغة العربية لا يسمح بذلك فإن يجتنب المرء شيئا ما في اللغة، هو أن يكون بجانبه فهو غير مطالب حتى بالإبتعاد عنه وعلى هذا فإن نصح الطبيب مريضه بإجتناب أكل اللحوم الحمراء، فهو لا يمنعه تماما من تناولها، لكنه يريده أن يمتنع عن أكلها بقدر الإمكان. بل إننا نجد أن الله سبحانه وتعالى يعد المتقين من عباده بالإستمتاع بلذة الخمر في جناته الأبدية، إذ تقول الآية 15 من سورة محمد المدنية " مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين".

من هذا يتضح أن تحريم الخمر في الإسلام جاء بناء على قرار الخليفة الثاني عمر بن الخطاب، وليس بناء على نص في القرآن.

هنا إنتهى مقال الأستاذ أحمد عثمان ولكن لنا على المقال تعليق وإضافات كثيرة.

يتضح من الآيات الأربع التي تناولت موضوع الخمر أنه لا يرد فيها نص صريح قاطع بتحريم الخمر مثل " حرمت عليكم الخمر .. ولا يوجد حد في القرآن على شارب الخمر مثل " والذين يشربون الخمر فأجلدوهما ثمانين جلدة."

إذا فالأمر يشبه كثيرا ما يندرج تحت عنوان " مكروه". ولهذا نقرأ مثلا في صحيح البخاري الحديث التالي:

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله (ص) قال: من شرب الخمر في الدنيا ثم لم يتب عنها حرمها في الآخرة (صحيح البخاري 5575) أكثر من هذا فإن النبي نفسه ينصح المسلمين عن كيفية صنع الخمر ففي الحديث 5602 من صحيح البخاري نقرأ: عن عبد الله بن أبي قتادة عن أبيه قال:" نهى النبي (ص) أن يجمع بين التمر والزهو والتمر والذبيب ولينبذ كل واحد منهما على حدة. وفي صحيح مسلم حديث 1988 عن عبد الله بن أبي قتادة عن أبيه قال رسول الله (ص) : " لا تنتبذوا الزهو والرطب جميعا. ولا تنتبذوا الزبيب والتمر معا. انتبذوا كل واحد منهما على حدة.

وفي صحيح البخاري حديث 5595 عن عائشة أم المؤمنين سألها الأسود وقال: يا أم المؤمنين عم نهى النبي (ص) أن ينتبذ فيه؟ قالت: نهانا في ذلك أهل البيت أن ننتبذ في الدباء والمزفت.

يتضح مما سبق أن نبي الإسلام لم يحرم الخمر كما فعل الفقهاء من بعده. بل أن عمر بن الخطاب نفسه الذي ينسب إليه حد شارب الخمر قد شربه حتى آخر أيام حياته.

ففي " أحكام القرآن" للجصاص، المجلد الثاني ص 465 جاء ما يلي:

(حدثنا أبو إسحق عن عمرو بن ميمون قال: شهدت عمر بن الخطاب حين طُعن وقد أوتي بالنبيذ فشربه ... وروى إسرائيل عن أبي إسحق عن الشعبي عن سعيد وعلقمة أن أعرابيا شرب من شراب عمر فجلده عمر الحد فقال الأعرابي: إنما شربت من شرابك فدعا عمر شرابه فكسره بالماء ثم شرب منه وقال من رابه من شرابه شيء فيكسره بالماء، ورواه إبراهيم النخعي عن عمر نحوه وقال فيه: إنه شرب منه بعدما ضرب الأعرابي). أحكام القرآن للجصاص، المجلد الثاني، ص 465، دار الفكر بمصر.

خلاصة القول أنه ليس في القرآن أو السنة نصا صريحا بتحريم الخمر ولا يوجد في القرآن حدا لشارب الخمر وأن النبي والصحابة وعلى رأسهم ابن مسعود وعبد الله بن عمر كانوا ممن يشربونه بل أن الصحابة أنفسهم كانوا يشربونه بعد موت النبي.

75 - لحم الخنزير

في كتب الفقه القديمة يقول مشايخ المسلمين معللين مفسرين حكم القرآن على لحم الخنزير بالنجاسة بأنه لخبثٍ في طبعه ينعكس على الإنسان إن أكله ولخبثٍ في مادته يعني لحمه يضر البدن، وهذا كلام غير علمي ولا يحدد ولا يوضح ما هي المشكلة في أكل لحم الخنزير، أما في العصر الحديث فيقول مشايخ المسلمين أن سبب التحريم هو أن الخنزير مصاب بالدودة الشريطية وإن أكل إنسانٌ من لحمه يُصاب بها كعدوى، وإني لأستغرب من هذا الكذب الصريح وتزييف المعلومات وخداع مجموعة من الشعوب ذات الأغلبية الجاهلة الساذجة عديمة القراءة والعلم والبحث وممنوعة عنهم المصادر والكتب العلمية الحقيقية.

لدي أسئلة للمسلمين:

1 - هل الدودة الشريطية لا تصيب الأبقار والمواشي الأخرى مثلما تصيب الخنازير وبنفس الدرجة والنسبة؟

2 - ألا يتم من قبل جميع أطباء العالم شرقا وغربا وشمالا وجنوبا - بما في ذلك الأطباء المسلمون - الكشف على المواشي على اختلاف أنواعها للتأكد من عدم إصابتها بالديدان الشريطية وغيرها من الأمراض الدودية والفيروسية التي تصاب بها المواشي، وفي حالة اتضاح إصابة أحدهما يتم عزلها عن المجموعة ولا تذبح حتى يتم علاجها أو يتعاملون مع لحومها بالتجميد وطرق طبية معينة ليكون اللحم سليما لا ضرر منه؟

3 - هل يوجد كائن في كوكب الأرض كله يظل سليما طوال حياته لا يصاب بأي مرض أو عدوى أو إصابة فيروسية أو بكتيرية أو طفيلية؟! إن كان هذا الكائن المنيع الخارق موجودا فهو الرجل الخارق سوبر مان أو هو إله فاعبدوه! أيوجد نوع من الكائنات أو الحيوانات لا يُصاب بعض أفراده بمرض ما سواء الغزلان أو الخيول أو البقر أو الجمال أو الجاموس أو الخراف أو المواشي أو التماسيح أو أو ؟!

4 - هل هناك أي نوع من الكائنات يكون كل أفراده مصابين بطفيل أو طفيليات دائما .. كل أفراده بلا استثناء، لو أن هناك نوعا من الكائنات بهذه الدرجة من الضعف لما استطاع الإستمرار في الحياة والإنتشار في الأرض والتكاثر ولإنقرض منذ زمن طويل، وعلى العكس الخنزير موجود منذ ملايين السنين قبل الإنسان نفسه بكل أنواع البشر القدماء البدائيين حتى، وما زال الخنزير حيا حتى اليوم، ومتحجراته وأحافيره في المتاحف تعود الى ملايين السنين، الطبيعي أن أي نوع من الكائنات حتى الإنسان نفسه يُصاب بعض أفراده بالأمراض فيمرضون أو حتى يموتون إن لم يُعالجوا من المرض أو يقاوم جسمهم، لكن معظم أفراد النوع تكون سليمة الصحة وإلا كان ذلك النوع اختفى من الوجود. أي كائن هذا الذي كون الطبيعي والوضع الدائم لديه هو المرض وليس الصحة؟! إن هذا لكائن أسطوري. لماذا يؤلف هؤلاء المسلمون الأكاذيب والتزييفات المفضوحة، ألا يخجلون، ألا يستحون، ألا يحترمون عقولهم هم أنفسهم؟! ألا يحترمون أنفسهم؟! أيعتقدون أنهم ستجري بلاهاتهم وسخافاتهم على العلماء؟! ألا يرون ما يقول العالم مناقضا كل خرافاتهم وإن الأطباء المسلمين سواء البشريين أو البيطريين ليعلمون الحق ويكتمونه خوفا من المجتمع المتخلف القاهر الجاهل، ألا يفكرون في هذه المسائل علميا ويكتفون بها كما هي، مع علمهم بتناقضها مع العلم، كي لا يثيروا المشاكل ويجلبوا المصائب والكراهية والسجن لأنفسهم أو ليريحوا أدمغتهم ويظلوا على دينهم الخرافي الخزعبلي ولا تحدث لهم مشاكل في حياتهم أو نبذ واضطهاد وعذاب؟!

مثال بسيط: الإسلام يحرم لحم الحمار الأهلي ويقولون أنه نجس والخ، في مصر وسوريا باع بعض الجزارون الغشاشون لحم الحمير للناس على أنه لحم أبقار، وبالمتابعة عرفت وزارة الصحة والتموين وقبضت على هؤلاء البائعين، ففزع الناس الذين اشتروا لحم الحمير وبرزت عيونهم من الخوف الى الخارج وهلعوا، فما كان من الأطباء البيطريين (المسلمين) إلا أن خرجوا في الصحف والتلفزيون وطمأنوا الناس: لا تخافوا لأن لحم الحمير لا يوجد منه أي ضرر إنه لحم عادي جدا، وتم نشر هذا التصريح في جميع الصحف المصرية وقتها لأنها كانت قضية مثيرة للناس وعامة.

أصل الحكاية:

يقول أدولف إرمان عن المصريين القدماء في (ديانة مصر القديمة) - مكتبة مدبولي - القاهرة - ص 449. (كما أنهم كانوا يتميزون عن غيرهم بكثير من العادات: ومنها الختان الذي كانوا أول من سنه، وكان ذلك بقصد " النظافة والطهارة"، ومنها نفورهم من الخنازير ومن المحقق أن لذلك علاقة بما ورد من أن ست وهو في هيئة خنزير أسود قد جرح حورس). ويقول في الهامش: انظر الأسطورة في كتاب الموتى فصل 112. ويقول د. علي فهمي خشيم في كتابه (آلهة مصر العربية) - المجلد الأول - ص 406 - مادة خ زر - الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة. والحق أنه كان يجب أن يضع المادة في عنوان ح ج ر، وليس خ ز ر. فيقول فيها: (اعتبر المصريون القدماء الخنزير حيوانا قذرا ورجسا ومنكرا فظيعا، وهو ما حدث في اليهودية والإسلام، وقد ربطوا بينه وبين إله الشر ست ويقول كتاب الموتى أن ست هجم على حورس متنكرا في شكل خنزير أسود، فجرح عينه، أو في رواية أخرى التهمها. وفي رسم بمعبد إدفو نرى حورس يطارد ست في صورة خنزير. كما ربطوا بينه وبين القمر، فكان يُذبح ليلة تمام القمر بدرا، فيُقدَّم قربانً لإيزيس وأزيريس ربي القمر. وتحكى أسطورة كيف أن نوت ربة السماء اتخذت هيئة خنزير والتهمت أبناؤها النجوم، ولكنهم كانوا يولدون كل ليلة من هذه الخنزيرة السماوية. وصارت هي وأبناؤها تعويذة منتشرة عند قدماء المصريين بإعتبارها رمزا للخصوبة الأمومية ورمز الحياة المتجددة). بل ها هو عالم المصريات (والاس بَدج) يورد في كتابه (آلهة المصريين) - مكتبة مدبولي - القاهرة، النص الكامل الأصلي لتحريم لحم الخنزير والذي ورد في

كتاب الموتى (أو الموت) المقدس لدى قدماء المصريين، فيترجمه لنا هكذا في ص 601 من كتابه: (في الفصل المذكور أعلاه [يعني به الفصل 112 من كتاب الموتى] جُعل الميت يقول سائلا عددا من الآلهة " هل تعرفون السبب الذي لأجله أعطيت مدينة " بي هاز" لحورس؟". ثم استمر قائلا " أنا - حتى - أنا أعرفه رغم أنكم لا تعرفون، انظر رع أعطاه المدينة في مقابل الإتلاف الذي حدث لعينه. فلهذا السبب قال رع لحورس " انظر هذا الخنزير الأسود" وهو قد نظر ومباشرة حدث الإتلاف لعينه - بمعنى أن نقول - عاصفة قوية (أخذت مكانها هناك). عندئذ قال حورس لرع " بالتأكيد تبدو عيني كما لو كانت عينا ابتلاها ست بلطمة " وهكذا يُقال أنه أكل قلبه. عندئذٍ قال رع لهؤلاء الآلهة" ضعوه في حجرته وسوف يتحسن". والآن الخنزير الأسود كان ست الذي حول نفسه الى خنزير وهو الذي صوب قذفة النار التي أصابت عين حورس عندئذ قال رع لتلك الآلهة " الخنزير أصبح شيئا ملعونا لحورس ولكنه سيشفى رغم أن الخنزير قد سبب الرجس له" عندئذ قال مجمع الآلهة التي كانت من بين أتباع حورس عندما تواجد على هيئة ابنه قالت:" دعه يضحي بثيرانه ومعيزه وخنازيره. وبعد هذه هي حقيقة تحريم الخنزير من جهة عدم وجود أي أساس علمي لها، وإلا لم أكن لأرضى أن آكل منه، وكل الشعوب المتحضرة المتقدمة علميا المتمدنة تأكله ولا يحدث لها شيء وهم أعلم مليون من مرة من البدو والأعراب والجهلة والغوغاء، ولو كان له ضرر لتم تحديد هذا الضرر في كتب المراجع العلمية الطبية المعترف بها عالميا ومنظمة الصحة العالمية بالأمم المتحدة كانت ستحذر من أضراره المزعومة. عن موقع اللادينيين العرب.

76 - الحـنفاء

يدعي البعض بأن عبد المطلب جد نبي الإسلام كان من الحنفاء. وهو إدعاء الغرض منه إثبات أن نسب النبي لا ينتمي الى عبادة الأوثان. ولكن الواقع يدحض هذا فقد أورد الأستاذ عماد الصباغ قائمة بالحنفاء في كتابه " الأحناف" (دار الحصاد - طبعة أولى - 1998) لم يرد فيها اسم عبد المطلب.

" قس بن ساعدة الإيادي - زيد بن عمرو بن نفيل القرشي - أمية ابن أبي الصلت الثقفي - أرباب بن رئاب - سويد بن عامر المصطلقي - أسعد أبو كرب الحميري - وكيع بن زهير الإيادي - عمر بن جندب الجهني - عدي بن زيد العبادي - أبو قيس صرمة - سيف بن ذي يزن الحميري - ورقة بن نوفل القرشي - عامر بن الظرب العدواني - عبد الطابخة بن ثعلب بن وبرة بن قضاعة - علاف بن شهاب التميمي - المتلمس بن أمية الكناني - زهير بن أبي سلمى - خالد بن سنان العبسي - عبد الله القضاعي - عبيد الله بن الأبرص الأسدي - كعب بن لؤي بن غالب".

لقد نذر عبد المطلب أن يذبح أحد أبنائه للأله هبل إذا إكتمل عددهم عشرة. وهذا يتنافى تماما مع معتقدات الأحناف الذين كانوا يدفعون الأموال لإنقاذ البنات الصغيرات من الوأد على أيدي أبائهم.

دليل آخر على عدم انتساب أهل نبي الإسلام الى الحنيفية التي كان يقال أنها ملة إبراهيم هو أن أبيه عبد الله في النار كما جاء في صحيح مسلم.

حدثنا أبو بكر ابن أبي شيبة: حدثنا عفان: حدثنا حماد ابن سلمة عن ثابت عن أنس أن رجلا قال: يا رسول الله أين أبي؟ قال:" في النار" فلما قفى دعاه فقال: إن أبي وأباك في النار". صحيح مسلم - كتاب الإيمان.

أكثر من هذا فإن النبي نفسه كان يأكل مما ذبح للأوثان قبل البعثة. صحيح البخاري - باب ما ذبح على النصب والأصنام.

حدثنا مُعلى بن أسد: حدثنا عبدُ العزيز بن المُختار: أخبرنا مُسى ابن عُقبة قال: أخبرني سالم أنهُ سمع عبد الله يُحدثُ عن رسول الله (ص) أنهُ لقي زيد بن عمرو بن نُفيل بأسفل بلدح، وذاك قبل أن يُنزل على رسول الله الوحي، فقدم إإليهِ رسول الله سُفرة لحم فأبى أن يأكل منها، ثم قال: إني لا آكلُ مما تذبحون على أنصابكم، ولا آكلُ إلا مما ذكر اسم اللهِ عليه.

ولإلقاء الضوء على الحنيفية ونشأتها ننقل هنا ما جاء في كتاب " المسكوت عنه" لوليد المنسى - عشتروت للطباعة - طبعة أولى 2003:

الديانة الحنفية:

مع إطلالة القرن السابع الميلادي كانت شبه الجزيرة العربية محاصرة بممالك قوية، قادرة على انتهاشها في أي وقت تشاء، فبمحاذاة حدود العراق قامت مملكة الحيرة كرأس رمح للغزو الفارسي، وقامت دولة الغساسنة بدور مشابه في خدمة الروم على حدود الشام، بينما خضع الجنوب العربي في اليمن للإحتلال الحبشي والرعاية الفارسية فيما بعد، وتوازى مع هذه الأخطار الخارجية خطر داخلي كان دائم الحضور وهو التقاتل القبلي الشرس بين قبائل شبه الجزيرة العربية، في منطقة عُرفت بندرة الماء والكلأ وتعدد الإيديولوجيات الدينية الذي عكسه تعدد الآلهة. ووسط أجواء الخطر الخارجي والتشرذم الداخلي نشأت حاجة حقيقية للتوحد السياسي، وتمت العديد من المحاولات باءت كلها بالفشل الذريع على صخرة التعدد الديني كمحاولات (زهير الكلبي) و (عبد الله بن أبي سلوم) و(كندو) و(المناذرة). أخفقت إذن محاولات التوحد السياسي بالرغم من أن العرب قد تذوقوا طعمه في هزيمتهم للفرس في واقعة (ذي قار)، وتحول التفكير الى التوحد الديني كخطوة مهمة للتوحد السياسي، وراودت الفكرة أذهان العديدين منهم قبل الإسلام. قال أمية بن أبي الصلت:

ألا نبي منا فيخبرنا ما   بعد غايتنا في رأس محيانا

وسط أجواء هذا المخاض الديني، ظهرت الحنفية التي شكلت الإرهاصات الأولى لعاصفة دينية سوف تجتاح صحراء الحجاز وتغير ملامحها للأبد. ويشابه الدور الذي لعبته الحنفية في تشكيل عقائد (محمد بن عبد الله)، الدور الذي لعبته طائفة العيسويين في تشكيل عقائد (عيسى المسيح).

والحنيف في الجاهلية كل من عبد الله ونبذ الأوثان واختتن وحج واتبع ملة إبراهيم وصام وصلى وترك الخمر؛ وتعني لغة " التخنث" أي الإنقطاع للتعبد والتأمل. وقد وردت لفظة حنف (حنفه) في النصوص العربية الجنوبية بمعنى صبأ، أي مال وتأثر بشيء ما، وهي في السياق الإجتماعي، الديني، تشير الى من ترك عبادة قومه الى عبادة أخرى . وبحسب المسعودي، الصابئ لفظة من أصول سريانية، أطلقت على المنشقين عن عبادة قومهم، وقد أطلق أهل مكة على النبي (ص) وأتباعه لفظة صابئ، وصبأت، وصارت علما على من تنكر لعبادة قومه الجاهلية". (عماد الصباغ - الأحناف. دار الحصاد دمشق 1998 ص 32)

جذور الطائفة الحنفية

في الألف الرابع قبل الميلاد، قام أتباع الإله الأكبر (إيل) بإلغاء كل حضور للأرباب المتعددة. (المصدر السابق ص 23). وأقاموا شعائرهم وطقوسهم الدينية للخالق الأكبر وحده (إيل)، دون أي وساطة من الأرباب الآخرين، وهدمت معابد بعل وعشتار وعشتروت/ أناة وهي ذاتها الآلهة الجاهلية هبل واللات والعزى ومناة.

وعندما حاول أحد ملوك أوغاريت الإرتداد عن هذا التوحيد (الإيل) وإعادة عبادة الآلهة الأخرى، قتله كهنة (إيل) دون تردد. ورغم عودة الآلهة الأخرى في أوغاريت في فترات لاحقة، إلا أننا نجد أن هذه الثورة قد إمتد تأثيرها العقائدي في المنطقة العربية بأكملها، (المصدر السابق ص 24) عبر الديانة التي أطلق عليها فيما بعد "الإبراهيمية".

أشهر الحنفاء في الجاهلية

ضمت الدعوة الحنفية العديد من أعلام العرب الذين توزعوا في كل أرجاء الجزيرة العربية فإنتشروا في مكة والمدينة والطائف واليمامة والبحرين وعمان وحضرموت ونجران.

وكان منهم حكماء العرب: قس بن ساعدة وورقة بن نوفل وزيد بن عمرو بن نفيل، وأبرز شعرائها الدينيين أمية بن أبي الصلت وسويد بن عامر وأبو قيس صرمة بن أبي أنيس، ومدعي النبوءة وكيع بن سلمة الأيادي، وطالب ملك قريش عثمان بن الحويرث.

عقائد الحنفية:

تمركزت الحنفية حول السلف التوراتي إبراهيم، ونسب الأحناف أنفسهم والعرب الى " أب العديد من الأمم" تماما كما نسب اليهود والأنباط والأدوميين أنفسهم إليه ثم لحقهم المسلمون، ذلك أن في نسله النبوءة:" وجعلنا في ذريته النبوءة والكتاب". العنكبوت: 27.

وكما دعا الأحناف الى ملة إبراهيم، كذلك دعا الإسلام في بادئ أمره الى الديانة الإبراهيمية، بإعتبار أن إبراهيم كان حنفيا: " قل صدق الله فإتبعوا ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين". آل عمران:95.

ويربط النص القرآني ما بين الحنفية والإسلام:" وما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين". آل عمران: 67.

ولا تزال رواسب إقتران الطائفة الحنفية بالإسلام باقية في مفهوم (الدين الحنيف) الإسلامي، وارتبطت الحنفية قبل الإسلام بلفظة إسلام، قال زيد بن عمرو بن نفيل أحد أئمة الحنفية:

وأسلمت وجهي لمن أسلمت له الأرض تحمل صخرا ثقالا

دحاها فلما رآها استوت على الماء أرسى عليها الجبالا

ويستعيد النص القرآني ملامح أبيات زيد بن نفيل:" فقل أسلمت وجهي لله". آل عمران: 20. إذن لقد ارتبط الإسلام في بدء دعوته بالحنفية ففي النص القرآني:" حنفاء لله غير مشركين به ومن يشرك بالله فكأنما فر من السماء فتختطفه الطير أو تهوي به الريح من مكان سحيق". الحج: 3.

وقال حمزة بن عبد المطلب حين أسلم:

حمدت الله حين حين هدى فؤادي الى الإسلام والدين الحنيف

لـــديـن جـاء مـــن رب عـزيــز خبير بالعباد بهم لطيـــف

وسميت الدعوة الجديدة لاحقا الإسلام حتى تتباعد عن مصدرها الحنفي، عندما ناصبها بعض أعلام الحنفية العداء، كأمية بن أبي الصلت الذي كان يتوق الى النبوة وأبي عامر عبد عمرو بن صيفي بن النعمان الذي قال للنبي " إنك أدخلت يا محمد في الحنيفية ما ليس منها" (السيرة النبوية. ابن هشام ج2 ص585). وعندما انسلخ منها آخرون كعبد الله بن جحش، فجاء النص القرآني حاملا اسم الإسلام:" ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم". البقرة: 128.

أشعار الأحناف وعلاقتها بالنص القرآني:

قال زيد بن عمرو بن نفيل في التوحيد بالله ورفض عبادة الأوثان:

أربـــا واحـــدا أم ألـــف رب أديـن إذا تقسمت الأمــور

عـزلت اللات والعزى جميعا كذلك يفعل الجلد الصبــور

وفي الإيمان بالبعث ويوم الحساب قال زيد بن عمرو بن نفيل:

تـرى الأبـرار دارهـم جـنـــان وللكـفــار حـاميــة سعيـــر

وخــزي في الحياة وإن يموتوا يلاقـوا ما تضيق به الصدور

وفي آيات الكون يقول أمية بن أبي الصلت:

إن آيـــات ربنـــا ثـــاقبـــــــات ما يمـاري فيهـن إلا الكفور
خلـــق الـليـــل والنهـار فكـل مستبيـن حـسابـه مقـــدور

وفي الشياطين، يقول أمية بن أبي الصلت:

وتـرى شياطينا تـروغ مضافة ورواغـها شتى إذا مـاتطرد
يلقـــي عليها فـي السماء مـذلـــة وكواكـب تـرمي بها فتـعرد

وفي الخمر يقول قيس بن عاصم:

رأيت الخـمر مصلحـــة وفيها خصال تعتدي الرجل الكريما

وتحتشد أشعار العديد من شعراء الحنيفية بصور وتعابير تكاد تكون حرفية في نصوص القرآن، وفي هذا يقول (د. جواد علي) عن (أمية بن أبي الصلت)" وفي أكثر ما نسب الى هذا الشاعر من آراء ومعتقدات، وصف ليوم القيامة والجنة والنار، تشابه كبير وتطابق في الرأي جملة وتفصيلا، لما ورد عنها في القرآن الكريم، بل نجد في شعر أمية استخداما لألفاظ وتراكيب واردة في كتاب الله والحديث النبوي قبل المبعث" (المفصل في تاريخ العرب ج5 ص384).

وينقطع القرآن نفسه لفترة طويلة عند موت (ورقة بن نوفل)، وقد كان من شعراء قريش وعلمائها ومعلما للنبي (محمد):" ثم لم ينشب ورقة أن توفى وفتر الوحي حتى حزن رسول الله (ص) فيما بلغنا حزنا غدا منه مرارا كي يتردى من رؤوس شواهق الجبال" (مسند أحمد حديث 443)." فلم يلبث ورقة أن توفى وفتر الوحي حتى حزن رسول الله (ص) حزنا شديدا حتى كان يذهب الى رؤوس شواهق الجبال يريد أن يلقي بنفسه منها" (مختصر سيرة الرسول ـ محمد بن عبد الوهاب ص 57).

تمتلئ الطقوس الإسلامية بالعديد من الشعائر والطقوس التي هاجرت إليها عبر جسر الحنفية من مصدرها الصبئي المندائي، من قبل (قس بن ساعدة الإيادي) و(أمية بن أبي الصلت) الذي عاش بينهم ونهل من ديانتهم مدة ثماني سنوات، حتى أن بعض الباحثين جعلوا من الحنفاء والصابئة اسمي لمذهب واحد". على الأرجح، هم تلك الطائفة من مشركي العرب قبل البعثة الذين ساورهم الشك فيما كان عليه قومهم من عبادة الأصنام، فبحثوا لأنفسهم عن عقيدة يرتضونها، فاهتدوا الى التوحيد، وقالوا إنهم يتعبدون على الحنفية الأولى ملة إبراهيم، واعتزلوا عبادة قومهم دون أن تكون بهم دعوة فيهم، فقال عنهم المشركون إنهم (صبؤوا) كما كانوا يقولون عن المسلمين بعد ذلك" (سيد قطب. في ظلال القرآن ـ دار الشروق ص95). إن أكثر ما يربط بين شعائر الإسلام والصابئة هي كثرة الوضوء والإغتسال، فقد سمى العرب الصابئة المندائية بطائفة (المغتسلة)، إذ كان لديهم نوعان من الإغتسال، الطهارة الكبرى حيث يجري غسل كل الجسم والرأس في الماء الجاري، والطهارة الصغرى وهو الوضوء الذي رحل الى الصلاة في الإسلام، والذي كان وفق التسلسل التالي، غسيل الوجه ثلا ث مرات، رسم الجبين بالماء من اليمين الى الشمال، تنظيف الأذنين بالماء بوساطة الإصبعين ثلاث مرات، تنظيف الأنف بنشق الماء ثلاث مرات من راحة اليد اليمنى، غسيل الأعضاء السفلى، غسيل الفم من الداخل ثلاث مرات، غسيل الركبتين، غسيل الساقين، إنهاء الوضوء بالدعاء. ولأداء الصلاة هنالك أذان خاص بالصابئة (الصائبة المندائيون ـ ليدي دراوور ـ ترجمة نعيم بدوي. بغداد ص 170 - 172).

كانت الحنفية إذن خطوة دينية متقدمة حينئذ في شبه الجزيرة العربية، سعت بكل جهدها لتوحيد العرب حول ملة (إبراهيم) لكنها حوربت وأخفقت في دعوتها؛ إذ كانت مجموعة من الشعائر والطقوس والمفاهيم المقتبسة من الصابئة المندائية واليهودية والمسيحية، ليست لها بينة عقائدية منتظمة، وعاجزة عن تقديم إطار متكامل يحوي كل هذه الشعائر والطقوس والمفاهيم في صيغة جديدة وجذابة، كما أنها افتقدت القيادة الفكرية والسياسية المصادمة، وانتهى بها الأمر لى أن تتماهى عناصرها بالمسيحية واليهودية والإسلام لاحقا، وتتفكك مفاصلها التنظيمية لإطار ديني جديد بعث على أنقاضها وتجاوزها بقيادة أحد عناصرها السابقة (محمد بن عبد الله).

77 - عنصرية الإسلام

1 - جاء في سورة آل عمران:

يوم تبيض وجوه وتسود وجوه. فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون. وأما الذي ابيضت وجوههم ففي رحمة الله هم فيها خالدون. آل عمران: 106-107.

وفي هذا اعلان صريح عن عنصرية الإسلام إذ يربط بين الوجوه البيضاء ورحمة الله وبين الوجوه السوداء وعذابه.

2 - في أحاديث نبي الإسلام عنصرية واضحة ضد أهل الكتاب كما نرى في الأحاديث الثلاثة التالية:

لا تبدأوا اليهود والنصارى بالسلام:

باب: لا تبدؤوا اليهود والنصارى بالسلام - عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله (ص) قال:" لا تبدأوا اليهود والنصارى بالسلام، وإذا لقيتم أحدهم في طريق فاضطروه الى أضيقه".

(صحيح مسلم 5/7)

اليهودي والنصراني فكاك المسلم من النار:

باب: يجعل لكل مسلم فداء من النار من الكفار - عن أبي موسى قال: قال رسول الله (ص) :" إذا كان يوم القيامة دفع الله الى كل مسلم يهوديا أو نصرانيا، فيقول: هذا فكاكك من النار".

(صحيح مسلم 104/8)

هذا يهودي خلفي فتعالى فاقتله:

باب: في قتال الملمين اليهود - عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله (ص) قال:" لا تقوم الساعة حتى يقاتل الملمون اليهود، فيقتلهم المسلمون حتى يختبئ اليهودي من وراء الحجر والشجر، فيقول فتعال فاقتله إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود."

(صحيح مسلم 188/8)

3 - الأكثر من كل هذا أن القرآن نفسه يحكم على أهل الكتاب بالصغار كما جاء في سورة التوبة:" قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخرة ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون". سورة التوبة: 29.

4 - اقتدى صحابة محمد به في عنصريته ولهذا فقد امتنع عمر بن الخطاب عن تزويج ابنته الى الصحابي الجليل سلمان الفارسي وزوجها الى أبي الدرداء وذلك لأن سلمان لم يكن عربيا. بل أن العرب كانوا يسمون الفرس بالعجم والعجمة هي البهيمة كما هو وارد في قواميس اللغة العربية

78 ـ الحضارة الإسلامية

أنتحل العرب كل أعمال ومنجزات أهل العلم والمعرفة من أبناء البلاد الموطوءة التي رفعوا رايات الإسلام عليها قهرا ونسبوها للإسلام والإمبراطورية الإسلامية. ولعل في القائمة التالية ما يؤيد ما نقول .. إذ أنك ترى عزيزي القارئ أنه ليس هناك عالما واحدا في هذه القائمة الطويلة من أصل عربي وهو ما يفند أكاذيب أصحاب خرافة " الحضارة الإسلامية " و " الطابع الإسلامي " الخ .. الخ.

لا حظ أن هذا أيضا تناقض في الألفاظ إذ أن الحضارات لا ترتبط بالأديان وإنما بالشعوب .. ولهذه فأننا لا نسمع مثلا عن الحضارة الهندوسية والحضارة البوذية وإنما نسمع عن الحضارة الهندية والحضارة الصينية.

قائمة بأسماء علماء البلاد الموطوءة
تحت راية الإمبراطورية الإسلامية

(من موسوعة علماء العرب والمسلمين للدكتور محمد فارس. المؤسسة العربية للدراسات والنشر ـ بيروت ـ الطبعة الأولى 1993).

ابن باجة ـ فيلسوف ـ وطبيب ـ أندلسي.
ابن البيطار ـ عالم نبات وصيدلاني وطبيب ـ أندلسي.
ابن حوقل ـ جغرافي ورحالة ـ من بين النهرين (تركيا حاليا).
ابن خرداذبة ـ جغرافي واديب ـ فارسي.
ابن رسته ـ عالم ـ فارس.
ابن رشد ـ طبيب وعالم وفيلسوف ـ أندلسي.
ابن مفرج النباتي ـ عالم نبات ـ أندلسي.
ابن زهر ـ طبيب ـ أندلسي.
ابن سينا ـ عالم وطبيب وفيلسوف وشاعر ـ من مدينة بخاري (الأوزبك حاليا).
ابن الشاطر ـ رياضي وفلكي ـ سوري.
ابن طفيل ـ فيلسوف وعالم وطبيب ـ أندلسي.
ابن الفقيه الهمداني ـ جغرافي ـ يمني.
ابن المجدي ـ رياضي وفلكي ـ مصري.
ابن مسكوية ـ طبيب وكيميائي وفيلسوف ـ عراقي.
ابن ميمون ـ طبيب وفيلسوف ـ أندلسي.
ابن النفيس ـ طبيب ـ سوري.
ابن الهائم الفرضي ـ رياضي وفقيه ـ مصري.
ابن الهيثم ـ فيزيائي وطبيب ورياضي ـ عراقي.
ابن يونس ـ فلكي ورياضي ـ يمني.
أبو حامد المازني ـ عالم ورحالة ـ أندلسي.
عماد الدين الملك المؤيد ـ فلكي وجغرافي ومؤرخ ـ سوري.
أبو النصر الفارابي ـ عالم وفيلسوف ـ فارسي.
أخوان الصفا ـ علماء ـ عراقيون.
الأدريسي ـ جغرافي وعالم ورحالة ـ مغربي.
البتاني ـ فلكي ورياضي ومهندس ـ عراقي.
أبو يوسف يعقوب بن اسحق الكندي ـ رياضي وفيزيائي وطبيب وفلكي وجغرافي وفيلسوف (يمني) هو أبو يوسف يعقوب بن اسحق بن الصباح بن عمران بن إسماعيل بن محمد بن الأشعث بن قيس الكندي وهو من أصل يمني من قبيلة كندة اليمنية عاش كل حياته وتلقى تعليمه في العراق (800م ـ 873م) إذ كان أبوه شخصية
رسمية في بلاط هارون الرشيد الخليفة العباسي الخامس.
ابن ماجد ـ ملاح وجغرافي ـ من ساحل عمان.
السيوطي ـ علامة وفقيه ـ مصري.

البغدادي - عالم وطبيب وجغرافي - عراقي.
البلخي - منجم وفلكي - من خراسان.
البوزجاني - رياضي وفلكي - من بوزجان.
البيروني - رياضي وفلكي - من خوارزم.
الراصد الشامي - مهندس وفلكي - تركي.
الحراني - طبيب ورياضي وفلكي - تركي.
جابر ابن حبان - كيميائي وطبيب - عراقي.
حاجي خليفة - علامة وجغرافي - تركي.
الخوارزمي - رياضي وفلكي وجعرافي - من أوزبكستان.
أبو بكر الرازي - طبيب وكيميائي ورياضي وفيلسوف وفلكي - إيراني.
فخر الدين الرازي - علامة وفقيه - إيراني.
الزرقالي - فلكي ورياضي وعالم - أندلسي.
الزهراوي - طبيب وجراح - أندلسي.
سراج الدين الوردي - جغرافي - سوري.
سهل بن بشر - فلكي ورياضي - فارسي.
شهاب الدين الدمشقي - موسوعي وأديب - سوري.
الطغرائي - كيميائي وشاعر - فارسي.
علي بن زين الطبري - طبيب - طبرستان.
عمر الخيام - رياضي وفلكي وطبيب وفيلسوف وشاعر - خراسان.
الفرغاني - فلكي ورياضي - أورزبكستان.
القزويني - علامة وفقيه - فارسي.
المجريطي - رياضي وفلكي وكيميائي - أندلسي.
المسعودي - جغرافي وعالم ومؤرخ ورحالة - عراقي.
المهري - ملاح وجغرافي - يمني.
الطوسي - رياضي وفلكي - خراسان.
المهراني - جغرافي ومؤرخ - يمني.
ياقوت الحموي - جغرافي ومؤرخ وأديب - تركي.

بعد هزيمة المسلمين في موقعة تورز على الحدود الأسبانية الفرنسية أمام جيوش فرنسا بقيادة شارل مارتل أستكن المسلمون الى واقع الأمر وأجبروا على الإكتفاء بما احتلوه من البلاد في شمال أفريقيا وأسبانيا والشام والعراق وأفغانستان وما يعرف الآن بباكستان.

ونظرا لعدم تحضر العرب .. إذ أنهم بدو بالطبيعة .. وكل ما كانوا يعرفونه هو رعي الغنم وارتجال الشعر .. كان لا بد لهم أن يستعينوا بأهل المعرفة والخبرة في البلاد الموطوءة حتى يمكنهم إدارة البلاد بما فيها من دواوين وحرف وزراعة وري وخلافه. فالثابت تاريخيا أن الحضارات القديمة قامت على ضفاف الأنهار كالحضارة الفرعونية وحضارات الآشوريين والبابليين والفينيقيين واليمنيين والهنود والصينيين ولم يكن لعرب الجزيرة العربية أي حضارة من أي نوع .. وبرغم هذا ما زال البعض من المتبجحين والمنتطعين يتحدث عن الحضارة العربية وهو في لغة المنطق " تناقض في الألفاظ ". أضف الى هذا أن سلاطين المسلمين لم يكن الجهاد في نشر الإسلام هو شاغلهم الأول - إن كان شاغلهم على الإطلاق - ولهذا فقد تفرغوا للإستمتاع بنعم الدنيا وخيراتها ومباهجها ومسراتها فإمتلأت قصورهم بالمغنيين والمغنيات والراقصين والراقصات والخمور وكل ما لذ وطاب من الطعام والشراب ..

هذه هي الفترة التي يتشدق مروجوا الإسلام بأنها دليل على سماحة الإسلام ودعوته للسلام بين الأديان .. الى آخر المنظومة إياها. وهي منظومة يدحضها الواقع والتاريخ..

79 ـ مكة مركز الأرض

نشرت مجلة : روز اليوسف" تحقيقا عن هذا الأمر بتاريخ 2006/12/23. جاء فيه ما يلي:

لم يكن د. زغلول النجار هو أول من قال بأن مكة المكرمة هي مركز الكرة الأرضية وسرتها، ومعتبرا ذلك من دلائل الإعجاز العلمي القرآني في تفسير الآية الكريمة " لتنذر أم القرى ومن حولها" ... على أساس أن أم القرى هنا هي المركز ومن حولها هي أطراف الأرض اليابسة .. نقول إن الدكتور زغلول لم يكن الأول وإنما كان الأشهر .. فقد سبقه الى هذه النظرية كثيرون ربما كان أولهم في العصر الحديث د. حسين كمال الدين أحمد أستاذ الهندسة المساحية والفلك الكروي في جامعة الملك سعود، حيث قام قبل أكثر من ربع قرن بإجراء بحوث بهدف تعيين مواقيت الصلاة في أي زمان وفي أي مكان من الأرض.

وخلص من هذه الأبحاث الى نتيجة مهمة خلاصتها أن مكة هي مركز الأرض اليابسة، ووضع في ذلك نظرية هندسية سماها الإسقاط المساحي المكي للعالم .. وهي نظرية هلل لها المشايخ الوهابيون، ومنحوها قدسية، ورسخوها في الأذهان، على أساس أنها معجزة إلهية لا تقبل التشكيك، تضفي قداسة وشرفا لا يزولان على مكة، وبالتالي على الدولة التي تضمها الى أن يرث الله الأرض ومن عليها. ثم جاء بعده د. أحمد السيد دراج أستاذ التاريخ الإسلامي بجامعة القاهرة، والمحاضر بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة أم القرى بالسعودية ليصدر كتابا فريدا في موضوعه، منحه عنوان " الكعبة المشرفة سرة الأرض ووسط الدنيا" خصص فصوله لترسيخ تلك النظرية، والتدليل عليها بما أوتي من براهين وأبحاث، طوعها كلها ليصل مبتغاه: إن أول ما خلق الله من الأرض مكان الكعبة، ثم دحا الأرض من تحتها، فهي سرة الأرض ووسط الدنيا .. هذا ويذكر أن عالما أمريكيا أثبت بإستخدام أجهزة علمية حديثة في دراسة له عن المواقع الطبوغرافية عن الكوكب الأرضي أن الإشعاعات الكونية تتلاقى عند مكة المكرمة، أي أن مكة المكرمة نقطة الإلتقاء الباطنية في الأرض للإشعاعات الكونية."

ويذكر د. دراج أنه سمع أن أبحاث غزو الفضاء في أمريكا قد أثبتت أن مكة هي مركز الكرة الأرضية، فسعى لأن يتثبت من تلك المعلومة، فكتب الى هيئة الإستشعار عن بعد بوكالة الفضاء الأمريكية "ناسا" يستفسر بطلب رسمي عما إذا كانت أقمارها الصناعية التقطت صورا للأرض تؤكد أن مكة هي مركزها، فلم ترد الهيئة على طلبه ومكاتباته .. ثم حدث أن جاء د. فاروق الباز العالم المصري الشهير، وأحد العلماء البارزين في وكالة الفضاء الأمريكية ليشارك في مؤتمر علمي عقد في قسم الجيولوجيا بكلية العلوم جامعة القاهرة عام 1995 ووجدها د. دراج فرصة ليستخرج منه تصريحا يشفي غليله، ويعلن بعده الإنتصار المؤزر للإسلام بأن العلماء الأمريكان أثبتوا بما لديهم من قدرات علمية فائقة أن الكعبة هي مركز الكون .. إلا أن د. الباز خذله، وأكد له أن الصور التي التقطتها الأقمار الصناعية لا تشير ولا تثبت هذه النظرية. خذله الأمريكان، ولكنه لم يعد نصيرا في مصر، فإستعان بالمعهد القومي للبحوث الفلكية والجيوفيزيقية بجامعة حلوان، والتابع لوزارة البحث العلمي وقتها لإجراء دراسة بمقاييس العلوم الفلكية والجيوفيزيقية الحديثة " لمزيد من التثبت من صحة نظرية الدكتور حسين كمال الدين عن الإسقاط المساحي المكي للعالم، وعن صحة ما جاء في الخرائط الجغرافية العربية للعالم ودوائر دلائل" عن مكة المكرمة والكعبة المشرفة.

وجاءت نتائج الدراسة التي قالم بها المعهد القومي للبحوث الفلكية لتثبت ما لم تستطع وكالة الفضاء الأمريكية إثباته، وتمنح مهاويس الإعجاز العلمي أكثر مما تمنوه، وأعتبروه نصرا مبينا للإسلام/ وكأن الناس في أوروبا وأمريكا كانت ستدخل في دين الله أفواجا بمجرد علمهم بثبوت الرؤية .. وأن الكعبة هي مركز الكون وسرته .. بغض النظر عن سلوكيات المسلمين وأفعالهم ..! البحث المبين الذي حمل توقيع د. مسلم شلتوت رئيس شعبة بحوث الشمس والفضاء بالمعهد وقتها جاء بعد البسملة بعنوان " مركزية مكة المكرمة للأرض اليابسة على سطح الكرة الأرضية " وجاء فيه: بناء على ما نشر بمجلة البحوث الإسلامية المجلد الأول للأستاذ الدكتور حسين كمال الدين بأن مكة المكرمة هي مركز لدائرة تمر بأطراف جميع القارات .. أي أن الأرض اليابسة على سطح الكرة الأرضية موزعة حول مكة المكرمة توزيعا منتظما، وأن مدينة مكة المكرمة هي في هذه الحالة تعتبر مركزا للأرض اليابسة، فقد تم إجراء حسابات على الحاسب الآلي بقسم بحوث الشمس والفضاء تحت إشرافي للتحقق من هذه المعلومات المنشورة كما يلي:

أولا: العالم القديم:

تم أخذ تسع مدن وجزر تمثل أطراف العالم القديم لثلاث قارات أفريقيا وأوروبا وآسيا وهي بورنيو " أندونيسا على مسافة 8433 كم من مكة" جاوا " أندونيسيا على مسافة 8273 كم" كيب تاون " جنوب أفريقيا على مسافة 6559 كم أيسلندا " أيسلندا على مسافة 6410 كم " نيوسيبيريا " شمال روسيا على مسافة 8050 كم"، سخالين " شرق روسيا على مسافة 9044 كم" كيتا كوشو " اليابان على مسافة 8790 كم، تايوان " تايوان على مسافة 8218 كم"، مانيلا " الفلبين عل مسافة 8575 كم". وقد تم حساب المسافة القوسية بالكيلو مترات بين مكة المكرمة وكل من هذه المدن والجزر التسع وذلك بحل المثلثات الكروية بعد معرفة فروق خطوط الطول والعرض بين مكة المكرمة وكل منها، وكانت المسافة المتوسطة لهذه المواقع التسع هي 8039 كم، ومنها نجد أن حيود ـ جمع حد ـ مسافة كل موقع عن المسافة المتوسطة لا تتجاوز 5%، ما عدا مدينة كيب تاون وجزر أيسلندا، فإن الحيود تصل الى حوالي 20% بالسالب، وحيود مدينة سخالين مقدارها 12% بالموجب، و9% لمدينة كيتاكوشو بالموجب أيضا، وهذا يعني أن مكة تكاد تكون مركز دائرة تمر بأطراف جميع القارات القديمة نصف قطرها حوالي 8000 كم.

ثانيا: العالم الجديد:

تم حساب المسافة بين مكة المكرمة وكل من: مدينة ولنجتون شرق أستراليا، الكورن هورن وهو أقصى مكان بأمريكا الجنوبية، شمال آلاسكا وهو أقصى مكان بأمريكا الشمالية .. وكانت المسافة المتوسطة 13253 كم والحيود لا تتجاوز 5،2% للثلاثة، وهذه المواقع تمثل أطراف قارات العالم الجديد، واتضح أن المسافة بينها وبين مكة المكرمة تكاد تكون متساوية، وهذا يعني أن مكة هي مركز لدائرة تمر بأطراف جميع القارات الجديدة، كما هو الحال في القارات القديمة .. وهذه الدائرة تمر أيضا بأطراف القارة المتجمدة الجنوبية شرقا وغربا.

ثالثا: مركز مساحات العالم:

تم تعيين مساحة القارات الجديدة، وهي أستراليا وأمريكا الجنوبية الشمالية ومركز مساحة كل منها ومعرفة خط الطول وخط العرض لهذا المركز، ثم استعملت طريقة عزم المساحات لتحديد مركز القارات الست سويا، فإتضح أن مركز العالم هو مكان خط طوله 13،343 شرقا، وخط عرضه 24،977 شمالا وهو لا يختلف كثيرا عن موقع مكة المكرمة.

رابعا: مركز مساحات العالم قبل تزحزح القارات:

لوحظ أنه لو تم تحريك خط طول مراكز قارات العالم الجديد، بحيث يلغي تأثير المحيط الأطلسي والمحيط الهندي والمحيط القطبي الجنوبي مع أخذ مساحة القارة المتجمدة الجنوبية في الإعتبار، فإن مركز اليابسة، من حيث التوزيع المساحي المنتظم، يكاد يكون مكة المكرمة، وهو ما تشير إليه خرائط العالم منذ العصور الجيولوجية السحيقة عندما كانت اليابسة جزءا واحدا قبل تزحزح القارات وانفصالها بعضها عن بعض.

والمستخلص:

مكة المكرمة تكاد تكون مركزا لدائرة نصف قطرها حوالي ثمانية آلاف كيلو متر تمر بأطراف القارات القديمة " آسيا. أفريقيا. أوروبا" وهي أيضا مركز لدائرة نصف قطرها حوالي ثلاثة عشر آلف كيلو متر تمر بأطراف القارات الجديدة " أمريكا الشمالية، أمريكا الجنوبية، أستراليا المتجمدة الجنوبية" .. ولكنها ليست مركز العالم القديم أو الجديد أو الإثنين معا من حيث التوزيع المساحي المنتظم لليابسة، ومن المحتمل أنها كانت مركز اليابسة كلها قبل تزحزح القارات وانفصالها عن بعضها في العصور الجيولوجية السحيقة". هذا هو مضمون تلك الدراسة العلمية التي قام بها المعهد القومي للبحوث الفلكية، وأورده د. دراج بنصه في كتابه المشار إليه. والذي صدرت طبعته الأولى عام 1999. الغريب أن المؤلف الذي سخر كل فصول الكتاب للوصول الى هدفه، وهو إثبات أن الكعبة هي سرة العالم ومركزه، يورد حكاية ينسف بها كل جهده .. حيث يشير الى بدعتين حدثتا في أوائل القرن السابع الهجري .. الأولى هي ما سميت بالعروة الوثقي التي من نالها بيده أو لمسها بيده فقد أستمسك بالعروة الوثقي " المشار إليها في القرآن"، والثانية " وهي الأهم" هي ما سمي بمسمار سرة الدنيا، وهو مسمار في وسط البيت الحرام قيل أن من يضع سرته عليه يكون قد وضعها على سرة الدنيا، وقد أدى ذلك الى تزاحم الرجال والنساء واختلاطهم ببعض وحدوث ما يترتب على ذلك من أذى وكشف للعورات، وقد ألغيت هاتان البدعتان، ولكن بعد أن تحولت لتجارة تدر أموالا طائلة على عصابة من الذين روجوا هذه الدعاية عن سرة الكعبة فكانوا يتقاضون مقابلا ماليا من كل حاج يريد أن يضع سرته على سرة الكعبة وينال البركة!

ورغم كل هذا الجهد الذي بذله العلماء الأجلاء في إثبات تلك النظرية، حتى أنها رسخت في الأذهان كحقيقة علمية لا تقبل المناقشة مثلها مثل أن الشمس تطلع من المشرق .. إلا أنه ظهر من يعيد فيها النظر .. إنه الباحث الكويتي د. عبد الله يوسف الغنيم، الذي حل ضيفا على مكتبة الإسكندرية خلال الفترة من 12 الى 20 من ديسمبر الجاري، ضمن مشروع " الباحث المقيم" الذي يشرف عليه د. يوسف زيدان مدير مركز المخطوطات وأستاذ الفلسفة الإسلامية المعروف .. تاريخ د. الغنيم يقول أنه شغل منصب وزير التربية ووزير التعليم العالي بدولة الكويت بين عامي 1996 و 1998. وقبل ذلك هو محاضر ورئيس لقسم الجغرافيا وعميد لكلية الآداب بجامعة الكويت "76 - 85". ومن مناصبه: مدير معهد المخطوطات العربية، رئيس مركز البحوث والدراسات الكويتية، عضو مجمع اللغة العربية، ورئيس تحرير مجلة دراسات الجزيرة العربية والخليج، وعضو المجلس الأكاديمي الدولي لمركز الدراسات الإسلامية بجامعة أكسفورد. ومن أشهر كتبه " سجل الزلازل العربي"، الذي يرصد فيه تاريخ الزلازل في المنطقة العربية خلال أكثر من ألف عام .. وأحدثها " بحوث ومطالعات في التراث الجعرافي العربي". نحن إذن أمام باحث كبير ورجل له قيمة وقامة .. وعلى هامش نشاطه في مكتبة الإسكندرية طلبت منه رأيا صريحا - بوصفه من أبرز علماء الجغرافيا العرب - في مسألة أن مكة هي مركز الكون .. فكتب رأيه بقلمه حتى لا يتعرض لأي تحريف .. وهذ هو رأيه: - لقد كتب في هذا الموضوع أكثر من بحث، غير أن معظم تلك البحوث تفتقر الى الدقة وتغلب عليها الصبغة الدعائية العامة، التي لا نرضاها لبيت الله الحرام وكعبته المشرفة، فنحن مأمورون بالتوجه الى البيت الحرام في صلاتنا سواء كانت مكة هي المركز الذي يقولون عنه أو ليست كذلك .. وحينما نشر الأستاذ الدكتور حسين كمال الدين أحمد أستاذ الهندسة المساحية والفلك الكروي في مجلة البحوث الإسلامية " العدد الأول" - بأن مكة المكرمة هي مركز لدائرة تمر بأطراف جميع القارات، أي أن الأرض اليابسة موزعة حول مكة المكرمة توزيعا منتظما - ثم إجراء حسابات للمسافة القوسية بالكيلومترات بين مكة المكرمة وعدد من المدن في أطراف العالم القديم، وجد أن مكة تكاد تكون مركزا لدائرة نصف قطرها حوالي ثمانية آلاف كيلو متر، وهي أيضا مركز لدائرة نصف قطرها حوالي 13 ألف كيلو متر تمر بأطراف الأمريكتين وأتراليا والمنطقة المتجمدة الجنوبية. ولكنها أي مكة - ليست مركز العالم القديم أو الجديد أو الإثنين معا من حيث التوزيع المساحي المنتظم لليابسة قد تمت هذه الحسابات في المعهد القومي للبحوث الفلكية والجيوفيزيقية في حلوان. وليس في نتائج تلك الحسابات ما يؤكد أو ينفي كون مكة مركز الكرة الأرضية، وبخاصة أن النقاط المختارة في أطراف الأرض هي نقاط افتراضية، وليس هناك ما يعطي مبررا علميا أو منطقيا لكل

نقطة من النقاط المذكورة. وقد كتب الأستاذ الدكتور أحمد السيد دراج كتابا بعنوان " الكعبة المشرفة سرة الأرض ووسط الدنيا" أورد فيه ما ذكرته، بل أضاف الى ذلك " إن عالما أمريكيا أثبت بإستخدام أجهزة علمية حديثة في دراسة له أن الإشعاعات الكونية تتلاقى عند مكة المكرمة .. أي أن مكة المكرمة نقطة الإلتقاء " الباطنية" في الأرض للإشعاعات الكونية". ولم يذكر لنا الدكتور دراج من هو هذا العالم وأين نشر بحثه وما هي مصداقيته؟ فالمسألة لا تعدو كونها اجتهادات أو أمنيات .. ولا يمكن اعتبارها حقيقة علمية ثابتة.

80 - ورود اسم مكة في الكتاب المقدس

كتب الدكتور زغلول النجار في جريدة الأهرام الصادرة يوم الإثنين 20 فبراير 2006 في مقاله الأسبوعي عن أسرار القرآن تحت عنوان " الذين يتبعون الرسول الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل "وقد تناول فيه شرح الآية 157 من سورة الأعراف ثم عرج الى الكتاب المقدس وأتخذ من قول المزمور 6:84 "عابرين في وادي البكاء يصيرونه ينبوعا"، ما زعم أنه نبوة عن ذكر اسم "مكة" في الكتاب المقدس!! فقط لمجرد التشابه في الإسم، بمبدأ مكيافيلي هو الغاية تبرر الوسيلة!! وذلك دون مراعاة لحقيقة النص العبري الأصلي ونطقه ومعناه وقرينته وبقية سياق الكلام ومضمون المزمور ككل معتمدا فقط على أن بعض الترجمات الإنجليزية ترجمة كلمة "البكاء" الى اسم علم وبدأت الكلمة بحرف كبير " **Baca**" بإعتبارها تشير الى اسم علم هو "وادي البكاء" **The valley of Bava!!** وفي تأويله للنص، على هواه، معتمدا على الإدعاء الكاذب؛ أن اليهود قد يكونوا قد حرفوا النص!! وضع دائرة حمراء حول كلمة "**البكاء**" وكتب فوقها بخط يده وباللون الأحمر "**وادي بكا**"، كما وضع دائرة أخرى حمراء على الترجمة الإنجليزية حول كلمة "**Baca**"، ليوحي للقارئ بما توهمه وتخيله هو وكتب فوقها باللون الأحمر كلمة "**مكة**"!! بل وزاد الطين بلة عندما حرف هو نفسه الكلمة الإنجليزية وأضاف عليها حرف (**C**) وحول الكلمة الإنجليزية الى (**Bacca**) بدلا من (**Baca**) ليعطي إيحاء للقارئ بمدى التحريف في النص والذي حرفه هو بنفسه!! وهذا هو أسلوب أستاذ الإعجاز العلمي!! وهكذا يحرف معاني كلمات الكتاب المقدس ليحاول أن يثبت زورا بلى عنق النصوص وتحريفها الى هدفه!! وهكذا يكون الإعجاز العلمي!! والغريب أنه دائم الإتهام للكتاب المقدس بالتحريف!! وكان قد سبق وتعرض في مقال سابق بجريدة الأهرام يوم 9 يناير 2006 لنفس الآيتين الواردتين بالمزمور المذكور وقال بالحرف:" ولكن في الترجمة الى اللغة العربي (نشر دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط ص 892) **تم تحريف** (وادي بكة) الى (وادي البكاء) كما تم تحريف التعبير (حج بيتك) الى (طرق بيتك) أي بيت الله، هكذا دون سند ولا دليل إلا ما يصوره له خياله العلمي!! ويبدوا أن لا يرى بيت لله سوى ما يؤمن هو فقط أنه بيت الله!! ولا يرى غير ذلك!!. والغريب أن الكثيرين من الكُتاب أخذوا قوله هذا كحقيقة مسلم بها وآمنوا بها وكأنها نازلة من السماء!! وإنتشر كلامه هذا في عشرات المواقع على النت والكتب التي تغرق المكتبات بل والأرصفة!! لما لا وقد قاله صاحب الإعجاز العلمي الشهير!! ولكننا نقول له وللجميع: لقد جانبك الصواب، كالعادة، عندما تبحث في كتابنا المقدس، فكتابنا له علمه ولغاته ومنهجه وعلماءه، وبالطبع أنت لست منهم، فلا ترفس مناخس. وتعالا معنا الآن بمبدأ " وَمَا أرسَلنَا قبلكَ إلاَّ رجَالا نُوحِي إليْهمْ فاسألوا أهل الذِّكر إن كُنتُم لا تَعلمُون" (النحل 43 والأنبياء 7)، لتعرف كيف يفهم الكتاب المقدس:

1 - يقول المزمور 6:84: " عابرين في وادي **البُكاء** يُصيرُونهُ ينبُوعا" وجاءت العبارة الأولى - عابرين في وادي البكاء" في ترجمتها اليونانية السبعينية.

2 - أما كلمة "**البُكَاءِ**" هنا فقد وردت في العبرية: - baka - baw "kaw" وتنطق "بخا" وقد وردت في قاموس - The New Brown - Driver – Briggs – Gesenius: Hebrew and English Lexicon With Appendix Containing The Biblical Aramic p.113 – n.1057 بمعنى "**شجر بلسم" والفعل منها في العربية بكاء**، كما تعني أيضا الذي يعطي لبن جمل قليل، أي نقط من اللبن". أي أنها تعني **بلسم وبكاء ولبن جمل قليل**.

3 - والكلمة كما وردت بالنص العبري والتي تعني البكاء وتنطق "بخا" مكونة من حرف **الباء** وتحته حركة (الفتحة)، ثم حرف الخاء وتحتها فتحة أيضا وإذا كان في وسط الحرف نقطة تلفظ (كاف) وبدون نقطة تلفظ (خاء)، ثم حرف الألف بدون حركة تنوين فتصبح الكلمة (به) هكذا وتلفظ (**بخا**) وليس (**بَكةً**) كما يزعمون خاصة إن الكلمة تنتهي بحرف الألف وهذا شكله (ـ أ) وليس بحرف الهاء بهذا الشكل (ـ هـ). وهذا نص الآية باللغة العبرية: مزمور 6:84 أو اللآية 7 حسب النص العبري. أما كلمة مكة فإنها بالآرامية (السريانية) تكتب هكذا (مَكِا) وتلفظ (ماكه) وتعني بالعبرية (ضارب أو قاتل). أما كلمة مكة بالعبرية فإنها تكتب وتلفظ بحسب اللغة العبرية (مه كاه) وأحرف الكلمة هي حرف الميم وتحتها حركة اسمها باللغة العبرية الكسرة الممالة القصيرة (سيجول)، ثم حرف الكاف مفتوحة لكن بداخلها نقطة وهي الشدة الخفيفة واسمها هذه الشدة (داجيش كل) وهذه الشدة تأتي مع ثلاثة أحرف فقط وه (به، كاف، به). والحرف الأخير في كلمة مكة هو الهاء وهو بدون حركات.

والآن لننظر الى الفارق بين كلمة (بَخَا) والتي تعني بكاء أو شجرة البلسان والتي وردت في الآية هنا وكلمة (ـ مه كاه) العبرية والتي تعني (مكة) والتي تخيلها وتوهما دكتور الإعجاز ومن تبعه فهل يوجد شبه بينهما بالشكل أو النطق أو حتى في أحد الأحرف!!!.

4 - وقد وردت الكلمة أكثر من مرة واستخدمها الكتاب جمع بمعنى " **أشجار البكاء** " فسأل أيضا داود من الله فقال له الله لا تصعد وراءهم تحول عنهم وهلم عليهم مقابل اشجار البكا. وعندما تسمع صوت خطوات في رؤوس أشجار البكا فأخرج حينئذ للحرب لأن الله يخرج أمامك لضرب محلة الفلسطينيين (1 أخ 14:14و15). وأيضا: " فسأل داود من الرب فقال لا تصعد بل در من ورائهم وهلم عليهم مقابل أشجار البكا " وعندما تسمع صوت خطوات في رؤوس أشجار البكا حينئذ احترص لأنه إذ ذاك يخرج الرب أمامك لضرب محلة الفلسطيني (2صم 23:5و24). والكلمة هنا جمع "ها بخيم ".

5 ـ كانت عبارة " **وادي البكاء** " تشير الى هذا الوادي بالذات الذي عرف بهذا الإسم لأنه كانت تكثر به **"أشجار البكاء** " أو " **أشجارالبلسان** " وكان يعبر عن الإسم بكلمة واحدة كما ورد أعلاه في سفري صموئل وأخبار الأيام. والبلسان هو شجر ينتج مادة ذات رائحة زكية ولها خصائص علاجية مشهورة ونعرفه في مصر باسم البلسم.

6 ـ ويرجع أصل تسمية ذلك المكان بوادي البكاء سفر القضاة:" وصعد ملاك الرب من الجلجال الى **بوكيم** (Bochim = الباكين ـ the weepers) وقال قد أصعدتكم من مصر وأتيت بكم الى الأرض التي أقسمت لآبائكم وقلت لا انكث عهدي معكم الى الأبد. وانتم فلا تقطعوا عهدا مع سكان هذه الأرض. اهدموا مذابحهم. ولم تسمعوا لصوتي. فماذا عملتم. فقلت أيضا لا أطردهم من أمامكم بل يكونون لكم مضايقين وتكون آلهتهم لكم شركا. وكان لما تكلم ملاك الرب بهذا الكلام الى جميع بني إسرائيل أن الشعب رفعوا صوتهم وبكوا (wept = بكوا). فدعوا اسم المكان بوكيم (Bokim – the weepes). وذبحوا هناك للرب (قض 2:1-5). وكان هذا الوادي يقع شمال وادي هنوم، وهو وادي مجاور لجبل الهيكل بأورشليم، كان يمثل المرحلة الأخيرة في السفر للآتين من أنحاء أرض الموعد، الشمال والغرب والجنوب لزيارة بيت الرب في أورشليم والذي هو هيكل سليمان وليس أي مكان آخر.

7 ـ وقد استخدم الوحي الإلهي ـ على لسان كانت المزمور ـ الجناس اللفظي الواضح بين اسم " وادي البكاء" والبكاء، فقال:" عابرين في وادي البكاء يصيرونه ينبوعا" ليشير بذلك الى دموع الشوق والتوبة في أعين جموع الآتين الى أورشليم في العيد لكي يتعبدوا للرب في بيته، أي في هيكله بأورشليم. ويؤكد بشكل قاطع أن بيت الله المقصود هنا هو هيكل سليمان وليس أي مكان أخر في قوله:" عابرين في وادي البكاء يصيرونه ينبوعا. أيضا ببركات يغطون مورة يذهبون من قوة الى قوة. يرون قدام الله في صهيون" (مز84: 6و7). كما أن الذين كتبوا المزمور بالروح القدس هم بنو قورح، وهؤلاء كانوا جماعة من مرتلي الهيكل الذين نظمهم داود النبي، ومن الطبيعي أنهم يترنمون بالعبادة في الهيكل، هيكل الرب في أورشليم الذين كانوا من ضمن أنبيائه بالروح. (من موقع القس عبد المسيح بسيط أبو الخير).

81- حريق مكتبة الإسكندرية

يظل حرق مكتبة الأسكندرية على يدي عمرو بن العاص في عهد الخليفة الثاني عمر بن الخطاب دليلا دامغا على عداء المسلمين الأوائل للحضارة والتمدين.

وقد حاول المحدثون من المسلمين بطرق شتى وعلى رأسها تزوير التاريخ التنصل من هذا الفعل الشنيع ولكن وقائع التاريخ المدون بأيدي المؤرخين المسلمين أنفسهم وأيضا بأيدي غيرهم تبقى شاهدا صارخا على هذه الفعلة البشعة وصمة عار في تاريخ الإسلام تلاحقه عبر الأجيال.

والواقع أن حرق مكتبة الإسكندرية ليس الأول من نوعه فقد حرق المسلمون العرب أيضا مكتبات فارس على يدي سعد بن أبي وقاص في عهد الخليفة الثاني عمر بن الخطاب أيضا.

ولندع كتب التاريخ تتكلم:

حريق مكتبة الإسكندرية:

1 - الحريق الأول (عام 48 قبل الميلاد)

قام يوليوس قيصر بحرق السفن الراسية على ميناء الإسكندرية اثناء حربه مع بطليموس الثالث عشر. امتدت ألسنة لهب هذا الحريق الى الكثير من المباني المحيطة بالبناء وكان من ضمنها مخزن المكتبة في المبنى الواقع على الميناء في القسم الغربي من المدينة وهو المعروف بإسم " الحي الشعبي". الذي إحترق في هذا الحريق هو مبنى خاص بتخزين الكتب وليس المكتبة نفسها.

2 - الحريق الثاني (عام 273م)

وكان هذا في عهد الإمبراطور أورليانوس اثناء اضطرابات حدثت بين المسيحيين والوثنيين الذين كانوا يعبدون الإلاهة سيرابيس. ويقول بعض المؤرخين أن هذا تكرر أيضا في عام 296 ميلادية. ويرجع مؤرخون آخرون هذه الواقعة الى عام 381 في عهد الإمبراطور تيوديسيوس الكبير (378 - 395م).

لقد قام الوثنيون بحرق بعض المعابد المتحولة الى كنائس وكانت هناك مكتبة صغيرة ملحقة بإحدى هذه المعابد وتحوي نسخا من المجلدات الموجودة في المكتبة الأم ولم تكن هذه أصول الكتب.

ولكن المسيحيين بقيادة البابا ثاوفيلس البطرك الثالث والعشرين من باباوات الإسكندرية أعادوا هذه المكتبة الى سابق عهدها.

3 - الحريق الثالث

كان على يد عمرو بن العاص قائد جيوش المسلمين لغزو مصر في عهد عمر بن الخطاب وبأمر منه بعد أن كتب له عمرو يسأله ما يجب عمله بخصوص الكتب الموجودة في المكتبة. فكان جواب عمر له:

" وأما ما ذكرت من أمر الكتب فإذا كان ما جاء بها يوافق كتاب الله فلا حاجة لنا به وإذا خالفه فلا إرب لنا فيه فأحرقها". فلما جاء هذا الكتاب الى عمرو أمر بالكتب فوزعت على حمامات الإسكندرية لتوقد بها، فما زالوا يوقدون بها ستة أشهر.

وفي هذا جاء في كتاب المواعظ والإعتبار في ذكر الخطط والآثار للمقريزي، طبع بولاق 1272 هجرية، ص159ما يلي:

" فكتب الخليفة عمر بن الخطاب كتابا إليه قائل ... إذا كانت هذه الكتب لا تحتوي على شئ غير المسطور في القرآن فهي كعادمها، وإذا كانت هذه الكتب تنافي ما جاء بالقرآن فهي ضاره ومؤذية لا يجب حفظها ... إذا فعلى كلتا الحالتين يجب حرقها وإبادتها من الوجود، وأمر (عمرو بن العاص) بإستعمال هذه الذخائر والنفائس كوقود في حمامات الإسكندرية."

وأما عن حديثه عن عمود السوار في الإسكندرية فكتب يقول:

إن هذا العمود من جملة أعمدة كانت تحمل رواق أرسطاطاليس الذي كان يُدرس به الحكمة وإنه كان دار علم خزانة كتب أحرقها عمرو بن العاص بإشارة من عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

وفي كتاب الفهرس لإبن النديم ص 334 جاء " وظلت الحمامات تستخدمها كوقود لمدة (6 أشهر) كاملة فكتب (عمر) بن الخطاب الى (عمرو) بن العاص يقول له، وأما الكتب التي ذكرتها " فإن كان فيها ما يوافق كتاب الله ففي كتاب الله عنه غنى، وإن كان فيها ما يخالف كتاب الله فلا حاجة إليها فتقدم (بإعدامها)".

فشرع (عمرو بن العاص) في تفريقها على حمامات الإسكندرية وإحراقها في مواقدها فذكروا أنها استنفذت في (ستة أشهر).

لقد ذكر المستشرق جيبون إن عدد الحمامات التي تغذت على مكتبة الإسكندرية طيلة (ستة أشهر) كان أربعة الآف حمام. فلك أن تتخيل الكم الهائل من الكتب التي تظل تتغذى عليها أربعة الآف حمام طيلة (ستة اشهر)، كم يكون؟.

تقول الدكتورة سناء المصري في كتابها (هوامش الفتح العربي لمصر ص 12)، ربما كان الحريق أو التهديد بالحريق أكثر وسائل عمرو بن العاص الموجهة ضد مقاومة العزل من سكان المدن.

وأما الدكتور شعبان خليفة في كتابه (مكتبة الإسكندرية الحريق والإحياء ص 17) فيقول:

وأنظر الى صلاح الدين الأيوبي نفسه عندما أمر بتدمير المكتبات الفاطمية في مصر سواء بيت العلم أو مكتبات القصور، وكيف أن جنوده كانوا ينزعون جلود الكتب ليصنعوا منها نعال وأحذية لهم، ونفس صلاح الدين الأ0يوبي فعل بمكتبات الشام نفس ما فعله بمكتبات مصر، حتى قيل أن المجموعات التي دمرها قد بلغت في مصر والشام نحو أربعة ملايين مجلد.

يقول المؤرخ بتلر: أبو الفرج (1226- 1286م) ويسمى كذلك (بابن العبري) نظرا لأنه من (أصل إسرائيلي)، وقد ولد في ملطية بأرمينيا وهو معروف بكتابه تاريخ الدول الذي نشره (بوكوك) مع ترجمة لاتينية، وهذا التاريخ مكتوب باللغة العربية، وقد اختصره أبو الفرج نفسه من كتاب أكبر منه باللغة السريانية وقد جاء فيه أول ذكر مُفصل إحراق مكتبة الإسكندرية [راجع الفرد بتلر] (فتح العرب لمصر ترجمة محمد فريد أبو حديد) ص 38:

عمر بن الخطاب يفعل نفس الشيء في بلاد الفرس) ولم تكن مكتبة الإسكندرية هي الوحيدة التي حرقها العرب ولم يكن أيضا هو الخطاب (الجواب) الوحيد الذي أرسله عمر بن الخطاب لحرق مكتبه، فقد بعث بخطاب آخر الى (سعد بن أبي وقاص) الذي غزا بلاد الفرس خاص أيضا (بمكتبة الفرس) قائلا .... (إن يكن ما فيها هدى فقد هدانا الله بأهدى منه وإن يكن ضلالا فقد كفانا الله)."

قال صاحب كتاب كشف الظنون 446/1:

إن المسلمين لما فتحوا بلاد فارس وأصابوا من كتبهم، كتب سعد بن أبي وقاص الى عمر بن الخطاب يستأذنه في شأنها وتقيلها للمسلمين فكتب إليه (عمر بن الخطاب)، أن إطرحوها في الماء، فإن يكن ما فيها هدى؟ فقد كفانا الله تعالى، فطرحوها في الماء وفي النار فذهبت علوم الفرس فيها. وقال (صاحب كتاب كشف الظنون) في 25/1 في أثناء كلامه عن آهل الإسلام وعلومهم، إنهم أحرقوا ما وجدوا من كتب في فتوحات البلاد.

العلامة ابن خلدون في كتابه (مقدمة ابن خلدون) يقول في ص 194 كاشفا الستار عن بعض خصال العرب، " العرب إذا تغلبوا على الأوطان أسرع إليها الخراب والسبب في ذلك إنهم (أمة وحشية) بإستكمال عوائد التوحش وأسبابه فيهم فصار لهم خلقا وجبلة" ثم يقول لنا في موضع أخر من نفس الكتاب عن خصال العربي أنه لا يطيق أن يرى حضارة مزدهرة وأنه يميل الى تخريبها كلما سنحت له الفرصة، وكان الجنود الذين صحبهم عمرو بن العاص في فتوحاته في مصر من البدو القح الذين لم تهذبهم الحضارة والمدنية بعد ومن ثم فإنهم لم يقدروا الكتب والمكتبات حق قدرها كما أنه يكشف لنا عن سابقة للعرب في حرق الكتب فيقول: " أن للعرب سابقة حرق جميع كتب الفرس بإلقائها في الماء والنار الأمر الذي يؤكد وصمة العاص في حرق مكتبة الإسكندرية".

ويقول أيضا في موضع آخر: (إن العرب قد ألقوا في الماء والنار جميع كتب الفرس التي يؤيد الواقع زوالها من الوجود بحيث لم يبق لها أثر، وعلى ذلك يكون حرق مكتبة الإسكندرية حادثا محتملا وقوعه من جنود العرب كما يكون متفقا مع المنطق بحيث يتسنى لنا إن نؤيده دون أن نمس الحقيقة الراهنة).

<u>نخلص مما سبق أن القول بأن العرب طلاب حضارة ومدنية وهما آخر يضاف الى السلسلة الطويلة من أوهام الإسلام.</u>

82 ـ الغربيون المنصفون

يتباهى كثير من المسلمين بكتاب لمؤلف عربي اسمه مايكل هارت عن أعظم مائة شخصية في تاريخ الإنسانية. سبب التباهي هو أن نبي الإسلام يحتل المركز الأول بحسب هذا الكتاب.

المُغالطة هنا تنشأ إذا فهمنا ما يقصده المؤلف بالعظمة. إنه لا يقصد الصدق أو القداسة أو التقوى أو ما الى ذلك. العظمة في نظره هي " التأثير" ولهذا نجد من ضمن من يحتلون أماكن متقدمة في القائمة أشخاص مثل "هتلر" و "موسوليني". الكتاب نفسه عنوانه بالإنجليزية هو " المائة الأكثر تأثيرا".

إنه لِمَ من العجب العُجاب أن يفخر المسلمون بأن نبيهم على رأس قائمة تحوي هتلر وموسوليني. هذه واحدة. والثانية هي أن بعض كتاب الغرب يكتبون بمبدأ " ليس حُبا في علي ولكن كراهية في معاوية". وهو ما كتب عنه الأستاذ حسين أحمد أمين في كتابه " دليل المؤمن الحزين" ومنه ننقل ما يلي:

الإتجاهات الأوروبية الحديثة في كتابة السيرة:

وبازدهار ما يعرف بعصر العقل في أوروبا، وتعرض الكثيرين من فلاسفة وكتاب القرن الثامن عشر للمسيحية بالنقد والهجوم، اتخذ بعضهم (مثل إدوارد جيبون في كتابه عن الإمبراطورية الرومانية) من مدح الإسلام والحديث الطيب عن محمد، وسيلة ماكرة للهدم من أسس المسيحية التي يبغضونها، وللإساءة الى صور المسيح. وقد بلغ هذا الإتجاه الجديد أوجه قبل منتصف القرن التاسع عشر، حين وقف توماس كارلايل (يوم الجمعة 8 مايو 1840م) يلقي محاضرة عامة في أدنبرة عن محمد والإسلام كان لها شأن خطير في تطور الدراسات الإسلامية في أوروبا. وقد دافع كارلايل في محاضرته هذه عن محمد دفاعا لا يزال المسلمون السُذج الى هذا اليوم يعتزون به (أيضا على أساس " وشهد شاهد من أهلها"). ولو ألموا بطبيعة فكر كارلايل في مجموعه ومكان إشادته بالإسلام ونبيه من هذا الفكر، لِما وجدوه مدعاة للإعتزاز. لقد كان الإسلام مجرد مشجب وجده الفيلسوف البريطاني مناسبا لعرض آرائه في الحياة والسياسة والدين.

دليل المؤمن الحزين: حسين أحمد أمين ـ دار سعاد الصباح.

من الشخصيات أيضا الذين يفخر بهم الكثير من المسلمين روجيه جارودي الفرنسي ومراد هوفمان الألماني والإثنين قد أسلما. والمدقق في إيمان كل منهما من خلال كتاباتهما لابد وأن يخلص بأنهما قد أتيا بإسلام جديد يخالف الإسلام الحقيقي فهما على سبيل المثال يطعنان في تعدد الزوجات وعُلو الرجل على المرأة بدرجة وملك اليمين وإباحة الرق والحجاب وغيرها من ثوابت الإسلام كما هو مثبت بالقرآن. مرجعية المسلم الأولى.

فأي إسلام هذا بالله عليك الذي يؤمن به جارودي وهوفمان؟!.

83 ـ ترحيب الأقباط بالفتح العربى

يدعي بعض الدجالين أن أقباط مصر رحبوا بالفتح العربي لسببين وهما:

1 ـ لتخليصهم من ظلم الرومان.
2 ـ ما سمعوه ولمسوه في العرب من العدل والرحمة والسماحة وحسن المعاملة.

سنثبت وهمية هذين الإدعائين مستندين الى عدة مصادر عربية إسلامية وقبطية وأجنبية:

المصادر العربية الإسلامية في هذا الموضوع عديدة من أهمها: كتابات المقريزي الملقب بشيخ مؤرخي مصر الإسلامية وعميد المؤرخين السالفين جميعا، من ابن الحكم الى الجبرتي، كما يصفه الأستاذ الدكتور محمد مصطفى زيادة وآخرون في مجموعة أبحاث ودراسات عن المقريزي أصدرتها وزارة الثقافة، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ـ القاهرة ـ 1973. وكذلك مجموعة كتب آخرى هامة مثل كتاب تاريخ أديرة وادي النطرون للأمير عمر طوسون ـ طبع في القاهرة سنة 1935. وكتب الأستاذة الدكتورة سيدة اسماعيل كاشف ـ استاذة التاريخ بكلية البنات ـ جامعة عين شمس ـ وكتب الدكتور ضياء الدين الريس ، وغيرهم. والمصادر القبطية لهذا الموضوع أهمها على الإطلاق، هو كتاب تاريخ يوحنا النقيوسي أسقف نقيوس ـ أبشاتي ـ بالمنوفية الآن، والذي عاصر مأسات الفتح العربي لمصر في القرن السابع الميلادي، وسجل مشاهداته لأحداثها الدامية. وقد كتب كتابه بلغته القبطية ثم ترجم فيما بعد الى اللغة الحبشية والعربية، ولكن فقدت النسخ القبطية والعربية وعثرت البعثة البريطانية الى بلاد الحبشة على النسخة الحبشية، وتوجد الآن في المتحف البريطاني بلندن، ونسخة في المكتبة الأهلية بباريس، وقام المستشرق زوتنبرج بالترجمة من الحبشية الى الفرنسية، ثم قام المؤرخ كامل صالح نخلة بالترجمة من الفرنسية الى العربية سنة 1948. ويقول الدكتور ألفرد بتلر:" أنه لم يكن في الإمكان أن يكتب تاريخ الفتح العربي لمصر لولا العثور على هذه النسخة" ـ بتلر صفحة 30. كذلك كتاب تاريخ البطاركة للأنبا ساويرس أسقف الأشمونيين، وكتاب الخريدة النفيسة في تاريخ الكنيسة للأسقف ايسوذورس، وكتاب البابا بنيامين الأول والفتح العربي لمصر، للمؤرخ كامل صالح نخلة وغيرهم.

والمصادر الأجنبية التي تناولت هذا الموضوع أهمها كتاب فتح العرب لمصر تأليف الدكتور ألفريد بتلر، وتعريب محمد فريد أبو حديد بك، والناشر مكتبة مدبولي ـ القاهرة 1990 ضمن سلسلة كتب صفحة من تاريخ مصر. وقد وصف المعرب في مقدمة الكتاب بأن المؤلف ألفريد بتلر رجل باحث لم يقصد من تأليفه كتابه إلا بيان الحقيقة ناصعة وأنه كان نزيها في بحثه، وأن المؤلف فضل التعرض لبعض مفتريات التاريخ كانت شائعة بين الناس يأخذونها تلقفا بغير تمحيص ـ وأنه تناول في بحثه مسألة طالما رددها المؤرخون وهي اتهام المصريين القبط بأنهم كانوا دائما يرحبون بالغزاة الأجانب وأظهر كذب ما ادعاه المغرضون من المؤرخين ـ صفحة 20. ويقول المؤلف نفسه في مقدمته:" قد حاولنا كذلك أن نكتب بغير تحيز الى جانب القبط أو العرب، كنا ممن يحملون لكلا الشعبين العربي والقبطي أكبر الإعجاب، على أننا لا يحملنا ذلك على الإنحياز لأحدهم فما كان لنا إلا قصد واحد وهو أن نصل الى الحق". ص 42 ،43.

الإدعاء الأول:

رحب الأقباط بالعرب لتخليصهم من ظلم الرومان. لقد كان الفاتحون العرب واضحين كل الوضوح، في هدفهم المعلن الصريح من مجيئهم الى مصر فاتحين، ولم يذكر أحدا منهم موضوع أو قصة الإنقاذ هذه، لم يذكر هذا الإدعاء إلا بعض الكتاب المحدثين، وكما تقول الدكتورة سيدة اسماعيل كاشف، في كتابها (عبد العزيز بن مروان)، سلسلة كتب أعلام العرب، تقول في صفحة 132:" أننا لا نجد في المراجع القديمة ما يشير ’ليه بعض المحدثين من أن الأقباط استنجدوا بعمر بن الخطاب لينقذهم من ظلم الروم". لم يكن هدفهم إنقاذ أحد أو مساعدة أحد. الذي يدعي هذا الإدعاء بلا شك لا يعلم أن الجانب الإيماني والعقائدي لدى الأقباط كمسيحيين يرفض تماما فكرة أو مبدأ اللجوء الى إنسان ليخلصهم من إنسان آخر، ففي صلوات الأجبية التي يصليها الأقباط كل يوم، يقول مزمور 145 من مزامير صلاة الساعة الثانية عشر: " لا تتكلوا على الرؤساء ولا على بني البشر الذين ليس عندهم خلاص تخرج روحهم فيعودون الى ترابهم في ذلك اليوم تهلك كافة أفكارهم طوبى لمن إله يعقوب معينه واتكاله على الرب إلهه الذي صنع السماء والأرض ..". وفي سفر أرميا 5:17" هكذا قال الرب ملعون الرجل الذ يتكل على الإنسان ويجعل البشر ذراعه وعن الرب يحيد قلبه". وفي المزمور 9،8:118 " الإحتماء بالرب خير من التوكل على إنسان، الإحتماء بالرب خير من التوكل على الرؤساء". وفي المزمور 103: 15- 18 " الإنسان مثل العشب أيامه كزهر الحقل كذلك يزهر. لأن ريحا تعبر عليه فلا يكون ولا يعرفه موضعه بعد. أما رحمة الرب فإلى الدهر والأبد على خائفيه وعدله على بني البنين، لحافظي عهده وذاكري وصاياه ليعملوها". وهكذا عشرات الآيات المقدسة التي توجه وتعلم وتحذر من الإتكال أو اللجوء الى إنسان لينقذنا أو يخلصنا من إنسان آخر، فالإتكال على إنسان مهما كان وضعه أو مكانته أمر مرفوض تماما من جهة العقيدة لدى الأقباط بغض النظر عن الأوضاع مهما كانت سيئة أو قاسية. وإذا كان الأقباط قد رحبوا بالعرب ليخلصوهم من ظلم الرومان، فلماذا لم يرحبوا بالمستعمرين الأخرين الذين جاؤا بعد العرب ليخلصوهم من ظلم العرب؟. الحقيقة أن الأقباط حرصوا بكل دقة وعناية على تنفيذ مبادئ وتعاليم كتابهم المقدس التي ترفض وتحذر وتحرم الإلتجاء أو الإستعانة بإنسان مهما كانت مكانته ليخلصم من إنسان آخر مهما كان ظلمه أو جبروته. والتاريخ أصدق شاهد على ذلك، والمؤرخ بتلر وغيره يؤكدون أنه لم يرحب القبط بالفرس ليخلصوهم من الرومان، كما لم يرحبوا بالرومان ليخلصوهم من الفرس بعد ذلك، كما لم يرحبوا بالعرب ليخلصوهم من الرومان،

كما لم يرحبوا بأي فاتح أو مستعمر بعد ذلك ليخلصهم من العرب. والسلوك العملي والمواقف الكثيرة المتكررة تؤكد هذا المفهوم الراسخ لدى الأقباط وتثبته بكل وضوح وجلاء. فمثلا يذكر كتاب الخريدة النفيسة في تاريخ الكنيسة للأسقف ايسيذوروس - الجزء الثاني صفحة 126 - موقف البابا خائيل الأول البابا (46) (728 - 752م) من كرياكوس ملك النوبة المسيحي أيام عبد الملك بن مروان (741م) عندما جاء كرياكوس لإنقاذ البابا من يد عبد الملك بن مروان الذي كان قد فرض أتاوة كبيرة من المال على البابا وسجنه لمدة 17 يوما ثم أطلقه ليجمع قيمة الإتاوة المفروضة عليه من أبنائه الأقباط، ولكن البابا لم يستطع أن يجمع أكثر من نصف الإتاوة فقط، فغضب عبد الملك بن مروان وألقاه مرة أخرى في السجن، ولما سمع بذلك ملك النوبة كرياكوس، جهز جيشا كبيرا سار به حتى وصل الى مشارف الفسطاط، ولكن عبد الملك بن مروان أسرع وأخرج البابا من السجن، وكان أول ما فعله البابا خائيل بعد خروجه من السجن أنه طلب من الملك كرياكوس العودة من حيث أتى رافضا تدخله لفرض حمايته على الأقباط. ومن الأحداث الشهيرة الأخرى التي تدل على هذا الفكر وهذه العقيدة الرافضة لطلب الحماية من إنسان، كعقيدة راسخة لدى الأقباط، ما حدث مع البابا بطرس الجاولي [البابا 109] (1809 - 1852م) أيام محمد علي باشا (1809 - 1848م) والي مصر، عندما جاءه سفير دولة روسيا، والتي كانت تعد أكبر دولة مسيحية أرثوذكسية ويحكمها قيصر، جاء هذا السفير ليعرض على البابا بطرس موضوع حماية قيصر روسيا للأقباط، ولكن البابا بطرس رفض هذا العرض، ورد على السفير بهذه الجملة الذهبية (نحن في حمى من لا يموت). [أنظر سيرة البابا بطرس الجاولي، سنكسار 7 طوبه]. وتقرر الدكتورة سيدة إسماعيل كاشف، أستاذة التاريخ الإسلامي، كلية البنات جامعة عين شمس، في كتاب عبد العزيز بن مروان، سلسلة أعلام العرب رقم 70 إصدار وزارة الثقافة، ص 132، حقيقة هامة إذ تقول:" على أننا لا نجد في المراجع القديمة ما يشير إليه بعض المحدثين من أن الأقباط استنجدوا بعمر بن الخطاب لينقذهم من ظلم الروم". كذلك فقد رفض الأقباط بشدة جميع أنواع وطرق فرض الحماية عليهم أو إنقاذهم من ناحية جميع المستعمرين والغزاه الذين جاؤا يتذرعون بمقولة حماية الأقباط، رغم ما كان يعانيه الأقباط من الظلم والإضطهاد والقسوة. والحقيقة أن أكذوبة الترحيب هذه، هي الأكذوبة الشهيرة التي يتذرع بها ويطلقها دائما كل مستعمر أو فاتح أو محتل، يكاد لا يشذ عنها أحدا منهم على مدى التاريخ وفي كل مكان، هي ستار شفاف يحاول الفاتح أو الغازي أو المحتل أن يغطي به دوافعه الحقيقية، متوهما أنه قد استطاع أن يخفي الحقيقة، وأن يضفي على وجوده صفة الشرعية بأن الأهالي هم الذين استنجدوا ورحبوا به، ولا مانع عنده من أن يلصق بالمواطنين تهمة الخيانة ليسقط عن نفسه جريمة الإغتصاب. حدث هذا ويحدث ليس فقط مع من فتحوا أو احتلوا أو استعمروا مصر، بل مع غالبية الشعوب التي نكبت بالفتح أو تعرضت للغزو أو الإستعمار، هي نفس الحجة والأكذوبة وهو هو نفس الأسلوب الملتوي والمخادع لتبرير الأحداث.

الإدعـاء الثـاني:

رحب الأقباط بالفتح العربي لما سمعوه ولمسوه في العرب من العدل والرحمة والسماحة وحسن المعاملة. ولنعود هنا الى التاريخ لنستعرض بعض الأحداث المؤلمة والأعمال الوحشية التي صاحبت الفتح العربي لمصر، والتي تنفي هذا الإدعاء تماما.

1 - تخريب القرى وسبي أهلها وقتلهم:

وقد كانت قرى من قرى مصر قاتلت، فسبوا منها قرية يقال لها بلهيب، وقرية يقال لها الخيس، وقرية يقال لها سلطيس ... فوقع سباياهم بالمدينة، فردهم عمر بن الخطاب الى قراهم، وصيرهم وجماعة القبط أهل ذمة. وعن يزيد بن أبي حبيب أن عمرا سبى أهل بلهيب وسلطيس وقرطيا وسخا، فتفرقوا وبلغ أولهم المدينة حين نقضوا ثم كتب عمر بن الخطاب الى عمرو بردهم، فرد من وجد منهم. وفي رواية أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كتب في أهل سلطيس خاصة:" من كان منهم في أيديكم فخيروه بين الإسلام، فأن أسلم فهو من المسلمين، له ما لهم وعليه ما عليهم، وان اختار دينه، فخلوا بينه وبين قريته". وفي رواية أن أهل سلطيس وقرطيا وبلهيب ظاهروا الروم على المسلمين في جمع كان لهم فلما ظهر عليهم المسلمون، استحلوهم وقالوا: هؤلاء لنا فيّ مع الإسكندرية، فكتب عمرو الى عمر بن الخطاب بذلك، فكتب إليه عمر، أن تجعل الإسكندرية وهؤلاء الثلاث قري ذمة للمسلمين، وتضرب عليهم الخراج، ويكون خراجهم وما صالح عليه القبط قوة للمسلمين على عدوهم، ولا يجعلون فيئا ولا عبيدا ففعل ذلك ويقال إنما ردهم عمر رضى الله عنه لعهد كان تقدم لهم. كتاب الخطط للمقريزي الجزء الأول (8) صفحة 309 و 310. وكان عمرو حين توجه الى الإسكندرية، خرب القرية التي تعرف اليوم بخربة وردان. واختلف علينا السبب الذي خربت له، فحدثنا سعيد بن عفير أن عمرو لما توجه الى نقيوس لقتال الروم، عدل وردان لقضاء حاجته عند الصبح، فاختطفه أهل الخربة فغيبوه، ففقده عمر وسأل عنه وقفا أثره، فوجدوه في بعض دورهم فأمر بإخرابها وإخراجهم منها. وقيل كان أهل الخربة رهبانا كلهم، فغدروا بقوم من ساقة عمرو، فقتلوهم بعد أن بلغ عمرو الكريون، فأقام عمرو ووجه إليهم وردان فقتلهم وخربها، فهي خراب الى اليوم. وقيل كان أهل الخربة أهل تويت وخبث، فأرسل عمرو الى أرضهم فأخذ له منها جراب فيه تراب من ترابها، فكلمهم فلم يجيبوه الى شئ، فأمر بإخراجهم، ثم أمر بالتراب ففرش تحت مصلاه، ثم قعد عليه، ثم دعاهم فكلمهم، فأجابوه الى ما أحب ثم أمر بالتراب فرفع، ثم دعاهم فلم يجيبوه الى شئ ... فعل ذلك مرارا. فلما رأى عمرو ذلك قال: هذه بلدة لا يصلح أن توطأ، فأمر بإخرابها.

(كتاب الخطط للمقريزي - الجزء الأول (8) صفحة 313و 314).

ويذكر يوحنا النقيوسي في الفصل (112) الثاني عشر بعد المائة استيلاء العرب على إقليم الفيوم وبويط فيقول:" إن العرب استولوا على إقليم الفيوم وبويط وأحدثوا فيهما مذبحة هائلة". وفي الفصل (115) يذكر فتح أنصنا وبلاد الريف ونقيوس فيقول:" في زمن الصيف سار عمرو الى سخا وطوخ دمسيس أملا في إخضاع المصريين قبل الفيضان ولكنه فشل، وكذا صدته دمياط حيث أراد أن يحرق ثمار المزارع وأخيرا عاد الى جيوشه المقيمة في بابليون

مصر وأعطاهم الغنيمة التي أخذها من الأهالي الذين هاجروا الى الإسكندرية بعد أن هدم منازلهم وبنى من الحديد والأخشاب التي جمعها من الهدم قنطرة توصل بين قلعة بابليون ومدينة البحرين ثم أمر بحرق المدينة، وقد تنبه السكان الى هذا الخطر، فخلصوا اموالهم وتركوا مدينتهم، وقام المسلمون بحرقها، ولكن السكان عادوا الى المدينة وأطفأوا الحريق، ووجه المسلمون حملتهم على مدن أخرى ونهبوا أموال سكانها وارتكبوا ضدهم أعمالا عنيفة.."
ويذكر يوحنا النقيوسي في الفصل (118) الإستيلاء على نقيوس (بعد هروب الجيش الروماني من المدينة) فيقول:" أتى المسلمون بعد ذلك الى نيقيوس واستولوا على المدينة ولم يجدوا فيها جنديا واحدا يقاومهم، فقتلوا كل من يصادفهم في الشوارع وفي الكنائس، ثم توجهوا بعد ذلك الى بلدان أخرى وأغاروا عليها وقتلوا كل من وجدوه فيها، وتقابلوا في مدينة صا باسكوتارس ورجاله الذين كانوا من عائلة القائد تيودور داخل سياج كرم فقتلوهم، وهنا فلنصمت لأنه يصعب علينا ذكر الفظائع التي ارتكبها الغزاة عندما احتلوا جزيرة نيقوس في يوم الأحد 25 مايو سنة 642 في السنة الخامسة من الدورة".

ويذكر الدكتور ألفريد بتلر في كتاب [فتح العرب لمصر] ص 323:" ويرد مع هذه الأخبار ذكر غزوة للقرى التي على فرع النيل الشرقي، قيل أن العرب قد بلغوا فيها مدينة دمياط، ولعل تلك الغزوة كانت على يدي سربة عمرو في هذا الوقت نفسه. ولم يكن من أمرها غير إحراق المزارع، وقد أوشكت أن ينضج ثمرها، فلم تفتح شيئا من المدائن في مصر السفلى. ولنذكر أن العرب قضوا في عملهم في هذا الإقليم اثني عشر شهرا الى ذلك الوقت. وبعد ذلك الغزاة التي أوقع فيها عمرو بالبلاد وغنم منها عاد الى حصن بابليون ومن معه دون أن يجني كبير فائدة، وأن لنا لدلالة في غزاته تلك في مصر السفلى، وما لاقاه فيها من القتال في مواضع كثيرة، وعجزه في جل ما حاوله من الفتح في بلاد الشمال القصوى. فإن ذلك يزيدنا برهانا على ما تحت أيدينا من البراهين على فساد رأيين يذهب إليهما الناس:

أولهما أن مصر أذعنت للعرب بغير أن تقاتل أو أن تدافع.

وثانيهما أن المصريين رحبوا بالفاتحين ورأوا فيهم الخلاص والنجاة مما هم فيه". أليس ادعاء غريب أن التخريب يقابل بالترحيب والقتل والسبي والتدمير يقابل بالسرور والتقدير.

2 ـ نهب الكنوز والأموال ومصادرة الأملاك وفرض الإتاوات:

كان العرب ينظرون الى مصر من الناحية المالية على أنها بقرة حلوب وقعت تحت أيديهم، ويختلفون فيما بينهم حول من الذي يمسك بقرون هذه البقرة ومن الذي يحلبها ويأخذ لبنها، وأن خراجها فيئا للمسلمين وقوة لهم على جهاد عدوهم. فلما هزم الله الروم أراد عثمان رضي الله عنه أن يكون عمرو ابن العاص على الحرب وعبد الله بن سعد على الخراج، فقال عمرو: أنا إذا كماسك البقرة بقرنيها وآخر يحلبها .. فأبى عمر. المقريزي الجزء الأول (8) صفحة (309 و 314). وكانوا أيضا ينظرون الى مصر وأهلها على أنهم خزانة لهم. فقد قال هشام بن أبي رقية اللخمي: قدم صاحب اخنا على عمرو بن العاص رضي الله عنه، فقال له: أخبرنا ما على أحدنا من الجزية فنصير لها. فقال عمرو وهو يشير الى ركن كنيسة: لو أعطيتني من الأرض الى السقف ما أخبرتك ما عليك، إنما أنتم خزانة لنا، إن كثر علينا كثرنا عليكم، وإن خفف عنا خففنا عنكم، ومن ذهب الى هذا الحديث، ذهب الى أن مصر فتحت عنوة.

وقد كرر المقريزي هذه القصة مرتين في الجزء الأول (4 و8) صفحة 141 و 313 وتحت عنوان (ذكر ما عمله المسلمون عند فتح مصرفي الخراج وما كان من أمر مصر في ذلك مع القبط) يذكر لنا المقريزي القصة التالية:" وعن هشام بن أبي رقية اللخمي أن عمرو بن العاص لما فتح مصر قال لقبط مصر: أن من كتمني كنزا عنده فقدرت عليه قتلته. وأن قبطيا من أرض الصعيد يقال له بطرس ذكر لعمرو أن عنده كنزا، فأرسل إليه فسأله فأنكر وجحد، فحبسه في السجن وعمرو يسأل عنه: هل تسمعونه يسأل عن أحد؟ فقالوا: لا إنما سمعناه يسأن عن راهب في الطور. فأرسل عمروا الى بطرس فنزع خاتمه، ثم كتب الى ذلك الراهب ان ابعث اليَّ بما عندك، وختمه بخاتمه. فجاء الرسول بقلة شامية مختومة بالرصاص، ففتحها عمرو فوجد فيها صحيفة مكتوب فيها (ما لكم تحت الفسقية الكبيرة). فأرسل عمرو الى الفسقية فحبس عنها الماء، ثم قلع البلاط الذي تحتها فوجد اثنين وخمسين ردبا ذهبا مصريا مضروبة. فضرب عمرو رأسه عند باب المسجد، فأخرج القبط كنوزهم شفقا أن يبغى على أحد منهم فيقتل كما قتل بطرس. وعن يزيد بن أبي حبيب أن عمرو بن العاص استحل مال قبطي من قبط مصر، لأنه استقر عنده أنه يظهر الروم على عورات المسلمين، ويكتب إليهم بذلك، فإستخرج منه بضعا وخمسين إردبا دنانير". المقريزي الجزء الأول (4) صفحة (140). ويذكر يوحنا النقيوسي في الفصل (113) احتلال العرب لأتريب ومنوف:" أن عمر قبض على القضاة الرومانيين وقيد أيديهم وأرجلهم بالسلاسل والأطواق الخشبية، ونهب أموالا كثيرة وضاعف ضريبة المال على الفلاحسن وأجبرهم على تقديم علف الخيول، وقام بأعمال فظيعة عديدة.. وحدث الرعب في كل المدن المصرية وأخذ الأهالي في الهرب الى مدينة الإسكندرية تاركين أملاكهم وأموالهم وحيواناتهم. وانضم الى الغزاة الكثيرون من سكان مصر الأجانب الذين أتوا من الأقطار المجاورة واعتنقوا دينهم، ودخل الغزاة المدن واستولوا على أموال كل المصريين الذي هربوا". وفي الفصل (121) يقول يوحنا النقيوسي:" ويستحيل على الإنسان أن يصف حزن وأوجاع المدينة بأكملها فكان الأهالي يقدمون أولادهم بدلا من المبالغ الضخمة المطلوب منهم دفعها شهريا، ولم يوجد من يقوم بمساعدتهم، وقد تركهم الله ودفعهم الى أيدي أعدائهم". وتحت عنوان (ذكر خليج مصر) يقول المقريزي:" قال ابن عبد الحكم، ذكر حفر خليج المؤمنين رضي الله عنه: حدثنا عبد الله بن صالح عن الليث بن سعد قال: ان الناس بالمدينة أصابهم جهد شديد في خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه في سنة الرمادة، فكتب رض الله عنه الى عمرو بن العاص وهو بمصر: (من عبد الله عمر أمير المؤمنين، الى العاصي بن العاص ... سلام، أما بعد، فلعمري يا عمر ما تبالي إذا شبعت أنت ومن معك، أن أهلك أهلك أنا ومن معي، فياغوثاه، ثم يا غوثاه ...) فكتب إليه عمرو: (من عبد الله عمرو بن العاص الى أمير المؤمنين، أما بعد، فيالبيك ثم يا لبيك، قد بعثت إليك بعيرا أولها عندك وأخرها

عندي، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته). فبعث إليه بعير عظيمة. فكان أولها بالمدينة وأخرها بمصر، يتبع بعضها بعض. فلما قدمت على عمر رضي الله عنه، وسع بها على الناس، ودفع الى أهل كل بيت بالمدينة وما حولها بعيرا بما عليه من الطعام، وبعث عبد الرحمن بن عوف والزبير بن العوام وسعد بن أبي وقاص يقسمونها على الناس، فدفعوا الى أهل كل بيت بعيرا بما عليه من الطعام ليأكلوا الطعام، ويأتدموا بلحمه، ويحتذوا بجلده، وينتفعوا بالوعاء الذي كان فيه الطعام فيما أرادوا من لحاف أو غيره ... فوسع الله بذلك على الناس". المقريزي الجزء الثالث (30) صفحة (543 و544).

3 ـ مرارة الإذلال وقسوة الإهانات التي تعرض لها الأقباط:

تناول هذا الموضوع الدكتور أ.س. ترتون الأستاذ بجامعة لندن، في كتابه [أهل الذمة في الإسلام] وذكر العديد من الحوادث والمواقف، فمثلا في صفحة 138 ونقلا عن كتاب فتوح البلدان للبلاذي ص 151: أنه قد أمر عمر عمرو بن العاص بختم رقاب أهل مصر في وقت جباية جزية الرؤوس. ويذكر المقريزي في الجزء الأول (4) صفحة 140:" ثم كتب إليه عمر بن الخطاب رض الله عنه أن تُختم في رقاب أهل الذمة بالرصاص، ويظهروا مناطقهم، ويجزوا نواصيهم، ويركبوا على الأكف عرضا،... ولا تدعهم يتشبهون بالمسلمين في ملبوسهم. وعليهم من أرزاق المسلمين من الحنطة والزيت مدان من حنطة وثلاثة أقساط من زيت في كل شهر لكل إنسان من أهل الشام والجزيرة، وودك، وعسل لا أدري كم هو. ومن كان من أهل مصر فإردب في كل شهر لكل إنسان، ولا أدري كم الودك والعسل، وعليهم من البز الكسوة التي يكسوها أمير المؤمنين الناس، ويضيفون من نزل بهم من أهل الإسلام ثلاث أيام". وفي صفحة 158 يتحدث ترتون نقلا عن كتاب تاريخ دمشق لإبن عساكر ج1 ص 178، عن التعليمات التي أصدرها الخليفة عمر بن الخطاب ـ ويقال أيضا أنه أصدر هذه التعليمات بشأن أتباع الملل المعاهدة ـ فقال: (من لم يطق الجزية خففوا عنه، ومن عجز فأعينوه، فأنا لا نريدهم لعام أو لعامين، سموهم ولا تكنوهم، وأذلوهم ولا تظلموهم، وإذا جمعتكم وإياهم طريق فالجئوهم الى أضيقها). يذكر ترتون هذه الأمور رغم تحيزه الى الجانب العربي الأسلامي، هذا التحيز الذي يبدو واضحا عندما يحاول أن يبرر ما فعله العرب بطريقة غريبة، فمثلا عندما يحاول تبرير قتل المسلمين للنصارى ص 147 و148 يقول:" على أن الدافع لهذا الإضطهاد هو تعنت النصارى ورغبتهم الخاصة في الإستشهاد ولذلك فمن الصعب أن يُلام المسلمون فيما فعلوه إزاءهم." وفي تبريره لهدم الكنائس يقول في ص 62:" وشهدت سنة 721 هجرية عاما على الكنائس المصرية، ورواية المقريزي مسهبة في الطول حتى إننا لنؤثر إيرادها مستقلة، ونكتفي بأن نشير الى السبب في ذلك هو تعاظم النصارة على المسلمين، فعم الإضطهاد، وامتدت يد التخريب الى عدة كنائس بالقاهرة وما حولها، كما امتد السلب والنهب الى ما فيها، وأخذ منها جميع ما بها من الخشب". ولكن على أية حال، فأننا نشكر للدكتور ترتون أمانته في ذكر الحقائق التاريخية الهامة المجردة، بغض النظر عن تحامله أو تحيزه عندما يعبر عن رأيه الشخصي الخاص به.

والجدير بالملاحظة هنا وبالنسبة لموضوع الإذلال (أذلوهم ولا تظلموهم) هو الدافع والموجه لما وراء هذه الأحداث من فكر أو توجيه، أكثر من مجرد سرد وقائع تلك الأحداث المؤلمة. الحقيقة أن الخلفية الفكرية والعقائدية وراء هذا الموضوع هو نص الآية 29 من سورة التوبة 9:" قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون". وكلمة صاغرون، نجدها في قواميس ومعاجم اللغة العربية بمعنى أذلاء. فغير المسلم في ظل الإسلام لا بد أن يذل، وهذا ما فرضه عمرو بن العاص على المصريين، وأمرهم أن يختاروا واحدة من ثلاثة خصال، أعلنها لهم وكررها وشدد عليها وهي: إما الإسلام أو دفع الجزية عن يد وهم صاغرون وإما السيف. كرر المقريزي ذكر هذه الخصال في الجزء الأول (14) ثلاث مرات صفحات 544و 545و 547. ويؤكدها د. ألفريد بتلر ص 284. ولقد وصف أحدهم بعد ذلك أهل مصر وصفا قاسيا، وصفهم بأنهم لا ناس، فقد قال معاوية بن أبي سفيان: وجدت أهل مصر ثلاثة أصناف: فثلث ناس، وثلث يشبه الناس، وثلث لا ناس. فأما الثلث الذين هم الناس فالعرب، والثلث الذين يشبهون الناس فالموالي، والثلث الذين لا ناس المسالمة، يعني القبط. المقريزي الجزء الأول (3) ص 91 وعندما أرسل عمرو بن العاص، وصفا لمصر حسب طلب الخليفة عمر بن الخطاب ذلك منه، يقول عمرو ضمن وصفه:" .. يخرج أهل ملة محقورة وذمة مخفورة، يحرثون بطن الأرض و ..". ألفريد بتلر ص449. (عن كنيسة صداقة القديسين).

ربما يكون من المناسب هنا أن ننقل فقرات قصيرة من كتاب " هوامش الفتح العربي: للكاتبة المسلمة سناء المصري تلقي الضوء على حقيقة ذلك الفتح. جاء في صفحة 223:" ثم دخل المسلمون نيقوس واحتلوها ولم يجدوا أحدا من المحاربين، وكانوا يقتلون كل من وجدوه في الطريق وفي الكنائس رجالا ونساءا وأطفالا ولم يشفقوا على أحد". وجاء في صفحة 90:" وقد مارس الحكام العرب صفات السيادة وتسخير المصريين في شتى الأعمال الصعبة من أجل زيادة حصيلة الضرائب، ومن هذا المنطلق سخر عمرو بن العاص آلاف الفلاحين في إعادة حفر خليج تراجان أو قناة أمير المؤمنين كما سخر عبد الله بن أبي سعد بن أبي سرح صُناع مصر لبناء الأسطول العربي، وفي العموم كان المصريون يقومون بحفر القنوات وبناء الخطط والبيوت للسادة العرب .. بينما يكتفي هؤلاء السادة بصفتهم الفرسان أصحاب السيوف والخيول والجيوش بإستهلاك الخيرات وانفاق الثروات. وكثيرا ما عبر ملوك بني أمية عن معنى العبودية الصريح في رسائلهم الى أمراء مصر بقولهم: (إن مصر دخلت عنوة، وإنما هم عبيدنا ـ المصريين ـ نزيد عليهم كيف شئنا ونضع ما شئنا) (الطبري: تاريخ الرسل والملوك ص106)." وجاء في صفحة 74:" ولم يكن ابن الخطاب يطالب عمرو بتقليل حجم الضرائب وعدم جمع الأموال من قبط مصر بل كان يطالبه بزيادة الخراج والحرص على تحصيل الجزية وجمع كل ما يستطيع من خيرات مصر وهو صاحب الكلمة الشهيرة:" أخرب الله مصر في عمران المدينة". وجاء في صفحة 75:" وقد جمع عمرو ثروة طائلة من فترتي ولايته على مصر ويقال أنه خلف من الذهب سبعين رقبة جمل مملوءى ذهبا و (سبعين بهارا دنانير وإليها جلد ثور ملؤه اردبان

بالمصري) (ابن ظهيرة الفضائل الباهرة، مروج الذهب، الجزء الثاني ص230). ونجد في كتاب سير أعلام النبلاء أن عمرو بن العاص امتلك بستانا بالطائف يسمى تعريش الوهط." وجاء في صفحة 151:" ويؤكد السيوطي في كتاب " حسن المحاضرة" واقعة تسخير عمرو بن العاص للمصريين في حفر القنوات واقامة الجسور بالإشارة الى عمرو (ألف قوة من المصريين عددها مائة وعشرين ألف عامل مهمتها الأولى العمل في حفر القنوات واقامة الجسور والقناطر) (السيوطي ـ حسن المحاضرة ـ الجزء الأول ص 63)."

وجاء في صفحة 153:" وقد أفرد المقريزي في كتابه بابا لكنائس مصر ودورها وبابا آخر تحت عنوان (ذكر انتفاض القبط وما كان من الأحداث في ذلك) فيذكر أمر زيادة الضرائب على القبط بما لا يستطيعون احتماله وثوراتهم ضد بعض الولاة وإسراع الولاة والخلفاء في قمع هذه الثورات بكل وسائل العنف الممكنة فيذكر أنه لما (قدم حنظلة بن صفوان أميرا على مصر في ولايته الثانية فتشدد على النصارى وأحصى الناس والبهائم وجعل على كل نصراني وسما صورة أسد وتتبعهم فمن وجده بدون وسم قطع يده، ثم في سنة إحدى وعشرين ومائة انتفض القبط بالصعيد وحاربوا العمال فحوربوا وقتل كثير منهم ثم خرج يحنس بسمنود وحارب وقتل في الحرب وقتل معه قبط كثير) (المقريزي ـ المواعظ والإعتبار بذكر الخطط والآثار ـ الجزء الثاني ص 492). وجاء في صفحة 149:" وكانت قرى من مصر قاتلت فسبى منها والقرى بلهيت والخيس وسلطيس فوقع سباؤهم بالمدينة" (البلاذري ـ فتوح البلدان ـ القسم الأول ص 253). وجاء في صفحة 169:" وقد ذكر القلقشندي في الشروط المفروضة على أهل الذمة (أن لا يركبوا الحمير بأن يجعل الراكب رجليه من جانب واحد وأن ينزلوا المسلمين صدر الطريق والتمييز عن المسلمين في اللباس") (القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الانشا). وجاء في صفحة 195:" وسواء كانت بقرة أو سلة أو خزانة فجميعها تشبيهات تفصح عن معاني الإستنزاف التي تعرضت لها مصر على يد الفاتح العربي لأنها (معدن الذهب والجواهر والزمرد والأموال ومغارس الغلات)" (المسعودي ـ مروج الذهب). وجاء في صفحة 196:" أما الخليفة معاوية بن أبي سفيان الذي يقسم (أهل مصر ثلاث أصناف فثلث ناس وثلث يشبه الناس وثلث لا ناس، فأما الثلث الذين هم الناس فالعرب والثلث الذين يشبهون الناس فالموالي والثلث الذبن لا ناس المسالمة يعني القبط) (المقريزي ـ المواعظ والإعتبار ـ ص 50).

هل في كل هذا ما يدعو لأن يرحب المصريون بالإحتلال العربي؟!

84 - الإسرائيليات

رسالة الدكتورة الى حصلت عليها د. آمال محمد عبد الرحمن ربيع الأستاذة بكلية دار العلوم جامعة القاهرة كان عنوانها " الإسرائيليات في تفسير الطبري". ونحن ننقل هنا عن الدكتورة مُلخصا لحوارها المنشور في مجلة الوعي الإسلامي وهي من اصدارات وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية والعدد 532 بتاريخ 2010/9/3:

- الإسرائيليات في اصطلاح علماء التفسير والحديث تعني تلك الأساطير والأحاديث المنقولة عن مصادر يهودية على كثرة ونصرانية على قلة إذ أن معظم ما يروى من الأساطير يرجع مصدره الى أصل يهودي، كما أن أول من نشرها بين المسلمين كان من اليهود الذين عاشوا الى جوار المسلمين في المدينة، ويمكن القول أن الإسرائيليات هي كل ما دخل الى التراث الإسلامي، وبخاصة في مجال التفسير من روايات لها أصل ومصدر يهودي يمكن الوقوف عليه، كالعهد القديم أو التلمود، أما فيما يتعلق بأصحاب هذه الإسرائيليات والنصرانيات أيضا فقد جاءوا الى جزيرة العرب قبل ظهور الإسلام بمئات السنين، فقد انتشرت المسيحية على نطاق واسع خاصة في أطراف الجزيرة، كما غلب اليهود على أقاليم كاملة منها، وكانت يثرب وخِمير وتيماء ووادي القرى هي أبرز مستوطناتهم التي استقروا فيها وأقاموا بها حصونهم حتى جاء الإسلام. ولا شك أن هذا الوجود اليهودي كان له أثر ثقافي على العرب من خلال اتصالات بين العرب وهؤلاء فتحت أبواب التأثر والتلقي، وإن كان ذلك بصورة محدودة.

ومن المعروف أن التفسير ارتبط بالحديث، حيث كان الرسول (ص) يفسر لأصحابه ما خفيَ عليهم من كتاب ربهم، وأخذت الرواية أول شكل من أشكال التفسير فكان الصحابة يروون ما سمعوه حتى انتقال الرسول (ص) الى جوار ربه، وقد قام التابعون بنفس المهمة، ولكن لم تكن درجة الدقة والتثبت في الرواية على مستوى واحد في مراحلها المختلفة، فقد فشا الكذب في عصر التابعين وتساهل بعضهم في الرواية حتى صعب على المسلمين التمييز بين الأصيل والمشوه، أما الشكل الثاني من أشكال التفسير فقد تمثل في التدوين الذي بدأ في عهد عمر بن عبد العزيز رحمه الله، حيث أمر بجمع ما صح لدى العلماء من حديث الرسول وما اشتمل عليه من تفسير، وقد تسربت الإسرائيليات في مرحلة الرواية، حيث كانت نفوس الصحابة تتوق الى معرفة تفاصيل بعض القصص المجمل في القرآن والذي لم يسأل النبي (ص) فيه فكانوا يسألون أهل الكتاب من جيرانهم إشباعا لحالة الفضول الإنساني عندهم، وزاد الأمر في عصر التابعين ومعه زادت رواية الإسرائيليات والأساطير التي لا سند لها، فالتسرب الذي حدث إذن في التفسير بدأ منذ عهد الصحابة في صورة محدودة ولكنه اتسع مع مرور الزمن.

أما في مرحلة التدوين، ونتيجة للإنفصال الذي تم بين تدوين التفسير وتدوين الحديث وحذف الأسانيد فقد كثرت الإسرائيليات التي ألصقت بالتفاسير، كما غلبت البداوة والأمية على العرب، أضف الى ذلك الروح الفضولية لدى النفس البشرية، زيادة على شعورهم بعدم إرتباط الإسرائيليات بالأحكام والتشريعات الأمر الذي سهل روايتها وتلقيها.

- لقد قسم العلماء الإسرائيليات ثلاثة أقسام وفقا لموقعها من شريعتنا، أولها: ما يوافق ما صح من شريعتنا، ومن ذلك ما ذكر في صاحب سيدنا موسى أنه الخضر، وهذه أقرها الإسلام ولا ينبغي أن نطلق عليها مصطلح إسرائيليات.

ثانيها: ما يخالف شريعتنا، وجاء تكذيبه في مصادرنا العلمية، مثل ما ورد في شأن الأنبياء؛ وفيه طعن في عصمتهم، وبخاصة ما ورد عن لوط ويوسف وداود وسليمان عليهم السلام، وهذا بطلانه واضح ويجب تنقية كتب التفسير منه.

وثالثها: ما ليس في شريعتنا ما يوافقه أو يخالفه، أي المسكوت عنه، فلا نؤمن به ولا نكذبه، وهو ما روى أبو هريرة بشأنه قول الرسول الكريم (ص):" لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم، وقولوا آمنا بالله وما أنزل إليكم " (رواه البخاري)، ومن أمثلة المسكوت عنه من الإسرائيليات ما ورد في أسماء أصحاب الكهف، ولون كلبهم، ونوع عصا موسى، وأسماء الطيور التي أحياها الله لإبراهيم عليه السلام، وهي روايات إثمها أكبر من نفعها ولسنا في حاجة إليها.

- دخلت الإسرائيليات في غفلة من المسلمين الى تراثهم وتفاسير قرآنهم، وليس من السهل تنقيتها فهي تتطلب معرفة عميقة بتراث بني إسرائيل ولغاتهم، ناهيك عن الإلمام بالعلوم الإسلامية الضرورية، وهناك من السلف من تنبه للإسرائيليات وأشار الى خطورتها، كالإمام الشافعي وابن تيمية وابن حجر رحمهم الله، وهناك من المفسرين من وقعوا في الفخ أمثال القرطبي والطبري والثعالبي والنسفي.

ولذلك يمكن القول أن موقف السلف من الإسرائيليات اتسم بالتساهل، فتسربت عبر سطورهم ومصنفاتهم، بينما نجد تفسير القرآن العظيم لإبن كثير محذرا من الإسرائيليات وناقدا لها، وكذلك مناهج المفسرين المحدثين كالإمام محمد عبده ومصطفى المراغي ومحمد رشيد رضا، وقد شنوا حربا لا هوادة فيها على الإسرائيليات ورواتها، وتمادوا في التحذير منها، وقد كان من نتائج حماسهم أن كذبوا بعض الروايات مع موافقتها شريعتنا، كما ردوا بعض الأحاديث التي توافقها، وأود أن أشير الى أن من أبرز رواة الإسرائيليات في التفاسير عبد الله بن سلام الذي أسلم عند مقدم النبي (ص) الى المدينة، وله مكانة في صحابة رسول الله، وقد نقل عنه المسلمون الكثير، وليس هناك اتهامات موجة إليه على نحو ما وجه الى كعب الأحبار من ترويجه إسرائيليات دون تمحيص، ووهب بن منبه الذي أدخل الإسرائيليات بما فيها من قصص باطلة الى كتب التفسير، ولكن الحق يقال، فهم لم ينسبوا أيا منها الى النبي (ص)، ولم يختلقوها، بل كانت لهم مصادرهم الإسرائيلية التي نقلوا عنها.

- أهم المصادر العبرية التي انتقلت من خلالها الروايات الإسرائيلية الى تفسير الطبري مثلا كتاب اليهود المقدس الذي يسمى العهد القديم، ويضم التوراة وكتب الأنبياء والحكم والأمثال، بالإضافة الى كتب المدراشيم أي التفاسير للأمور الشرعية، وهي من تأليف أحبار اليهود، وهناك كتاب الأساطير المسماة عندهم الأحادوت ويغلب عليها الخيال

والمبالغة، وهي كتب مقدسة لها باع في الديانة اليهودية، ومن المصادر التي تسربت إلينا منها الإسرائيليات أيضا التلمود الذي يعتبر الكتاب الأكثر أهمية لليهود، فقد ترك آثاره على بني إسرائل في حياتهم التشريعية والمعيشية والروحية، هذا بالإضافة الى ما فيه من نصائح طبية وتجارية وقصص أسطورية وقضايا تاريخية، ويتكون التلمود من المشناة وهي كتاب تشريعي، وهناك الجمارا وهي شرح للمشناة، وعموما فمن هذه الكتب جاءت الإسرائيليات لتتسرب الى التراث الإسلامي وكتب التفاسير.

ـ لا شك أن لهذه الإسرائيليات أثر سيء في كتب التفسير، إذ كانت مدخلا لتسرب كثير من الأباطيل والأساطير التي أدى دخولها الى النظر بعين الشك والإتهام لمن قام برواياتها، كما انتهز البعض الفرصة ونسبوا هذه الإسرائيليات الى النبي (ص)، كما أن المستشرقين استغلوا هذه الإسرائيليات وما تعلق بها من موضوعات للطعن في الإسلام وتصويره كدين مليء بالخرافات بل إن بعضهم قال بأن محمدا (ص) قد أخذ عن علماء اليهود وأحبارهم دينه بالكامل، فأحد المستشرفين يقول: مطلوب إعادة تفسير القرآن ونقده تاريخيا من قبل المسلمين ليعرفوا ما يدينون به لليهودية وللنبي إسرائيل. لكن ولله الحمد فهذه الإسرائيليات مكشوفة رغم إتقان حبكها ودسها، فلم تنل من التشريع الإسلامي وأحكامه ولم تستطع أن تنا من صميم الدين.

ـ الإسرائيليات سلكت طريق المبهمات في القرآن، وهي أمور في سابق علم الله، ولكن العقل الإنساني بفضوله يريد أن يعرفها مثل كيفية تقسيم خلق الكون على ستة أيام، وما الأسماء التي علمها الله لأدم، وكيفية خلق حواء من أحد أضلاع آدم، وقصة إغواء حواء لآدم، والحديث عن نوع الشجرة التي أكلا منها، ونوع ورق الجنة الذي استتر به آدم وحواء، ونوع القربان الذي قدمه ولدا آدم، وعدد أهل الكهف، ولون كلبهم، ونوع عصا موسى، وأمور عديدة لا فائدة من تفصيلها ولا ضرر من الجهل بها، وأيضا نال اليهود من قصص الأنبياء فأوردوا فيها إسرائيلياتهم وطعنوا في عصمتهم، فقالوا إن سيدنا لوطا زنى بابنتيه، وإن سيدنا سليمان جُن وذهب عقله وكان يمشي في الطرقات يشحذ اللقمة واللقمتين، وحددوا أوصاف سفينة نوح، طولها وعرضها، مما لم يرد به سند من نص قرآني أو حديث نبوي، كما حاولوا تحديد مصدر الدم الذي لطخ به إخوة سيدنا يوسف قميصه، هل كان جديا أم تيسا، وأيضا قصة موسى عليه السلام التي كانت من أكثر قصص الأنبياء تعرضا لغزو الروايات الإسرائيلية، مثل تفاصيل رؤيا فرعون التي رأى فيها زوال ملكه على يد غلام من بني إسرائيل، وكذلك عمر موسى عند إلقائه في اليم، وأسماء المرأتين التين سقى لهما موسى، وعدد الطرق وأوصافها التي شقها موسى عندما ضرب البحر بالعصا، وغيرها من الإضافات والروايات والخرافات الإسرائيلية التي زجوا بها في قصص أنبياء الله: داود ويونس ويحيى، فلم يتركوا نبيا إلا نالوا منه وحاولوا تشويه صورته.

ولكن بحمد الله لم تنل الإسرائيليات من مجال العقيدة أو الأحكام والشرائع، ولم تنل من الأحاديث الصحيحة التي حققها علماء المسلمين، وربما سبب تركيزهم على كتب التفاسير هو رغبتهم في توجيه الطعن للقلب فقد حبكوا الكذبات في كتبهم المقدسة، واحترفوا هذه اللعبة في ديانتهم وسائر الديانات الأخرى، فقد نالوا بشدة من المسيحية، ولكن والحمد لله لم ينالوا من صلب الدين الإسلامي.

ـ قد يقول البعض إن الإسلام يحجر على العقل والفكر ويحرم عليه التفكير في هذه الأمور، ولكنها حكمة الله في وجود هذه المبهمات دون أي تفسير لها، كما أن الإسلام يحمي العقل البشري من الدخول في أمور لا تنفعه، وربما تضره، ويدفعه التفكير بشأنها الى الجدل والإلحاد، فما يضيرنا إذا لم نعرف عدد أهل الكهف أو لون كلبهم، ويقول الله:" ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلا" (الإسراء: 85)، وهو الذي يخلقها ويزهقها، فما يضيرنا نحن المسلمين في عدم معرفة ما هي الروح؟ وإلا فالأمر سيقودنا الى طريق غير مأمونة عواقبه، ولكن الذي يضيرنا بالفعل هو وجود خلل أو عجز في التشريع، وهذا والحمد لله غير موجود.

ـ رغم أن تفسير الطبري كان جامعا شاملا، إلا أنه جمع في تفسيره كما هائلا من الروايات الإسرائيلية والخرافية وردها دون أدنى إشارة منه الى رفضها أو بيان فسادها، وللأسف فقد تساهل في النقل وسكت عن النقد، ويبدو أن سعة إلمامه بها كان سببا في ترديده الكثير منها دون أن يتضح في ذهنه خطورتها على التراث الإسلامي، وإن كان في بعض منها صوب ما فيها واستنكر أخطاءها، وربما نلتمس العذر للطبري، فقد كان مؤرخا غلب على شخصيته عنصر التاريخ، فعندما وقعت هذه الروايات بين يديه كان يعلم أنها جرت على ألسنة يهود، وذكر ذلك في تفسيره بقوله:" عما ذكر أهل العلم بالتوراة " فهو إذن كان على دراية بها ولكنه نقلها كما هي ولم يعلق عليها إلا في حالات قليلة. وقد يثور تساؤل من الممكن أن يكون عذرا لخطأ الطبري، وهو هل ترجم المصادر اليهودية بنفسه؟ أم استعان بأحد أحبار اليهود يترجم له؟ ومن هنا يمكن أن تكون دخلت الإسرائيليات، ولذلك فأنا كنت على حذر في تناولي لتفسيره لأنني سأطعن في تفسير له باع وشهد انتشارا كبيرا حتى الآن، وهناك تفاسير نجت من الإسرائيليات مثل الجلالين للسيوطي، وتفسير ابن كثير، والظلال لسيد قطب، وتفسير الشعراوي، فهؤلاء كانوا على وعي وتنبه بشأنها.

هنا ينتهي النقل عن حوار د. آمال ربيع مع مجلة الوعي الإسلامي، ويتضح من هذا الحوار أن الإسرائيليات هي ما أخذ من كتب اليهود لكي يفسر آيات القرآن عندما عجز المسلمون الأوائل في تفسيرها. وقد نقلوا هذا عن بعض اليهود الذين تحولوا الى الإسلام في بداية الدعوة. وقد خلت بعض تفاسير القرآن من الإسرائيليات كتفسير الجلالين وتفسير ابن كثير وغيرها. إذا فإن الإسرائيليات ليس لها أي علاقة بأحاديث نبي الإسلام من قريب أو بعيد كما يتوهم الكثير من المسلمين

85 - الجـــن

ليس هناك أي خلاف بين المسلمين في وجود الجن، ذلك لأن إله الإسلام صرح بخلق الجن في آيات عديدة من القرآن، منها:

1 - { وَمَا خَلقتُ الجنَّ والإنسَ إلا لِيُعبُدُون } [الذاريات: 56]

2 - { وخَلق الجَانَّ من مَارج من نار } [الرحمن: 15]

3 - { والجَّان خَلقناهُ من قبلُ من نار السَّمُوم } [الحجر: 27]

4 - { وحُشِيرَ لِسليمَانَ جُنودُهُ من الجن والإنس والطير فهُم يُوزعُون } [النمل: 17]

5 - { وَيَوم يحشَرُهُمْ جميعًا يا معشرَ الجن قد استكثرتُم من الإنس وقال أولياؤُهُم من الإنس ربنا استمتع بعضنا ببعض وبلغنا أجلنا الذي أجلتَ لنا قال النار مثواكم خالدين فيها إلا ما شاء اللهُ إن ربك حكيم عليمٌ } [الأنعام: 128]

6 - { وَإذْ صرفنَا إليكَ نفرا من الجن يستمِعُون القرآن فلما حضروا قالوا أنصِتوا فلما قضي ولوا الى قومهم مُنذرين } [الأحقاف: 29]

7 - { فلما قضينا عليهِ الموتَ ما دَلهُم على موتِهِ إلا دابةٌ الأرض تأكلُ مِنساتَهُ فلما خر تَبينت الجنُ أن لو كانوا يعلمُون الغيبَ ما لبثوا في العَذابِ المُهين } [سبأ: 14] الى غيرها من الآيات الكثيرة.

بل إن القرآن يحوي سورة كاملة إسمها سورة الجن، إذا فوجود الجن بحسب القرآن حقيقة لا بد من الإعتراف بها حتى لو لم نتمكن من رؤيتهم والتعرف عليهم عن قريب.

الجن في الحديث:

جاء ذكر الجن وبيان بعض صفاتهم في الكثير من الأحاديث ومن خلال دراسة هذه الأحاديث يتبين لنا بأن الجن قد يؤذون الإنسان ويضرونه، وفيما يلي نذكر نماذج من هذه الأحاديث:

1 - قال الإمام أبو عبد الله الصادق:" ... إن الجن سموا جنا لأجتنابهم عن الرؤية، إلا إذا أرادوا الترائي، بما جعل الله عز وجل فيهم من القدرة على ذلك ..."

2 - عن علي بن ابي طالب أنه قال: قال رسول الله (ص):" إذا خلع أحدكم ثيابه فليَسم لئلا تلبسها الجن، فإنه إن لم يُسم عليها لبستها الجن حتى تصبح".

أقوال العلماء في الجن:

أما أقوال العلماء وآرائهم بالنسبة الى الجن فكثيرة، نشير فيما يلي الى أهمها:

1 - قال الطبري: في قوله تعالى { قُل أوحي اليَّ أنهُ استمعَ نفرٌ من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآنا عَجَبا} أي استمع القرآن طائفة من الجن، وهم جيل رقاق الأجسام خفيفة على صورة مخصوصة، بخلاف الإنسان والملائكة، فإن الملك مخلوق من النور، والإنس من الطين، والجن من النار.

2 - وفي بحار الأنوار: ... سميَّ الجن جنا لهذا السبب - أي لتواريه عن الأعين - والجنين متوار في بطن أمه، ومعنى الجان في اللغة الساتر.

3 - وفي تفسير علي بن إبراهيم القمي في قول الله تعالى: { والجان خلقناهُ من قبلُ من نار السمُوم } قال: هو إبليس، وقال الجن من ولد الجان، منهم مؤمنون ومنهم كافرون ويهود ونصارى، وتختلف أديانهم.

نقاط جديرة بالتأمل:

1 - أن للجن حشرا ونشرا وحسابا وكتابا وثوابا وعقابا كما لنا نحن، ويدل على ذلك قول إله القرآن { وأنا مِنا المُسلمُون ومنا القاسطون فمن أسلم فأولئك تحروا رشدا وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا}

2 - أن الجن كانوا قادرين على الصعود الى السموات واستراق السمع، لكنهم منعوا بعد ذلك، ويدل عليه قول إله القرآن: { وأنا كنا نقعُدُ منها مقاعد للسمع فمن يسمع الأن يجد لهُ شهابا رصدا} [الجن: 9]

3 - أن من الجن كفارا ومؤمنون، يقول القرآن: { وأنا منا الصالِحُون ومنا دُون ذلك كنا طرائِق قددا } [الجن: 11]

4 - أنهم كانوا يحاولون إغواء بعض الناس من خلال إعطائهم بعض المعلومات الخافية على البشر، وأن لهم رجال ونساء يدل عليه قول إله القرآن: { وأنا ظننا أن لن تقول الإنسُ والجنُ على الله كذبا وأنهُ كان رجالٌ من الإنس يعُوذُون برجال من الجن فزادُوهُم رهقا } [الجن: 6]

5 - أنه يوجد فيهم من له قدرة على القيام بأعمال عظيمة وشاقة، ويدل عليه: قول إله القرآن: { قال عفريتُ من الجن أنا اتيك به قبل أن تقوم من مقامِك وإني عليه لقوي أمين } [النمل: 39]

وقوله: { ولسليمان الريحَ غدُوها شهر ورواحُها شهر وأسلنا له عين القِطر ومن الجن من يعمل بين يديهِ بإذن ربه ومن يزع منهم عن أمرنا نذقهُ من عذاب السعير، يعملون لهُ ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدُور راسيات اعملوا آل داوُود شكرا وقليلٌ من عِبادي الشكورُ } [سبأ: 12]

صفوة القول أن المسلمين يؤمنون بأن: الجن طائفة من الموجودات غير المرئية، فالإنسان لا يستطيع مشاهدتها إلا إذا أرادت الجن ذلك، وقد خلقها الله قبل أن يخلق الإنسان، وبعث إليهم الأنبياء، وهم كالناس يدينون بالأديان والمذاهب، فمنهم يهود ونصارى ومسلمون، ومنهم مؤمنون بالله ورسوله، كما أنهم كانوا يأتون الى نبي الإسلام يسألون عن معالم الدين وأحكامه.

يستنتج الدارس للتعليم الإسلامي عن الجن بأنهم مخلوقات ذكية غير منظورة وهم بذلك كالملائكة كذلك فإن لهم صفات أخرى تجعلهم كالبشر. لذلك يمكننا القول أن الجن هم كائنات وسط ما بين الملائكة والناس. وأما مكان وجود الجن فهو الأرض السفلى حيث يسكنون مدنا وقرى شبيهة بمدن وقرى البشر، وهم أمم وممالك كأهل الأرض بالإضافة الى ذلك، فإنهم ينتشرون على سطح الأرض ويختلطون ببني البشر الى درجة التزاوج بينهم، وتنشر الروايات الخرافية الكثير بين المسلمين عن نساء متزوجات من الجان ومن رجال متزوجين من الجان. ويؤمن الإسلام أن هناك أيضا جانا مسلمين وجانا كفارا لم يسلموا. يخبرنا القرآن أن الجن قد خلقوا من النار كما في الآية التالية:" خلق الإنسان من صلصال كالفخار وخلق الجان من مارج من نار."]الرحمن: 14و15]. وكذلك يخبرنا القرآن أن الجان أمم كأمم البشر إذ يقول:" أدخلوا في أمم قد خلت من قبلكم من الجن والإنس في النار كلما دخلت أمة لعنت أختها.." [الإعراف: 38]. وكما أرسل الله رسلا لهداية البشر كذلك أرسل رسلا لهداية الجن منهم حسب ما جاء في القرآن:" يا معشر الإنس والجن ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي وينذروكم لقاء يومكم هذا قالوا شهدنا على أنفسنا وغرتهم الحياة الدنيا وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين." [الإنعام: 30]

يذكر القرآن أنه في الأيام الغابرة كان الجن تحت سيطرة سليمان وقد سخرهم لخدمته: ولسليمان الريح وغدوها شهر ورواحها شهر وأرسلنا له عين القطر ومن الجن من يعمل بين يديه بإذن ربه ومن يزغ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السعير. يعملون له ما شاء من محاريب وتماثيل وجنان كالجواب وقدور (سفن) راسيات ....." [سبأ: 12-13] إن ما رُوي في القرآن عن سليمان والجن كثير ولا يمكن ذكره كله في هذا الكتاب. لكننا نقول أن هذه لأساطير الأولين: إذا كان للجن هذه المكانة المهمة في ملك سليمان، فلماذا لم يرد ذكرهم على الإطلاق في التوراة التي يعتبرها المسلمون كتابا منزلا من الله والتي تقص أخبار سليمان بالتفصيل؟ هل نسي الله يا ترى أن يذكرهم في التوراة فعاد وذكرهم في القرآن؟ لقد كتب سليمان 3 أسفار من العهد القديم هي أناشيد الأنشاد والجامعة والأمثال ولم يذكر شيئا فيها عن الجن. لو كان هناك وجود حقيقي للجن، ولو كان الجن يعيش بين الناس ويتزوجون منهم، فلماذا اختفوا بعد موت محمد؟ ولماذا لا نراهم اليوم وتكنولوجيا الإتصالات في يومنا عظيمة؟ إن الجن ليس لهم وجود إلا عند الوثنيين من العرب ومن سار على مسارهم من اليهود والنصارى الإسميين. ونحن لا ندري إن كان جن سليمان قد آمنوا بدينه أم لم يؤمنوا، ولا ندري أن كان بين جن الجزيرة العربية يهود ونصارى أم لا. كما ذكر في آية سابقة كان الله يرسل الى الجن رسلا منهم. ولم يكن أحد من رسل البشر السابقين وأنبيائهم قد أرسل إليهم، ولكن محمدا نال هذا الإمتياز أن يكون الرسول الأول والوحيد للإنس والجن على حد سواء. وكما كان لمحمد أتباع من البشر كان له أتباع من الجن أيضا. حيث أنهم سمعوا قرآن محمد وآمنوا بمحمد وقرآنه كما جاء في الآية:" قل أوحي اليّ إنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآنا عجيبا. يهدي الى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحد" [الجن: 1-3]. ثم يضيف على ذلك " وإنا من الصالحون ومنا دون ذلك كنا طرائق قددا (متفرقة) وإنا ظننا أن لن نعجز الله في الأرض ولن نعجزه هربا. وإنا لما سمعنا الهُدى (القرآن) أمنا به فمن يؤمن بربه فلا يخاف نجسا ولا رهقا. وإنا منا المسلمون ومنا الفاسقون فمن أسلم فأولك تحروا رشدا." (الجن:13-16)

يخبرنا الحديث كيف برأ محمد القرآن على الجن وكيف أسلموا. قال الراوي:" حدثنا محمد بن المثنى حدثنا عبد الأعلى عن داود عن عامر: قال: سألت علقمة هل كان ابن مسعود شهد مع رسول الله ليلة الجن؟ قال: فقال علقمة: أنا سألت ابن مسعود فقلت: هل شهد أحد منكم رسول الله ذات ليلة فقدناه وإلتمسناهُ في الأودية والشعاب فقلنا استطير (طارت به الجن) أو أغتيل. قال فبتنا بشر ليلة بات بها قوم فلما أصبحنا إذا هو (محمد) جاء من قبل حراء قال: فقلنا: يا رسول الله فقدناك فطلبناك فلم نجدك فبتنا بشر ليلة بات بها قوم. فقال:" أتاني داعي الجن فذهبت فقرأت عليهم القرآن"، قال: فإنطلق بنا فأرانا آثارهم وآثار نيرانهم (مسلم ج 4 ص 169، رواه البخاري وابن كثير أيضا). يا ترى هل رأى أحد في تاريخ البشرية نيران الجن غير محمد؟ ولماذا أوقد الجن النيران؟ هل ليتدفأوا بها أو يطهوا الطعام عليها؟ على أي حال هناك أحاديث كثيرة ومختلفة تصف هذه الحادثة. في بعض الأحاديث هؤلاء الجن كانوا من الشياطين وبعضها يذكر أنهم كانوا من جن نصيبين أو أحد الأماكن الأخرى في الجزيرة العربية. يحدثنا محمد نفسه أن عفريتا من الجن حاول منعه من الصلاة، ولكنه تغلب عليه وكاد أن يمسكه ولكنه تركه لشأنه حتى لا يتعدى على سليمان كما في الحديث التالي:" حدثنا إسحق بن إبراهيم قال: أخبرنا روح ومحمد بن جعفر عن شعبة عن محمد بن زياد عن أبي هريرة عن النبي (ص) قال:" إن عفريتا من الجن تفلت عليّ البارحة ـ أو كلمة نحوها ليقطع علي الصلاة فأمكنني الله منه فأردت أن أربطه الى سارية من سواري المسجد حتى تصبحوا وتنظروا إليه كلكم فذكرت قول أخي سليمان:" ربي اغفر لي وهب ملكا لا ينبغي لأحد بعدي فرده خاسئا." (البخاري ج 1 ص 148، مكرر، ذكره مسلم أيضا). يبدو أن الجن كانوا دوما في صحبة محمد حيث أنه يقول أن لكل إنسان قرين (صاحب) من الجن بما في ذلك محمد نفسه لكن قرينه أسلم ويأمره دائما بالخير كما جاء في الحديث:" حدثنا عثمان حدثنا جرير بن منصور عن سالم بن أبي الجعد عن أبيه عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله (ص):" ما منكم من أحد إلا وكان به قرينه من الجن قالوا: واياك يا رسول الله؟ قال: وإياي إلا أن الله أعانني عليه فأسلم، فلا يأمرني إلا بخير." (مسلم ج17 ص 157، مكرر،

رواه البخاري أيضا). هذا وقد جاء في بعض الأحاديث أن هذا القرين هو من الشياطين، وقد أسلم شيطان محمد. ولا يسعنا هنا إلا أن نتساءل هل كان محمد حقا يأتمر بأمره الجان والشياطين؟ إن من لهم أقران من الجن والشياطين إنما هم سحرة أو مجانين، والكثيرين منهم إما حاولوا الإنتحار أو انتحروا. ومن المعروف في الإنجيل أن المسيح كان يشفي الذين بهم أرواح شريرة أو شياطين. هناك صفات أخرى يشارك بها الجن البشر. الجن حسب ما ذكر محمد يموتون كما يموت البشر. حيث جاء في الحديث:" حدثنا أبو مُعمر حدثنا عبد الوارث حدثنا حسين المعلم حدثني عبد الله بن بريدة عن يحيى بن يعمر عن ابن عباس أن النبي (ص) كان يقول:" أعوذ بعزتك الذي لا إله إلا أنت الذي لا يموت والجن والإنس يموتون" (البخاري ج8 ص 523).

لعل أغرب ما قيل عن الجن هو طعامُهم فهل تعرف عزيزي القارئ ما هو طعام الجن؟ ربما لن تصدق أن طعام الجن حسب ما قال محمد هو عبارة عن نفايات البشر ونفايات الحيوانات وبالتحديد العظام والروث (إفرازات الحيوانات مثل الإبل والبقر والغنم والخيل)، كما جاء في الحديث:" حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا عمرو بن يحيى بن سعيد قال أخبرني جدي عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه كان يحمل مع النبي اداوة (وعاء ماء) لوضوئه وحاجته فبينما هو يتبعه بها قال:" من هذا؟" فقال: أنا أبا هريرة. فقال:" ابغني (أحضر لي) أحجارا استنفض بها (أمسح أثر الغائط) ولا تأتي بعظم أو روثة" فأتيته بأحجار أحملها في طرف ثوبي حتى وضعتها الى جنبه. ثم انصرفت حتى إذا فرغ مشيت معه فقلت: ما بال العظم والروثة؟ قال:" هما من طعام الجن، وإنه أتاني وفد جن نصيبين، ونعم الجن فسألوني الزاد، فدعوت الله أن لا يمروا بعظم ولا بروثة إلا وجدوا عليها طعاما." (البخاري ج 4 ص 618 مكرر، رواه مسلم أيضا). عجبا ألم يكرم محمد على الجن إلا بالعظم والروث؟ أهذا كان كل ما تجود به الجزيرة العربية؟ عزيزي القارئ: إن هذه الخرافات الجنية ليس لها مثيل لا في اليهودية ولا في المسيحية وإنما هي خرافات جاهلية وصارت معتقدا إسلاميا.

الشيطان:

الشيطان في الإسلام هو إبليس وهو كائن ذكي مخلوق من نار وقدرته تفوق قدرة الإنسان. السبب في سقوط إبليس وطرده من الجنة أنه رفض السجود للإنسان كباقي الملائكة كما جاء في القرآن:" ولقد خلقتكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس لم يكن من الساجدين قال ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين. قال فاهبط منها (أي السماء) فما يكون لك أن تتكبر فيها فاخرج فإنك لمن الصاغرين قال أنظرني الى يبعثون. قال إنك لمن المُنظرين. قال فيما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين". (الأعراف: 11-17) وهكذا كما في الآيات السابقة بعدما رفض إبليس السجود للإنسان نذر نفسه للإيقاع بالإنسان من كل جانب. إن هذه الرواية عن طرد الشيطان لرفضه السجود لآدم ليس لها مثيل ولا أساس إلا في القرآن وروايات المسلمين. إن ما ذكر سابقا لا يتفق مع أي من التوراة والإنجيل، والسبب في ذلك بسيط لقد خلق الله الملائكة والبشر وقد خلقهم لعبادته وخدمته. إن السجود هو علامة العبادة والطاعة والخضوع لذلك لا يحق إلا لله وحده.

إن رواية القرآن التي وردت في أكثر من مكان عن أمر الله للملائكة بالسجود لآدم غريبة كل الغرابة. حاشا لله أن يطلب من الملائكة أن تسجد لآدم إن الله لا يرضى أن تشاركه أي من مخلوقاته في صفة السجود والعبادة فالسجود هو من حق الله وحده، وهو لا يمكن أن يطلب من فئة من خلائقه أن تسجد لأخرى، وخاصة كون الملائكة متميزة وأعلى مقاما وقداسة وطهارة من الإنسان لا بل العكس في التوراة والإنجيل نرى أن الإنسان هو الذي حاول السجود للملائكة، ولكن الملائكة كانت ترفض ذلك، لأن الملائكة تعرف أن السجود هو حق الله وحده. لقد ورد ذكر الشياطين في كثير من الأحاديث وكثيرا مما ذكر في الحديث عن الشيطان يدخل في باب الخرافات ويستدعي الضحك والاستهجان والإستهزاء. يقول محمد أن الشيطان يعمل على إيقاع الأذى بالإنسان منذ اللحظة التي يجامع فيها الرجل إمرأته ولا يحمي الإنسان من هذا الأذى إلا ذكر إسم الله عندما ينوي الرجل على جماع إمرأته، كما في الحديث:" حدثنا علي بن عبد الله قال: حدثنا جرير عن منصور عن سالم بن أبي الجعد عن كريب عن إبن عباس أن النبي قال:" لو أن أحدكم إذا أتى أهله قال: بسم الله جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رُزقنا فقضي بينهما ولد. لم يضره الشيطان". (البخاري ج 1 ص55 مكرر، رواه مسلم أيضا) يؤيد محمد نظريته هذه بالقول أن سليمان دخل في ليلة واحدة على تسعين أو سبعين أو مئة، بحسب اختلاف الأحاديث، من نسائه ولم يذكر اسم الله فما وُلد له إلا ولد واحد وكان نصف إنسان كما جاء في الحديث التالي:" وحدثني زهير بن حرب حدثنا شبابة حدثني ورقاء عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة عن النبي قال:" قال سليمان بن داود لأطوفن (أضاجع) الليلة على تسعين امرأة كلها تأتي بفارس يقاتل في سبيل الله لجاهدوا في سبيل الله فرسانا أجمعون" (مسلم ج 11 ص122 مكرر، رواه البخاري أيضا). أخي القارئ أختي القارئة أليس هذا من وحي الخرافات. كيف يستطيع رجل أن ينكح تسعين امرأة في ليلة واحدة؟ هل بلغ الخيال بمحمد هذا المبلغ؟ ثم من اين لمحمد العلم بهذه الروايات الخرافية عن سليمان وأن له ابن نصف إنسان، وهذه قصة لم يذكرها إنجيل ولا توراة؟ وأيضا لماذا نكح محمد ما شاء له من نسائه وجواريه ولن ينجب ما شاء له الله فرسانا يجاهدون في سبيل الله؟ وكيف ينجب الملايين من المسلمين بناتا وأولادا في صحة وعافية دون أن يذكروا اسم الله عند نكاح زوجاتهم؟ مما لم يعرفه محمد ولم يظهره له رب محمد أن الحقيقة الطبية البسيطة هي: أن الذي ينكح مرتين أو ثلاث في الليلة، يصبح من الصعب له أن يلد الأولاد، لأن السائل المنوي الذي هو العامل الذي يلقح ويخصب المرأة يصبح ضعيفا لكثر النكاح ونحن أخبرنا بأن محمدا تزوج خديجة وكانت إمرأة في الأربعين من عمرها، ولكنها أنجبت له ستة أولاد، وذلك لأنها كانت امرأته الوحيدة. ولكن عندما ابتدأ محمد يتزوج العديد من النساء، ويأتيهن جميعهن في ليلة واحدة، ومع أنهن كن شابات مقتدرات ومستعدات للحمل إذ كان من المستحيل أن يكن كلهن عاقرات، لم يحملن،

والسبب حسب الظاهر والبسيط هو طبي في محمد نفسه. كان من المفروض على جبرائيل أن يوحي له بهذه الحقيقة الطبية البسيطة.

عزيزى القارئ، أناشدك بكل ما هو منطقي ومحتشم، هل سمعت يوما ضراط الشيطان؟ أرجو أن لا تضحك فإن للشيطان ضراطا شديدا كما جاء على لسان خاتم المرسلين وسيد العالمين:" حدثنا عبد الله بن يوسف أخبرنا مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة أن رسول الله (ص) قال: إذا نودي للصلاة أدبر (هرب) الشيطان وله ضراط حتى لا يسمع التأذين فإذا قضى النداء أقبل حتى إذا ثوب (ابتدأ) الصلاة أدبر حتى إذا قضي التثويب أقبل حتى يخطر بين المرء ونفسه يقول " اذكر كذا اذكر كذا لما لم يكن يذكر حتى يظل الرجل لا يدري كم صلى " (البخاري ج 1 ص 188 مكررة، رواه مسلم أيضا). ثم ينتقل الحديث من ضراط الشيطان الى نهيق الحمير. لقد أقر محمد أن الحمير تنهق عندما ترى الشيطان كما في الحديث:" حدثنا قتيبة حدثنا الليث عن جعفر بن ربيعة عن الأعرج عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي قال:" إذا سمعتم صياح الديكة فاسألوا الله من فضله فإنها رأت ملاكا. وإذا سمعتم نهيق الحمار فتعوذوا بالله من الشيطان فإنه (الحمار) رأى شيطانا." (البخاري ج 4 ص 29). هل هناك ما هو خرافي وسخيف أكثر من هذا؟ هل جاء أحد أنبياء الله بمثل هذه الخرافات السخيفة؟ كلا. يا هل ترى كيف يُعلل محمد والمسلمون أصوات الحيوانات الأخرى؟ فماذا عن حوار البقر وثغاء الغنم ونباح الكلب وصهيل الخيل ومُواء القط وغيرها من الحيوانات؟ ربما لا تعرف عزيزي القارئ أن الحمار ينهق إذا رأى الشيطان، لكن هل تعرف أن الشيطان (ربما لعدم وجود مراحيض في جزيرة العرب) يبول في آذان بعض الناس؟ هل خشيت يوما أن يبول الشيطان في أذنك وانت نائم؟ إن كنت لا تدري بذلك أرجو أن تقرأ الحديث التالي:" حدثنا مسند قال: حدثنا أبو الأحوض قال: حدثنا منصور عن أبي وائل عن عبد الله رضي الله عنه قال: ذكر عند النبي (ص) رجل فقيل: ما زال نائما حتى أصبح ما قام الى الصلاة فقال (محمد). بال الشيطان في أذنه (أو آذانه). (البخاري ج 2 ص 347 مكرر، رواه مسلم أيضا). أرجو لكم أعزائي القراء أن تناموا نوما هنيئا وأن لا يزعجكم الشيطان ببوله في آذانكم. حسب ما جاء به محمد لا يكتفي الشيطان بالبول في الآذان، فإنه يبيت في خياشيم البشر كما جاء في الحديث:" حدثني بشر بن الحكم العبدي، حدثنا عبد العزيز يعني الداروردي عن ابن الهاد عن محمد بن إبراهيم عن عيس بن طلحة عن أبي هريرة أن النبي قال" إذا استيقظ أحدكم من منامه فليستنثر (أي ينشق الماء ثم يتمخط) ثلاث مرات فإن الشيطان يبيت على (أو في) خياشمه". (مسلم ج3 ص 127 رواه البخاري أيضا). عزيزي القارئ، بعد أن عرفت أعمال الشيطان ولم تفعل ما أمر به "النبي" العارف ببول الشيطان ونومه وقيامه، فإننا براء إذا ما بقي الشيطان معششا في خياشيمك. فلا تنسى أن تستنشق الماء كل صباح ثلاث مرات ثم تتمخط حتى لا يبقى أثر للشيطان في خياشيمك. تذكر وصفة محمد التي تقول ثلاث مرات، فمرة أو مرتين لن يكون كفاية ونتمنى لخياشمك الشفاء التام من كل شيطان زنيد. أخي القارئ، أختي القارئة، بعد أن عرفناكم عن بول الشيطان في الآذان ونومه في الخياشيم، فلا بد من أن نحذرك شديد الحذر من التثاوب فهل تعلمون أن التثاول هو من الشيطان؟ إن سنة محمد تقول أن الشيطان هو الذي يسبب التثاؤب، ولولا الشيطان ما تثاءب أحد. يقول الراوي:" حدثنا عاصم بن علي حدثنا ابن أبي ذنب عن سعيد المقري عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي قال: التثاؤب من الشيطان، فإذا تثاءب أحدكم فيرده ما استطاع، فإن أحدكم إذا قا ها ضحك الشيطان". (البخاري ج 4 ص 435 مكرر)

طبعا نحن نعرف اليوم أن الإنسان إذا ما غلب عليه التعب والنعاس يتثاءب، وإن إحتاج جسده للأوكسجين يتثاءب، شاء محمد أم أبى، لأن هذا راجع للنظام العصبي وليس للخرافات الشيطانية والتي تجلب السخرية.

وأخيرا وليس آخرا، هل تعلم أن للشيطان قرنان هائلان الى درجة أن الشمس التي يزيد حجمها على حجم الأرض بحوالي المليون مرة، تطلع من بين هذين القرنين؟ إن كنتم لا تعرفون فهذا ما قال محمد:" حدثنا محمد أخبرنا عبدة بن هشام عن عروة عن أبيه عن ابن عمر قال: قال رسول الله :" إذا طلع حاجب الشمس (بزغت الشمس) فدعوا الصلاة حتى تبرز، وإذا غاب حاجب الشمس (أي مالت للغروب) فدعوا الصلاة حتى تغيب. ولا تحينوا (تتجنبوا) بصلاتكم طلوع الشمس ولا غروبها فإنها تطلع بين فرني شيطان أو الشيطان، لا أدري أي ذلك قال هشام". (البخاري ج 4 ص 432 مكرر، رواه مسلم أيضا).

عزيزي القارئ، ألا ترى ما قد جاء به محمد من خرافات يستأسر بها عقول سامعيه؟ إن الشيطان هو شخص حقيقي لا جدل في ذلك. وهو المقاوم لعمل الله وأصل كل شر، ولكن ما جاء سابقا من حديث محمد ليس إلا خرافات لا أساس لها إلا ما يشيع بين الناس من اختراع بنات أفكارهم وتخوفهم وجهلهم وشعوذتهم. إن ما ذكر من الخرافات السابقة والكثير غيرها لم يأت به نبي آخر أو كتاب آخر. هل لا يكشف الله هذه الأسرار عن الشيطان والتي تخالف المنطق السليم والعلم الواضح إلا لمحمد بن عبد الله؟ هل عند الله تحيز ومحاباة حتى يبقى البشر في ضلال لألاف السنين في علم الشيطان وبوله في الآذان ومبيته في الخياشيم؟

86 - الفروق بين السنة والشيعة

يرجع البعض لوهمية أن الخلاف السني الشيعي هو سياسي في المقام الأول والواقع أنه خلاف في أصول العقيدة كما هو واضح من المقارنة التالية:

أولا : القرآن الكريم

عند أهل الشيعة	عند أهل السنة والجماعة
الشيعة: مطعون في صحته عند بعضهم وإذا اصطدم بشيء من معتقداتهم، يؤلونه تأويلات عجيبة تتفق مع مذهبهم، ولذا سُمى هؤلاء " بالمتأوله"! ويحبون أن يثيروا دائما ما صار من اختلاف عند بدء التدوين، وكلام أئمتهم من مصادر التشريع المعتمدة لديهم.	أهل السنة: متفق على صحته وسلامته من الزيادة والنقصان، ويفهم طبقا لأصول اللغة العربية ويؤمنون بأنه كلام الله تعالى، غير حادث، ولا مخلوق، وأنه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وهو المصدر الأول لكل عقائد المسلمين ومعاملاتهم

ثانيا: الحـديث

عند أهل الشيعة	عند أهل السنة والجماعة
الشيعة: لا يعتمدون إلا الأحاديث المنسوبة لآل بيت الرسول، وبعض الأحاديث لمن كانوا مع علي رضي الله عنه في معاركه السياسية، ويرفضون ماسوى ذلك، ولا يهتمون بصحة السند، ولا الإسلوب العلمي فكثيرا ما يقولون مثلا -" عن محمد بن اسماعيل عن بعض أصحابنا عن رجل عنه أنه قال .."!!! وكتبهم مليئة بعشرات الآلاف من الأحاديث التي لا يمكن اثبات صحتها. وقد بنوا عليها دينهم وبذلك أنكروا أكثر من ثلاثة أرباع السنة النبوية، وهذه من أهم نقط الخلاف بينهم وبين سائر المسلمين.	أهل السنة: هو المصدر الثاني للشريعة، والمفسر للقرآن الكريم ولا تجوز مخالفة أحكام أي حديث صحت نسبته للنبي (ص). وتعتمد لتصحيح الحديث: الأصول التي اتفق عليها فقهاء الأمة في علم مصطلح الحديث وطريقها: تحقيق السند دون تفريق بين الرجال والنساء إلا من حيث التوثيق بشهادة العدول، ولكل راو من الرواة تأريخ معروف وأحاديث محددة مصححة، أو مطعون في صحتها وقد تم ذلك بأكبر جهد علمي عرفه التأريخ، فلا يقبل حديث من كاذب ولا مجهول ولا من أحد لمجرد رابطة القرابة، أو النسب لأنها أمانة عظيمة تسمو على كل الإعتبارات.

ثالثا: الصحابـة

عند أهل الشيعة	عند أهل السنة والجماعة
الشيعة: يرون أن الصحابة قد كفروا بعد رسول الله إلا نفرا قليلا لا يتجاوز أصابع اليدين ويضعون عليا في مكانة خاصة الخاصة.. فبعضهم يراه وصيا، وبعضهم يراه نبيا، وبعضهم يراه إلها، ومن ثم يحكمون على المسلمين بالنسبة لموقفهم منه، فمن انتخب للخلافة قبله فهو ظالم أو كافر، ومن خالفه الرأي فهو ظالم أو كافر أو فاسق، وكذلك الحال بالنسبة لمن خالف ذريته.. ومن هنا أحدثوا في التاريخ فجوة هائلة من العداء والإفتراء وصارت قضية التشيع مدرسة تاريخية تمضي بهذه التعاليم الضارة عبر الأجيال.	أهل السنة: يجمعون على احترامهم، والترضي عنهم وأنهم كلهم عدول جميعا، واعتبار ما شجر بينهم من خلاف، أنه من قبيل الإجتهاد الذي فعلوه مخلصين وقد انتهت ظروفه، ولا يجوز لنا أن نبني عليه أحقادا تستمر مع الأجيال، بل هم الذين قال الله فيهم خير ما قال في جماعة وأثنى عليهم في مواطن كثيرة، وبرأ بعضهم على وجه التحديد، فلا يحل لأحد أن يتهمهم بعد ذلك. ولا مصلحة لأحد في ذلك.

رابعا: عقيدة التوحيد

عند أهل الشيعة	عند أهل السنة والجماعة
الشيعة: يؤمنون بالله تعالى ووحدانيته ولكنهم يشوبون هذا الإعتقاد بتصرفات شركية فهم يدعون عبادا غير الله ويقولون " يا علي ويا حسين ويا زينب" وينذرون ويذبحون لغير الله. ويطلبون من الأموات قضاء الحوائج.. ولهم أدعية وقصائد كثيرة تؤكد هذه المعنى وهم يتعبدون بها، ويعتقدون أن أئمتهم معصومون، وأنهم يعلمون الغيب، ولهم في الكون تدبير، والشيعة هم الذين أخترعوا التصوف لتكريس هذه المعاني المنحرفة، ويزعمون أن هناك قدرة خاصة للأولياء والأقطاب وآل البيت، وأكدوا في اتباعهم معاني الإمتياز الطبقي في الدين، وأنه ينتقل لأبنائهم بالوراثة. وكل ذلك لا أصل له في الدين ومعرفة الله تجب عنهم بالعقل لا بالشرع وما جاء في القرآن هو مجرد تأكيد لحكم العقل وليس تأسيسا جديدا.	أهل السنة: يؤمنون بأن الله هو الواحد القهار لا شريك له ولا ند ولا نظير، ولا واسطة بينه وبين عباده. ويؤمنون بآيات الصفات كما جاءت من غير تأويل ولا تعطيل ولا تشبيه ((ليس كمثله شيئ)) وأنه أرسل الأنبياء وكلفهم بتبليغ الرسالة فبلغوها ولم يكتموا منها شيئا. ويؤمنون بأن الغيب لله وحده، وأن الشفاعة مشروطة ((من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه)) وأن الدعاء والنذر والذبح والطلب لا يكون إلا له سبحانه، ولا يجوز لغيره. وأنه وحده الذي يملك الخير والشر فليس لأحد معه سلطة ولا تصرف حيا كان أو ميتا والكل محتاجون لفضله ورحمته ومعرفة الله تجب عن عندهم بالشرع وبآيات الله قبل العقل الذي لا يهتدي ... ثم يتفكر الإنسان بعقله ليطمئن.

خامسا: رؤية الله سبحانه وتعالى

عند أهل الشيعة	عند أهل السنة والجماعة
الشيعة: غير ممكنة لا في الدنيا ولا في الآخرة.	أهل السنة: ممكنة في الآخرة فقط لقوله: (وجوه يؤمئذ ناضرة الى ربها ناظرة)

سادسا: الغيب

عند أهل الشيعة	عند أهل السنة والجماعة
الشيعة: يرون أن معرفة الغيب من حق أئمتهم وحدهم وليس من حق النبي أن يخبر عن الغيب ولذلك فإن بعضهم ينسب الألوهية لهؤلاء الأئمة.	أهل السنة: اختص الله تعالى نفسه بالغيب وإنما أطلع أنبياءه ومنهم محمد (ص) على بعض أمور الغيب لضروريات معينة (ولا يحيطون بشيء من علمه إلا ما شاء.

سابعا: آل الرسول

عند أهل الشيعة	عند أهل السنة والجماعة
الشيعة: هم صهره علي، وبعض أولاد علي فقط، ثم أبناؤهم وأحفادهم من بعد.	أهل السنة: هم أتباعه على دين الإسلام " في أصح الأقوال" وقيل هم أتقياء أمته، وقيل هم أقاربه المؤمنون من بني هاشم وبني عبد المطلب.

ثامنا: الشريعة والحقيقة

عند أهل الشيعة	عند أهل السنة والجماعة
الشيعة: يرون أن الشريعة هي الأحكام التي جاء بها النبي وهي التي تهم العوام والسطحيين فقط، أما الحقيقة أو العلم الخاص عن الله فلا يعلمه إلا أئمة أهل البيت" أي بعض عائلة النبي فقط" وأنهم يتلقون علوم الحقيقة بالوراثة جيلا عن جيل وتبقى عندهم سرا وأن الأئمة معصومون عن الخطأ. وكل عملهم تشريع وكل تصرفاتهم جائزة وأن الصلة بالله لا تتم إلا عن طريق الوسائط أي أئمتهم ولذلك تورطوا في تسمية أنفسهم بألقاب فيها مبالغة كقولهم " ولي الله" و "باب الله" و "المعصوم" و " حجة الله" ... الخ.	أهل السنة: يرون أن الشريعة هي الحقيقة، وأن رسول الله لم يخبئ عن أمته شيئا من العلم، وما ترك خيرا إلا دلنا عليه، ولا شرا إلا حذرنا منه وقد قال الله تعالى (اليوم أكملت لكم دينكم) وأن مصادر الدين هي الكتاب. والسنة، لا تحتاج لما يكملها وطريق العمل والعبادة والصلة بالله واضحة بلا وسائط. وأن الذي يعلم حقيقة العباد هو الله وحده، ولا نزكي على الله أحدا. وكل أحد يؤخذ من كلامه ويترك إلا النبي المعصوم عليه الصلاة والسلام.

تاسعا: الفقه

عند أهل الشيعة	عند أهل السنة والجماعة
الشيعة: يعتمدون على مصادرهم الخاصة مما نسبوه لإئمتهم" المجددين" وما تأولوه في آيات الله، وما تعمدوه من مخالفة غالبية الأمة. ويرون أن لأئمتهم المجتهدين والمعصومين الحق في استحداث أحكام جديدة، كما حصل فعلا في الأمور التالية: 1- الآذان، وأوقات الصلاة. وهيآتها، وكيفيتها. 2- أوقات الصيام، والفطر. 3- أعمال الحج، والزيارة. 4- بعض أحوال الزكاة ومصارفها. 5- المواريث. وهم حريصون على مخالفة أهل السنة وتوسيع دائرة الخلاف دائما.	أهل السنة: يتقيدون بأحكام القرآن الكريم بكل دقة، وتوضحها لهم أقوال الرسول وأفعاله حسبما جاءت به السنة المطهرة، وأقوال الصحابة والتابعين الثقات عليها معول كبير في ذلك، لأنهم أقرب الناس عهدا وأصدقهم معه بلاء وليس من حق أحد أن يشرع جديدا في هذا الدين بعد أن أكمله الله، ولكن يرجع في فهم التفاصيل والقضايا المستحدثة والمصالح المرسلة الى علماء المسلمين الثقات في جدود الكتاب والسنة ولا غير.

عاشرا: الولاء

عند أهل الشيعة	عند أهل السنة والجماعة
الشيعة: يرون الولاء ركنا من أركان الإيمان وهو عندهم التصديق بالأئمة الأثنى عشر" ومنهم ساكن السرداب" فغير الموالي لآل البيت في عرفهم لا يوصف بالإيمان، ولا يصلى خلفه ولا يعطى من الزكاة الواجبة، ولكن يعطي من الصدقة العادية كالكافر.	أهل السنة: " وهو الإنقياد التام" لا يرونه إلا لرسول الله (ص) لقوله تعالى (من يطع الرسول فقد أطاع الله) وما عداه من الناس فلا ولاء له إلا بحسب ما قررته القواعد الشرعية؛ لأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

الحادي عشر: التقية

عند أهل الشيعة	عند أهل السنة والجماعة
الشيعة: هم على اختلاف طوائفهم يرونها فريضة لا يقوم المذهب إلا بها، ويتلقون أصولها سرا وجهرا ويتعاملون بها، خصوصا إذا أحاطت بهم ظروف قاسية، فيبالغون في الإطراء والمدح لمن يرونهم كفارا يستحقون القتل والتدمير، ويطبقون حكم الكفر على كل من ليس على مذهبهم، وعندهم أن " الغاية تبرر الواسطة وهذا الخلق يبيح كل أساليب الكذب والمكر والتلون".	أهل السنة:" هي أن يظهر الإنسان غير ما يبطن اتقاء الشر" وعندهم أنه لا يجوز لمسلم أن يخدع المسلمين بقول أو مظهر، لقول النبي (ص) " من غش فليس منا" ولا تجوز التقية إلا مع الكفار أعداء الدين، وفي حالة الحرب فقط بإعتبار أن الحرب خدعة. ويجب أن يكون المسلم صادقا شجاعا في الحق غير مراء ولا كاذب ولا غادر، بل ينصح ويأمر بالمعروف وينهي عن المنكر.

الثاني عشر: الإمامة

عند أهل الشيعة	عند أهل السنة والجماعة
الشيعة: الحكم عندهم وراثي في أبناء علي وأبناء فاطمة مع اختلاف بينهم في ذلك وبسبب قضية الحكم هذه، فهم لا يخلصون لحاكم قط من غير هذه السلسلة، ولما لم تتحقق نظريتهم في التاريخ كما كانوا يؤملون، فقد أضافوا نظرية الرجعة، ومعناها أن آخر أئمتهم ويسمى " القائم" سيقوم في آخرالزمان، ويخرج من السرداب يذبح جميع خصومه السياسيين، ويعيد الى الشيعة حقوقهم التي اغتصبتها الفرق الأخرى عبر القرون.	أهل السنة: يحكم الدولة " خليفة" ويُنتخب من بين المسلمين .. يشترط فيه الكفاءة كأن يكون عاقلا رشيدا عالما معروفا بالصلاح والأمانة والقدرة على حمل هذه المسئولية، وينتخبه أهل الحل والعقد من جماعة المسلمين وهو يعزلونه إذا لم يعدل، أو خرج على أحكام الكتاب والسنة وله الطاعة على كل المسلمين والحكم عندهم تكليف ومسئولية لا تشريف ولا غنيمة.

87 - الإصابة فى صحة حديث الذبابة

هذا إسم كتاب للدكتور خليل إبراهيم ملا خاطر يدافع فيه بإستماته عن حديث الذبابة ويضعه في أغلى درجات الصحة ويجد له الكثير من المبررات العلمية ولكن الواقع المرير ينسف هذا الوهم من أساسه كما جاء في مقال الأستاذ تيمور عزيز الذي ننقله فيما يلي:

من قلم: تيمور عزيز: الذبابة مرة أخرى .. والضربة القاضية:

ساعدني " جوجل " العظيم في قراءة حوالي 20 عرض لحديث الذبابة من قبل إسلاميين يحاولون إضفاء نوع من العقلانية العلمية والطبية عليه .. وقد تنوعت هذه الشروحات بين الهراء المحض أو محاولات مزج الحديث ببعض البحوث الطبية لإضفاء نوع من " المصداقية" لنظرية الجناحين والداء والدواء. تنوعت البحوث الطبية التي تناولت الذبابة بين بحوث أجراها علماء أجانب وبحوث أجراها علماء مسلمون . ما أجراه العلماء المسلمون سننحيه جانبا لأن أبحاثهم كلها لن ينظر إليها من منطلق أن بها شبهة **BIAS** .. أي الإنحياز المسبق لرأي معين أو نتيجة معينة. وهذا عرف سائد في الطب والعلم عموما وأبسط مثال هو عدم الإلتفات الى الأبحاث التي تجريها شركات الأدوية بشأن أدوية تنتجها هي. ثم أبحاث بواسطة جهات أجنبية وقد أثبتت فعلا وجود بعض المضادات الحيوية في شكل فطريات شبيهة بفطر البنسيليوم الذي استخرج منه أول مضاد حيوي فعال (البنسلين).

تعليقي:

أولا: هذه المضادات موجودة على أجسام معظم الكائنات الحية وليس على الذباب وحسب. وهي معلومة قديمة ويعرفها كل البيولوجيون.

ثانيا: أضاف الدكتور زغلول النجار في العديد من لقاءاته شرحا هلاميا لا يستند الى أي حقائق طبية أو بيولوجية!.. أنا أشهد للرجل بالعلم في مجاله وهو الجيولوجيا.. لكن في الطب؟؟!! طبعا لا .. وإليكم الحفرة التي حبس نفسه فيها: يقول الدكتور النجار (وقد كرر مقولته العديد ممن حاول اثبات حديث الذبابة علميا) يقول: على جسم الذبابة فطريات مثل البنسلين تقتل البكتريا .. ومن لم يقتل بهذه الفطريات من البكتريا التي تنقلها الذبابة فإنها (البكتريا) تضعف وتصبح بمثابة المصل أو اللقاح الذي يعطى شارب عصير الذبابة مناعة!!!.. كلام في مظهره سهل ومقنع.. ولكنه مقنع للبسطاء من البشر ممن ليس لديهم أي خلفية علمية .. والمذهل أن المذيع كان يهز رأسه علامة الفهم التام والإنسجام مما يقوله العالم العلامة ويكرر: انعم اللع عليك يا دكتور .. أنعم الله عليك!!

ثالثا: على جسم الذباب فطريات يمكنها قتل البكتريا: صح أوافق. لكن هل تذكرون كم مضى من الوقت على مزرعة البكتريا عندما غادر د. ألكسندر فلمنج (مكتشف البنسلين) معمله ليعود في اليوم التالي ليجد أن البكتريا التي تعرضت للفطر قد ماتت؟؟ حوالي 12 ساعة!! تعالوا نتخيل الآن أن الذبابة قد حطت على طبق الشوربة (الحساء).. وغمسناها كما يقول الحديث .. ثم طرحناها خارجا .. ثم شربنا الحساء بالهنا والإسهال (لا شفاء هُنا!!).. ترى كم من الوقت سيتاح لفطريات المضادات الحيوي أن تقتل البكتريا التي ملأت الشوربة؟؟ طبعا لا وقت .. ولا مجال لقتل البكتريا .. وما يدعيه زغلول النجار يعتبر من وجهه نظرى " كلام حشاشين".

رابعا: البكتريا التي لم تقتل بالفطريات والمضادات (أي كلها) ستضعف وتصبح مثل المصل!!: نظرية إضعاف البكتريا لإستخدامها كمصل ولقاح صحيحة ولا أعترض. لكن عملية الإضعاف هذه في منتهى التعقيد. فهناك إضعاف بتعريض البكتريا للحرارة .. وهناك إضعاف بتعريض البكتريا لكيماويات معينة .. وهناك إضعاف بقتل البكتريا تماما وحقنها ميتة .. وهناك إضعاف بأخذ مركبات من البكتريا مثل الجدار الخارجي واستخدامها كمصل .. وطرق أخرى كثيرة .. وكل بكتريا أو فيروس لها (أو له) الطريقة الخاصة في التجهيز لكي تتحول/ يتحول لمصل وافي وبجرعات محسوبة. أما أن يقول الدكتور النجار (الذي رفعه الإسلاميون لمرتبة قريبة من مرتبة البخاري) إن البكتريا المتساقطة من الذباب ستعمل كمصل واقي لمجرد تعرضها لفطريات على سطح الذبابة!! فهذا أيضا " كلام حشاشين"!! نأتي الآن الى الضربة القاضية وأدعوكم لزيارة هذا الموقع التعليمي في فرع " البيولوجي" أي علم الأحياء http://www.biology-resources.com/housefly-01html ولمن ليس لديه الوقت .. فهذه الفقرة هي ما أردت إيضاحها وهي عن كيفية نقل الذبابة للأمراض:

Disease.

It is largely as a result of thier indiscriminate feeding habits that houseflies spread disease. They may settle and feed on decaying organic matter which contains many bacteria. If later the flies alight on food for human consumption, harmful bacteria are deposited on it. There are many ways in which the bacteria may be carried. They may adhere to the hairs on the fly's legs or body; they may remain in the pseudotracheae or oesophagus, to be flushed out on to food with the next salivary flow. They may be deposited in vomit spots of semi-digested food which has come from a source of infection, or the bacteria may enter the digestive system and pass through it, unharmed, and fall on food with the faeces of the fly.

ترجمة عامة لهذه الفقرة:

نقل الأمراض: عن طريق تنقل الذبابة من أماكن قذرة ملوثة الى الطعام الذي نأكله.

نقل البكتريا: عن طريق التصاق البكتريا بالشعر الذي على أرجل الذبابة (أهم طريقة).. بقاء البكتريا في مرئ الذبابة وانتقالها للطعام مع لعاب الذبابة.. خروج البكتريا مع " خراء" الذبابة الى الطعام**!!**

الضربة القاضية الأولى:

حتى لو كانت هناك مضادات حيوية على جسم الذبابة .. فهذا يعتبر من مستلزمات النشوء والإرتقاء.. وتطبيقا لنظرية البقاء للأصلح لضمان حصانة معينة للذباب تجعله يعيش وسط هذه البيئة النتنة والملوثة.. وليس لقتل البكتريا التي تنقلها الذبابة لطعامنا.. أو هي حماية وهبها الله للذبابة كي تعينها على ما هي فيه من بلاء وقذارة.

الضربة القاضية الثانية:

الداء (أي البكتريا) يكون في أرجل الذبابة وليس على جناحها.

الداء (أي البكتريا) يكون في لعاب الذبابة وليس على جناحها.

الداء (أي البكتريا) يكون في براز (خراء) الذبابة وليس على جناحها.

الضربة القاضية الثالثة:

الدواء (المضادات والفطريات) حتى إن وجد على الذباب .. فما وجد العلماء ليس إلا " خيالا نظريا" لهذا الدواء على جسم الذبابة .... وليس على جناحها**!!**

الضربة القاضية الرابعة:

يؤمن الإسلاميون تماما بأن الحديث الذي لخص علوم الحشرات والميكروبيولوجي والمناعة والصحة العامة كلها في عشر كلمات .. يؤمنون أن مصدره الله عن طريق هذه السلسلة:

الله سبحانه وتعالى .. جبريل .. سيدنا محمد (ص) .. أبو هريرة .. حوالي 3 أو 4 من الرواة .. البخاري. طيب**!!**.. ترى هل كانت معلومة كيفية انتقال الأمراض عن طريق الذباب خافية على الله ليقول إن وسيلة انتقال العدوى هي الأجنحة؟**!!**. حاشا لله .. أنتم لا تهينون عقولكم وعقولنا فقط .. أنتم تهينون الله حرام عليكم.

88 ـ غرض الدعوة الحقيقي

إن الغاية التي كان يرمي إليها محمد من الدعوة الى الله أو من النبوة ليست بدينية محضة بدليل أنه قبل الجزية من مشركي العرب ومن اليهود الذين أشركوا عزيزا مع الله ومن النصارى الذين أشركوا عيسى عليه السلام مع الله. إذ لا ريب أن أخذ الجزية منهم وتركهم على ما هم عليه من الكفر والضلال ينافي أنه لم يرسل إلا لدعوة الناس كافة الى التوحيد أي الى عبادة الله وحده لا شريك له.

إنها دعوة الى إحداث نهضة عربية دينية اجتماعية سياسية، تكون عربية المبتدأ عالمية المنتهى، أي يقوم بها العرب في بدء الأمر ثم تعم وتشمل الناس جميعا في النهاية.

ولا شك أن مثل هذه النهضة تحتاج في سيرها وتكاملها الى المال، ففتح لهم هذا المورد المالي بأخذ الجزية من غير العرب، على أن يكون هؤلاء الذين يؤدونها مع بقائهم على كفرهم أهل عهد وذمة تحت حماية العرب.

ولما كانت هذه النهضة عربية أي يقوم بها العرب دون غيرهم، وكان العرب كلهم أو أكثرهم مشركين وثنيين، وكانوا مع ذلك متخالفين متخاذلين يأكل بعضهم بعضا، كان من الضروري لمحمد أن يجمع كلمتهم قبل كل شيئ، فيكون فيهم وحدة دينية ويربطهم برابطة الإخاء الديني. وكذلك فعل إذ أنكر عليهم عبادة الأصنام وشنع بها كل تشنيع وتفنن في إبطالها وتفنيدها بما هو مسطور في القرآن، ودعاهم بكلمة التوحيد " لا إله إلا الله" التي هي من مبتكراته، الى عبادة الله وحده لا شريك له، وكان في أول الأمر مكتفيا في دعوتهم بالآيات القرآنية إذ لم تكن له قوة يستند إليها في إرغامهم على قبول ما يدعوهم إليه، وقد قاسى ما قاسى من عداوى قومه المشركين ولقي منهم أذى كثيرا هو وأتباعه القليلون المستضعفون.

ولكنه بعد الهجرة الى المدينة حصلت له تلك القوة، فصار يدعوهم وفي إحدى يديه القرآن وفي الأخرى السيف، فلا يرعى لهم إلا ولا ذمة، ولا يقبل منهم عذرا ولا جزية إلا الإسلام، فكان يدعوهم إليه فإن أسلموا فبها وإلا سلّ عليهم السيف فلا يغمده حتى يسلموا.

وإذا علمت ماذا يريد محمد من وراء دعوتهم الى عبادة الله وحده لا شريك له، علمت سبب تشدده في تشنيعه عليهم ووثنيتهم، وتشديده عليهم إنكار الشرك بالله حتى جعله من الذنوب التي لا تغتفر إذ قال:" إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء" (1).

والحقيقة إن الله يغفر أن يُشرك به ولا يغفر ما دون ذلك، لأن ما دون الشرك من المنكرات قد يتعلق بحقوق الناس بعضهم مع بعض فلا تجوز مغفرته، بخلاف الشرك بالله فإنه لا يضر الله شيئا ولا يتعلق بحقوق الناس بعضهم مع بعض. إن محمدا يعرف هذه الحقيقة جيدا، ولكن كما قلنا أن سبب تشدده في إنكار الشرك الى هذا الحد هو ما يريد من جمع كلمتهم وتكوين وحدة دينية فيهم لكي ينهض بهم نهضة كبرى تكون عاقبتها الخير للناس أجمعين.

ولما كانت الوحدة الدينية وحدها مجردة من المرغبات المادية والمعنوية لا تكفي لإنهاضهم النهضة المطلوبة جعل لها من المرغبات المعنوية الجنة التي تنال بالأعمال الصالحة، وجعل أفضل الأعمال الصالحة، الشهادة أي الموت في سبيل النهضة أو في سبيل الله على تعبيره. وتفنن بآياته القرآنية ما شاء الخيال أن يتفنن في وصف الجنة وما فيها من نعيم مقيم، وهذه الجنة التي جاء وصفها في القرآن وفي الأحاديث النبوية هي من مبتكرات محمد التي لم يسبق إليها، وفيها دلالة على ما في خياله من سعة ومن قوة. ولم يعتبر الشهيد المقتول في سبيل الله ميتا بل جعله حيا يرزق إذ قال:" ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون" (2).

وجعل لنهضتهم من المرغبات المادية أن أحل لهم الغنائم والنساء والسبايا في الحرب، وزاد أن ضرب لهم الجزية على غيرهم من أهل الأديان ولم تكن الغنائم في الأديان، السابقة حلالا، فكان من خصائصه أن أحلت له الغنائم كما يدعيه كتاب السيرة النبوية، والذي نراه أن أخذ الغنائم والسبايا من عادة العرب في الجاهلية فإنهم كانوا في حروبهم إذا أغار بعضهم على بعض استاقوا الأنعام التي هي جل أموالهم وأخذوا النساء سبايا، فمحمد أقرهم على ما كانوا عليه لأن المصلحة اقتضت ذلك.

وإذا علمت هذه المرغبات المادية والمعنوية وعلمت أن العرب كانوا بطبيعة بلادهم القاحلة يعيشون في ضنك من العيش محرومين من نعيم الحضارة كل الحرمان، وعلمت أيضا أنهم كانوا ببداوتهم من أشد الناس سبأسا وأشهرهم في الحروب شجاعة وإقداما فقد انكشف لك سر الموفقيات والفتوح التي جنوها من نهضتهم الإسلامية المحمدية.

شجاعة وإقدام مع شظف في العيش، حصلت بعدها وحدة في القوم جعلتهم جسما واحدا، ثم انفتحت لهم أبواب الجنان من جهة، وتكدست أمامهم غنائم الحرب من جهة أخرى، فأي عجب يبقى بعد هذه من أن نراهم قد دوخوا البلاد من أقصى الشرق الى أقصى الغرب في مدة لا تزيد على ثلاثين سنة.

دع الناس يختلقون المعجزات لمحمد، وانظر الى هذه النهضة وآثارها الباهرة فإنها معجزة المعجزات التي لم يسبق لها نظير في البشر منذ عُرف التاريخ الى يومنا هذا. وكيف ينكر علينا منكر ما قلناه من أن الغاية التي كان يرمي إليها محمد هي هذه، وقد صرح هو نفسه بها عدة مرات.

فقد جاء في سيرة ابن هشام وفي السيرة الحلبية ما خلاصته: لما مرض أبو طالب مرض وفاته، أتاه الملأ من قريش وطلبوا منه أن يكلم محمدا في أن يتركهم وآلهتهم ويتركوه هم وشأنه، فدعاه أبو طالب وكلمه في ذلك فقال محمد" أرأيتكم أن أعطيتكم ما سألتم هل تعطوني كلمة واحدة تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم" (3)، وهذا صريح في

أنه يريد لهم الملك على العرب وأن العجم تطيعهم وتخضع لهم فتكون من رعاياهم، وذلك ليسمن الدينه لأن غاية الدين هي عبادة الله وحده لا شريك له.

وقد صرح بغايته لسراقة بن مالك المدلجي ففي السيرة الحلبية ما خلاصته (4): لما خرج محمد من مكة مهاجرا الى المدينة هو وأبو بكر جعلت قريش لمن قتلهما أو أسرهما مائتي ناقة وأرسلت بذلك الأخبار الى أهل السواحل، فخرج في طلبهما سراقة بن مالك، فأدركهما ولكن الله عصمهما منه حتى أن سراقة قال: يا محمد، إني لأعلم أنه سيظهر أمرك في العالم وتملك رقاب الناس، فعاهدني إني إذا أتيتك يوم ملكك فأكرمني. وطلب إليه أن يكتب له كتاب أمان، فأمر عامر بن فهيرة مولى أبي بكر وكان معهما فكتب له كتاب أمان. ولما أراد سراقة الإنصراف قال له محمد: كيف بك يا سراقة إذا تسورت بسواري كسرى؟ قال: كسرى بن هرمز؟ قال نعم. وهذا صريح في أنه يريد من وراء الدعوى الى الله فتح بلاد فارس واغتنام أموال كسرى حتى سواريه فيأخذهما سراقة ويتسور بهما. وقد صرح بغايته يوم الخندق، ففي السيرة الحلبية (5)، وكذا في سيرة ابن هشام (6) عن سلمان الفارسي قال: ضربت في ناحية من الخندق فغلظت عليّ ورسول الله قريب مني، فلما رآني أضرب ورأى شدة المكان علي، نزل فأخذ المعول من يدي، فضرب به ضربة لمعت تحت المعول برقة، ثم ضرب به أخرى، فلمعت تحته برقة أخرى ثم ضرب به الثالثة فلمعت برقة أخرى، فقلت: بأبي أنت وأمي يا رسول الله! ما هذا الذي رأيت يلمع تحت المعول وأنت تضرب؟ قال: أو قد رأيت ذلك يا سلمان؟ قال قلت: نعم، قال: أمّا الأولى فإن الله تعالى فتح عليّ بها اليمن، وأمّا الثانية فإن الله فتح عليّ بها الشام والمغرب وأمّا الثالثة فإن الله فتح عليّ بها المشرق. وفي رواية أخرى أنه لمّا اشتدت تلك الكدية على سلمان، أخذ رسول الله، المعول من سلمان، وقال: بسم الله، وضرب ضربة فكسر ثلثها وبرقت برقة، فكبر رسول الله وقال: أعطيت مفاتيح اليمن، إني لأبصر أبواب صنعاء من مكاني الساعة كأنها أنياب الكلاب، ثم ضرب الثانية فقطع ثلثا آخر فخرج نور من قبل الروم فكبر رسول الله وقال: أعطيت مفاتيح الشام، والله إني لأبصر قصورها الحمر، ثم ضرب الثالثة فقطع بقية الحجر وبرقت برقة فكبر وقال: أعطيت مفاتيح فارس، والله إني لأبصر قصور الحيرة ومدائن كسرى كأنها أنياب الكلاب في مكاني هذه. وفي رواية: إني لأبصر قصر المدائن الأبيض الآن، وجعل يصف لسلمان أماكن فارس، ويقول سلمان: صدقت يا رسول الله هذه صفتها، أشهد أنك رسول الله ثم قال رسول الله:" هذه فتوح يفتحها الله بعدي يا سلمان"(7).

لا شك أن هذه البرقات أو اللمعات كانت تحصل من اصطدام المعول بالحجر عند ضربه بشدة كما يحصل مثلها تحت حوافر الخيل إذا مشت في الأرض الصلبة واصطدمت بالصخور، وإن محمدا كان لا يضيع الفرص بل ينتهزها لبنيان ما يدعو الى تصديقه والإيمان به، ولما كان عمله هذا يؤدي الى غايته، وكان ـ كما قلت فيما تقدم ـ واسع الخيال بحيث إذا تخيل أمرا صار عنده كأنه يراه بعينه ويلمسه بيده، تصور غايته عند ضربات المعول وتخيل أن تلك البرقات التي برقت له تحت المعول، قد أضاءت له البلاد التي يريد فتحها حتى صار كأنه يرى أبوابها وقصورها كأنه أنياب الكلاب، لأن القصور إذا رآها الإنسان من بعد رآها كذلك.

ولما قال لسلمان ما قال يوم الخندق، وشاع ذلك بين الصحابة، قال جمع من المنافقين منهم معتب بن قشير: ألا تعجبون من محمد يمنيكم ويعدكم الباطل، ويخبركم أنه يبصر من يثرب قصور الحيرة ومدائن كسرى وأنها تفتح لكم، وأنتم إنما تحفرون الخندق من الفرق أي الخوف لا تستطيعون أن تبرزوا. فنزلت الآية:" قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شئ قدير" (8).

وفي رواية أخرى أن سبب نزول هذه الآيةغير ذلك وهو: أن محمدا لما فتح مكة وعد أمته ملك فارس والروم، فقال المنافقون واليهود: هيهات هيهات، من أين لمحمد ملك فارس والروم وهم أعز وأمنع من ذلك، فنزلت الآية. فهل بعد هذه الصراحة يصح أن يقال إن غاية محمد كانت دينية محضة.

وقد صرح بغايته على وجه آخر لعُدي بن حاتم لما وفد عليه من الشام، ففي سيرة ابن هشام والسيرة الحلبية ما خلاصته: إن عُدي بن حاتم لما غشيته خيل محمد فر هاربا الى الشام، وكان على دين النصرانية أو على دين الركوسية وهي دين بين النصرانية والصابئية، وكان شريفا يسير في قومه بالمرباع أي يأخذ ربع الغنيمة كما هو شأن الأشراف من أخذهم في الجاهلية ربع الغنيمة، وكانت خيل محمد قد أخذت أخته في السبايا، غير أن محمدا من عليها فأطلقها وأكرمها، فذهبت الى أخيها عُدي في الشام، فحرضته على اللحوق بمحمد، فخرج الى المدينة وافدا، وهنا نترك الكلام له لأن الرواية عنه قال: فخرجت حتى جئته أي محمدا بالمدينة فدخلت عليه، فقال: من الرجل؟ فقلت: عدي بن حاتم، فقام رسول الله وانطلق بي الى بيته، فوالله إنه لعامد بي إليه، إذ لقيته امرأة كبيرة ضعيفة، فإستوقفته، فوقف لها طويلا تكلمه في حاجتها، فقلت: ما هو بملك، ثم مضى حتى إذا دخل بيته، تناول وسادة بيده من أدم محشوة ليفا فقدمها الي، وقال: اجلس على هذه فقلت: بل أنت فاجلس عليها، قال: بل أنت، فجلست عليها وجلس رسول الله بالأرض، فقلت والله ما هذا بأمر ملك ثم قال لي: يا عدي بن حاتم، أسلم تسلم، قالها ثلاثا، فقلت: إني على دين، قال أنا أعلم بدينك منك، فقلت أنت أعلم بديني! قال: نعم، ألست من الركوسية، ألست من القوم الذين لهم دين، فقلت: بلى، فقال: ألم تكن تسير في قومك بالمرباع؟ قلت: بلى، قال: فإن ذلك لم يكن يحل لك في دينك، فقلت: أجل والله، وعرفت أنه نبي مرسل، يعلم ما يُجهل. ثم قال لعلك يا عدي إنما يمنعك من الدخول في هذا الدين ما ترى، وتقول إنما اتبعه ضعفة الناس ومن لا قوة له، وقد رمتهم العرب مع حاجتهم فوالله ليوشكن المال أن يفيض فيهم حتى لا يوجد من يأخذه، ولعلك إنما يمنعك من الدخول فيه ما ترى من كثرة عدوهم، وقلة عددهم أتعرف الحيرة؟ قلت: لم أرها، وقد سمعت بها، قال: فوالله ليتمن هذا الأمر حتى تخرج الظعينة من الحيرة تطوف بالبيت من غير جوار أحد؛ وفي رواية ليوشكن أن تسمع بالمرأة تخرج من القادسية على بعيرها حتى تزور البيت لا تخاف، ولعلك إنما يمنعك من الدخول فيه أنك ترى أن الملك والسلطان في غيرهم، وايم الله ليشوكن أن تسمع بالقصور البيض من أرض بابل قد فتحت

عليهم. قال عدي وقد رأيت المرأة تخرج من القادسية على بعيرها حتى تحج البيت، وايم الله لتكونن الثانية ليفيض المال حتى لا يوجد من يأخذه (9).

لا شك أن في قوله:" ليوشكن المال أن يفيض فيهم حتى لا يوجد من يأخذه " إشارة الى ما سيفتحون ويملكون من البلاد التي تدر لهم بخراجها وجزيتها عدا الغنائم، ومن الفقرة الثالثة من كلامه صراحة بأنه يطلب لهم الملك والسلطان من وراء دعوته الدينية.

ومن تصريحاته بغايته ما قاله لوفد بني عذرة قبيلة باليمن، وكان عذرة أخا قصي لأمه، وهو الذي أعان قصيا على أخذه ولاية الكعبة من خزاعة. ففي السيرة الحلبية: إنه وفد على رسول الله اثنا عشر رجلا من بين عذرة وسلموا بسلام الجاهلية، فقال لهم رسول الله: من القوم؟ فقال قائلهم، من بني عذرة: نحن الذين عضدوا قصيا، وأزاحوا من بطن مكة خزاعة وبني بكر، فلنا قرابات وأرحام، فقال رسول الله: مرحبا بكم وأهلا، فاستأنسوا ولا تستوحشوا، ما أعرفني بكم، ثم قال لهم: فما يمنعكم من تحية الإسلام؟ قالوا: يا محمد كنا على ما كان عليه آباؤنا، فقدما مرتادين لأنفسنا ولقومنا، وقالوا: إلام تدعو؟ فقال: أدعو الى عبادة الله وحده لا شريك له، وأن تشهدوا أني رسول الله الى الناس كافة، فقال متكلمهم: فما وراء ذلك؟ فقال: الصلوات الخمس، تحسن طهورهن، وتصليهن لمواقيتهن، فإنه من أفضل العمل، ثم ذكر لهم باقي الفرائض من الصيام والزكاة والحج، فأسلموا، وبشرهم رسول الله بفتح الشام عليهم وهرب هرقل الى ممتنع بلاده، ثم انصرفوا وقد أجيزوا، وكسى رسول الله أحدهم بردا. فأنت ترى أن دعوة بني عذرة الى الإسلام قد تمت وانتهت بتلقينهم الشهادتين وتعليمهم الفرائض، ولم يبق حاجة الى تبشيرهم بفتح الشام وهرب هرقل الى ممتنع بلاده، ولكنه أراد أن يذكر لهم الغاية التي يرمي إليها من وراء دعوتهم الى الإسلام ليطمئنوا الى إسلامهم، وليقظ فيهم حب النهوض الى فتح البلاد والاستيلاء عليها. ولقد كانت الغاية التي يريدها محمد شائعة يعرفها حتى كفار قريش، فقد كان الأسود بن عبد يغوث وهو ابن خال محمد، إذا رأى المسلمين وما هم عليه من تقشف وخشونة عيش ورثاثة ثياب يقول مستهزئا بهم:" قد جاءكم ملوك الأرض الذي يرثون كسرى وقيصر"، وليس من العجب أن نرى محمد يبوح بغايته للناس قصد ترغيبهم في قبول الدعوة، ولكن العجب كل العجب أن نراه فرض أن البلاد قد فتحت له فعلا حتى أنه أقطع بعض الوافدين عليه منها أرضا. فقد جاء في كتب السير (10) أنه وفد عليه قبل الهجرة الداريون أبو هند الداري وتميم الداري وأخوه نعيم وأربعة آخرون وسألوه أن يعطيهم أرضا من أرض الشام، فقال لهم: سلوا حيث شئتم، قال أبو هند فنهضنا من عنده نتشاور في أي ارض نأخذ، فقال تميم الداري: نسأله بيت المقدس وكورتها، فقال أبو هند هذا محل ملك العجم، وسيصير محمد ملك العرب، فأخاف أن لا يتم لنا، قال تميم: نسأله بيت جيرون وكورتها، فنهضنا الى رسول الله فذكرنا ذلك له، فدعا بقطعة من أدم وكتب لهم كتابا هذه صورته:

بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب ذكر فيه ما وهب محمد رسول الله للداريين، إذا أعطاه الله الأرض، وهب لهم بيت عينون وجيرون والمرطوم وبيت إبراهيم الى أبد الأبد. شهد بذلك عباس بن عبد المطلب، وخزيمة بن قيس، وشرحبيل بن حسنة وكتب. ثم أعطانا كتابنا، وقال: انصرفوا حتى تسمعوا أني قد هاجرت. قال أبو هند: فانصرفنا، فلما هاجر الى المدينة قدمنا عليه وسألناه أن يجدد لنا كتابا آخر، فكتب لنا كتابا هذه صورته:

بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أنطى محمد رسول الله لتميم الدري وأصحابه، إني أنطيتكم بيت عينون وجيرون والمرطوم وبيت إبراهيم برمتهم وجميع ما فيهم، نطية بُتت ونفذت وسلمت ذلك لهم ولأعقابهم من بعدهم أبد الأبد، فمن آذاهم آذاه الله. شهد بذلك أبو بكر بن أبي قحافة، وعمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، ومعاوية بن أبي سفيان.

أنطى لغة يمانية في أعطى وهي شائعة اليوم في كلام العامة وعينون وجيرون من بلاد الشام، ولم أقف على المرطوم في معجم البلدان ولا على بيت إبراهيم، وهو ما يسمى اليوم بالخليل قرب بيت المقدس، ولم أقف في كتب السير على ما يفهم منه تنفيذ هذا الكتاب بعد فتح الشام، فلا أعلم أعطي هؤلاء الداريون الأماكن المذكورة في الكتاب أم لم يعطوها. ومهما يكن فالحكم في هذه السألة من الوجهة الحقوقية كالحكم في هبة السمكة قبل صيدها، إلا أنها من جهة أخرى تدل على قوة إيمان محمد بحصول غايته كما هو ظاهر.

المراجع

1 - النساء 48 و 116.
2 - آل عمران 169.
3 - سيرة ابن هشام 217/2.
4 - ابن هشام 349/2 والسيرة الحلبية 43/2 - 46.
5 - السيرة الحلبية 313/2.
6 - ابن هشام 219/3.
7 - السيرة الحلبية 313/2 - 314.
8 - آل عمران 26.
9 - تاريخ الطبري 56/3 - 58.
10 - السيرة الحلبية 213/3.

89 - الإنقلاب على اليهودية

اليهودية والإسلام - التواصل والإنقطاع

عن كتاب "المسكوت عنه - الجذور الوثنية للأديان التوحيدية"

وليد المنسى - عشتروت لخدمات الطباعة طبعة أولى 2003

أصبح الإسلام إمتدادا للديانة اليهودية وانقطاعا لها في الوقت ذاته، فقد قامت الدعوة الجديدة بتأميم التراث التوراتي وتقريبه من منابعها الحنفية والعربية الجاهلية ومن خلال الإحتكاك بأحبار اليهود ولغتهم التي اخترقت القاموس الديني للدعوة الجديدة، وبعد أن تمكن أمرها وازدادت المنافسة اليهودية لها انقطعت عن هذا المصدر الديني اليهودي وناصبته العداء. رأى الإسلام في بداية أمره ما رآه عرب الجاهلية في اليهود، أنهم كهنة الجنس البشري وشعب الله المختار، كما تردد ذلك الأساطير التوراتية. ففي القرآن:" ولقد أتينا بني إسرائل الكتاب والحكم والنبوءة ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على العالمين". الجاثية:16. " يا بني إسرائل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وإني فضلتكم على العالمين". البقرة:47.

وقدس عرب الجاهلية رموز الدين اليهودي ومارسوا العديد من شعائره بتأثير مباشر من اليهود وبضغط من بعض العرب الذي تهودوا، وخاصة في يثرب، وكان للنبي إبراهيم أعظم الصور في الكعبة، وكان اليهود يرون أن الكعبة هي بيت أبيهم إبراهيم:" أما والله إنه بيت أبينا إبراهيم (1). وكان عرب الجاهلية يختتنون على الشريعة اليهودية " قال ابن إسحاق وحدثني يعقوب بن عتبة بن المغيرة ابن الأخنس. أنه قتل مع عثمان بن عبد الله غلام له نصراني أغرل، قال: فينا رجل من الأنصار يسلب قتلى ثقيف إذ كشف العبد يسلبه، فوجده أغرل، قال: فصاح بأعلى صوته: يا معشر العرب يعلم الله أن ثقيفا غرل، قال المغيرة بن شعبة، فأخذت بيده، وخشيت أن تذهب عنا في العرب فقلت لا تقل ذاك، فداك أبي وأمي إنما هو غلام لنا نصراني قال: ثم جعلت أكشف له عن القتلى، وأقول له: ألا تراهم مختتنين كما ترى! (1).

وتحتشد أشعار الأحناف بالعديد من القصص التوراتية. قال أمية بن أبي الصلت:

ولإبراهيم الموفي بالنذر	احتساب وحامل الأجذال
ابني إني نذرتك لله	شحيطا فاصبر فذلك حالي

قال:

وبإذنه سجدوا لآدم كلهم	إلا لعينا خاطئا مدحورا

وقال أيضا:

جزى الله الأجل المرء نوحا	جزاء البر ليس له كذاب
بما حملت سفينته وأنجت	غداة أتاهم الموت القلاب

وقد تكرر جل القصص التوراتية في النص القرآني كقصة خلق آدم وحواء، وقصة نوح وإبراهيم وإسماعيل ويعقوب ولوط ويوسف وموسى ... الخ، من مصادرها اليهودية عن طريق الأحناف وعرب الجاهلية وعن طريق الإحتكاك بأحبار اليهود كما يدلل النص القرآني: " وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبئس ما يشترون. لا تحسبن الذين يفرحون بما أوتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة عن العذاب ولهم عذاب أليم". آل عمران: 187 - 188.

قال ابن عباس " هذه الآية نزلت في أهل الكتاب. سألهم النبي (ص) عن شيء فكتموه وأخبروه بغيره، فخرجوا وقد أروه أن قد أخبروه بما سألهم عنه، فاستحمدوا بذلك إليه وفرحوا بما أوتوا من كتمانهم ما سألهم عنه" (2).

وكما كان النبي محمد يسأل اليهود عن بعض ما في التوراة، كذلك فعل الصحابة:" وسأل مُعاذ بن جبل، أخو بني سلمة، وسعد بن معاذ، أخو بني عبد الأشهل وخارجة بن زيد، أخو بلحارث بن الخزرج، نفرا من أحبار اليهود عن بعض ما في التوراة، فكتموهم أياه، وأبوا أن يخبروهم عنه، فأنزل الله تعالى فيهم:" إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهُدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون" (3).

انتقل كثير من عقائد اليهودية وطقوسها الى الإسلام، كالإيمان بالله والحج والعمرة والصوم والختان، وبعض الحدود، كحد الزنا. كما انتقلت الى النص القرآني كثير من المفردات العبرية فبرغم أن النصوص القرآنية تؤكد أن القرآن كتاب عربي لغة:" كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون". فصلت: 3، " وكذلك أوحينا إليك قرآنا عربيا لتنذر أم لقرى ومن حولها وتنذر يوم الجمع لا ريب فيه فريقا في الجنة وفريقا في السعير". الشورى:7. "انا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون". الزخرف: 3.

إلا أن العديد من المفردات العبرية قد اخترقته كروح ولباب وقدس ومقام وملاك وآمين وحلم وآخرة وآثم وعليون وسنة وجنة وحلال وتقوى وصلاة ونذر وصوم وذكر وسجيل وحكمة وسكينة .. الخ. إن كلمة قرية العربية لا تضيئ لنا مفتاح النصوص القرآنية التالي:" تلك القرى نقص عليك من أنبائها ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين". الأعراف: 101. " أو أمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا ضحى وهم يلعبون". الأعراف: 98. وإن معنى قرية هُنا ساكن في كلمة قرية (العبرية) التي تعني (مدينة)، ولم يستخدم النص القرآني كلمة مدينة التي تعني بالعبرية (مقاطعة)، وسمى اليهود بها منطقة (المدينة) التي كانوا يعيشون فيها.

أما جهنم القرآنية فهي ذاتها العبرية (جهنم) (Gehinnom) وهو اسم واد في التوراة يقسم القدس القديمة، وكان للوادي سمعة سيئة لأنه مركز معبد يقدم فيه البشر كضحايا، وهو الوادي ذاته الذي لعنه النبي الكاتب (إرميا)، وقد ذكر (إشعيا) بأنه المكان الذي تلغى فيه أجساد أعداء الإله (يهوه). أما (كير) فقد نقلها اليهود الى العرب من بابل، وهي في ملحمة (جلجامش) مكان أسود للموتى، وقد نقل اليهود (سقر) الى العرب من المصريين، وسقر هو إله (الظلام) عندهم، أما (سعير) فهو جبل في أرض الأدوميين وهو جبل له سمعة كريهة عند اليهود الذين ناصبوا الأدوميين العداء ودخلوا معهم في العديد من الحروب هُزموا فيها على قمة هذا الجبل :"يا ابن آدم اجعل وجهك نحو جبل سعير وتنبأ عليه وقل له: هكذا قال السيد الرب، ها أنذا عليك يا جبل سعير وأمد يدي عليك وأجعلك خرابا مقفرا". حزقيال 35:1-3. " تكون خرابا يا جبل سعير أنت وكل أدوم بأجمعها..." حزقيال 35:15.

في ظل الإخفاقات المتلاحقة في ضم اليهود للدعوة الجديدة أو تكوين حلف معهم، ومع إزدياد رقعة الدعوة الإسلامية وقوة شوكتها، طرح جانبا مفهوم أفضلية " بني إسرائيل" على العالمين، وصار المسلمون " خير أمة أخرجت للناس"، وتحول آيات التسامح الديني: " إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم". البقرة: 62. " إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون". المائدة: 69. الى آيات للوعيد:" إن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين في نار جهنم خالدين فيها أولئك هم شر البلية". وجاء الأمر " وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله".

و :" من يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين". آل عمران: 85. وفي الحديث الذي رواه مسلم:" والذي نفسي بيده لا يسمع بين أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أهل النار". ويزداد العداء خطوة للأمام، عندما رأى النبي مع (عمر بن الخطاب) صحيفة فيها شيء من التوراة قال:" أفي شك أنت يا ابن الخطاب؟ ألم آت بها بيضاء نقية؟ لو كان أخي موسى حيا ما وسعه إلا إتباعي" رواه أحمد والدارمي وغيرهما.

وسط أجواء العداوة بين المسلمين واليهود، تحولت قبلة الصلاة في الإسلام التي كانت تطابق موقع الصلاة في اليهودية نحو بيت المقدس كما تبين نصوص التوراة:" واعترفوا بإسمك وصلوا تضرعوا إليك نحو هذا البيت" الملوك الأول 34:8. تحولت القبلة في الإسلام الى الكعبة بعد ما يقارب العام ونصف العام من الهجرة وسط موجة العداء تجاه اليهود ووسط ضغوط من قِبل بعض المسلمين. قال البراء بن معزور للنبي محمد:" يا نبي الله، إني خرجت من سفري هذا، وقد هداني الله للإسلام، فرأيت أن لا أجعل هذه البنية مني بظهر فصليت إليها، وقد خالفني أصحابي في ذلك، حتى وقع في نفسي من ذلك شيء، فماذا ترى يا رسول الله؟ قال: قد كنت على قبلة لو صبرت عليها. قال: فرجع البراء الى قبلة رسول الله (ص) ، وصلى معنا الى الشام. وقال: وأهله يزعمون أنه صلى الى الكعبة حتى مات" (4).

وقال فيه عوف بن أيوب الأنصاري:

ومنا المصلي أول الناس مُقبلا   على كعبة الرحمن بين المشاعر

ويأتي عقبها النص القرآني:" قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره". البقرة: 144. ويكشف النص القرآني بمرارة عن الإحباط الذي لاقته الدعوة الجديدة من اليهود: " ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ما اتبعوا قبلتك وما أنت بتابع قبلتهم وما بعضهم بتابع قبلة لبعض ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم إنك إذا لمن الظالمين". البقرة:145. ومن يتساءل عن مغزى تحول القبلة من بيت المقدس الى الكعبة يشهر في عنقه النص القرآني:" سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها، قل لله المشرق والمغرب، يهدي من يشاء الى صراط مستقيم". البقرة: 142.

وألغي الصوم العبري واستبدل به صوم رمضان العربي وتحول اليوم المقدس، يوم العطلة الأسبوعية بين الإسلام واليهودية من السبت الى الجمعة، والسبت وهو بالعبرية (ساباتا) (Sabbath) وهي في الأصل ألهة الجنس التي تتمثل في الزوجة عند اليهود والتي لا تزال بعض فئات اليهود تعبدها ومنها: الفلاشا والقبليون والتلموديون:" ما أحلى رقادك أيتها الملكة الساباتا، ولسرع نحوك تعالي أيتها العروس المختارة" (5).

تحول اليوم المقدس الى الجمعة، وهو يوم (الزهرة) المقدس (إلهة الخصوبة والجمال) في التقويم البابلي وكان مكرسا في الرافدين لعبادة كوكب (الزهرة) وهي ذاتها آلهة الجمال (فيموس) عند الأوربيين، وقد أسماه الجاهليوم " يوم العروبة" (2)، وقد أخذ الأنصار في يثرب يوم الجمعة من معنى (الإجتماع) الذي سماه به كعب بن لؤي؛ والإجتماع و (الجماع) من مصدر واحد جمع يجمع جمعة تمايزا عن سبت اليهود، عندما ازدادت العداوة بينهم، وعقب ذلك جاء النص القرآني:" يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع إن كنتم تعلمون". الجمعة: 91.

الهــوامــش

1 - ابن هشام، السيرة ج1، ص .24.
2 - ابن هشام، السيرة ج4، ص 92.
3 - الزركشي: البرهان في علوم القرآن، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ج1، ط3، 1972، ص.27
4 - ابن هشام، السيرة ج2، ص .551
5 - ابن هشام، السيرة ج2، ص 440

90 - ترجمان القرآن

دأب المسلمون إلا من رحم ربي عبر تاريخهم الطويل على صناعة القديسين وتسميتهم بأسماء ما أنزل الله بها من سلطان. وكلما بعد الزمن ومرت السنين زادت قدسيتهم لدى العوام على حساب قدسية الملك القدوس العزيز الجبار. ومن أولئك المقدسين في تاريخ المسلمين (عبد الله بن عباس) الملقب بترجمان القرآن .. وبداية نوضح للقارئ إننا لسنا في خصومة مع عبد الله بن عباس (يرحمه الله) ولكننا ننظر إليه على أنه شخصية محورية في تاريخ المسلمين وعلومهم حيث يعود نسب الدولة العباسية اليه وكونه لدى الرواة والمحدثين ومشايخ التفسير من كبار المفسرين حتى اطلقوا عليه ترجمان القرآن .. وفي الحقيقة انا أفهم أن الترجمان هو من يستطع أن ينقل العلوم والمعارف من لسان الى لسان بمعنى أن يترجم من العربية الى لسان آخر أو العكس. وهذا ما لم يفعله إبن عباس ولكنهم أطلقوا عليه مجازا ترجمان القرآن لتصورهم أنه يعلم تفسيره وأسراره ودقائقه. ولهذا أردنا أن نتعرف على شخصيته من خلال ما كتب عنه في كتب (أهل السنة) وليس من كتب خصومه من الشيعة ولنتعرف عليه اثناء تحمله أمانة بيت مال المسلمين في لحظة إمتحان بين اختياره للدنيا أم الآخره في خلافة الخليفة الرابع (علي بن أبي طالب) يرحمه الله. ولنرى هل هو فعلا قديسا ملائكيا يستحق أن يلقب بترجمان القرآن أم أنه إنسان بشري سرت عليه عوامل الضعف والقوة الإيمانية كما تسري على البشر جميعا حتى تحول الى لص سارق مختطف لأموال اليتامى والفقراء والمساكين. فعبد الله بن عباس - هو ابن العباس بن عبد المطلب ابن عم النبي محمد عليه الصلاة والسلام. ولد سنة ثلاث قبل الهجرة. وأسلم مع أبيه عام الفتح (فتح مكة) ولم يقم مع النبي في المدينه ولم يره إلا بضع مرات ولم يغادر مكة في حياة أبيه العباس. وكان يشتغل بالتجارة مع أبيه ومع أبي سفيان والقرشيين ولذلك فلم يصاحب النبي ولم يتعلم على يديه ولم يشرب الإسلام من نبع محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام. ومع ذلك نسبت له كتب الروايات روايات كثير مع أن رسول الله توفى وهو (أي عبد الله بن عباس) في الثالثة عشر من عمره.

وظل يعمل بالتجارة حتى إختاره الخليفة علي بن أبي طالب يرحمه الله وولاه قيادة أحد أجنحة جيوشه في معركتي الجمل وصفين. ثم ولاه عاملا وواليا له على البصرة. ومن هنا وقع بين قوتي الإختيار والإختبار بين أداء الأمانة أو خيانتها .. ولنرى ماذا دار .. ففي يوم ما أرسل أبو الأسود الدؤلي رسالة الى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب يقول له فيها (إن ابن عمك وعاملك على البصرة قد أكل ما تحت يده بغير علمك) فكتب الخليفة رسالة الى ابن عباس قال له فيها (أما بعد: فقد بلغني عنك أمر إن كنت جردت الأرض وأكلت ما تحت يدك فأرفع الى حسابك وأعلم إن حساب الله أشد من حساب الناس). وتلك كانت شكوى من أبو الأسود الدؤلي يشكو فيها ابن عباس وأكله أموال الناس بالباطل. فطلب منه الخليفة أن يقدم كشف حساب يرد به على تلك الشكوى وليبرئ ذمته أمام الله وأمام الناس إن كان من المظلومين فماذا كان جواب ابن عباس؟؟ قال ابن عباس في رده (أما بعد فإن الذي بلغك باطل. وأنا لما تحت يدي أضبط وأحفظ. فلا تصدق على الأظناء يرحمك الله). وهذا رد غير كاف ولا شاف ولا يبرئ متهما فقد رفض تقديم كشف حساب للخليفه. فكتب إليه الخليفة مرة أخرى كتابا قال فيه (فإنه لا يسعني تركك حتى تعلمني ما أخذت من الجزية ومن اين أخذته وفيما وضعت ما أنفقت منه فإتق الله فيما أئتمنتك عليه وإسترعيتك حفظه والسلام). وهنا أصبحت الصورة أكثر من أنها إتهام موجه له بل مطالبة بتقديم الدفاتر مشفوعة بمصادر المال ومصارف إنفاقه. فأجاب ابن عباس بتقديم استقالته عبر رسالة جاء فيها: (أما بعد: فقد فهمت من تعظيمك على مرزئة ما بلغك أتى رزاته أهل هذه البلاد والله لأن ألقى الله بما في بطن هذه الإرض من عقيانها ولجينها وبطلاع ما على ظهرها. أحب اليّ من أن ألقاه وقد سفكت دماء الأمة لأنال بذلك ألملك والإمارة. فأبعث الى من أحببت). أي أنه إعترف بما أخذ ونهب من أموال بيت مال المسلمين. ثم جمع ما تبقى من أموال في بيت مال المسلمين وهرب بها الى مكة تحت حماية أخواله في البصره من بني هلال. فأرسل إليه الخليفة علي بن أبي طالب برسالة أخيرة قال فيها (أما بعد فإني كنت قد اشركتك في أمانتي ولم يكن في أهل بيتي رجل أوثق منك في نفسي لمواساتي ومؤازرتي وأداء الأمانة لي فلما رأيت الزمان على ابن عمك قد كلب. والعدو عليه قد حرب وأمانة الناس قد خربت وهذه الأمة قد فتنت. قلت له ظهر المجن ففارقته مع القوم المفارقين وخذلته اسوأ خذلان الخاذلين وخنته مع الخائنين فلا ابن عم اسيت ولا أمانة أديت كأنك لم تكن لله تريد بجهادك. أو كأنك لم تكن على بينة من ربك وكأنك كنت تكيد أمة محمد عن دنياهم أو تطلب غرتهم عن فيئهم فلما أمكنتك الغرة أسرعت العدوة وغلطت الوثبة وإنتهزت الفرصة وإختطفت ما قدرت عليه من أموالهم إختطاف الذئب الزل دامية الماعز الهزيلة ظالعها الكبير. فحملت أموالهم الى الحجاز رحيب الصدر. تحملها غير متأثم من أخذها كأنك لا أبا لغيرك. إنما حزت لأهلك تراثك عن أبيك وأمك سبحان الله؟ أفما تؤمن بالمعاد ولا تخاف سوء الحساب؟ أما تعلم أنك تأكل حراما وتشرب حراما؟ أو ما يعظم عليك وعندك أنت تثتثمن الإماء وتنكح النساء بأموال اليتامى والأرامل والمجاهدين الذين أفاء الله عليهم البلاد؟ فإتق الله وأد الأموال القوم فإنك والله إلا تفعل ذلك ثم مكنني الله منك لأعذرنك الله فيك حتى آخذ الحق وأرده وأقمع الظالم وأنصف المظلوم والسلام).

وفي تلك الرسالة يذكره علي بن أبي طالب ويخاطب الخير فيه ويحثه على صلة القربى بينهما وعلى ثقته فيه. ويعاتبه على خذلانه له وتركه وهجره مع من تركوه وهجروه ورحلوا عنه بل الأكثر مرارة أنه تركه وحمل معه ما أئتمنه عليه من أموال الفقراء والمساكين وأهل البلاد (البصرة) وذهابه بها الى الحجاء يشتري الإماء والدور ويتزوج النساء. ويخاطب جانب التقوى فيه بتذكيره بيوم الحساب والوقوف بين يدي الله سبحانه وتعالى ثم يعظه ويخبره بأنه بفعلته هذه أصبح مأكله ومشربه حرام. ثم يتوعده لإن قدر عليه ليقتصن منه ويعيد الحق الى أصحابه من المظلومين.. ولكن نسى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب أنه يتحدث مع صديق معاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص ملوك الدنيا الجديدة فهل يترك المال وبريقه لأصدقاءه ويعود يأكل القديد مع علي بن أبي طالب؟؟. فبعث إليه ابن عباس برد جامع قاطعا على علي بن أبي طالب كل أمل في إصلاحه والعودة بمال المسلمين جاء فيه. (أما بعد: بلغني كتابك تعظم علي

إصابة المال الذي أصبته من مال البصرة ولعمري إن حقي في بيت المال لأعظم مما أخذت .. ولئن لم تدعني من أساطيرك لأحملن هذا المال الى معاوية يقاتلك به). وهنا برر الشيطان لإبن عباس فعلته بأن ما نهبه من بيت مال المسلمين والذي قدر بحوالي ستة ملايين درهم هو أقل من حقه ونصيبه في خمس سهم رسول الله عليه الصلاة والسلام. ولئن لم تنتهي يا علي من ارا جيزك سأرسل هذا المال الى معاوية ليقاتلك به.. وقد مات علي بن أبي طالب بعد ذلك بفترة قصيرة ولم يتمكن من إبن عباس (ترجمان القرآن). وهنا دعونا نسأل هل يختلف ترجمان القرآن في سرقته ونهبه لبيت المال عن مختلسي أموال الدول والشعوب في عصرنا الحالي؟؟ هل هناك فرق بينه وبين الواد حنتيره الهجام حرامي الخزن؟؟ أو الواد ملقاط حرامي المحافظ؟؟ وهل بعد ذلك طبقا لقواعد علم الجرح والتعديل هل ما زال صالحا لتأخذوا عنه دينكم؟؟؟ وهل حقا كان ترجمان للقرآن أم أنه إرتكب ما نهى القرآن عنه؟؟

عن مقالة للدكتور عثمان محمد علي، على موقع اربتايمز 30 أغسطس 2007. بعنوان " ترجمان القرآن وأموال اليتامى والنسوان".

91 - رضاعة الكبير

عن حوار مع الدكتور عزت عطية رئيس قسم الحديث بكلية أصول الدين جامعة الأزهر. أجرى الحوار الأستاذة هبة عبد المنعم لجريدة الوطني اليوم بتاريخ 15 مايو 2007. ولكن قبل أن ننقل الحوار نورد هنا مقالة للأستاذ سعد الله خليل نشرت بجريدة إيلاف الإلكترونية بتاريخ 19 مايو 2007. وبعد الحوار نورد أيضا مقالة للأستاذ نهرو طنطاوي مُعلقا على الفتوى على موقع أرب تايمز بتاريخ 2008/4/14.

فتوى رضاعة الكبير وتشكيك المتأسلمين:

فوجئت الأكثرية الساحقة من المسلمين بالفتوى التي تبيح للمرأة المسلمة إرضاع زميلها في العمل خمس رضعات، كحل للخلوة المحرمة بينهما، تلك الفتوى التي أصدرها الدكتور عزت عطية رئيس قسم الحديث بكلية أصول الدين بجامعة الأزهر، مبينا أن الإرضاع يكون بالتقام الثدي مباشرة. أي ليس كما ادعى البعض أنه يكون بشرب حليب المرأة التي سترضعه، في كأس. وقد عقب الدكتور عطية على هذه الرخصة قائلا إن إرضاع الكبير يضع حلا لمشكلة الخلوة، ولا يحرم النكاح. وذلك تبعا لرأي الليث بن سعد، مؤكدا إن المرأة في العمل يمكنها أن تخلع الحجاب أو تكشف شعرها أمام من أرضعته وهذه هي الحكمة من إرضاع الكبير، فالعورات الخفيفة مثل الشعر والوجه والذراعين يمكن كشفها، أما العورات الغليظة فلا يجوز كشفها على الإطلاق. مبررا ذلك بأن حماية الأعراض من المقاصد الأصيلة للشريعة. مضيفا أنه من أرذل الرذائل النفور أو استقباح أمر أقره الرسول، وييسر به على الأمة، بدعوى المدنية أو الحرص على المحرمات. فهل أولئك الذين يستقبحون أو ينفرون من هذه الرخصة أكثر حرصا من الرسول؟ وتابع قائلا: إن الله أدرى بمصالح عباده. والشرع إلزام بما ألزم الله به، لا بما يريده الناس لأهوائهم، وختم بالقول أنه لو رضع الناس من بعضهم فهذا فائدة للأسلام، لأن كل رجل سيحترم المرأة ولن يؤذيها.

كثيرا ما هوجم الذين كتبوا وتحدثوا من قبل، عن هذه الرخصة في الإسلام، التي شرعها ومنحها الرسول للنساء، لحل مسألة الخلوة المحرمة، وكثيرا ما هاجمهم بقسوة وشدة الإسلاميون المسيسون، وعامة المسلمين الذين لا يقرأون، واتهموهم بالكذب والإفتئات، وترويج الأحاديث الموضوعة، أو المشكوك فيها، أو الضعيفة، بقصد الإساءة للإسلام والمسلمين، وتشويه صورتهما. إن أولى النساء اللواتي استخدمن هذه الرخصة هي أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق حبيب الرسول وخليفته، فكانت تأمر بنات أخواتها وبنات أخواتها بإرضاع من تستدعي الظروف دخوله عليها بدون تحرج شرعي. وأقرتها على فعليها ذاك أم المؤمنين حفصة بنت عمر بن الخطاب حبيب رسول الله وخليفة خليفته، التي أرسلت ابن أخيها سالم بن عبد الله ليرضع من أخت السيدة عائشة، فرضع ثلاث مرات، ولم يتم خمس رضعات، فلم تدخله السيدة عائشة.

ومع أن هذا الحديث قد ذكره كل من البخاري ومسلم في صحيحيهما، فقد كان من المسكوت عنه لدى مشايخ الإسلام، ولم تعلم به الأكثرية الساحقة من المسلمين، لأن أمة اقرأ تكتفي بالمشافهة والسماع، ولا تقرأ. لا بل تم التعتيم عليه عن قصد، لظن أولئك الشيوخ أن مضمونه لا يتناسب مع روح العصر الحديث وأخلاق أبنائه. وحتى بعد صدور هذه الفتوى التي أجازت إرضاع الكبير، وأكدت بشكل قاطع لا لبس فيه أن الحديث صحيح ومتفق عليه، فإن هذه الأكثرية الساحقة ما زالت غير مصدقة، لا بل مشككة، وتتهم صاحب الفتوى بأنواع عدة من الإتهامات. إن الكتب التي تعني بالناسخ والمنسوخ - والعهدة على الراوي - تنقل لنا عن السيدة عائشة أن رضاعة الكبير كانت عشر رضعات معلومات ثم نسخن بخمس معلومات فقد ذكر صاحب تفسير الجلالين، الإمام جلال الدين السيوطي الشافعي، في كتابه الإتقان في علوم القرآن، باب ناسخه ومنسوخه: (قالت عائشة: كان فيما أنزل عشر رضعات معلومات فنسخن بخمس معلومات، فتوفي رسول الله (ص) وهن مما يُقرأ من القرآن). كما نقل قول السيدة عائشة ابن الجوزي في كتابه نواسخ القرآن، مضيفا أنها قالت فلما اشتكى رسول الله تشاغلنا بأمره فأكلتها ربيبة لنا، أي الشاة. لقد أثارت هذه الفتوى غضب الإخوان المسلمين، إذ تدارس خمسون من نوابهم في البرلمان المصري هذه الفتوى، وأعربوا عن قلقهم وتخوفهم من انتشارها إعلاميا، واقترح بعضهم تقديم طلب إحاطة، لكنهم أرجأوا ذلك خوفا من أن تثير الإحاطة ما لا تحمد عقباه من تداعيات عليهم، خاصة وأن هذا الموضوع قد أثار لغطا شديدا في الشارع المصري، وخصوصا في أماكن العمل بين أوساط الموظفين والموظفات. فهل يرفض الإخوان الذين يدعون حرصهم على الإسلام وتمسكهم به، ما شرعه الله، وأحله الرسول؟

والآن الى حوار الدكتور عزت عطية:

حوار - هبه عبد المنعم: ما زالت القضايا التي أثارها كتاب دفع الشبهات عن السنة والرسول للدكتور عبد المهدي عبد القادر استاذ الحديث بجامعة الأزهر تثير الكثير من الأخذ والرد وخاصة فتوى " إرضاع الكبير" وكان رئيس قسم الحديث بكلية أصول الدين د. عزت عطية له آراء جريئة في هذا الموضوع، ونظرا لخطورتها كان لابد أن نناقشه فيها في هذا الحوار ..

* آثار رأيك حول إباحة إرضاع الكبير لحل مشكلة الخلوة بين الرجل والمرأة في العمل جدلا كبيرا ويقال إنك لم تتمكن من توضيح رأيك خلال برنامج شارع الكلام علي القناة الثقافية فما هو ردك؟

- في البداية أؤكد أن ما قلته وأقوله هنا هو فتوى اسأل عنها أمام الله أولا وأمام أهل العلم فأنا قصدت كل كلمة قلتها في البرنامج أي أنني مسئول عن كلامي وكنت أعني كل كلمة نطقت بها وليس صحيحا ما ذكره الدكتور عبد المهدي عبد القادر في حواره الذي نشرته الجريدة الأسبوع الماضي من " أنني لم تتح لي الفرصة جيدا لأوضح رأيي وأن

كلامي ليس فتوى وإنني أريد طرح الفكرة على مجمع البحوث الإسلامية" فهذا الكلام غير صحيح فأنا استاذ ورئيس قسم الحديث بكلية أصول الدين أي أنني عالم من علماء الدين وكلامي هو فتوي شرعية ولو أردت عرض ما أقوله على مجمع البحوث الإسلامية لكان ذلك قبل إذاعة البرنامج والنشر أما بعد ذلك فكلامي معروض أمام الجميع.

* هل معنى كلامك انك ترفض طرح المسألة على مجمع البحوث؟

- لا، فما أقوله اجتهاد علمي قابل للمناقشة وكل إنسان يؤخذ من قوله ويرد لعدم العصمة بشرط قوة الدليل ورجاحته ولكن من حقي كعالم دين أن أعلن رأي في أي قضية بدون موافقة مجمع البحوث الإسلامية فأنا ارفض أي قيد على حرية الرأي.

* هل يمكن أن تتراجع عن رأيك إذا اثبت مجمع البحوث عدم صحته؟

- رأي صحيح لأنه يستند الى دليل وإذا كان لمجمع البحوث رأي آخر معارض لرأيي سيكون اختلافا في الرأي والإختلاف في الرأي لا يفسد للود قضية واختلاف العلماء رحمة ويمكن أن أتراجع عن رأيي بشرط اقتناعي وقوة الدليل.

* يتهمك البعض بأنك حولت إرضاع الكبير الى قضية فما هو تعليقك؟

- لم أحول إرضاع الكبير الى قضية ولكنني أوضح حكما شرعيا ورد في السنة النبوية وهو ثبوت إرضاع الكبير لإباحة الدخول والخلوة بين رجل وإمرأة ليس بينهما صلة قرابة النسب ولا صلة الإرضاع في حال الصغر قبل الفطام بشرط أن تكون الخلوة لضرورة دينية أو دنيوية.

* يتعجب البعض كيف تحدث الخلوة بين رجل وإمرأة في العمل؟ فما المقصود بالخلوة؟

- الخلوة هي إغلاق باب الحجرة على رجل وأمرأة وعدم إمكانية رؤية من بداخل المكان بأي وسيلة مثل مدير العمل والسكرتيرة وإنارة اللمبة الحمراء على باب الغرفة بحيث لا يستطيع أحد رؤية ما يحدث بالداخل كذلك الخادمة التي تضطرها الظروف للإقامة في منزل به رجال ويغلق عليهم الباب.. فالخلوة بين رجل وأمرأة ليس بينهما قرابة حرام لإثارة الريبة والشك ولا يلزم من الخلوة الإتصال الجنسي بل التمكن منه، وبذلك يضع إرضاع الكبير حلا لهذه المشكلة لأن حماية الأعراض من المقاصد الأصيلة للشريعة ويُبنى عليها كثير من الأحكام.

* ألا يوجد حل آخر غير ارضاع الكبير لحل مشكلة الخلوة في العمل؟

- إذا كان قصدك أي مخرج شرعي آخر فلا يوجد أي حل فالخلوة بين الرجل والمرأة حرام ما لم يكن بينهما صلة نسب أو إرضاع ولكن يوجد حل عملي آخر وهو أن تكون حوائط الغرف في العمل زجاجية بحيث يمكن رؤية ما يحدث بداخل الغرف من الخارج كما يحدث في بعض الدول الأجنبية أو وضع كاميرات فيديو مراقبة داخل الغرف وفي ذلك صيانة للأعراض، ومنعا للشك والريبة والقيل والقال بين الناس باستخدام التكنولوجيا قد يغني عن إرضاع الكبير. كما أطالب أيضا بتوثيق الإرضاع كتابة ورسميا وذلك لفساد الذمة مثل ما حدث في النكاح فهو لم يكن موثقا ولكن اقتضت الضرورة توثيقه حفظا للحقوق، وكذلك يكون توثيق الإرضاع زيادة في الإحتياط في حالة وفاة الشهود.

* ما هي صيغة عقد توثيق إرضاع الكبير؟

- يُكتب في العقد أن فلانة أرضعت فلانا ونشهد الله على ذلك ونحن من الشاهدين.

* ألا تخاف أن يثير رأيك اعتراض شيخ الأزهر أو بعض زملائك في الجامعة؟

- من لم يعجبه هذا الرأي لا يلغي الحكم الشرعي ولكن يجب عليه أن يأتي بحكم شرعي آخر بالدليل ويكون أقوى منه.. أما ترك المسألة بدون حكم فهذا ما لا أقبله فهذا رأيي وأنا متحمل مسئوليته أما الجميع.

* تطبيق إرضاع الكبير لحل خلوة العمل سيترتب عليه أن يكون للمرأة إخوة من الإرضاع كثيرون خصوصا إذا غيرت عملها من مكان لآخر والعكس صحيح بالنسبة للرجل وبذلك سيصبح جميع الناس إخوة من الرضاعة، ويحرم من الرضاع ما يحرم من النسب؟ فما ردك؟

– إرضاع الكبير لا يحرم النكاح أو الزواج لأن الإرضاع بعد عمر سنتين لا أثر له في تحريم النكاح، والكبير المقصود به هو ما زاد عمره على عامين أما إرضاع الصغير فهو الذي يحرم النكاح فإرضاع الكبير يترتب عليه إباحة الخلوة ولا يحرم النكاح.

* إذن ما الفائدة من الإرضاع ما لم يحرم الزواج؟ فكيف يبيح إرضاع الكبير الخلوة وفي نفس الوقت لا يمنع الزواج وهل معنى ذلك أن الرجل يمكن أن يتزوج من أمه في الرضاعة إن أعجبته كإمرأة؟

- عدم الإقتناع عقلا بحديث إرضاع الكبير لا يمنع ثبوته فهو حديث صحيح والإعتراض عليه هو إعتراض على الرسول (ص) وتشكيك في السنة النبوية والخلاف بين عائشة وأمهات المؤمنين في تشخيص الوقائع لا في ثبوت إرضاع الكبير شرعا فرأت عائشة رضي الله عنها أن الخلوة ضرورة لتحصيل العلم والفتوى ورأي أمهات المؤمنين أن الخلوة ليست ضرورية لإمكان الإستعانة في تحصيل العلم بقريب من الرضاع أو النسب وأنا أرى أن رأي عائشة أقوى في نظري لأن المسائل العلمية الدينية لا بد فيها من الإتصال المباشر بين المستفتي والمفتي في خلوة. أما من ينكر رضاع الكبير عليه إثبات عدم الحاجة الى الخلوة بين رجل وإمرأة ليس بينهما نسب أو رضاع في الصغر وإذا أثبت ذلك سلمنا له عدم الحاجة الى رضاع الكبير وإذا سلم ذلك في حالة لا يسلم على الإطلاق.

* هل معنى ذلك أنه يمكن للمرأة أن تتحرر من الحجاب أمام أخيها من أرضاع الكبير؟

- نعم فيمكنها أن تخلع الحجاب أمامه ويمكن أن تكشف شعرها أمامه، وهذه هي الحكمة من إرضاع الكبير فالعورات الخفيفة مثل الشعر والوجه والذراعين يمكن كشفها أما العورات الغليظة فلا يجوز كشفها.

* كيف تخلع المرأة الحجاب أمام رجل قد يفكر بالزواج بها تحت ستار رضا الكبير؟

- كشف الشعر شيء والزواج شيء آخر.

* هل يصح أن تخلع المرأة الحجاب أمام أولاد عمها أو عمتها أو خالها أو خالتها؟

- لا يصح أن تخلع الحجاب أمامهم.

* إذن كيف تكون صلة رضاع الكبير أقوى من صلة الرحم؟

- إرضاع الكبير يكون للضرورة لحل مشكلة الخلوة بين رجل وإمرأة فتصبح المرأة أخته من الرضاع ويحرم من الرضاع ما يحرم من النسب فلماذا تخلع الحجاب أمام أولاد عمها أو غيرهم ولا توجد ضرورة لذلك؟!

* إذن ما الضرورة من خلع الحجاب أمام أخيها في إرضاع الكبير؟

- إرضاع الكبير يكون لإباحة الدخول والخلوة بين رجل وإمرأة ليس بينهما صلة قرابة النسب ولا صلة الرضاع في حال الصغر بحيث تكون المرأة على طبيعتها في البيت ولا يكون عليها حرج وتكون للضرورة.

* هل من المنطقي أن تكون أم الرجل أو أم المرأة في سن تمكنها من الإنجاب والإرضاع هذا معقول؟

- أهم شيء أن يحصل بينهما صلة رضاع بأن أمه ترضعها أو أمها ترضعه أو أختها ترضعه أو أخته ترضعها بحيث تكون نتيجة الرضاع أخوة من الرضاع.

* هل ترى أن عمل المرأة ضرورة حتى يباح إرضاع الكبير أليس هذا توسعا في الضرورة؟

- قد يصبح في بعض الأحيان ضرورة ففي حرب العراق مثلا وقعت غارة على إحدى القرى ولم تنج إلا إمرأة واحدة فقدت جميع أقاربها ولا يمكنها أن تعيش بمفردها فإضطرت للعمل في المنازل أو تعيش بمفردها في منزل فهل يمكنها الإستغناء عن رجل يقضي لها مصلحة أو يتعامل معها؟! ففي هذه الحالة تكون ضرورة وكذلك العكس صحيح رجل يعيش بمفرده نمنع دخول النساء عليه فكيف نمنع رحمة الله تعالى لمن يحتاجها؟! فالضرورة موجودة فمثلا إمرأة تسير ليلا ثم انقطع بها الطريق وأدخلها رجل بيته لتنام أيمنع دخولها البيت أم يتركها لتأكلها الذئاب؟! ففي هذه الحالة يمكن أن ترضع المرأة من أمه وأنا لا أتوسع في استخدام الضرورة فيتصور الناس أن جميع الموظفين والموظفات في مصلحة حكومية يجب عليهم إرضاع الكبير لأن هذا تصور خاطئ ولكنني أقصد الغرفة المغلقة التي تجمع رجلا وإمرأة بمفردهما ولا يدخلها أحد إلا بإذن أحدهما.

* إذا إقتضت الضرورة أن تكون المرأة المسلمة في خلوة مع رجل غير مسلم مثل حرب العراق أو كانت تخدم في منزل جندي أمريكي وهي مضطرة فهل يجب الإرضاع؟

- الأحكام الشرعية مثل رضاع الصغير أو الكبير تكون بين المسلمين فقط وبذلك يجوز للمرأة المسلمة أن تخلو بغير المسلم ولكن المرأة التي مات أهلها في الحرب ولم تجد أي بيت مسلم يؤويها فتكون في هذه الحالة مضطرة وهي ضرورة قصوى فتأخذ حكم الأسيرة فجميع الظروف مفروضة عليها وتكون مكرهة أما في بلاد الإسلام فلا يجوز للمرأة المسلمة أن تخلو بغير المسلم وعليها أن تبحث عن مسلم يؤويها وتعمل إرضاع الكبير بحيث تكون أخته في الرضاع حلا لمشكلة الخلوة.

* هل تعتقد أن حدوث إرضاع الكبير يمنع الرجل أن يفعل أي سوء بالمرأة التي يختلي بها بمعنى أن يتحرش بها؟

- بعد حدوث الإرضاع تكون المرأة أخته في الرضاعة فإذا حدث بينهما ما يخدش فيكون ما حدث بين أخوين وليس غريبين ولذلك تغلظ العقوبة، ولقد بعث الرسول (ص) سرية كاملة لقتل رجل تزوج إمرأة أبيه وكذلك من يفعل الفاحشة مع أخته أو محرم عليه فعقوبته أشد ممن يفعل الفاحشة مع غريبة عنه فعملية الرضاع تمنع مجرد التفكير في أي اتصال جنسي فالحكمة من الرضاع أن تصبح المرأة قريبة وليست غريبة على الرجل والعكس وحرمة الرضاع كحرمة النسب وفي ذلك صيانة للحرمات.

* يعتبر مهاجمون إرضاع الكبير أنه رخصة للخلوة بالمرأة تحت المظلة الشرعية؟

- هي رخصة للضرورة وليس لمجرد الخلوة لأن الخلوة من غير ضرورة حرام فنحن لا نفتح باب الخلوة ولكن نعالج قضية الخلوة بين الرجل والمرأة عند الضرورة.

* ما الحل إذا لم تجد المرأة أو الرجل من ترضع منه؟

- تبحث عن رجل آخر يمكن أن تحدث بينهما صلة رضاع.

* ولكنك قلت أن المرأة إضطرت للخلوة مع رجل وهذا معناه إنها لا تجد بيتا آخر تذهب إليه فماذا تفعل؟

- فإذا اضطرت المرأة ولم تجد أي مكان آخر أو أي عمل آخر فتصبح حالة ضرورة والضرورات تبيح المحظورات مثل أكل الميتة.

* يتسائل البعض عن أهمية إرضاع الكبير في الوقت الذي أمرنا الله فيه بغض البصر وصيانة الأعراض ونهي عن الزنا أليست أوامر الله كافية حتى نلتزم بها حتى لو وجدت الخلوة؟

- هذه أوامر عامة ولكن الحكمة من إرضاع الكبير هي تحويل العلاقة البهيمية عند الإنسان الى علاقة دينية تقوم على الحقوقِ.

* هل يمكن إذا كانت المرأة ترضع أن ترضعه؟!

- نعم يمكن لها أن ترضعه ويصبح ابنها من الرضاع.

* هل يصح لإبنها من الإرضاع أن يتزوجها؟

- نعم يصح أن يتزوجها لأن الرضاع كان في حال الكبر والرضاع الذي يحرم الزواج هو الذي يكون في حال الصغر.

* كيف يكون ابنها من الرضاع ثم تتزوجه أليس هذا كلام غريب؟!

- الرضاع المحرم للنكاح هو الذي يكون في حدود سنتين من عمر الصبي .. قال تعالى" والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين" وقال رسول الله (ص) " لا رضاع إلا ما فتق الأمعاء"، " لإرضاع بعد حولين" وهذا ما جعل بعض العلماء يقول أنه لا يوجد ارضاع الكبير لأنه لا أثر له في تحريم النكاح لكن عندما جعله الرسول مُباحا للخلوة اقتصر به على إباحة الخلوة فهي عملية مقارنة فقهية بين الأدلة كل دليل يوضح في موطنه وهذا فقه دقيق والعامة لا يمكنهم فهمه وفي أجهزة الإعلام لا يوجد وقت لعرض هذه الأدلة والمتلقى دوره أن يعرف النتائج، ولا يمكنهم الدخول في تفاصيل الإجتهاد لأنهم لن يتأهلوا لذلك ولا يمكنهم الحكم على صحة إرضاع الكبير، ولكن الحكمة من طرح هذه القضايا في وسائل الإعلام هو فتح شهية الناس للبحث والدراسة بحيث يرجع الناس الى العلماء لفهم التفاصيل لأنه لا يوجد الوقت الكافي في البرامج لفهم التفاصيل والأسئلة.

* هل يكون إرضاع الكبير بالحلب في إناء أم بالتقام الثدي؟

- إرضاع الكبير يكون مباشرا أي بالتقام الثدي وسالم الذي رضع كان كبيرا وله لحية والحديث صحيح ومن يعترض عليه فيكون إعتراضه على رسول الله.

* قلت إن الإرضاع يكون بالتقام الثدي أي يكون الإرضاع مباشرا وليس بالحلب في إناء ألن يثير ذلك الغرائز عند الرجل أو المرأة؟

- الرسول (ص) أجاز ذلك واتفق المسلمون جميعا على ثبوت رضاع الكبير لإباحة الدخول والخلوة بين رجل وإمرأة ليس بينهما صلة قرابة النسب أو صلة الرضاع في حال الصغر قبل الفطام ففي حديث رضاع سالم مولي أبي حذيفة وهو كبير له لحية من زوجة أبي حذيفة وأمر الرسول (ص) بذلك ومن يتحرج مما أباحه الرسول من رضاع الكبير بنفسه يمكنه ارضاع المرأة بدلا من الرجل ويتحقق المقصود بشرط ألا يثور في نفسه أدنى اعتراض على تشريع الرسول (ص) فلا بد من الإرضاع الفعلي والأصل في الرضاع أن يكون مباشرا أما الوسائل الموصلة كالحلب في إناء فهو أمر ثانوي فتأثير الرضاع المباشر متفق عليه وأمر الرسول أن يرضع منها ولكن بعض الناس تتحرج من أمر الرسول فهذه عملية شرعية والشرع ليس بذوق الناس ورغباتهم فيحل الله ما يشاء ويحرم ما يشاء ومن يتحرج من حكم الله لا يفهم الشرع والحديث صحيح ومن يعترض عليه يعترض على الرسول والدين ليس خاضعا لرغبات الناس.

* ولكن أجاز بعض العلماء الحلب في إناء؟

- هذا نوع من الترفه أو الإدعاء يرجحه بعض العلماء احتياطا في تفسير الحديث لم يرد في الروايات أما إذا ثبت النقل أن الشرب كان في إناء فجائز أما إذا لم يثبت النقل فتحمله على الرضاع المباشر.

* كيف يبيح الشرع كشف عورة أمام أجنبي؟

- إذا تحرجت المرأة أن يرضع منها الرجل فيمكن أن ترضع هي من أمه ولكن لا يوجد حرج شرعي فالإرضاع المباشرة وهو للضرورة والضرورات تبيح المحظورات.

* هل يمكن استخدام جهاز الإرضاع الصناعي وهو جهاز تستخدمه المرأة بوضعه على الثدي ليحفز الغدد اللبنية على إدرار اللبن فهل يمكن استخدام اللبن في الإرضاع؟

- هذا الأمر يرجع الى الأطباء أو العلماء فهم يحددون ما إذا كان لبنا حقيقيا أي مكوناته هي مكونات اللبن الأصلي أم لا فإذا كان لبنا أصليا يصح الإرضاع أما إذا لم يكن نفس مكونات اللبن الأصلي فلا يصح الإرضاع منه.

* هل معنى ذلك أنه يصح للبنت التي لم تتزوج أن تستخدم الجهاز وترضع به من تشاء سواء كانت حالة ضرورة أم لا؟

- لا يصح.

* ولكنك قلت أنه يترك الأمر للأطباء فإذا قالوا أنه لبنا أصليا يصح الإرضاع به؟

- اللبن الذي يتم به الرضاع هو الناتج عن علاقة شرعية نشأت عنها الولادة أما إذا كان اللبن ناتجا بدون علاقة مطلقا مثل البنت التي لم تتزوج بإستخدام جهاز الإرضاع الصناعي ونتج عنه اللبن فإذا أرضعت به لا أثر له شرعا أي لا يصبح من أرضعته ابنها شرعا لأن اللبن ليس نتيجة علاقة شرعية أي زواج وحمل ثم ولادة ثم رضاعة.

* ما الحكم إذا أرضعت زوجة عقيم صبيا بإستخدام جهاز الإرضاع الصناعي ليصبح ابنها من الرضاعة؟

- العقيم ليس لها لبن وإذا استخدمت الجهاز وأرضعت الصبي لا اعتبار له شرعا حتى لو اثبت الأطباء أن اللبن الناتج عن استخدام الجهاز له نفس مكونات اللبن الطبيعي ولكن إذا أرادت أن يكون بينهما صلة رضاع فيمكن لأحد من جهتها أن ترضعه ليصبح أخوها من الرضاعة.

* قلت أن تصوير الفيديو يدرا شبهة الخلوة فكيف لا يثبت به الزنا؟

- أي وسيلة تستخدم في إثبات البراءة يؤخذ بها في الشرع فمثلا استخدام وسيلة لإثبات جريمة الحد لا نأخذ بها شرعا لتصنيف دائرة اقامة الحد لذلك لا بد من الرؤية المباشرة حتى لو رأى تصوير الفيديو مائة شاهد والحدود تدرا بالشبهات فالإعتبار الرؤية المباشرة لأربعة شهود لإثبات جريمة الزنا فالتصوير يمكن تزييفه واختلاق أحداث ووقائع مخالفة للواقع والحقيقة وفي هذه شبهة والحدود تدرا بالشبهات.

* حتى لو اثبت المعمل الجنائي صحة المناظر وانها صور ولقطات غير مزورة؟

- نعم حتى لو اثبت المعمل الجنائي ان اللقطات حقيقية فالمعمل الجنائي نلجأ له في الجرائم التي تتعلق بحقوق العباد ويترتب عليها ضرر أما جريمة الزنا فهو حق الله ولم يطالب الإسلام بالتجسس على الناس لإثبات الزنا وإنما تثبت الجريمة بشهادة الشهود الأربعة أو الإعتراف واثبات هذه الجرائم مرتبط بوضع الإنسان العادي بدون استعمال آلات حديثة لإثبات الجرائم ولكن الإسلام يحث على استخدام التكنولوجيا لتبرئة مواطن مظلوم فالإسلام لا يميل لتطبيق الحدود إلا للضرورة القصوى.

<u>من قلم: نهرو طنطاوي</u>

<u>رضاع الكبير وانحطاط العقل العربي</u>

النشاط العقلي نعمة وهبها الله للإنسان ليفكر ويعقل ويتتدبر وينظر ويقرأ من حوله وما حوله من أشياء وحوادث، وأولى خطوات النشاط العقلي التجرد تماما كذلك من أي نتائج يكون قد وصل إليها الغير من قبل، إلا من بعد مراجعة وتفكير وإعادة قراءة ونظر، لكن معظم من يسمون بالمفكرين العرب والكتاب العرب والمثقفين العرب في كل مرة يعقلون فيها شيئا من الأشياء أو أمرا من الأمور أو حادثة من الحوادث يؤكدون بالبرهان القاطع على إفلاسهم الفكري والعقلي والنظري، ويؤكدون ببرهان قاطع كذلك على طفولتهم الفكرية والعقلية، ويؤكدون كذلك على تبعيتهم العمياء الصماء لفكر غيرهم وعقل غيرهم، مما يؤكد يوما بعد يوم أن هؤلاء القوم ما هم إلا كائنات طفيلية تعتاش وتقتات على عقل ونظر وفكر غيرها

وفي كثير من المواقف يثبت من يسمون بالمفكرين العرب والكتاب العرب والمثقفين العرب سواء من يكتب منهم في الشأن الديني أو غيره أنهم يعانون من عقم فكري، يجعلهم عاجزون عن إنجاب أي فكر جديد أو رؤي جديدة أو قراءة جديدة لأي شيء يعرض لهم، مما يحملهم ذلك على التسول على أفكار غيرهم، كالأغنام حين تهرول خلف كل ناعق. إن هؤلاء القوم ليس لديهم ما يقدموه للناس في عالم الفكر أو النظر أو القراءة، بل إنهم قد أثبتوا في أكثر من موقف أنهم غير جديرين بالتفكير في أي شيء وغير جديرين بقراءة أي شيء. وما أكثر الأمثلة التي يمكن أن نسوقها ونـدلل بها على أي درك من السفاهة والإنحطاط االتبعية العمياء الصماء قد انحدر إليها العقل العربي والفكر العربي، فهناك عشرات الأمثلة بل مئات الأمثلة من مئات القضايا الفكربة التي طرحت ونوقشت في الساحة الإعلامية والفكرية العربية، والتي تكفي قضية واحدة منها أن تكون مثالا حيا ودليلا قاطعا على الإنحدار الذي هوى إليه الفكر العربي والعقل العربي.

وفي هذا المقال لن نستعرض سوى قضية واحدة لنرى أين وصل فيها الفكر العربي وكيف عقلها العقل العربي إن كان للعرب فكر أو عقل، هذه القضية هي بعض الأحاديث التي تنسب الى النبي (ص) في إفتاءه عليه الصلاة والسلام بإرضاع الكبير في قصة سالم مولى أبي حذيفة، ولا يخفى على الجميع أن روايات إرضاع الكبير موجودة في كل كتب الأحاديث منذ قرون طويلة، ولم نسمع أو نتلوا أن قامت ضجة في يوم من الأيام طيلة الأربعة عشر قرنا الماضية حول هذه الروايات، سوى في السنوات القليلة الماضية، فهل سأل أحدكم نفسه لماذا تأخرت هذه الضجة وكل هذا الإعتراض على هذه الروايات ولم تظهر من قبل كل هذه النداءات لمحو هذه الروايات وإنكارها والحكم بزيفها وكذبها وتكذيب نسبتها الى النبي (ص)؟؟، لماذا في الآونة الأخيرة فقط تعالت أصوات بعض الكتاب الدينيين العرب، والعلمانيين العرب، واللاشيئيين العرب، وكثير من سفهاء الفكر والعقل العرب، بتكذيب نسبة هذه الروايات الى النبي (ص)، والتبرؤ منها والإدعاء بأنها مدسوسة على الرسول الكريم لتشويهه عليه الصلاة والسلام والإنتقاص من قدره؟؟ فهل قام من يسمون بالمفكرين العرب على إختلاف توجهاتهم الفكرية والثقافية بقراءة هذه الروايات قراءة علمية جادة ناقدة متعقلة محايدة؟؟، وهل بالفعل حوت هذه الروايات في ظاهرها أو باطنها ما يسيء للنبي محمد(ص) كنبي ورسول،، أو حتى كشخص عادي من البشر؟؟، وهل بالفعل تستحق هذه الحادثة (رضاع الكبير) كل هذا الصراخ وكل هذا الإعتراض والتكذيب والتبرؤ والتنصل والسخرية والإستهزاء والمعايرة التي ملأت صفحات الجرائد والصحف والمجلات ومواقع الإنترنت في كل مكان في العالم العربي؟؟، وهل كل من خط مقالا يستنكر فيه

هذه الحادثة ويسخر منها ويكذبها ويبرئ ساحة الرسول منها، هل قرأ كل الروايات، وهل فهم منها شيئا يسئ للنبي (ص)؟؟.

إن الجواب على كل تلك التساؤلات لم يأت به سفهاء العرب وجهلائهم ممن يسمون بالكتاب والمفكرين الذين كتبوا عن هذه الحادثة، لم يأتوا به من قراءاتهم الواعية وفهمهم العميق وعلمهم بالحادثة نفسها، كلا، ولا من التحليل العلمي العقلاني الجاد لتلك الروايات التي روت لنا هذه الحادثة، ولا من معرفتهم الفائضة بالرواة الذين نقلوا لنا هذه الحادثة، ولا من التثبت من حقيقة هل أفتى النبي محمد بهذه الفتوى أم لا، إنما الجواب الحقيقي جاءوا به من مخلفات الحرب الدائرة رحاها بين بعض المسيحيين والملحدين من جهة وبين بعض المسلمين من جهة أخرى في الساحات الإعلامية المختلفة، (التلفزيون، الجرائد، المجلات، مواقع الإنترنت). هذه الحرب الشرسة الضروس لا يستخدم فيها المقاتلون أسلحة تقليدية أو تقدمية متطورة، ولا يستخدمون فيها الأسلحة الكيماوية ولا النووية ولا الجرثومية، إنما الأسلحة المستخدمة في هذه الحرب القذرة، هي أسلحة تشويهية، حيث يقوم كل من الخصوم المتحاربين بالبحث الدءوب داخل الكتب الدينية التراثية للعدو، لإلتقاط بعض الحوادث التاريخية أو بعض الروايات الدينية، وقذف العدو الخصم بها وتشويهه والحط من دينه ونبيه وإلهه، فيقوم الخصم إما بالرد بالمثل كأن يأتي ببعض الحوادث التاريخية وبعض الروايات الدينية المماثلة من كتب خصمه، ليقذف بها عدوه الخصم وكأن لسان حال كل منهما يقول لخصمه إن دينك أحط من ديني، وديني أقل شرا من دينك، ونبيي أفضل خلقا من نبيك، وإلهي أكثر رحمة وتحضرا من إلهك، هذا ما يفعله بعض المقاتلين في ساحة المعركة، أما بعض الخصوم غير المشاركين في المعركة أو مكسوري الجناح من الذين سلبهم الله العقل والفهم، يقومون بسلوك طريق آخر لصد العدوان، طريق ممهد سهل لين، طريق لا جراح فيه ولا شوك ولا عثرات، هذا الطريق هو إنكار كل تلك الحوادث وتكذيبها ونبذها والتبرؤ منها، وتبرئة ساحة دينهم وإلههم ونبيهم من تلك الحوادث والروايات، بادعائهم الكاذب الباطل أن هذه الروايات مدسوسة مكذوبة دسها أعداء الدين قديما لتشويه هذا الدين وتشويه إلههم ونبيهم، وهذه هي حجتهم مع خصومهم حين يواجهونهم بمثل تلك الحوادث التي وردت في كتب الأحاديث والتراث، فتراهم يسارعون الى النفي والتكذيب والتنصل من هذه الحوادث، ومن الروايات التي حملتها، بل ومن الرواة الذين نقلوها، وهم بذلك يظنون واهمون أنهم بهذا النفي والتكذيب والتبرؤ قد طهروا ساحتهم وتخلصوا من عدوهم وخصمهم اللدود وأفحموه وانتصروا عليه وأسكتوه الى الأبد.

فهل بالفعل حادثة رضاع الكبير كانت بهذه الصورة البشعة وبهذه السوداوية التي رآها عليها من يسمون بالكتاب والمفكرين العرب، الذين كتبوا يهاجمون هذه الحادثة يكذبون الروايات التي وردت فيها والرواة الذين نقلوها في كتبهم؟؟، أم أن هؤلاء القوم يعانون من عقم العقل وشح الفكر وقصر النظر، ويعانون كذلك من عمى البصر والبصيرة كما هي عاداتهم؟؟، وللإجابة على هذه الأسئلة لا بد لنا أن نقوم بقراءة الحادثة قراءة موضوعية مبتعدين عن المثالية المفرطة التي يروج لها بعض النصارى حول شخصية المسيح بن مريم، والتي ليس لها أي أثر في واقع أي بشر على الإطلاق، سوى في أحلام الناس وأوهامهم، هذه المثالية الكاذبة المخادعة التي خُدع بها كثير ممن يسمون بالمفكرين والكتاب العرب، فجعلتهم يكذبون وينكرون من دينهم وتاريخهم وتراثهم كل ما لا يتوافق وتلك المثالية الوهمية الكاذبة المخادعة، ومبتعدين كذلك عن الشعور بالدونية والهزيمة الشعورية التي أفلح الخصم أن يوهم بها كثيرا من السفهاء وقصيري النظر ممن يسمون بالكتاب والمفكرين العرب، فهيا نتناول هذه الحادثة من الروايات المختلفة التي وردت فيها ولنرى ما هي الصورة الحقيقية لهذه الحادثة؟؟. لقد وردث حادثة رضاع الكبير في صحيح البخاري، وصحيح مسلم، وسنن النسائي، وسنن أبي داود، وسنن بن ماجة، ومسند أحمد بن حنبل، وموطأ مالك، وسنن الدارمي. وقد جاءت هذه الحادثة في هذه الكتب الثمانية في نحو من عشرين رواية، وتخفيفا على القارئ وتسهيلا له سأقوم بسرد هذه الحادثة بصورة تتناول كل ما ورد في الروايات العشرين بطريقة سهلة وسلسة، ثم أقوم بمناقشة هذه الحادثة بطريقة موضوعية مع مقارنتها ببعض الحوادث المشابهة من الواقع الذي نعيشه الآن، حتى نرى أين تكمن أسباب هذه الضجة التي أثارها من يسمون بالكتاب والمفكرين العرب الذين لا يفقهون شيئا ولا يهتدون، وبعدها سأذكر الروايات كاملة في نهاية المقال لمن أراد أن يطلع عليها.

قصة رضاع الكبير كما جاءت في كتب الأحاديث:

لقد تبنى رجل من صحابة الرسول (ص) يُدعى أبا حذيفة بن عتبة وكان ممن شهد غزوة بدر، تبنى غلاما صغيرا يُدعى سالما، وكان ذلك قبل نزول تحريم التبني، وكان الناس قبل الإسلام وفي صدر الإسلام يتبنون الأطفال والشباب والرجال، فيحملون أسماء أبائهم بالتبني، ويرثون من ميراثهم، كما كان زيد بن حارثة حين تبناه النبي محمد (ص) فكان يُدعى زيد بن محمد، كذلك كان سالما الذي تبناه أبو حذيفة، وكان سالم يعيش مع أبي حذيفة وزوجته في بيتهم، ولما شب سالم وصار رجلا زوجه أبو حذيفة من ابنة أخيه هند بنت الوليد بن عتبة، وظل الأمر على هذا حتى أنزل الله تحريم التبني في قوله تعالى: (ادعُوهم لابائهم هو أقسط عند الله فإن لم تعلموا آباءهم فإخوانكم في الدين ومواليكم) (الأحزاب: 5). ولما نزلت هذه الآية تم رد كل شخص من هؤلاء الى أبيه ومن لم يعلم أباه رُد الى الذين تبنوه ليس كابن، وإنما كأخ في الدين ومولى (صاحب وجار)، فجاءت سهلة بنت سهيل زوج أبا حذيفة النبي محمد (ص) ، فقالت يا رسول الله إنا كنا نرى سالما ولدا لنا، وكان يأوي معي ومع أبي حذيفة في بيت واحد، وفي رواية: وليس لنا إلا بيت واحد، وكان يراني فضلا (شبه عارية)، وقد أنزل الله بما قد علمت (تحريم التبني)، وإني أرى في وجه أبي حذيفة بعض الغضب والكره من دخول سالم عليَّ، وفي رواية إن سالم قد بلغ ما يبلغ الرجال وعقل ما يعقل الرجال، وفي رواية علم ما يعلم الرجال، وإنه يدخل علينا وإني أظن أن في نفس أبي حذيفة من ذلك شيئا، وفي رواية إني أرى في وجه أبي سالم الكراهية من دخول سالم عليَّ، فقال النبي أرضعيه، قالت كيف أرضعه وهو رجل كبير؟، وفي رواية إنه ذو لحية، فتبسم النبي محمد (ص)، وقال: قد علمت أنه رجل كبير، وفي رواية قال: أرضعيه تحرمي عليه ويذهب الذي في نفس أبي حذيفة، فرجعت فقالت إني قد أرضعته فذهب الذي في نفس أبي حذيفة، وفي رواية والذي بعثك

بالحق نبيا ما رأيت في وجه أبي حذيفة بعد شيئا يكرهه، وفي رواية فأرضعته خمس رضعات فكان بمنزلة ولدها من الرضاعة.

هذه هي القصة الكاملة كما وردت في الروايات العشرين، حيت لا زيادة ولا نقصان في كلمة واحدة، ونناقش الآن ما ورد في هذه القصة من أحداث، لنرى ما هو الشيء المستهجن في هذه القصة، وما هو الشيء الذي دعا كثير من الحمقى والسفهاء ممن يسمون بالكتاب والمفكرين العرب لإنكار مثل هذه الحادثة وطالبوا بمحوها من كتب التراث وادعوا أنها كاذبة ومدسوسة على النبي محمد لتشويه صورته والحط من قدره، وهل بالفعل في هذه الحادثة ما يشوه صورة النبي (ص) ويحط من قدره، أم أن القوم قد ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم فهم لا يعقلون؟؟.

مناقشة الحادثة:

أبو حذيفة تبنى سالما وهو غلام صغير، كما هي عادت العرب قبل الإسلام وأصبح يُدعى سالم بن أبي حذيفة، وكان سيرث من أبيه ما يرثه الإبن الأصلي، وعاش سالم مع أبوه بالتبني حذيفة وأمه بالتبني سهلة في بيتهما الذي لا يملكون غيره، وأصبح سالم ابنا لأبي حذيفة وزوجته، وكان يدخل عليهما ويبيت معهما في نفس البيت الواحد، وكان سالم يرى أمه بالتبني سهلة امرأة أبي حذيفة وهي شبه عارية على اعتبار أنه ابنها وهي أمه، وشب سالم وكبر فزوجه أبوه من بنت أخيه، على اعتبار أنها ابنة عمه، وظل الأمر على هذا حتى أنزل الله تحريم التبني في قوله: (ادعوهُم لآبائهم هو اقسط عند الله فإن لم تعلموا آباءهم فإخوانكم في الدين ومواليكم) (الأحزاب: 5). وامتثالا لأمر الله قام كل من تبنى شخصا برده الى أبويه الأصليين، ومن كان منهم لا يُعلم له أبوان، يظل كما هو مع من تبنوه، ليس كابن، وإنما كأخ في الدين ومولى (أي صاحب وجار لهم)، وسالم كان من الذين لا يُعلم له أبوان، فماذا يصنع أبا حذيفة وزوجته مع سالم؟؟، هل يطردوه من بيتهما أم يظل معهما؟؟، وكانت هذه هي المشكلة الحقيقية التي واجهت كل من سهلة وزوجها أبا حذيفة، فالوضع قد تغير عن ذي قبل، فسالم في السابق كان ابنهما، وكان يدخل عليهما كما يدخل الإبن على أبويه، دون إذن أو استئذان، كما حال كل بني آدم، لكن حين حرم الله التبني، أصبحت العلاقة بين الإبن والأبوين غير ذي قبل، فأصبح الإبن ليس إبنا، ولا الأب أبا، ولا الأم أما، وعلى إثر هذه العلاقة الجديدة، بدأت هناك بعض المشاعر تتغير وتتبدل، فأبو حذيفة أصبح يرى سالما رجلا اجنبيا يقيم معه هو وزوجته في بيت واحد، مما أثار في نفس أبي سالم بعض مشاعر الغيرة على زوجته، وبعض الكره للوضع الجديد، وكان يتغير وجهه امتعاضا من هذا الوضع الجديد الذي لا يجد مفرا منه ولا حلا له، فترى ماذا يصنع أبو حذيفة هل يمنع سالما من دخول بيته؟؟، أم يتركه ويظل يعاني ألم الغيرة والضيق والضجر؟؟. فما كان من زوجة أبي حذيفة إلا أن ذهبت الى النبي (ص)، تستشيره وتستفتيه في هذا الأمر الحرج، فقصت عليه ما كان من أمرهما هي وزوجها مع سالم، فأشار عليها النبي (ص) بأن ترضعه فتحرم عليه، فإستغربت المرأة من قول النبي ، مما جعلها تجيبه قائلة: أرضعه وهو رجل كبير؟؟، فرد عليها النبي قائلا: قد علمت أنه رجل كبير، فرجعت المرأة ونفذت ما أشار به عليها النبي، وأرضعت سالم خمس رضعات كما ذكرت الروايات، وبهذه الرضاعة أصبح سالم ابنا حقيقيا لهما بالرضاعة، وحرم سالم عليها وحرمت سهلة عليه بهذه الرضاعة، وذهب ما يعاني منه أبو حذيفة من ضيق وغيرة وكراهية كان سببها إقامة سالم معهما في البيت. فيا ايها الكتاب العرب يا من تدعون العقل والفكر، ما الجرم وما النقيصة وما الشذوذ في هذه القصة؟؟، أليس ما أفتى به النبي محمد (ص) كان عين العقل وعين الفهم وعين الصواب؟؟، أليس ما أفتى به النبي محمد (ص) قد أنقذ إنسانا مسلما لا أب له ولا أم ولا أسرة من أن يكون مصيره الطرد من بيت أبي حذيفة الى حيث لا بيت يؤويه، ولا أهل يعينوه؟؟، أليس ما أفتى به النبي محمد (ص) كان دلالة على فطنته وقوة إدراكه وسعة رحمته بالناس ورغبته في التيسير عليهم في حياتهم ومعاشهم وشئونهم؟؟، أليس ما أفتى به النبي (ص) هو امتثالا للقاعدة القرآنية الضرورات تبيح المحظورات؟؟، ألا تعدل رضاعة سهلة لسالم الذي كان في يوم من الأيام ابنا لها، وربته وهو غلام صغير حتى كبر وصار رجلا، ألا تعدل تلك الرضاعة أكل الميتة والدم ولحم الخنزير في حال المخمصة (شدة الجوع)؟؟، ألا تعدل رضاعة سالم من أمه سهلة وهو رجل كبير الكفر بالله في حال الإكراه؟؟، أليس أكل الميتة شيء محرم وشاذ، ولكنه مباح عند الضرورة؟؟، أليس ادعاء الكفر بالله حرام ومنكر وشاذ ولكنه مباح عند الإكراه؟؟، فلماذا كل هذه الضجة والصياح والسخرية والإستهزاء والشجب والإستنكار والتسفيه والتكذيب لهذه الحادثة؟؟ هل لأجل أن سالما الشاب الكبير سيضع فمه في ثدي المرأة التي كانت في يوم من الأيام تعامله على أنه ابن لها، وكان يعاملها على أنها أم له؟؟.

ألستم أنتم أيها المفكرون والكتاب العرب الذين تدعون كذبا ونفاقا ودجلا أنكم تنادون بالإصلاح الديني والتيسير على الناس، وتطالبون ليل نهار بتطبيق قاعدة الضرورات تبيح المحظورات، وأن الواقع هو من يفرض نفسه على أحقية تطبيق النص من عدم تطبيقه، وفق ما تقتضيه مصالح الناس وظروفهم في حياتهم ومعاشهم؟؟، ألستم أنتم من تنكرون على السلفيين والمتشددين والمتعصبين دينيا عدم تساهلهم في فتواهم وعدم تيسيرهم على الناس في أوقات الضرورة؟؟، ألستم أنتم من أنكرتم على السلفيين والمتشددين والمتعصبين دينيا تحريمهم على النساء الذهاب الى طبيب رجل للعلاج؟؟، ألا يعد ذهاب المرأة لطبيب رجل كي يعالجها أو يقوم بإجراء عملية جراحية لها، أو إجراء عملة ولادة، أو تشخيص مرض من أمراض النساء التي تصيب عنق الرحم وفرج المرأة، وغيرها من الإجراءات الطبية التي لأجل إجراءها يقوم الطبيب بكشف جسد المرأة المريضة بالكامل وكشف عورتها كذلك، ألا يعد كل هذا من باب الضرورات التي تبيح المحظورات؟؟، وألا يعدل كل هذا وضع سالم فمه في ثدي سهلة كي يرضع منها لتحرم عليه ويتمكن من القيام معهم في بيتهم دون التسبب في أي حرج بينه وبين سهلة وأبي حذيفة؟؟، أليس منكم من سيصطحب زوجته أو أمه أو أخته أو ابنته الى طبيب رجل ليعالجها عند الضرورة، ليجري لها بعض الفحوصات والعمليات التي قد يكشف فيها الطبيب جسد وعورة أي منهن بالكامل إذا استدعى الأمر ذلك؟؟، فما لكم تصرخون ولا تعوون ولا تستنكرون أن يقوم الطبيب بإجراء الفحوصات الطبية على النساء؟؟، ولماذا لا تطالبون بمنع هذه الجريمة وازدرائها،

كما عويتم وصرختم واستنكرتم ونددتم بروايات رضاع الكبير وكذبتموها وأنكرتموها وشنعتم عليها واعتبرتموها مسبة في شخص الرسول ومنقصة لقدره؟؟.

إن هؤلاء القوم في تناولهم الفكري والعقلي للأشياء والمواقف والأحداث، لا ينطلقون من قلوب سليمة نقية نظيفة، وإنما يتناولون كل الأشياء والمواقف والأحداث، انطلاقا من أفكارهم الشاذة، وقلوبهم المريضة التي طبع الله عليها بجهلهم وغيهم. وإنهم في كل مرة يثبتون ويؤكدون للناس أنهم ليسوا أهلا للعلم ولا للعقل ولا للفكر.

أم المؤمنين عائشة وروايات رضاع الكبير:

لقد وردت بعض الروايات التي تقول أن عائشة أم المؤمنين وزوج النبي محمد (ص)، كانت ترى في فتوى النبي لسهلة امرأة أبي حذيفة، أنها فتوى عامة لكل من يقع له أمر مماثلا للذي وقع لأبي حذيفة وزوجه سهلة وابنهما بالتبني سالما، وذلك أن الله قد فرض على نساء النبي محمد (ص) من دون نساء المسلمين، ألا يخاطبهم أحد من المسلمين الرجال إلا من وراء حجاب وذلك في قوله تعالى: (وإذا سألتموهُن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب ذلكم أطهرُ لقلوبكم وقلوبهن وما كان لكم أن تُؤذوا رسول الله ولا أن تنكحُوا أزواجه من بعده أبدا إن ذلكم كان عند الله عظيما) (الأحزاب:53). ولهذا الأمر الإلهي الخاص بزوجات النبي رأت السيدة عائشة أنه لو أرادت أن يدخل عليها أحد من الرجال لأمر ما أن تأمر بنات أخواتها وبنات إخوتها أن يرضعن من أحبت عائشة أن يراها ويدخل عليها من كان كبيرا من الرجال، ثم يدخل عليها، إلا أن أم سلمة أم المؤمنين وزوج النبي (ص) أبت هي وسائر أزواج النبي أن يدخل عليهن أحدا من الناس بتلك الرضاعة، وقلن لعائشة لعلها كانت رخصة من النبي لسالم دون الناس. إذا فعائشة كان ظرفها الخاص وهو الأمر الإلهي للمسلمين بمنع سؤال نساء النبي متاعا إلا من وراء حجاب، هو من دعاها للإجتهاد والقياس على ما أمر به الرسول (ص) امرأة أبي حذيفة، وكان هذا اجتهادا شخصيا من عائشة غير ملزم لأحد سواها، اعترضت عليه أم سلمة وسائر زوجات النبي الأخريات، وسواء فعلت السيدة عائشة هذا أم لا، فهو محض اجتهاد شخصي منها وهي لم تخطئ فيه سواء أصابت في اجتهادها أم لا، وسواء استدعى الأمر فعل ذلك أم لا، فهي لم تخطئ إنما هو اجتهاد شخصي منها حرصت فيه بفهمها وإدراكها على الإلتزام بأمر الله.

فتوى الدكتور عزت عطية رئيس قسم الحديث بجامعة الأزهر:

ننقل جانبا من فتوى رضاع الكبير كما نشرتها العربية نت في لقاء مع الدكتور عزت عطية، لنرى على أي أساس بنى الدكتور عزت عطية فتواه حول إرضاع الكبير، وهذا ما جاء في الفتوى: (د. عزت عطية رد بأن إرضاع الكبير يكون لإباحة الدخول والخلوة بين رجل وإمرأة ليس بينهما صلة قرابة النسب ولا صلة الرضاع في حال الصغر، ويكون الإرضاع للضرورة فقط) وحذر من " التوسع في استخدام الضرورة فيتصور الناس أن جميع الموظفين والموظفات في العمل يجب عليهم إرضاع الكبير، لأن هذا تصور خاطئ، ولكنني أقصد أن الإرضاع يباح لمن ينفرد بزميلة في العمل داخل الغرفة المغلقة ولا يدخلها أحد إلا بإذن من أحدهما".

سألته عمن يطيل اليوم مع زميلة داخل غرفة واحدة ولا يدخل عليهما أحد إلا بإذن منهما، فقال إن هذه خلوة محرمة شرعا، وعليك أن ترضع منها حتى تختلي بها بهذا الشكل المحرم، موضحا أن الخلوة تتحقق بإغلاق باب الحجرة على رجل وامرأة، وعدم إمكانية رؤية من بداخل المكان. وأكد أن الإرضاع يكون بالتقام الثدي مباشرة وذلك لأن سالم الذي رضع كان كبيرا وله لحية، والحديث صحيح ومن يعترض عليه فيكون اعتراضه على رسول الله. وحول القول بأن الواقعة التي تحدث عنها مرتبطة بزمان ومكان وعصر غير الذي نعيش فيه والفتوى تتغير بتغير العصور والأزمنة، قال إن أحكام الإسلام ترتبط بذات الإنسان عبر الأزمان والأماكن، وذات الإنسان لم تتغير منذ وجد على ظهر الأرض الى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

تعليقا هو أن سالم كان رجلا بالغا متزوجا وبالتالي كان يمكن له أن يستقل بأسرته في مكان يؤويه وبهذا تنتهي مشكلة أبي حذيفة ولكن إباحة رضاع الكبير أمر مستهجن وهذا واضح من رد سهلة على رسول الإسلام. هل يرضى الأستاذ نهرو أن يرى أمه عارية أو يلتقم ثديها. إذا كان يقف هذا ـ كما هو طبيعي من كل عاقل ـ فلماذا يلوي عنق العقل والمنطق دفاعا عن رسوله؟! هذه هي الطامة الكبرى.

92- إنجيل برنابا

يدعي البعض أن هناك ما يسمى بإنجيل برنابا (نسبة الى رفيق بولس الرسول) الذي تنبأ عن مجئ محمد نبي الإسلام. في الصفحات القليلة القادمة سوف نسلط الضوء على هذا الإدعاء لكي نتبين مدى صحته.

تعليقات على إنجيل برنابا

1- جاء في فصل 3:105-8 و 5:178-6 أن السموات تسع مع أن السموات سبع فقط في القرآن.

2- جاء في فصل 5:42 و 10:72 ، 14 و 9:82-18 أن يسوع قال لكهنة اليهود وللسامرية عن نفسه أنه ليس المسيا بل المسيا هو محمد الذي سيأتي بعده.

3- جاء في فصل 7:115 أن الذين نجوا مع نوح من الطوفان كانوا 83 شخصا والحقيقة أن الذين نجوا من الطوفان بمن فيهم نوح كانوا ثمانية أشخاص.

4- جاء في فصل 24:150 أن داود اعتلى العرش عندما كان ابن 15 سنة والحقيقة أنه اعتلى العرش عندما كان عمره 30 سنة.

5- جاء في فصل 18:82 و 25:83 أن اليوبيل يقع كل مائة عام مع أن اليوبيل كان يقع لغاية وجود المسيح على الأرض كل خمسين عاما فقط (لاويين 11:25). أما جعل ايوبيل كل مائة عام فكان بأمر البابا بونيفاس الثامن سنة 1300م.

6- جاء في فصل 1:20 ، 3:92 أن الناصرة وأورشليم هما ميناءان على البحر.
وهذا يدل على جهل كاتب انجيل برنابا بجغرافيه فلسطين.

7- جاء في فصل 13:139 و 1:143 أن المسيح هرب إلى دمشق واتخذها مركزا للاجتماع بتلاميذه مع أن الناصرة مدينة في السهل وأورشليم مدينة على الجبل ودمشق عاصمة سوريا ولا تقع في بلاد فلسطين التي عاش المسيح فيها.

8- جاء في فصل 1:92أن يسوع ذهب مع تلاميذه إلى جبل سيناء وقضى معهم هناك 40 يوما في الصوم مع أن جبل سيناء يبعد كثيرا عن بلاد فلسطين التي عاش فيها المسيح، وأن الجبل الذي كان يذهب إليه هو جبل الزيتون في فلسطين.

9- جاء في فصل 9:109 أنه توجد في فلسطين مقاطع للأحجار والرخام مع أن هذه المقاطع لا توجد هناك بل توجد بكثرة في ايطاليا واسبانيا.

10- جاء في فصل 25:152 أن اليهود في فلسطين كانوا يضعون الخمور في براميل يمكن دحرجتها مع أنهم كانوا يضعونها في زقاق من الجلد (يشوع 13:9).

11- جاء في فصل 2:3 أنه عندما ولد يسوع كان بيلاطس واليا على اليهود وكان حنان وقيافا رئيسا كهنة مع أن بيلاطس كان واليا على اليهود في المدة من سنة 26-36م وحنان كان رئيسا للكهنة في المدة من 6-15م وقيافا في المدة من 16-36م بعد ولادة المسيح بعدة سنوات.

12- جاء في فصل 6:35، 7، 26، 27 أن الله خلق كتلة من التراب ليصنع منها آدم ثم تركها 25 ألف سنة دون أن يفعل بها شيئا فبصق الشيطان عليها وحينئذ أسرع جبريل برفع هذا البصاق مع شئ من التراب الذي تحته فكان للإنسان بذلك سرة في بطنه.

13- جاء في فصل 28:40 أن آدم عندما أكل من الشجرة أراد أن يوقف نزول الطعام إلى جوفه، فوضع يده في حلقه، فظهرت العلامة المعروفة بتفاحة آدم فيه.

14- جاء في فصل 16:34 أن آدم وحواء بكيا لأجل خطيتهما مئة عام.

15- جاء في فصل 15:53-19 أنه قبل يوم الدينونة يتحول القمر إلى كتلة من الدم حتى أن الدم يتساقط منه على الأرض كما يتساقط الندى وتقع حرب هائلة بين الأجرام السماوية وتبكي النباتات وقتئذ بدل الدمع دما.

فيما يلي عينة من بعض آراء المسلمين المتنورين في إنجيل برنابا:

أ- كتب الأستاذ عباس محمود العقاد في صحيفة الأخبار القاهرية الصادرة في 26 أكتوبر 1959م موضوعا عن إنجيل برنابا ، جاءت فيه النقاط الخمس الآتي :

(1) إن الكثير من عبارات الإنجيل المذكور كتبت بصيغة لم تكن معروفة، قبل شيوع اللغة العربية في الأندلس وما جاورها.

(2) يستند وصف الجحيم في إنجيل برنابا إلى معلومات متأخرة لم تكن شائعة بين اليهود في عصر المسيح.

(3) بعض العبارات الواردة به كانت قد تسربت إلى القارة الأوروبية نقلا عن مصادر عربية.

(4) ليس من المألوف أن يكون السيد المسيح قد أعلن البشارة أمام الألوف باسم "محمد رسول الله".
(5) تكرر في هذا الإنجيل بعض أخطاء لا يجهلها اليهودي المطلع على كتب قومه، ولا يرددها المسيحي المؤمن بالأناجيل المعتمدة في الكنيسة الغربية، ولا يتورط فيها المسلم الذي يفهم ما في إنجيل برنابا من المناقضة بينه وبين نصوص القرآن، مثل القول عن محمد إنه المسيا أو المسيح.

ب - قال دكتور محمد شفيق غربال في الموسوعة الميسرة (ص 354) تحت كلمة "برنابا" ما يأتي: إنجيل مزيف، وضعه أوروبي في القرن الخامس عشر، وفي وصفه للوس السياسي والديني في القدس أيام المسيح أخطاء جسيمة. كما أنه يصرح على لسان عيسى أنه ليس المسيح، إنما جاء مبشرا بمحمد الذي سيكون المسيح.

جـ - سجلت كتب التاريخ الإسلامية القديمة مثل (مروج الذهب، والقول الإبريزي، والبداية والنهاية، والتاريخ الكامل، وتاريخ اليعقوبي، وتاريخ أبي الفداء) والكتب الحديثة أيضا مثل (كتاب دائرة معارف الناشئين) أن إنجيل المسيحيين هو المكتوب بواسطة متى ومرقس ولوقا ويوحنا. فضلا عن ذلك فقد اقتبست بعض الكتب المذكورة الكثير من الآيات التي وردت في هذا الإنجيل، بينما لا يوجد بها أي اقتباس من الكتاب الذي يدعى "إنجيل برنابا" - وهذا دليل على عدم قدمه أو بالحري على عدم قانونيته.

الخلاصة

إنجيل برنابا إنجيل مزيف تم تأليفه في أوربا في القرون الوسطى وهو يتعارض مع الأنجيل الصحيح ولهذا رفضه المسيحيون. كما أنه يتعارض مع القرآن ولهذا يرفضه كل مسلم مؤمن بصحة القرآن. إننا نتفق مع العلماء من أمثال د. محمد شفيق غربال والعقاد وغيرهم في أن هذا الكتاب مزور، وهو ليس ضد المسيحية فحسب بل إنه يناقض القرآن أيضا بالإضافة لمناقضته للعقل والمنطق كما هو واضح من الأدلة السابقة ولا نجد أي غضاضة في رفضه رفضا باتا ويتفق معنا الأصدقاء المسلمون. وفي هذا كل الكفاية لمن يريد الوقوف على الحقيقة.

93 - اللمــم

" الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللحم إن ربك واسع المغفرة" (النجم 32). ماذا قال مُفسروا الإسلام في اللحم؟ قال الطبري شيخ المفسرين في تفسيره:

في تأويل قوله تعالى: " ذلك مبلغهم من العلم إن ربك هو أعلمُ بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى" يقول تعالى ذكره هذا الذي يقوله هؤلاء الذين لا يؤمنون بالآخرة في الملائكة من تسمتهم إياها تسمية الأنثى مبلغهم من العلم يقول ليس لهم علم إلا هذا الكفر بالله والشرك به على وجه الظن بغير يقين علم، وكان ابن زيد يقول في ذلك ما حدثني يونس قال أخبرنا بان وهب قال قال ابن زيد في قوله فأعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم قال يقول ليس لهم علم إلا الذي هم فيه من الكفر برسول الله ومكايدتهم لما جاء من عند الله قال وهؤلاء أهل الشرك وقوله إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى يقول تعالى ذكره إن ربك يا محمد هو أعلم بمن جار عن طريقه في سابق علمه فلا يؤمن وذلك الطريق هو الإسلام وهو أعلم بمن اهتدى يقول وربك أعلم بمن أصاب طريقه فسلكه في سابق علمه وذلك الطريق أيضا الإسلام.

القول في تأويل قوله تعالى " ولله ما في السموات وما في الأرض ليجزي الذين أساءُوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى * الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم"، يقول تعالى ذكره ولله ملك ما في السموات وما في الأرض من شيء وهو يضل من يشاء وهو أعلم بهم ليجزي الذين أساؤا بما عملوا يقول ليجزي الذين عصوه من خلقه فأساؤا بمعصيتهم إياه فيثيبهم بها النار ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى يقول وليجزي الذين أطاعوه فأحسنوا بطاعتهم إياه في الدنيا بالحسنى وهي الجنة فيثيبهم بها وقيل عني بذلك أهل الشرك والإيمان ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرني عبد الله بن عياش قال قال زيد بن أسلم في قول الله ليجزي الذين أساؤوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا المؤمنون وقوله الذين يجتنبون كبائر الإثم يقول الذين يبتعدون عن كبائر الإثم التي نهى الله عنها وحرمها عليهم فلا يقربونها وذلك الشرك بالله وما قد بيناه في قوله أن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سياتكم وقوله والفواحش وهي الزنا وما أشبهه مما أوجب الله فيه حدا وقوله إلا اللمم.

اختلف أهل التأويل في معنى إلا في هذا الموضع فقال بعضهم هي بمعنى الإستثناء المنقطع وقالوا معنى الكلام الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحس إلا اللم الذي ألموا به من الإثم والفواحش في الجاهلية قبل الإسلام فإن الله قد عفا لهم عنه فلا يؤاخذهم به ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله " الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم" قال المشركون إنما كانوا بالأمس يعملون معنا فأنزل الله عز وجل اللمم ما كان منهم في الجاهلية قال واللمم الذي ألموا به من تلك الكبائر والفواحش في الجاهلية قبل الإسلام وغفر لهم حين أسلموا حدثني يعقوب قال ثنا ابن علية عن ابن عياش عن ابن عون عن محمد قال سأل رجل زيد بن ثابت عن هذه الآية " الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم" قال إلا اللمم قال كبائر الشرك والفواحش الزنا تركوا ذلك حين دخلوا في الإسلام فغفر الله لهم ما كانوا ألموا به وأصابوا من ذلك قبل الإسلام.

وكان بعض أهل العلم بكلام العرب ممن يوجه تأويل إلا في هذا الموضع الى هذه الوجه الذي ذكرته عن ابن عباس يقول في تأويل ذلك لم يؤذن لهم في اللمم وليس هو من الفواحش ولا من كبائر الإثم وقد يستثنى الشيء من الشيء وليس منه على ضمير قد كف عنه فمجازه إلا أن يلم بشيء ليس من الفواحش ولا من الكبائر قال الشاعر: وبلدة ليس بها أنيس إلا اليعافير وإلا العيس.

واليعافير الظباء والعيس الإبل وليسا من الناس فكأنه قال ليس به أنيس غير أن به ظباء وإبلا وقال بعضهم اليعفور من الظباء الأحمر والأعيس الأبيض، وقال بنحو هذا القول جماعة من أهل التأويل ذكر من قال ذلك، حدثني محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن الأعمش عن أبي الضحى أن ابن مسعود قال زنا العينين النظر وزنا الشفتين التقبيل وزنا اليدين البطش وزنا الرجلين المشي ويصدق ذلك الفرج ويكذبه فإن تقدم بفرجه كان زانيا وإلا فهو اللمم، حدثنا ابن عبد الإعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر قال وأخبرنا ابن طاوس عن أبيه عن ابن عباس قال ما رأيت شيئا أشبه باللمم مما قال أبو هريرة عن النبي، أن الله كتب على ابن آدم حظه من الزنا أدركه ذلك لا محالة فزنا العينين النظر وزنا اللسان المنطق والنفس تتمنى وتشتهي والفرج يصدق ذلك أو يكذبه، حدثني أبو السائب قال ثنا أو معاوية عن الأعمش عن مسلم عن مسروق في قوله إلا اللمم قال إن تقدم كان زنا وإن تأخر كان لمماء حدثني يعقوب ابن إبراهيم قال ثنا ابن علية قال ثنا منصور بن عبد الرحمن قال سألت الشعبي عن قول الله " الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم" قال القبلة والغمزة والنظرة والمباشرة إذا مس الختان الختان فقد وجب الغسل وهو الزنا. وقال آخرون بل ذلك استثناء صحيح ومعنى الكلام الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم" إلا أن يلم بها ثم يتوب ذكر من قال ذلك، حدثني سليمان بن عبد الجبار قال ثنا أبو عاصم قال أخبرنا زكريا بن إسحق عن عمرو بن دينار عن عطاء عن ابن عباس " الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم" قال هو الرجل يلم بالفاحشة ثم يتوب قال وقال رسول الله: إن تغفر اللهم تغفر جما وأي عبد لك ما ألما؟ حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن منصور عن مجاهد أنه قال في هذه الآية إلا اللمم قال الذي يلم بالذنب ثم يدعه وقال الشاعر: إن تغفر اللهم تغفر جما وأي عبد لك ما ألما؟

حدثني محمد بن عبد الله بن بزيغ قال ثنا يونس عن الحسن عن أبي هريرة أراه رفعه في " الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم" قال اللمة من الزنا ثم يتوب ولا يعود واللمة من السرقة ثم يتوب ولا يعود واللمة من شرب الخمر ثم يتوب ولا يعود قال فتلك الإلمام، حدثنا ابن بشار قال ثنا ابن أبي عدي عن عوف عن الحسن في قول الله " الذين

يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم" قال اللمة من الزنا أو السرقة أو شرب الخمر ثم لا يعود. حدثني يعقوب قال ثنا ابن علية عن أبي رجاء عن الحسن في قوله " الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم" قال قد كان أصحاب النبي يقولون هذا الرجل يصيب اللمة من الزنا واللمة من شرب الخمر فيخفيها فيتوب منها حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن سفيان عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس إلا اللم يلم بها في الحين قلت الزنا قال الزنا ثم يتوب حدثنا ابن عبد الأعلى قال ابن ثورة قال قال معمر كان الحسن يقول في اللمم تكون اللمة من الرجل بالفاحشة ثم يتوب حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن سفيان عن إسماعيل عن أب صالح قال الزنا ثم يتوب. قال ثنا مهران عن أبي جعفر عن قتادة عن الحسن إلا اللمم قال أن يقع الوقعة ثم ينتهي حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن عيينة عن عمرو عن عطاء عن ابن عباس قال اللمم الذي تلم المرة حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد قال أخبرني يحيى بن أيوب عن المثنى بن الصباح عن عمرو بن شعيب أن عبد الله بن عمرو بن العاص قال اللمم ما دون الشرك حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو عامر قال ثنا مرة عن عبد الله بن القاسم في قوله إلا اللمم قال اللمة يلم بها من الذنوب حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن مجاهد في قوله إلا اللمم قال الرجل يلم بالذنب ثم ينزع عنه قال وكأن أهل الجاهلية يطوفون بالبيت وهم يقولون: إن تغفر اللهم تغفر جما وأي عبد لك ما ألما؟ وقال آخرون ممن وجه معنى إلا الى الإستثناء المنقطع اللمم هو دون حد الدنيا وحد الآخرة قد تجاوز الله عنه ذكر من قال ذلك. حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن سفيان عن جابر عن عطاء عن ابن الزبير إلا اللمم قال ما بين الحدين حد الدنيا وعذاب الآخرة. حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر عن شعبة عن الحكم عن ابن عباس أنه قال اللمم ما دون الحدين حد الدنيا والآخرة. حدثنا ابن المثنى قال ثنا ابن أبي عدي عن شعبة عن الحكم وقتادة عن ابن عباس بمثله إلا أنه قال حد الدنيا وحد الآخرة. حدثني يعقوب قال ثنا ابن علية قال أخبرنا شعبة عن الحكم بن عتيبة قال قال ابن عباس اللمم ما دون الحدين حد الدنيا وحد الأخرة. حدثني محمد بن سعد قال ثنى أبي قال ثنى عمي قال ثنى أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله " الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم" قال كل شيء بين الحدين حد الدنيا وحد الآخرة تكفره الصلوات وهو اللمم وهو دون كل موجب فأما حد الدنيا فكل حد فرض الله عقوبته في الدنيا وأما حد الآخرة فكل شيء ختمه الله بالنار وآخر عقوبته الى الآخرة. حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى قال ثنا الحسين عن يزيد عن عكرمة في قوله إلا اللمم يقول ما بين الحدين كل ذنب ليس فيه حد في الدنيا ولا عذاب في الآخرة فهو اللم. حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله " الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم" واللمم ما كان بين الحدين لم يبلغ حد الدنيا ولا حد الآخرة موجبة قد أوجب الله لأهلها النار أو فاحشة يقام عليه الحد في الدنيا. وحدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن أبي جعفر عن قتادة قال قال بعضهم اللمم ما بين الحدين حد الدنيا وحد الآخرة. حدثنا أبو كريب ويعقوب قالا ثنا إسماعيل بن إبراهيم قال ثنا سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن ابن عباس قال اللمم ما بين الحدين حد الدنيا والآخرة. حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن سفيان قال قال الضحك إلا اللمم قال كل شيء بين حد الدنيا والآخرة فهو اللمم يغفره الله.

وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب قول من قال إلا بمعنى الإستثناء المنقطع ووجه معنى الكلام الى " الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم" بما دون كبائر الإثم ودون الفواحش الموجبة للحدود في الدنيا والعذاب في الآخرة فإن ذلك عندي نظير قوله جل ثناؤه " إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مُدخلا كريما" فوعد جل ثناؤه باجتناب الكبائر العفو عما دونها من السيئات وهو اللمم الذي قال النبي (ص) العينان تزنيان واليدان تزنيان والرجلان تزنيان ويصدق ذلك الفرج ويكذبه وذلك أنه لا حد فيما دون ولوج الفرج في الفرج يجب وذلك هو العفو من الله في الدنيا عن عقوبة العبد عليه والله جل ثناؤه وأكرم من أن يعود فيما قد عفا عنه كما روي عن النبي (ص) واللمم في كلام العرب المقاربة للشيء ذكر الفراء أنه سمع العرب تقول ضربة ما لمم القتل يريدون ضربا مقاربا للقتل قال وسمعت من آخر ألم يفعل في معنى كاد يفعل.

القول في تأويل في قوله تعالى" إن ربك واسعُ المغفرة هو أعلمُ بكم إذ أنشأكم من الأرض وإذ أنتم أجنة في بطون أمهاتكم فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى، " يقول تعالى ذكره لنبيه محمد (ص) إن ربك يا محمد واسع المغفرة عفوه للمذنبين الذين لم تبلغ ذنوبهم الفواحش وكبائر الإثم وإنما أعلم جل ثناؤه بقوله هذا عباده أنه يغفر اللم بما وصفتا من الذنوب لمن أجتنب كبائر الإثم والفواحش. كما حدثنا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله " إن ربك واسع المغفرة هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض" يقول تعالى ذكره ربكم أعلم بالمؤمن منكم من الكافر والمحسن منكم من المسيء والمطيع من العاص حين ابتدعكم من فأحدثكم منها بخلق أبيكم آدم منها وحين أنتم أجنة في بطون أمهاتكم يقول وحين أنتم حمل لم تولدوا (!) منكم وأنفسكم بعدما صرتم رجالا ونساء وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك. حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض قال منحو قوله وهو أعلم بالمهتدين. وحدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله إذ أنشأكم من الأرض قال حين خلق آدم من الأرض ثم خلقكم من آدم وقرأوا وإذ أنتم أجنة في بطون أمهاتكم وقد بينا فيما مضي قبل معنى الجنين ولم قيل له جنين بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع وقوله فلا تزكوا أنفسكم يقول جل ثناؤه فلا تشهدوا لأنفسكم بأنها زكية بريئة من الذنوب والمعاصي. كما حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن سفيان قال سمعت زيد بن أسلم يقول فلا تزكوا أنفسكم يقول فلا تبرؤها وقوله هو أعلم بمن أتقى يقول جل ثناؤه ربك يا محمد أعلم بمن خاف عقوبة الله فإجتنب معاصيه من عباده.

القول في تأويل قوله تعالى" أفرأيت الذي تولى * وأعطى قليلا وأكدى* أعنده علم الغيب فهو يرى* أم لم ينبأ بما في صحف موسى* وإبراهيم الذي وفى* ألا تزر وازرة وزر أخرى* وأن ليس للإنسان إلا ما سعى" يقول تعالى ذكره أفرأيت يا محمد الذي أدبر عن الإيمان بالله وأعرض عنه وعن دينه وأعطى صاحبه قليلا من ماله ثم منعه فلم يعطه فبخل عليه وذكر أن هذه الآية نزلت في الوليد بن المغيرة من أجل أنه عاتبه بعض المشركين وكان قد اتبع رسول

الله (ص) على دينه فضمن له الذي عاتبه إن هو أعطاه شيئا من ماله ورجع الى شركه أن يتحمل عنه عذاب الآخرة ففعل فأعطى الذي عاتبه على ذلك بعذ ما كان ضمن له ثم بخل عليه ومنه تمام.

وجاء في تفسير الحافظ بن كثير: (الجزء الثامن، الطبعة الأولى، المنار سنة 1347، ص114-116)

يخبر تعالى أنه مالك السموات والأرض وإنه الغني عما سواه الحاكم في خلقه بالعدل وخلق الخلق بالحق " ليجزي الذين أساءوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحُسنى"، أي يجازي كلا بعمله إن خيرا فخير، وإن شرا فشرا. ثم فسر المحسنين بأنهم الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش، أي لا يتعاطون المحرمات الكبائر وإن وقع منهم بعض الصغائر فإنه يغفر لهم ويستر عليهم، كما قال في الآية الأخرى " إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما"، وقال ههنا " الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم"، وهذا استثناء منقطع لأن اللمم من صغائر الذنوب ومحقرات الأعمال. قال الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق معمر بن أرطأه عن بن طاوس عن أبيه عن ابن عباس قال ما رأيت شيئا أشبه باللمم مما قال أبو هريرة عن النبي قال (إن الله تعالى كتب على ابن آدم حظه من الزنا أدرك ذلك لا محالة فزنا العين النظر، وزنا اللسان النطق، والنفس تمنى وتشتهي، والفرج يصدق ذلك أو يكذبه) أخرجاه في الصحيحين من حديث عبد الرزاق به.

وقال ابن جرير حدثنا محمد بن عبد الأعلى أخبرنا ابن ثور حدثنا معمر عن الأعمش عن أبي الضحى أن ابن مسعود قال: زنا العينين النظر، وزنا الشفتين التقبيل، وزنا اليدين البطش، وزنا الرجلين المشي ويصدق ذلك الفرج أو يكذبه، فإن تقدم بفرجه كان زانيا وإلا فهو اللمم، وكذا قال مسروق والشعبي وقال عبد الرحمن بن نافع الذي يقال له ابن لبابة الطائفي قال سألت أبا هريرة عن قول الله "إلا اللمم" قال القبلة والغمزة والنظرة والمباشرة فإذا مس الختان الختان، فقد وجب الغسل وهو الزنا وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس إلا اللمم إلا ما سلف وكذا قال زيد بن اسلم. وقال ابن جرير حدثنا ابن المثنى حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن منصور عن مجاهد أنه قال في هذه الآية "إلا اللمم" قال الذي يلم بالذنب ثم يدعه قال الشاعر: إن تغفر اللهم تغفر جما وأي عبد لك ما ألما؟ وقال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا جرير عن منصور عن مجاهد في قوله تعالى :" إلا اللمم" قال الرجل يلم بالذنب ثم ينتزع عنه قال وكان أهل الجاهلية يطوفون بالبيت وهم يقولون: إن تغفر اللهم تغفر جما وأي عبد لك ما ألما؟ وقد رواه ابن جرير وغيره مرفوعا قال ابن جرير حدثني سليمان بن عبد الجبار حدثنا أبو عاصم حدثنا زكريا بن إسحاق عن عمرو بن دينار عن عطاء عن ابن عباس " الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم" قال هو الرجل يلم بالفاحشة ثم يتوب وقال قال رسول الله: إن تغفر اللهم تغفر جما وأي عبد لك ما ألما؟. وهكذا رواه االترمذي عن أحمد بن عثمان أي عثمان البصري عن أبي عاصم النبيل ثم قال هذا حديث صحيح حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث زكريا بن اسحاق وكذا قال البزار لا نعلمه يروي متصلا إلا من هذا الوجه وساقه ابن أبي حاتم والبغوي من حديث ابي عاصم النبيل وإنما ذكره البغوي في تفسير سورة تنزيل وفي صحته مرفوعا نظر. ثم قال ابن جرير حدثنا محمد بن عبد الله بن يزيع حدثنا يزيد بن زريع حدثنا يونس عن الحسن عن أبي هريرة أراه رفعه في " الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم" قال اللمة من الزنا ثم يتوب ولا يعود، واللمة من السرقة ثم يتوب ولا يعود، واللمة من شرب الخمر ثم يتوب ولا يعود قال فذلك الإلمام. وحدثنا ابن بشار حدثنا ابن أبي عُدي عن عوف عن الحسن في قوله تعالى " الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم" قال اللمم من الزنا أو السرقة أو شرب الخمر ثم لا يعود.

وحدثني يعقوب حدثنا ابن علية عن أبي رجاء عن الحسن في قول " الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم" قال كان أصحاب رسول الله (ص) يقولون هو الرجل يصيب اللمة من الزنا واللمة من شرب الخمر فيجتنبها ويتوب منها. وقال ابن جرير عن عطاء عن ابن عباس " إلا اللمم" يلم بها في الحين قلت الزنا؟ قال الزنا ثم يتوب وقال ابن جرير أيضا حدثنا أبو كريب حدثنا ابن عيينة عن عمرو عن عطاء عن ابن عباس قال اللمم الذي يلم المرة، وقال السدي قال أبو صالح سئلت عن اللمم فقلت هو الرجل يصيب الذنب ثم يتوب وأخبرت بذلك ابن عباس فقال لقد أعانك عليها ملك كريم، حكاه البغوي.

وروى ابن جرير من طريق المثنى بن الصباح وهو ضعيف عن عمرو بن شعيب أن عبد الله بن عمرو قال اللمم ما دون الشرك، وقال سفيان الثوري عن جابر الجعفي عن عطاء عن ابن الزرير " إلا اللمم" قال ما ين الحدين حد الزنا وعذاب الآخرة، وكذا رواه شعبة عن الحكم عن ابن عباس مثله سواء، وقال العوفي عن ابن عباس في قوله " إلا اللمم" كل شيء بين الحدين حد الدنيا وحد الآخرة تكفره الصلوات فهو اللمم وهو دون كل موجب فأما حد الدنيا فكل حد فرض الله عقوبته في الدنيا، وأما حد الآخرة فكل شيء ختمه الله بالنار وأخر عقوبته الى الآخرة، وكذا قال عكرمة وقتادة والضحاك.

وقوله تعالى " إن ربك واسعُ المغفرة " أي رحمته وسعت كل شيء ومغفرته تسع الذنوب كلها لمن تاب كقوله تعالى " قل يا عبادي الذين اسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم ". وقوله تعالى " هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض" أي هو بصير بكم عليم بأحوالكم وأفعالكم وأقوالكم التي ستصدر عنكم وتقع منكم حين أنشأ أباكم آدم من الأرض واستخرج ذريته من صلبه أمثال الذر ثم قسمهم فريقين للجنة وفريقا للسعير وكذا قوله " وإذ أنتم أجنة في بطون أمهاتكم "، قد كتب الملك الذي يوكل به رزقه وأجله وعمله وشقي أم سعيد؟.

وجاء في تفسير البغوي الذي طبع أسفل تاريخ ابن كثير:

" ويجزي الذين أحسنوا بالحُسنى" وحدوا ربهم بالحسنى بالجنة وإنما يقدر على مُجازاة المحسن والمُسئ إذا كان كبير الملك ولذلك قال " ولله ما في السموات وما في الأرض" ثم وصفهم فقال " الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا

اللمم" اختلفوا في معنى الآية فقال قوم هذا استثناء صحيح واللمم من الكبائر والفواحش، ومعنى الآية إلا أن يلم بالفاحشة مرة ثم يتوب ويقع الواقعة ثم ينتهي وهو قول أبي هريرة ومجاهد والحسن ورواية عطاء عن ابن عباس، قال عبد الله بن عمرو بن العاص اللمم ما دون الشرك وقال السدي قال أبو صالح سئلت عن قول الله تعالى إلا اللمم فقلت هو الرجل يلم بالذنب ثم لا يعاوده فذكرت ذلك لإبن عباس فقال لقد أعانك عليها ملك كريم وروينا عن عطاء عن ابن عباس في قوله إلا اللمم قال قال رسول الله (ص): إن تغفر اللهم تغفر جما وأي عبد لك ما ألما؟ وأصل اللمم والإلمام ما يعمله الإنسان الحين بعد الحين ولا يكون له عادة ولا إقامة عليه، وقال آخرون هذا استثناء منقطع مُجازه لكن اللمم ولم يجعلوا اللمم من الكبائر والفواحش ثم اختلفوا في معناه فقال بعضهم هو ما سلف في الجاهلية فلا يؤاخذهم الله به وذلك إن المشركين قالوا للمسلمين أنهم كانوا بالأمس يعملون معنا فأنزل الله هذه الآية وهذا قول زيد بن ثابت وزيد بن أسلم وقال بعضهم هو صغار الذنوب كالنظرة والغمزة والقبلة وما كان دون الزنا وهذا قول ابن مسعود وأبي هريرة ومسروق والشعبي ورواية طاوس عن ابن عباس.

أخبرنا عبد الواحد المليحي ثنا أحمد بن عبد الله النعيمي ثنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا محمود بن غيلان أنا عبد الرازق ثنا معمر عن ابن طاوس عن أبيه عن ابن عباس قال ما رأيت أشبه اللمم مما قاله أبو هريرة عن النبي (ص) (إن الله كتب على ابن آدم حظه من الزنا أدرك ذلك لا محالة فزنا العين النظر وزنا اللسان النطق والنفس تتمنى وتشتهي والفرج يصدق ذلك ويكذبه) ورواه سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي وزاد (والعينان زناهما النظر والأذنان زناهما الإستماع واللسان زناه الكلام واليد زناها البطش والرجل زناها الخطي). وقال الكلبي اللمم على وجهين كل ذنب لم يذكر الله عليه حدا في الدنيا ولا عذابا في الآخرة فذلك الذي تكفره الصلوات ما لم يبلغ الكبائر والفواحش والوجه الآخر هو الذنب العظيم يلم به المسلم المرة بعد المرة فيتوب منه، وقال سعيد بن المسيب هو ما لم علي القلب أي خطر، وقال الحسين بن الفضل اللمم النظرة من غير تعمد فهو مغفور فإن أعاد النظرة فليس بلمم وهو ذنب " إن ربك واسعُ المغفرة" قال ابن عباس لمن فعل ذلك وتاب تم الكلام ههنا ثم قال " هُو أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض" أي خلق أباكم آدم من التراب" جمع جنين.

وقال القرطبي (أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي): في تفسيره (الجامع لأحكام القرآن): طبع دار الكتب المصرية 1367هـ/1948م.

لام العاقبة، أي ولله ما في السموات وما في الأرض؛ أي وعاقبة أمر الخلق أن يكون فيهم مسيئ ومحسن: فللمسيء السوءى وللمحسن الحسنى وهي الجنة. قوله تعالى:" الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم"، فيه ثلاث مسائل:

الأولى: " الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش"، هذا نعت؛ أي هم لا يرتكبون كبائر الإثم وهو الشرك؛ لأنه أكبر الآثام، وقرأ الأعمش ويحيى بن وثاب وحمزة والكسائي (كبير) على التوحيد وفسره ابن عباس بالشرك، " والفواحش" الزنى، وقال مقاتل:" كبائر الإثم " كل ذنب ختم بالنار " والفواحش" كل ذنب فيه الحد، وقد مضى في " النساء" (راجع جـ 5، ص158، فما بعدها، طبعة أولى أو ثانية)، القول في هذا، ثم استثنى استثناء منقطعا

وهي: المسئلة الثانية: فقال: " إلا اللمم" وهي الصغائر التي لا يسلم من الوقوع فيها إلا من عصمه الله وحفظه، وقد اختلف في معناها، فقال أبو هريرة وابن عباس والشعبي: " اللمم" كل ما دون الزنى، وذكر مقاتل بن سليمان: أن هذه الآية نزلت في رجل كان يسمى نبهان التمار، كان له حانوت يبيع فيه تمرا، فجاءته امرأة تشتري منه تمرا فقال لها: إن داخل الدكان ما هو خير من هذا، فلما دخلت راودها فأبت وانصرفت فندم نبهان، فأتى رسول الله فقال: يا رسول الله! ما من شيء يصنعه الرجل إلا وقد فعلته إلا الجماع، فقال:" لعل زوجها غاز" فنزلت هذه الآية، وقد مضى في آخر " هود" وكذلك قال ابن مسعود وابو سعيد الخدري وحذيفة ومسروق: إن اللمم ما دون الوطء من القبلة والغمزة والنظرة والمضاجعة، وروي مسروق عن عبد الله بن مسعود قال: زنى العينين النظر، وزن اليدين البطش، وزنى الرجلين المشي، وإنما يصدق ذلك أو يكذبه الفرج، فإن تقدم كان زنى وإن تأخر كان لمما، وفي صحيح البخاري ومسلم عن ابن عباس قال: ما رأيت شيئا أشبه باللمم مما قال أبو هريرة أن النبي (ص) قال: (إن الله كتب على ابن آدم حظه من الزنى أدرك ذلك لا محالة فزنى العينين النظر وزنى اللسان النطق والنفس تتمنى وتشتهي والفرج يصدق ذلك أو يكذبه)، والمعنى إن الفاحشة العظيمة والزنى التام الموجب للحد في الدنيا والعقوبة في الآخرة هو في الفرج وغيره له حظ من الإثم ـ والله أعلم ـ وفي رواية أبي صالح عن النبي (ص) قال (كتب على ابن آدم نصيبه من الزنى مدرك ذلك لا محالة فالعينان زناهما النظر والأذنان زناهما الإستماع واللسان زناه الكلام واليد زناها البطش والرجل زنا الخطأ والقلب يهوى ويتمنى ويصدق ذلك الفرج ويكذبه) (أخرجه مسلم)، وقد ذكر الثعلبي حديث طاوس عن ابن عباس فذكر فيه الأذن واليد والرجل، وزاد فيه بعد العينين واللسان، وزنى الشفتين القبلة، فهذا قول، وقال ابن عباس أيضا: هو الرجل يلم بذنب ثم يتوب، قال: ألم تسمع النبي (ص) كان يقول: إن تغفر اللهم تغفر جما وأي عبد لك ما ألما؟ رواه عمرو بن دينار عن عطاء بن عباس (روى هذا الحديث الترمذي بهذا الإسناد وقال: هذا حديث حسن غريب، والبيت لأمية بن الصلت قاله عند احتضاره) قال النحاس: هذا أصح ما قيل فيه وأجلها إسنادا، وروى شعبة عن منصور عن مجاهد عن ابن عباس في قول الله عز وجل " إلا اللمم"، قال: هو أن يلم العبد بالذنب ثم لا يعاوده، قال الشاعر: إن تغفر الهم تغفر جما وأي عبد لك ما ألما؟ وكذا قال مجاهد والحسن: هو الذي يأتي الذنب ثم لا يعاوده، ونحوه عن الزهري، قال: اللمم أن يزني ثم يتوب فلا يعود، وأن يسرق أو يشرب ثم يتوب فلا يعود، ودليل هذا التأويل قوله تعالى:" والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فإستغفروا لذنوبهم" (آل عمران: 135)، ثم قال:" أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم"، كما قال عقيب اللمم:" إن ربك واسع المغفرة"، فعلى هذا التأويل يكون " إلا اللمم" استثناء متصل، قال عبد الله بن عمرو بن العاص: اللمم ما دون الشرك، وقيل: اللمم الذنب بين الحدين وهو ما لم يأت عليه حد في الدنيا، ولا توعد عليه بعذاب في الآخرة تكفره الصلوات الخمس، قاله ابن زيد وعكرمة والضحاك وقتادة، ورواه العوفي والحكم بن عيينة عن ابن عباس، وقال الكلبي: اللمم على وجهين كل ذنب لم يذكر الله عليه حدا

في الدنيا ولا عذابا في الآخرة، فذلك الذي تكفره الصلوات الخمس ما لم يبلغ الكبائر والفواحش، والوجه الآخر هو الذنب العظيم يلم به الإنسان المرة بعد المرة فيتوب منه، وعن ابن عباس أيضا وأبي هريرة وزيد بن ثابت: هو ما سلف في الجاهلية فلا يؤاخذهم به، وذلك أن المشركين قالوا للمسلمين: إنما كنتم بالأمس تعملون معنا فنزلت، وقاله زيد بن أسلم و (ابنه) (في الأصل: وأبوه، وما أثبتناه يوافق ما في تفسير أبي حيان والطبري)، وهو كقوله تعالى:" وأن تجمعوا بين الأختين إلا ما قد سلف"، وقيل: اللمم هو أن يأتي بذنب لم يكن له بعادة، قاله نفطويه، قال: والعرب تقول ما يأتينا إلا لماما، أي في الحين بعد الحين، قال: ولا يكون أن يلم ولا يفعل؛ لأن العرب لا تقول ألم بنا إلا إذا فعل الإنسان لا إذا هم ولم يفعله، وفي الصحاح: وألم الرجل من اللمم وهو صغائر الذنوب، ويقال: هو مقاربة المعصية من غير مواقعة، وأنشد غير الجوهري: بزينب ألمم قبل أن يرحل الركب وقل إن تملينا فما ملك القلب.

أي أقرب، وقال عطاء بن أبي رباح: اللمم عادة النفس الحين بعد الحين، وقال سعيد بن المسيب: هو ما ألم على القلب، أي خطر، وقال محمد بن الحنفية: كل ما هممت به من خير أو شر فهم لمم، ودليل هذا التأويل قوله عليه الصلاة والسلام: (إن للشيطان لمة وللملك لمة) الحديث، وقد مضى في " البقرة" (راجع جـ 3، ص 329، طبعة أولى أو ثانية)، عند قوله تعالى " الشيطان يعدكم الفقر"، وقال أبو إسحق الزجاج: أصل اللمم والإلمام ما يعمله الإنسان المرة بعد المرة ولا يتعمق فيه، ولا يقيم عليه، يقال: ألممت به إذا زرته وانصرفت عنه، ويقال: ما فعلته إلا لمما وإلماما، أي الحين بعد الحين وإنما زيارتك إلمام، ومنه إلمام الخيال، قال الأعشى:

ألم خيال من قتيلة بعد ما   وهي حبلها من حبلنا فتصرما

وقيل: إلا بمعنى الواو وأنكر هذا الفراء، وقال: المعنى إلا المتقارب من صغار الذنوب، وقيل: اللمم النظرة التي تكون فجأة. قلت: هذا فيه بعد إذ هو معفو عنه ابتداء غير مؤاخذ به؛ لأنه يقع من غير قصد واختيار وقد مضى في " النور" (راجع جـ 12، ص227، طبعة أولى أو ثانية)، بيانه، واللمم أيضا طرف من الجنون ورجل ملموم أي به لمم، ويقال أيضا: أصابت فلانا لمة من الجن وهي المس والشيء القليل، قال الشاعر:

فإذا وذلك يا كبيشة لم   يكن إلا كلمة حالم بخيال

(ابن مقبل، والواو في ذلك زائدة كقول أبي كبير الهذلي: فإذا وذلك ليس إلا حينه وإذا مضى شيء كأن لم يفعل)

الثالثة: قوله تعالى "إن ربك واسعُ المغفرة" لمن تاب من ذنبه واستغفر، قاله ابن عباس، وقال أبو ميسرة بن شرحبيل وكان من أفاضل أصحاب ابن مسعود رأيت في المنام كأني أدخلت الجنة فإذا قباب مضروبة، فقلت: لمن هذه؟ فقالوا: لذي الكلاع وحوشب، وكانا ممن قتل بعضهم بعضا، فقلت: وكيف ذلك؟ فقالوا: إنهما لقيا الله فوجداه واسع المغفرة، فقال أبو خالد: بلغني أن ذا الكلاع أعتق اثنى عشر ألف بنت. قوله تعالى:" هو أعلم بكم" من أنفسكم " إذ أنشأكم من الأرض" يعني أباكم آدم من الطين وخرج اللفظ على الجمع، قال الترمذي أبو عبد الله: وليس هو كذلك عندنا، بل وقع الإنشاء على التربة التي رفعت من الأرض، وكنا جميعا في تلك التربة وفي تلك الطينة، ثم خرجت من الطينة المياه الى الأصلاب مع ذرة النفوس على اختلاف هيئتها، ثم استخرجها من صلبها على اختلاف الهيئات، منهم كالدر يتلألأ، وبعضهم أنور من بعض، وبعضهم أسود كالحممة، وبعضهم أشد سوادا من بعض، فكان الإنشاء واقعا علينا وعليه.

وقال سيد قطب (في ظلال القرآن): الجزء السابع والعشرون - الطبعة الأولى:

" الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم". وكبائر الإثم هي كبار لمعاصي، والفواحش كل ما عظم من الذنب وفحش، واللمم تختلف الأقوال فيه، فإبن كثير يقول: وهذا استثناء منقطع لأن اللمم من صغار الذنوب ومحقرات الأعمال، قال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرازق، أخبرنا معمر، عن ابن طاوس، عن أبيه، عن ابن عباس قال: ما رأيت شيئا أشبه باللمم مما قال أبو هريرة، عن النبي (ص) قال:" إن الله تعالى إذا كتب على ابن آدم حظه من الزنا أدرك ذلك لا محالة، فزنا العين النظر، وزنا اللسان النطق، والنفس تمنى وتشتهي، والفرج يصدق ذلك ويكذبه" (أخرجه في الصحيحين من حديث عبد الرازق). وقال ابن جرير: حدثنا محمد بن عبد الأعلى، أخبرنا ابن ثور، حدثنا معمر، عن الأعمش، عن أبي الضحى أن ابن مسعود قال: زنا العين النظر، وزنا الشفتين التقبيل، وزنا اليدين البطش، وزنا الرجلين المشي، ويصدق ذلك الفرج أو يكذبه، فإن تقدم بفرجه كان زانيا، وإلا فهو اللمم، وكذا قال مسروق الشعبي.
وقال عبد الرحمن بن نافع الذي يقال له ابن لبابة الطائفي، قال: سألت أبا هريرة عن قول الله:" إلا اللمم"، قال: القبلة والنظرة والغمزة والمباشرة، فإذا مس الختان الختان فقد وجب الغسل، وهو الزنا. فهذه أقوال متقاربة في تعريف "اللمم".

وهناك أقوال أخرى: قال علي بن طلحة عن ابن عباس:" إلا اللمم" إلا ما سلف، وكذا قال زيد ابن أسلم. وقال ابن جرير: حدثنا ابن المثنى، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة عن منصور، عن مجاهد، أنه قال في هذه الآية:" إلا اللمم"، قال: الذي يلم بالذنب ثم يدعه. وقال ابن جرير: حدثني سليمان بن عبد الجبار، حدثنا أبو عاصم، حدثنا زكريا عن ابن إسحاق، عن عمرو بن دينار، عن عطاء، عن ابن عباس:" الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم" .. قال: هو الرجل يلم بالفاحشة ثم يتوب، وقال: قال رسول الله (ص): إن تغفر اللهم تغفر جما وأي عبد لك ما ألما؟ وهكذا رواه الترمذي عن أحمد بن عثمان البصري عن أبي عاصم النبيل، ثم قال: هذه حديث صحيح حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث زكريا بن إسحاق، وكذا قال البزار لا نعلمه يروي متصلا إلا من هذا الوجه. وقال ابن جرير: حدثنا محمد بن عبد الله بن يزيع، حدثنا يزيد بن زريع، حدثنا يونس، عن الحسن، عن أبي هريرة (أراه رفعه) في " الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم"، قال: اللمة من الزنا ثم يتوب ولا يعود، واللمة من السرقة ثم يتوب ولا يعود، واللمة من شرب الخمر ثم يتوب ولا يعود، قال: فذلك الإلمام، وروي مثل هذا موقوفا على الحسن. فهذه طائفة أخرى من الأقوال تحدد معنى اللمم تحديدا غير الأول.

والذي نراه أن هذا القول الأخير أكثر تناسبا مع قوله تعالى بعد ذلك:" إن ربك واسعُ المغفرة"، فذكر سعة المغفرة يناسب أن يكون اللمم هو الإتيان بتلك الكبائر والفواحش، ثم التوبة، ويكون الإستثناء غير منقطع، ويكون الذين أحسنوا هم الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش، إلا أن يقعوا في شيء منها ثم يعودوا سريعا ولا يلجوا ولا يصروا، كما قال الله:" والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون" (آل عمران:133-136)، وسمى هؤلاء " المتقين" ووعدهم مغفرة وجنة عرضها السماوات والأرض، فهذا هو الأقرب الى رحمة الله ومغفرته الواسعة. وختم الآية بأن هذا الجزاء بالسوءى وبالحسنى مستند الى علم الله بحقيقة دخائل الناس في أطوارهم كلها. " هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض وإذ أنتم أجنة في بطون أمهاتكم".

فهو العلم السابق على ظاهر أعمالهم، العلم المتعلق بحقيقتهم الثابتة، التي لا يعلمونها هم، ولا يعرفها إلا الذي خلقهم، علم كان وهو ينشئ أصلهم من الأرض وهم بعد في عالم الغيب، وكان وهم أجنة في بطون أمهاتهم لم يروا النور بعد، علم بالحقيقة قبل الظاهر، وبالطبيعة قبل العمل.

هذا ما قاله المفسرون في تفسير اللمم. (عن موقع شفاف)

94 - وحي الشيطان

البحث الدقيق في قصة الغرانيق

روايات القصة

أورد الشيخ الألباني العديد من الروايات وبين ضعف كل منها - في رأيه - ووصل في النهاية الى أن القصة لا تصح عن نبي الإسلام نقلا (1). وسوف أتناول في هذا الفصل بعض الروايات التي تطرق لها الشيخ وكذلك بعض ما أشار إليه السيوطي في الدر المنثور (2).

1 - عن سعيد بن جبير عن ابن عباس:

أ - الرواية:

{ ثم وقفت على إسناد ابن مردويه ومتنه، بواسطة الضياء المقدسي في "المختار" (1/235/60) بسنده عنه قال: حدثني إبراهيم بن محمد: حدثني أبو بكر محمد بن علي المقري البغدادي، ثنا جعفر بن محمد الطيالسي، ثنا إبراهيم بن محمد بن عَرعرة، ثنا أبو عاصم النبيل، ثنا عثمان بن الأسود، عن سعيد ابن جبير، عن ابن عباس: أن رسول الله (ص) قرأ (أفرايتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى (النجم)، تلك الغرانيق العلى، وشعاعتهن ترتجى"، ففرح المشركون بذلك، وقالوا: قد ذكر آلهتنا فجاءه جبريل، فقال: إقرأ علي ما جئتك به، قال: فقرأ (أفرايتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى) (النجم)، تلك الغرانيق العلى، وشفاعتهن ترتجى، فقال: ما أتيتك بهذا، هذا عن الشيطان، أو قال: هذا من الشيطان، لم آتك بها! فأنزل الله (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا اتمنى ألقى الشيطان في أمنيته) الى آخر الأية} (3).

ب - قول الألباني في السند:

وهذا إسناد رجاله كلهم ثقات وكلهم من رجال " التهذيب" إلا من دون ابن عرعرة، ليس فيهم من ينبغي النظر فيه غير أبي بكر محمد بن علي المقري البغدادي، وقد أورده الخطيب في " تاريخ بغداد" فقال (68/3-69):" محمد بن علي بن الحسن أبو بكرالمقريء، حدث عن محمود ابن خداش ، ومحمد بن عمرو، وابن أبي مذعور. روى عنه أحمد بن كامل القاضي، ومحمد بن أحمد بن يحي العطشي" ثم ساق له حديثا واحدا وقع فيه مكنا بـ (أبي حرب)، فلا أدري أهي كنية أخرى له، أم تحرفت على الناسخ أو الطابع، ثم حكى الخطيب عن العطشي أنه قال "توفي سنة ثلاثمائة"، ولم يذكر فيه جرحا ولا تعديلا، فهو مجهول الحال، وهو علة هذا الإسناد الموصول، وهو غير أبي بكر محمد بن إبراهيم بن علي بن عاصم الأصبهاني المشهور بابن المقريء، الحافظ الثقة، فإنه متأخر عن هذا نحو قرن من الزمان، وهو من شيوخ ابن مردويه مات سنة (381) إحدى وثمانين وثلاثمائة، ووقع في " التذكرة" (172/3) " ومائتين" وهو خطأ. فثبت مما تقدم صواب ما كنا جزمنا به قبل الإطلاع على أسناد ابن مردوية " أن العلة فيه فيمن دون أبي عاصم النبيل"، وازددنا تأكدا من أن الصواب عن عثمان بن الأسود إنما هو عن سعيد بن جبير مرسلا كما رواه الواحدي، خلافا لرواية ابن مردويه عنه.} (4).

وها هو حديث أبي حرب كما أورده الخطيب البغدادي: { أخبرنا بن أبي جعفر القطيعي حدثنا أبو علي محمد بن يحيى العطشي حدثنا أبو حرب محمد بن علي بن الحسن المقرئ حدثنا محمد بن سليمان أبو عبد الله بن أبي مذعور حدثنا المعتمر بن سليمان قال سمعت حميدا ذكر عن أنس بن مالك قال كان النبي (ص) إذا سلم قال سلام عليكم.} (5).

ت - التحقيق:

أَعَلَّ الألباني الحديث بأبي حرب محمد بن علي بن الحسن المقرئ كما تقدم وقد جانبه الصواب في ذلك للأسباب الآتية:

- شك الألباني نفسه أنه ليس هو المقصود لأنه لم يُذكر بكنيته (أبي حرب).
- ما ذهب إليه الألباني يُخالف ما قرره السيوطي من أن السند رجاله ثقات: { وأخرج البزار والطبراني وابن مردويه والضياء في المختارة بسند رجاله ثقات من طريق سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: إن رسول الله (ص) قرأ (أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى) تلك الغرانيق العلى، وإن شفاعتهن لترتجى ففرح المشركون بذلك، وقالوا: قد ذكر آلهتنا فجاءه جبريل فقال: إقرأ علي ما جئتك به، فقرأ (أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى) تلك الغرانيق العلى وإن شفاعتهن لترتجى. فقال: ما أتيتك بهذا! هذا من الشيطان. فأنزل الله (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى) الى آخر الآية.} (6).
- وعلى ذلك فنسبة الرواية الى ثقة باسم محمد بن علي المقرئ البغدادي وبكنية أبي بكر هي الأقرب للصواب.
- وهذه هي الحقيقة ففي تاريخ بغداد يقول الخطيب: { محمد بن علي بن الهيثم أبو بكر البزاز المقرئ يعرف بابن علون. سمع الحارث بن أبي إمامة ومحمد بن أحمد بن البراء ومحمد بن غالب التمتام وأحمد بن علي الحراز والعمساس بن محمد المعروف بديس المعدل وأحمد بن إبراهيم بن ملحان وأبو بكر بن أبي الدنيا وعلي بن محمد بن أبي الشوارب وأبا العباس الكديمي. حدثنا عنه أبو الحسن بن رزقويه وإبراهيم بن مخلد أبو جعفر والقاضي أبو القاسم عبد الواحد بن محمد بن أبي عمرو وعلي بن أحمد بن عمر المقرئ وأحمد بن

علي البادا وأبو علي بن شاذان. أخبرنا إبراهيم بن مخلد حدثنا أبو بكر محمد بن علي بن الهيثم المقرئ إملاء حدثنا محمد بن أحمد بن البراء حدثنا معافي بن سليمان حدثنا زهير حدثنا أبو إسحاق حدثني مجاهد قال سمعت أبا هريرة يقول نهانا رسول الله (ص) أن ننتبذ في المزفت والدباء قال أبو إسحاق وهو القرع. حدثت عن أبي الحسن بن الفرات أن مولد أبي بكر بن علون في المحرم من سنة ستين ومائتين. أخبرنا الحسن بن أبي بكر قال توفي أبو بكر بن علون المقرئ في سنة خمسين وثلاثمائة وكان شيخا صالحا ثقة. ذكر بن أبي الفوارس أن وفاته كانت في يوم الأحد لعشر بغين من جمادي الأولى.} (7).

- لاحظ أن الخطيب يورد عنه الحديث بكنيته: أبي بكر، كما في إسناد ابن مردويه. كما أن هذا الرجل ثقة بما يوافق أيضا تحقيق السيوطي للسند.
- وقد يعترض أحدهم بأن هذا الثقة لم يسمع من جعفر بن محمد الطيالسي (متوفي 282) (8) نظرا لأن ولادته في عام 260. ودحض هذا الإعتراض يسير فكم من حافظ بدأ سماعه وهو دون الثامنة عشر من عمره. يقول الإمام الذهبي عن المحدث المتقن أبي بكر الشافعي: { مَولِدُهُ بحبل في سنة ستين ومائتين عام مولد الطبراني. وأول سماعه في سنة ست وسبعين ومائتين.} (9). أي أن بدء سماعه للحديث كان في عمر يناهز ستة عشر عاما.

ث - النتيجة:

سند الحديث كل رجاله ثقات كما ذكر السيوطي. وكان ابن حجر يشير الى هذه الرواية عندما قال: { ورواه الطبري من طريق سعيد بن جبير مرسلا، وأخرجه ابن مردويه من طريق أبي عاصم النبيل، عن عثمان بن الأسود، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس نحوه، ولم يشك في وصله، وهذا أصح طرق الحديث. قال البزار....} (10).

2 - سعيد بن جبير لا أعلمه إلا عن ابن عباس:

أ - طرق الرواية:

- في معجم الطبراني الكبير: { حدثنا الحسين بن إسحاق التستري وعبدان بن أحمد قالا ثنا يوسف بن حماد المعنى ثنا أمية بن خالد ثنا شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير لا أعلمه إلا عن بن عباس أن رسول الله (ص) قرأ النجم فلما بلغ أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ألقى الشيطان على لسانه تلك الغرانيق العلى وشفاعتهم ترتجى فلما بلغ آخرها سجد وسجد المسلمون والمشركون فأنزل الله عز وجل وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إذا تمنى ألقى الشيطان الى قوله عذاب يوم عقيم يوم بدر} (11).
- وفي الأحاديث المختارة: { وأخبرنا أبو جعفر محمد بن أحمد الصيدلاني أن فاطمة بنت عبد الله أخبرتهم ابنا محمد بن عبد الله ابنا سليمان بن أحمد الطبراني ثنا الحسين بن إسحاق التستري وعبدان بن أحمد قالا ثنا يوسف بن حماد المعني ثنا أمية بن خالد ثنا شعبة عن أبي بشر عن سعيد ب جبير لا أعلمه إلا عن ابن عباس (أن رسول الله (ص) قرأ (النجم) فلما بلغ: (أفرأيتم اللآت والعزى ومناة الثالثة الأخرى) ألقى الشيطان على لسانه: تلك الغرانيق العلى وشفاعتهن ترتجى فلما بلغ آخرها سجد وسجد المسلمون والمشركون فأنزل الله عز وجل: (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان) الى قوله (عذاب يوم عقيم) في رواية ابن مردويه وشفاعتها ترتجى وفي آخر قال يوم بدر والباقي سواء -وبه أخبرنا أحمد بن مردويه ثنا محمد بن أحمد بن إبراهيم ثنا أحمد بن محمد بن عاصم ثنا يوسف بن حماد ثنا أمية بن خالد ثنا شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير لا أعلمه إلا عن ابن عباس} (12).
- وفي مسند البزار: { رواه البزار في " مسنده" عن يوسف بن حماد عن أمية بن خالد، عن شعبة، عن أبي بشر، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس - فيما أحسبه، الشك في الحديث - أن النبي (ص) قرأ بمكة سورة (النجم) حتى انتهى الى قوله: (أفرأيتم اللات والعزى) (النجم:19)، وذكر بقيته، ثم قال البزار:" لا نعلمه يروي متصلا إلا بهذا الإسناد، تفرد بوصله أمية ابن خالد وهو ثقة مشهور، وإنما يروي هذا من طريق الكلبي عن أبي صالح، عن ابن عباس" كذا في " تفسير ابن كثير" (129/3).} (13).

ب - قول الألباني في السند:

{ ومحل الإيهام هو قوله:" بسند رجاله ثقات" بالإضافة الى أنه أخرجه الضياء في " المختارة " فإن ذلك يوهم أنه ليس بمعلول، وهذا خلاف الواقع، فإنه معلول بتردد الراوي في وصله كما نقلناه عن تفسير ابن كثير" وكذلك هو في " تخريج الكشاف" - وغيره.} (14).

ت - التحقيق:

- التبس على الألباني مقصد كل من السيوطي وابن حجر في كلامهما عن الرواية الموصولة بغير شك. فقد عني كلاهما الرواية الأولى التي أثبتنا صحتها في حين حمل الألباني كلامهما على الرواية الثانية. وما كان لأي منهما أن يخطئ هذا الخطأ الفادح في تصحيح حديث مشكوك في وصله، بل أن الحافظ ابن حجر قال: { ... وأخرجه ابن مردوية من طريق أبي عاصم النبيل، عن عثمان بن الأسود، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس نحوه، ولم يشك في وصله، وهذا أصح طرق الحديث.} (15).

- أما عن الشك الواقع في الحديث، فلا ينتج عنه تضعيف الحديث بالكلية. بل يصح هذا الحديث ويرتفع منه الشك بوروده موصولا في رواية أخرى. وقد أثبتنا صحة الرواية الأولى الموصولة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ولذلك يرتفع الشك عن هذه الرواية.
- ونحن لا نبتدع شيئا فيما نقول، فالإمام البخاري يصحح أحاديث مشكوك في وصلها ويخرجها على شرطه:

1 - { وقال إسماعيل أخبرني عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة لا أعلمُهُ إلا عن أنس رضي الله عنه قال لما نزلت لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون جاء أبو طلحة الى رسول الله (ص) فقال يا رسول الله يقول الله تبارك وتعالى في كتابه لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وإن أحب أموالي اليَّ بيرُحاء قال وكانت حديقة كان رسول الله (ص) يدخلها ويستظل بها ويشربُ من مائها فهي الى الله عز وجل والى رسوله أرجو برهُ ودُخرهُ فضعها أي رسول الله حيث أراك الله فقال رسول الله(ص) بخ يا أبا طلحة ذلك مالٌ رايحٌ قبلناهُ منك ورددناهُ عليك فاجعلهُ في الأقربين فتصدق به أبو طلحة على ذوي رحمهِ قال وكان منهم أبي وحسان قال وباع حسان حصتهُ منهُ من معاوية فقيل له تبيع صدقة أبي طلحة فقال ألا أبيع صاعا من تمر بصاع من دراهم وقال وكانت تلك الحديقة في موضع قصر بني حُديلة الذي بناه معاوية.} (16).

2 - { حدثنا عمرو بن علي قال حدثني أبو قتيبة قال حدثنا علي بن المبارك عن يحيى بن أبي كثير عن عبد الله بن أبي قتادة لا أعلمُهُ إلا عن أبيه عن النبي (ص) قال لا تقوموا حتى تروني وعليكم السكينة} (17).

3 - { حدثنا عبد الله بن مسلمة عن مالك عن أبي حازم عن سهل بن سعد قال كان الناس يؤمرون أن يضع الرجل اليد اليمنى على ذراعه اليسرى في الصلاة قال أبو حازم لا أعلمُهُ إلا ينمي ذلك الى النبي (ص) قال إسماعيل يُنمَى ذلك ولم يقل يَنمِي.} (18).

- ها هي أحاديث صحيحة على شرط البخاري على ما فيها من الشك. وإن قال أحدهم أن هناك روايات أخرى موصولة، قلت: كان الأقرب هو أن يورد البخاري الرواية الموصولة بدون شك ويخرجها في صحيحه. أما والحال كذلك، فهذا يؤيد ما ذهبنا إليه من أن الشك يزول بوجود رواية أخرى موصولة ويصير الحديث صحيحا.

ث - **النتيجة:**

الروايات كلها صحيحة على ما فيها من شك بورودها موصولة كما في الرواية الأولى.

3 - مراسيل سعيد بن جبير:

أ - **طرق الرواية:**

- في الدر المنثور: { وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردوية بسند صحيح، عن سعيد بن جبير قال: قرأ رسول الله (ص) بمكة النجم، فلما بلغ هذا الموضع (أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى) ألقى الشيطان على لسانه تلك الغرانيق العلى وإن شفاعتهن لترتجى. قالوا: ما ذكر آلهتنا بخير قبل اليوم، فسجد وسجدوا، ثم جاءه جبريل بعد ذلك قال: أعرض علي ما جئتك به. فلما بلغ: تلك الغرانيق العلى وإن شفاعتهن لترتجى. قال له جبريل: لم آتك بهذا؛ هذا من الشيطان فأنزل الله (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي.)} (19).
- في تفسير الطبري: { حدثنا ابن بشار، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، عن أبي بشر، عن سعيد بن جبير، قال: لما نزلت هذه الآية (أفرأيتم اللات والعزى) (النجم: 19) قرأها رسول الله (ص) ، فقال: " تلك الغرانيق العلى، وإن شفاعتهن لترتجى". فسجد رسول الله (ص) فقال المشركون: أنه لم يذكر آلهتكم قبل اليوم بخير! فسجد المشركون معه، فأنزل الله: (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته)... الى قوله: (عذاب يوم عقيم) حدثنا ابن المثنى، قال: ثنى عبد الصمد، قال: ثنا شعبه، قال: ثنا أبو بشر، عن سعيد بن جبير قال: لما نزلت: (أفرأيتم اللات والعزى)، ثم ذكر نحوه.} (20).
- في أسباب النزول للواحدي: { أخبرنا أبو بكر الحارثي قال: أخبرنا أبو بكر محمد بن حيان قال: أخبرنا أبو يحيى الرازي قال أخبرنا سهل العسكري قال: أخبرني يحيى عن عثمان بن الأسود، عن سعيد بن جبير قال: قرأ رسول الله : (أفرءيتم اللات والعزى (19) ومناة الثالثة الأخرى (20)) (النجم)، فألقى الشيطان على لسانه:" تلك الغرانيق العلى وشفاعتهن ترتجى" ففرح بذلك المشركون، وقالوا: قد ذكر آلهتنا، فجاء جبريل عليهالسلام الى رسول الله وقال: اعرض عليّ الكلام الله، فلما عرض عليه، قال: أما هذا فلم آتك به، هذا من الشيطان، فأنزل الله تعالى: (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي) الآية: (الحج: 52)} (21).

ب - **قول الألباني في السند:**

- { أخرجه ابن جرير (120/17) من طريقين عن شعبة عن أبي بشر عنه، وهو صحيح الإسناد الى ابن جبير، كما قال الحافظ على ما يأتي عنه، وتبعه السيوطي في " الدر المنثور" (366/4)، وعزاه لإبن المنذر أيضا وابن مردويه بعد ما ساقه نحوه بلفظ:" ألقى الشيطان على لسانه: تلك الغرانيق العلى" الحديث...} (22).

ت - التحقيق:

أقر الألباني بصحة إسناد الحديث الى سعيد ابن جبير من أكثر من طريق، إلا أنه أنكر اعتضاد المراسيل ببعضها البعض. وسوف أؤجل مناقشة هذه النقطة حتى أنتهي من عرض المراسيل الصحيحة كلها.

ث - النتيجة:

الحديث صحيح الإسناد الى سعيد بن جبير. { وقال بن أبي خيثمة رأيت في كتاب علي يعني بن المديني قال يحيى بن سعيد مرسلات سعيد بن جبير أحب اليّ من مرسلات عطاء ومجاهد.} (23).

4 - مراسيل أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث:

أ - الرواية:

- في الدر المنثور: { وأخرج عبد بن حميد وابن جرير من طريق يونس، عن ابن شهاب حدثني أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث: أن رسول الله (ص) وهو بمكة قرأ سورة النجم، فلما بلغ (أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الإخرى) قال: إن شفاعتهن ترتجى، وسها رسول الله (ص) ـ ففرح المشركون بذلك فقال:" إلا إنما كان ذلك من الشيطان" فأنزل الله (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته) حتى بلغ (عذاب يوم عقيم) مرسل صحيح الإسناد.} (24).
- في تفسير الطبري: { حدثنا يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرني يونس، عن ابن شهاب، أنه سئل عن قوله: (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي) ... الآية، قال ابن شهاب: ثني أبو بكر بن عبد الرحمن الحارث: أن رسول الله (ص) وهو بمكة قرأ عليهم: (والنجم إذا هوى)، (النجم: 1) فلما بلغ: (أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى) قال:" إن شفاعتهن ترتجى". وسها رسول الله. فلقيه المشركون الذين في قلوبهم مرض، فسلموا عليه، وفرحوا بذلك، فال لهم:" إنما ذلك من الشيطان". فأنزل الله: (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي)... حتى بلغ: (فينسخ الله ما يلقي الشيطان.)} (25).

ب - قول الألباني في السند:

{ رواه ابن جرير (121/17) وإسناده الى أبي بكر بن عبد الرحمن صحيح، كما قال السيوطي تبعا للحافظ، لكن علته أنه مرسل.} (26).

ث - النتيجة:

الحديث صحيح الإسناد الى أبي بكر بن عبد الرحمن.

5 - مراسيل أبي العالية:

أ - طرق الرواية:

- في الدر المنثور: { وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم بسند صحيح، عن أبي العالية قال: قال المشركون لرسول الله (ص) ـ" لو ذكرت آلهتنا في قولك قعدنا معك، فإنه ليس معك إلا أراذل الناس وضعفاؤهم، فكانوا إذا رأونا عندك تحدث الناس بذلك فأتوك. فقام يصلي فقرأ (والنجم) حتى بلغ (أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى) تلك الغرانيق العلى وشفاعتهن ترتجى ومثلهن لا ينسى، فلما فرغ من ختم السورة سجد وسجد المسلمون والمشركون. فبلغ الحبشة: إن الناس قد أسلموا، فشق ذلك على النبي ـ فأنزل الله (وما أرسلنا من قبلك) الى قوله (عذاب يوم عقيم.)} (27).
- في تفسير الطبري: { حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا المعتمر، قال: سمعت داود، عن أبي العالية، قال: قالت قريش لرسول الله (ص): إنما جلساؤك عبد بني فلان ومولى بني فلان، فلو ذكرت آلهتنا بشيء جالسناك، فإنه يأتيك أشراف العرب فإذا رأو جلساءك أشراف قومك كان أرغب لهم فيك! قال: فألقي الشيطان في أمنيته، فنزلت هذه الآية: (أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى) (النجم: 19ـ20) قال: فأجرى الشيطان على لسانه." تلك الغرانيق العلى، وشفاعتهن ترجى، مثلهن لا ينسى". قال: فسجد النبي حين قرأها، وسجد معه المسلمون والمشركون. فلما علم الذي أجرى على لسانه، كبر ذلك عليه، فأنزل الله (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقي الشيطان في أمنيته) ... الى قوله: (والله عليم حكيم.) حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا أبو الوليد، قال: ثنا حماد بن سلمة، عن داود بن أبي هند، عن أبي العالية قال: قالت قريش: يا محمد إنما يجالسك الفقراء والمساكين وضعفاء الناس، فلو ذكرت آلهتنا بخير لجالسناك فإن الناس يأتونك من الآفاق! فقرآ رسول الله (ص) النجم؛ فلما انتهى على هذه الآية (أفرأيتم اللات والعزى ومناه الثالثة الأخرى) (النجم: 19-20) فألقي الشيطان على لسانه:" وهي الغرانقة العلى، وشفاعتهن ترتجى". فلما بلغ منها سجد رسول الله وسجد المسلمون والمشركون، إلا أبا أحيحة سعيد بن العاص، أخذ كفا من تراب وسجد عليه؛ وقال: قد أن لإبن أبي كبشة أن يذكر آلهتنا بخير حتى بلغ الذين بالحبشة من أصحاب رسول ا لله من المسلمين أن قريشا قد أسلمت، فاشتد على رسول الله ما ألقي الشيطان على لسانه، فأنزل الله: (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي)... الى آخر الآية} (28).

ب - قول الألباني في السند:

{ أخرجه الطبري (120/17) من طريقين عن داود بن أبي هند عنه، وإسناده صحيح الى أبي العالية، لكن علته الإرسال، وكذلك رواه ابن المنذر، وابن أبي حاتم.} (29).

ت - النتيجة:

الحديث صحيح الإسناد الى أب العالية.

6 - مرسل محمد بن كعب القرظي ومحمد بن قيس:

أ - طرق الرواية:

- {حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا حجاج، عن أبي معشر، عن محمد بن كعب القرظي ومحمد بن قيس قالا: جلس رسول الله (ص) في ناد من أندية قريش كثير أهله، فتمنى يومئذ أن لا يأتيه من الله شيء فينفروا عنه، فأنزل الله عليه: (والنجم إذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى) (النجم: 1-2) فقرأها رسول الله (ص) ، حتى إذا بلغ: (أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى) (النجم: 19-20) ألقى عليه الشيطان كلمتين:" تلك الغرانيق العلى، وإن شفاعتهن لترجى"، فتكلم بها. ثم مضى فقرأ السورة كلها. فسجد في آخر السورة، وسجد القوم جميعا معه، ورفع الوليد بن المغيرة ترابا الى جبهته فسجد عليه، وكان شيخا كبيرا لا يقدر على السجود. فرضوا بما تكلم به وقالوا: قد عرفنا أن الله يحيي ويميت وهو الذي يخلق ويرزق، ولكن آلهتنا هذه تشفع لنا عنده، إذ جعلت لها نصيبا، فنحن معك! قالا: فلما أمسى أتاه جبرائيل عليهما السلام فعرض عليه السورة؛ فلما بلغ الكلمتين اللتين ألقى الشيطان عليه قال: ما جئتك بهاتين! فقال رسول الله (ص):" إفتريت على الله وقلت على الله ما لم يقل" فأوحى الله إليه: (وإن كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا إليك، لتفتري علينا غيره) ... (الإسراء: 73) الى قوله: (ثم لا تجد لك علينا نصيرا). (الإسراء: 75) فما زال مغموما مهموما حتى نزلت عليه: (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقي الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم). قال: فسمع من كان من المهاجرين بأرض الحبشة أن أهل مكة قد أسلموا كلهم، فرجعوا الى عشائرهم وقالوا: هم أحب إلينا! فوجدوا القوم قد ارتكسوا حين نسخ الله ما ألقى الشيطان.} (30).
- {حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن يزيد بن زياد المدني، عن محمد بن كعب القرظي قال: لما رأى رسول الله (ص) تولي قومه عنه، وشق عليه ما يرى من مباعدتهم ما جاءهم به من عند الله، تمنى في نفسه أن يأتيه من الله ما يقارب به بينه وبين قومه. وكان يسره، مع حبه وحرصه عليهم، أن يلين له بعض ما غلظ عليه من أمرهم، حين حدث بذلك نفسه وتمنى وأحبه، فأنزل الله: (والنجم إذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى) (النجم:1-2) فلما انتهى الى قول الله: (أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى) (النجم: 19-20) ألقى الشيطان على لسانه، لما كان يحدث به نفسه ويتمنى أن يأتي به قومه:" تلك الغرانيق العلى، وإن شفاعتهن ترتضى". فلما سمعت قريش ذلك فرحوا وسرهم، وأعجبهم ما ذكر به آلهتهم، فأصاخوا له، والمؤمنون مصدقون نبيهم فيما جاءهم به عن ربهم، ولا يتهمونه على خلط ولا وهم ولا زلل. فلما انتهى الى السجدة منها وختم السورة، سجد فيها. فسجد المسلمون بسجود نبيهم، تصديقا لما جاء به واتباعا لأمره، وسجد من في المسجد من المشركين من قريش وغيرهم لما سمعوا من ذكر آلهتهم، فلم يبق في المسجد مؤمن ولا كافر إلا سجد إلا الوليد بن المغيرة، فإنه كان شيخا كبيرا فلم يستطع، فأخذ بيده حفنة من البطحاء فسجد عليها. ثم تفرق الناس من المسجد، وخرجت قريش وقد سرهم ما سمعوا من ذكر آلهتهم، يقولون: قد ذكر محمد آلهتنا بأحسن الذكر، وقد زعم فيما يتلو أنها الغرانيق العلي وأن شفاعتهن ترتضى! وبلغت السجدة من بأرض الحبشة من أصحاب رسول الله (ص) ، وقيل: أسلمت قريش فنهضت منهم رجال، وتخلف آخرون. وأتى جبرائيل النبي (ص) ، فقال: يا محمد ماذا صنعت؟ لقد تلوت على الناس ما لم آتك به عن الله، وقلت ما لم يقل لك! فحزن رسول الله (ص) عند ذلك، وخاف من الله خوفا كبيرا، فأنزل الله تبارك وتعالى عليه - وكان به رحيما - يعزيه ويخفض عليه الأمر ومخبره أنه لم يكن قبله رسول ولا نبي تمنى كما تمنى ولا أحب كما أحب إلا الشيطان قد ألقي في أمنيته كما ألقى على لسانه (ص) ، فنسخ الله ما ألقي الشيطان وأحكم آياته، أي فأنت كبعض الأنبياء والرسل؛ فأنزل الله: (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقي الشيطان في أمنيته) ... الآية. فأذهب الله عن نبيه الحزن، وأمنه من الذي كان يخاف، ونسخ ما ألقى الشيطان على لسانه من ذكر آلهتهم أنها الغرانيق العلى وأن شفاعتهن ترتضى. يقول الله حين ذكر اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى، الى قوله: (وكم من ملك في السماوات لا تغني شفاعتهم شيئا إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى) أي فكيف تمنع شفاعة آلهتكم عنده. فلما جاءه من الله ما نسخ ما كان الشيطان ألقي على لسان نبيه، قالت قريش: ندم محمد على ما كان من منزلة آلهتكم عند الله، فغير ذلك وجاء بغيره! وكان ذلك الحرفان اللذان ألقي الشيطان على لسان رسوله قد وقعا في فم كل مشرك، فأزدادوا شرا الى ما كانوا عليه.} (31).

ب - قول الألباني في السند:

- في الطريق الأول: { أخرجه ابن جرير (119/17) عن طريق أبي معشر عنهما، وأبو معشر ضعيف، كما قال الحافظ في " التقريب" و اسمه نجيح بن عبد الرحمن السندي.} (32)..

ت - التحقيق:

- الطريق الأول: ما ذكره الألباني عن أبي معشر صحيح، إلا أنه تجاهل أمرا هاما وهو أن المحققين لم يضعفوا مطلقا بل إن روايته عن محمد بن كعب القرظي ومحمد بن قيس، صحيحة: { وروى: أحمد بن أبي يحيى، عن أحمد بن حنبل، قال: يُكتبُ من حديث أبي معشر أحاديثه عن محمد بن كعب في التفسير .. وروى: مُحمدُ بن عثمان بن أبي شيبة، عن ابن المديني: شيخ، ضعيف، ضعيف، وكان يُحدث عن محمد بن قيس، ويُحدث عن محمد بن كعب بأحاديث صالحة، وكان يُحدث عن نافع والمقبري بأحاديث منكرة. وقال الفلاسُ: ضعيف، فما روى عن: محمد بن قيس، ومحمد بن كعب، ومشايخه، فهو صالحٌ، وما روى عن: المقبري، ونافع، وهشام بن عروة، وابن المنكدر، رديئة لا تكتبُ} (34) وعلى ذلك فهذا الإسناد صحيح الى محمد بن كعب ومحمد بن قيس.
- الطريق الثاني: ما ذكره الألباني عن ابن اسحق صحيح أيضا، إلا أن روايات ابن اسحق لا ترفض بالكلية، فابن إسحق صدوق في ذاته على ما فيه من تدليس. لذلك فينظر في حديثه، فإن ورد من وجه آخر، تندفع شبهة التدليس حتى ولو لم يصرح بالسماع. وحسبنا أن استشهد به الشيخان في أحاديث عنعن فيها: { روى له: مسلم في المتابعات، واستشهد به: البخاري، وأخرج أرباب السنن له.} (35) وقد يقول قائل: استشهاد الشيخين به في المتابعات ولذلك فأحاديثه تلك ليست على شرطهما. قلت: وهذا عين ما فعلناه، فالحديث ثابت بالرواية الأولى ويعتضد بما جاء عن ابن اسحق في الرواية الثانية كمتابعة.

ث - النتيجة:

الحديث مرسل صحيح الإسناد الى محمد بن كعب القرظي ومحمد بن قيس في الطريق الأول وبمتابعة ابن إسحق في الطريق الثاني.

7 - مرسل قتادة:

أ - طرق الرواية:

- { حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة: أن النبي (ص) كان يتمنى أن لا يعيب الله آلهة المشركين، فألقى الشيطان في أمنيته، فقال: (إن الآلهة التي تدعي أن شفاعتها لترتجى وإنها للغرانيق العُلى). فنسخ الله ذلك، وأحكم الله آياته: أفرأيتم اللاّت والعزى حتى بلغ: من سلطان، قال قتادة: لما ألقى الشيطان ما ألقى، قال المشركون: قد ذكر الله آلهتهم بخير ففرحوا بذلك، فذكر قوله: ليجعل ما يُلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض. حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، بنحوه.} (36).
- { وأخرج ابن أبي حاتم، عن قتادة قال: بينما رسول الله (ص) يصلي عند المقام إذ نعس، فألقى الشيطان على لسانه كلمة فتكلم بها، وتعلق بها المشركون عليه فقال (أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى) فألقى الشيطان على لسانه، ونعس، وإن شفاعتهم لترتجي وإنها لمع الغرانيق العلى، فحفظها المشركون، وأخبرهم الشيطان: أن نبي الله قد قرأها فذلت بها ألسنتهم، فأنزل الله (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي) فدحر الله الشيطان، ولقن نبيه حجته.} (37).

ب - قول الألباني في السند:

{ أخرجه ابن جرير (122/17) من طريقين عن معمر عنه، وهو صحيح الى قتادة، ولكنه مرسل أو معضل. وقد رواه ابن أبي حاتم كما في " الدر" بلفظ أتم منه ...} (38).

ت - التحقيق:

أقر الألباني بصحة السند الى قتادة ونتفق معه في احتمال إرسال الحديث أو إعضاله (وهو الإحتمال الأقوى). فقتادة ثابت عنه السماع من أنس وابن سرجس: { وقال الحاكم في علوم الحديث لم يسمع قتادة من صحابي غير أنس وقد ذكر بن أبي حاتم عن أحمد بن حنبل مثل ذلك وزاد قيل له فابن سرجس فكأنه لم يره سماعا.} (39)

{ سمعت أبي يقول قتادة عن أبي هُريرة مرسل وقتادة عن عائشة مرسل ولم يلق قتادة من أصحاب النبي إلا أنسا وعبد الله بن سرجس.} (40).

ث - النتيجة:

الحديث صحيح الإسناد الى قتادة.

الحديث المرسل:

- **تنبيه:**

+ ما توصلنا إليه حتى الآن هو:

* وجود حديثين صحيحن عن ابن عباس (الحديثين الأول والثاني).

* وجود عدة مراسيل صحيحة الإسناد الى كل من: سعيد بن جبير وأبي العالية وأبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث ومحمد بن كعب القرظي ومحمد بن قيس وقتادة.

+ أرجو أن يلاحظ القارئ الكريم أن ما وصلنا إليه في بحثنا حتى الآن يهدم كل ما ساقه الشيخ الألباني من حجج (41) في تضعيف الحديث نظرا لأنه افترض عدم وجود أي حديث صحيح، والتفت الى تضعيف المراسيل الصحيحة فقط. أما والحال كما أوضحنا، فالمراسيل الصحيحة كلها تعتضد بالحديثين الأولين الصحيحين وتزول عنها كل شبهة ضعف

+ ومع ذلك فسوف أفترض جدلا صحة ما توصل إليه الألباني من عدم وجود حديث صحيح الإسناد وأناقش ما ذهب إليه من تضعيف المراسيل.

- **<u>حجج الألباني:</u>**

لقد رد الألباني على ابن حجر تصحيحه للقصة بسبب تعدد طرقها واستشهد بغير واحد من أئمة علم الحديث لبيان بطلان ذلك. وسوف أورد فيما يلي ما قاله الألباني موجزا، ثم أرد عليه نقطة نقطة. قال الألباني: والجواب عن ذلك من وجوه:

أولا: أن القاعدة التي أشار إليها، وهي تقوية الحديث بكثرة الطرق ليست على إطلاقها... تصحيح كثير من الأحاديث الضعيفة اغترارا بكثرة طرقها، وذهولا منهم عن كون ضعفها من النوع الذي لا ينجبر الحديث بضعفها، بل لا تزيده إلا وهنا على وهن، ومن هذا القبيل حديث ابن عباس في هذه القصة، فإن طرقه كلها ضعيفة جدا كما تقدم، فلا يتقوى بها أصلا.

الوجه الثاني: وهو يحتوي على تحقيق أمرين أساسيين:

الأول: أن الحديث المُرسل، ولو كان المُرسل ثقة، لا يُحتج به عند أئمة الحديث ...

الأمر الثاني: معرفة سبب عدم احتجاج المحدثين بالمُرسل من الحديث ... قلت: فإذا عُرف أن الحديث المرسل لا يُقبل، وأن السبب هو الجهل بحال المحذوف فيرد عليه أن القول بأنه يقوى بمرسل آخر غير قوي، لإحتمال أن يكون كل من أرسله إنما أخذه عن راو واحد ... وبالجملة فالمانع من الإستدلال بالحديث المرسل الذي تعدد مرسلوه أحد الإحتمالين: الأول: أن يكون مصدر المرسلين واحدا. الثاني: أن يكونوا جمعا، ولكنهم جميعا ضعفاء ضعفا شديدا.} (42).

- **<u>التحقيق:</u>**

+ نتفق مع الألباني في أن قاعدة تقوية الحديث بكثرة الطرق ليست على إطلاقها. أما الخلاف فهو في ادعائه بأن الشك (في الحديث الثاني عن ابن عباس) والجهالة (في الحديث الأول عن ابن عباس) لا ينجبران بتعدد الطرق ويدخلان في نطاق الضعف الشديد الموجب لترك الروايات الموصولة كلها. وهذا ليس صحيحا بحال، فقد ذهب بعض الأئمة الى أن رواية المستور (مجهول الحال) مقبولة لأن الأصل في المسلمين العدالة. أما البعض الآخر ومنهم ابن الصلاح فقد ذكر في مقدمته: { الحديث الحسن قسمان: أحدهما: الحديث الذي لا يخلو رجال إسناده من <u>مستور لم تتحقق أهليته</u>، غير أنه ليس مغفلا كثير الخطأ فيما يرويه، ولا هو متهم بالكذب في الحديث ـ أي لم يظهر منه تعمد الكذب في الحديث ولا سبب آخر مفسق ـ ويكون متن الحديث مع ذلك قد عرف، <u>بأن روى مثله أو نحوه من وجه آخر أو أكثر</u>، حتى اعتضد بمتابعة من تابع راويه على مثله، أو بما له من شاهد، وهو ورود حديث آخر بنحوه، فيخرج بذلك عن أن يكون شاذا ومنكرا، وكلام الترمذي على هذا القسم يتنزل.} (43). فجهالة الحال ليست علة قادحة لا تنجبر. أما الشك فحسبنا ما أوردنا من أدلة من صحيح البخاري في كلامنا عن الرواية الثانية عن ابن عباس. فالشك ليس علة قادحة لا تنجبر. وما نذهب إليه هو أن هذه الروايات لا ترفض بالكلية إلا بعد استعراض جميع طرق الحديث وتحديد إمكانية زوال الضعف من عدمه.

+ ثم قال الألباني أن الحديث المرسل لا يُحتج به عند أئمة الحديث. وهنا يأتي دورنا لنقول: هذا الكلام ليس على إطلاقه. فقد ذكر ابن الصلاح: { ولهذا احتج (الشافعي) رضي الله عنه بمرسلات (سعيد بن المسيب) رضي الله عنهما، فإنها وجدت مسانيد من وجوه آخر، ولا يختص ذلك عنده بإرسال (ابن المسيب)، كما سبق ... والإحتجاج به مذهب (مالك) و (أبي حنيفة) وأصحابهما ـ رحمهم الله ـ في طائفة، والله أعلم} (44). وتفصيل ذلك نورده في الرد على ما ذهب إليه الألباني في نهاية كلامه من تضعيف المرسل ولو تعددت طرقه.

+ ثم شطح الألباني بعيدا فقال: { ... ومع ورود هذه الإحتمالات يسقط الإستدلال بالحديث المرسل وإن تعددت طرقه. <u>وهذا التحقيق مما لم أجد من سبقني إليه</u>، فإن أصبت فمن الله تعالى وله الشكر، وإن أخطأت فمن نفسي، وأستغفر الله من ذنبي. وبالجملة فالمانع من الإستدلال بالحديث المرسل الذي تعدد مرسلوه أحد الإحتمالين: الأول: أن يكون مصدر المرسلين واحدا. الثاني: أن يكونوا جمعا، ولكنهم جميعا ضعفا ضعفا شديدا.} (45) وهذا الكلام لا يوافق ما استقر عليه علم الحديث. فالحديث المرسل فيه المقبول والمرفوض وهذا يتوقف على طرق الحديث كما بين غير واحد من أئمة هذا العلم: فها هو ابن الصلاح يقول أن الحديث المرسل تتبين صحته بوروده من وجه آخر ويصير حجة بذاته لإندفاع شبهة الضعف عنه: { ثم أعلم: أن حكم المرسل حكم الحديث الضعيف، <u>إلا أن يصح مخرجه بمجيئه من وجه آخر</u>، كما سبق بيانه في نوع الحسن. ولهذا احتج (الشافعي) رضي الله عنه بمرسلات (سعيد بن المسيب) رضي الله عنهما، فإنها وجدت مسانيد من وجوه آخر، ولا يختص ذلك عنده بإرسال (ابن المسيب)، كما سبق. <u>ومن أنكر ذلك، زاعما أن الإعتماد حينئذ يقع على المسند دون المرسل، فيقع لغوا لا حاجة إليه، فجوابه: أنه بالمسند تتبين صحة</u>

الإسناد الذي فيه الإرسال، حتى يحكم له مع إرساله بأنه إسناد صحيح تقوم به الحجة، على ما مهدنا سبيله في النوع الثاني. وإنما ينكر هذا من لا مذاق له في هذا الشأن.} (46). ويصرح ابن الصلاح بإندفاع ضعف الحديث المرسل بروايته من وجه آخر: { أنه ليس كل ضعف في الحديث يزول بمجيئه من وجوه، بل ذلك يتفاوت: فمنه ضعف يزيله ذلك، بأن يكون ضعفه ناشئا من ضعف حفظ راويه، مع كونه من أهل الصدق والديانة. فإذا رأينا ما رواه قد جاء من وجه آخر عرفنا أنه مما قد حفظه، ولم يختل فيه ضبطه له. وكذلك إذا كان ضعفه من حيث الإرسال زال بنحو ذلك، كما في المرسل الذي يرسله إمام حافظ، إذ فيه ضعف قليل، يزول بروايته من وجه آخر.} (47) { فإن صح مُخرجُ المرسل بمجيئه من وجه آخر مسندا أو مرسلا أرسلهُ من أخذ عن غير رجال الأول كان صحيحان، ويتبين بذلك صحة المرسل وأنهما صحيحان لو عارضهما صحيح من طريق رجحناهما عليه إذا تعذر الجمعُ، هذا كله في غير مرسل الصحابي، أما مرسلهُ فمحكوم بصحته على المذهب الصحيح. وقيل: إنهُ كمرسل غيره إلا أن يبين الرواية عن صحابي.} (48) فهناك إجماع على أن المرسل يعتضد مثله لتعدد الطرق. وقد خرج الألباني على هذا الإجماع كما صرح بنفسه: { هذا التحقيق مما لم أجد من سبقني إليه} (49).

+ ولهذه الشطحة تداعيات خطيرة لم يفطن إليها الألباني. فلو سلمنا له بأن المرسل لا يعتضد بمرسل بسبب الجهالة بعين المحذوف، فهذا يؤدي بنا الى رفض جُل أحاديث ابن عباس!! ففي كتاب (الإحكام في أصول الأحكام) للآمادي أن ابن عباس لم يسمع من رسول الإسلام سوى أربعة أحاديث وذلك لصغر سنه. وقال ابن القيم في (الوابل الصيب) أن ابن عباس لم يسمع من نبي الإسلام سوى عشرين حديثا. وعن ابن معين والقطان وأبي داود في السنن أن ابن عباس روى تسعة أحاديث. ومع ذلك فقد أسند له الإمام أحمد في مسنده 1696 حديثا!! فإبن عباس عندما يقول: قال النبي، فقد يكون يُحدث عن صحابي أو تابعي وعلى الإحتمال الثاني فقد يكون التابعي ثقة أو غير ثقة. وعلى ذلك وحسب ما ذهب إليه الألباني، يجب التوقف في أحاديث ابن عباس حتى تأتي مسندة من طرق موصولة الى صحابي آخر بخلاف ابن عباس!! وما نقوله عن ابن عباس ينسحب الى كل صحابي سمع التابعين وقال:" قال النبي" دون أن يكون معاينا للحدث بنفسه، للجهالة بعين الراوي المحذوف. والجواب على ذلك هو أن الإحتمال الأقرب من الصحابي هو الإرسال عن نظرائه من الصحابة ولذلك استقر الأئمة على قبول مرسل الصحابي. كما أن الإحتمال الأقرب من التابعي (خاصة إن كان من كبار التابعين) هو الإرسال عن الصحابة. وهناك احتمال ضعيف أن يكون الإرسال عن تابعي مثله، ولذلك اشترط العلماء ورود الحديث من أوجه أخر. فمع تعدد طرق الحديث (دون علة قادحة) لا يُتصور أن تكون كلها عن تابعي واحد أو عن جمع ضعفاء. كما لا يُتصور تواطؤهم كلهم على الكذب، بل الأقرب أن يكون جلها عن صحابي أو أكثر.

+ ثم حاول الألباني التدليل على صحة ما ذهب إليه بأن هؤلاء التابعين أخذوا عن مصدر واحد مجهول العين فقال: { لأنهم من طبقة واحدة: فوفاة سعيد بن جبير سنة } (95) وأبي بكر بن عبد الرحمن سنة (94)، وأبي العالية ـ واسمه رفيع مصغرا ـ سنة (90) وقتادة سنة بضع عشرة ومائة، والأول كوفي، والثاني مدني، والأخيران بصريان. فجائز أن يكون مصدرهم الذي أخذوا منه هذه القصة ورووها عنه، واحدا لا غير، وهو مجهول. وجائز أن يكون جمعا، ولكنهم ضعفاء جميعا، فمع هذه الإحتمالات لا يمكن أن تطمئن النفس لقبول حديثهم هذا، لا سيما في مثل هذا الحدث العظيم الذي يمس المقام الكريم.} (50).

وأضيف على ما ذكر الألباني:

- سعيد بن جبير: من الطبقة الثانية من التابعين وُلد عام 46 وتوفي عام 95. (51).
- أبو العالية: من كبراء التابعين، قيل عنه: { أدرك زمان النبي (ص) وهو شاب، وأسلم في خلافة أبي بكر الصديق، ودخل عليهِ} (52) توفي عام 90.
- محمد بن كعب القرظي: من الطبقة الثانية من التابعين وُلد عام 40 ومات عام 117، (53).
- قتادة: من الطبقة الثالثة من التابعين وُلد عام 61 ومات عام 117. (54).
- أبو بكر بن عبد الرحمن: من الطبقة الثانية من التابعين توفي عام 94

كما قال الألباني: فكما هو واضح أن الرواة ليسوا كلهم من طبقة واحدة. فأبي العالية أدرك زمان نبي الإسلام وهو من كبار التابعين. وبقية الرواة من الطبقة الثانية عدا قتادة كما أسلفنا. وسعيد بن جبير قيل عنه: { وقال بن أبي خيثمة رأيت في كتاب علي يعني بن المديني قال يحيى بن سعيد مرسلات سعيد بن جبير أحب اليّ من مرسلات عطاء ومجاهد} (55) وإجمالا فما ذهب إليه الألباني ينطبق عليه ما قاله ابن حجر: { وجميع ذلك لا يتمشى على القواعد}.

+ والصحيح هو ما ذهب إليه ابن حجر من اعتضاد المراسيل الصحيحة ببعضها وكذلك اعتضاد الروايتين الأوليين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس بمراسي ابن جبير خاصة وبالطرق الأخرى أيضا. وعلى هذا المذهب يكون الحديثين الأولين صحيحين لغيرهما.

الغرانيق في القرآن

ومما يتعجب له المرء تجاهل محققي القصة التام للنص القرآني الذي من المفترض أن توضح القصة سبب نزوله. وها هو النص: { وما أرسلنا من قبلك من رسُول ولا نبي إلا إذا اتمنى ألقى الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما يُلقي الشيطان ثم يحكمُ الله عليم حكيم} (56).

يقول الإمام الطبري شارحا هذه الآية: { فتأويل الكلام إذن: وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تلا كتاب الله، وقرأ، أو حدث وتكلم، أو حدث وتكلم، ألقي الشيطان في كتاب الله الذي تلاه وقرأه أو في حديثه الذي حدث وتكلم.} (57) أي أن الآيات القرآنية تصرح أن الشيطان يعترض الوحي الإلهي ويزيد فيه حتى يتدارك الله ذلك بالنسخ!! وقد ذهب الشيخ ابن باز الى تضعيف القصة من جهة الحديث إلا أنه أردف أنها ثابتة بالآيات القرآنية نفسها: { س: ورد في تفسير الجلالين في سبب نزول الآية (52) من سورة الحج: أن الرسول عليه الصلاة والسلام وهو يقرأ: { أفرأيتمُ اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى } أن الشيطان ألقى على لسانه: تلك الغرانيق العلى، وإن شفاعتهن لترتجى. فهل هناك ما يدل على صحة هذه القصة من أحاديث الرسول(ص) أم هي من الإسرائيليات؟ أفيدونا أفادكم الله. ج: ليس في إلقاء هذه الألفاظ في قراءته حديث صحيح يعتمد عليه فيما أعلم، ولكنها رُويت عن النبي(ص) في أحاديث مرسلة، كما نبه على ذلك الحافظ ابن كثير في تفسير آية الحج، ولكن إلقاء الشيطان في قراءته في آيات النجم وهي قوله: { أفرأيتم اللات والعُزى} الآيات، شيء ثابت بنص الآية في سورة الحج ...} (58).

فالقرآن ذاته يوضح إن تدخل الشيطان في الوحي جائز. بل أنه يقرر أن جميع الرسل والأنبياء من قبل نبي الإسلام قد حدث معهم نفس الأمر. فلم يأت رسول أو نبي من قبل إلا وتدخل الشيطان فيما ينزل عليه من وحي.

خلاصة:

يتضح مما أسلفنا أن نبي الإسلام فعل ما لم يسبقه إليه أي من أنبياء الإله الحي الذين نعرفهم:

1 - جاءه شيطان ولم يستطع التمييز بينه وبين ملاك الرب.
2 - لم يتمكن من منع تدخل الشيطان في الوحي الإلهي.
3 - لم يستطع التمييز بين الوحي الحقيقي والمزيف.
4 - مدح الأوثان بما يتعارض مع الدعوة للإله الحقيقي.

وقد تنبه علماء الإسلام الى ما في إثبات هذه القصة من تدليل على نفي النبوة عن نبي الإسلام ولذلك بذلوا كثير من الجهد لنفي صحتها. ولنأخذ كلام الألباني كمثال: { ثم إن مما يؤكد ضعفها بل بطلانها، ما فيها من الإختلاف والنكارة مما لا يليق بمقام النبوة والرسالة، وإليك البيان:

أولا : في الروايات كلها، أو جُلها، أن الشيطان تكلم على لسان النبي (ص) بتلك الجملة الباطلة التي تمدح أصنام المشركين، " تلك الغرانيق العلى، وإن شفاعتهن لترتجى ..."

ثالثا: وفي بعضها كالرواية (1و4و 7و 9): أن النبي(ص) بقي مدة لا يدري أن ذلك من الشيطان، حتى قال له جبريل:" معاذ الله! لم آتك بهذا، هذا من الشيطان!!"...

سابعا: وفي الرواية (4و 6و 9) أنه صلى الله عليه وسلم قال عندما أنكر جبريل ذلك عليه " أفتريتُ على الله، وقلتُ على الله ما لم يقل، وشركني الشيطان في أمر الله!!"... فهذه طامات يجب تنزيه الرسول منها لا سيما هذا الأخير منها فإنه لو كان صحيحا لصدق فيه، عليه السلام، - وحاشاه - قوله تعالى:" ولو تقول علينا بعض الأقاويل (44) لأخذنا منه باليمين (45) ثم لقطعنا من الوتين (46) [الحاقة]} (59).

ولن أسترسل في عرض تداعيات ثبوت هذه القصة وسوف أترك كلام أئمة الإسلام يحكم على من يثبت عنه مثل هذه القصة وأترك الإستنتاج لفطنة القارئ الكريم:

- أبو بكر بن العربي

+ المقام الأول: أن النبي (ص) إذا أرسل الله إليه الملك بوحيه، فإنه يخلق له العلم به حتى بتحقيق أنه رسول من عنده، ولولا ذلك لما صحت الرسالة، ولا تبينت النبوة، فإذا خلق الله له العلم به تميز عنده من غيره، وثبت اليقين، واستقام سبيل الدين، ولو كان النبي إذا شافهه الملك بالوحي لا يدري، أملك هو، أم شيطان، أم إنسان، أم صورة مخالفة لهذه الأجناس ألقت عليه كلاما وبلغت إليه قولا لم يصح أن يقول: إنه من عند الله، ولا تثبت عندنا أنه أمر الله، فهذه سبيل متيقنة، وحالة متحققة لا بد منها، ولا خلاف في المنقول ولا في المعقول فيها، ولا جاز للشيطان أن يتمثل فيها، أو يتشبه بها ما أمناه على آية، ولا عرفنا منه باطلا من حقيقة، فإرتفع بهذا الفصل اللبس، وصح اليقين في النفس.

+ المقام الثاني: أن الله قد عصم رسوله من الكفر، وأمنه من الشرك، واستقر ذلك من دين المسلمين بإجماعهم فيه وإطباقهم عليه، فمن ادعى أنه يجوز عليه أن يكفر بالله أو يشك فيه طرفة عين، فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه، بل لا تجوز عليه المعاصي في الأفعال، فضلا عن أن ينسب الى الكفر في الإعتقاد، بل هو المنزه عن ذلك فعلا واعتقادا، وقد مهدنا ذلك في كتب الأصول بأوضح دليل ...

+ المقام الثالث: تأملوا فتح الله إغلاق النظر عنكم الى قول الرواة الذين هم بجهلهم أعداء على الإسلام ممن صرح بعداوته أن النبي (ص) لما جلس مع قريش تمنى أن لا ينزل عليه من الله وحي فكيف يجوز لمن معه أدنى مسكة أن يخطر بباله أن النبي (ص) أثر وصل قومه على وصل ربه، وأراد أن لا يقطع أنسه بهم بما ينزل عليه من عند ربه من الوحي الذي كان حياة جسده وقلبه، وأنس وحشته وغاية أمنيته، وكان رسول الله (ص) أجود الناس، فإذا جاءه جبريل، كان أجود بالخير من الريح المرسلة، فيؤثر على هذا مجالسته للأعداء؟!..

+ المقام الرابع: أن قول الشيطان:" تلك الغرانيق العلى، وأن شفاعتهن لترتجي " للنبي (ص) قبله منه، فالتبس عليه الشيطان بالملك، واختلط عليه التوحيد بالكفر، حتى لم يفرق بينهما، وأنا من أدنى المؤمنين منزلة، وأقلهم معرفة بما وفقني الله له، وآتاني من علمه لا يخفى عليّ وعليكم أن هذا كفر لا يجوز وروده من عند الله، ولو قال أحد لكم لتبادر الكل إليه قبل التفكير بالإنكار والردع والتثريب والتشنيع، فضلا عن أن يجهل النبي (ص) حال القول، ويخفي عليه قوله ولا يتفطن لصفة الأصنام بأنها " الغرانيق العلى وأن شفاعتهن ترتجى" وقد علم علما ضروريا أنها جمادات لا تسمع ولا تبصر، ولا تنطق ولا تضر، ولا تنفع ولا تنصر ولا تشفع، بهذا كله كان يأتيه جبريل الصباح والمساء، وعليه انبنى التوحيد ولا يجوز نسخه من جهة المنقول، فكيف يخفي هذا على الرسول؟! ثم لم يكف هذه حتى قالوا: إن جبريل عليه السلام لما عاد إليه بعد ذلك ليعارضه فيما ألقي إليه من الوحي كررها عليه جاهلا بها ـ تعالى الله عن ذلك ـ فحينئذ أنكرها عليه جبريل، وقال له:" ما جئتك بهذا!" فحزن النبي (ص) وأنزل عليه: " وإن كادُوا ليفتنونك عن الذي أوحينا إليك لتفتري علينا غيره" [الإسراء: 73]...} (60).

- **القاضي عياض:**
  - فقد قامت الحُجة، وأجمعت الأمة على عِصمته صلى الله عليه وسلم ونزاهته عن مثل هذه الرذيلة، إما من تمنيه أن ينزل عليه مثل هذا من مدح آلهة غير الله وهو كفر، أو أن يتسور عليه الشيطان ويشبه عليه القرآن حتى يجعل فيه ما ليس منه، ويعتقد النبي أن من القرآن ما ليس منه حتى ينبهه عليه جبريل عليه السلام، وذلك كله ممتنع في حقه (ص) أو يقول ذلك النبي (ص) من قبل نفسه عمدا، وذلك كفر، أو سهو، وهو معصوم من ذلك كله، وقد قررنا بالبراهين والإجماع عصمته صلى الله عليه وسلم من جريان الكفر على قلبه أو لسانه لا عمدا ولا سهوا، وأن يشتبه عليه ما يلقيه الملك بما يلقي الشيطان، أو يكون للشيطان عليه سبيل، أو يتقول على الله لا عمدا ولا سهوا، وأن يشتبه عليه ما يلقيه الملك بما يلقي الشيطان، أو يكون للشيطان عليه سبيل، أو يتقول على الله عمدا ولا سهوا ما لم ينزل عليه، وقد قال تعالى: (ولو تقول علينا بعض الأقاويل) الآية [الحاقة: 44]، وقال (إذا لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات) [الإسراء: 75]
  - إن الشيطان هو الذي ألقى ذلك في سكتة النبي (ص) بين الآيتين، محاكيا نغمة النبي (ص)، وأشاع ذلك المشركون عنه صلى الله عليه وسلم، ولم يقدح ذلك عند المسلمين لحفظه السورة قبل ذلك على ما أنزلها الله، وتحققهم من حال النبي (ص) في ذم الأوثان وعيبها على ما عرف منه، وقد حكى موسى بن عُقبة في مغازيه نحو هذا وقال:" إن المسلمين لم يسمعوها، وإنما ألقى الشيطان ذلك في أسماع المشركين وقلوبهم" ويكون ما روى من حزن النبي لهذه الإشاعة والشبهة وسبب هذه الفتنة} (61).

وسوف أختتم بمناقشة آخر حجة ساقها العلماء في تبرير هذه القصة ألا وهي أن الشيطان هو الذي حاكى صوت نبي الإسلام وليس النبي هو من قال هذا الكلام بلسانه. وهذا تأويل لا يغني ولا يسمن فالمشكلة هي تلاعب الشيطان الوحي الإلهي. فكيف يطمئن المسلمون الى أن ما يسمعونه هو كلام النبي ذاته وليس كلام الشيطان محاكيا صوته؟ ومن أين نأتي بعد ذلك بالمصداقية للوحي الإلهي؟. (عن منتدى الحق والضلال).

الهـوامـش

(1) {تلك هي روايات القصة، وهي كلها كما رأيت مُعلة بالإرسال والضعف والجهالة، فليس فيها ما يصلح للإحتجاج به، لا سيما في مثل هذا الأمر الخطير.} ـ نصب المجانيق ـ للألباني.
(2) تفسير سورة الحج والآية 52 ـ المجلد السادس ـ الدار المنثور في التفسير بالمأثور ـ لجلال الدين السيوطي.
(3) نصب المجانيق ـ للألباني.
(4) المرجع السابق.
(5) الجزء 3 ـ تاريخ بغداد ـ لأبي بكر الخطيب البغدادي.
(6) تفسير سورة الحج والآية 52 ـ المجلد السادس ـ الدار المنثور ـ للسيوطي.
(7) الجزء 3 ـ تاريخ بغداد ـ لأبي بكر الخطيب البغدادي.
(8) الجزؤ 7 ـ تاريخ بغداد ـ لأبي بكر الخطيب البغدادي.
(9) ترجمة مُحَمدُ بنُ عَبدِ اللهِ بن إبراهيمَ بن عَبدُويه أبو بكر البغدادي، الشافعي، البزاز، السفارُ ـ المجلد السادس عشر ـ الطبقة العشرون سير أعلام النبلاء ـ للإمام شمس الدين الذهبي.
(10) نصب المجانيق ـ للألباني.
(11) سعيد بن جبير عن ابن عباس ـ معجم الطبراني الكبير.
(12) الأحاديث المختارة ـ الجزء الستون ـ للضياء المقدسي.
(13) نصب المجانيق ـ للألباني.
(14) المرجع السابق.
(15) نصب المجانيق ـ للألباني.
(16) باب من تصدق الى وكيله ثم رد الوكيل إليه ـ صحيح البخاري.
(17) باب المشي الى الجمعة ـ صحيح البخاري.
(18) باب الخشوع في الصلاة ـ صحيح البخاري.
(19) تفسير سورة الحج والآية 52 ـ المجلد السادس ـ الدر المنثور ـ للسيوطي.
(20) تفسير سورة الحج والآية 52 ـ الجزء 17 ـ جامع البيان في تأويل آي القرآن ـ لإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري.
(21) سورة الحج والآية 52 ـ أسباب النزول ـ لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري.
(22) نصب المجانيق ـ للألباني.
(23) الجزء الرابع ـ تهذيب التهذيب ـ لإبن حجر.
(24) تفسير سورة الحج والآية 52 ـ المجلد السادس ـ الدر المنثور ـ للسيوطي.
(25) تفسير سورة الحج والآية 52 ـ الجزء 17 ـ جامع البيان في تأويل أي القرآن ـ للطبري.
(26) نصب المجانيق ـ للألباني.
(27) تفسير سورة الحج والآية 52 ـ المجلد السادس ـ الدر المنثور ـ للسيوطي.
(28) تفسير سورة الحج والآية 52 ـ الجزء 17 ـ جامع البيان في تأويل آي القرآن ـ للطبري.
(29) نصب المجانيق ـ للألباني.
(30) تفسير سورة الحج والآية 52 ـ الجزء 17 ـ جامع البيان في تأويل آي القرآن ـ للطبري.
(31) تفسير سورة الحج والآية 52 ـ الجزء 17 ـ جامع البيان في تأويل آي القرآن ـ للطبري.
(32) نصب المجانيق ـ للألباني.
(33) المرجع السابق.
(34) ترجمة أبي معشر، نجيحُ بن عبد الرحمن السندي ـ المجلد السابع ـ الطبقة السابعة ـ سير أعلام النبلاء ـ للإمام الذهبي.
(35) ترجمة ابن إسحاق، محمد بن إسحاق بن يسار ـ المجلد السابع ـ الطبقة السادسة ـ المرجع السابق.
راجع أيضا:

* { حدثني محمد بن بشار: حدثنا عبد الوهاب: حدثنا عبيد الله، عن وهب بن كيسان، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: توفي أبي وعليه دين ... وقال ابن إسحاق، عن وهب ...} كتاب الصلح ـ باب الصلح بين الغرماء وأصحاب الميراث والمجازفة في ذلك ـ صحيح البخاري.
* { حدثني محمود: حدثنا عبيد الله، عن إسرائيل، عن منصور، عن إبراهيم، عن علقمة، عن عبد الله رضي الله عنه قال: كنا مع رسول الله، وأنزلت عليه: (والمرسلات) ... وقال ابن إسحاق، عن عبد الرحمن بن الأسود، عن أبيه، عن عبد الله.} باب تفسير سورة (المرسلات) ـ صحيح البخاري.
* { حدثنا عبد العزيز بن عبد الله قال: حدثنا إبراهيم بن سعد، عن أبيه، عن حفص بن عاصم، عن عبد الله بن مالك ابن بحينة قال: مر النبي (ص) برجل ... وقال له رسول الله(ص): (الصبح أربعا، الصبح أربعا) ... وقال ابن إسحق، عن سعد، عن حفص، عن عبد الله بن بحينة ...} ـ كتاب الجماعة والإمامة ـ باب: إذا أقيمت الصلاة فلا صلاة إلا المكتوبة ـ صحيح البخاري.

(36) تفسير سورة الحج والآية 52 ـ الجزء 17 ـ جامع البيان في تأويل آي القرآن ـ للطبري.
(37) تفسير سورة الحج والآية 52 ـ المجلد السادس ـ الدر المنثور ـ للسيوطي.
(38) نصب المجانيق ـ للألباني.
(39) ترجمة قتادة ـ الجزء الثامن ـ تهذيب التهذيب ـ لإبن حجر.
(40) الجزء الأول ـ صفحة 175 ـ المراسيل ـ لإبن أبي حاتم.
(41) {إننا لو ألقينا النظر على روايات هذه القصة، لألفيناها كلها مرسلة، حاشا حديث ابن عباس، ولكن طرقه كلها واهية شديدة الضعف لا تنجبر بها تلك المراسيل، فيبقى النظر في هذه المراسيل ...} ـ نصف المجانيق ـ للألباني.
(42) المرجع السابق.
(43) معرفة الحسن من الحديث ـ مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث.
(44) معرفة الخمرسل ـ المرجع السابق.
(45) نصب المجانيق ـ للألباني.
(46) معرفة المرسل ـ مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث.
(47) معرفة الحسن من الحديث ـ مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث.
(48) تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي ـ للسيوطي.
(49) نصب المجانيق ـ للألباني.
(50) نصب المجانيق ـ للألباني.
(51) الجزء الرابع ـ تهذيب التهذيب ـ لإبن حجر.
(52) ترجمة ابي العالية، رفيع بن مهران ـ المجلد الرابع ـ الطبقة الأولى من كبراء التابعين ـ سير أعلام النبلاء ـ للإمام الذهبي.
(53) الجزء التاسع ـ تهذيب التهذيب ـ لإبن حجر.
(54) ترجمة قتادة بن دعامة بن قتادة بن عزيز السدُوسي ـ المجلد الخامس ـ الطبقة الثالثة من التابعين ـ سير أعلام النبلاء ـ للإمام الذهبي.
(55) الجزء الرابع ـ تهذيب التهذيب ـ لإبن حجر.
(56) سورة الحج الآية 52.
(57) تفسير سورة الحج والآية 52 ـ الجزء 17ـ جامع البيان في تأويل آي القرآن ـ للطبري.
(58) http://www.binbaz.org.sa/Display.asp?f=bz01567 ـ الجزء الثامن ـ مجموع فتاوي ومقالات ـ للشيخ عبد العزيز بن باز.
(59) نصب المجانيق ـ للألباني.
(60) نصب المجانيق ـ للألباني.
(61) نصب المجانيق ـ للألباني.

95 - الحـج والوثنية

عن كتاب " المسكوت عنـه ـ الجذور الوثنيـة للأديـان التوحيديـة ـ وليد المنسـى ـ عشتروت لخدمات الطباعـة ـ الطبعـة الأولى 2003.

قد أكدت ثريا منقوش أن كثيرا من عادات الحج الأسلامي هي على غرار التقاليد اليمنية في تأدية فروض الحج للإله (إل مقة). هل نذكر الركن اليماني الذي قال عنه النبي محمد:" طوفوا بالبيت واستلموا الركن فإنه يمين الله في أرضه يصافح بها خلقه"؟ ويفسر لنا ذلك لماذا رفع الإسلام عن أهل اليمن الذبح والحلق. واختلطت هذه العادات اليمنية في الحج بطقوس أخرى كان يؤديها الساميون، أدغمت لاحقا في ملحمة فداء إسماعيل، فأبو الفداء والكندي يشيران الى أن العديد من طقوس الحج هي طقوس وثنية، ففي أرض كنعان انتشرت بيوت الآلهة مثل بيت إيل، بيت لحم وبيت شماس وقد اتخذت كلها شكل البناء المكعب فسميت باللسان الكنعاني بيت المعبود (كعبو)، وفرضت على أتباع المعبود الحج إليه والطواف حوله سبعة أشواط، والطواف حول المعبد شيء معروف عند الفرس والهنود والبوذيين واليهود. يقول النص التوراتي: أغسل يدي في النقاوة فأطوف بمذبحك يا رب ". مزامير 6:26.

فالحج من الطقوس الدينية المعروفة عند الساميين وتعني كلمة حج بالعبرية (احتفال) وكان يتم حول بيوت الآلهة، إذ يعتقد أن الآلهة لها بيوت تستقر فيها (كبيت اللات) في الطائف و (بيت العزي) قرب عرفات و(بيت الله) في مكة، يقول (كعب بن الأشرف) والذي تجب ملاحظة دلالة اسمه الأول الذي تنتمي جذوره الى يهود بني النضير:

وحق مريد أن تجد أنوفهم

بشتمهم حي لؤي بن غالب

وهبت نصيبي من مريد لجعدر

وفاء وبيت الله بين الأخاشب

وسميت المساجد لاحقا في الإسلام بيوت الله كنسخ متعددة للكعبة، بيت الله، وجاءت فكرة بنائها بعد العديد من سنوات البعثة الإسلامية في المدينة عندما حرم المسلمون، بسبب المقاطعة والهجرة، من العبادة في الكعبة، وزينوا عقب ذلك مآذن مساجدهم بالهلال المتماهي بقرني الكبش حول ميزاب الكعبة، و(مسجد) في بعض اللغات السامية تعني البناء الذي فيه (صنم) وكان للكعبة أصنام وقتها.

نسقت كل طقوس الحج في إطار ملحمة (إسماعيل) لتعيد إنتاج أسطورة القتل الطقسي للسلف الملك/ الإله ومأدبة التهام الرب، ففي النص القرآني:" وإذا بوأنا لإبراهيم مكان البيت أن لا تشرك بي شيئا وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتون من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات على ما رزقناهم من بهيمة الأنعام فكلوا منها واطعموا البائس الفقير." الحج: 26- 28.

يعيد الحج الإسلامي بشكل مسرحي درامي ملحمة الجد إسماعيل التي يتقمص الحجيج شخصيته ويستعيرون أزياءه منذ البدء، فملابس الإحرام في الحج هي الملابس ذاتها التي كانت يرتديها "السلف" (إسماعيل) عندما هم بقتله طقوسيا، ففي رواية ابن عباس:" وعلى إسماعيل قميص أبيض فقال له: يا أبت إنه ليس لي ثوب تكفنني فيه غير هذا فاخلعه عني فتكفنني فيه". وترمز ملابس الإحرام الى أداء دور السلف والتوحد معه في مأساته.

يرمز السعي بين الصفا والمروة الى التوحد مع السلف في مأساته الأخرى، (فهاجر) قد جرت سبعة أشواط ما بين المكان الذي تركت فيه (إسماعيل) وبين مكان آخر كلما وصلت إليه بحثا عن الماء تذكرت ابنها (إسماعيل) فرجعت إليه حتى تدفقت بئر زمزم، وطقس (التروية) في الحج ما هو إلا إعادة لهذه الملحمة. وكان السعي بين الصفا والمروة من طقوس الحج في الجاهلية، وكان عليهما صنمان هما (أساف) و(نائلة)، وكان طواف قريش بهما قدر طوافهم بالكعبة، سبعة أشواط، ولما قدم الأنصار مع النبي للحج كرهوا الطواف بين الصفا والمروة وقال قوم من المسلمين:" يا رسول الله لا نطوف بين الصفا والمروة، فإنه شرك كنا نصنعه في الجاهلية" فجاء النص القرآني: إن الصفا والمروة، من شعائر الله".

من طقوس الحج الجاهلي، الإسلامي لاحقا، الوقوف بجبل عرفة، والمُدهش أنه كان يسمى قديما على اسم الإله الكبش (إل)، وقال العامري في وقوفهم في الجاهلية:

فأقسم بالذي حجت قريش وموقف ذي الحجيج الى إلال

ولما رأى أحد الصحابة النبي (محمد) واقفا بعرفة عجب من شأنه وأنكر منه ما رأى فنزل النص القرآني:" ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس واستغفروا الله أن الله غفور رحيم".

وكانت قريش لا تفيض من عرفة كباقي القبائل إنما تفيض من (جمع) من المشعر الحرام وجمع من المزدلفة، قال أبو ذؤيب:

فبات يجمع ثم تم الى منى فأصبح يبتغي المزج بالسحل

ويرتبط رمي الجمرات بمنى بحادثة الكبش الذي فدى به "إسماعيل" قال ابن عباس:" خرج عليه كبش من الجنة قد رعاها قبل ذلك أربعين خريفا فأرسل إبراهيم ابنه فاتبع الكبش فأخرجه الى الجمرة الأولى فرماه بسبع حصيات، فأفلته عندها، فجاء الجمرة الوسطى، فأخرجه عندها، فرماه بسبع حصيات ثم أفلته، فأدركه عند الجمرة الكبرى، فرماه بسبع حصيات فأخرجه عندها، ثم أخذه الى المنحر من منى فذبحه" وقد ارتبط الحجر بالشيطان في عدد من الديانات الوثنية.

لقد أعيد إنتاج القتل الطقسي الموؤود للسلف في أضحية سنوية تلازم طقوس النحر في الحج، (مأدبة التهام الرب) وتحول القربان البشري للسلف الى أضحية هي الإحتفال الأعظم في الإسلام، تتجسد به وتقتبس طقوس نحرها منه، فمن شروط الأضحية في الإسلام أن يكون الكبش في كامل صحته الجسدية، تماما كالملك الإله الذي كان يضحى به، وأن يكون سليم (القرن) مطابقا لشروط النحر في عيد الفصح اليهودي، ومشابها لحالة المسيح الجسدية "حمل الله" وقت صلبه. " لا تذبح للرب إلهك ثورا أو شاة فيها عيب شيء ما رديء لأن ذلك رجس لدى رب إلهك". تثنية 1:17.

يرتبط نحر الكبش في عيد الفصح اليهودي بالتوبة والغفران تماما كالتوبة التي قدمها المسيح " حمل الله" للعالم بيسوع المصلوب لرفع الخطيئة عن العالم، وتماما كالتوبة ورفع الذنوب للحاج في الحج الإسلامي، وكان اليهود يعتقدون أن العالم قد خلق في مأدبة الأبواق في رأس السنة اليهودية، وأن رأس السنة هي دعوة للإستغفار والتوبة يعلن عنها بالصفارة وهي بالعبرية (شفار) (Shafar)، والصفارة تصنع من (قرن الكبش)، ويرمز النفخ بالصفارة الى عودة مملكة الله، وكان بعض اليهود يعتقدون أن النفخ في القرن يسبق إحياء المسيح القادم للموتى ونجد المفهوم ذاته في المسيحية، ففي نصوص الإنجيل:" في لحظة في طرفة عين عند البوق الأخيرة فإنه سيبوق فيقام الأموات". رسالة بولس الأولى لأهل كورنثوس 15:52-53.

وقد ارتبطت القيامة، وهي إحياء الموتى في الإسلام، بالنفخ في (القرن) ففي النص القرآني " ونفخ في الصور ذلك يوم الوعيد" ق:20.

وقد شرعت الأضحية في السنة الثانية بعد الهجرة، في اليوم الذي تحفظ فيه أضحية الفصح اليهودي ذاته، ويجوز ذبحها في أي يوم من أيام التشريق، ويجوز ذبحها في اليوم الرابع أيضا، لتتلاقى مع اليوم الذي صلب فيه المسيح، ففي التوراة:" كلما كل جماعة إسرائيل قائلين في العاشر من هذا الشهر يأخذون كل واحد لهم شاة، حسب بيوت الآباء. تكون لكم شاة صحيحة ذكر ابن سنة تأخذونه من الخرفان أو من المواعز، ويكون عندكم تحت الحفظ الى اليوم الرابع عشر من هذا الشهر". خروج 12:2-4.

وفي الإنجيل:" وكان استعداد الفصح ونحو الساعة السادسة، فقال لليهود هو ذا ملككم فصرخوا خذه خذه أصلبه". يوحنا 14:19-15.

وقد كان محرم شهر الأضحية أو الوليمة الكبرى في الجاهلية بإعتباره أول الشهور في السنة العربية، تماما كشهر تشري، الشهر الأول من السنة العبرية الذي يقام فيه عيد الفصح، وقد حور الإسلام شهر الأضحية الى ذي الحجة الشهر الأخير من السنة العربية ليلاقي طقوس الحج وليتميز عن نسخ شهر الأضحية العبري متراجعا للشهر الذي قبله تماما كتراجع العطلة الأسبوعية من السبت الى الجمعة وتحويل الكعبة من القدس الى الكعبة عندما اشتدت العداوة بين اليهودية الديانة الجديدة.

96 ـ أرض فاران بين سيناء والحجاز

منذ أن قال محمد بن عبد الله في القرآن على لسان السيد المسيح:

" وإذ قال عيسى ابنُ مريم يا بني إسرائيل إني رسُولُ الله إليكم مُصدقا لما بين يدي من التوراة ومُبشرا برسُول يأتي من بعدي اسمُهُ أحمدُ فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحرٌ مُبين) (الصف: 6)

والمسلمون دائبون في البحث عن هذه الآية أو الآيات التي تتنبأ بمجيء نبي في بلاد العرب اسمه أحمد.

وبما أنه لا وجود للآيات من هذا النوع إطلاقا، أطلق المسلمون ادعاءهم بأن الكتاب المقدس محرف. ورغم ادعائهم بأنه محرف، حيث أن هذا الكلام لم يتمكنوا من إثباته إطلاقا إلا انطلاقا من إيمانهم بأن القرآن هو كلام الله المنزل الحرفي. وهذا بالطبع لا يمكن اعتباره دليلا لغير المسلم. إذن، راحوا ينقبون ويفتشون في مختلف أسفار الكتاب المقدس عما يمكن أن يتم تحويره وتأويله وتبديله ليتوافق مع ادعائهم بأنه نبوءة عن محمد بن عبد الله. والجدير بالذكر أنهم بهذا الكلام يستحقون أن يقال عنهم ما قاله محمد بن عبد الله عن غيرهم بأنهم:

" وإن منهُم لفريقا يلوون ألسنتهُم بالكتاب لتحسبُوهُ من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون)
(آل عمران: 78)

وردت في سفر التثنية الإصحاح 33 بركة من الله لجميع أسباط إسرائيل وذلك قبيل وفاة موسى على الجبل. البركة تشكل مضمون الإصحاح 33 بأكمله حيث فيه مقدمة يذكر فيها موسى الشعب العبراني بماهية الإله مانح البركة، وتتبعها بركة فردية لكل سبط من أسباط إسرائيل الإثنى عشر. يستغل بعض المسلمين الآيات 1 ـ 3 من الإصحاح الـ 33 والتي تشكل المقدمة، والتي تقرأ كما يلي:

وهذه هي البركة التي بارك بها مُوسى رجل الله بني إسرائيل قبل موته فقال: ((جاء الربُّ من سيناء وأشرق لهم من سعير وتلألأ من جبل فاران وأتى من ربوات القدس وعن يمينه نارُ شريعة لهم. فأحب الشعب. جميع قديسيه في يدك وهم جالسون عند قدمك يتقبلون من أقوالك.

يدعي المسلمون بأن هذه نبوءة عن محمد بن عبد الله وذلك بقولهم:" من المعروف تاريخيا أن فاران هي مكة"، وذلك بدون إيراد أي دليل أو إقتباس أو مرجع تاريخي يمكن فحصه، ويفسرون القول " " بأنها تعني " مع ألوف القديسين الأطهار". وعليه فيقولون في تفسير الآية ما يلي:" هي نبوءة مستقبلية، فالله ظهر في سيناء وهي رسالة موسى لليهود، وظهر في سعير، وسعير في فلسطين، فهي إذن رسالة يسوع الى المسيحيين، وظهر في فاران وفاران هي مكة، أي نبوءة محمد الى العرب. وأخيرا يوثقون ادعاءهم هذا بالإستشهاد بسفر حبقوق النبي 3:3:" الله جاء من تيمان والقدوس من جبل فاران. سلاه. جلاله غطى السموات والأرض امتلأت من تسبيحه".

ونحن لكي نبين هذا الإفتراء والتحوير والتزييف والتحريف، سندرس الكتاب المقدس ونفحص موقع الأماكن المذكورة لنبين بالدليل القاطع كذبهم وافتراءهم.

أولا: لماذا يعدّد الكتاب المقدس الأماكن المختلفة المذكورة؟

النص قيد الإختبار لا يشكل نبوءة ولا يشكل بركة، بل هو عبارة عن مقدمة تذكر اليهود بالله الذي سيمنح البركة لأسباط إسرائيل الإثني عشر وتوضح، في خاتمة مسيرة دامت 40 سنة في البرية، بأنه ليس إله أقوال، بل هو إله أفعال. في جبل حوريب في سيناء، تلألأ مجد الله عندما أعطى لموسى الوصايا العشر وأمرهم ببناء الخيمة لحفظ تابوت العهد والوصايا. في برية تيمان في سيناء، هناك غضب الله على الشعب لأنهم رفضوا دخول أرض الميعاد وخافوا من كلمات الكشافة الذين ذهبوا لإستطلاع أحوال البلاد وعادوا ذاكرين لهم أن أهلها عماليق وكبار الحجم وغيره. فالرب تدخل وعاقب الشعب وتلألأ مجد عظمته في فاران. أما في جبال سعير، فهي الأرض التي وهبها الله لعيسو حيث هزم الرب سيحون ملك الأموريين، فهي تقع جنوب شرق البحر الميت فيما يعرف اليوم بإسم الأردن لا بفلسطين كما سنرى لاحقا. فعندما يذكر الكتاب المقدس الله وظهوره في مجده ويربطه بأماكن محددة، يذكر الكتاب المقدس الشعب أولا وأخيرا بالأماكن التي ظهر فيها الله بقوته ودافع عن شعبه ليتذكر أن الأرض التي سكنها لم يسكنها الشعب بقوة سلاحه بل بمساعدة الله.

ومثال آخر نجده في المزمور 95:7 ـ 9:

" لأنهُ هُو إلهُنا ونحن شعبُ مرعاهُ وغنمُ يدهِ. اليوم إن سمعتم صوتهُ فلا تقسوا قلوبكم كما في مريبة مثل يوم مسة في البرية حيث جربني آباؤكُم. اختبروني. أبصروا أيضا فعلي".

فمريبة في صحراء سيناء هي المكان الذي فيه تمرد الشعب على موسى وهارون وأظهر الله مجده بأن أخرج لهم من الصخرة ماء. إذن الكتاب المقدس يستخدم هذه الطريقة لكي يذكر اليهود دوما بأنه إله أفعال وإله حي يتدخل في التاريخ ويظهر نفسه لهم، فلا ينسوا ذلك.

ثانيا: تفسير خاطئ للفظة " ربوات " بالعبرية:

(مِريببِوت قودش) وهي تعني من ربوات (ألوف أو عدد لا يحصى) القدس أو المقدس. يحول المسلمون لفظة مِي وهي تعني "من" بلفظة "مع"، ولفظة ربوات القدس يفسرها المسلمون بأنها تعني ألوف القديسين الأطهار، فيحولون الآية الى " وأتى مع ألوف الأطهار" أي محمد بن عبد الله مع ألوف الأطهار وهم الصحابة. وطبعا، العودة الى الأصل العبري للنص تثبت وتبين لنا تحويرهم للكلمات ولويها لتقول ما تقوله في محاولة لإستنطاق الكتاب نبوءة عن محمد بن عبد الله. فحرف " مِن" يتحول الى "مع" والضمير في فعل " وأتى" والذي يعود الى الله، يتحول الى ضمير يشير الى محمد بن عبد الله واللفظة قودش والتي تشير الى موضع، تتحول لتصبح قديسين أطهار.

ثالثا: تحديد موقع الأماكن المذكورة " فاران" ، "سعير" و "تيمان":

1 - أين تقع فاران؟

برية فاران في قادش، وهي الواحة الرئيسية الواقعة شمال سيناء على بعد 75 كيلومتر جنوبي بئر السبع غربا. ولا تزال الى اليوم مرحلة للقوافل ومزارا للحجاج.

لنفحص آيات الكتاب المقدس التي تذكر فاران.

أول نص يتحدث عن فاران هو نص سفر التكوين في معرض الحديث عن المكان الذي استقرت فيه هاجر وابنها إسماعيل. بحسب سفر التكوين 21:14- 21 رحلت هاجر وابنها إسماعيل من وجه إبراهيم بعد أن طردهما، حيث تاهت في برية النقب. والنقب هي الصحراء الواقعة جنوب فلسطين. فظهر لها الرب وعزاها وأعطاها عين ماء وهي في برية النقب. ثم يقول الكتاب:

> " وكان الله مع الصبي حتى كبر فأقام بالبرية وكان راميا بالقوس. وأقام ببرية فاران، واتخذت له أمه امرأة من أرض مصر."

حقيقة أن هاجر اتخذت له زوجة من بنات المصريين هو دليل كافي بأن فاران تقع ضمن نطاق صحراء سيناء. وهذا الأمر منطقي جدا لأن سيناء على حدود مصر وقريبة إليها. وعليه ينتفي ادعاء المسلمين بأن إسماعيل عاش في أرض الحجاز.

بحسب سفر التكوين 14: 6 يتم ذكر برية فاران بأنها جزء من أراضي الحوريين التي تمتد من جبل سعير شرقا حتى برية فاران غربا. وجبال سعير، كما يوضح النص وسنبينه فيما بعد، تقع جنوب شرق البحر الميت، حيث يتم ذكر فاران ضمن المدن التي تتعرض للإعتداء:

> هؤلاء كلهم تجمعوا في وادي السديم (وهو بحرُ الملح)، اثنتي عشرة سنة خضعوا لكدُرلاعُومر، وفي الثالثة عشرة تمردوا. وفي السنة الرابعة عشرة أقبل كدرلاعومر والملوك الذين معه فضربوا الرفائيين في عشتاروت قرنائيم، والزوزيين في هام، والإيميين في سهل قريتائيم، والحوريين في جبلهم سعير، حتى إيل الفاران الذي عند البرية.

فاران إذن تقع في صحراء سيناء. وهذا ما سنراه بوضوح أكثر فيما يلي. حيث إن النص الذي يزيل كل شكوك ويوضح الأمر بدون إلتباس فهو تفاصيل رحلة الشعب العبراني من مصر بإتجاه أرض الميعاد.

في سفر العدد 11:10 - 12 يتحدث النص عن بعض تفاصيل رحلة الشعب العبراني تحت قيادة موسى من مصر الى أرض فلسطين. يذكر سفر العدد أمر الرب بالرحيل من جبل الله حوريب في سيناء نحو أرض الميعاد. حيث حاولوا دخول فلسطين من الجنوب ثم عادوا ورحلوا شرقا الى أرض الأدوميين ومن هناك صعدوا شمالا عبر الأردن ودخلوها من الشرق من عند أريحا.

> وفي السنة الثانية في الشهر الثاني في العشرين من الشهر ارتفعت السحابة عن مسكن الشهادة. فإرتحل بنو إسرائيل في رحلاتهم من برية سيناء فحلت السحابة في برية فاران.

وعليه فبرية فاران هي بين سيناء وأرض الميعاد الأمر الذي يجعلها منطقة في صحراء سيناء جنوب فلسطين ومن المستحيل أن تكون في أرض الحجاز العربية.

في سفر العدد 16:12 نقرأ:

> وبعد ذلك ارتحل الشعبُ من حضيرُوت ونزلوا في برية فاران.

وفي الآية التالية 1:13 نقرأ: ثم قال الرب لموسى:

> ((أرسل رجالا ليتجسسُوا أرض كنعان التي أنا مُعطيها لبني إسرائيل. رجُلا واحِدا لكل سبط من آبائهِ ارسلون. كلُ واحد رئيس فيهم)).

إذن برية فاران هي على حدود أرض كنعان وليست ببعيدة عنها.

وعند عودة الكشافة من استكشاف الأرض يقول الكتاب بأنهم عادوا الى الجماعة التي كانت تنتظرهم في برية فاران. عدد 26:13 - 28:

> فسارُوا حتى أتوا الى موسى وهارون وكل جماعة بني إسرائيل الى برية فاران الى قادش وردوا إليهما خبرا والى كل الجماعة وأرُوهُم ثمر الأرض وقالوا: ((قد ذهبنا الى الأرض التي أرسلتنا إليها وحقا إنها تفيض لبنا وعسلا وهذا ثمرُها)).

للمعنيين يمكنهم أيضا مراجعة: تثنية 1:1 / تثنية 2:33/ صموئيل 1:25/ 1ملوك 18:11: أيضا وسيجد أنها تؤكد ما نقول.

2 - موقع " سعير ":

بحسب سفر التكوين 6:14 يتم ذكر سعير بأنها أرض الحوريين وهي واحدة من القبائل التي سكنت في محيط بحر الملح أي البحر الميت.

> وكان في الأم أمرافل، ملك شنعار، وأريوك، ملك ألاسار، وكدُرلاعومر، ملك عيلام، وتدعال، ملك الأمم، أنهم حاربوا بارع، ملك سدوم، وبرشاع، ملك عمورة، وشنآب، ملك أدمة، وشمئيبر، ملك صبوئيم، وملك بالع (وهي صوعر). هؤلاء كلهم تجمعوا في وادي السديم (وهو بحرٌ الملح)، اثنتي عشرة سنة خضعوا لكدرلاعومر، وفي الثالثة عشرة تمردوا. وفي السنة الرابعة عشرة أقبل كدرلاعومر والملوك الذين معه فضربوا الرفائيين في عشتاروت قرنائيم، والزوزيين في هام، والإيميين في سهل قريتائيم، والحوريين في جبلهم سعير، حتى إيل الفاران الذي عند البرية.

تكوين1:36 وهذه مواليد عيسو الذي هو أدُومُ
8:36 فسكن عيسو في جبل سعير.

وفي ذكر تفاصيل رحلة الشعب العبراني من سيناء الى أرض الميعاد، يقول سفر التثنية 8:2:

> فعبرنا عن إخوتنا بني عيسو الساكنين في سعير على طريق العربة على أيلة وعلى عصيون جابر ثم تحولناومررنا في طريق برية موآب.

صحراء العربة تقع جنوب فلسطين، جنوب صحراء النقب بين البحر الميت وإيلات على البحر الأحمر، فمن هناك كانت الطريق التي سلكها الشعب. أما عن أرض أدوم وهي سعير التي سكنها عيسو أخو يعقوب، فيقول سفر التكوين 31:36- 43 موضحا:

> وهؤلاء هُمُ الملوكُ الذين ملكوا في أرض أدوم قبلما ملكَ ملكٌ لبني إسرائيل . ... وهذه أسماءُ أمراء عيسو حسب قبائلهم وأماكنهم بأسمائهم: أمير تمناع وأمير علوة وأميرُ يتيت وأمير أهوليبامة وأمير أيلة وأمير فينون وأمير قناز وأمير تيمان وأمير مبصار وأمير مجديئيل وأمير عيرام. هؤلاء أمراء أدوم حسب مساكنهم في أرض مُلكهم. هذا هو عيسو أبو أدوم.

فجبال سعير هي الواقعة في أرض الأدوميين والتي منحها الرب لعيسو وهي تقع في الجزء الشرقي مقابل صحراء العربة بين البحر الميت وأيلات على البحر الأحمر. أي أنها في الجزء الشرقي من البلاد فيما يسمى اليوم الأردن، الأمر الذي ينتفي معه كونها جزءا من فلسطين وأنها الموقع الذي نزل فيه الوحي على السيد المسيح ثاني الرسالات وعليه فحديث الإخوة المسلمين عن أن الثانية في سعير (فلسطين) لعيسى والثالثة في فاران لمحمد هو استنتاج غير منطقي بتاتا.

3 - أين تقع تيمان؟

بالإضافة الى النص المشار إليه أعلاه من سفر التكوين 36، 42، والذي يوضح بأن أرض تيمان هي قبيلة من قبائل الأدوميين جنوب شرق البحر الميت، لعل النص الأكثر وضوحا بشأن موقع تيمان هو ما ورد في سفر عوبديا 8: - 9:

> ألا أبيدُ في ذلك اليوم يقولُ الربُّ الحُكماء من أدُوم من جبل عيسو؟ فيرتاعُ أبطالُك يا تيمانُ لينقرض كل واحد من جبل عيسو بالقتل.

من الواضح أن المقصود بأبطال تيمان هم أبطال بنو عيسو الأدوميين الذين حاربوا يعقوب، ففيها إشارة الى أنه كما أن يعقوب تمكن من الصمود والغلبة في وجه أخيه عيسو (أبو الأدوميين) فكذلك اليوم سيتمكن أبناء يعقوب (إسرائيل) من غلبة أبناء عيسو (الأدوميين) وجبل عيسو هو سعير في أرض أدوم. أما لفظة تيمان فتعني الجنوب أو الجنوبي. وهي بالتأكيد لا علاقة لها باليمن في بلاد العرب. لأن أرض تيمان هي بالفعل جنوب أرض فلسطين حيث يقطن الإسرائيليين.

لذلك فالآية قيد النقاش من سفر حبقوق لا تتعلق بأرض الحجاز أو بالصحراء العربية لا من قريب ولا من بعيد. وهذا يؤكد أيضا فحص موقع برية وجبال فاران بحسب الكتاب المقدس.

97 - إلغاء التبني

السبب الحقيقي لزواج النبي من زينب بنت جحش:

رد بنت الشاطئ على د. محمد حسين هيكل في أمر زواج النبي من زينب بنت جحش:

كان النبي هو من أمر زينب بنت عمته بأن تتزوج مولاه زيد ولم يكن زواجا سعيدا على الإطلاق فقد كان مليئا بالمشاكل نتيجة لترفعها عليه.

زواج بأمر الوحي:

وأحس محمد (ص) عطفا غلابا على الشابة التي أكرهت على الزواج ممن لا ترضى إذعانا لأمر الله ورسوله، وود لو يستطيع أن يجبر خاطرها المكسور بزواج غير موفق، كان هو الذي اختاره وانفذه. وحدثته نفسه أن يتزوجها، ولكن كيف؟ أو لم يعلن في الملا من قريش إن زيدا ابنه؟.. فماذا يقول الناس إذا تزوج ممن كانت زوجة ابنه؟.. وهل تراهم يصغون إليه اذا ذكرهم بأن المتبني غير الابن، وقد جرت تقاليدهم على أن يلصقوا المتبني بأبيه، ويجعلوا له حقوق الابن وحرمة النسب؟..

وآثر" محمد بن عبد الله" أن يكتم رغبته، وأن يقاوم عطفه على بنت عمته التي انتزعها زهرة غضة من أشرف بيت في مضر، فزفها بالرغم منها الى زوج ملصق، يدعى لغير أبيه!..

فبينا هو (ص) يتحدث مع عائشة، إذ أخذته غشية الوحي، ثم سرى عنه وهو يبتسم ويقول: من يذهب الى زينب يبشرها بأن الله زوجنيها؟ (تاريخ الطبري 43/3). وتلا (ص) ما أنزل إليه من وحي الله:" وإذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله، وتخفى في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه، فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها لكي لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم اذا قضوا منهن وطرا، وكان أمر الله مفعولا" (سورة الأحزاب 37). قالت عائشة: فأخذني ما قرب وما بعد، لما يبلغنا من جمالها، وأخرى هي أعظ الأمور وأشرفها، ما صنع الله لها: زوجها ... فقلت: تفخر علينا بهاذا (تاريخ الطبري 43/3).

وكان زيد يُدعى "زيد بن محمد" حتى نزلت الآية:" ... وما جعل أدعياءكم أبناءكم، ذلكم قولكم بأفواهكم والله يقول الحق وهو يهدي السبيل. ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله، فإن لم تعلموا آباءهم فإخوانكم في الدين ومواليكم، وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم، وكان الله غفورا رحيما..." فدعى من يومئذ: زيد بن حارثة (الإستيعاب 1850/4).

هذه هي آيات القرآن، كتاب ديننا، في هذا الزواج. وتلك هي قصة زينب، نقلناها من تاريخ الطبري، وكتب السيرة وطبقات الصحابة، لم نكد نتصرف فيها بكلمة. ولست أدري ما الذي أنكره " الدكتور هيكل" منها حتى اندفع يردها الى مغتربات المستشرقين والمبشرين، " الذين أضفوا عليها من أستار الخيال، حتى جعلوها قصة غرام وولـه"، ثم يقول:" ويكفي لهدم كل القصة من أساسها، أن تعلم أن زينبت بنت جحش هذه، هي ابنة عمة رسول الله عليه السلام، وأنها ربيت بعينه وعنايته.. وأنه كان يعرفها ويعرف أهي ذات مفاتن أم لا قبل أن تتزوج زيدا، وأنه شهدها في نموها تحبو من الطفولة الى الصبا الى الشباب، وأنه هو الذي خطبها على زيد مولاه. إذا عرفت ذلك تداعت أمام نظرك كل تلك الخيالات والأقاصيص، من أنه مر ببيت زيد ولم يكن فيه فرأى زينب فبهره حسنها وقال: سبحان مقلب القلوب. أو أنه لما فتح باب " زيد" عبث الهواء بالستار على غرفة " زينب" فألفاها في قميصها وكأنها " مدام ريكامية" فإنقلب فجأة ونسى سودة، وعائشة، وحفصة، وزينب بنت مخزوم، وأم سلمة، ونسى كذلك ذكر خديجة (حياة محمد 291).

وعند الدكتور هيكل، إن زواج الرسول من زينب لم يدفع إليه ميل ولا عاطفة، وإنما أراد أن يأتمر بحكم الله فيما أبطل من الحقوق المقررة للتبني والإدعاء، ثم أشفق مما يمكن أن يقول الناس في خرقه لعادة لهم قديمة متأصلة، فلم يرض له الله أن يخفي في نفسه ما الله مبديه، ويخشى الناس والله أحق أن يخشاه..

وأضاف الدكتور هيكل:" أفيبقى بعد ذلك أثر لهذه الأقاصيص التي يكررهاالمستشرقون والمبشرون.. " ولكنها شهوة التبشير المكشوف تارة، والتبشير باسم العلم تارة أخرى، والخصومة القديمة الإسلام تأصلت في النفوس منذ الحروب الصليبية، هي التي تملى على هؤلاء جميعا ما يكتبون، وتجعلهم في أمر زواج النبي، وفي أمر زواجه من زينب بنت جحش، يتجنون على التاريخ على التاريخ ويلتمسون أضعف الرواية فيه مما دس عليه ونسب إليه".
(حياة محمد 292 - 294).

ومن الحق أن القصة في جوهرها لم تكن قط " قصة غرام وولـه" وآيات القرآن فيها، تشهد بأن المصطفى عليه الصلاة والسلام تحرج من هذا الزواج، خشية أن يقول الناس: تزوج ممن كانت زوجا لولده بالتبني. لكن ماذا عن المرويات الإسلامية في الستر من الشعر الذي رفعته الريح، وانصراف الرسول عن بيت زيد وهو يقول:" سبحان الله مقلب القلوب" وقد كتبت هذه المرويات قبل أن تسمع الدنيا بالحروب الصلبية، بأقلام نفر من مؤرخي الإسلام ورواة السيرة والمفسرين، لا ترقى إليهم شبهة اتهام بعداء النبي والدس على الإسلام؟" (تاريخ الطبري 3).

ثم فلننظر: هل فيها ما يريب؟.. إن آية العظمة في شخصية نبينا عليه الصلاة والسلام، إنه بشر يأكل الطعام ويمشي في الأسواق، وما نعرف في تاريخ الأبطال ـ ولا أقول الأنبياء ـ من أصر على تقرير بشريته إصرار " محمد بن عبد الله " ولا عرفت الإنسانية كتاب مُنزل، يجعل من بشرية المبعوث به أصلا من أصوب العقيدة، وقرآنا يتعبد به المؤمنون، كما فعل كُتاب الإسلام ..

ولن يكن أحدنا مؤمنا وهو ينكر هذه البشرية وينزه عنها رسولا أوحي إليه:" قل إنما أنا بشر مثلكم". قل سبحان ربي، هل كنت إلا بشرا رسولا" (الكهف 111، الإسراء 92) فقالها، ثم اعتز بأنه ابن امرأة من قريش تأكل القديد.

أفينكر على بشر رسول، أن يرى شقاء زينب يزيد، وشقاء زيد بها، فيرق قلبه لبنت عمه، ولمن اتخذه ولدا؟.

وماذا يطلب من مثله، في سمو خلقه وعفة ضميره، أكثر من أن يشيخ بوجهه عمن رق قلبه لها، وهو يسبح بإسم الله العظيم، مقلب القلوب؟ وأي ضبط للنفس ينتزر من بشر رسول، أكثر من أن يجيئه زيد فيستأذنه من جديد في طلاقها، فيأبى عليه إلا أن يمسكها ويتقي الله!؟.

إن القصة ـ وقد نقلها إلينا رواة غير متهمين ـ لترتفع برسولنا عليه الصلاة والسلام الى أقسى ما تطيقه بشرية من عفة وضبط للنفس وكبح للهوى، وإنها لجديرة بأن تعد مفخرة لمحمد والإسلام، فما ادعى نبينا قط أن قلبه بيده يصرفه حيث شاء، ولا زعم مرة، أنه مبرأ من عواطف البشر منزه عن أهوائهم، وقد كان يقول في إيثارة عائشة على غيرها من زوجاته اللاتي أمره ربه بالعدل بينهن:" اللهم هذه قسمي فيما أملك، فلا تلمني فيما تملك ولا أملك" فكيف نخاف عليه لوما أن رق قلبه لزينب، ثم أبى مع ذلك إلا أن يأمر زوجها بإمساكها، على ما يعرف من شقائهما بهذا الإمساك؟.

من نحو تسعة قرون، كتب " الزمخشري" يفسر قوله تعالى:" وتخفي في نفسك ما الله مبدي وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه".

فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها لكي لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطرا، وكان أمر الله مفعولا. ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له سنة الله في الذين خلوا من قبل وكان أمر الله قدرا مقدورا. الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحدا إلا الله، وكفى بالله حسيبا. ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين، وكان الله بكل شيء عليما"..

حادثة الإفك والأسباب الحقيقية لتأخر نزول الوحي:

أهم حادثة حدثت لمحمد فنغصت عليه حياته الزوجية هي حادثة الإفك أي الكذب والبهتان على عائشة في اتهامها بصفوان بن المعطل. وخلاصة هذه القصة أن محمدا لما خرج غازيا الى بني المصطلق كان معه من أزواجه عائشة وأم سلمة. وكان لعائشة عقد من جزع ظفار، والجزع بفتح فسكون هو الخرز اليماني الذي يكون مجزعا ببياض وسواد، والواحدة منه جزعه، وظفار بلدة باليمن قرب صنعاء، وكانت تلبسه في عنقها، قيل: وكان يساوي أكثر من اثني عشر درهما.

فبينما كان الجيش نازلا ذات ليلة في أثناء رجوعه الى المدينة، قامت عائشة لقضاء حاجتها وقد أذنوا بالرحيل، فمضت حتى جاوزت الجيش، فلما قضت حاجتها وأقبلت الى رحلها لمست عقدها فإذا هو غير موجوده في عنقها قد انقطع وانسل من عنقها، فرجعت تلتمسه. وفي أثناء رجوعها لإبتغاء العقد أقبل الرهط الموكلون بها فحملوا هودجها ورحلوه على بعيرها الذي كانت تركب عليه وهم يحسبون أنها في الهودج، فبعثوا الجمل وساروا. أما عائشة فقد حبسها ابتغاء العقد حتى وجدته، فرجعت الى منازل الجيش وليس بها داع ولا مجيب، فلما رأت ذلك تيممت منزلها الذي كانت فيه فجلست هناك، وظنت أنهم سيفتقدونها فيرجعون إليها، وبينما هي جالسة في منزلها إذ غلبتها عينها فنامت، وكان صفوان بن المعطل السلمي من وراء الجيش، فأصبح عند منزلها، فرأى سواد إنسان نائم، فدنا منه فعرفها حين رآها، فاسترجع قائلا إنا لله وإنا إليه راجعون، فاستيقظت باسترجاعه، فلم يكلمها شيئا، وقيل: قال لها: ما خلفك يرحمك الله، فلم تكلمه حتى أناخ بعيره فقال: اركبي، وفي رواية: أمه قومي فاركبي. فقامت فركبت فانطلق يقود بها الراحلة حتى لحق بالجيش بعدما نزلوا في نحر الظهيرة. (السيرة الحلبية 292/2)

وكان قد خرج مع محمد في هذه الغزوة كثير من المنافقين لم يخرجوا في غزوة قط مثل خروجهم فيها. وكان فيهم عبد الله بن أبي سلول رأس المنافقين وشيخهم. فكان أول من أشاع خبر الإفك في العسكر، وكان من عادته أن ينزل مع جماعة من الصحابة المنافقين مبتعدين من الناس.

قلنا: لحق صفوان بالجيش في نحر الظهيرة وهم نزول، فلما مر يقود البعير وعليه عائشة قال عبد الله بن أبيّ: من هذه؟ قالوا: عائشة وصفوان، فقال: فجر بها ورب الكعبة، وفي لفظ: ما برئت منه ولا برئ منها، وفي رواية قال: والله ما نجت منه ولا نجا منها، وصار يقول: امرأة نبيكم باتت مع رجل حتى أصبحت. ثم إنه أشاع ذلك في المدينة بعد دخولهم لها. وقد تكلم بالإفك من لم يكن من المنافقين أيضا كحسان بن ثابت، ومسطح بن أثاثة، وحمنة بنت جحش أخت زينب زوجة رسول الله. (السيرة الحلبية 294/2). وفي نفس الوقت كان معروفا عن صفوان بن المعطل أنه رجل شاب لا يصبر، وجاء ذلك في سنن ابو داود، باب الصوم (حديث عن أبي صالح عن أبي سعيد قال: جاءت امرأة الى النبي(ص) ونحن عنده فقالت يا رسول الله إن زوجي صفوان بن المعطل يضربني إذا صليت ويفطرني إذا صمت ولا يصلي الفجر حتى تطلع الشمس قال وصفوان عنده قال فسأله عما قالت، فقال يا رسول الله أما قولها يضربني إذا صليت فإنها تقرأ بسورتين وقد نهيتها قال، فقال لو كانت سورة واحدة لكفت الناس وأما قولها يفطرني فإنها تنطلق فتصوم وأنا رجل شاب فلا أصبر فقال رسول الله (ص) يومئذ لا تصوم إمرأة إلا بإذن زوجها وأما قولها إني لا أصلي حتى تطلع الشمس فإنا أهل بيت قد عرف لنا ذاك لا نكاد نستيقظ حتى تطلع الشمس قال فإذا إستيقظت فصل. قال أبو داود رواه حماد يعني ابن سلمة عن حميد أو ثابت عن أبي المتوكل.

كان محمد يستطيع أن ينزل قرآنا ببراءتها في أول يوم شاع فيه خبر الإفك، إلا أنه لم يفعل ذلك جريا على عادته من التأني والتثبيت في الأمور وترك التسرع فيها، فإنه كان ينظر بعيد النظر في العواقب لا يقدم على أمر إلا بعد التثبت فيه من جميع جوانبه.

وهل يكون التثبيت في معرفنة أمر الإفك إلا كما فعل إذ أراد أقل الخروج من بيته، وصار يقضي معظم أوقاته في البيت، فإنه بذلك قد ترك المجال واسعا للمتقولين وللسامعين معا حتى يخوضوا في حديث الإفك ما شاءوا الى أن يبلغوا منه. فإذا بلغوا الغاية منه، سهل حينئذ ظهور الحقيقة، وهي معرفة ما في أقاويلهم من صدق أو كذب، ولم يكتف بتوسيعه المجال وإرخائه العنان للمتقولين بل أخذ هو أيضا يفعل ما يلزم للتثبت من سؤال أهل الرأي واستشارتهم، فلذا كان كلما دخل عليه داخل في بيته كلمه في حديث الإفك وسأله عنه واستشاره في أمره.

هكذا لبث محمد يتروّى ويتثبت ويسأل ويستشير سبعة وثلاثين يوما، ثم أنزل وحيا ببراءة عائشة. وكان من جملة من استشارهم محمد في خلال هذه الأيام السبعة والثلاثين عمر بن الخطاب؛ فعن عائشة قالت: لما استلبث الوحي عنه استشار الصحابة فقال له عمر: من زوجها لك يا رسول الله؟ قال: الله، قال: أفتظن أن الله دلس عليك فيها { سبحانك هذا بهتان عظيم}، فنزلت (أي فنزلت هذه الآية التي هي من جملة الآيات النازلة ببراءة عائشة). قالت: ودعا علي بن أبي طالب وأسامة بن زيد ليستأمرهما في فراق أهله (تعني نفسها)، قالت: فأما أسامة بن زيد فقال: أهلك يا رسول الله، (أي الزم أهلك) ولا نعلم إلا خيرا. وأما علي بن أبي طالب فقال: يا رسول الله، لم يضيق الله عليك والنساء سواها كثير، وإنك لتقدر أن تستخلف، وفي لفظ: قد أحل الله لك فطلقها وانكح غيرها، وإن تسأل الجارية تصدقك، قالت: فدعا رسول الله بريرة، فقال: إي بريرة هل رأيتِ من شيء بربيك؟ فقالت بريرة: والذي بعثك بالحق ما رأيت عليها أمرا أغمصه (أي أعيبه عليها) أكثر من أنها جارية حديثة السن تنام عن عجين أهلها فتأتي الداجن فتأكله. وفي لفظ وهو عن ابن إسحاق: فدعا رسول الله بريرة فسألها، فقام علي فضربها ضربا شديدا، وجعل يقول لها: اصدقي رسول الله، فتقول: والله ما أعلم إلا خيرا، وما كنت أعيب على عائشة شيئا إلا أني كنت أعجن جيني فآمرها أن تحفظه فتنام عنه فتأتي الشاة فتأكله.

يظهر من سياق قصة الإفك في كتب السير: أن محمدا في خلال مدة استلباث الوحي، وبعبارة أخرى في خلال مدة التحقيق، تمكن من أن يعرف الرأي العام في مسألة الإفك، وأن يجس نبض الجمهور فيها، فعرف أن القائلين بالإفك هم أعداءه المنافقون وعلى رأسهم عبد الله بن أبي بن سلول، وأن غيرهم من المسلمين إنما ذكره وتحدث به تبعا لهم، واندفاعهم مع تيارهم وجريا على العادة عند عوام الناس من أنهم إذا أشيع خبر كهذا، تكلموا به من غير علم. وعندئذ رأى أن الموقف يسمح له بأن يقوم بحركة ضد هؤلاء المنافقين، أو أن يطلب النصرة لنفسه عليهم، فقام في المسجد فخطب الناس.

فعن عائشة قالت: وقد قام رسول الله (أي عند استلباث الوحي) في الناس وخطبهم، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس ما بال رجال يؤذوني في أهلي ويقولون عليهم غير الحق. (السيرة الخلبية 299/2).

براءة عائشة ونزول الوحي بها:

مكث محمد بعد مقدمه من غزوة بني المصطلق الى نزول الوحي ببراءة عائشة بضعا وثلاثين ليلة على ما ذكره الحلبي في سيرته نقلا عن السهيلي وهو يسأل ويستشير ويتثبت ويحقق. (السيرة الحلبية 306/2). ومما لا ريب فيه أنه كان له من يأتيه بالأخبار عما يتحدث به الناس ويقولونه في مجالسهم وفي بيوتهم. ومما بلغه من ذلك ما قاله أبو أيوب الأنصاري لزوجته أم أيوب: ألا ترين ما يقال من الإفك؟ فقالت: لو كنت بدل صفوان أكنت تهم بسوء لحرم رسول الله؟ قال: لا، قالت: ولو كنت أنا بدل عائشة ما خنت رسول الله، وعائشة خير مني، وصفوان خير منك.

(السيرة الحلبية 307/2)

ويدلنا على أن محمدا قد بلغه ما قالته أم أيوب لزوجها ورود الإشارة إليه في بعض الآيات النازلة ببراءة عائشة كما سيأتي بيانه. في تلك المدة، أعني مدة استلباث الوحي أو مدة التحقيق، ازداد محمد اطمئنانا على اطمئنانه ببراءة عائشة، فعزم على أن ينزل وحيا ببراءتها ولكنه رأى من الأنسب أن يكلمها قبل ذلك ويختبر ما عندها ليكون على بصيرة فيما يستنزله من الوحي في أمر براءتها، فخرج إليها وهي في بيت أبويها بالسنح.

وتقول عائشة:

دخل علينا رسول الله فسلم ثم جلس، ولم يجلس عندي منذ قيل ما قيل، وقد لبث شهرا لا يوحى إليه في شأني. فتشهد رسول الله حين جلس، ثم قال: أما بعد يا عائشة فإنه قد بلغني عنك كذا وكذا، فإن كنت بريئة فسيبرئك الله، وإن كنت ألممت بذنب فاستغفري الله وتوبي فإن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب الى الله تعالى تاب الله عليه. وفي لفظ قال: يا عائشة إنه قد كان ما بلغك من قول الناس، فاتقي الله فإن كنت قارفتِ سوءا مما يقول الناس فتوبي الى الله تعالى فإن الله يقبل التوبة عن عباده. قالت: فلما قضى رسول الله مقالته قلص دمعي (أي ارتفع وانقطع) حتى ما أحس منه بقطرة، فقلت لأبي: أجب رسول الله فيما قال، قال: فوالله لا أدري ما أقول لرسول الله، فقلت لأمي، أجيبي رسول الله، فقالت: والله ما أدري ما أقول لرسول الله، وفي لفظ قلت لأبي: ألا تجيبان رسول الله؟ فقالا: والله لا ندري بماذا نجيبه، فقلت: لقد سمعتم هذا الحديث حتى استقر في نفوسكم، فلئن قلت لكم إني بريئة، والله يعلم إني بريئة، لا تصدقوني بذلك، ولئن اعترفت بأمر، والله يعلم إني منه بريئة لتصدقني، فوالله لا أجد لي ولكم. وفي لفظ: لا أجد مثلا إلا قول أبي يوسف إذ يقول: { فصبر جميل} (السيرة الحلبية 295/2). وفي رواية لابن إسحاق قالت: ثم التمست اسم يعقوب فما أذكره، فقلت: ولكن سأقول كما قال أبو يوسف: { فصبر جميل والله المستعان على ما يصفون}، قالت: ثم تحولت فاضطجعت على فراشي، وما كنت أظن أن الله ينزل في شأني وحيا يتلى، وفي لفظ قرآن يقرأ به في المسجد ويصلى به، ولشأني في نفسي كان أحقر من أن يتكلم الله فيّ بأمر يتلى، وكنت أرجو أن يرى رسول الله رؤيا في النوم يبرئني الله بها. قالت: وعند ذلك قال أبو بكر ما أعلم أهل بيت من العرب دخل عليهم ما دخل عليّ، والله ما قيل لنا هذا في الجاهلية حيث لا يعبد الله فيقال لنا في الإسلام. قالت: فأخذ رسول الله ما كان يأخذه عند نزول الوحي فسجي بثوبه ووضعت له وسادة من أدم تحت رأسه، وفي رواية قالت عائشة: فأما أنا حين رأيت من ذلك ما رأيت، فوالله ما فزعت لأني قد عرفت إني بريئة وإن الله غير ظالم، وأما أبواي

فوالذي نفس عاشة بيده ما سرى عن رسول الله وأخبر لما أخبر حتى ظننت لتخرجن أنفسهما فرقا (أي خوفا) من أن يأتي من الله تحقيق ما قال الناس.

قالت فلما سري عن رسول الله، سري عنه وهو يضحك، وإنه لينحدر منه العرق كالجمان فجعل يمسح العرق عن وجهه الكريم فكانت أول كلمة تكلم بها: يا عائشة إن الله قد برأك. فقالت أمي: قومي إليه فقلت: والله لا أقوم إليه ولا احمد إلا الله. وفي رواية قال: أبشري يا عائشة فقد أنزل الله تعالى براءتك.

ولا شك أن ما كانت عليه عائشة من حزن واكتئاب حين جلس محمد عندها في بيت أبويها، وما قالته له في جوابها، وما قاله أبوها بعد ذلك، قد أثر في نفس محمد تأثيرا عميقا فتهيجت أعصابه حتى أخذته نوبته العصبية المعهودة وهو متجه النفس الى قضية الإفك ومطمئن القلب بالبراءة، فكانت النتيجة من تلك النوبة نزول الوحي بتلك الآيات. وقد علمت أن محمدا لم ينزل هذا الوحي إلا بعدما ظل بضعا وثلاثين ليلة يسأل ويستشير ويحقق، ويسمع أقوال الناس في زوجته التي هو أعلم الخلق بها وأعرفهم بطويتها، فليت شعري أية حاجة تبقى في إنزال هذا الوحي الى جبريل، ولا جرم بأن الوحي النازل بالقرآن كان أكثره ينزل على هذا النمط.

98 - هل بنى إبراهيم وإسماعيل الكعبة؟

سلسلة النسب من آدم الى إبراهيم:

من آدم الى نوح:

هذا سِجل بأسماء مواليد البشر حسب تعاقُبهم: آدم، شِيت، أنوشُ، مهللئيل، يارِدُ، أخنوخُ، متوشالحُ، لامكُ، نوحُ، سامُ، حامُ، يافثُ.

أبناء يافث:

أما أبناء يافث فهم، جُومر وماجُوج وماداي وياوانُ وتوبال وماشك وتيراس. وأبناء جومر: أشكنازُ وريفاثُ وتُوجرمةُ. وأبناء ياوان: أليشةُ وترشيشةُ وكتيم ودُودانيم.

أبناء حام:

أما أبناء حام فهم: كوشُ ومصرايم وفوطُ وكنعانُ. وأبناء كوش: سبا وحويلة وسبتا ورعما وسبتكا. وأبناءرعما: شبا ودادان، وأنجب كوش نمرود الذي شب وصار محاربا مرهوبا في الأرض. وأنجب مصرايم لوديم وعناميم ولهابيم ونفتوحيم، وفتروسيم وكسلوحيم الذين تحدر منهم الفلسطينيون والكفتوريون. وأنجب كنعان بكره صيدون، ومن صُلبه تحدر الحثيون. واليبوسيون والأموريون، والجرجاشيون، والحويون والعرقيون والسينيون، والأرواديون والصماريو والحماثيون.

أبناء سام:

أما أبناء سام فهم: عيلام وأشور وأرفكشاد ولود وأرام وعوص وحول وجائر وماشك. وأنجب أرفكشاد شالح، وأنجب شالح عابر. وولد لعابر أبنان، اسم أحدهما فالج لأن شعوب الأرض انقسمت في أيامه الى قبائل حسب لغاتها. واسم أخيه يقطان. وأنجب يقطان الموداد وشالف وحضرموت وبارح، وهدورام وأوزال ودقلة، وعيبال وأبيمايل وشباء وأوفير وحويلة ويوباب. وجميع هؤلاء هم أبناء يقطان.

(أما إبراهيم فقد تحدر من نسل) سام، أرفكشاد، شالح، عابر، فالج، رعو، سروج، ناحور، تارح، الذي أنجب أبرام الذي دعي إبراهيم.

نلاحظ في هذه السلسلة اسم واحد من أحفاد سام وهو يقطان ويطلق عليه بالعربية قحطان وهو أبو العرب الأصليين من خلال ابنه هدورام وهو بالعربية جرهام. هؤلاء هم من يطلق عليهم البعض " العرب العاربة ". وأولاد قحطان هم الموداد وشالف وحضرموت ويارح وهدورام وأوزال ودقلة وعيبال وأبيمايل وشبا وأوفير وحويله ويوباب.

يتضح مما سبق أن إبراهيم ليس من نسل جرهام (هدورام) على الإطلاق وإنما هو من نسل فالج بن عابر بن شالح بن ارفكشاد بن سام بن نوح.

هل كان إبراهيم رجل بناء؟

جاء في الإصحاح الثاني عشر من سفر التكوين وهو أول أسفار العهد القديم ما يلي:

دعوة أبرام:

وقال الرب لأبرام: " أترك أرضك وعشيرتك وبيت أبيك واذهب الى الأرض التي أريك، فأجعل منك أمة كبيرة وأباركك وأعظم اسمك، وتكون بركة (لكثيرين). وأبارك مُباركيك وألعن لاعنيك، وتتبارك فيك جميع أمم الأرض. فارتحل أبرام كما أمرهُ الربُّ، ورافقهُ لوط. وكان أبرام في الخامسة والسبعين من عمره عندما غادر حاران. وأخذ أبرام ساراي زوجته ولوطا ابن أخيه وكل ما جمعاهُ من مقتنيات وكل ما امتلكاهُ من نفوس في حاران، وانطلقوا جميعا الى أرض كنعان الى أن وصلوها.

فشرع أبرام يتنقل في الأرض الى أن بلغ موضع شكيم الى سهل مُورة. وكان الكنعانيون آنئذ يقطنون تلك الأرض. وظهر الرب لأبرام وقال له: " سأعطي هذه الأرض لذريتك". فبنى أبرام هناك مذبحا للرب الذي ظهر له. وانتقل من هناك الى الجبل شرقي بيت إيل حيث نصب خيامهُ ما بين بيت إيل غربا وعاي شرقا وشيد هناك مذبحا للرب ودعا بأسمه.

نستنتج من هذه الآيات عدة أشياء:

أولا : إن الله وعد إبراهيم (أبرام) بإعطاء أرض كنعان لذريته.

ثانيا : إن إبراهيم كان يسكن الخيام ولم يبني لنفسه بيتنا.

ثالثا : إن إبراهيم بنى مذبحا للرب. والمذبح عبارة عن عدة حجارة متراصة لا يزيد إرتفاعها عن متر واحد وعليه توضع الذبيحة.

الإصحاح التالي مباشرة (إصحاح13) يحكي لنا عن أن إبراهيم بعد أن عاد من مصر أيضا نصب خياما وبنى مذبحا.

وغادر أبرام مصر وتوجه هو وزوجته ولوط وكل ما كان له، نحو منطقة النقب وكان أبرام يملك ثروة طائلة من المواشي والفضة والذهب. وظل ينقل في منطقة النقب متجها الى بيت إيل الى المكان الذي كان قد نصب فيه خيامه أولا بين بيت إيل وعاي. حيث كان قد شيد المذبح أولا، ودعا هناك أبرام باسم الرب.

(تكوين 13: 1-4)

ولإثبات أن بناء المذبح لم يكن أمرا عسيرا نستشهد هنا بالمذبح الذي بناه إيليا النبي كما جاء في الإصحاح الثامن عشر من سفر ملوك الأول.

"عندئذ قال إيليا للشعب كله:" تقدموا إليَّ، فدنا جميع الشعب منه، فرمم مذبح الرب المنهدم، ثم أخذ اثني عشر حجرا حسب عدد أسباط إسرائيل، ذرية يعقوب الذي دعاه الله إسرائيل وبنى بهذه الحجارة مذبحا باسم الرب، وحفر حوله قناة تسع نحو كيلتين من الحب".

(1ملوك 18:31-33)

لقد احتاج إيليا الى 12 حجر لكي يبني مذبحا للرب.

شيخوخة إبراهيم:

" وكان إبراهيم وسارة شيخين متقدمين في الأيام وقد إنقطع أن يكون لسارة عادة كالنساء. فضحكت سارة في باطنها قائلة أبعد فنائي يكون لي تنعم وسيدي قد شاخ."

(تكوين 18:11-12)

موت إبراهيم:

جاء في الإصحاح الخامس والعشرين من سفر التكوين ما يلي عن موت إبراهيم:

وعاش إبراهيم مئة وخمسا وسبعين سنة. ثم مات بشيبة صالحة وانضم الى أسلافه. فدفنه أبناه إسحاق وإسماعيل في مغارة المكفيلة، في حقل عفرون بن صوحر الحِثي مقابل ممرا وهو الحقل الذي اشتراهُ إبراهيم من الحثيين، وفيه دُفن إبراهيم وزوجته سارة. وبعد وفاة إبراهيم بارك الله إسحاق ابنه وأقام إسحاق عند بئر لحي رئي.

(تكوين 25:7-11)

نلاحظ هنا أن إسماعيل إشترك في دفن أبيه في مغارة المكفيلة في حقل عفرون بن صوحر الحثي مقابل ممرا.

الحبل بإسماعيل:

بعد أن صارت هاجر حُبلى من إبراهيم صغرت سيدتها سارة في عينيها ولهذا أذلتها سارة فهربت.

(تكوين 16)

ملاك الرب وهاجر:

فوجدها ملاك الرب بالقر من عين الماء في الطريق المُؤدية الى شُور. فقال:" يا هاجر جارية ساراي، من أين جئت؟ والى أين تذهبين؟". فأجابت:" إنني هاربة من وجه سيدتي ساراي". فقال لها ملاك الرب:" عُودي الى مولاتك وأخضعي لها". وقال لها ملاك الرب:" لأكثرن نسلك فلا يعودُ يُحصى". وأضاف ملاك الرب:" هُوذا أنت حامل وستلدين ابنا تدعينهُ إسماعيل (معناه: الله يسمع) لأن الرب قد سمع صوت شقائك.

(تكوين 16:7-11)

نلاحظ هنا أن ملاك الرب وجدها بالقرب من عين الماء في الطريق المؤدية الى شور. (سنتناول موقع شور بشيء من التفصيل بعد قليل).

طرد هاجر وإسماعيل:

ورأت سارة أن ابن هاجر المصرية الذي أنجبتهُ لإبراهيم يسخرُ من ابنها إسحاق، فقالت لإبراهيم:" اطرد هذه الجارية وابنها، فإن ابن الجارية لن يرث مع ابني إسحاق". فقبح هذا القول في نفس إبراهيم من أجل ابنه. فقال الله لهُ:" لا يسُوءُ في نفسك أمر الصبي أو أمر جاريتك، واسمع لكلام سارة في كل ما تشيرُ به عليك لأنهُ بإسحاق يُدعى لك نسل. وسأقيم من ابن الجارية أمة أيضا لأنه من ذريتك".

فنهض إبراهيم في الصباح الباكر وأخذ خبزا وقربة ماء ودفعهما الى هاجر، ووضعهما على كتفيها، ثم صرفها مع الصبي. فهامت على وجهها في برية بئر سبع. وعندما فرغ الماء من القربة طرحت الصبي تحت إحدى الأشجار، ومضت وجلست مقابله، على بعد نحو مئة متر، لأنها قالت:" لا أشهد موت الصبي". فجلست مقابله ورفعت صوتها وبكت.

فسمع الله صوت الغلام ونادى ملاك الله هاجر من السماء وقال لها:" ما الذي يزعجُك يا هاجر؟ لا تخافي، لأن الله قد سمع بكاء الصبي من حيثُ هو مُلقى. قومي واحملي الصبي، وتشبثي به لأنني سأجعله أمة عظيمة". ثم فتح عينيها

فأبصرت بئر ماء، فذهبت وملأت القربة وسقت الصبي. وكان الله مع الصبي فكبر، وسكن في صحراء فاران، وبرع في رمي القوس. واتخذت له أمه زوجة من مصر.

(تكوين 21:9-21)

نلاحظ هنا عدة أشياء:

أولا : أن ملاك الرب وجد هاجر وإسماعيل في برية بئر سبع.

ثانيا : أن الله وعد بأن يجعل إسماعيل أمة عظيمة.

ثالثا : أن أمه إتخذت له زوجة من مصر وهذا ليس مستغربا لأن هاجر نفسها مصرية ولقرب فاران من مصر. (سوف نتناول موقع فاران بشيء من التفصيل بعد قليل).

ذرية إسماعيل:

وهذا سجل مواليد إسماعيل بن إبراهيم الذي أنجبته هاجر المصرية جارية سارة لإبراهيم. وهذه أسماء أبناء إسماعيل مدونه حسب ترتيب ولادتهم: نبايُوت بكرُ إسماعيل، وقيدارُ وأدبئيل ومبسام، ومشماعُ ودُومه ومسا، وحدارُ وتيما وتطورُ ونافيش وقدمةُ. هؤلاء هم بنو إسماعيل، وهذه هي أسماءهم حسب ديارهم وحُصُونهم، وقد صاروا اثني عشر رئيسا لإثنتي عشرة قبيلة. ومات إسماعيل وله من العمر مئة وسبع وثلاثون سنة، ولحق بقومه. أما ذريتهُ فقد انتشرت من حويلة الى شور المُتاخمة لمصر في اتجاه اشور، وكانت على عداء مع بقية إخوتها.

(تكوين 25:12- 18)

نفهم من هذه الآيات أن ذرية إسماعيل كانت منتشرة من حويلة الى شور المتاخمة لمصر.

نوجه عنايتنا الآن الى موقع شور وفاران كما جاءا في أسفار العهد القديم ومنها يتضح أن برية شور هي الثلث الشمالي لشبة جزيرة سيناء وأن برية فاران هي الثلث الأوسط لشبة جزيرة سيناء كما هو واضح من الخريطة المرفقة.

لقد جاء ذكر شور وفاران عدة مرات في أسفار العهد القديم سوف نستشهد هنا بأجزاء متفرقة منه ثم نعلق عليها في النهاية.

فإنهم قد تآمروا معا بقلب واحد، وعقدوا حِلفا ضِدك. عشائر أدوم وبنو إسماعيل، نسل مُوآب وبنو هاجر. جبالُ وعمون وعماليق، الفلسطينيون وأهل صور، وقوم أشور أيضا انضموا إليهم، صاروا عونا لبني لوط.

(مزمور 83:5-7)

وانطلق داود ورجالهُ يشنون الغارات على الجشوريين والجرزين والعمالقة الذين استوطنوا من قديم الأرض الممتدة من حدود شور الى تخوم مصر. وهاجم داود سكان الأرض، فلم يستبق نفسا واحدة. واستولى على الغنم والبقر والحمير والجمال والثياب، ثم رجع الى أخيش.

(1صموئيل 27:8 - 9)

لقد قال الرب إلهنا لنا في جبل حوريب: كفاكم المقام في هذا الجبل. تحولو وتقدموا وادخلوا جبل الأموريين وكل ما يليه من وادي العربة والجبل والسهل والنقب وساحل بحر أرض الكنعانيين ولبنان، الى النهر الكبير نهر الفرات. انظروا فها أنا قد وهبتكم الأرض، فادخلوا وتملكوها لأني أقسمت أن أعطيها لأبائكم إبراهيم وإسحاق ويعقوب ولنسلهم من بعدهم.

(تثنية 1:6- 8)

وهذه هي البركة التي بارك بها موسى، رجل الله، بني إسرائيل قبل موته، فقال:" أقبل الرب من سيناء، وأشرف عليهم من سعير، وتألق في جبل فاران، جاء محاطا بعشرات الألوف من الملائكة وعن يمينه يُومضُ برق عليهم. حقا إنك أنت الذي أحببت الشعْب، وجميع القديسين في يدك، ساجدون عند قدميك يتلقون منك أقوالك.

(تثنية 23:1-3)

ومات صموئيل، فأجتمع جميع بني إسرائيل وناحوا عليه ودفنوهُ في بيته في الرامة. فأنتقل داود الى صحراء فاران.

(1صموئيل 25:1)

وفي اليوم العشرين من الشهر الثاني (أي شهر نيسان/ابريل) من السنة الثانية (العبرية) ارتفعت السحابة عن مسكن الشهادة، فارتحل بنو إسرائيل في صحراء سيناء من مكان الى آخر الى أن استقرت السحابة في برية فاران.

(عدد 10:11-12)

واحتد غضب الرب عليهما، ثم مضي عنهما. فلما ارتفعت السحابة عن خيمة الإجتماع، إذا مريم برصاء كالثلج فالتفت هرون وموسى نحو مريم وإذا هي مصابة بالبرص.

فقال هرون لموسى:" أرجوك يا سيدي، لا تُحملنا الخطيئة التي ارتكبناها كالحمقى. وأسأنا بها إليك. ولا تجعل مريم كالجنين الميت الخارج من رحم أمه وقد تهرأ نصف لحمه، فصرخ موسى الى الرب قائلا:" واللهم أشفها" فأجابه الرب:" لو أن أباها بصق في وجهها، أما كانت تمكث خجلة سبعة أيام؟ فتحجز خارج المخيم سبعة أيام وبعد ذلك ترجع". فحجزت مريم سبعة أيام خارج المخيم، ولم يرتحل الشعب حتى عادت مريم، وبعد ذلك ارتحل الشعب من حصيروت ونزلوا في صحراء فاران.

(عدد 12:9-16)

وبعد أربعين يوما رجعوا من استكشاف الأرض. فأقبلوا على موسى وهرون وسائر شعب إسرائيل في صحراء فاران في قادش، وبلغوهم بما شاهدواهُ وأروهم ثمر الأرض. وقالوا:" قد انطلقنا الى الأرض التي أرسلتنا إليها، فوجدناها تفيض حقا لبنا وعسلا، وهذه هي ثمارُها، غير أن الشعب المستوطن فيها بالغ القوة ومدنه منيعة وعظيمة جدا. كما شاهدنا هناك بني عناق، فالعمالقة مقيمون في أرض الجنوب، والجثيون واليبوسيون والأموريون متمنعون في الجبل، والكنعانيون مستوطنون عند البحر وعلى محاذاة الأردن.

(عدد 13:25-29)

وحدث في زمان أمرافل ملك شنعار وأربوك ملك ألاسار وكدرلعومر ملك علام وتدعال ملك جوييم أن حربا نشبت بينهم وبين بارع ملك سدوم وبرشاع ملك عمورة وشناب ملك أدمة وشمئيبر ملك صبوييم وملك بالع المعروفة بصوغر هؤلاء جميعهم احتشدوا في وادي السديم وهو بحر الملح (البحر الميت) وكان كدرلعومر قد استعبدها طوال اثنتي عشر سنة، وفي السنة الثالثة عشرة تمردوا عليه. وفي السنة الرابعة عشرة اجتمع كدرلعومر وحلفاؤهُ الملوك وقهروا الرفائيين في عشتاروت قرنايم والزوزبيين في هام والإيميين في سهل قريتايم والحوريين في جبلهم سعير حتى بُطمة فاوان على حدود الصحراء. ثم استداروا حتى أقبلوا على عين مشفاط التي هي قادش فهزموا بلاد العمالقة كلها والأموريين الساكنين في حصون تامار.

(تكوين 14:1-7)

هذه صلاة النبي حبقوق:" يا رب قد بلغني ما فعلت فخفت يارب، عملك في وسط السنين أحيهِ، وعرف به على مر الأيام، واذكر الرحمة في الغضب.

قد أقبل الله من أدُوم، وجاء القدوس من جبل فاران. غمر جلالهُ السماوات وامتلأت الأرضُ من تسبيحهِ. إن بهاءهُ كالنور، ومن يدهِ يُومِضُ شُعاعٌ، وهناك يحجُبُ قوتهُ. يتقدمُهُ وباً، والموت يقتفي خُطاهُ. وقف وزلزل الأرض، تفرس فأرعب الأمم، اندكت الجبال الأبدية وانهارت التلالُ القديمة، أما مسالكُهُ فهي من الآزل. لقد رأتُ خِيام كوشان تنوءُ بالبلية وشُقق أخبية ديار مديان ترجُفُ رُعبا.

(حبقوق 3:1-7)

وأثار الرب على سليمان هدد سليل النسل الملكي الأدومي، ففيما كان داود في أدوم، صعد يُواب رئيسُ الجيش لدفن القتلى، وقضى على كل ذكر في أدوم. إذ إن يُواب وكل جيشهِ أقاموا هناك ستة أشهر، أفنوا خلالها كل ذكر في أدوم، ولكن هدد وبعض رجال أبيهِ الأدوميين استطاعوا الهرب واللجوء الى مصر، وكان هدد أنئذ فتى صغيرا. وأقاموا في باديء الأمر في مديان، ثم انتقلوا الى فاران حيثُ انضم إليهم عدد أخر من الرجال، توجهوا جميعا الى فرعون مصر، فأعطى فرعون هدد بيتا وأرضا وطعاما.

(1ملوك 11:14- 18)

يتضح جليا مما سبق أن فاران كانت في طريق خروج شعب إسرائيل من مصر وذهابهم الى أرض فلسطين وكذلك أن شور كانت متاخمة لمصر في شمال سيناء.

من الآيات (والخرائط المرفقة أيضا) يتضح أن المديانيين كانوا يعيشون في المنطقة المعروفة الأن بخليج إيلات.

والمديانيون قد تصاهروا مع الإسماعيلين وهم الذين اشتروا يوسف من إخوته كما نقرأ في الإصحاح السابع والثلاثين من سفر التكوين.

خلاصة هذا الباب:

1 - إبراهيم لم يكن رجل بناء.

2 - الله وعد إبراهيم بأن يعطي أرض كنعان لذريته.

3 - إبراهيم كان شيخا عندما بشره الملاك بمولد إسحق.

4 - إبراهيم صرف هاجر وإسماعيل ولم يذهب معهما استجابة لقول الرب له.

5 - الملاك وجد هاجر عند بئر سبع في فلسطين.

6 - إسماعيل تزوج من مصرية وعاش في فاران بين فلسطين ومصر.

7 - ذرية إسماعيل عاشت في نفس المنطقة وتصاهروا مع المديانيين.

8 - إسماعيل إشترك في دفن أبيه إبراهيم في فلسطين.

نستنتج مما سبق أن إبراهيم لم يبنى كعبة فى مكة على الإطلاق وبالتالي فإن قصة بناء إبراهيم للكعبة لا تعدو أن تكون أسطورة من أساطير العرب.

كيف بنى إبراهيم وهو شيخ وليس رجل بناء كعبة في أرض لم يعده الله بأن يعطيها لنسله؟**!**

وكيف يبني إبراهيم بناءا مكعبا للرب مخالفا للمواصفات التي أعطاها الرب بعد ذلك لموسى في إصحاحي 25و26 من سفر التكوين؟.

لا عجب إذن أن يعترف عميد الأدب العربي بهذا في كتابه الأشهر " في الشعر الجاهلي".

في الشعر الجاهلي:

طـه حسين ـ الطبعة الأولى ـ مطبعة دار الكتب المصرية 1926.

جاء في صفحة 28-29:

فمن المعقول جدا أن تبحث هذه المدنية الجديدة لنفسها عن أصل تاريخي قديم يتصل بالأصول التاريخية الماجدة التي تتحدث عنها الأساطير. إذا فليس ما يمنع قريشا من أن تقبل هذه الأسطورة التي تفيد أن الكعبة من تأسيس إسماعيل وإبراهيم كما قبلت روما قبل ذلك ولأسباب متشابهة أسطورة أخرى صنعها لها اليونان تثبت أن روما متصلة بإينياس ابن بريام صاحب طروادة.

أمر هذه القصة إذن واضح فهي حديثة العهد ظهرت قبيل الإسلام واستغلها الإسلام لسبب ديني وقبلتها مكة لسبب ديني وسياسي أيضا. إذن يستطيع التاريخ الأدبي واللغوي ألا يحفل بها عندما يريد أن يتعرف أصل اللغة العربية الفصجى التي كانت تتعلمها العدنانية واللغة التي كانت تتكلمها القحطانية في اليمن إنما هي كالصلة بين اللغة العربية وأي لغة أخرى من اللغات السامية المعروفة. وإن فئة " العاربة" و " المستعربة " وتعلم إسماعيل العربية من جرهم كل ذلك أساطير لا خطر له ولا غناء فيه.

وجاء في صفحة 81:

وشاعت في العرب أثناء ظهور الإسلام وبعده فكرة أن الإسلام يجدد دين إبراهيم. ومن هنا أخذوا يعتقدون أن دين إبراهيم هذا قد كان دين العرب في عصر من العصور ثم اعرضت عنه لما أضلها به المضلون وانصرفت الى عبادة الأوثان. ولم يحتفظ بدين إبراهيم إلا أفراد قليلون يظهرون من حين الى حين وهؤلاء الأفراد يتحدثون فنجد في أحاديثهم ما يشبه الإسلام. وتفسير هذا من الوجهة العلمية يسير أيضا فأحاديث هؤلاء الناس وضعت لهم وحملت عليهم حملا بعد الإسلام لا لشيء إلا ليثبت أن للإسلام في بلاد العرب قدمة وسابقة. وعلى هذا النحو تستطيع أن تحمل كل ما تجد من هذه الأخبار والأشعار والأحاديث التي تضاف الى الجاهليين والتي يظهر بينها وبين ما في القرآن من الحديث شبه قوي أو ضعيف.

99 ـ عذاب القبر

تناول الدكتور أحمد صبحي منصور هذا الموضوع في كتابه المعنون بنفس الإسم ونحن ننقل عنه هنا بضعة صفحات:

إن الحديث المتواتر هو الذي يفيد اليقين وليس محلا للشك أو الظن، وعند أكثرية المحققين مثل الحازمي والشاطبي وأبي حيان والبستى والنووى فإنه لا وجود للحديث المتواتر. وبعضهم أثبت وجود حديث واحد متواتر هو حديث " من كذب عليّ متعمدا فليتبوأ مقعده من النار" على إختلاف بينهم في وجود كلمة " متعمدا" أو حذفها.. بعضهم إرتفع بالحديث المتواتر الى ثلاثة أو خمسة.. ولكن ليس من بينها إطلاقا حديث عن عذاب القبر أو نعيمه، وبالتالي فإن المرجع في موضوعنا هو القرآن فقط .. وإذا نحينا الحديث المتواتر جانبا وجدنا أمامنا غير القرآن تلك الألوف المؤلفة من الأحاديث التي يقال عنها أحاديث آحاد والتي تفيد الظن ولا تفيد العلم واليقين، وبالتالي فليست محلا للإعتماد عليها في أمور الغيبيات والسمعيات كما قال علماء الأصول. ونتساءل: إذن فلماذا نحتاج الى وجود تلك الأحاديث التي تملأ كتب التراث وهي تتحدث بالظن والتخمين وليس بالعلم واليقين عن قضايا إعتقادية مثل الغيبيات والسمعيات؟

كان ذلك مأزقا شديدا أمام علماء الأصول، وخرجوا منه بأن تلك القضايا الغيبية قضايا خلافية إجتهادية، وكل فريق عزز مذهبه فيها بالأحاديث التي عنده، ولذلك إمتلأت كتب الفرق الإسلامية مثل كتاب " مقالات المسلمين" بالإختلافات المتشعبة مع أنهم جميعا مسلمون. ونترك علماء الأصول وآراءهم وإجتهاداتهم ونلتفت الى القرآن الكريم نحاول الإجابة على نفس السؤال: هل تحدث النبي عن عذاب القبر؟ حديث القرآن عن قضية الحساب يأتي ضمن منظومة كاملة تتحدث عن خلق النفس وموتها وحياتها والبرزخ والموت والنوم والبعث والنشور. وكي نفهم الموضوع لا بد أن نبدأ بالبداية ونسير الى النهاية وكل ذلك بالآيات القرآنية وبالترتيب.

وبداية لا بد أن نقرر أنه لم يرد في القرآن الكريم مطلقا ذكر ما يسمى بعذاب القبر أو نعيمه أو الثعبان الأقرع، وحيث أن القرآن الكريم هو المصدر الوحيد المعتمد في القضية فالحكم هنا قاطع في نفي عذاب القبر ونعيمه وثعبانه. لكن البعض يخلط بين القبر وما ورد في القرآن حول البرزخ، ويرتبون على ذلك القول بعذاب القبر ونعيمه، إن تركيز الإنتباه على الجسد وإهمال النفس يجعلنا نسيء فهم الموت ويجعلنا على إستعداد لتصديق الأساطير عن الموت وعذاب ما يعرف بعذاب القبر..

الذين تتعلق عيونهم بالمحتضر على فراش الموت ولا يرون فيه إلا مجرد جسد يموت يتعاظم لديهم الإحساس بفظاعة الموت ومنها يترجمون حركات الذي يجود بأنفاسه الأخيره، ويحسبون تقلصات وجهه على أنها ألم شديد ومعاناه هائلة، وكلهم يخشى على نفسه تلك اللحظة.. هذا مع أن الموت كما يقرر القرآن هو نوم أو سكرة أو إغماء، وفي كل الأحوال فلا مجال للشعور بالألم .. مع ذلك فالذي ترسب في مشاعر الناس عبر تراثهم وتاريخهم أن الموت كريه وقاس بشع مؤلم خصوصا وهو تجربة جديدة لكل إنسان، أن تخرج نفسه نهائيا من جسده، ولم يحدث أن عاد إنسان بعد تجربة الموت الحقيقي ليحكي للأحياء مشاعره بالضبط، إن الذي يحدث أن الذي يموت لا يعود ليخبرنا بمشاعره، لذلك يظل كل منا ينتظر دوره بفزع ويتعامل مع الموت الذي ينتظره من خلال الأساطير التي تحكي عن الموت، وليس من خلال حقائق القرآن الكريم عن الموت، وحتى حقائق الطب عن الموت لا تختلف عما أشار إليه القرآن من قبل. ولكن يظل الوهم أوقع في التأثير لأنه أكثر إلتصاقا بالمشاعر .. لو أنهم عرفوا أن النفس تفارق جسدها وتتحرر منه بنفس ما تعودت في النوم، ولكن الفراق هنا أبدي ـ لو عرفوا ذلك إستراحوا ولتخففوا من كثير من الكوابيس. وينطبق نفس الوضع على أساطير وكوابيس عذاب القبر .. فبسبب التركيز على الجسد وإعتباره هو ذات الشخص تتقافز أمام عقولهم عفاريت الليل، فذلك الشخص ـ أي ذلك الجسد. دخل القبر وهو حفرة في باطن الأرض مظلمة كئيبة، وينام فيها وحده محشورا محاطا بعظام وأموات، حيث لا رفيق ولا صديق ولا حبيب..**!!**

وحين يضعون ذلك الجسد في تلك الحفرة لا يعلمون أنهم يضعون ثوبا باليا كانت فيه النفس وتركته، ولا يعلمون أن الشخص الحقيقي أو الذات الحقيقية للإنسان قد غادرت ذلك الجسد أو تلك السوأة، وأن مصير ذلك الجسد هو العودة للتراب، والصورة المثلى لعودته للتراب أن يكون جزءا من التراب، أي دفنه في التراب.. لا يعلمون ذلك، ويغيب عنهم ذلك. ويرون الجثة الميته هي نفس الشخص بأحاسيسه ومشاعره وذاتيته ويتصورون الشخص العزيز لديهم وقد أصبح أسير حفرة في باطن الأرض ويتخيلون ما يحدث له في هذا السجن الضيق الإنفرادي الذي يخنق الأنفاس.. ومن هذا التخيل تولدت حكايات وأساطير وخرافات .. ولذلك تحفل أدبيات التراث بصور أسطورية كثيرة لعذاب القبر فالكافر في قبره يتعرض لتسعة وتسعين تنينا ولكل تنين سبعة رؤوس تنهشه وتلدغه حتى تقوم الساعة، والكافر يضرب بمطارق من حديد وبمرزبه تكفي الضربة منها لإحالة الجبل الى تراب، والنساء تعلقن من أثدائهن .. والشفاة تقرض بمقارض من حديد .. إلخ هذه الصور البشعه لعذاب القبر، ولأنها حكايات عن المجهول فقد تلقفها الناس بالشغف والقبول، لأنها تشبع رغبتهم الفضولية في معرفة ذلك المجهول الذي ينتظرهم .. ولأنه أمر غيبي ويتلقاه الناس بالقبول والتسليم فلا بد أن يصبح دينا .. وطالما أصبح دينا فقد صار له أولياؤه وأصحابه الذين يأخذون من هذه الأساطير مادة خصبة للترغيب والترهيب، فالقبر يتحول الى روضة من رياض الجنة، أو يتحول الى حفرة من حفر النار، ثم لا يلبث أن يتحول ذلك الدين الأرضي الى مجالات التجارة والإرتزاق والإستخدام السياسي. فإذا كنت تريد أن يتحول قبرك الى فندق خمس نجوم فتبرع يا أخي بكذا .. وإلا فإن الثعبان الأقرع في إنتظارك**!!**

الأبعاد التاريخية لعذاب القبر:

الحضارة المصرية أقدم الحضارات وتأثيراتها على الشعوب المجاورة من الحقائق التاريخية المعروفة. وحساب القبر ونعيمه وعذابه من أهم مقررات العقائد الدينية الفرعونية، ويؤكد الإستاذ سليم حسن في بحثه عن الحياة الدينية المصرية القديمة أن كل شيء في الشعائر الدينية كان يشير الى الإهتمام بمصير جسد الإنسان عند الموت أكثر من نفسه أو روحه، وإن ذلك الإهتمام بمصير جسد الميت إزداد بعد طغيان عقيدة ايزيس وأوزوريس الذي عاد للحياة بعد الموت. وفي العقائد الجنائزية لما بعد الموت هناك ثلاث روايات مختلفة عن مصير الميت بعد دفنه وحسابه أمام أوزوريس الذي كان إله الموت والموتى وكان الإله العظيم لعالم الموتى وسيد القضاء للموتى في قبورهم. ويقرر (إرمان) في كتابه ديانة مصر القديمة أن الميت يصحو في القبر ليس على شبح خيالي وإنما في بعث متجسد، أي يصحو بجسده وهي نفس الفكرة التى لا يزال يكررها فقهاء الأرياف عند إلقاء الخطبة التقليدية عند الدفن .. ولا يزال المصريون يعتقدونها .. ونقرأ في الفصل الخامس والعشرين بعد المائة من كتاب الموتى مشهدا لمحاكمة الميت في قبره حيث يجلس أوزوريس على عرشه وأمامه رمز أنوبيس وأبناء حورس وآكل الموتى وهو حيوان مرعب يتشكل من تمساح وأسد وفرس النهر، ويجلس قضاة أوزوريس، قضاة المحكمة وهم على أشكال مخيفه ولهم ألقاب مفزعة وعددهم إثنان وأربعون قاضيا بعدد مقاطعات مصر القديمة، ويتم حساب الميت بوزن قلبه في الميزان ويسجل (تحوت) كاتب الألهة النتيجة على لوحة ثم يخبر بها أوزوريس.

ويتقدم الميت مخاطبا أوزوريس بالتمجيد ثم يبدأ بالدفاع عن نفسه وينفي وقوعه في شيء من المعاصي.. والناجحون في الإمتحان يدخلون مملكة أوزوريس وجنته أما الراسبون العُصاة فيظلون في مقابرهم جوعى وعطشى بل أن القضاة يحملون معهم أدوات لتعذيب الموتى العصاة، والحيوان المخيف الواقف أمام أوزوريس يلتهم الميت ويمزق أعضاءه، وإسم ذلك الحيوان آكل الموتى "باباى". وفي رواية أخرى يكون الميت في قبره بين ثلاث فئات .. فئة تفوق سيئاتهم حسناتهم، ومصيره الى الحيوان الوحشي الذي يأكله، وهنا يحدث تحوير صورة ذلك الحيوان، إذ يكون في تلك الرواية كلبة متوحشة وليس الحيوان الخرافي باباى .. وقد يكون الميت من فئة تفوق فضائله رزائله، وحينئذ ينضم الى جنة الآلهه، وقد تتعادل حسناته وسيئاته وحينئذ توكل إليه مهمة خدمة الآلهه.. في رواية ثالثة يتحول الحيوان الخرافي الذي يعاقب الميت العاصي الى ثعبان أفعى ضخم رهيب المنظر، وإذا أفلح الميت في حسابه أمام أوزوريس يقال لذلك الثعبان الهائل يا أفعون لا تأكله..

وإنتقلت تلك الأسطورة الأخيرة إلينا في شكل جديد بعد عدة تحويرات ... أصبح أوزوريس فيها يتسمى باسم عزرائيل ... وأصبح الأفعوان الضخم ثعبانا أقرع، وأصبح القائمون على محاسبة الميت في قبره إثنين فقط من الملائكة أطلق عليهما لقب منكر ونكير.

القصاص والترغيب والترهيب:

القُصَّاص هم مجموعة من الناس إحترفوا الوعظ في المساجد وغيرها بعد أوقات الصلاة. وكان عمل القصاص تطوعيا في بدايته يقوم به رؤس الصحابة للوعظ والدعوى الى الحق، وأول من تطوع لهذه المهمة الأسود بن سريع وكان صحابيا غزا مع النبي أربع غزوات.. ثم تحول القصص الى وظيفة سياسية دينية رسمية في العصر الأموي فقد إحتاج معاوية الى جهاز دعائي يقنع أهل الشام بأحقيته في القيام ضد (علي بن أبي طالب) لذا أصبح منصب القصاص يكافئ منصب القاضي، وقد يجمع الرجل بين الوظيفتين معا، لذلك يقال أول من قص بمصر سليمان بن عتر التجيبي وكان يجمع بين القضاء والقصص وكان يمارس عمله في المسجد العتيق بالفسطاط.. وكان القصاص يجلس بالمسجد وحوله الناس فيستحوذ على ألبابهم بالحكايات والأقاصيص والأساطير ثم يخلط كلامه بالدعوة السياسية لأولى الأمر والهجوم على (أبي تراب) وهو كنية (على بن أبي طالب).

وهناك ناحية سيكولوجية تنبه لها أولئك القصاص وهي التركيز على التخويف والإنذار والترهيب من عذاب القبر والآخرة وبعد إخضاع المستمعين بالأساطير المرعبة عن عذاب القبر يسهل التأثير فيهم وبث الدعاية السياسية في عقولهم بعد أن تتم السيطرة عليها.. وحتى الأن فإن المتطرفين يركزون في الخطب والكتابات على عذاب القبر والثعبان الأقرع وعذاب الأخرة ليشيعا الإرهاب الديني في النفوس ومن ثم يسهل لهم السيطرة على الناس، فطالما أخضعوا لهم الناس بالدين كان سهلا أن يخضع لهم الناس في أمور الدنيا.

وقد أشار الأستاذ أحمد أمين الى أن أولئك القصاص أدخلوا الكثير من الإسرائيليات والخرافات في التفسير والتاريخ، وقبله إنتقد ابن تيميه خرافات القصاص في كتابه " أحاديث القصاص" إلا أن المؤسف أن بعض الأقاصيص الخرافية إرتدت ثوب الأحاديث النبوية وهي تؤسس العقائد المصرية القديمة في حقيقة الأمر، والمؤسف أكثر أن محققي الجرح والتعديل في الحديث تساهلوا مع تلك الأحاديث لأنه لا يترتب عليها تحريم أو تحليل، إذ أن عصور الفقهاء كانت تجعل التركيز قائما على تحري الأحاديث الخاصة بالحلال والحرام تبعا للصراع المذهبي بين أهل الفقه، أما أحاديث الترغيب والترهيب ومنها أحاديث القبر فقد كانوا يتسامحون في رواياتها، ولم يفطنوا الى خطورتها على تكوين العقل والمعتقد، وهكذا راجت أحاديث الأوزاعي وغيره .. وإنتشرت هذه الأحاديث وإنسجمت الأغلبية المتدينة معها لأنها في الحقيقة بضاعتنا المصرية القديمة وقد ردت إلينا. ولأنها تتحدث عن الموت والقبر وتضخم خوفنا الغريزي من ظلمة القبر وأساطيره .. ولأن التيار الديني المتحكم الذي يريد أن يركب ظهورنا باسم الإسلام لا بد له أن يضع حجابا على عقولنا وإرهابا في قلوبنا حتى نركع له ونخضع. وتناسينا في خضم هذا الموضوع أن نرجع الى القرآن الكريم وأن نحتكم إليه.

ونعود الى العصر الأموي الذي أعاد الأفكار الفرعونية القديمة في عذاب القبر والذي إتخذ أسلوب القصص والقصاص وسيلة للدعاية السياسية.. نقول إن المصدر الذي يستقي منه القصاص مادتهم الخرافية عن عذاب القبر وخلافه تتمثل في إثنين من اليهود، ومنهم جاءت " الإسرائيليات" في فكر المسلمين وعقائدهم، وهما وهب بن منبه وكعب الإحبار بالإضافة الى عبد الله بن سلام.. ومعروف أن أبا هريرة كان صديقا لكعب الأحبار وإنه أخذ عنه، كما أخذ أيضا عبد الله ابن عباس، وبذلك دخلت مرويات كعب الأحبار الى الأحاديث.. ومن يريد الإستفاضه في هذا الموضوع يمكنه أن يرجع الى مؤلفات الشيخ محمود أبوريه في كتابيه " أضواء على السنة"، " شيخ المضيرة" وكتاب الأستاذ أحمد أمين " فجر الإسلام".

خاتمة:

الإمام أبو الحسن الأشعري المتوفى سنة 330 هـ وضع كتابه المشهور " مقالات الإسلاميين وإختلاف المصلين" عرض فيه لكل الفرق الإسلامية في عهده وإختلافاتهم الفكرية والعقيدية والفلسفية.. وعن عذاب القبر قال:" واختلفوا في عذاب القبر، فمنهم من نفاه وهم المعتزلة والخوارج ومنهم من أثبته وهم أكثر أهل الإسلام، ومنهم من زعم أن الله ينعم الأرواح ويؤلمها فأما الأجساد التي في قبورها فلا يصل ذلك إليها وهي في القبور" (1) أي أن عذاب القبر قضية خلافية إختلف فيها الأوائل، وكان الأشعري نفسه طرفا في هذا الخلاف، فقد كان أولا من المعتزلة ثم إنشق عليهم وإنضم الى أهل السنة. ولذلك فإنه بعد أن يشير الى مذهب المعتزلة والخوارج في نفي عذاب القبر يقول عن رأي أهل السنة " ومنهم من أثبته وهم أكثر أهل الأسلام.."

ومع ذلك فالأشعري يعتبر جميع المذاهب برغم إختلافها من أهل الإسلام، بل إن عنوان كتابه هو " مقالات الإسلامين وإختلاف المصلين" ومعناه أن ذلك الإختلاف في عذاب القبر وغيره لا يقدح في إسلام أحد ولا شأن له بإيمان أحد، فالجميع مسلمون مؤمنون طالما يقولون لا إله إلا الله ويؤمنون بكل رسل الله وكتبه.. ويتضح من كلام الأشعري أن أصحاب الإتجاه العقلي هم الذي أنكروا عذاب القبر، فالمعتزلة يعتمدون العقل أساسا في المرجعية والخوارج يتوقفون عند حدود النص القرآني، وطالما لم يرد نص صريح الدلالة على عذاب القبر في القرآن الكريم فلا يعتقدون في وجود عذاب في القبر .. ثم هناك من وقف موقفا متوسطا وهم الذين نفوا عذاب القبر وقالوا بعذاب البرزخ ونعيمه للأرواح وليس للأجساد.. وبين الفريقين يقف أهل السنة الذي تزعمهم أبو الحسن الأشعري بعد إنشقاقه عن المعتزله، وهم يعتمدون النص سواء كان قرآنا أو حديثا منسوبا للنبي أو تفسيرا مأثورا، ولذلك فقد إعتمدوا الأقاويل التي تؤكد عذاب القبر.. وكلها بالطبع وجهات نظر عقلية أو نقلية أو بين هذا وذاك في قضية خلافية إجتهادية أصحابها كلهم مسلمون.. ولكن وجهات النظر تلك ظلت محصورة في نطاق ضيق لا يتعدى الكتب القديمة الصفراء ومقررات الدراسة بالأزهر، حتى جاء عصر النفط بتغير جديد فأصبحت فيه الكتب الصفراء أكثر بياضا وأكثر إنتشارا وأعظم تأثيرا، وأتيح لها أن تصيغ عقول الشباب فتمنعه من الإنطلاق لمواكبة العصر الحديث لتجعله يعود الى عالم العصور الوسطى..

لم يعط عصر النفط نقلة هائلة لأفكار التراث كلها بل أن هذه النقلة كانت من حظ الجانب المنغلق والخرافي من التراث الذي ساد على أنه هو الإسلام، هو رأي ما عُرف بأهل السنة في موضوع عذاب القبر مثلا وساد على أنه الإسلام وتجاهل الآراء الأخرى، وتجاهل أيضا أنها قضية خلافية لعلماء كلهم مسلمون.. أي أن عصر النفط جعل للقضية رأيا واحدا هو مع الأسف أكثر الآراء تخلفا وتهافتا وتناقضا مع القرآن الكريم الذي ينبغي أن نحتكم إليه في كل أمورنا .. لم يكتف عصر النفط بإعتماد رأي واحد ونفي ما عداه، وإنما تطرف فجعل هذا الرأي هو الإسلام وحده، وإتهم ما عداه بالكفر والإلحاد، أو بالتهمة الحديثة التي خرج بها علماء النفط من الحضارة الأوربية، تهمة العلمانية التي تعني الكفر والإلحاد..

وبذلك أصبح واضحا أنه يراد بنا أن نعود ليس للجانب المتعقل من التراث بل أن نعود الى أكثر أنواع التراث تخلفا وتشددا أو نواجه العالم في القرن الحادي والعشرين بذلك التراث المتخلف على أنه هو الإسلام، والنتيجة أن العالم يقفز الى عصر المعلومات ويتقدم في كل ثانية الى الأمام، ونحن نتراجع الى خرافات العصور الوسطى والثعبان الأقرع.. وهذا هو ما يراد بنا.

100 - المسجد الأقصى

" سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله". (الإسراء 1) لم يكن للمسجد الأقصى ولا لمسجد الصخرة أي وجود عند نزول هذه الآية ولا في حياة محمد عموما فقد بناهما الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان في الفترة ما بين 66 و 74 هـ، أي بعد وفاة نبي الإسلام بأكثر من 30 سنة. كما جاء في كتاب المفصل في تاريخ القدس ص 189 الى ص 196. (المفصل في تاريخ القدس - عارف العارف - المؤسسة العربية للدراسات والنشر - الطبعة الثالثة 2005). ونحن هنا ننقل عنه هذه الصفحات الثمان:

مسجد الصخرة:

بناه الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان بعد أن استشار المسلمين، ورصد لبنائه خراج مصر لسبع سنين. وعهد بإدارة العمل الى اثنين من رجاله هما: رجاء بن حياة ابن جود الكندي (1) أحد العلماء الأعلام في صدر الإسلام. ويزيد بن سلام (2) مولى عبد الملك بن مروان. وعلى قول مجير الدين (3) أن الموكل بالصرف رجاء، وأن هذا ضم إليه يزيدا وولديه. شرع البناؤون في البناء سنة 66هـ - 685م وفرغوا منه سنة 72 هـ (4) - 691م. فبنوا في بادئ الأمر قبة السلسلة الكائنة شرقي الصخرة لتكون نموذجا. ثم بنوا المسجد نفسه. ولما كان قد بقي من المبالغ المخصصة للبناء مئة ألف دينار، فقد أمر عبد الملك بها جائزة الى رجاء ويزيد فرفضا قائلين:" نحن أولى أن نزيده من حلي نسائنا، فضلا عن أموالنا. فاصرفها في أحب الأشياء إليك". فأمر (5) بأن تسبك وتفرغ على القبة والأبواب. نقش اسم عبد الملك بن مروان على قناطر التثمينة الوسطى في الناحية الجنوبية الشرقية من الداخل وبالخط الكوفي المذهب. وإنك لواجد هناك كتابة مزخرفة بالفسيفساء على أرض لازوردية (6) تقول:" بنى هذه القبة عبد الله عبد الملك بن مروان أمير المؤمنين في سنة اثنتين وسبعين. تقبل الله منه ورضى عنه آمين". ذهب بعض المؤرخين، ومنهم اليعقوبي (7) سنة 260 هـ - 874م، الى أن الغاية من بناء مسجد الصخرة بهذا الشكل البديع هي الإستعاضة عن الكعبة بسبب ثورة عبد الله بن الزبير الذي ثار على الأمويين وأعلن استقلاله في الحجاز (61هـ - 680م). فأراد عبد الملك بن مروان أن يصرف الناس عن الكعبة. خشية أن يأخذهم ابن الزبير عند الحج بالبيعة. وعلى قول أنه منعهم عن الحج بالمرة. واعتزم بناء مسجد الصخرة. ومن المؤرخين من يرى أن عبد الله بن مروان إنما بناه حتى يكون للمسلمين مسجد يضاهي في بهائه وسحره ما لكنائس النصارى من الروعة. وخاصة أنه كان في سورية وفلسطين يومئذ من الكنائس الكثيرة البالغة غاية العظمة ما خشي معه عبد الملك أن يظل المسلمون يتطلعون الى هذه المنشآت المسيحية دون أن يكون لهم ما يفخرون به. فقد روى المقدسي (8) الذي جاء بعد اليعقوبي بقرن والذي يهبط بيت المقدس سنة 374هـ - 984م " أن عبد الملك رأى قبة القيامة التي يحج إليها المسيحيون خشى أن تؤثر ضخامة هذه الكنيسة على قلوب المسلمين. فاعتزم أن يبني قبة مثلها أو أحسن. ونصب على الصخرة قبة كما ترى".

ومهما قيل في الغاية التي كان يهدف إليها عبد الملك بن مروان من وراء هذا البناء، فمما لا شك فيه أنه استشار المسلمين في بنائه كما قلنا في مستهل البحث. ولكن أقوال المؤرخين تضاربت من حيث الردود التي حصل عليها. فقد قرأت في مخطوط عثرت عليه في خزانة الأستاذ عيسى إسكندر المعلوف (9) بعنوان (تاريخ الخلفاء المسلمين) ص 91، " أن عبد الملك بن مروان عندما اعتزم بناء صخرة بيت المقدس والمسجد الأقصى قدم من دمشق الى بيت المقدس. وبث الكتب في عمله كله الى جميع الأمصار. وقال: إن عبد الله يريد أن يبني قبة على الصخرة تكن المسلمين من الحر والبرد. ولا يريد أن يفعل ذلك دون رأي رعيته. فلتكتب إليه الرعية بما ترى. فوردت عليه الكتب قائلة: يرى أمير المؤمنين رأيه موفقا سعيدا. نسأل الله تعالى أن يتم له ما نوى من بناء بيته ومسجده، ويجري ذلك على يديه، ويجعله مكرمة ولمن مضى من سلفه تذكرة".

هذا ما رواه المعلوف، وأظن أنه مأخوذ عن ابن البطريق. وأما اليعقوبي (سنة 260هـ - 874م) فإنه يقول أن المسلمين ضجوا عندما أدركوا الغاية التي يرني إليها وهي صدهم عن الحج. فقالوا: أتمنعنا عن حج بيت الله الحرام، وهو فرض من الله. فقال لهم: ألم يحدثنا ابن شهاب الزهري أن النبي قال: (لا تشد الرحال إلا الى ثلاث: المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى). ثم ذكر لهم كيف أنه أسرى بالنبي الى هذا المكان، وكيف أنه وضع قدمه على هذه الصخرة عندما صعد الى السماء. وبهذه الوسيلة تمكن من إقناعهم، ومضى في مشروعه العظيم، الى أن تم له ما أراد.

اختلف المؤرخون فيما إذا كان عبد الملك قد استعمل في بناء مسجد الصخرة بعض الحجارة والأعمدة التي كانت في كنائس فلسطين، تلك الكنائس التي دمرها الفرس (10) قبيل الفتح الإسلامي، أو في غيرها من الكنائس.

فروى ابن البطريق (11) في تاريخه ما نصه:" وبأمر عبد الملك بن مروان قلعت قبة كانت للنصاري في كنيسة بعلبك، وهي من نحاس مطلي بالذهب. فنصبها على الصخرة". وقال المستر يشموند (12):" إن مواد البناء كانت يومئذ متوفرة في البلاد، ولا سيما من بقايا الكنائس التي هدمها الفرس يوم احتلوا القدس عام 614 للميلاد. تلك البقايا التي كانت مبعثرة هنا وهناك". وأما الأستاذ عيسى إسكندر المعلوف الذي نقل (13) عن ابن البطريق الرواية المتقدم ذكرها، فقد قال إنها تحتاج الى تمحيص. وقال المستر كرزويل (14) إنه لا يشك في أن الذين بنوا مسجد الصخرة استفادوا من قياسات كنيسة القيامة. فإن قطر قبة الصخرة من الداخل 20 مترا و30 سنتمترا. وارتفاعها 20 مترا و48 سنتمترا. وقطر قبة القيامة من الداخل 20 مترا و9- سنتمترا. وارتفاعها 21 مترا و5 سنتمترات. ومهما كان الأمر فإن مما لا ريب فيه أن مسجد الصخرة، بقبته الجميلة، وبنائه المتين، وتكوينه الرائع؛ جاء آية في فن الهندسة لا في العصر الذي

بني فيه فحسب، وإنما على مر العصور والأيام. فقد بهرت قبته ببهائها ورونقها وفخامتها وتناسقها كل من أنعم النظر فيها وحاول دراستها من العلماء والباحثين. وإنك لترى في هذا المسجد، وأنت تنظر إليه، جمال الهندسة العربية والذوق العربي ممتزجا بشيء من الطراز الفارسي والأسلوب البيزنطي. ولا ريب فقد اشترك في بنائه صناع من العرب والفرس والروم البيزنطيين.

قال الدكتور هارتمان Hartmann إن مسجد الصخرة نموذج من التناسق والإنسجام. وقد أيده في وصفه هذا البحاثة الهولندي المعروف " فان برشم".

وقال الأستاذ هايتر لويس (15):" إن مسجد الصخرة، بلا شك، من أجمل الأبنية الموجودة فوق هذه البسيطة. لا، بل إنه أجمل الآثار التي خلدها التاريخ ". وقال المستر فرغوس:" إن مسجد الصخرة من الجمال على جانب عظيم. لقد زرت كثيرا من القصور الفخمة والمباني الجميلة في الهند وفي أوروبا وفي أكثر أنحاء العالم. ولكنني، على ما أذكر، لم أر ما هو أجمل ولا أبدع، ولا أفخم من قبة الصخرة. وأن التناسب البديع في الأحجام والألوان لم أجده في أي بناء آخر".

وقال الكابتن كرزويل، أستاذ فن العمارة الإسلامية بجامعة فؤاد الأول بالقاهرة:" لقبة الصخرة أهمية ممتازة في تاريخ العمارة الإسلامية. فقد بهرت ببهائها ورونقها وفخامتها وسحرها وتناسقها ودقة نسبها كل من حاول دراستها من العلماء والباحثين".

جاء في (مثير الغرام بفضائل القدس والشام) ص 100 أنهم، عندما بنوا قبة الصخرة، كانوا في كل اثنين وخميس يطحنون الزعفران ويمزجونه بالمسك والعنبر والماورد الجوري. ويخمرون هذا المزيج ليلا. وفي الغداة يأمرون الخدام، فيدخل هؤلاء الحمام، فيغتسلون، يتطهرون، ثم يرتدون الثياب النظيفة ويأتون الى مسجد الصخرة حاملين ما تخمر بالأمس. وبعد أن يغسلوا الصخرة، يأتون بمجامر الذهب والفضة فيها العود والند الممزوج بالمسك والعنبر. فيرخون الستور حول الأعمدة كلها. ثم يحملون البخور، ويدورون حول الصخرة. ثم ينادي المنادي في صف البزازين: ألا إن الصخرة قد فتحت للناس. فمن أراد الصلاة فيها فليأت. وكان يقف على كل باب من أبواب المسجد عشرة من الحجاب. ومتى دخله المصلون شموا رائحة البخور والمسك والعنبر.

المسجد الأقصى (16):

بعد أن بنى عبد الملك بن مروان قبة الصخرة سنة 72هـ - 691م بنى المسجد الأقصى 74هـ - 693م. ذكر المقدسي في كتابه " أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم" أن باني المسجد هو عبد الملك بن مروان. وأيده في قوله هذا أكثر المؤرخين في القرنين الثالث والرابع للهجرة. وهناك من يقول إن باني المسجد هو الوليد بن عبد الملك الذي انتهى إليه الحكم سنة 76هـ - 705م. ويستدل هذا الفريق على صحة قوله بما جاء في الرسائل (17) التي كتبها " قرة بن شريك" عامل الأمويين على مصر في عهد الخليفة الوليد الى أحد حكام الصعيد بين سنتي 90و96 للهجرة. تلك الرسائل التي كتبت على ورق البردي والتي ورد فيها ذكر الأقصى. وفيها طلب " قرة بن شريك" من أحد حكام الصعيد أن يرسل إليه صناعا ماهرين لمسجد بيت المقدس.

قال العمري في كتابه " التعريف" عن الوليد أنه نقل الفسيفساء من القسطنطينية الى دمشق، ومنها الى القدس ومكة والمدينة؛ ليزين بها جدران المسجد. وإني ميال للإعتقاد بأن البناء قد شرع فيه زمن عبد الملك بن مروان (74هـ - 693م)، وتم في زمن ابنه الوليد (18) (86هـ - 705م). ومهما كان الأمر فمما لا شك فيه أنه هو الذي غشى قبة الأقصى بالنحاس. وهذا أخذه من كنيسة في بعلبك (19).

قال المستر كرزويل K.A.C.Creswell مفتش الآثار في حكومة فلسطين أيام الإنتداب البريطاني، إنه كان هناك، في الموضع الذي يقوم عليه الأقصى الآن، مسجد بناه عمر بن الخطاب سنة 14هـ - 635م. وحذا حذوه آخرون فقالوا:" إن عبد الملك بن مروان بنى المسجد الأقصى في الموضع الذي كان يقوم عليه مسجد عمر من الناحية الشرقية، وإن هذا المسجد كان محاذيا للسور الشرقي، وقد تم بناؤه في السنة الثامنة عشرة أو السنة الحادية والعشرين للهجرة. وكان يتسع لثلاثة آلاف من المصلين. كان سقفه من خشب، وقد اندثرت آثاره مع الزمن". وقد ضرب على هذا الوتر كثيرون من المؤرخين المسلمين فقالوا: إن المسجد الذي بناه عمر بن الخطاب يوم الفتح أقيم في المكان الذي فيه المسجد الأقصى الحالي أي في الطرف الجنوبي من ساحة الحرم.

وهناك رواية أخرى تقول إن المسجد الذي بناه عمر، بني عند الصخرة التي نظفها بيده من الأوساخ حيث دفن الروم هيكل بني إسرائيل. ولم يبن في موضع الأقصى الحالي. ولكن هذه الرواية الأخيرة ضعيفة. لم يرد في كتب التاريخ ما يؤيدها.

وذهب بعض المؤرخين (20) الى أن المسجد الأقصى بني في الموضع الذي كانت تقوم عليه الكنيسة التي بناها الإمبراطور البيزنطي جوستانيان (543م)، وأن اسم المهندس الذي هندسها (تيودوروس). ومنهم من تجاوز هذا الى حد القول إن المسجد الأقصى هو نفسه الكنيسة أياها لا قدم ولا أخر. وكانت على قول هؤلاء، تدعى يومئذ (كنيسة العذراء الجديدة) لأجل التفريق بينها وبين كنيسة بنيت بهذا الإسم قبل ذلك التاريخ. وكانت هذه (أي القديمة) عند كنيسة القيامة من الناحية الجنوبية الغربية. وأما المؤرخ جيمس فرغون. فقد أنكر هذا القول في الصفحة 118 من كتابه: An Essay On The Ancient Topograpgy of Jerusalem

إذ قال:" إن المسجد الأقصى ليس بكنيسة جوستانيان. ولا صحة أيضا للقول القائل إنه بني في الموضع الذي كانت تقوم عليه تلك الكنيسة. فلا القناطرة ولا العقود التي تحمل الأقصى ولا الأعمدة والتيجان التي فوق الأعمدة من النوع

الذي كان معروفا على عهد جوستانيان. وبناء المسجد نفسه لا يشبه بناءه أية كنيسة من الكنائس التي بنيت في ذلك العهد. ولم يكن لأية كنيسة من الكنائس التي بنيت في تلك العهود قبة كقبة المسجد الأقصى.

أضف الى ذلك أنه لا يعقل أن يبني جوستانيان كنيسة في وسط المكان الذي كان يقوم عليه هيكل سليمان. وهو الرجل الذي اشتهر بالزهد والتدين.

قال أوتيخيوس (21) " إن النصارى لم يبنوا أية كنيسة في منطقة الهيكل بسبب غضب السيد المسيح على تلك المنطقة ودعائه عليها بالخراب" ولم يذكر التاريخ أن المسلمين سلبوا النصارى أية كنيسة من كنائسهم أثناء الفتح الإسلامي. ولو فعلوا ذلك لأقام المؤرخون المسيحيون الضجيج وانتقدوا أعمال المسلمين. ولكن العهدة العمرية التي أعطاها عمر بن الخطاب الى نصارى إيلياء تشهد بعكس ذلك. هذه نبذة موجزة عن مسجدي الصخرة والأقصى. أوردناها هنا. ومن شاء التفصيل عن هذين المسجدين، فليرجع الى كتابنا: (تاريخ قبة الصخرة المشرفة والمسجد الأقصى المبارك). ذلك الكتاب الذي طبع في (مطبعة دار الأيتام الإسلامية) بالقدس سنة 1958.

الهوامش

(1) أصله من بيان. ويكنى بأبي المقدام توفي سنة 112هـ - 730م.

(2) من أهل بيت المقدس.

(3) كتاب " الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل" ج 1، ص 240.

(4) هذا ما جاء في أكثر الكتب التاريخية. وهو الذي اعتمدناه وأما سبط ابن الجوزي فلقد ذكر في كتابه " مرأة الزمان في تاريخ الأعيان" أن ابتداء البنيان كان سنة 69هـ والفراغ منه سنة 72هـ. وكذلك قال ابو المحاسن القاضي بهاء الدين وأبو عد الله السيوطي شمس الذين. وجاء في " مثير الغرام بفضائل القدس والشام" لمؤلفه أحمد المقدسي، ص 98، أنه بني سنة 70 للهجرة.

(5) مجير الدين، ج1، ص 242.

(6) اللازورد معدن مشهور ينشأ في ارمينية وفارس. وهو ازرق شفاف يضرب الى خضرة وحمرة (البستان).

(7) أنه أحمد ابن أبي يعقوب بن جعفر ابن وهب بن واضح الكاتب العباسي المعروف باليعقوبي. ولد في مصر. وساح في بلاد الإسلام. ثم الى مصر، وتوفي بها (284هـ - 897). وقد ألف قبل موته كتابين: أولها في التاريخ، ويعرف بـ (التاريخ اليعقوبي). طبع في ليدن سنة 1883م. والثاني في الجقرافيا وقد اسماه (كتاب البلدان)، طبع في ليدن أيضا سنة 186م. واليعقوبي أول من بحث عن السبب في بناء مسجد الصخرة من المؤرخين العرب.

(8) كتاب (احسن التقاسيم في معرفة الأقاليم)، ص 159.

(9) عضو المجامع العلمية في مصر وسورية ولبنان.

(10) راجع ما كتبناه عن هذا في فصل الفرس.

(11) إنه سعيد بن بطريق من قسطاس مصر "263هـ - 328هـ" صار في خلافة القاهرة بالله بطريركا على الإسكندرية. ومات بها. له "التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق"، طبع في ثلاثة أجزاء سنة 1906 على نفقة الجمعية المشرقية بباريس.

(12) Dome of the Rovk by E.T.Richmond. p.2.

(13) مجلة الآثار، 5- 6، ص 248.

(14) The Origin of the plan of the Dome of the Rock – by K.A.C. Creswell.p.27.

(15) The Holy Places of Jerusalem by Hayter Lewis.p. 26.

(16) كان اسم (المسجد الأقصى) يطلق فيما مضى على الحرم القدسي كله، بما فيه المسجد الحالي الذي ندعوه بالأقصى ومسجد الصخرة وما بينهما. وبعبارة أخرى جميع الأماكن والمعابد الإسلامية القائمة ما بين الأسوار. وهذا ما قصدته الآية الكريمة: { سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله} وفي يومنا هذا يطلق على المسجد الواقع جنوبي قبة الصخرة وفي الناحية القبلية من الحرم.

(17) محفوظة في المتحف البريطاني بلندن.

(18) اشتهر الوليد بالبناء. فهو الذي بنى المسجد الأموي بالشام. وهو الذي عمر ووسع عددا كبيرا من المساجد في المدن التي افتتحها. وفي أيامه فتحت الأندلس والهند واتسعت إمبراطورية العرب من الصين شرقا الى المحيط الأطلنطي غربا، ومن البحر الأسود شمالا الى صعيد مصر جنوبا.

(19) (خطط الشام) للأستاذ محمد كرد علي، ص 266.

(20) Biblical Researches' Vol. I.p.440 by Dr. Robinson. الدكتور ريشاردسون Dr. Richardson وكاتروود Catherwood وبونومي Bonomi واروندل Arundale

(21) ' Eutychir Annals' Vol.II, p. 289.